



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو القاسم سعد الله (الجزائر 02)



كلية العلوم الإنسانية
قسم التاريخ

نظام الدولة المدينة وتطوره

من سومر إلى بلاد الإغريق.

- دراسة تاريخية مقارنة -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم.

إشراف الأستاذ الدكتور:

بلقاسم رحماني

إعداد الطالبة :

راشي نجوى

لجنة المناقشة :

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د حموم التوفيق	أستاذ التعليم العالي	معهد الآثار جامعة الجزائر 2	رئيسا
أ.د بلقاسم رحماني	أستاذ التعليم العالي	جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2	مشرفا ومقررا
د. بومريش ليلي	أستاذ محاضر أ	جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2	عضوا مناقشا
د. حورية عبد الله	أستاذ محاضر أ	المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة	عضوا مناقشا
د. مواس نورة	أستاذ محاضر أ	جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2	عضوا مناقشا
د. سليم عنان	أستاذ محاضر أ	معهد الآثار جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2019/2018

شكر وتقدير

لا يسعنا بعد الانتهاء من إعداد هذه المذكرة إلا أن نحمد الله سبحانه وتعالى الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة ، وأعاننا على أداء الواجب ووفقنا في انجاز هذا العمل ، فله الحمد قبل الرضا وله الحمد بعد الرضا.

كما نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذ الفاضل "رحماني بلقاسم" الذي تفضل بالإشراف على هذه المذكرة ، حيث قدم لنا كل النصح والإرشاد طيلة فترة الإعداد ، فله منا كل الشكر والتقدير.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى كل من قدم لي يد المساعدة ، ودعمنا في انجاز هذه المذكرة من قريب أو من بعيد .

إِهْدَاء

أهدي ثمرة جهدي

إلى كل من تفرقت عيناه شوقا وحبا في رؤية حلمي يغدو حقيقة وتضرعت كفوفهم للمولى راجية

تألقي واشتهدت أنفسهم عطشا لفرحتي واهتزت أرواحهم لبلوغي ذلك المرام إلى من لا يمكن

للأرقام أن تحصي فضائلهما إلى والداي العزيزان -أدامهما الله لي -

إلى من تقاسموا معي دروب الحياة الحلوة والحزينة إختوي : نسيمة ، نادية ، عبد الوهاب،

صورية ، نعيم ، خولة .

إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء .

إلى كل زملائي وأصدقائي .

قائمة المختصرات البيبلوغرافية (Abbreviations) :

أ-المختصرات باللغة العربية :

تع : تعليق .

تر: ترجمة .

ج: جزء .

ط: طبعة .

ق.م : قبل الميلاد.

مج: مجلد .

ع: عدد.

ب-المختصرات باللغة الأجنبية :

- Arch. Adm.SU : Archives administrativessummériennes.

-Pre.Per. Neo.Sum :Presargonoic period « 2700-2350 B.C » ,from the 21st Century BC to 21st Centry AD : the present and future of Neo-Sumeriens studies.

-H .A.N.E.L :A History of Ancient Near Eastern law .

-Bri .H .G .REA .PR.G.HIS: brif history Greece, with readings from prominent Greek historians

-En .A .G .W : Encyclopedia of ancient greek word .

-Ear .M . R .T : Early Mesopotamia Royal Titles.

- C .A . Pro . Or .M : les civilisations antiques du proche orient et la méditerranée.

- Ne .Eas.F .C : the near East and the foundations of civilisation.

- Bir . C. Ne .Eas : The birth of civilisation innear east.

- A . G .F .Pre . He .T : ancient greece from prehistoric to hellenistic times.

-G .L .J .Egy . G . R : grandlarousse junior (l'Egypte, la Greece ,et la Rome).

مقرنة

ارتبطت نشأة المدينة باستقرار الإنسان ، وعكس نموها وتطورها أسلوبه في العيش و طريقته في الحياة وعلاقته بالآخرين ، فكانت مرآة عاكسة لأوضاعه وقدراته ، كما كانت المتحف الحي لتراثه وتجاربه ، هذا ما يجعل المدينة من خلال وظيفتها ونشاطها تتجاوز كونها مجالا عمرانيا وبيئة اجتماعية وموقعا للاستقرار والنشاط الاجتماعي لتصبح كائنا اجتماعيا حيا متفاعلا ومظهرا حضاريا معبرا تتحكم فيه شروط المكان وتؤثر في أحداث الزمان وتصوغها قدرات الإنسان ، تنشأ وتنمو وتتطور إذا توافرت لها عوامل البقاء ومتطلبات الاستمرار .

وعند تتبع مسيرة حضارات الشرق الأدنى القديمة نجد أنها تميزت بطابعها العمراني وبنظامها السياسي وفي مقدمتها حضارة بلاد الرافدين التي كانت مركزا للعديد من الأقوام والمجرات البشرية خاصة عند مجيء السومريين واستقرارهم في القسم الجنوبي منه ، ويطلق على مرحلتهم بعصر فجر السلالات ، وتميز عصرهم بالازدهار والنمو والتطور الاقتصادي الذي يدل عليه مدى اتساع ونمو المجتمعات السكانية وزيادة ملحوظة في كثافة سكان المدن رافقها اتساع في النشاط العمراني والفني واتساع في أنشطة الزراعة والتجارة ولا سيما الخارجية منها حتى غدت مراكز حضارية مهمة .

منذ تلك الفترة المبكرة من حياة الإنسان التي أعقبت العصر البرونزي ، ارتبط مصير البشرية بظاهرة التحضر التي كانت بداية تشكل المجتمع المدني ، وبداية التحولات الجذرية في حياة السومريين ، حيث مهد هذا التطور لنمو القرى الزراعية ببلاد سومر إلى مدن كبرى ، فأصبحت المدينة السومرية مقرا للحكم المركزي الناشئ القائم على سلطة

الحاكم ونفوذ الكهنة ، بانتقال الحكم مع بداية عصر فجر السلالات من دولة المعبد إلى دولة القصر ، وتخلله مجموعة من الإصلاحات التي كانت نتيجة تسلط طبقة الكهنة على الحكم واستغلال الوضع لمصالحهم على حساب عامة الشعب ، لكن هذه الانتفاضة السياسية التي تزعمها أوروكاجينا عززت أكثر المفاهيم السياسية للمدينة السومرية من خلال تجسيد مبادئ الديمقراطية والتشاور في أمور البلاد، كل هذه الأحداث جعلت بلاد سومر تنفرد بالزيادة السياسية عن باقي الحضارات العالم القديم .

هذا التميز الحضاري راجع إلى ابتكارها نظام سياسي خاص بها ويتلاءم مع البيئة الطبيعية والسكانية والسياسية لبلاد الرافدين ، والذي يعرف بنظام الدولة المدينة [3000-2370ق.م] بظهور العديد من المدن السومرية مستقلة عن بعضها البعض من حيث السلالات الملكية ، نظام الحكم ، الديانة ، الاقتصاد،... الخ، واستطاعت أن تجسد أول برلمان سياسي يركز على مؤسسات سياسية عسكرية ، ولكن بالرغم من انهيار السومريين في حدود 2370 ق.م على يد الأكاديين، لكن استطاع هذا النظام أن يستمر عند شعوب أخرى بعيدة عنها جغرافياً وتختلف عنها حتى من الناحية الطبيعية والزمنية والسكانية ألا وهي الحضارة الإغريقية .

تذكر الدراسات التاريخية أن بلاد الإغريق كانت موطناً للعديد من الهجرات البشرية الأولى القادمة من مختلف المناطق ، ففي أوائل الألف الثانية قبل الميلاد كان يسكن بلاد الإغريق قبائل ربما كانت قادمة من البحر المتوسط (أي ليست آرية) والتي عرفت بالقبائل البلاسجية ، في وقت لمعت فيه حضارات كريت ، ليتوالى توافد المهاجرين إليها ، هؤلاء الذين أسسوا فيما بعد الحضارة المينوية ، الميسينية (الميكانية) التي انتهت إليها أبطال الإلياذة والأوديسة المنسوبتان لهوميروس .

وتوالى الهجرات فيما بعد من قبل أقوام أخرى ، وآخرهم الأقوام الدورية التي ظهرت في حدود القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، و حطمت معظم الشواهد الأثرية التي تعود إلى بلاد الإغريق ، وأدخلتها في مرحلة مظلمة ، وبهذا نجد أنفسنا أمام خليط من الأجناس البشرية تشهد حراكاً جيوسياسياً ، ويتراوح بين بلاد الإغريق القاري وحتى على الساحل الآسيوي (الغربي) في جزر بحر إيجه ، وأهم ما يلاحظ عليهم هو تعدد الطبقات السكانية، فكل منها خبرة جديدة تضاف إلى خبرة السكان الأصليين (البلاسجيين) ، وإلى تراث الحضارة الكريتية ، وربما هو الآخر قد تأثر كل التأثير بتراث حضارات الشرق الأدنى ، لان حركة الهجرة قد تركت اتجاهات عقلية خاصة.

والجدير بالذكر أن منطقة أيونيا الممتدة على الساحل الغربي لشبه جزيرة آسيا الصغرى من أنشط المناطق الإغريقية من حيث السياسة والتجارة والثقافة- أدبا وفكرا -بحكم قربها الجغرافي من مراكز الثروة الشرقية قد جعلها تحتك وتتأثر بها ، وأن تكتسي أهمية كبرى في تكوين -أو على الأقل -إبراز خصائص الحضارة الإغريقية .

ولعل من أبرز هذه الخصائص التي حظيت بها قيام نظام الدولة المدينة منذ بداية القرن 8 ق.م إلى غاية منتصف القرن 4 ق.م بفعل المؤثرات الطبيعية والسياسية والبشرية ...الخ، وأثره في نشأة المدينة الإغريقية التي تبلورت أكثر في أحضان الطبيعة الجبلية والجزرية بعدما كانت مجرد مستوطنات بسيطة ، فتحولت إلى كيانات سياسية صغيرة مستقلة بشؤونها وتخضع لسلطة حكام يستمدون نفوذهم من طبقة النبلاء خاصة مدينتي أثينا واسبرطة ، و ازدادت أكثر نضجا وتطورا مع الإصلاحات والقوانين التي وضعت من قبل أهم المشرعين السياسيين ، الذين اتخذوا من القانون أداة للتعامل داخل المجتمع الإغريقي ، ومن الهيئات التمثيلية وسيلة لممارسة السلطة باسم سكان المدينة (الديموس) ، واستطاعوا بفعل هذه القوانين التأثير في تغيير أنظمة الحكم ، فمثلا مدينة أثينا شهدت ظهور العديد من الأنظمة السياسية -من النظام الملكي إلى غاية النظام الديمقراطي -نتيجة تدهور أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية مما أدى إلى ظهور العديد من الانتفاضات أو التمردات الشعبية التي استغلتها بعض الفئات الارستقراطية لتحقيق مآربها ومصالحها السياسية ، وأبرزهم ثورة كيلون سنة 632ق.م / 631ق.م ، تمرد بيزستراتوس سنة 561ق.م ..الخ ، على عكس اسبرطة التي حافظت على نظامها السياسي القائم على الملكية المزدوجة ، وقد تحللت هذه الأنظمة العديد من الإصلاحات (التشريعات) السياسية ، الاقتصادية ، الاجتماعية ...الخ ، والتي تمّ وضعها من قبل الأراخنة ، بهدف تحسين الأوضاع الداخلية لهذه المدن الإغريقية نتيجة استثمار طبقة النبلاء الاروستقراطيين بالحكم وحصر وظيفة الملوك على المجال الديني فقط ، نظرا لارتباط هذا الأخير حسب معتقداتهم بالآلهة.

الجدير بالذكر أن هذه الأنظمة اعتبرت بمثابة الروح المبدعة والقوة المحركة في مجتمع دويلات المدن اليونانية الذي أصبح مركز إشعاع فكري وإبداع فني ، واعتبرت مؤسسته المدنية مثلا لمجتمعات المدن الراقية في العالم القديم ، ومع انتهاء العصر الكلاسيكي ببلاد اليونان (4/5 ق.م) احتل نظام الدولة المدينة وتراجع نفوذ الارستقراطية وظهر حكم الطغاة ، فازدادت الهوة بين الأغنياء والفقراء ، واضطربت الأوضاع الداخلية بفعل الصراع بين حلفي أثينا واسبرطة ضمن ما يعرف بحروب البولوبونيز (431-404 ق.م) ، وما انجر عنها من انقسامات سياسية ، وانتقال الزعامة السياسية إلى مدن أخرى تفتقد الكفاءة والحنكة السياسية والعسكرية مثل : طيبة ، كورنثة..الخ، كما أدى هذا

الوضع إلى ظهور أحلاف عسكرية غير موطدة بشكل سليم على عكس الأحلاف السابقة -حلف ديلوس وحلف البولوبونيز- ، كل هذه الظروف المتدهورة مكّنت فيليب الثاني من استغلالها لإخضاع المدن اليونانية ، واستكمل ما تبقى من الصراع ابنه اسكندر المقدوني ، هذا الأخير الذي عمل على إخضاعها و توحيدها لتكوين إمبراطوريته المترامية الأطراف .

مجال الدراسة : إن موضوع دراستنا يتمحور حول نظام الدولة المدينة وتطوره من سومر إلى بلاد الإغريق دراسة تاريخية مقارنة ، من خلال الإشارة إلى كيفية ظهوره في الشرق القديم ، وفي فترة زمنية محددة من الألف الثالثة قبل الميلاد إلى القرن الرابع قبل الميلاد .

وباعتبار أن موضوع دراستنا قائم على التحليل التاريخي المقارن ، نجد أنفسنا في دراسة منطقتين تاريخيتين تختلف الواحدة عن الأخرى ، ونفس الأمر ينطبق على الفترة الزمنية ، خاصة من خلال تتبع مسار النشأة والظهور إلى التطور والازدهار ، ثم تليه مرحلة التدهور والانحيار ، وعلى هذا الأساس ، فإن المجال الزماني والمكاني للمنطقة الأولى ينحصر في بلاد الرافدين وبالتحديد في القسم الجنوبي منه والمعروف ببلاد سومر في حدود الألف الثالثة قبل الميلاد وتطوره من دولة المعبد إلى دولة القصر ، وأهم المحطات التاريخية التي رافقت هذا التطور السياسي ، فضلا عن استكشاف طبيعة العلاقات بين المدن السومرية وتأثيرها في تعزيز الاستقلالية والتفكك بينها ، وفي الوقت ذاته استطاعت أن تصبح من أكبر العواصم السياسية في الشرق القديم مثل: الوركاء ، أور ، أوما... الخ ، لكن هذا التميز الحضاري والتطور السياسي سوف ينهار فيما بعد على يد الملك الأكادي سرجون (شاروكين) في حدود 2370 ق.م الذي يقوم بالقضاء على اللامركزية ويعوضها بنظام القطر الواحد ، لكن ومع مرور فترة زمنية طويلة من انحياره في سومر إلا أنه سوف يظهر من جديد في بيئة وفترة زمنية مختلفة تماما عنها ، ويستطيع أن يتطور وينضج أكثر في الساحل الشمالي للبحر الأبيض المتوسط بشكل عام وبلاد اليونان (الإغريق) بشكل خاص ، وبالتحديد من القرن الثامن إلى حدود القرن الثالث قبل الميلاد ، من خلال التطرق إلى كافة الخلفيات التاريخية والطبيعية المؤثرة في نشأة المدن الإغريقية وتطور أنظمتها السياسية ، وبالتحديد في مدينتي -أثينا واسبرطة- ، وأهم الشخصيات والمشرعين الفاعلين في هذا المجال ، وفي الكثير من الأحيان تؤدي قراراتهم الدستورية إلى ظهور الصراعات الداخلية ، والتي تحولت إلى فيما بعد إلى أشهر حرب أهلية داخلية عرفها العالم القديم ، والتي تعرف بحروب البولوبونيز -أي الصراع بين النظام الديمقراطي و النظام الاوليغاركي- .

هذه الأوضاع الداخلية المتدهورة استغلتها مدينة ناشئة ، تقع في الشمال ، ألا وهي مدينة مقدونيا للتدخل والقضاء نهائيا على هذه الدولة المدينة وعلى اللامركزية التي سادت العالم القديم ، عن طريق فيليب الثاني وابنه الاسكندر المقدوني الذي رفع شعار دمج الشرق مع الغرب ، والقضاء على الانفصالية السياسية .

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في تناولها لفترة زمنية طويلة من تاريخ الشرق الأدنى القديم ، كما أن الموضوع لم يسبق تناوله في دراسة مقارنة وافية ، ماعدا بعض الدراسات التي مسته من زوايا جزئية أو نجدتها ركزت في أغلب الأحيان على منطقة دون الأخرى مما يعطي أهمية لإعادة قراءة المصادر المادية والأدبية ، وما احتوته الأطروحات والدراسات السابقة من اجل تتبع المظاهر السياسية و الحضارية ببلاد سومر والإغريق معا من خلال الركائز السياسية ، المصطلحات التاريخية ، ... الخ.

كما أن الأهمية التي اكتسبتها المدينة في حياة الإنسان القديم سواء عند السومريين أو الإغريق هي التي جعلت موضع اهتمام دراستنا في غياب بعض الخلفيات التاريخية و المظهر الأثري والبعد الحضاري في نشأة المدينة وتطورها وتحوها إلى مجتمع حي مؤثر ومجال حضاري منتج ، وواقع الأنظمة السياسية السائدة فيها ودوافع الحركات الاجتماعية والنشاطات الاقتصادية في حياة المدنية ، ولعل أبرزها تلك المدن التي اشتهرت بتاريخها العريق وتراثها الحضاري الأصيل مثل: أور ، اسبرطة ... الخ .

هذه الدراسات التاريخية توفر لنا الخلفية التاريخية والسياسية وراء قيام نظام الدولة المدينة ، وتقديم مقاربات تحليلية وعروضا نقدية لواقع المدن وآفاق تطورها وتشريعاتها ، فمدينة أور مثلا هي نموذج للمدينة السومرية الشرقية القديمة ، اشتهرت بطابعها السياسي ، الثقافي ، الاقتصادي حتى أصبحت تلقب بالمدينة الذهبية لاحتوائها على أقدم ميناء بحري في العالم القديم مخصص لاستيراد وتصدير معدن الذهب ، بالمقابل هناك مدن إغريقية أخرى تضاهي مدينة أور في ثقافتها واقتصادها وموقعها الاستراتيجي أيضا مثل مدينة أثينا ، هذه الأخيرة التي استطاعت أن تعطي نموذجا حيا للمدينة الكلاسيكية القديمة وتعبر عن مدى تطور وتقدم الحضارة الإغريقية التي أشعت بعطائها على العالم الكلاسيكي بدقة أنظمتها السياسية بداية من النظام الملكي إلى غاية النظام الديمقراطي ، فضلا عن أفكارها الفلسفية ومخططاتها الهندسية وقوانينها التنظيمية ومرافقها العمرانية (الأكروبول ، ساحة الاجورا) .

أسباب ودوافع اختيار الموضوع :

دفعنا لإنجاز هذا البحث حب الإطلاع على خبايا الحضارة السومرية لما لها من دور في رقي الحضارات الإنسانية القديمة الأخرى خاصة الإغريقية منها بتعريف نظام الدولة المدينة حسب النصوص السومرية والإغريقية وأهم مكوناتها وأسباب ظهورها ، وعليه فإن الدراسة تهدف إلى توضيح الأسس والمرتكزات الرئيسية التي قام عليها نظام الدولة المدينة وكيف تطور من الشرق إلى الغرب ، وتسليط الضوء على أهم معالم الدولة المدينة السومرية والتطور الحاصل فيه بانتقال الحكم والسلطة من المعبد إلى القصر ومعرفة أهم مجالسها السياسية وبرلمانها التأسيسي بداية من الملكية إلى نوع من الديمقراطية البدائية، وإبراز الدور التاريخي والسياسي الذي لعبه ملوك وزعماء عصر فجر السلالات في رسم أحداث العراق القديم ، والتعرف على طبيعة العلاقات التي ميزت هذه المنطقة وأثرها على نظامها السياسي في ظل التحديات الخارجية التي تحيط بها ، دون أن ننس الكشف على أهم المدن السومرية التي شكلت النواة الأساسية في ازدهار الدولة المدينة من خلال تطور اقتصادها وعمارتها ووعي شعوبها بضرورة إيجاد نظام يلاءم ظروفهم ويؤمن شر الطبيعة (طوفان نهرى الدجلة والفرات) .

وفي الوقت نفسه هناك دوافع أخرى جعلتنا نهتم بهذا الموضوع ونجعله موضوعاً للدراسة والمتمثلة في معرفة أهم الصراعات التي شهدتها كل من سومر وبلاد الإغريق سواء منها الداخلية والخارجية كالتى دارت بين المدن السومرية في حد ذاتها أو مع العيلاميين والآكديين ، زيادة على الصراعات التي شهدتها المدن الإغريقية مع الفرس ، أو تطاحنها فيما بينها ضمن ما يعرف بحروب البولوبونيز ، ومعرفة أثرهما وانعكاساتهما في تدهور نظام الدولة المدينة في مختلف جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وأهم النتائج المترتبة عنها بعد أن استمر عند السومريين حوالي خمسة قرون ونصف ، وعند الإغريق حوالي خمسة قرون .

طرح الإشكالية : من أجل قراءة صحيحة للمسار التاريخي لعناصر دراستنا ، لابد أن نعيد تفكيك شفرات مصطلح الدولة المدينة في الشرق الأدنى القديم ، وإعادة قراءته ضمن ملفات مختلفة الجوانب ، وهذا وفق تقسيمها سياسياً وجغرافياً بداية من الأراضي السومرية وصولاً إلى مجال السواحل الشمالية للبحر المتوسط وفق تساؤل رئيسي حول : إلى أي مدى تطور نظام الدولة المدينة في سومر ، وكيف انتقل إلى بلاد الإغريق بالرغم من بعد البيئة الجغرافية وتباعد الفترة الزمنية بينهما ؟ وهل تطور أكثر عند الإغريق أم بقي على وضعيته الأولى؟ وما هي ملامح التشابه والاختلاف بين النظامين من خلال النشأة ، التطور والانحيار ؟ هل الدولة المدينة السومرية ارتكزت على نفس الأسس الحضارية التي ارتكزت عليها الدولة المدينة الإغريقية ؟ ، وفي خضم هذه الإشكالية نطرح التساؤلات الفرعية والثانوية التالية :

تناولت العديد من الدراسات التاريخية موضوع الدولة المدينة ، كبداية لتطور الفكر السياسي للإنسانية سواء عند السومريين أو اليونانيين ، وكيف انتشر وتطور أكثر بظهور المدن السومرية على نهري الدجلة والفرات بينما المستوطنات الإغريقية انتشرت بطريقة كبيرة على سواحل البحر الإيبي مع العلم أن كان لها تواجد آخر في مناطق بحرية ، ولطالما تساءلت هذه الدراسات عن حقيقة هذا النظام السياسي ؟ و أيّ حضارة نجح فيها وتطور أكثر ، هل عند السومريين أم في بلاد الإغريق ؟ .

تذكر الدراسات التاريخية أن الدولة المدينة في تكوينها و تطورها قد شملت عدة مراحل ، وتجسدت وفقها عدة أنظمة سياسية واقتصادية مبرهنة في ذلك عن مدى تطور الوعي السياسي وتجسيد مبدأ المواطنة والديمقراطية ، لكن السؤال المطروح هنا : هل مراحل التطور الذي تجسد عند الدويلات السومرية ، قد تعزز عند الإغريقين وبالتحديد في مدينتي أثينا واسبرطة أم لا ؟ ، هل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وحتى الدينية كان لها دور كبير في هذا التطور أم مجرد تغيرات عادية تحدث مع أي نظام سياسي سائد في العالم القديم ؟ .

-أما الإشكالية الثانية والتي تمحورت حول طبيعة الهندسة المعمارية التي تجسدت في الدويلات المدن السومرية أو اليونانية ، مع العلم أن هناك اختلاف كبير في البيئة الطبيعية بين كلا المنطقتين ، حيث سادت بلاد سومر البيئة الغرينية السوداء مما كوّن لها مادة طينية بدرجة كبيرة ، نتيجة الفيضانات التي كانت تتعرض لها المنطقة بين الفينة والأخرى ، بينما البيئة الإغريقية تختلف كل الاختلاف عنها ، والذي تجسد في الطابع الجبلي الجزري وضيق المساحة ، ومن هنا نطرح تساؤل حول طبيعة الخصائص الهندسية (المعمارية) التي اتخذتها كل منطقة ؟ ، وهل هناك تشابه بين المدينة السومرية والمدينة اليونانية أم لا ؟ ، وهل للبيئة فقط دور كبير في هذا الاختلاف أم لا ؟، وما هي المرتكزات التي تأسست على أنقاضها المدينة السومرية والإغريقية معا ؟ .

بالإضافة إلى هذا تعتبر الأنظمة السائدة في كل من سومر وبلاد الإغريق وخاصة بمدينتي أثينا واسبرطة من أهم النقاط الواجب التطرق إليها ، خاصة وأن البرلمان السومري يختلف كل الاختلاف على البرلمان السياسي السائد في بلاد الإغريق ، وعلى هذا الأساس لا بد من تسليط الضوء على محطتين تاريخيتين سادت لوقت من الأوقات في كل من سومر واليونان بالتحليل والمناقشة ومحاولة استخراج نقاط التشابه والاختلاف بينهما ، ومن هذه المقارنات تقودنا ل طرح مجموعة من التساؤلات الهامة :

كيف تميز النظام السياسي السومري ، وما هي أهم مؤسساته السياسية التي ارتكز عليها ؟ ما هي أهم الألقاب الملكية التي أطلقت على الملك السومري ، وفيما انحصرت واجباته ؟ وهل هناك مؤسسات أخرى تسهر على تنفيذ

قراراته وتسهر على توفير الأمن والاستقرار بين المدن السومرية؟ ، وهل النظام السياسي السومري طرأت عليه تغييرات جذرية كالتى طرأت على بلاد الإغريق أم لا ؟.

ونفس الإشكالية تواجهنا عند استقراء المصادر اليونانية التي أشارت إلى الأنظمة السياسية في بلاد اليونان ، وحملت الكثير من الفرضيات والتناقضات ، كوجود لبعض المظاهر السياسية السومرية تكررت ولو بطريقة غير مباشرة في أولى الأنظمة السياسية التي عرفتها مدينة أثينا ضمن ما يعرف بالنظام الملكي ، ولكن بمجرد أن برزت الطبقة الأرستقراطية استطاعت أن تغير هذا النظام لصالحها ، وتحصر المهام الملكية المنوطة للملك ، ومن هنا نطرح التساؤل التالي: ما هي الأنظمة السياسية التي عرفتها كل من مدينتي أثينا واسبرطة؟ ، وما هي المجالس السياسية التي تعززت في ظل هذه الأنظمة ؟ وهل استطاعت المدن الإغريقية تطوير الدولة المدينة أم لا؟ خاصة وأنها تتباهى بفكرها الديمقراطي ؟ من هم أهم الشخصيات السياسية المشرعة في أثينا واسبرطة ، وهل لهما نفس الخصوصية ؟ وما هي الأسباب التي أدت إلى تعددية أشكال الحكم بأثينا مقابل جمودها في اسبرطة؟.

خطة البحث : نظرا لطبيعة الموضوع ، وتشعب عناصره ، فقد قسمته إلى مقدمة و أربعة أبواب ، وكل باب إلى عدة فصول ، وحاولت ختم كل باب بمقارنة من خلال استخراج نقاط التشابه والاختلاف ، وخاتمة نهائية ، حيث عالجنا في **الباب الأول : البيئة الجغرافية والسكانية في كل من سومر وبلاد الإغريق وانعكاساتها على النظام السياسي ،** وتضمن فصلين ، إذ عرضنا في الفصل الأول بداية التكوين الحضاري السومري من خلال الإشارة إلى عصور ما قبل التاريخ السومري بمختلف محطاته التاريخية ، وكيف أثرت هذه العصور في استيطان السومريين ، ثم تناولنا جغرافية العراق القديم من خلال تسليط الضوء على الموقع وأصل التسمية ، فضلا عن توضيح دور نهري الدجلة والفرات في ظهور الدولة المدينة السومرية ، بالإضافة إلى المناخ الأقاليم التضاريسية ، وصولا إلى المسألة السومرية من خلال تحديد موقع بلاد سومر في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين ودوره في انفراد بنظام الدولة المدينة منذ حدود 3000ق.م ، زيادة إلى التطرق لجدلية السومريين من حيث الأصل والموطن الحقيقي الذي قدموا منه .

أما الفصل الثاني فقد خصصته إلى بداية الظهور الحضاري في بلاد الإغريق من خلال تسليط الضوء على عصور ما قبل التاريخ الإغريقي ، كما يتناول الخصائص الطبيعية وأثرها في التكوين الحضاري والسياسي عند الإغريق من حيث الموقع الطبيعي والجبال والأنهار، بالإضافة إلى الإشارة للخصائص البشرية الإغريقية من خلال أصل التسمية واصل السكان وأهم القبائل اليونانية التي استوطنت بلاد الإغريق ، والتي كان لها الأثر الكبير في ظهور الدولة المدينة من خلال حركية هذه الهجرات البشرية داخل وخارج اليونان ، وتطورها التاريخي بداية من العصر المبكر (ما قبل الكلاسيكي) ، والذي ميزته

ظهر العديد من الحضارات القديمة بداية من الحضارة المينوية إلى الحضارة الميكانية (الميسينية) ، ثم العصر الهيليني (الكلاسيكي) ، ثم العصر الهيلينستي، ثم في نهاية الباب الأول قمنا بمقارنة البيئة الجغرافية والسكانية لكلا من المنطقتين ودورهما في ظهور الدولة المدينة لأول مرة .

في حين جاء الباب الثاني بعنوان نظام الدولة المدينة بين الظهور والتأسيس ، وتضمن بدوره فصلين ، حيث تطرقت في الفصل الأول إلى البوادر الأولى لظهور نظام الدولة المدينة عند السومريين من خلال الإشارة إلى مفهومه كنظام سياسي حسب النصوص السومرية والنصوص الإغريقية ، وأهم مكوناتها من حيث تحديد بعض المصطلحات المتعلقة بها من خلال مصطلح الزاقورات ، القصور ، الأكروبوليس ، الأجورا ، بالإضافة إلى تسليط الضوء على طريقة تطور هذا النظام عند السومريين من حيث دولة المعبد بعدما كانت السلطة قابضة في السماء وجميع القرارات تتخذ من قبل مجلس الآلهة ، وينوب عنهم على الأرض من يمثل السلطة الدينية والمتمثلة في طبقة الكهنة ، لكن هذا الوضع تغير نتيجة استئثار هذه الطبقة بالحكم وعجزها في بعض الأحيان عن تأدية دورها العسكري مما سمح للقادة العسكريين إلى قلب الأوضاع لصالحهم ممهدين لظهور ما يعرف دولة القصر ، والتي أصبحت تسير من قبل الملوك (اللوكال) المفوضين من قبل الآلهة ، بالإضافة إلى التطرق إلى كيفية نزول الملكية (السلطة) ، وأشهر السلالات الملكية الحاكمة من 2800ق.م إلى 2370ق.م انطلاقاً من سلالة كيش الأولى إلى غاية سلالة اوما ، ثم التطرق إلى عوامل قيام الدولة المدينة عند السومريين بالتحديد و التي تراوحت بين العوامل الطبيعية والعوامل السياسية والعوامل الدينية والعوامل الاقتصادية.

أما الفصل الثاني فقد خصصناه إلى دراسة نظام الدولة المدينة عند الإغريقيين من حيث كيفية ظهوره وتكوينه وتطوره ، والخلفيات المؤدية لهذا التطور السياسي والتي تباينت بين العوامل الطبيعية والدينية والاقتصادية فضلاً عن العوامل الاجتماعية والسياسية ، وختمنا الباب بمقارنة بين كيفية ظهور وتطور الدولة المدينة عند كل من السومريين والإغريقيين .

أما الباب الثالث فقد تناولنا فيه أشهر المدن السومرية والإغريقية وطبيعة الأنظمة السياسية السائدة فيها وقسمته إلى ثلاثة فصول ، حيث درسنا في الفصل الأول البرلمان السياسي السائد في المدن السومرية قبل 2370ق.م من خلال الإشارة إلى أشهر المدن السومرية الرافدية حسب خصوصية كل مدينة مثل: أور (اقتصادية) ، إريدو (دينية) ، كيش (سياسية) ، وتسلط الضوء على أهم التنقيبات الأثرية التي حدثت في هذه المدن ، وعلى أهم المكتشفات الأثرية التي توصلت إليها الحفريات التنقيبية ، فضلاً عن الإشارة إلى النظام السياسي السومري القائم على الملك وولي العهد من خلال الشارات الملكية ، الألقاب الملكية ، الواجبات الملكية ، والتتويج الذي يمارس قبل تسلّم الشارات

الملكية ، ويساعده في تسيير شؤون البلاد المؤسسات السياسية ، والمتمثلة في مجلس الشيوخ ومجلس الأحرار و أهم الوزراء .

بينما درسنا في الفصل الثاني مدينة أثينا وتطور أنظمة الحكم فيها، حيث تناولت فيه تاريخ مدينة أثينا من حيث أصل التسمية والموقع الجغرافي وخصائصها الطبيعية ، تطور أنظمة الحكم في أثينا منذ القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن الرابع قبل الميلاد وتدرج هذه الأنظمة بداية من النظام الملكي إلى النظام الأرستقراطي ، ثم النظام الأوليغارشي (الأقلية) إلى حكم الطغاة إلى النظام الديمقراطي ، وأهم الإصلاحات التي شهدتها هذه المدينة ، والمشرعين الذين سهروا على تطبيقها مثل : صولون ، كليستينس ، بركليس .

في حين الفصل الثالث فقد خصصناه إلى مدينة اسبرطة وتطور أنظمة الحكم فيها، من حيث تسليط الضوء على النشأة التاريخية لهذه المدينة من خلال تحديد أصل التسمية والموقع الجغرافي ، وأهم الاستراتيجيات المتبعة من قبلها حتى أصبحت مدينة عسكرية بامتياز ، ثم الإشارة إلى طبيعة نظامها السياسي ، والذي تجسد في الملكية المزدوجة بحكم طبيعة سكانها ، فضلا على تأسيس مجلس الجيروسية ومجلس العامة (الابلا) وهيئة المشرفين (الافورز)، ليختتم هذا الباب بمقارنة بين أهم المدن السومرية والإغريقية ، واستخلاص أهم نقاط التشابه والاختلاف بين الأنظمة السياسية السائدة عند كل من سومر وبلاد الإغريق .

أما الباب الرابع الموسوم ب: انهيار نظام الدولة المدينة في كل من سومر وبلاد الإغريق(الأسباب والنتائج المترتبة عنها) ، وقد قسمته هو الآخر إلى فصلين ، حيث درست في الفصل الأول أهم الأسباب المؤدية لتدهور نظام الدولة المدينة عند السومريين ، والتي يتمثل في ضرورة تسليط الضوء على طبيعة العلاقات الداخلية بين المدن السومرية وكيفية تأثيرها في تراجع و انهيار الدولة المدينة ، واخترت بالتحديد الصراع بين مدينتي اوما ولجش أنموذجا ، والذي حدث في حدود 2357-2450 ق.م ، بعد ازدياد قوة المدن السومرية ومنافستها لبعضها البعض ورغبة كل طرف بالسيطرة على الآخر خاصة من ناحية الثروات الاقتصادية(التجارية) ، وفرض الزعامة السياسية أو من أجل القنوات المائية ، وهو ما أدى إلى بروز لأول مرة ما يعرف بقضية التحكيم لفض هذا النزاع السياسي ، و التي بادرت إليه مدينة أخرى وتعرف باسم كيش وحاكمها ميسيليم ، وبالتالي أثر هذا الوضع كثيرا في تدهور النظام السياسي لدى السومريين ، وهو ما نتج عنه بطبيعة الحال تراجع كبير في مسار الدويلات المدن بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، في ظل بروز شخصية أخرى كانت تتحين الفرصة للاستيلاء على السلطة والقضاء على اللامركزية التي شهدت قرابة خمسة قرون و نصف

وتعويضها بنظام القطر الواحد ، والتي تعرف باسم سرجون الاكادي (شاروكين) ، هذا الأخير الذي دخل في صراع مع لوكالزاجيري-حاكم مدينة اوما-، واستطاع أن يقتاده أسيرا مكبلا وأجلسه ذليلا عند بوابة الإله انليل في مدينة نفر .

بينما تطرقت في الفصل الثاني إلى التحديات الداخلية التي واجهت نظام الدولة المدينة عند الإغريقين ، وكيف أثرت في تراجعها وانهاره ، حيث أشرت بالدرجة الأولى إلى حروب البولوبونيز (431ق.م-404ق.م)، والذي كانت أطرافه مدينتي أثينا (مدينة ثقافية تجارية) واسبرطة (عسكرية) ، من خلال الإشارة إلى اصطدام المصالح الأثينية بالمصالح الاسبرطية(الخلفيات الأولى) لظهور هذا الصراع ، فضلا عن مراحل هذا الحرب الذي دامت حوالي سبع وعشرون سنة ، واتخذت العديد من المناطق داخل وخارج اليونان ، حيث انحصرت المرحلة الأولى داخل الخليج القاري اليوناني ، لكن في ظل ازدياد شرارة النزاع بينهما انتقلت الحرب إلى صقلية عن طريق القائد الأثيني الكيبيديس ، لكن المرحلة الأخيرة عرفت ميدانا آخر خاصة بعد تدخل طرف خارجي آخر ، والمتمثل في الفرس الذين كانوا يطمحون للسيطرة على المدن الأيونية التي تطل على الساحل الغربي لبحر ايجة ، وقد تعزز هذا الصراع بظهور الأحلاف السياسية والتي تحولت إلى أحلاف عسكرية دعمت كثيرا هذا الصراع مثل تأسيس حلف ديلوس بزعامة أثينا ، وحلف البولوبونيز بزعامة اسبرطة وإيضاح مدة تباين موقف سكان المدن الإغريقية إزاء هذه الحرب تبعا للمنافع أو الأضرار التي لحقت بكل مدينة إغريقية فضلا عن النتائج والأبعاد السياسية للحرب على المدن الإغريقية ، فكان لهزيمة أثينا على اسبرطة أثره في سقوط النظام الديمقراطي وقيام الحكم الاوليغارشي (الاوليغاركي) .

هذا الفراغ السياسي الذي كانت تعيشه أثينا عشية انتهاء حروب البولوبونيز ، استغلته بعض المدن ذات الأطماع التوسعية للانفراد بزعامة المنطقة ، كطبية والحلف الهليني وأخيرا زعامة مقدونيا و التي أنهت نظام الدولة المدينة بقيادة الاسكندر الأكبر وقيامه بإرساء دعائم الإمبراطورية المقدونية وحل الأحلاف السياسية ، وإسقاط الأنظمة السياسية السابقة ، و ختمنا هذا الباب كغيره من الأبواب بمقارنة حول كيفية انهيار الدولة المدينة عند السومريين و بلاد الإغريق ، وأهم النتائج المترتبة عن ذلك ، واختتمت هذه الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج واستنتاجات الدراسة .

منهج الدراسة : إن القيام بالدراسة التاريخية المقارنتية التي يستند إليها موضوعنا ، تطلب منا ضرورة الاعتماد على المنهج التاريخي التحليلي المقارن من خلال استعراض أهم الخلفيات المؤدية لظهور نظام الدولة المدينة سواء عند السومريين أو بلاد الإغريق ، والأحداث التاريخية والسياسية التي شهدتها أهم المدن السومرية والإغريقية قصد الوصول إلى بعض النتائج من خلال طرح بعض الفرضيات وتحليلها ومقارنة هذا النظام كيف كان عند السومريين وكيف أصبح عند الإغريق باستخراج أوجه الشبه وأوجه الاختلاف والتباين وتحليلها وفق النمط التاريخي .

مصادر الدراسة : شكلت دراستي في رسالة الماجستير الأرضية المعرفية الأولى التي جعلتني أتبنى دراسة هذا الموضوع ، لما أثارته من الإشكاليات حول المجال الجيوسياسي الذي حققه نظام الدولة المدينة عند السومريين ، وأهم المخطات التاريخية التي عرفتھا المنطقة في ظلھ ، وما مدى استمرار یتھ في العالم القديم ككل ، هل أن بلاد سومر هي المنطقة الأولى التي انطلق منها هذا النظام أم توجد محطات تاريخي أخرى سهت عنها ربما المصادر التاريخية.

ورغم وفرة المصادر الأدبية الأجنبية التي تناولت موضوع الدولة المدينة عند الإغريق ، إلا أنها جد شحيحة عند السومريين ، واقتصرت معظمها على الشواهد المادية وبعض النصوص الملكية فقط ، ومن أبرز المصادر التي اعتمدت عليها : **ثوكيديديس (Thucydide)** الذين كان احد ابرز القادة العسكريين الأثينيين المشاركين في حرب البولوبونيز ، لكنه ابعدها بسبب خطأ ارتكبه في عام 424 ق.م و نفيه مدة عشرين سنة ، فكرس بقية حياته للكتابة حول هذه أحداث هذه الحرب في مصدره المهم الذي يحمل عنوان "الحرب البولوبونيزية" بجزءه الأول والثاني ، وعلى الرغم من وفاته سنة 400 ق.م ، أي بعد نهاية الحرب ببضع سنوات ، لكن ما كتبه عن هذه الحرب لم يصل بالحدث إلى الخاتمة بدقة ، بل وصل بتفصيل الأحداث إلى غاية 411 ق.م فقط ، وإن دلّ ذلك إنما يدل على تأنيه ودقته في تدوين الأحداث التاريخية ، بالإضافة إلى **كسنوفون (Xenophone)** الذي كتب حول تاريخ الإغريق في موضوعات مختلفة : سياسية ، اقتصادية ، اجتماعية وعسكرية ، كان ملما بالسياسة والاجتماع ، وهذا ما تم توضيحه من خلال مصدره "حكومة أثينا" و"حكومة اللاكديمونيين" ، كما ألف مصدره "أناباسيس" أو "الصعود" ، حيث وصف طريق العودة التي قاساها عشرة آلاف جندي من الحرب بقيادته سائرين بلاد فارس إلى ارض الوطن ، بعد تقديم خدماتهم للملك قورش الأصغر لاعتلاء العرش ، وانتهت الحملة بالفشل ، ومقتل قورش ولقي معظم القادة الإغريقيين مصرعهم في معركة كيناكسا (Cunaxa) شمال بابل ، حكم عليه بالنفي خارج أثينا لأنه حارب إلى جانب الاسبرطيين في حرب كورانثة (Corinthe) ، ولكنه تمكن من العودة إلى وطنه ، وتمتع بكامل حقوقه الوطنية بعد تحرير مرسوم العفو من طرف ابولوس سنة 369 ق.م ، واستطاع بفضل أسلوبه التاريخي صياغة الأحداث التي جرت في حروب البولونيز خاصة النتائج المترتبة عنها ، وذلك بتزويدنا بإشارات في كتابه حملة العشرة آلاف على بلاد فارس (أناباسيس) (Anabassis) أو حملة الصعود ، و كتابه هيلينيكا أو التاريخ الهيليني (Hellenica) والتي نعتبرها بمثابة السجل المعاصر الوحيد للفترة ما بين 411 ق.م - 362 ق.م ، أي من تاريخ نفي ثوكوديديس من اليونان وإلى غاية معركة مانيتنيا عام 362 ق.م ، كتبت في كورنثة في سنة 362 ق.م ، ويشمل جزأين متميزين ومنفصلين ، حيث يتناول الجزء الأول الأحداث التاريخية التي توقف عندها المؤرخ ثيوكوديديس أي سنة 411 ق.م ، ويسرد التاريخ حتى سقوط الثلاثين ، وحالة أثينا حين سمع الناس بمأساة ايجوسبوتامي ، بينما الجزء الثاني يتناول الفترة الممتدة من

401ق.م -362ق.م ويسرد تاريخ الاسبرطيين، وترغم طيبة لبلاد الإغريق ، وأيضا النصوص التي دونت في كتيب آخر يحمل عنوان الإيرادات " les revenus " من خلال الإجراءات التي يمكن لأثينا بأن تتخذها للخروج من الأزمة الاقتصادية بعد حروب البولوبونيز ، والاعتماد على مداخلها ومواردها الخاصة مثل : الموارد الطبيعية ، موارد الأرض ، الموارد البحرية ، ورفض بالمقابل الاستحواذ واستغلال موارد الحلفاء ، مقتنعا بان هذا السلوك سيكون حلاً لفقر أغلبية الأثينيين ونهاية لحذر جميع الإغريق واحتراسهم من أثينا، لكن لغته وأسلوبه وتحليله كانت اقل بكثير من حيث التميز والجودة والإجادة عن ثيكوديديس ، فضلا عن هيزيودوس (Hesiod)، مصدرى هوميروس (Homer) "الإلياذة" والأوديسة" اللذين تناولوا تاريخ الإغريق خاصة في ملحمة طروادة ، والتطرق إلى الوضع الاجتماعي والديني لبلاد الإغريق واهم الحضارات التي توالى عليها مثل الإيجية (المينوية) و الميكانية ، وذكره لأهم الملوك ، فضلا عن باوزانياس (Pausanias) وأرسطو (Aristote) وأرسطوفان (Aristophane) في العديد من المسرحيات الكوميدية ، وذات رسائل ودلالات انتقادية للوضع الإغريقي ، أما من أهم الدراسات التي ساهمت في إزالة الغموض على التاريخ السياسي لبلاد سومر تتمثل في سلسلة الكتابات التاريخية للباحث صمويل نوح كرىمر مثل : من ألواح سومر.

أما الدراسات والأبحاث الحديثة التي نجدها اهتمت بإشكالياتنا التاريخية ، فيمكن تقديم أهمها وأفضلها مساعدة لنا في دراستنا ، ففي ملف الدولة المدينة عند السومريين نشير إلى مؤلفات الباحث طه باقر في كتابه " مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة " في جزئيه الأول والثاني ، وبالأخص الفصل الثاني والثالث من جزئه الثاني الذي جاء بعنوان " الحياة السياسية و نظام الحكم في تاريخ العراق القديم "، إضافة إلى المؤرخ نائل حنون في مرجعه "حقيقة السومريين" و" من هنا ابتداء التاريخ" ، بالإضافة إلى العديد من دراساته التاريخية ، فضلا على كتابات عبد العزيز صالح في مرجعه "الشرق الأدنى القديم" الجزء الأول "مصر والعراق" حيث دعم دراستنا بمعلومات قيمة عن برلمان بلاد سومر أو المجالس الحكومية و العلاقات السياسية والعسكرية بين المدن السومرية ، ودراسات أخرى للباحث نجيب ميخائيل إبراهيم تحت عنوان "مصر والشرق الأدنى القديم" الجزء السادس "حضارة العراق القديم" الذي تطرق في الفصل الثاني إلى نظم الحكم في الدولة المدينة السومرية، وكيفية تطورها .

بينما ملف الدولة المدينة عند الإغريقين فقد اعتمدنا على مجموعة من الدراسات التاريخية باللغة العربية أمثال :

المؤرخ جوستاف جلوتز في مرجعه "المدينة الإغريقية" الذي أفادنا كثيرا في تاريخ البولس الإغريقي من خلال الإشارة إلى كيفية نشأته وتطوره والمجالس السياسية التي تمتعت بها فضلا على أهم الأنظمة التي عرفتتها ، بالإضافة إلى المؤرخ

لويس ممفورد في كتابه "المدينة عبر العصور أصلها وتطورها" في جزئيه الأول والثاني ، وفوستيل دي كولانج في كتابه "المدينة العتيقة" ، و سيد احمد علي الناصري في كتابه (الإغريق تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الاسكندر) ، أو محمد كامل عياد في كتابه (تاريخ اليونان) ، بالإضافة إلى عبد السلام التايب في كتابه تاريخ دولة مدينة أثينا (بين القرنين الثامن والرابع قبل الميلاد) ، واستقينا منه أهم المعلومات المتعلقة بتاريخ أثينا ، والأنظمة التي عرفتها وعلاقتها بأسبرطة ، وتميز بدقته في تحليل المعلومة ، وتسلسله التاريخي ، بينما الدراسات الأجنبية فقد اعتمدت على ماثوان ديلون " Matthew Dillon " في كتابه الإغريق القديم ، وساره بومري " Sarah B.Pomery" في كتابه ميلاد التاريخ الإغريقي القديم (السياسي ، الاجتماعي ، الثقافي) وشال جايث " CharesGates " في كتابه المدن القديمة، وأنطون باول "Antone Powell" في كتابه "أثينا واسبرطة".

كما اقتضت طبيعة الموضوع ضرورة الاعتماد على المصادر الأثرية التي قام بدراستها بعض علماء الآثار المختصين لحضارات العالم القديم ، فالحفريات التي قام بها الأثري سير ليونارد وولي "Leonard W.King" في مدينة أور في سنتي 1922-1934م كشفت لنا على العديد من النقوش السومرية في مدينة أور ، فضلا عن التحف الأثرية لبعض الملوك السومريين ، وعلى ما يناهز 16قبرا ملكيا، بالإضافة إلى الاكتشافات الأثرية التي قام بها الباحث حيدر العربي في موقع جوخة وأم العقارب التابعة لمدينة لجش، والشاه الصواني في تنقيباته و صيانتها لأثار أور في لواء الناصرية وفي المقابل هناك بعض الحفريات التي قام بها علماء الآثار أو المهتمين بتاريخ الإغريق وأشهر مدّهم ، وفي مقدمتهم هنري شليمان (1871م/ 1893م) في موقع طروادة جلبت انتباه علماء الآثار والتاريخ القديم للتحقق من المعلومات الواردة عن هذه الحضارة التي كانت يوما ما مجرد أسطورة و أصبحت بعد هذه الاكتشافات مدينة حقيقية ولها تاريخ واضح خاصة بعدما دعمت بكتابات و مخلفات أثرية قدمت من قبل آرثر ايفانس ، كما واصل عملية البحث والتنقيب بغية الكشف المزيد وإزاحة الغبار عن تاريخ الحضارات بلاد الإغريق ، هذا ما أدى إلى كشف أهم كنوز الحضارة الإغريقية والمتثلة في قصر كنوسوس و مخلفات الحضارة الميكانيكية (قناع أجاممنون ، القطع الذهبية).

بالإضافة إلى العديد من المقالات والدوريات مرجعا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنها في تحديد أوجه الاختلاف والتشابه بين المدن الإغريقية والسومرية من حيث المؤسسات السياسية وطريقة تمركزها وركائزها الأساسية، وأهم الحروب التي عرفتها على مرّ التاريخ ، وأبرزها كلود موسي " Claude Mossé " في مقاله "الجيش والمدن الإغريقية".

صعوبات الدراسة : واجهتني في انجاز هذا البحث عدة صعوبات قد تواجه كل باحث يخوض غمار البحث في

التاريخ القديم ، ومنها :

-تعتبر الدراسات التاريخية القائمة على المنهج المقارن من أصعب المواضيع المدروسة ، ولهذا تطلب منا مضاعفة الجهد أكثر و الإحاطة بالموضوع أكثر حتى نصل في نهاية كل باب إلى مقارنة (أوجه التشابه والاختلاف) ، وأحيانا يتطلب منا الوضع إلى العودة إلى المصادر الأثرية حتى نستأصل المعلومة .

-وأول ما وجهني عند دراسة هذا الموضوع هو صعوبة وضع إطار زمني للموضوع ، خاصة وأن الفترتين متباعدتين عن بعضهما البعض فضلا عن الإطار المكاني ، مما جعلني أجد صعوبة في استخراج أوجه التشابه والاختلاف بين الطرفين وأبرز أكثر خفايا هذا الموضوع .

-يعد حاجز اللغة من أبرز العقبات التي تعترض الباحثين ، والتي تحول دون نقل الأحداث والحقائق كما وقعت أصلا ، وأحيانا أخرى يكون النص التاريخي الذي كتب باللغات الأجنبية قد يكون في سياق تاريخي كثيرا ما يتناقض مع الكتابات العربية ، وطرحها منحازا في اغلب الأحيان ، فنجد غالبا ما تركز على مدى التطور الإغريقي على حساب السومريين ، مثل الحديث على الأنظمة والإصلاحات التي عرفتها المدن الإغريقية و تكاد تفتقد عند السومريين ما عدا إصلاحات أوروكاجينا وإهمال تأثير العنصر الشرقي في الحضارات الغربية .

-شساعة الموضوع مما جعلنا نضيع أحيانا بين أمهات الكتب التاريخية التي تناولت في بعض الأحيان بعض المعلومات إما المتناقضة أو المتداخلة خاصة في تحديد المصطلحات أو الفترات الزمنية بدقة ، كما وجدت صعوبة في معرفة حقيقة تطور وانتشار نظام الدولة المدينة ، وكيف انتقل إلى بلاد الإغريق ، هل يمكن هذا الأمر يعود إلى حركية الموجات البشرية أو الطبيعة فرضت ذلك ، وجعلت القاطنين بها يتأقلمون مع هذا الوضع ، ولهذا اصطدنا بعائقين مهمين :

-العائق الأول: يتعلق بندرة المصادر الأدبية المتعلقة بتطور هذا النظام عند السومريين ، وكل ما لدينا كان مجرد مصادر مادية (النصوص والنقائش) لدراسته ، وحتى هذه النصوص قليلة ونادرة خاصة تلك التي تتحدث عن مكونات مدتهم وعلاقاتهم الداخلية .

-العائق الثاني: صعوبة ترجمة بعض المصادر القديمة المتعلقة بالتاريخ الإغريقي ، خاصة تلك التي ارتبطت بالجانب الأسطوري، مما أدى إلى تداخل معلوماتها ، وأسلوبها التاريخي في بعض الأحيان يفتقد إلى التسلسل الزمني أو ترتيب الأفكار ، مما تطلب منا أحيانا إعادة الصياغة ومحاولة ضبطها مع الموضوع .

وفي الختام ورغم الصعوبات التي لاقيتها ، وكذا تعدد وكثرة المجالات التي تضمنتها الدراسة ، إلا أنني وجدت السند من أستاذي المشرف بلقاسم رحماني ، حقيقة مهما قلت في خصاله ومزاياه لا أوفي حقه ، حيث يعود إليه الفضل في التوجيه والعناية ليظهر هذا البحث على الصورة التي هو عليها الآن.

الباب الأول:

البيئة الجغرافية والسكانية في كل من سومر وبلاد
الإغريق وانعكاساتها على النظام السياسي.

الفصل الأول : برلية التكوين الحضاري السومري .

الفصل الثاني : برلية الظهور الحضاري في بلاد الإغريق .

الباب الأول : البيئة الجغرافية والسكانية في كل من سومر وبلاد اللغريق وانعكاساتها على النظام السياسي.

الفصل الأول : براية التكوين الحضاري السومري .

1- عصور ما قبل التاريخ السومري .

أ) العصر الحجري القديم (Paléolithique) .

ب) العصر الحجري الوسيط (Mésolithique) .

ج) العصر الحجري الحديث (Néolithique) .

ج-1 حضارة جرمو

ج-2 حضارة تل حسونة .

ج-3 حضارة تل حلف .

و) العصر الحجري المعدني (النجاسي) .

و-1 حضارة العبير .

و-2 حضارة الوركاء .

و-3 حضارة جمدة نصر .

2- جغرافية العراق وتأثيرها على التنظيم السياسي السومري .

أ) الموقع وأصل التسمية .

ب) الأنهار :

1_ نهر الرجلة .

2- نهر الفرات

□ □ □ ج) المناخ .

و) الأقاليم التضاريسية .

3) المسألة السومرية :

أ) موقع بلاد سومر وأصل التسمية . □

ب) جارية السومريين : □

1- تعريفهم . □

2- أصولهم . □

3- الوطن الأصلي لهم

مرت بلاد الرافدين كباقي مناطق العالم القديم بعصور ما قبل التاريخ الذي كان بمثابة العصب الأساسي الذي انطلقت منه الحضارة الرافدية، والتطورات التي حققتها فيما بعد في جميع الميادين، حيث تعتبر العوامل الجغرافية لأي حضارة من الحضارات عاملاً رئيساً في بناءها، دون أن ننسى دور الإنسان فالحضارة هي نتاج تفاعل الإنسان مع البيئة الطبيعية، إذ لا يجب إهمال دور الأخيرة لأنها تؤثر في سير الأحداث التاريخية وتكسب الحضارة طابعاً خاصاً ومميزاً، والحضارة السومرية كغيرها من الحضارات كانت لها خصائص بيئية وبشرية ساهمت في قيامها وازدهارها، فأنحصرت في البداية في أرض بلاد سومر، ثم عرفت انتشاراً واسعاً، و انطلاقاً من هذا سنحاول دراسة بيئة الجغرافية والسكانية لبلاد سومر مع التطرق إلى عصور ما قبل التاريخ .

1-عصور ما قبل التاريخ السومري :

اتفق معظم الباحثين في تحديدهم لبداية عصور ما قبل التاريخ في بلاد النهرين إلى ما قبل 600 ألف عام أو ما يزيد، وينتهي في الألف الثالثة قبل الميلاد¹، وبذلك يمكن حصره من ظهور أقدم الإنسان في العراق حتى اختراع الكتابة، وتشمل العصور التالية :

1العصر الحجري القديم (Paléolithique) : عرفت هذه المرحلة بمرحلة جمع الطعام، والتي بدأت منذ حوالي 500 ألف سنة، وهي الفترة التي عاش فيها الإنسان متنقلاً في سبيل البحث عن رزقه، ولم يصل طوال هذه الفترة إلى مرحلة الاستقرار².

تشير الدراسات الأثرية إلى اعتماد الإنسان القديم على الطبيعة في توفير قوته إضافة إلى الظروف الطبيعية والمناخية التي جعلته يعيش في مناطق الكهوف والملاجئ الصخرية، ومناطق العراء... الخ، وذلك من أجل الاحتماء فيها من كل عوامل الطبيعة القاسية من الحرارة الشديدة والبرودة القاسية، أو لحماية نفسه من الحيوانات البرية³.

ويعتبر محمد أبو المحاسن عصفور أنه في هذه الفترة الطويلة من عمر البشرية، كرس الإنسان حياته لجمع القوت الضروري لطعامه، حيث بدأ في البداية بالاستعانة ببعض القطع الطبيعية الملائمة من الأحجار أو فروع الأشجار، وذلك من أجل أغراض الصيد والقتال، وجمع القوت⁴ من جمع الطعام والثمار، وصيد الحيوان والأسماك باستخدام ما هو مُتاح في البيئة⁵، كما اهتدي في هذه المرحلة إلى اكتشاف النار واستعمالها في التدفئة وطبخ

¹ سعدي حسن محي الدين، في تاريخ الشرق الأدنى القديم (العراق، إيران، آسيا الصغرى)، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998، ص26.

² رشيد الناضوري، دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة الشرق الأدنى القديم وخاصة في مصر وبلاد الرافدين والإقليم السوري والهضبة الإيرانية ابتداءً من مرحلة الثورة الصناعية الأولى حتى نهاية الدولة البابلية الكلدانية، الإسكندرية، 1958م، ص06.

³ خالد أبو غنيمة، بواكير القرى الأولى وبداية الاستقرار في بلاد الشام، مجلة الدراسات التاريخية تعني بتاريخ العرب، ع71+72، لجنة كتاب تاريخ العرب، دمشق، 2000، ص05.

⁴ محمد أبو محاسن عصفور، الشرق الأدنى قبل العصور التاريخية، مطبعة المصري، القاهرة، 1962، ص10.

⁵ محمد علي سعد الله، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (العراق، سوريا، آسيا الصغرى)، دار المعرفة الجامعية، 2003، ص07.

الطعام، وحمايته من الحيوانات الضارية، وشملت هذه المرحلة شمال العراق أكثر من جنوبه الذي شكل بالغ الصعوبة بسبب المياه الوفيرة التي تغطيه¹.

وبالرغم من هذه العراقيل التي واجهت المنقبين وعلماء الآثار، تمكن المختصون من تقسيم هذا العصر إلى ثلاثة مراحل حضارية رئيسية بالاعتماد على تطور الأدوات الحجرية التي استخدمها الإنسان خلال هذه المراحل باعتبار أن الحجر هو المادة الرئيسية التي اعتمد عليها في صنع أدواته المختلفة إضافة إلى المواد الأخرى المتوافرة في بيئته من أخشاب وعظام، وعلى هذا الأساس تم تقسيمه إلى:

- أ- العصر الحجري القديم الأسفل.
- ب- العصر الحجري القديم الأوسط.
- ت- العصر الحجري القديم الأعلى².

أ-1) العصر الحجري القديم الأسفل: « Paléolithique Inférieur »: يرجع تاريخه إلى أكثر من 100 ألف سنة حيث اكتفى الإنسان بما أمده الطبيعة، وما يلاحظه في مشاهدته لكل ما حوله، وذلك في صراعه الدائم مع قسوة البيئة القديمة³، وفي سعيه لكسب قوته اليومي سواء عن طريق الصيد أو قطف الثمار⁴، وأهم مميزات هذه المرحلة هي صناعة الفأس اليدوية " Hand axe أو Coup de point"⁵، التي اشتهت مع الصناعات الحجرية المكتشفة في كثير من جهات العالم القديم، لدرجة أن العلماء اتفقوا على تسمية أدوات هذه المرحلة اسم الحضارتين الشيلية* الأشولية^{6**}.

¹ طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، تاريخ العراق القديم، ج1، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1973، ص31.

² محمد سحنوني، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص80.

³ عبد الحميد زايد، الشرق الخالد (مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 323 ق.م، دار النهضة العربية، بيروت، 1969، ص16.

⁴ Charles Keith Maisels , early civilisation of the old world « the formative histories of Egypte , the levant , Mesopotamia , India and China , routledge , London, and NewYork , 2005, p40.

⁵ أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم (تاريخ العراق إيران، آسيا الصغرى)، ج5، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص64.

* الحضارة الشيلية: هي حضارة قديمة تعود إلى ما بين [540 ألف سنة إلى 450 ألف سنة ق.م] وسميت بهذا الاسم نسبة إلى بلدة شيل chelles الواقعة على نهر المارن في شرق باريس.

** الحضارة الأشولية: سميت بهذا الاسم نسبة إلى مدينة سانت أشول التي سميت باسم القديس أشول في إحدى ضواحي مدينة أميان بحوض نهر السوم في شمال فرنسا، وتعود إلى حوالي 450 ألف سنة إلى 120 ألف سنة... أنظر: عبد اللطيف أحمد علي، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مطبوعات كريدية إخوان، بيروت، 1971، ص ص 42-43.

⁶ محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص07.

ومما تجدر الإشارة إليه أن العديد من مخلفاته الأثرية عثر عليها في سفوح التلال والمنحدرات الوسطى لجبال زاغروس، حيث كشف في موقع بردة بلكة¹ الواقع في لواء كركوك على هضبة منبسطة على بعد ميل ونصف شمال شرقي جمجال (في بعض المصادر جمجمال)، وقد قامت بعثات علمية منظمة عام 1949م/ 1951م بفحص تربة الموقع والكشف عن طبقاتها وسمكها الذي قدر ما بين 10، 15 مترا، ويرجع الباحثون أن التسمية التي أطلقها الناس عليها تعني "حجرة المتكأ" بسبب عوامل التعرية التي تركت وراءها عمودًا أسطواني الشكل، يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار وقطره حوالي كذلك أربعة أمتار، مكونة من حجارة وعظام متماسكة منذ عصور بعيدة، حيث تمكنت بعثة المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو بالكشف عن أدوات حجرية أهمها فأس يدوية على هيئة كمثري غالبًا ما كانت تستخدم في قتل حيوانات الصيد، ويبلغ طولها حوالي 10 سنتيمترات، وهي شبيهة بالأدوات الحجرية في سانت آشول بفرنسا، وحاليا متواجدة بالمتحف العراقي في الغرفة الأولى نماذج كثيرة من هذه الأداة، لإضافة إلى أدوات أخرى كالمكاشط والسكاكين وغيرها².

إن هذه الأدوات استعملها الإنسان العراقي حينما كان يسكن المناطق الجبلية داخل الكهوف وعلى الهضاب، وحين كان يعتمد في معيشتة على ما يصطاده من حيوان أو يستجمعه من قوت عادة ما كانت تُستخدم من الصوان وغيره من صنوف الحجر المختلفة³، إضافة إلى هذا الموقع يوجد موقع آخر يعود إلى هذا العصر ألا وهو "موقع أسكي" الذي يقع على الناحية اليمنى لنهر الزاب الكبير شمال "موقع بردة بلكة" وقد عثر فيه على فأس وبعض الأدوات الحجرية بأحجام مختلفة، كما توصل إلى التعرف إلى سِرِّ إيقاد النار وتطوير صناعته الحجرية⁴.

أ-2) العصر الحجري القديم الأوسط (Paléolithique Moyen) : يرجع تاريخه إلى حوالي 40 ألف سنة⁵ واقتزن هذا العصر بالحضارة المoustيرية⁶ التي تنسب إلى كهف "Mouster" في حوض نهر دوردون جنوب فرنسا⁷.

¹ أحمد أمين سليم، ج5، المرجع السابق، ص65.

² عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص17.

³ برهان الدين دلّو، حضارة مصر والعراق "التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي" ط1، دار الفارسي، بيروت، 1989، ص203.

⁴ محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص8.

⁵ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص16.

⁶ أحمد أمين سليم، ج5، المرجع السابق، ص66.

⁷ Géorge Roux, Ancient Iraq , third éditions ,Penguin Books, Iran ,2000 , p37.

وتميز الإنتاج الحضاري لهذه المرحلة بظهور أدوات حجرية مشتقة من الفؤوس البدوية، وهي الشظايا التي تميزت بصغر حجمها وتنوع أشكالها بهدف تحقيق أغراضه المختلفة، وذلك بفصلها عن النواة الأصلية لكي تؤدي وظيفة القطع¹، مثل: المكاشط الجانبية ذات الحافة القاطعة من جانب واحد، والسكاكين ذات الشكل المربع الأضلاع بسبب تنقلات الإنسان المختلفة من مكان لآخر بحثا عن مصادر رزقه من حيوانات أو نباتات بغية جمع الطعام، ولذلك سميت بحضارة الشظايا²، وقد كشف عن نماذج من تلك الأدوات في كهف هزارمرد*، إضافة إلى كهف شانيدار بلواء أربيل³.

وحسب الاكتشافات الأثرية يقع موقع هزارمرد على ارتفاع نحو 1200 متر على سطح البحر في السفوح الشرقي من جبل برناند الذي يشرف على سهل سنجار على بعد حوالي ثمانية كيلو مترات من قرية هزار مرد، ويبلغ عمق الكهف حوالي 30 مترا، ويتراوح عرضه بين 11 و12 مترا، أما ارتفاعه فيبدأ من خمسة أمتار عند المدخل، وتنقسم طبقاته إلى ثلاثة أقسام أين تم الكشف على مخلفاته الأثرية في أسفل الكهف أي الطبقة "C" التي يتراوح سمكها بين 50 سم عند المدخل و390 سم عند الوسط، وعثر فيها على شظايا من الصوان كالمكاشط والقاطعات والمثاقب والسكاكين الشبيهة بالأدوات الموسيتيرية⁴ هذه الأدوات التي غالبا ما كان يستعملها الإنسان لصيد الحيوانات وقطع الأخشاب أو للدفاع عن النفس⁵.

بينما موقع كهف شانيدار الواقع في جنوب غرب بحيرة أرومية⁶ والمكتشف ما بين 1951 و1960م من طرف الدكتور سوليكي من جامعة ميشجان⁷ وعلى ارتفاع 2200 قدما على سطح البحر في السفح الجنوبي لجبال زاغروس على بعد قريب من قرية شانيدار بلواء أربيل، ويبعد عن نهر الزاب الكبير بحوالي ميل، ويبلغ ارتفاع

¹ أحمد أمين سليم، ج5، المرجع السابق، 66.

² عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص46.

* موقع هزار مرد: تم اكتشافه من طرف الباحث دوروتي جارود سنة 1928م، يقع على بعد 15 كيلو متر جنوب السليمانية، ويعتبر من أهم المواقع الشاهدة على هذه الفترة نظرا للأدوات الحجرية التي تم العثور عليها في هذا الموقع والتي تنمي إلى الحضارة الموسيتيرية....، أنظر: -Géorge Roux, op-cit , p37.

³ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص16.

⁴ أحمد أمين سليم، ج5، المرجع السابق، ص67.

⁵ برهان الدين دلّو، المرجع السابق، ص203.

⁶ محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص68.

⁷ -

مدخل الكهف ثمانية أمتار وعرضه خمسة وعشرين مترا وعمقه أربعين مترا، وعرضه من الداخل 53 مترا وارتفاع سقفه حوالي 14 مترا¹.

وقد نجح الأثري سوليكي في كشف أربع طبقات بفضل استخدام كاربون 14 يبلغ عمقها 450 قدما، تم العثور في الطبقة الأعمق أي الطبقة "D" على الأدوات العظيمة والحجرية من حجر الصوان والمكاشط ، إضافة إلى هياكل عظيمة لثلاثة رجال و تعود إلى الفترة الممتدة من 60.000 إلى 45.000 سنة²، وهذه الهياكل البشرية تعود لإنسان نياندرتال* في الجزء العلوي من المخلفات الموستيرية³.

أ-3) العصر الحجري القديم الأعلى « Paléolithique Supérieur » : يرجع تاريخه إلى حوالي 30

ألف سنة⁴، حيث تمثل هذه المرحلة نهاية العصر الحجري القديم بتبلور تجارب الإنسان الطويلة وخبراته⁵ نظرا لارتقاء صناعة أدواته الحجرية وتقدمها السريع حيث أصبحت أدق، وأخف وزنا وأكثرها تنوعا⁶ بظهور صناعة حجرية جديدة هي صناعة الأسلحة النصلية، والتي تعتبر أدوات حجرية دقيقة وحادة وتعرف أيضا باسم «الأسلحة الميكروليثية» أي الحجرية الدقيقة أو الأسلحة القزمية⁷، والمصنوعة أيضا من حجر الصوان حتى سميت بحضارة النصال مثل: السكاكين والمكاشط والمحكات... الخ، وذلك لاستخدامها للقطع والصلخ أو لصنع وتشكيل أدوات من قرون الرنة أو لحفر النقوش والصور ونحت التماثيل بدليل ظهور في هذا العصر بواكير فن الكهوف كالنقش والنحت والرسم بلون واحد⁸.

وقد عرفت بلاد النهرين مخلفات أثرية تعود لهذه الفترة بدليل وجود عدّة مواقع أثرية توضح ذلك وأهمها كهف زرزي "Zarzi"، وهو كهف صغير يبلغ طوله حوالي ثمانية أمتار وارتفاعه 2,25 مترا، إضافة إلى ذلك يقع غربي سرادش التي تبعد خمسين كيلو مترا من شمال غربي السليمانية، وقد قسمت طبقاته إلى ثلاث طبقات

¹ أحمد أمين سليم، ج5، المرجع السابق، ص68.

²

Géorge Roux, op-cit, p37.

*إنسان نياندرتال : هو النوع الأول من الإنسان العاقل وينسب إلى موقع الاكتشاف -مغارة ضفة نياندرتال قرب دسلدورف بألمانيا سنة 1856م - ، وتتميز ملامحه بالجمجمة طويلة وتتميز بالحجم الكبير فضلا على الحزام فوق الجانبية متطور والأنف بارز وعريض والهياكل العظمي في مجمله ضخمة... ،أنظر: محمد سحنوني ، المرجع السابق ، ص ص 62-63.

³ برهان الدين دلّو، المرجع السابق، ص203.

⁴ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص16.

⁵ أحمد أمين سليم، ج5، المرجع السابق، ص70.

⁶ عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص48.

⁷ أحمد أمين سليم، ج5، المرجع السابق، ص70.

⁸ عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، 48، محمد سحنوني ، المرجع السابق ، ص ص 113-114.

"ABC"، حيث يبلغ سمك الطبقة "A" 50 سم ومخلفاته الأثرية متأخرة بينما الطبقة "B" ويبلغ سمكها 1,30م، ويكثر فيها الأدوات الصوانية مثل، المكاشط والسكاكين والقاطعات وبعض أدوات قزمية، وتوجد نماذج منها محفوظة في المتحف العراقي، بينما الطبقة "C" فتحتوي على مخلفات أثرية قليلة¹.

وقد تميزت الأدوات التي تم العثور عليها في هذا الموقع بتفوق ملحوظ في تقنية الصناعة ووفرة الأدوات، وتنوعها من النصال المسننة ورؤوس السهام، في حين الأسلحة القزمية فتتميز بصغر حجمها وهو ما يرجع أنه يمثل المرحلة الأخيرة من العصر الحجري القديم الأعلى².

إضافة إلى هذا الموقع توجد الطبقة "C" من كهف شانيدار، والتي يقدر عمرها بحوالي 35000 تقريباً، والتي تحتوي على أدوات حجرية وعظام حيوانية ترجع إلى هذه الفترة³، كما عثر في موقعي «بالي كورة» الواقعة في لواء السليمانية بفضل عمليات التنقيب التي قامت بها بعثة أمريكية على ثلاث طبقات وبالأخص الطبقة الثانية "B" التي ضمت أدوات صوانية كثيرة مثل: السكاكين وأدوات صغيرة قزمية شبيهة بما كشف في كهف زرزي، -حالياً المتحف العراقي يحتفظ بنماذج من مخلفاته-، وكذلك موقع كريم شاهر الواقع في لواء كركوك، وتم العثور في هذا الأخير على أدوات بسيطة استخدمها الإنسان في صيده، وإعداد طعامه كالسكاكين وأدوات من الصوان كالمطارق والمجاش والمعازق... الخ⁴.

2- العصر الحجري الوسيط (الأوسط) "Mesolithic" : يمثل هذا العصر فترة انتقالية بين العصر الحجري القديم و الحجري الحديث⁵، حيث يمتد من حوالي 10.000 سنة إلى 7000 سنة قبل الميلاد، ويتميز إنتاجه الحضاري بكثرة ظهور الأسلحة القزمية، إضافة إلى ممارسة الإنسان لحرفة الرعي⁶، لكن بقرب نهايته بدأت تظهر بعض مظاهر الإنتاج الحضاري المتصلة بالزراعة مثل: المناجل والأجران⁷، وهو ما أدى بالعلماء إلى الاعتقاد بتوصل الإنسان الرافدي في هذه المرحلة إلى الزراعة البدائية على أساس أن هذه الأدوات كانت تستخدم في حصد النباتات التي قام بزراعتها مع احتمالية استخدامها أيضاً لحصد القمح البري⁸.

¹ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص20، السعدي حسن محمد علي، المرجع السابق، ص28.

² أحمد أمين سليم، ج5، المرجع السابق، ص70.

³ محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص9.

⁴ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص20.

⁵

Géorge Roux, op-cit, p40.

Charles Keith Maisels , op-cit , p40.

⁶

⁷ أحمد أمين سليم، ج5، المرجع السابق، ص73.

⁸ رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص8.

ولكن من خلال المواقع الأثرية التي تم العثور عليها في هذه الفترة توضح على عدم احترافية النشاط الزراعي من طرف إنسان هذه المرحلة بدليل افتقارها لوجود بقايا الحبوب، وهو ما يرجح أن الأدوات الزراعية التي عثر عليها، قد استخدمت في زراعة برية غير مستقرة¹.

ومن خلال المخلفات الأثرية التي وجدت في العراق يعتقد الباحثون بنجاح الإنسان في استئناس عدد من الحيوانات، وخاصة حيوانات الماشية²، زيادة على ذلك يرجح رشيد الناضوري إلى استئناس حتى الكلاب، وذلك لحراسة الحقول، ولكن ذلك ليس مؤكداً³، كما استطاع بناء بعض الأكواخ البيضاوية الشكل من أغصان الأشجار وتشكيل بعض التماثيل التي تعبر عن الأمومة.

يعتقد الباحثون أن من العوامل التي جعلت الإنسان يغير تفكيره من جمع الطعام والالتقاط إلى فكرة الاستقرار وإنشاء البيوت (إنشاء القرى) إلى العامل البيئي الذي ساهم بنسبة كبيرة في هذه النقلة من خلال توجه الإنسان إلى مناطق الأودية... الخ ، بعد تراجع العصر المطير واستقرار نسبي في فيضانات الأنهار⁴.

ولعل من أهم المواقع التي ترجع إلى هذه العصر في العراق القديم ، هو موقع كهف شانيدار، وبالأخص الطبقة "B" في زاوية زاوي شيمي، هذا الموقع يبعد عن الكهف بحوالي أربعة كيلو مترات، وفي منطقة سهلة مكشوفة تحيط بها المرتفعات، واعتبر هذا الموقع بمثابة الملجأ أثناء الطقس الشتوي بسبب عدم استقرار الإنسان فيه طوال السنة، حيث يمضي فيه فصل الصيف ثم ينتقل في فصل الشتاء إلى كهف شانيدار⁵.

تعد هذه القرية من أقدم مناطق الاستقرار في العراق القديم، إذ ترجع تاريخها إلى أواخر الألف العاشر، وبداية الألف التاسع ق.م أي حوالي 9200 ق.م أو 8900 ق.م وذلك باستخدام كاربون 14، وقد عثر فيها على مقابض المناجل وأحجار حرش وأجران وبقايا الحصير والسلال إضافة إلى عدد من بقايا عظام الماشية (ماعز، أغنام، غزلان)⁶، إضافة إلى نماذج من بيوت سكنية بيضاوية ودائرية مصنوعة من الحجارة ومزودة بالمواقد، هذه المخلفات كلّها عبرت عن المحاولات الأولى للحمل الزراعي وتجهيز الطعام واستئناس الحيوانات⁷.

¹ أحمد أمين سليم، ج5، المرجع السابق، ص74.

² محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص11.

³ رشيد الناضوري، المرجع السابق، ص8.

⁴ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص18.

⁵ -

Géorge Roux, op-cit, p40.

⁶ السعدي حسن محمد علي ، المرجع السابق ، ص 30.

⁷ أحمد أمين سليم، ج5، المرجع السابق، ص76.

ولم تنحصر مخلفات هذا العصر في بلاد الرافدين على هذا الموقع وحده بل تعداه إلى موقعين آخرين شهدا هذه المرحلة وأولهما موقع كريم شاهر: يبعد بعشر كيلو مترات غرب جمجمال¹، ويقع في لواء كركوك على بعد كيلو مترين في أعلى المجري المائي، حيث قامت بعثة أمريكية بالتنقيب في مساحة نحو 550 مترا مربعا، وتوصلت هذه البعثة إلى أن الإنسان الذي عاش في هذه الفترة سكن كهوفا وقرى مكونة من الأكواخ المشيدة من الطين² وعثر فيه على عدد من المناجل من الصوان والمجاش والمعازق³، إضافة إلى أحجار الطحن وعلى صيف حصوي غير اعتيادي يمتد فوق المنطقة بأكملها (أرضية الموقع)، وهو يمثل بذلك مرحلة مبكرة من التطور نحو الاستيطان الدائم⁴

أما بالنسبة للموقع الثاني فيتمثل في موقع ملعقات⁵: يُؤرخ له في نهاية الألف السادس قبل الميلاد⁶، وتقع على مكان مرتفع يشرف على نهر الخازر بالقرب من جسر الموصل، حيث قامت إحدى البعثات الأجنبية عام 1904م بالحفر هناك⁷، وتم العثور فيه على أدوات من الصوان كالمكاشط والسكاكين، إضافة إلى أدوات حجرية كبيرة كالمطارق والمجاش والمعازق والمناجل التي استخدمت لجني المزروعات البرية، كما عثر أيضا على بقايا من الحيوان التي تشير إلى مساكن بيضاوية الشكل⁸ مصنوعة من الحجارة ورصف أرضيتها بالحصى وتحيط الأسيجة ببعضها⁹.

ومن خلال هذه التفاصيل والمخلفات الأثرية التي تم العثور عليها في عدة مواقع يتضح أنه عصر تمهيدي بين الاقتصاد المستهلك (جمع القوت) والاقتصاد المنتج (إنتاج القوت)، ومحاوله الإنسان ترك الكهوف والعيش في أماكن وقرى بدائية (الأكواخ)، وممارسة حرفة جديدة، والمتمثلة في البدايات الأولى للزراعة ومحاولته جمع المحصول الزراعي البري.

كل هذه الظروف مهدت لقيام قرى زراعية أكثر تطورا فيما بعد والتي كان لها تأثير كبير على الحياة السياسية في بلاد الرافدين.

1. Géorge Roux, op-cit, p41.

2. عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 20-21.

3. Géorge Roux, op-cit, p41.

4. عبد الوهاب حميد رشيد، حضارة وادي الرافدين "ميزوبوتاميا"، ط1، دار المدى بغداد، 2004، ص36.

5. Géorge Roux, op-cit, p40.

6. أحمد أمين سليم، ج5، المرجع السابق، ص77.

7. عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص21.

8. محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص11.

9. عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص36.

3 العصر الحجري الحديث: "Néolithique": يُرّخ له في العراق بالألف السادسة قبل الميلاد¹، ففي هذا العصر حدثت تغيرات جذرية في حياة الإنسان ونمط معيشته بظهور أدوات حجرية جديدة، وتقنيات صناعة الأواني الفخارية لتخزين الحبوب والسوائل التي بدأ ينتجها الإنسان بعد اكتشافه للزراعة*، واستئناس الحيوانات² خاصة بعد التحول من مرحلة الصيد وجمع الثمار إلى مرحلة إنتاج الطعام، والتي أشار إليها "تشيلد" "Child" بثورة إنتاج الطعام أو بعصر الثورة الحجرية الحديثة وذلك بمواكبة فترة سيادة الإنسان على وسائل الإنتاج من استئناس الحيوانات غير المتوحشة وتهجين بعض النباتات البرية كالقمح والشعير والعشب الكثيف³.
وبذلك استغنى عن التجوال لمطاردة الحيوان بالاستقرار، وتجمعت بعض العائلات في صعيد واحد وأقاموا لهم مساكن، وبذلك نشأت القرية ومنها نبتت بذور الحياة الاجتماعية بنظمها الاجتماعية والسياسية البدائية، حيث يشير عبد الحميد زايد إلى أن بوادر تكوين المجتمعات وتكوين الأسرة غالباً ما يعود إلى هذا العصر خاصة بعدما أدرك علاقة الاختلاط بين الرجل والمرأة، فأنشأ أسرة، إضافة إلى بداية نشوء الديانات بتقديسهم لأول مرة في العراق اله الزراعة الذي اصطبغ على هيئة دمي من الطين⁴.

وأمام هذه التطورات والمخلفات الأثرية التي تم العثور عليها في القرى الأولى، ميّز العلماء والمتخصصون في الأبحاث الأثرية إلى ثلاث مواقع حضارية هامة وأساسية، وأخذها كعينة رئيسية على تلك الحقبة وهي: قرية جرمو لشرقي منطقة كركوك في سهل جمجمال، إضافة إلى قرية حسونة جنوب الموصل حالياً، ثم قرية حلف في أعالي نهر الخابور.

وعلى هذا الأساس سنقوم بتسليط الضوء على هذه القرى الأثرية ودراسة خصائصها الحضارية، وأهم مخلفاتها وإنجازاتها في بلاد الرافدين، وهي كالتالي:

ج-1) قرية جرمو (Jarmo): هي أقدم القرى الزراعية المكتشفة في العراق القديم حيث تقع هذه القرية شرق بلدة جمجمال بنحو أحد عشر كيلو متراً وعلى بعد 35 كيلو متراً شرقي مدينة كركوك⁵، ويرجح تاريخها إلى حوالي

¹ برهان الدين دلّو، المرجع السابق، ص 203.

* تشير الدراسات الحديثة إلى أن سكان العراق القديم بدأ اهتمامهم لأول مرة بالزراعة المبكرة إلى الألف الخامس قبل الميلاد في وديان العراق الشمالية التي انتفعت بمياه الأمطار في الريّ وصرف ملوحة الأرض إلى جانب انتفاعها بفروع النهرين أكثر من انتشارها في السهول الجنوبية التي لم تكن أراضيها قد صلحت بعد للاستغلال والسكن بسبب انخفاضها وكثافة نباتاتها المائية غير المثمرة وارتفاع نسبة الملوحة في تربتها... أنظر: عبد العزيز صالح، الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق)، ج 1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2004، ص 569.

² محمد سحنوني، المرجع السابق، ص 82.

³ Charles Keith Maisels , op-cit , P41.

⁴ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص ص 21-22.

⁵ علي محمد سعد الله، المرجع السابق، ص 13.

6000 سنة قبل الميلاد¹، وتم اكتشافها من طرف البروفيسور R. J. Braidwood من جامعة شيكاغو من سنة 1948 إلى غاية 1955م واعتبرها أقدم قرية زراعية في العراق²، وهي تمتد في مساحة تبلغ في معدلها 1400 م²، وترتفع عن مستوى السهل المجاور بحوالي 32 قدماً³.

يتكون موقع جرمو من اثنا عشر طبقة حضارية (أثرية) تمثل مراحل تطور هذه الحضارة، حيث بدأ الإنسان الرافدي بترك التلال والاستقرار في السهول والتعود على حياة الزراعة ومستلزماتها⁴، إذ يشير الباحث جورج كونتينو إلى تدشين السكان للمساكن بطريقة مستطيلة وكل بيت يحتوي على عدة غرف مصنوعة من الطين بتدعيم الجدران بأسس من الحجر⁵، والتي عثر فيها على أفران (مطابخ) طينية وملاعق منزلية مصنوعة من الطين⁶، علاوة على إبر خياطة عظمية وأقراص مغازل صوانية التي تدل على معرفة الإنسان الرافدي للغزل والحياكة، وقدر عدد المنازل التي بينت في هذه القرية بحدود 25 إلى 30 منزلاً وعدد سكانها نحو 150 نسمة، وتعد أول قرية زراعية مارست زراعة القمح والشعير والعدس والحمص⁷ إضافة إلى بقايا حبوب البازلاء والفسنق والبلوط⁸.

وحسب هذه الاكتشافات الأثرية فإن هذه المحاصيل الزراعية، والمناجل الحجرية وجميع الأدوات والأواني الحجرية، فضلاً عن بقايا عظام وهياكل الحيوانات كالأغنام والماعز والبقر وأنواع من الخيول الصغيرة... الخ أوضحت أن إنسان هذه القرى قد عرف كيفية استئناس الحيوان⁹، وقد أشار معظم الباحثون إلى أن الأدوات الحجرية معظمها مصنوعة من زجاج بركاني (حجر الأوسيديان) وهو حجر أسود مستورد من أماكن بعيدة أهمها بحيرة "WAN/VAN" في أرمينيا¹⁰.

¹ عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص75.

² R.J.Braidwood , Ne . Eas. F . C , Oregon State System of Higher education , p 231.

³ علي محمد سعد الله، المرجع السابق، ص13.

⁴ أبو محاسن عصفور، المرجع السابق ، ص332.

⁵ George Contenau, civilisation du anciennes du Proche Orient, Bress Universitaires de France, Paris, 1960, p88.

⁶ Charles Keith Maisels , op-cit , p127.

⁷ عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص36.

⁸ أحمد أمين سليم، ج5، المرجع السابق، ص83.

⁹ - Géorge Roux, op-cit, p88.

¹⁰ علي محمد سعد الله، المرجع السابق، ص13.

ومما تجدر الإشارة إليه أن سكان هذه القرية قد خلفوا تماثيل طينية بدائية متواضعة لحيوانات ورجال، وما يشبه نساء جالسات ذوات أرداف غلاظ¹، وبعضهن حبالى للدلالة على الخصوبة والأمومة، وهي أشياء مقدسة في المجتمع الزراعي المهتم بخصوبة التربة والزرع والحيوانات المحيطة به².

ج-2) قرية تل حسونة: "Tell Hassuna": تقع هذه القرية جنوب الموصل بحوالي 35 كلم وترجع إلى بداية الألف السادسة قبل الميلاد³، واستمرت حتى الألف الرابعة قبل الميلاد، وهو مركز حضاري صغير لا تزيد مساحته عن 150×200م، ولا يزيد ارتفاعه عن 7 أمتار، وكشفت الحفريات التي قامت بها مديرية الآثار العراقية في سنة 1943 م م 1945⁴ بإشراف سيتون لويد "S. Lloyd"، وفؤاد سفر عن آثار قيِّمة ترجع لهذه الموقع ومن ثم اعتباره من أهم القرى الزراعية القديمة نظرا للأواني الفخارية والأدوات الحجرية المكتشفة في التربة البكر⁵. ووفقا لهذه المخلفات الأثرية فقد قسّم العلماء هذا التل إلى ستة عشر طبقة تمثل خمسة أطوار حضارية، حيث شهدت هذه القرية تطورات الثورة الزراعية بدليل الأدوات التي خلفوها لممارسة الزراعة بمختلف وجوهها⁶ كالقفوس اليدوية من الحجر ومعازق من الصوان، ومناجل ذات سينان صوانية ومقابض من الخشب وآلات لطحن الحبوب التي خزنها في صوامع أو أكواب من الفخار⁷، وهو ما يؤكد بأن الزراعة كانت مكتشفة وتمارس بشكل واسع ومتقدم جدًّا من حيث ترك الأرض بورًا لمنع تلف خصوبتها بشكل واسع، كما عرفوا استئناس الحيوانات⁸.

ولم يكتف بهذا النمط الزراعي فقط فقد حاول إدخال في هذه الفترة نوعا من التطور في تشييد المساكن، فبعدها كان يعيش في بيوت مصنوعة من شعر الحيوانات (الخيام)، أصبحت فيما بعد بيوتا من الطين تشبه الأكواخ⁹، حيث ظهرت أولى المباني من الطبقة "Ib" وكشفت عن حجرة واحدة، بينما في الطبقة "Ic" كشفت على عدد كبير من الجدران التي تفاوت سمكها ما بين 20-45 سم، إذ كانت هذه الجدران مستقيمة وأركانها دائرية، ويرجح أنها بلغت ثلاث بيوت على الأقل، في حين الطبقة الثانية كانت أكثر تطورا وشيدت من طمي أكثر جودة

¹ عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 569.

² علي محمد سعد الله، المرجع السابق، ص 14.

³ Charles Keith Maisels , op-cit , pp 122,130.

⁴ Géorge Roux, op-cit, p49.

⁵ نعمت إسماعيل علام، فنون الشرق الأوسط والعالم القديم، ط6، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص 42.

⁶ Charles Keith Maisels , op-cit , p130.

⁷ برهان الدين دلّو، المرجع السابق، ص 204.

⁸ Charles Keith Maisels , op-cit , pp128, 130.

⁹ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 26.

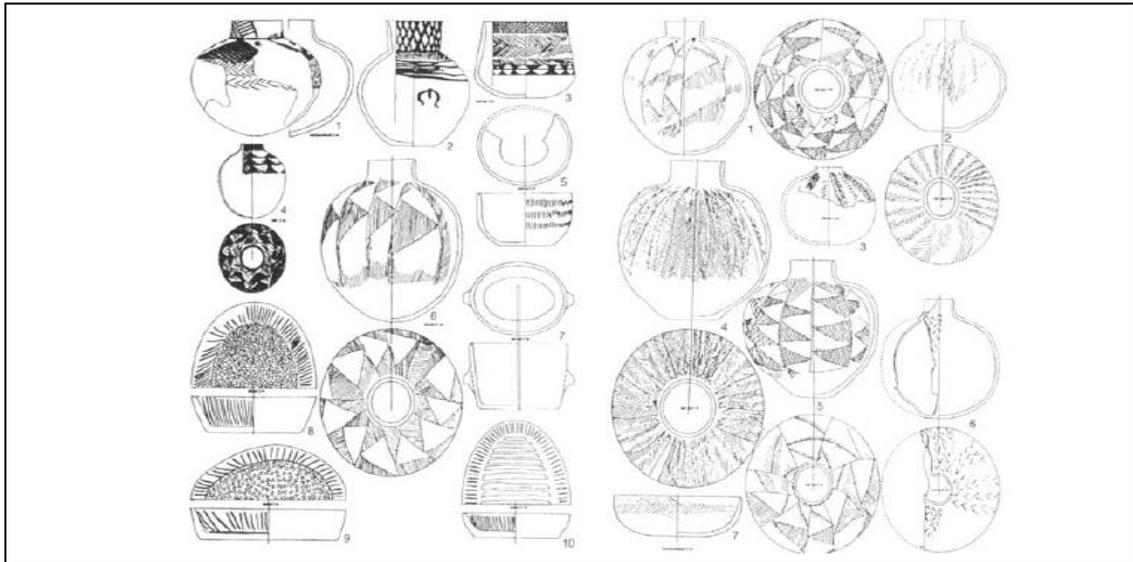
وصل ارتفاع جدرانها إلى حوالي المتر مكونة من مجموعة من الحجرات حول الفناء غير أن أفضل مجموعات المباني التي كُشِفَ عنها تلك التي عشر عليها في الطبقة الأثرية الرابعة والخامسة، حيث تصور لنا صورة عن شكل القرى الأولى ببناء جدرانها بشكل مستقيم سمكها 45 سم، وتصل أحيانا إلى المتر بينما الأرضية لبعض الحجرات، فتمّ تعبيدها بخليط من الطمي والقش¹ كما استخدمت محاجر الأبواب لتسمح بحركة الأبواب².

وتم تزويد هذه الأبنية بأفران لصناعة الخبز وأواني فخارية لتخزين الحبوب، وأخرى لحفظ الطعام والشراب، إضافة إلى بقايا مواقد النار، وما يلاحظ على فخار هذه القرية أنه فخار منقوش أكثر جودة ونعومة من فخار قرية جرمو، وأنه يشبه كثيرا فخار حضارة مرسين بالأناضول، وهو ما يدل على مدى انتشار سلعهم الفخارية، ويمكن تقسيمه إلى ثلاثة أنواع :

-الفخار الحشن غير المزخرف.

-الفخار البسيط المتميز بعدة نقوش والفخار الملون باللون الأحمر³.

-الفخار البرتقالي والمخطط بخطوط على هيئة مثلثات، وبخطوط محفورة بشكل غير متوازي، وهو مصنوع باليد من طين فاتح أو وردي أو بني⁴.



-الملحق رقم 1: الأدوات الفخارية في منطقة تل حسونة⁵.

¹ السعدي حسن محمد محي الدين ، المرجع السابق ، ص 34.

² عبد القادر خريسات وآخرون ، تاريخ الحضارة الإنسانية ، ط1، دار البيزوري،الأردن، 2011 ، ص76.

³ علي محمد سعد الله، المرجع السابق، ص 14.

⁴ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 26-27.

⁵

والجدير بالذكر أن سكان هذه القرية يعتقد أنهم كانوا يؤمنون بالبعث والحياة الأخرى بعد الموت، خاصة بعد عثور المنقبين على توابيت من الفخار الكبير أعدت لإيواء جثث الأطفال، وكذا للزخارف المرسومة عليها والخريشات والرسوم المحفورة¹، واكتشف أيضا في هذا الموقع على مجموعة من التماثيل الصغيرة الجيدة الصنع والتي كانت تمثل آلهة الأمومة، وقد عبرت أشكالها على اهتمام صانعيها بإبراز صفة الإخصاب فيهن، حيث شكلت هذه التماثيل باتجاه الأيدي غالبا نحو بطونهن².

ج-3) حضارة حلف "Tell Hallaf": يقع هذا الموقع في أعالي نهر الخابور³، وعلى مسافة 140 ميلا شمال غربي نينوى، حيث امتدت غربا في العمق السوري وشمالا في الأريحية قرب الموصل⁴، وبذلك فقد شملت جزء من العراق وجزء من أطراف الشام القريبة منه بحكم موقعها الحدود بينهما في وسط الفرات⁵، ما سمح لها بتشكيل مثلث متساوي الساقين قاعدته تمتد بين الموصل وحلب ما يقارب من 600 كيلومتر⁶.

وبحسب الاكتشافات الأثرية يرجع تاريخها إلى ما بين 4000 و3500 سنة ق.م⁷، وقد تم الكشف على الكثير من آثار هذا الموقع في جهات عديدة في شمالي العراق، والذي جسده الأواني الفخارية المصقولة دقيقة الصنع وذات الجدران الرقيقة والألوان الزاهية مثل: الأصفر والأحمر والبرتقالي، أو البني الفاتح إلى البني الغامق تقريبا... الخ، وتعد هذه الزخارف المزينة من أحسن ما خلفه الإنسان القديم، بحكم أنه فخار يدوي ملون ومصقول مزخرف برسوم حيوانية ونباتية وتخطيطية⁸، واتخذت أشكالاً عديدة من أواني بيضاوية وجرار قصيرة ذات فوهات معقوفة وكؤوس متعددة الأشكال بعضها ذو شكل هندسي والبعض الآخر يمثل طيوراً أو أزهاراً⁹.

¹ عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 570.

² أحمد أمين سليم، ج 5، المرجع السابق، ص 102.

³ Charles Keith Maisels , op-cit , p123.

⁴ Géorge Roux, op-cit, p55.

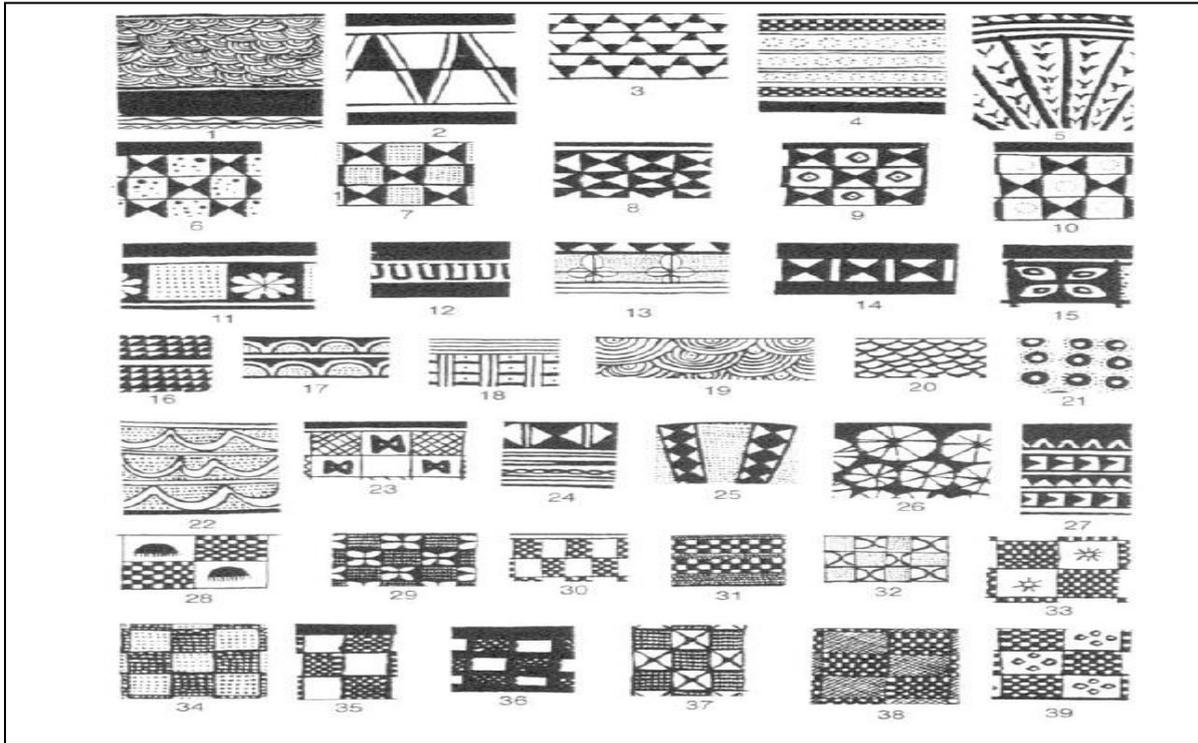
⁵ عبد العزيز صالح، المرجع السابق، 570.

⁶ Charles Keith Maisels , op-cit , p130.

⁷ نعمت اسماعيل علام، المرجع السابق، ص 42.

⁸ Charles Keith Maisels , op-cit , p133.

⁹ Joseph Wiesner, l'orient Ancien, V2, Petite Bibliothèque layot, Paris, p p 10-11.



1

الملحق رقم 2 : الرسوم الزخرفية التي ظهرت على الأواني الفخارية في موقع حلف.

بينما في الأريحية بالقرب من الموصل فقد ظهر تقدم محسوس من خلال تطور القرية التي كسيت شوارعها بالحجارة وإحاطتها بسور إضافة إلى بعض المباني العامة، والتي يرجح على أنها دور للعبادة²، أما منازلها فقد احتوت على عدة غرف مستطيلة، كما ظهر طراز آخر فيها ألا وهو المنازل الدائرية أو المستديرة، والتي عثر على بقاياها في عدة مواقع في تبه جاورا، وفي تل الأريحية³، حيث يشير صالح عبد العزيز على أنها كانت مقببة السقوف بقطع أهلها الدبش الغفل في تدعيم أساساتها⁴.

ويعتقد أنه في تصميم هذه المنازل ارتباط كبير بالتقاليد والمعتقدات الدينية⁵، وهو ما أشار إليه "جورج روو" في كتابه "العراق القديم" بأن الأبنية المدورة في حلف وموقعها المركزي، والعناية التي كانت توجه لبنائها

Charles Keith Maisels , op-cit , p139.

-1

2 عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 27.

3 محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص 17.

4 عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 570.

5 محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص 17.

وترميمها ، كلها تشير على أنها تؤدي دورًا هامًا في حياة السكان، أو أنها كانت عبارة عن مباني دينية، كما يعتقد أنها كانت عبارة عن مجالس يجتمع فيها السكان للتشاور والتباحث¹، أو أنها مجالس قروية تستخدم للاجتماعات². إضافة إلى ذلك فقد تم العثور في هذه القرية على أختام صغيرة صنع بعضها من السيرينتين* وقد كانت هذه الأختام عبارة عن أقراص صغيرة مثقوبة من الخلف ومنقوشة، وهي تمثل أول شكل من أشكال الختم المنبسط الذي ميّز حضارة العراق القديم³، وما يلاحظ على هذه الحضارة وجود عدد من المقابر داخل المساكن فضلًا عن عدد من التماثيل الصغيرة التي ترمز للخصوبة والأمومة وهي مصنوعة من الطين⁴.

كما استخدم سكانها الحيوانات المدجنة والحبوب والمغازل الدائرة التي تدل على وجود صناعة المنسوجات، في حين بقيت الحجارة تستخدم في صناعة الآلات التي تميزت في هذه المرحلة بالرؤوس الصولجانية المصنوعة من الحجر، وبالتماثيل التي اتخذت شكل رأس الثور أو حافره أو شكل الفأس⁵.

ويعتقد أن هذه الحضارة عاصرت (المراحل الأولى لاستخدام النحاس بدليل العثور على عدد من الدبابيس والأزامل النحاسية إضافة إلى ممارستهم للتجارة بنطاق واسع، حيث جلبوا الزجاج البركاني الأسود -حجر الاوسيديان- من بحيرة وان / فان (VAN) في الشمال، كما جلبوا أصداف المحيط الهندي من الخليج العربي، وتمكنوا من تصدير فخارهم إلى قرية قرب بحيرة فان وهي "تلكي تبه".

هذه الأخيرة التي اعتبرت سوقًا لبضائع حلف دون أن ننسى دور الوسطاء التجاريين الذين ارتبطوا بمراكز الإنتاج كثيرًا في توسيع تجارتهم وانتشارها ، فضلًا عن ممارستهم لحرفتي الزراعة والصناعة⁶، بالإضافة إلى بعض القرى المكتشفة سنة 1990م ، والتي تعود إلى هذه الحضارة من قبل بعض المكتشفين الذين قاموا ببعض الحفريات العلمية فيها ، وتحت إشراف الجامعات البريطانية مثل: جوو واتسن " Jo Watson " و بيرنايك " Bernbeck " و كورساي " Coursey " ، وبولوك " Pollock " "...الخ، وأبرزها أرباشيا " Arpachiya "

1- Géorge Roux, op-cit, p50.

2- عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص37.

* السيرينتين (الأسيتنايت): وهي نوع من الحجارة الصلبة المكتشفة منذ القدم...، أنظر: محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص17.

3- محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص17.

4- عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص570، نعمت إسماعيل علام، المرجع السابق، ص42.

5- عبد القادر خريسات وآخرون ، المرجع السابق، ص77.

6- محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص18.

بالعراق و تل براك " Tell Brak " (بين الحدود السورية التركية)، و تايسان هويوك " Takyan Hoyuk " (على الحدود العراقية / التركية)¹.

د) العصر الحجري المعدني "Chalcolithique": في أواخر العصر الحجري الحديث حدث تطور ضخم في حياة العراقي القديم، باستخدام المعادن إلى جانب الأحجار، ولهذا سميت هذه المرحلة "الحضارة الشالكوليتية" أي عصر النحاس والحجر.²

وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن حضارة بلاد الرافدين خطت خطوة هامة باستخدام المعادن، وبصفة خاصة معدن النحاس إلى جانب تطوير الأدوات الحجرية³ ففي حوالي القرن 4000 / 3500 ق.م كثر استخدام المعادن إضافة إلى صناعة البرونز، وهو ما يبرز تطور فن التعدين في هذه الفترة⁴.

ولم يقتصر هذا العصر على استخدام المعادن فقط، بل ميّزها اتساع في رقعة الأرض المزروعة، بنمو قوى الإنتاج وتنظيم الري وتطور الزراعة وتربية الماشية إلى جانب الصيد⁵، كما شهدت بداية اتساع المدن الصغيرة، والتي بدأت تظهر فيها تخصصات صناعية، فضلا عن تقدمها في صناعة الأواني الفخارية المزينة بالرسوم الهندسية والنباتية والحيوانية ومناظر الطبيعة⁶.

وأمام هذا التطور الذي حققته هذه الحقبة الزمنية من تاريخ بلاد الرافدين من خلال ازدياد القرى الزراعية، وظهور المدن الصغيرة، وقيام المبادلات التجارية⁷، حيث نشأت علاقات تجارية بين بلاد النهرين والدول المجاورة خاصة بعد ظهور المنتج الزائد (الإضافي)، والتطور الدقيق الذي حققته في صناعتها⁸ بانتهاجها سياسة تقسيم العمل والتخصص وتعاضل حركة تنقلات الأقاليم⁹، خاصة بعد ظهور لأول مرة المركبات (العربات) ذات العجلات التي تجرها الحمير أو الخيول الوحشية¹⁰.

Charles Keith Maisels , op-cit , p138.

1

2 برهان الدين دلّو، المرجع السابق، ص 204.

3 محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص 17.

4 عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 24.

5 برهان الدين دلّو، المرجع السابق، ص 205.

6 عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص ص 24-25.

7 عبد الوهاب رشيد، المرجع السابق، ص 31.

8 برهان الدين دلّو، المرجع السابق، ص 205.

9 عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 31.

10 علاء الدين عبد المحسن شاهين، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية "ملامح من حضارات بلاد الشام والجزيرة العربية" "التاريخ القديم"

مج 4، ج 1، دار الفكر العربي، ص 83.

ونتيجة لأعمال الحفر و التنقيب، تمكن الباحثون من التمييز بين ثلاث مواقع شهدها العراق في هذا العصر باعتبارها أكبر وأقدم الأماكن التي عثر فيها على مخلفات أثرية قيّمة وهي كالتالي:

د-1) حضارة العبيد "El'obeid" : سميت حضارة العبيد بهذا الاسم نسبة إلى تل صغير يقع على بعد أربعة أميال عن أور¹، ويعود زمنها إلى حوالي القرن 4200 سنة قبل الميلاد²، وقد تم الكشف عن هذا الموقع بعد الحفريات التي قام بها العالم الأثري البريطاني هول "HALL" عام 1919م، والتي كللت فيما بعد ببعثة أثرية مشتركة بين المتحف البريطاني ومتحف جامعة بنسلفانيا برئاسة ليونارد وولي في سنة 1923/1924م ، وتوصل أثريّوا هذه البعثة إلى الكشف عن مساكن بدائية سكنها أول الوافدين إلى دلتا الفرات، وأن حضارة العبيد في الجنوب ما هي إلا امتدادًا وتطورًا لحضارة تل حسونة في الشمال، وهو ما يدل على تكامل الأدوار التاريخية في جميع أقسام العراق³.

أما عن أهم إنجازات هذه الحضارة أو هذا الموقع الأثري هو توصل الإنسان خلاله إلى المعرفة الحقيقية لاستخدام النحاس والأختام الأسطوانية^{4*}، الذي يعتقد انه قد تمّ إدخاله إلى أراضي العراق قبل الألف الرابعة قبل الميلاد عن طريق الوافدين إليه لأول مرة من مناطق خارجية يتوافر فيها مثل: مناطق عدن وإيران أو الأناضول، وذلك بعد حدوث تغير مناخي و حدوث الجفاف الشديد في مواطنهم الأولى، وهو ما شجعهم على الهجرة والنزوح إلى العراق⁵، إذ عثر فيه على فؤوس وصنانير وسكاكين من النحاس المطروق، بعدما كان يطرق باردًا في أول الأمر، لكن فيما بعد أصبح يسخن، كما استعملوا كذلك طريقة الصب التي تظهر من خلال صنع الصنارة لصيد الأسماك والدبابيس والأسلحة... الخ⁶.

1 Barbara A.Somervill , Great empires of the past : empires of ancient mesopotamia , chelsea house publishers-, NewYork , 2010, p 18.

2- Daniel Arnaud, le Proche orient Ancien de l'invention de l'écriture l'hellénisation, collection Etudes Supérieures Bordas, France, 1970, p6.

3 برهان الدين دلّو، المرجع السابق، ص205.

*الاختام الاسطوانية : عبارة عن خرزة صغيرة، اسطوانية الشكل لا يتجاوز حجمها حجم إبهام اليد مثقوبة من الوسط ومصنوعة من بعض أنواع الأحجار شبه ثمينة ، وقد نقش عليها أشكال الحيوانات وبعض المشاهد والرسوم ، وعادة ما كان يعلق بخيط او بسلسلة في رقبة صاحبها ، والهدف منه المحافظة على الممتلكات والتوقيع على عقود المعاملات التجارية ...،أنظر: عامر سليمان واحمد مالك الفتیان ، محاضرات في التاريخ القديم (موجز تاريخ العراق ومصر وسوريا ،وبلاد اليونان القديم)،مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر بغداد ، 1978، ص 65.

4- Daniel Arngud, Op-cit, p6 .

5 Géorge Contenau, Op-cit, p89.

6 برهان الدين دلّو، المرجع السابق، ص206.

ولم تقتصر حرفتهم على المعادن، والصناعة الخشبية فقط¹ بل كانت السمة المميزة لهم هي الفخار الأخضر الغامق نتيجة تعرضه لحرارة النيران العالية، وكذلك الفخار الملون الذي يتراوح بين الأصفر والبرتقالي والأخضر، وتم تزيينه برسوم هندسية من مثلثات أو خطوط متنوعة إضافة إلى الرسوم النباتية والحيوانية²، وعادة ما كانت باللون الأسود، ومعظم هذه الأواني كانت تصنع باليد أو بالدولاب الفخاري الذي تستخدم فيه الرجل، ولهذا تميز بتعدد أشكاله وإتقان صنعه ورقته مثل: الصحون والأطباق المصبوغة والأقداح البيضاوية³، وهو ما دفع بعض الأثريين إلى تسميتها باسم "أواني قشر البيض" كما تم تزويد بعضها بأذان ومقابض وصنانير، كما اكتشفت الأدوات الحجرية كالنصول والسكاكين الحادة والمطارق والمناجل والفؤوس... الخ⁴.

في حين اتخذوا طابعا رقيقا في أسلوب بناء مساكنهم البسيطة، والتي كانت عبارة عن أكواخ تم تشييدها من البريد، وقائمة على أعمدة خشبية مغطاة أريدو^{5*}، إضافة إلى بيوت أخرى عثر عليها في منطقة العقير^{**} والتي تعتبر من أهم قرى العبيد، وقد احتوت هذه المنازل على أبواب من الخشبي وسقفت بسطوح مستوية ذات ميازيب فخارية، وقد كان كل بيت مكون من أربع أو ست حجرات، ويصعد الإنسان إلى سطح المنزل بواسطة سلم⁶. كما تم العثور على دور للعبادة، والتي زينت جدرانها على من الخارج بأكتاف ومشابك تجذب الضوء وتقلل من رقابة المبنى المكسو باللبن والطين، وهنا بدأ الإنسان يشيد معابده في قمم الهضاب القديمة ومحاوله ربطها بالمعتقدات الدينية، وبصفة خاصة عمارة الزاقورة⁷، كما تم الكشف في إريدو على ثلاث طبقات من المعابد في بداية الألف الرابعة قبل الميلاد⁸، حيث شيّد لمعبود ذي صلة أولية بالمعبود "إنكي" رب للمياه العذبة، ببناؤه على مصاطب من اللبن مرفقا بمقصورة بسيطة (12×15 قدما)، أقيمت فيه مشكاة لتمثال معبدوها أو رمزه مع

Barbara A.Somervill ,op-cit , p18.

1

محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص23.

3

عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص28، George Contenau, Op-cit, pp68-69.

4

عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص572.

* إريدو (أبو شهرين حاليا) :، تقع على بعد 24 كم غرب مدينة أور القديمة، وهي من أهم الأماكن الاستيطان في السهل الرسوبي، وتعتبر من أهم قرى العبيد... وللزيد أكثر ينظر الفصل الأول من الباب الرابع .

5

محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص23.

** العقير: تقع على بعد 75 كم جنوب غرب بغداد -جزيرة ما بين النهرين السفلى- تمثل استيطاننا مبكرا في السهل الرسوبي، ويعود زمنها إلى

5000 م. ... أنظر: عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص39.

6

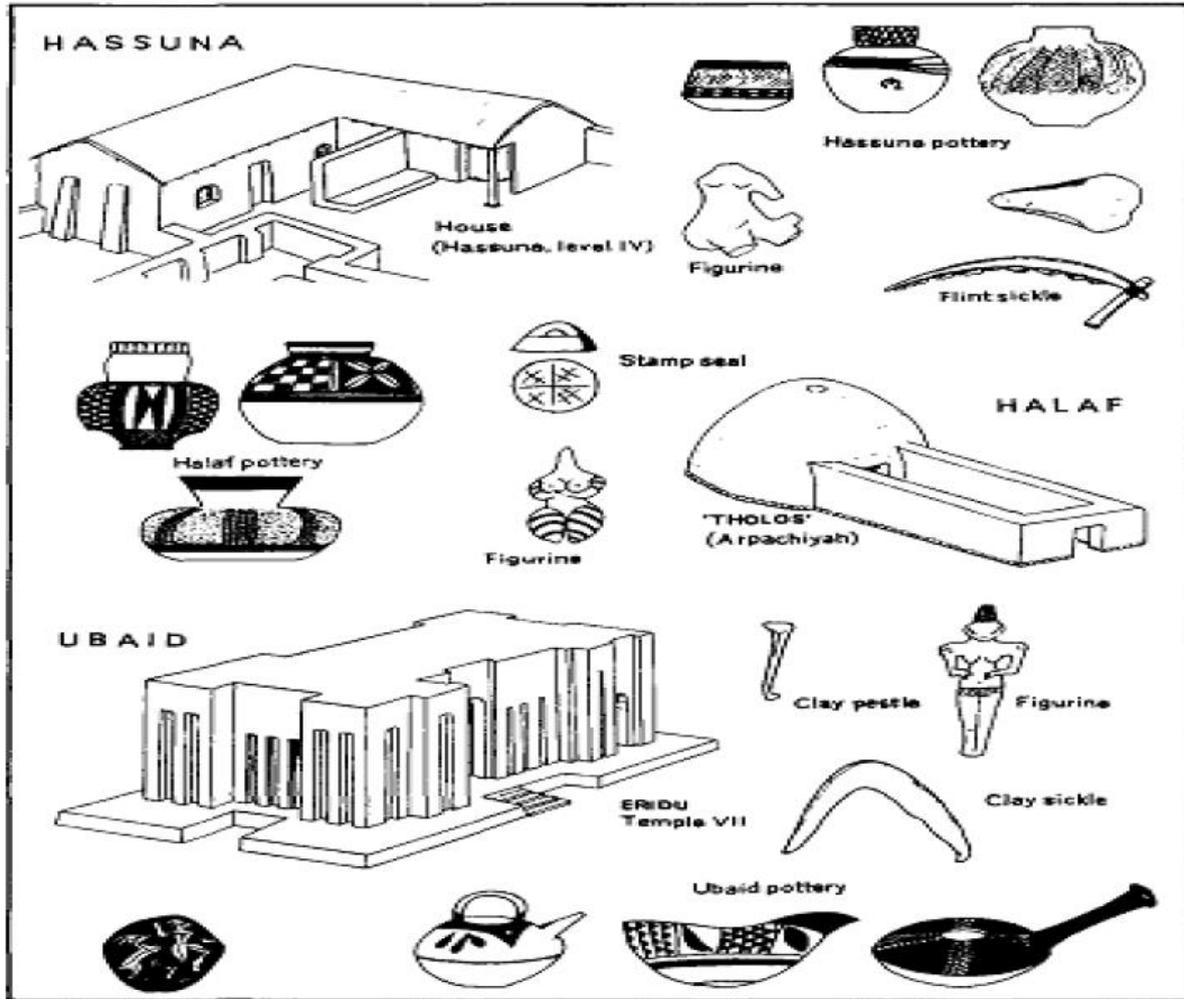
عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص28.

7

André Parrot, Sumer, Editons Gallimard, France, 1958, pp 98-99.

8 تروت عكاشة، تاريخ الفن "الفن العراقي القديم" سومر وبابل وأشور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ص108.

مائدة من اللبن للقرابين*¹، وأحيطت الغرفة الرئيسية من الجانبين غرف أصغر حجماً، ولها أدراج تسمح بالصعود للطابق العلوي، كما تم تزيين الواجهات الخارجية بنظام الفجوات²، ومن جهة أخرى فقد أفرزت عمليات التنقيب كذلك في منطقة أريدو على نموذج للسفن الشراعية بين مخلقاتها، إضافة إلى نموذج عربة ذات عجلات وعلى عدد من القبور في أواخر عهد الفترة على حوالي ألف قبر³.



4

الملحق رقم 3 : أدوات حجرية تعود لمواقع تل حسونة ، حلف ، تل العبيد

* تشير الدراسات أن سكان هذه المنطقة كانت لديهم معتقدات دينية منها: الاعتقاد السائد بوجود حياة بعد الموت من خلال التجهيزات التي توضع مع الموتى، إضافة إلى اعتقاد آخر بوجود الأرواح الشريرة بدليل وجود الدمى الأنتوية المكونة من رأس إنسان والأخرى برأس مشبوه...، أنظر: محمد عبد القادر خريسات وآخرون ، المرجع السابق، ص573.

¹ عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص573.

² محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص24.

³ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص28.

بالإضافة إلى ذلك تمكن الإنسان الرافدي في هذه الفترة بممارسة حرفة الصيد خاصة صيد الأسماك والحيوانات، وهو ما دلت عليه أدوات الصيد الحجرية والمسامير الطينية، وكذا الزراعة وتربية الماشية من خلال العثور على العديد من الفؤوس والمناجل والحرايب... الخ¹.

(د-2) حضارة الوركاء "d' uruk": تقع هذه الحضارة شمال غرب الناصرية²، في منطقة صحراوية بين بغداد والبصرة، وعلى بعد 30 كيلومتر جنوب شرقي مدينة السماوة³، وعرفت قديما باسم أوروك (أوانوج)، وعلى أنقاضها حاليا بلدة الوركاء (warka) وقد ذكرت في التوراة باسم إرك "Ereck"⁴.

ترجع هذه الحضارة إلى 3500 ق.م/3200 ق.م⁵، ويشير أنطون مورتكات بأنها تمثل بداية فجر التاريخ، وذلك حسب ترقيم الطبقات من 4-6⁶، والتي أثبتت أنها لعبت دورا رئيسيا في حضارة فجر التاريخ العراقي القديم باعتبارها مقرا مقدسا للالهة "إنانا" "E-anna" أو "إن-نن" ربة الزهرة وابنه المعبود "أنو" وزوجته، إضافة إلى معبد الإله انليل "Enlil"، كما تقدمت في جميع نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية⁷.

وفي هذا الصدد تطورت كثيرا في مجال فن العمارة، وأهمها دور العبادة التي اتخذت طابعا خاصا، حيث شيدت فوق مصاطب صناعية، وهي أصل الزاقورة*، وبجوارها معبد المدينة، ويحيط بهذه الزاقورة والمعبد ساحة كبيرة بها حجرات متعددة ويحيط بالجميع سور ضخمة⁸، كما استطاع المجتمع العراقي القديم في هذه الحضارة أن يصطبغ بصبغة مدنية بإنشاء مدن صغيرة تطورت عن القرى الكبرى وإحاطتها بأراضي زراعية وقرى عادية، فضلا عن تواجد المعابد الدينية، واتضح بصورة أوسع بعد ظهور بواكيرها الأولى في عصر العبيد⁹.

¹ Joseph Wiesner, op-cit, p 11, Daniel Arnaud, op-cit, pp 5-6

² عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 39.

³ محمد عبد القادر خريسات وآخرون، المرجع السابق، ص 78.

⁴ سفر التكوين، 10:10.

⁵ Daniel arnaud, op-cit, p6.

⁶ أنطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تعريب توفيق سليمان وعلي أبو عساف وقاسم طوير، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1967، ص 33.

⁷ Leonard W.King, Litt .D.F.S.A, a history of Sumer and Akkad, Chato et Windus, London, 1923, pp32--33.

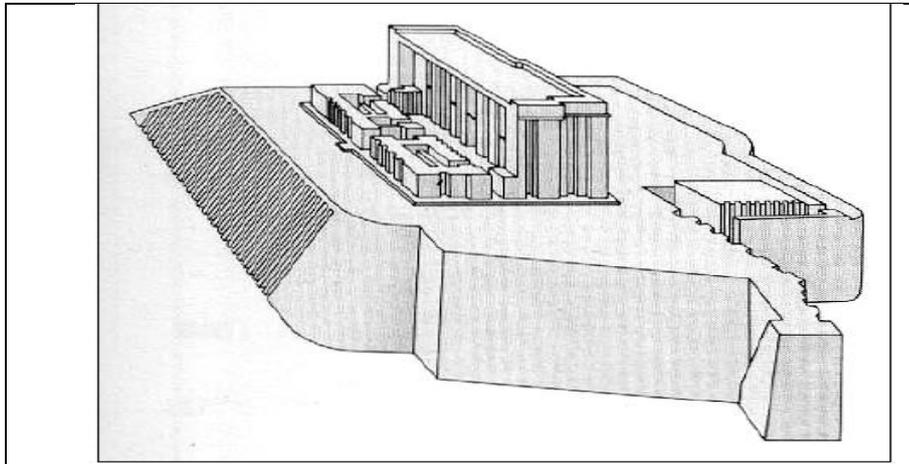
*الزاقورة: هي عبارة عن برج شاهق الارتفاع، ويقام بجوار المعبد على هيئة طبقات أقلها ثلاثة وأقصاها سبعة، حيث تتناقص كلما أخذت في الارتفاع، وقد كان الأقدمون يقيمونه إكراما لألهتهم ومعناه القوة والعظمة والعلو، وللزاقورة سلم يوصل إلى قمة البرج...، وللمزيد ينظر الفصل الأول من الباب الثاني.

⁸ Joseph wiesner, op-cit, p 15.

⁹ A.Moortagat, Fruhe bildknt in sumer, Suria, 1936, V17, N :3, pp298-299.

**اي انا : عرفت فيما بعد باسم عشتار (آلهة الحب والخصوبة) بينما في القديم أي انا آلهة الأمومة الكبرى والخصوبة.

ومن الشواهد المعمارية الضخمة التي تم اكتشافها في المنطقة الثانية من مدينة الوركاء والمسماة "جي-إي-أنا" والتي يتمركز فيها معبد "إي-أنا" ¹، والذي استخدمت فيه المحاريب المنحثة بدعامات تزيينية صغيرة مع كساية جدرانها بطبقة سميكة من الطين (اللبن المجفف)، والمرصعة بدورها بآلاف من المسامير المصنوعة من الطين المشوي المقاوم للعوامل الجغرافية مع تلوينها بألوان مختلفة من الأسود والأبيض والأحمر ²، وعثر في الجنوب الغربي من المدينة على معبد للإله أنو (معبود السماء)، الذي عرف باسم المعبد الأبيض نظرا لوجود طلاء من الجص على جدرانه ³، واستخدام الكلس أو الحجر الجيري في بعض أجزائه، وقد شيد فوق ربوة ترتفع نحو 12 مترا عن مستوى السهل وزيادة على ذلك فقد وجدت معابد أخرى فرعية تجاور معبد الوركاء مثل: معبد الإله إنانا، معبد إله الشمس... الخ، وقد كانت المادة الرئيسية في بناءهم هي قوالب اللبن مع إدخال عنصر الزخرفة وتلوينه بلون واحد ⁴.



الملحق رقم 4 : نموذج تصميمي للمعبد الأبيض في حوالي 3000 ق.م ⁵.

وتذكر الأبحاث التاريخية إلى وجود أقدم أمثلة للنحت في تاريخ الفن العراقي القديم، والذي تجسد من خلال التماثيل الحجرية ⁶، مثل التمثال الذي وجد داخل إناء يبلغ حجمه ثلث حجم إنسان على وجه التقريب، ولم يبق منه غير جذعه، ويعد هذا التمثال أقدم نموذج في النحت المجسم، إذ يرجع تاريخه إلى عام 3200 ق.م.

¹ Charles Keith Maisels , op-cit , p51.

² رشيد الناضوري، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا -مرحلة التكوين والتشكيل

الحضاري والسياسي من العصر الحجري الحديث حتى نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد، دار النهضة العربية بيروت، 1988، ص 203

³ انطون مورتكات المرجع السابق، ص ص 34-35.

⁴ عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 582، السعدي حسن محمد محي الدين، المرجع السابق، ص ص 41-42.

⁵ قبيلة فارس المالكي، تاريخ العمارة عبر العصور، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، 2001، ص 34.

⁶ George contenau, op-cit, p89.

ويعتقد أنه تمثل لسيد مدينة الوركاء الذي كان بيده زمام الأمور¹، إضافة إلى اختراع الختم المخروطي و الأسطواني الذي يعتبر من أهم مميزات هذه الحضارة ،وهو عبارة عن أسطوانة نقشت عليها صور ورسوم بهيئة معكوسة بعد تمريره على لوح من طين لم يجف ،وبذلك نحصل على شريط من وحدات زخرفية*² .

ولقد كشفت عمليات التنقيب على بعض القطع الفنية من النحت المجسم و البارز (مسلة صيد الأسود، أجزاء من حطام الزهريات المزخرفة ، الإناء النذري، رأس المرأة المنحوت من المرمر ،وكذا نقوش المخاريط الفسيفسائية واستعمال دولا ب الخزف لصنع الأواني الخزفية³، كما حققت هذه الحضارة تقدما ملحوظا في صناعة الفخار، حيث عثرت البعثة الألمانية على أواني فخارية ذات اللون الرمادي ،أو الأحمر المدلوك وعلى سطحه طبقة رقيقة ومادته ناعمة حمراء اللون⁴ ، ومزينة بخطوط حفرت بأطراف الأظافر مثل :المقابض المقوسة المتميزة بـكبر حجمها نسبيا⁵، أواني كروية ،أما الفخار الأحمر فمصقول جيدا ولامع وأكثر انتشارا عن غيره وأشكاله متعددة مثل: كؤوس نصف كروية، وقوارير لها نهايات رفيعة إضافة إلى نوع ثالث من فخار الوركاء خشن الملمس سميك مصنوع باليد⁶ .

اشتهر هذا الموقع بالصناعة التعدينية⁷ بدليل العثور على أدوات بسيطة من الصناعات النحاسية مثل: الأزاميل ورأس الحربة، وخطاف صيد الأسماك والإبر، إضافة إلى بعض أدوات الزينة ، واكتشفت فيه العديد من القطع الذهبية الصغيرة المتنوعة الأشكال منها ما يشبه الوردة أو قرطا ،فضلا عن حبات العقود والقلائد...الخ⁸ ولعل أهم مخلفات هذه الحضارة هي ظهور أولى علامات الكتابة ،حيث أطلق عليها اسم ما قبل العصر الكتابي

¹ ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص112.

* استغل صناع النحت هذه الأختام لنقش مناظر دينية وأسطورية ،فصورت أعياد المعبودات ورمزت إلى تقوى الحكام وكبار السن،ومما يبقى منها ما يصور حاكما يتقدم بسنبلي شعير إلى ستة رؤوس من الماشية كأنه يطعمها و يتبعه خادمه حاملا له مجموعة سنابل ، كما رمزت بعض الأختام إلى كفاح الأفراد ضد أخطار بيئتهم الخشنة وكذا في بعض الحروب ، إضافة إلى نقوش بعض الحيوانات و المراكب وغيرها....، أنظر عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 577.

² Géorge Roux, op-cit, p65.

³ عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص40.

⁴ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص30.

⁵ George contenau, op-cit, p89.

⁶ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص30.

⁷ Daniel Arnaud, op-cit, p6.

⁸ محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص28.

، أو العصر الشبيه بالكتابي، وكانت في بدايتها كتابة تصويرية بدائية " pictography"، وهي أقدم الكتابة على الإطلاق، ولهذا اعتبرت بداية التاريخ من سومر¹.

ويعتبر عيد مرعي أن أقدم الشواهد عن هذه الكتابة التصويرية ترجع إلى هذه الحضارة من خلال النصوص المكتشفة التي بلغ عددها أكثر من ألف لوح يرقى تاريخها إلى نحو 3300 ق.م، وهي في معظمها نصوص اقتصادية وإدارية قصيرة تتعلق بحساب واردات المعابد باعتبارها المركز السياسي و الاقتصادي... الخ².

د-3) حضارة جمدة نصر: "Djemdet-nasr":

سميت بهذا الاسم نسبة إلى تل صغير قرب مدينة كيش³، على بعد يتراوح ب24 كيلومترا⁴، تزامنت هذه الحضارة في حدود 3200-2800 ق.م⁵ باكتشاف آثار مماثلة لها في الوركاء والعقير وتل أسمر و مواقع أخرى⁶.

يمثل هذا الموقع الأثري محل نقاش بين العديد من العلماء نظرا للتغيرات التي حدثت في الفخار، بحكم انه عامل التطور الرئيسي والوحيد في هذه الحضارة، وذا تأثير كبير اقتصاديا واجتماعيا على مناطق الجوار، حيث تميز بالفخار المتعدد الألوان ذو العجينة الغليظة⁷، غير أن السمة المميزة لهذه الحضارة هي اشتهارها بالفخار المصنوع على عجلة الدولاب، جيد الاحتراق والصقل، ومن أحجام مختلفة وأغلب أنيتها ذات شكل كروي منفتح ولو قواعد مسطحة أو مقوسة، وزودت فوهاها أحيانا بسدادات من الطين لتغطيتها، وقد عثر على أواني فخارية ذات أشكال هندسية سوداء وحمراء فوق أرضية فاتحة اللون، كما شغلت الزينة الجزء العلوي من الإناء بما فيه الرقبة، بينما باقي الإناء فلا تتجاوز زينة الطلاء فيه اللون الأحمر أو مائل للحمرة، مع اتخاذها أشكالا هندسية مختلفة من مثلثات ومربعات و الأشرطة العريضة والخطوط المتقاطعة والمستقيمة والمموجة⁸.

¹ samuel Noah kramer, l'histoire commence à sumer, libraire Arthaud, paris, 1975, p14, André Parrot, op-cit p93.

² عيد مرعي ملاحظات عن الكتابة المسمارية في إيلا، مجلة الدراسات التاريخية تعنى بتاريخ العرب، ع 55+56، تصدر عن لجنة كتابة تاريخ العرب، دمشق، 1996، ص10.

³ محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص35.

⁴ برهان الدين دلوو، المرجع السابق، ص208.

⁵ Daniel Arnaud, op-cit, p6 .

⁶ عيد الحميد زايد، المرجع السابق، ص32.

⁷ George Contenau, op-cit, p89.

⁸ أحمد أمين سليم، ج5، المرجع السابق، ص146.

والجدير بالذكر أن فخارها انتشر في جنوب العراق مثل: أور، كيش ، الوركاء، تل العقير... الخ ، كما امتد إلى منطقة كركوك عن طريق التجارة ، ووصل حتى مدينة نينوى في الشمال¹ ، حيث عثر على العديد من الجرار والقوارير بيضوية الشكل ، كبيرة ، سمكية و منقوشة بتصاميم هندسية وطبيعية وملون بالأصفر أو باللون الأحمر الممزوج باللون الأصفر أو بدهان أرجواني اللون² ، ولم يقتصر تطورها في الفخار فقط بل شمل حتى فن النحت الذي ازداد اتقانا أكثر بأسلوبه البارز والمجسم³ ، حيث وجدت كتلة من حجارة البازلت تعود إلى هذا العصر ، نحت فيها بشكل بارز منظر من مناظر الصيد يمثل رجلين ملتحيين يصارعان ثلاثة أسود⁴ ، ومنحوتات أخرى لأسود تهاجم ثيرانا وأبطالاً أسطوريين ولخنازير هائجة وحيوانات مفترسة⁵.

بينما التطورات الأخرى فهي في حدّ ذاتها استمرار لما حدث في عصر الوركاء⁶ ، إلا أن علماء الآثار الأجنب أثبتوا بتغير بسيط في أرضية وديكور المعابد⁷ مثل: معبد تل العقير الذي تميز برسومه الجدارية الملونة، وكذا معبد الألف عين في تل براك، الذي كانت منصته مزخرفة بالذهب و الأحجار الكريمة الملونة البراقة⁸، مع استمرار استعمال اللبن في البناء وتزيين جدرانه بالمخاريط الفسيفسائية الملونة، وأقيمت حول هذه المعابد عدد من المنازل والمقرات الإدارية إضافة إلى أماكن معدة لتقديم القرابين⁹.

استخدم في هذا الموقع المعادن وأبرزها معدن المرمر الذي يمثله القناع المرمرى لامرأة، ويعتقد أنه يرتكز على تمثال من الخشب، غير أنه فقد عينه بسبب الظروف الطبيعية ويرجح أن المعدن الذي صنع منه عيني التمثال وحاجبيه من حجر اللازورد أو الكوارتز، ويمثل هذا الرأس الطابع السومري المميز وهو التقاء الحواجب المستديرة عند الأنف والعين¹⁰.

كما عثر على إناء نذري آخر مصنوع من الرخام ، ويبلغ ارتفاعه حوالي 105 سم ويتواجد بالمتحف العراقي ببغداد ، وقسم هذا الإناء إلى ثلاث صفوف ، حيث صور الجانب الأعلى منه الإلهة "إنانا" وغطاء الرأس ينسدل

¹ محمد بيومي مهرا ، مصر والشرق الأدنى القديم "تاريخ العراق القديم" ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1990 ، ص 46.

² محمد عبد القادر خريسات وآخرون ، المرجع السابق ، ص 79.

³ Joseph wiesner , op-cit, p16 , André parrot, op-cit, p 141, 15

⁴ برهان الدين دلوو ، المرجع السابق ، ص 208.

⁵ André parrot , op -cit , p141.

⁶ Hartmut Schmokel ,le monde d Ur Assur et Babylonne ,trad Lily Jumel ,edition Gorrêa Buchet, chastel , 1957 , p16.

⁷ George roux, op-cit, p76

⁸ محمد علي سعد الله ، المرجع السابق ، ص 35.

⁹ Charles Keith Maisels , op-cit , p51.

¹⁰ نعمت إسماعيل علام ، المرجع السابق ، ص 48 , George Roux , op-cit, p77

عليها ، وتمسك بيدها اليسرى بقايا ثوبها ، بينما اليد اليمنى مرفوعة لتبارك بها سلة الفاكهة المقدمة إليها ، كما صورت المعبد والقرايين المقدمة لها ، بينما في الصف الأخير عدد من حيوانات الماشية المنذورة¹ .

وتميزت هذه المرحلة الحضارية بتواجد أختام أسطوانية ذات نقوش إنسانية وحيوانية من أسماك وطيور ، ولكنها لم تكن بمثل الدقة التي عثر عليها في الوركاء² مثل : الختم الأسطواني الأول الموجود في المتحف البريطاني ، والذي يصور مشهداً أسطورياً من خلال صورة الحاكم في رداء مشبك ، وهو يطعم شاة "إنن المقدس" ، أما الختم الثاني الموجود بالمتحف الألماني الذي يحمل العناصر التصويرية³.

أما من الناحية الاقتصادية فقد استمر تنظيم الري وتطور أكثر في الإنتاج الزراعي ، وتقدم الصناعة من أسلحة وأدوات منزلية ، كما انتشر استعمال الأدوات النحاسية بشكل واسع⁴ ، غير أن الخطوة الأكثر أهمية هي تقدم الكتابة المسمارية^{**} والتي مثلت الطور الثاني من العصر الشبيه بالكتابي ، وذلك باختزال عدد علاماتها⁵ ، التي اختصرت من 2000 إشارة إلى ما يقرب من 800 إشارة ثم إلى 600 إشارة⁶.

تطورت الكتابة المسمارية من التعبير بالصور إلى التعبير بالرموز التي أصبحت تشير إلى مقطع صوتي إلى جانب الدلالة على كلمة كاملة⁷ ، بعدما كانت عبارة عن صورة لشيء مادي ومقاربا لمعناه ، لكن نظراً لأشكال العلامات المعقدة والحاجة إلى استعمال عدد جسيم من العلامات الصورية ، جعل الكتابة يلجؤون إلى تبسيطها واختصارها وجعلها ضمن الحدود المعقولة ، وبطرق وأساليب مختلفة وتعويضها بالكتابة الصوتية بدلا من الكتابة الصورية الرمزية⁸ ، سوف نحاول تلخيص أهم المواقع الأثرية المميزة لعصور ما قبل التاريخ في بلاد سومر :

¹ محمد علي سعد الله ، المرجع السابق ، ص 37 ، Joseph Wiesner ,op-cit ,pp 19-20

² عبد الحميد زايد ، المرجع السابق ، ص 33.

³ محمد علي سعد الله ، المرجع السابق ، ص 41.

* استطاعت هذه الحضارة ربط علاقات تجارية مع البلدان المجاورة كمدنية عيلام وشبه الجزيرة العربية وسورية ، وفي هذه الفترة استطاعت أن تؤثر على حضارة عريقة "الحضارة الفرعونية" من خلال العثور على الأختام الأسطوانية في مقابر ما قبل الأسرات المصرية إضافة إلى التأثيرات المعمارية خاصة ما يعرف بنظام الدخلات والخرجات والعثور على رسومات السفن العراقية في لوحات الملوك المصريين .. ، أنظر : علاء الدين عبد المحسن شاهين ، المرجع السابق ، ص 84.

⁴ برهان الدين دلوو ، المرجع السابق ، ص 208

** الكتابة المسمارية : عبارة عن رموز في شكل مسمار أو أسفين نقشها الكتاب القدامى على لوحات من الطين المشوي وتراوح سمكها ما بين 1 و 2,5 سم تقريبا ، ونقشت على النصب التذكارية وعلى المعدن والأختام الأسطوانية ، وطورت ثروتها اللغوية بالمفردات الجديدة ، ولقد استخدمت لتسجيل القوانين والتشريعات العامة والاتفاقيات ذات النصوص الدقيقة وكذا الملاحم والأساطير .. أنظر : توفيق سليمان ، المرجع السابق ، ص 24.

⁵ Samuel Noah Kramer,op-cit,p14, George Contenau,op-cit,p90.

⁶ عبد الحميد زايد ، المرجع السابق ، ص 33.

⁷ André parrot ,op-cit, pp 93-94.

⁸ صمويل نوح كيرمر ، من ألواح سومر ، ترجمة طه باقر ، تقدم ومراجعة أحمد فخري ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ص 457.

عصور ما قبل التاريخ السومري	أقسامه	ملاحظه الحضارية (المواقع الأثرية)
العصر الحجري القديم 500 ألف سنة - 6000 سنة قبل الميلاد	1-العصر الحجري القديم الأسفل (100 ألف سنة قبل الميلاد) .	*موقع بردة بلكة (لواء كركوك). *موقع أسكي (الناحية اليمنى لنهر الزاب الكبير)
	2-العصر الحجري القديم الأوسط (40 ألف سنة قبل الميلاد) .	*موقع هنزار مرد (جنوب السليمانية). *موقع شانيدار "الطبقة D "
	3-العصر الحجري القديم الأعلى (30 ألف سنة قبل الميلاد) .	*موقع زرزى (شمال غرب السليمانية). *موقع كريم شاهر (لواء كركوك). *موقع شانيدار "الطبقة C " *موقع بالي كوره (لواء السليمانية).
العصر الحجري الوسيط (10.000 سنة - 7000 سنة).		*موقع شانيدار "الطبقة B". *موقع كريم شاهر. *موقع ملعفات (لواء الموصل).
العصر الحجري الحديث (6000 سنة قبل الميلاد)		*قرية جرمو (شرق بلدة جمجمال) 6000 سنة ق.م. *قرية تل حسونة (جنوب الموصل) 6000 سنة ق.م. *قرية حلف 4000-3500 ق.م.
العصر الحجري المعدني (النحاسي)		*تل العبيد (أربعة أميال عن أور). *حضارة الوركاء (3500-3200 ق.م). *حضارة جمدة نصر (شمال شرق كيش) 3200-2800 ق.م.

- بتصريف من الطالبة -

لقد استطاعت هذه المراكز الحضارية عبر مختلف العصور الحجرية من الارتقاء بالمستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، والدخول إلى مرحلة تاريخية جديدة بمميزات وخصائص باهرة خاصة بعد الانفتاح الذي انتهجته في سياستها الخارجية ، وعلى هذا الأساس ، فإن التجمعات البشرية البدائية التي تطورت إلى قرى كبيرة ثم إلى مدن صغيرة بمختلف مرافقها- وإن كانت أولية- من إنشاء حضارة متطورة (حضارة ما قبل التاريخ).

تعتبر العوامل الجغرافية لأي حضارة إنسانية عاملاً رئيساً في بناءها ، دون أن ننسى دور الإنسان فالحضارة هي نتاج تفاعل الإنسان مع البيئة الطبيعية، هذه الأخيرة التي تؤثر في سير الحوادث التاريخية وتكسبها طابعاً خاصاً ومميزاً ، والحضارة السومرية كغيرها من الحضارات كانت لها خصائص بيئية ساهمت في قيامها وازدهارها ، حيث انتشرت في كافة أنحاء بلاد الرافدين وقد ساهمت هذه البيئة بخصائصها الطبيعية في استقطاب العديد من الشعوب منهم السومريون، و انطلاقاً من هذا سنحاول دراسة البيئة الجغرافية والسكانية لبلاد سومر ، وكيفية تأثيرها على التنظيم السياسي السومري ؟.

2- جغرافية العراق وتأثيرها على التنظيم السياسي السومري :

أ) الموقع وأصل التسمية:

يعد العراق من بين المناطق الأكثر حظاً وغنى من جيرانه، حيث كان مركزاً هاماً لعوامل التقدم والتطور بسبب الموقع الجغرافي الممتاز ، وكذا خصائصه الطبيعية التي ساهمت في هذا الثراء منذ البداية، باعتباره يقع في الجزء الشمالي الشرقي من الوطن العربي في جنوب غربي آسيا¹ أي من جبال كردستان شمالاً إلى الخليج العربي² . وهو بذلك يمتد من الخليج العربي والجزيرة العربية جنوباً حتى جبال أرمينيا* وزاغروس شمالاً، ومن البوادي السورية غرباً إلى جبال إيران شرقاً³ ، هذا الموقع جعله يقع ضمن منطقة التقاء قارات العالم القديم إفريقيا وآسيا وأوروبا⁴ .

أما سترابون فيعتبر منطقة بلاد ما بين النهرين في كتابه الجغرافي "جغرافية سترابون" بقوله : "إن البلاد التي تحاذي بلاد فارس، هي بلاد آشور، ويفهم من هذا الاسم بلاد بابل وجزء كبير من المنطقة المجاورة، التي تضم

¹ محمد علي سعد الله، المرجع السابق ، ص3.

² سعيد إسماعيل علي، التربية في حضارات الشرق القديم، عالم الكتب، القاهرة، 1999م، ص101.

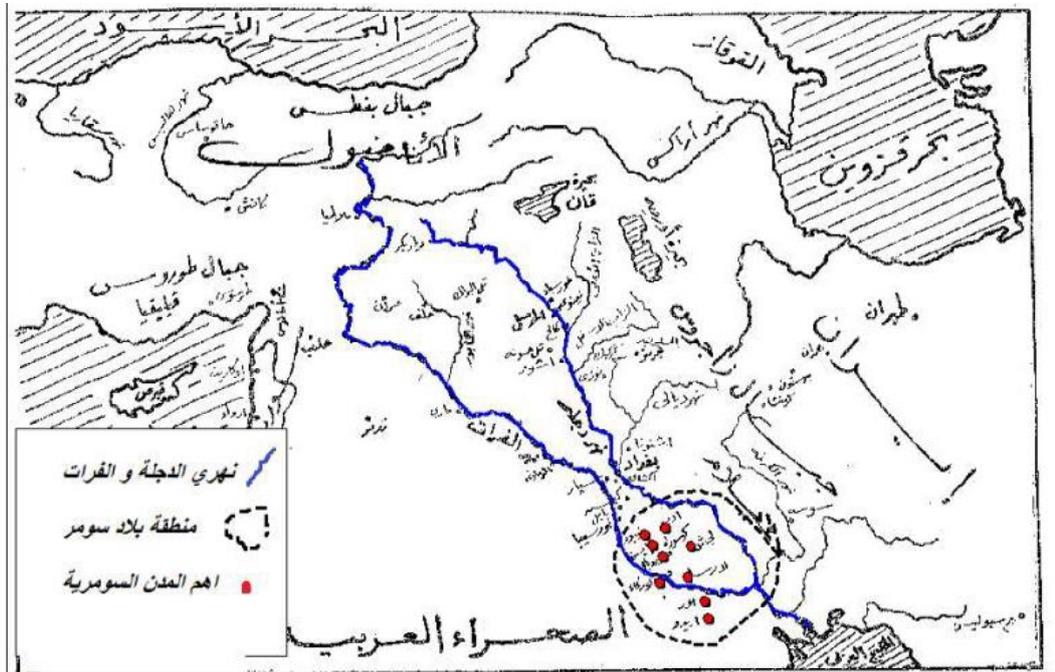
* هضبة أرمينيا: تقع جنوب القوقاز، تحدها من الغرب تركيا ومن الشرق أذربيجان ومن الجنوب الغربي إيران، ومن الشمال جورجيا، أنظر: محمد شفيق عزبال، الموسوعة العربية الميسرة، الدار القومية للطباعة، مصر، 1965م، ص123.

³ وهيب أبي فاضل، موسوعة عالم التاريخ والحضارة "حضارات العالم القديم"، ج8، ط1، دار نوبليس، لبنان، 2003م، ص125.

⁴ أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم (حضارة العراق القديم) ج2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2001م، ص25.

بدورها كل من إقليم آشور ومركزه نينوى، جبال زاغروس... الخ ، وأخيرا الضفة الأخرى لنهر الفرات، هذا الإقليم الواسع الذي يقسم بين العرب والسورين إلى غاية حدود سليسيا*، فينيقيا، فلسطين وسواحل مصر مصر والخليج العربي"¹.

كما وصفت هذه المنطقة -بلاد ما بين النهرين- بالمنطقة الجغرافية المثلثة تقريبا ، وتبلغ مساحتها حوالي مئة وثلاثين ألف ميل مربع تمتد من حلب إلى بحيرة أورمية**، وحتى مدخل شط العرب***، وقد سمحت هذه المؤهلات الجغرافية بنشوء حضارة عريقة في هذا المثلث الجغرافي والتي بلغت أوجها في عهد حكام سومر، وأكد وبابل وأشور² حيث يقع بين خطي الطول 38 و 48 درجة شرقا تقريبا، وخطي العرض 30 و 37,5 درجة شمالا، وعلى مقربة من الخطوط الجنوبية لامتداد مناطق العصور الجليدية³.



الملحق رقم 5: خريطة توضح الموقع الجغرافي لبلاد الرافدين ، -بتصرف من الطالبة -⁴

* سليسيا: إقليم يقع جنوب تركيا ومن أهم مدنه أدنه.

¹ - Strabon, Géographie, livre XVI, trad-par : Amédee Tardien, Paris, 1867,I.

** بحيرة أورمية: بحيرة تقع في محافظة أذربيجان غربي شمال إيران قرب الحدود مع تركيا.

*** شط العرب: هو ناتج عن التقاء نهرَي الدجلة والفرات في مدينة القرية على بعد 375 كلم جنوب بغداد ويبلغ طوله 130 كم، وينتهي في الخليج العربي عند ميناء الفاو، وحول المجرى حزام من النخيل على مدى ميل أو ميلين، ومن خلفه أحراش من القصب...، أنظر: محمد شفيق غريال، المرجع السابق، ص 184.

² محمد عبد القادر خريسات وآخرون ، المرجع السابق ، ص 74.

³ عمر محمد صبحي عبد الحي، الفكر السياسي وأساطير الشرق الأدنى القديم، بلاد ما بين النهرين ومصر القديمة، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1998م، ص 120.

⁴ محمد عبد اللطيف محمد علي ، المرجع السابق ، ص 3 .

أما عن أصل اشتقاق هذه التسمية "العراق" وبداية استخدامها لا زال موضع جدل الباحثين المتخصصين في ذلك:

1- "بلاد سومر" : يعتبر من أقدم التسميات التي أطلقت على المنطقة الواقعة في أقصى جنوبي العراق منذ أواخر عصور فجر السلالات أي في حدود منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد، ثم ظهر مصطلح آخر "**بلاد أكد**" في أواسط الألف الثالث قبل الميلاد ليدل على القسم الشمالي من جنوبي العراق، ومنذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد استخدام مصطلح "**بابل**" للدلالة على بلاد سومر وأكد، وبذلك أصبحت تعني هذه التسمية القسم الجنوبي والأوسط من العراق¹.

2- ميزوبوتاميا " Mésopotamia "² : أطلق الإغريق هذه التسمية التي اشتقت من المصطلح الجغرافي القديم « Mésopotamios » وترجمونه ببلاد ما بين النهرين-دجلة والفرات-³، هذه الأخيرة التي اعتبرها عبد العزيز صالح ترجمة أمينة، غير أنه ينبغي أن تقدر إلى جانبها مواطن الحضارة العراقية القديمة، التي لم تقتصر فقط على ما بين النهرين، وإنما امتدت إلى ما حولهما أيضا، وهو ما تفسره أقدم المواطن الأثرية مثل: العبيد وأريبدو و أور التي قامت غرب الفرات وليس فيما بينه وبين الدجلة، إضافة إلى قيام إشنونا (تل أسمر) شرق الدجلة وليس فيما بينه وبين الفرات⁴.

وقد اختلفت الآراء حول تفسير هذا المصطلح ، حيث يقصد الجغرافي سترابون بهذه التسمية المنطقة الواقعة فيما بين نهري الدجلة والفرات (الدجلة من جهة الشرق بينما نهر الفرات في الجهات الجنوبية الغربية)⁵، بينما يذكر فلكتشتاين إلى أن مصطلح «ميزوبوتاميا» قد يعود بأصوله إلى تسميات عراقية قديمة بورود تسميات مشابهة في النصوص المسمارية ومنها «بيريت ناريم» أو «مات بيرتيم» أو «بيرتيم» وكلها تعني بلاد ما بين النهرين⁶.

3- بارابوتاميا « Parapotamia » : أدرك المؤرخون قصور لفظ ميزوبوتاميا لهذا أضف بعضهم لفظ بارابوتاميا « Parapotamia » أي ما وراء النهرين أو ما حولهما⁷، ولهذا فالمصطلح أصبح يدل بصورة عامة على المنطقة المعروفة باسم العراق حاليا، بالإضافة إلى الجزيرة السورية، لكن الوضع الجغرافي التاريخي لم يكن هكذا

¹ عامر سليمان، أحمد مالك الفتیان، المرجع السابق ، ص ص 25-26.

² Strabon, XVI, XXI.

³ Leonard W.King , Litt .D.F.S.A , op-cit , p7.

⁴ عبد العزيز صالح، المرجع السابق ، ص 267.

⁵ Strabone, XVI, XXI.

⁶ عامر سليمان، أحمد مالك الفتیان، المرجع السابق، ص 27.

⁷ أحمد أمين سليم، ج 5، المرجع السابق، ص 21.

في مراحل تاريخية أقدم، ولهذا فإن تسمية " Mésopotamios " التي أوردها المؤرخ الكلاسيكي بوليبيوس (Polybuis) يحتمل أنها قد استعملت قبله، ثم تبعه المؤرخ الجغرافي سترابون في استعمالها فيما بعد¹.

4- «ارام نهاريم» أو «ارام النهرين» : وردت هذه التسمية في العهد القديم بعد ترجمة التوراة ، حيث ورد في سفر التكوين: «وأخذ العبد عشرة جمال من جمال مولاه ومضى وفي يده من كل خير مولاه، وقام ومضى إلى آرام النهرين إلى مدينة ناجور»²، والتي يقصد بها بلاد «ما بين النهرين»، هذه التسمية التي تمت ترجمتها إلى اليونانية على هيئة «ميزوبوتاميا»³ ، و اختلف المؤرخون في تفسيرها حيث نجد البعض وفي مقدمتهم أحمد أمين أنه يقصد بهذا المصطلح «ارام النهرين» نهر الخابور والفرات وليس الدجلة والفرات ، في حين البعض يقصد بها كما وردت في التوراة على أنه الإقليم الواقع بين نهر الفرات والخابور أو بين الخابور والبالخ⁴.

5- بلاد الرافدين : استخدام الكتاب العرب مصطلح «بلاد الرافدين» عند الحديث عن العراق القديم نظرا لتواجد في إقليمها أهم رافدين في العالم القديم -الدجلة والفرات- ، ورغم ذلك فليس هناك اتفاق على تسمية محددة لأرض الرافدين⁵.

6-العراق : يعتبر هذا المصطلح الاسم الحديث الذي يطلق على المنطقة التي نحن بصدد دراستها ،ففي القرن الثاني عشر قبل الميلاد وردت تسمية على هيئة «اريقا» للدلالة على إقليم في وسط العراق⁶ ، ثم حرفت إلى «ايراق» وعربت إلى عراق أو «العراق»* ،وبعدها اتسع مدلولها ليشمل القسمين الأوسط والشمالى أيضا بعدما كان القسم الجنوبي فقط⁷، و يرجح الباحثون على أنها كلمة فارسية تعني السواد أ والسهل أو البلاد السفلى وأنها

¹ سعيد إسماعيل حلمي، الشرق العربي القديم وحضارته -بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة- مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997، ص ص 101-102.

² سفر التكوين: 24:10.

³ عامر سليمان، أحمد مالك الفتيا، المرجع السابق، ص 27.

⁴ أحمد أمين سليم، ج 5، المرجع السابق، ص 22.

⁵ سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 102.

⁶ طه باقر، المرجع السابق ، ص 7.

* العراق: شاطئ الماء، وخصّ بعضهم شاطئ البحر، سمي بذلك لأنه على شاطئ دجلة، وقيل يمس عراقًا لقربه من البحر وأهل الحجاز، يسمون ما كان قريبا من البحر عراقا، وقيل سمي عراقا لأنه استكف أرض العرب ، وقيل سمي به لتومج عروق الشجر والنخل به، كأنه أراقد عزقا ثم جمع على عراق، وقيل سمي به الحجم سمته إيران شهر، معناه كثيرا النخل والشجر فُعرب العراق اسم عجمي معرب، إنما هو إيران شهر فأعربته العرب، فقال عراق وإيران شهر موضع الملوك... أنظر: ابن منظور، لسان العرب المحيط، قدمه العلامة الشيخ عبد الله العلابي، أعاد بناءه يوسف خياط، مج 4، دار الجليل، بيروت، 1988م، ص 752.

⁷ سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص 102.

وكلمة إيران ذات أصل واحد، وإن ذهب بعض المفسرين العرب إلى أن كلمة العراق تعني «الجرف» أو الساحل أو الشاطئ¹.

في حين هناك من أرجعها لأصل قلم «سومري» أو «سامي» مشتق من كلمة «أوروك» بمعنى المستوطن، وربما له علاقة مع الاسم الذي أطلق على مدينة الوركاء، كما أطلق عليها كذلك أرض السواد* نسبة للقسم الجنوبي²، كما استخدموا مصطلح «الجزيرة» للدلالة على الأراضي الواقعة بين نهري دجلة والفرات حتى حدود بغداد³، ترجع تسمية البلاد باسم السواد إلى كثرة المزروعات والأراضي السوداء المستغلة في الزراعة، ولقد أسهم نهر الدجلة والفرات في طبيعة تكوين هذه المنطقة وتزويدها بالمياه اللازمة للأعمال الزراعية⁴.

بينما السكان المحليين فقد أطلقوا على بلادهم تسميات عديدة حسب الفترات التاريخية، فأطلقوا على جنوب العراق في فجر تاريخه تسمية «مات شوميري» التي تعني بلاد سومر، وذلك في اللغة الأكديّة، أما في اللغة السومرية فكانت (**Kie-en-gi**) والتي تعني أيضاً «أرض زراعية»، أما بلاد بابل فكان يطلق عليها في اللغة الأكديّة تسمية «مات بابل» والتي تعني «بلاد بابل»، والأمر كذلك بالنسبة لآشور التي أطلق عليها «مات آشور»⁵.

(ب)-الأنهار : ارتبط نشوء حضارة العراق وازدهارها منذ البداية بوجود النهرين الكبيرين الدجلة والفرات ، فعلى ضفاف الأنهار تأسست القرى الزراعية الأولى⁶، حيث يقول جورج رو: " كما أطلق هيرودوت مقولته الشهيرة "مصر هبة النيل" بوسعنا نحن أيضاً إطلاق مقولة كهذه على وادي الرافدين لأنه في الحقيقة "هبة النهرين التوأمين دجلة والفرات"⁷.

فهما يلعبان دوراً بالغ الأهمية في ري العراق ومواصلاته وتجارته، ولا يقتصر الأمر على ذلك فحسب، فإن الرافدين يكسبان للعراق أراضي جديدة فالقسم الجنوبي منه دلتا غرينية كونتها ترسبات الغرين الذي حمله الرافدان

¹ أحمد أمين سليم، ج5، المرجع السابق، ص22.

* أرض السواد أو الأرض السوداء الخصبة التي انتشرت على الأقسام الوسطى والجنوبية في حين أطلق اسم الجزيرة على بلاد الرافدين الشمالية... أنظر: محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص03.

² سعيد إسماعيل علي، المرجع السابق، ص102.

³ علاء الدين عبد المحسن شاهين، المرجع السابق ، ص86 .

⁴ أحمد أمين سليم، ج5، المرجع السابق، ص22.

⁵ أحمد أمين سليم، ج5، المرجع السابق، ص23.

⁶ Don Nardo , Life in Ancient Mesopotamia , Reference Point , Inc Printed in T he United States , 2014, p16.
⁷ George Roux , op-cit , p4.

منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ¹، وقد عرف العراقيون القدامى فضل النهرين فأهلوهما وجعلوهما من بين معبوداتهم التي تمثل قوى الطبيعة و لاسيما نهر الفرات².

ينبع نهر دجلة و الفرات من جبال أرمينيا ، في البداية يكونان قريبين جداً من بعضهما ثم يتباعداً جداً ولا يقتربان مرة أخرى إلا عند دخولهما أرض العراق الحالي³، وتذكر الأبحاث و الدراسات التاريخية أن الجزء الأكبر من مجرى النهرين يقع داخل الأراضي العراقية في حين أن جزءاً منها يتنوع ما بين تركيا و سوريا، أي بين سلسلة جبال زاغروس شرقاً و الصحراء السورية و مرتفعات لبنان غرباً⁴، أما عن أصل تسمية هذين النهرين وجغرافيتهما، كان علينا معرفة أصولهما، وهل ارتبط تسميتهما بأصول سومرية أم إلى أصول أخرى؟ ففي البداية سوف نسلط الضوء على :

1-الدجلة : عُرف في النصوص المسمارية باسم (إدكانا) (Idigna) ، و الأكدية باسم (أدجلاتوم أو أديجلات) (Idiglat ou Idiglatum) بمعنى الجاري أو الراوي ومنه جاء الاسم العربي الدجلة⁵.

ينبع نهر الدجلة من جبال أرمينيا جنوب غرب بحيرة وان أو فان (Fan)(Wan) في آسيا الصغرى⁶ وبالتحديد من بحيرة هازارغول (Hazargolm) الصغيرة التي تبعد من بحيرة فان بحوالي 100 ميل إلى الغرب ويتدفق نحو الجنوب و الجنوب الشرقي⁷، ويمر بالقرب من بلدة فيشخابور (العراق) وبعد ذلك يمر بالموصل ونيوى ثم يلتقي به الرافد المسمى الزاب الكبير، وعند وصوله إلى مدينة آشور يتصل به نهر الزاب الصغير⁸، ثم يمر بتكريت ثم سامراء، ويجاور الدجلة نهر الفرات في مدينة بغداد ولكنه ينحرف فيما بعدها بين بغداد و الكوت باتجاه جنوبي شرقي⁹ ويلتقي بنهر دجلة رافد آخر يسمى نهر ديالي ، ويستمر النهر طريقه جنوباً مروراً بالسهل الرسوبي حتى

1 Leonard W.King , Litt .D.F.S.A , op-cit , pp 6-7.

2 برهان الدين دلو ، المرجع السابق ، ص 19.

3 ف دياكوف ،س.كوفاليف ، الحضارات القديمة ، تر: نسيم واكيم اليازجي ، ج1 ، ط1 ، دار علاء الدين ، دمشق ، 2000 ، ص 81.

4 جيمس هنري برستد ، انتصار الحضارة، تاريخ الشرق القلم ، تر: أحمد فخري ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1969 ، ص156.

5 أحمد أمين سليم، ج 2، المرجع السابق، ص 33.

6 توفيق سليمان، دراسات في حضارة غرب آسيا القديمة من أقدم العصور إلى عام 1190ق.م [الشرق الأدنى القديم بلاد ما بين النهرين بلاد الشام] ، ط1، دار دمشق ، 1985 ، ص 101.

7 ستيون لويد ، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري حتى الغزو الفارسي ، تر:محمد طلب ، ط1، مطبعة الشام ، دمشق ، 1993 ، ص 19 .

8 جان كلود مارغون ، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين و سوريا الشمالية ، تر: سالم سليمان العيسى ، ط1 ، دار علاء الدين ، دمشق ،

1999 ، ص 16.

Leonard W.King , Litt .D.F.S.A , op-cit , 8.

يلتقي بنهر الفرات في قرية القرنة على بعد 100 كيلومتر جنوب البصرة وبذلك يشكلان معا شط العرب ، يبلغ طوله 1950 كيلو متر¹ ، وباعتبار أن المناطق التي يخترقها نهر الدجلة كلها جبال وهضاب عالية ، ما جعل مجراه عميقا وضيقا ، و فيضاناته سريعة الانحدار و الاندفاع ، وهو ما يؤثر على موسم الفيضان الذي لا يستغرق عنده ثلاثة أشهر خلال فصل الربيع من كل عام² .

2- نهر الفرات: ورد اسم الفرات في النصوص المسمارية ب بوراتن (buranan) و يرادف ذلك في الأكديّة بوراتي (purati) أو يواتيوم ، ومنه الاسم بالعربية فرات أي الرافد أو الماء العذب³ ، بالإضافة إلى ذلك عرفه البابليون في لغتهم السامية تحت اسم " بورتم" أو " بوراتي" أي الفرات ، ولعل من الاسم البابلي اشتق منه الاسم العربي "الفرات" الذي يعني "الفرع"⁴ ، كما ورد في قوله تعالى: " وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحَجْرًا مَحْجُورًا"⁵ ، فمعنى الفرات في هذا الموضع يقصد به الماء العذب ، وقد وصفه هيروودت بقوله " إن نهر الفرات عريض عميق سريع التيار يتدفق من بلاد أرمينيا"⁶ .

فيما يخص طول نهر الفرات فقد قدر ب 2320 كيلو متر، تنبع مياهه من السلاسل الجبلية قي شرق الأناضول (جبال أرمينيا) وبالتحديد من المناطق الواقعة شمال غرب بحيرة فان (Van)⁷ ، ثم تلتقي روافده لتكون المدى الرئيسي للنهر، ويقطع النهر الحدود التركية و السورية عند مدينة (كرشمش) القديمة - طرابلس حاليا - ومنه يتجه نحو الغرب إلى الشرق ، ويستمر باتجاه البادية السورية ثم يتجه نحو العراقية فيأخذ مجراه باتجاه الجنوب الشرقي وكان الفرات قد غيّر مجراه في السهل الرسوبي عدة مرات خلال العصور المختلفة⁸ ، أما بالنسبة لمساحة حوضه فتقدر بنحو 440 ألف كيلو متر مربع ، ويفيض في الربيع بعد دجلة بأسابيع قليلة ، إلا أن فيضانه تستمر بعد انتهاء فيضان دجلة ، حيث تبدأ في أول الربيع منها النهران وروافدهما⁹ .

¹ جان كلود مارغون ، المرجع السابق ، ص 16.

² توفيق سليمان، المرجع السابق، ص 97.

³ تقي الدباغ وآخرون ، العراق في التاريخ ، دار الحرية للطباعة بالاشتراك مع دار الجليل ، بغداد/بيروت ، 1983 ، ص 47.

⁴ برهان الدين دلوو ، المرجع السابق ، ص 23.

⁵ سورة الفرقان، الآية 53.

⁶ Herodot , Histoires , Trad-par: Legerand les belles lettres , paris ,1936, I, p 178.

⁷ George Roux , op-cit , pp 8-9.

⁸ تقي الدباغ، المرجع السابق ، ص 38-39 ، أحمد أمين سليم ، ج 2، المرجع السابق ، ص 34.

⁹ عبد الوهاب حميد رشيد ، المرجع السابق ، ص 21.

و الفرات هادئ بطيء في مجراه حتى ارتفاعه وانحداره ، وهو يمر بمنخفضات شتى كبحيرة الجنازية مما يخفف من شدة الفيضان¹ ، ومن أهم خصائصه ارتفاع أوديته عن دجلة في الجزء الشمالي منه خاصة بعد دخوله الحدود العراقية وبالتحديد عند قرية الحصبة و بمقدار 8-10 متر تقريبا² .

ومما تجدر ملاحظته أن معظم المدن السومرية كانت تقع على ضفاف نهر الفرات أو أحد روافده، وليست على ضفاف الدجلة، وربما كان ذلك بسبب ارتفاع المياه في نهر الدجلة وضفافه العالية كما ذكرنا سابقا، مما أدى إلى صعوبة مشاريع الري على مياهه بعكس نهر الفرات ، حيث أن ضفاف الأخير كانت منخفضة مما سهل وصول مياهه إلى الأراضي المحيطة به ،ومن أهم المدن السومرية نجد أريدو (أبو شهرين) ،أوما (تل جوخة) لارسا) السنكرة وارك) الوركاء ،أور ولجش وإيسن³ .

لقد كان لنهري الدجلة والفرات أهمية كبيرة في حياة السكان الاقتصادية و لاسيما في مجال إقامة مشاريع الري مما كان له أثره في تنشيط العمليات الزراعية في القرى القديمة التي نمت تدريجيا ثم تحولت إلى مدن في القسم الجنوبي من العراق في حدود الألف الرابع ق م⁴ .

3- شط العرب : يجهل الباحثون زمن التقاء دجلة و الفرات وتكوين شط العرب ، فالنصوص التاريخية تشير إلى أن النهري كانا يصبان منفصلين في الخليج العربي، ومهما يكن من أمر فإن شط العرب يتكون الآن من التقاء دجلة والفرات عند مصب كرمة علي ، ويبلغ طوله حوالي 204 كيلومتر، أما عرضه فيختلف باختلاف المواضع ما بين 400 متر إلى حوالي 1500 متر عند مصب في الخليج ، بينما يضيق عند البصرة إلى حوالي الكيلومتر الواحد⁵ .

ويرجع الباحثون أن منذ ألفي عام اتصلت دلتا نهر الكارون بدلتا الكرخة ووصلتا إلى شط العرب في الجهة الجنوبية للخليج، وسبب هذا الأمر انقطاع جزئي بوصول مياه الدجلة والفرات إلى البحر، وبالتالي اضطراب

¹ رضا جو الهاشمي ، دور نهر الفرات في الامتدادات الحضارية لبلاد وادي الرافدين، مجلة ما بين النهرين، ع 44، بغداد، 1983، ص289.

² عزمي سكر، السومريون في التاريخ، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1999، ص19.

³ نبيلة محمد عبد الحليم، معالم العصر التاريخي في العراق القديم ، دار المعارف ، 1983 ، ص12.

⁴ أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص24.

⁵ جاسم محمد خلف ، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية ، ط1، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، 1965، ص 185، تقي الدباغ ، المرجع

السابق ، ص 41.

هذين النهرين إلى إنزال حملتهما من الطمي الذي كان يفترض أن تحمله تيارات البحر على الأراضي الداخلية، وهو ما سمح بنشوء رصيف منخفض من الفيض سبب انسحاب البحر وتراكم الأتربة والرسوبات¹.

ونتيجة لهذه الظروف، تأثر هذا النهر بأحوال المد والجزر في الخليج العربي الذي يتكرر مرتين يومياً، حيث يصل الفرق بين منسوب المد، ومنسوب الجزر إلى حوالي 1,70 متر في أيام الصيف (موسم هبوط مياه الأنهار) ويقل إلى ما يقرب من 25 سم خلال موسم الفيضان (الربيع)².

وهو بذلك عبارة عن مجرى ملاحى عريض يبدأ من جوار كومة علي، وينتهي في الخليج العربي عند ميناء الفاو³ ويتردد إليه رافد واحد يصب في ضفته اليسرى هو نهر الكارون، الذي يجري بكامله في الأراضي الإيرانية ويصب في شط العرب بالقرب من مدينة خور مشهر (الحمرة الإيرانية) بحيث كان يجلب معه رواسب كثيرة تعيق الملاحة، وتظهر بشكل جزر وسماها المحليون بالسدود: الأول قرب مصب الكارون ويسمى بسد الحمرة والثاني قرب مصب شط العرب ويسمى الفاو⁴.

ج) - المناخ: تشير الدراسات الأثرية والجغرافية إلى أن مناخ العراق القديم قد حلت به تقلبات مناخية كبرى سببها الزحف الجليدي في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، حيث كان يقابل كل عصر جليدي في النصف الشمالي من الكرة الأرضية (أوروبا وأمريكا) عصر ممطر ورطب في الشرق الأدنى القديم، كما يقابل الفترات التي تفصل بين عصرين جليديين فترة جفاف في الشرق الأدنى⁵.

وبذلك كان العراق القديم أثناء العصور الجليدية (البلايستوسين) أكثر رطوبة مما هو عليه الآن، وذلك راجع لسقوط الأمطار بغزارة في فصل الصيف، وكذلك الشتاء، وهو ما ترتب عن هذه العصور وجود مدرجات الأنهار القديمة، مثلما وجد في بعض الأودية في شمال العراق مثل: وادي سنكه سر، وكذلك في حوض نهر الدجلة في منطقة سامراء^{6*}.

¹ برهان الدين دلّو، المرجع السابق، ص 195.

² جاسم محمد خلف، المرجع السابق، ص 185.

³ برهان الدين دلّو، المرجع السابق، ص 195.

⁴ جاسم محمد خلف، المرجع السابق، ص 185.

⁵ عامر سليمان وأحمد مالك الفتیان، المرجع السابق، ص 34.

* منطقة سامراء: تقع إلى الشمال من مدينة الموصل بمسافة 22 ميلاً وعاصرت فترة حسونة (العصر الحجري المعدني) وشهدت أطواراً تاريخية هامة حيث اعتبرت إحدى أهم المستوطنات الأولى في العراق القديم وامتازت بفخارها الملون في عدة مواقع...، أنظر: محمد عبد القادر خريسات وآخرون، المرجع السابق، ص 76.

⁶ أحمد أمين سليم، ج 2، المرجع السابق، ص 35.

غير أن مناخ العراق قد تغير منذ حوالي عشرة آلاف سنة ماضية ، وذلك بحلول الحقبة الدفيئة التي مست العالم بأكمله ، وبذلك استقر مناخ بلاد الرافدين وأصبح لا يختلف كثيراً لما هو عليه الآن ، بحيث انتقل بين المناخ الصحراوي الحار ومناخ البحر الأبيض المتوسط المعتدل¹ .

تقع المنطقة التي نحن بصدد دراستها -بلاد سومر- في القسم الجنوبي من المنطقة المعتدلة حيث تبلغ درجة الحرارة فيها ما يقارب 50 درجة مئوية في النهار ، وتنخفض إلى 27° في الليل ، وهو إقليم جاف إذ لا تمطر إلا في أيام معدودة خلال السنة، و يتراوح سقوط الأمطار فيه ما بين 5-20 سنتيمتر في السنة²، أما في فصل الشتاء فإن درجة الحرارة لا تصل إلى درجة التجمد ويكون الجو دافئاً، ولهذا سُمي مناخ هذه المنطقة بالمناخ الصحراوي ، والذي ساد السهل الرسوبي و الهضبة الغربية³ .

وقد ساد المناخ الانتقالي بين المناخ البحر المتوسط و المناخ الصحراوي منطقة الرسوب والتي يبلغ معدل أمطارها السنوية ما بين 20-40 سنتيمتر ،أما المنطقة الشمالية الجبلية فيتميز مناخها بالشتاء البارد و الثلوج الكثيرة و الصيف المعتدل و الأمطار الغزيرة، حيث يتراوح سقوطها ما بين 40-100 سنتيمتر سنوياً⁴.

ويعد فصل الصيف أطول فصول السنة حيث يستمر خمسة شهور، أما فصل الشتاء فهو قصير و يصل إلى حوالي ثلاثة شهور وتنخفض الحرارة فيه ، وقد كان هناك اختلاف في درجة الحرارة بين شمال العراق و جنوبه حيث وصلت درجة الحرارة في الجنوب خلال شهر يناير 11° مئوية ، بينما في الشمال تصل إلى حوالي 5° مئوية بسبب وجود المرتفعات التي تحيط بمنطقة العراق ، كما أن المرتفعات تكسوها الثلوج خلال فصل الشتاء، بينما فصلا الخريف و الربيع فهما فصلان قصيران يتراوح كل منهما ما بين شهرين أو شهر واحد في جنوب ووسط العراق⁵ .

¹ فؤاد سفر ، البيئة الطبيعية في العراق ، مجلة سومر ، مج 30، ج 1 + 2 ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1974 ، ص 2.

² محمود أمهز ، في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دار النهضة العربية ، 2010 ، ص 14.

³ تقى الدباغ، البيئة الطبيعية والإنسان، حضارة العراق ، ج 1 ، دار الحرية ، بغداد ، 1985 ، ص 16.

⁴ طه باقر ، المرجع السابق ، ص 34.

⁵ أحمد أمين سليم، دراسات في تاريخ وحضارة مصر و الشرق الأدنى القديم، حضارة العراق القديم ، ج 6 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 2002

، ص 36-37.

وقد أدى هذا الاختلاف في التساقط إلى تنوع و التباين في الإنتاج الزراعي خاصة في المناطق التي تعتمد على الأمطار، فانخفاض درجة الحرارة و سقوط الصقيع في فصل الشتاء يؤدي إلى تلف كثير من المحاصيل الزراعية في حين المناطق التي يكثر فيها التساقط يكثر فيها النباتات الطبيعية، أما فيما يتعلق بالأمطار فإن ارتفاع نسبة التساقط السنوي لها يجعل اعتماد الزراعة عليها كلياً كما هو الحال في المنطقة الشمالية ، بينما أدت قلة سقوط الأمطار في جهات أخرى من البلاد إلى الاستعانة بطرق الري من نهري الدجلة والفرات لإرواء الحقول الزراعية¹.

د-الأقاليم التضاريسية: تنقسم الأقاليم التضاريسية في بلاد النهرين إلى ثلاثة أقاليم هي : المنطقة الجبلية، الهضبة الصحراوية والسهل الرسوبي .

1-المنطقة الجبلية : تشغل حوالي خمس مساحة العراق، وهي تصنع قوساً يمتد في الشمال من الغرب إلى الشرق، ويمتد إلى ما وراء الحدود المشتركة مع سوريا في الشمال الغربي وتركيا في الشمال وإيران في الشرق²، وتشبه في شكلها العام الهلال ويتراوح ارتفاعها بين 1000-3600 متراً ، صخورها نارية ورسوبية شديدة المقاومة، وهي معرضة لعملية تعرية مستمرة بالنظر لشدة انحدارها وكثرة أمطارها³.

وعلى هذا الأساس فهي تشمل الجبال العالية والمرتفعات شبه الجبلية، والتي امتدت من جهات البلاد الشمالية والشمالية الشرقية إلى حدودها المشتركة مع إيران وتركيا وسوريا، وتتلاشى عند حدود السهل الرسوبي والهضبة الصحراوية، كما أن قممها الشمالية* تكسوها الثلوج طوال العام⁴، وتغطيها الغابات والحشائش نظراً لنسبة الأمطار العالية والمساعدة على نمو الكثير من النباتات والأشجار ، وهو ما جعلها ملائمة لعيش الحيوانات المختلفة⁵.

¹ حسين يوسف حازم، اقتصاد القرى الزراعية خلال العصرين الحجريين الحديث والمعدي في العراق القديم، مذكرة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2006 ، ص 20.

² أحمد أمين سليم، ج2، المرجع السابق، ص29.

³ عامر سليمان وأحمد مالك الفتيان، المرجع السابق، ص30.

* السلسلة الجبلية الشمالية تتألف من جبال كردستان والتي تسمى في بعض نواحيها (زاجروس) الواقعة على الحدود بين العراق وإيران، بينما حدودها الجنوبية تتألف من جبال حميرين ومكحول والعطشان وتلعفر وسنحار....، أنظر: عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص14.

⁴ أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص29.

⁵ عامر سليمان وأحمد مالك الفتيان، المرجع السابق، ص30.

وقد احتلت هذه الجبال أهمية كبيرة في العراق كونها المصدر الرئيسي الذي تنبع منه جميع روافد نهر الدجلة مثل: الخابور، الزاب الكبير، الزاب الصغير، ديالى، حيث تمول هذه الروافد نهر الدجلة حوالي 70% من مياهه، وتجري هذه الروافد نحو الجنوب الغربي عابرة السلاسل الجبلية بصورة عمودية¹.

وتخلل هذه المنطقة الجبلية وديان وسهول مثل: سهل شهرزور، سهل كركوك* وسهل أربيل** وسهل مخمور.. الخ، كما اشتهرت بزراعة الحبوب خاصة القمح والشعير، وقد ساعدت كثرة روافده كذلك بنمو أشجار الفاكهة والحبوب في السهول والوديان، وانتشار الغابات على سفوح الجبال، وتكاثر الحشائش والنباتات الطبيعية الأخرى².

كل هذه الظروف شجعت الإنسان العراقي القديم من اتخاذ هذه المناطق كمراكز الاستيطان البدائي من تشييد الكهوف و المغارات، والتي خلف فيها متوجه الحضاري خلال العصور الحجرية القديمة، حيث أسفرت الحفريات التي أجريت في سفوح جبال زاخروس، من طرف البعثات الأثرية الأمريكية رفقة فريق من الأثريين وعلماء الطبيعة أمثال: "R.J.Braidwood" و" B.Home" بالكشف عن العديد من المواقع الأثرية التي ترجع إلى مرحلة العصر الحجري القديم³.

2-الهضبة الصحراوية: تقع هذه الهضبة غربي العراق وتحتل أكثر من نصف مساحته الكلية (60%)، ويتراوح ارتفاعها في حدود 100-1000 مترا عن مستوى سطح البحر، وهي جزء متمم من بادية الشام، وتمتد إلى قلب الجزيرة العربية⁴، بينما أراضيها فهي متموجة تقطعها مجموعة من الوديان الطويلة، وتظهر فيها بعض التلال الصغيرة والكثبان الرملية، أما سطحها فينحدر من الغرب إلى الشرق وتنتهي بالسهل الرسوبي⁵.

أما من ناحية كمية الأمطار المتساقطة فتتميز بتفاوتها من منطقة إلى أخرى، ففي الشمال أكثر منها في الجنوب وقد نتج عن ذلك كثرة الوديان في الشمال، وقلتها في الجنوب، في حين تربتها كلسية أو رملية لا تساعد على نمو النباتات إلا في الواحات يتخللها عدد من الكثبان الرملية، وقد شكلت مصدرا رئيسياً لهجرات القبائل

¹ أحمد أمين سليم، ج2، المرجع السابق، ص29.

* كركوك: تقع المدينة على الطريق الشمالي الممتد بين بغداد إلى السلمانية وهي من أهم المدن العراقية.

** أربيل: يقع شمال العراق في منطقة شبه جبلية إلى الغرب من سفوح جبال كروستان بين نهر الزاب الأعلى والزاب الأسفل واسمها مشتق من الربل وهو ضرب من الشجر الجبلي المتلف الساق والطويل...، أنظر: آمنة أبو حجر، موسوعة المدن العربية، ط1، دار الأسامة، عمان، 2003، ص229.

² عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص17.

³ -

George Roux , op-cit , pp 29, 31.

⁴ عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص18.

⁵ عامر سليمان وأحمد مالك الفتیان، المرجع السابق، ص31.

من الجزيرة العربية إليها حسب الفترات التاريخية السابقة¹ ، وأمام هذه المميزات والخصائص الطبيعية، فإننا يمكن تقسيم هذه الهضبة إلى قسمين متميزين وفقاً لتباين الصخور والتربة والنبات الطبيعي وكميات الأمطار المتساقطة إلى:

1- هضبة الجزيرة: تحتل منطقة الجزيرة مساحة تقرب من 83 ألف كيلومتر، ويحدها من الشمال مرتفعات مكحول وعداية وإبراهيم وسنجار، وتكون البادية الغربية والسهل الرسوبي حدودها الجنوبية وتتأخم حدودها الشرقية سلسلة جبال حميرين .

يتكون سطح هضبة الجزيرة من أرض سهلية منبسطة تتخللها هضاب وروابي وكثبان رملية وبحيرات وأودية ومنخفضات تجمعت فيها المياه والأملاح ، فضلاً عن ذلك فإن قسماً كبيراً من المنطقة تغطيه ترسبات حديثة نقلتها الرياح والمياه²، وتمتد المنطقة بتوفر ظروف مناخية ملائمة و لاسيما عند سقوط الأمطار الكافية فموسمي الشتاء و الربيع لنمو المحاصيل الزراعية وقيام مراعي خصبة خصوصاً في أقسامها الشمالية مما ساعد على قيام بعض القرى الزراعية³.

2- هضبة البادية الغربية : تجاور هذه الهضبة مجرى نهر الفرات من الشرق، وتتشرك مع بادية الشام، حيث تمتد إلى داخل شبه الجزيرة العربية، كما يتخللها عدد من الأودية التي تجري فيها مياه الأمطار، وتنتهي هذه المنطقة بمنخفضات واسعة كمنخفض الحبانة وهور أبي ديس⁴.

وتشير الأبحاث إلى أن هذه المنطقة تميزت بقلة أمطارها المتساقطة مما أدى إلى قلة المراعي بها، إضافة إلى تربتها الرملية أو الكلسية ، والتي لم تساعد على نمو النباتات إلا في بعض الواحات، وبالرغم من أن حركة السكان كانت بها محدودة إلا أنه لم يمنع من نزوح الأقوام القديمة من شبه الجزيرة العربية إلى أرض العراق الخصبة، وقامت على الطريق الذي سلكته هذه الأقوام مراكز حضارية هامة⁵ ، بالرغم من أن البادية لم تكن من الناحية الحضارية قديماً جزءاً مهماً من العراق، ولكنها كانت منفذاً لاستقبال هذه الهجرات منذ أقدم العصور.

¹ عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص19.

² تقي الدباغ، مرجع سابق، ص 32

³ طه باقر، مرجع سابق ، ص 39 .

⁴ السعدي حسن محي الدين ، المرجع السابق ، ص 18.

⁵ عامر سليمان وأحمد مالك الفتیان، المرجع السابق، ص31.

3 - السهل الرسوبي: يعتبر السهل الرسوبي ثالث مظاهر السطح في العراق ، ويشغل حوالي خمس مساحة العراق¹ ، حيث يمتد على شكل مستطيل من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي بين مدينة تكريت على نهر دجلة ومدينة الرمادي (مدينة هيت) على الفرات من جهة الغرب، والبادية الجنوبية، والخليج العربي من جهة الجنوب.

يبلغ طوله حوالي 650 كلم بينما يتراوح عرضه بين 45 و140 كلم ويخترقه نهر الدجلة والفرات اللذين يسيران في أرض منخفضة لا يتجاوز ارتفاعها 32 متراً عن سطح البحر، وقد ساعد ارتفاع وادي الفرات في القسم الشمالي من السهل في شق الجداول بشكل عكسي² عند منطقة الكوت الناصرية³.

وأمام هذه الأنهار والجداول التي ميزت هذه المنطقة، جعلتها تتعرض لأعنف الفيضانات التي تصل إلى حد التدمير، وهو ما كان سبباً في تكثيف جهود العراقيين لمواجهة هذه الأخطار، مهيّدةً بذلك لبداية الاستقرار الزراعي والبشري⁴ ، فشقوا جداول كثيرة من الفرات باتجاه الدجلة، كما أقاموا مشاريع الري في الجنوب من الدجلة باتجاه الفرات⁵.

وفي هذا الصدد يذكر الباحثين بتواجد بعض التلال الصغيرة المتناثرة، وكذا الضفاف النهرية القديمة التي تظهر بشكل ضلوع تلالية طويلة لا يزيد ارتفاعها عن ستة أمتار، وهو ما أثر في جريان نهر الدجلة والفرات وتباطؤها عبر السهل نحو الخليج، وكذا تفرع نهر الفرات إلى عدد من الشطوط أهمها: شط الهندية، وشط الحلة... الخ، كما أدى الاستواء الشديد إلى فيضان مياه النهرين على الجانبين مغرقةً بذلك مساحات واسعة ، وتحويلها إلى مستنقعات دائمة عرفت باسم الأهوار وأهمها «هور الحمار»، «هور السعدية»⁶ ، هذه الأخيرة التي استطاعت أن تشكل جزءاً متميزاً من سطح العراق بنسبة 15 ألف كم²، ويعيش سكانها حياة بدائية مكيفة مع بيئتها، كما سمحت بحيراتها الضحلة ومسالكها المائية الضيقة بمعيشة أنواع معينة من النباتات والأسماك والحيوانات من الجاموس والخنائير والطيور البرية⁷.

¹ أحمد أمين سليم، ج2، المرجع السابق، ص31.

² عامر سليمان وأحمد مالك الفتیان، المرجع السابق، ص32.

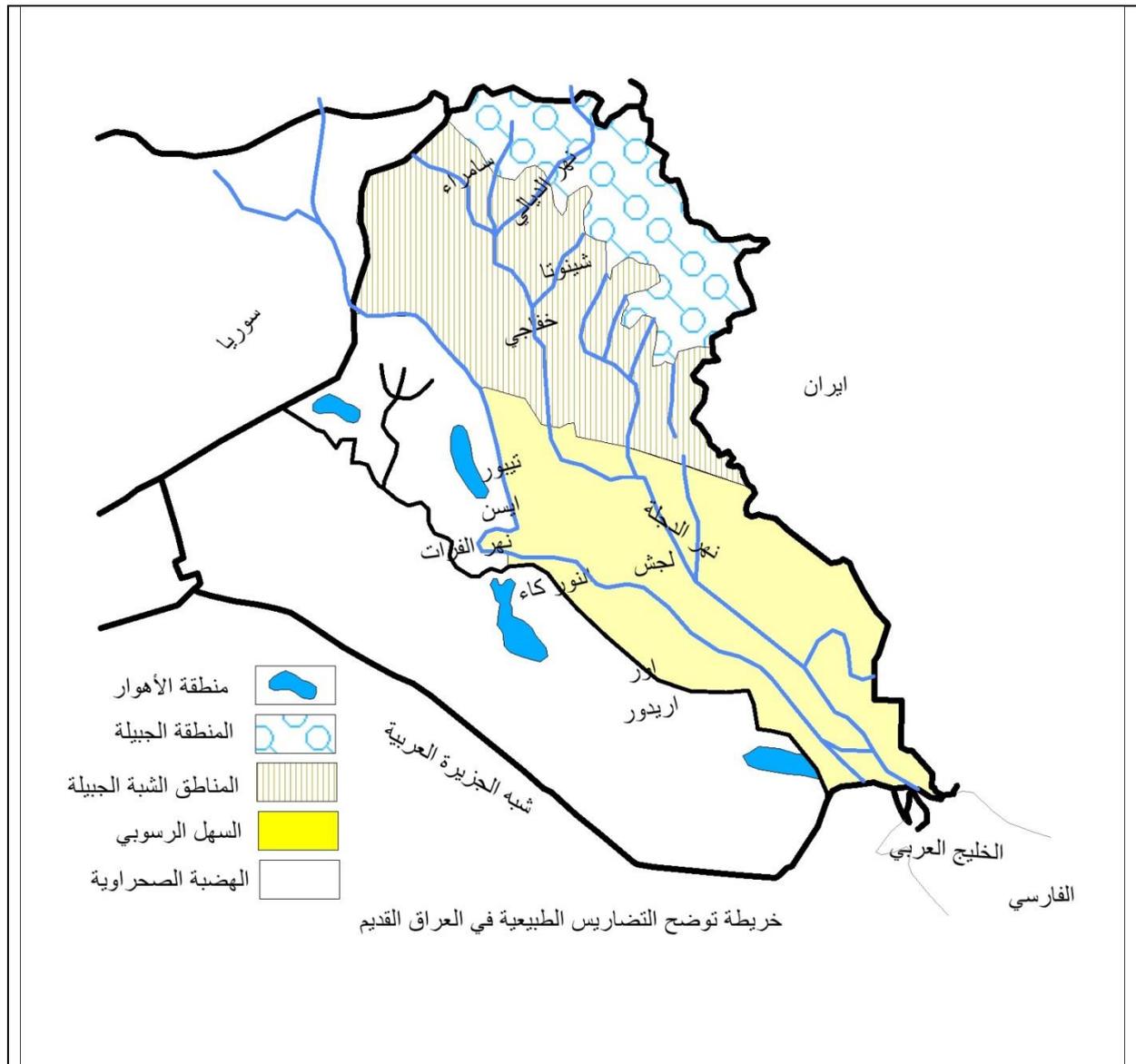
³ عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص19.

⁴ محمد عبد اللطيف محمد علي، تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث ق. م، دار الإسكندرية، القاهرة، 1977، ص15.

⁵ عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص19.

⁶ أحمد أمين سليم، ج2، المرجع السابق، ص ص31-32.

⁷ عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص19.



الملحق رقم 6: خريطة توضح الأقاليم التضاريسية في بلاد الرافدين

3- المسألة السومرية:

في بداية حديثنا عن بلاد الرافدين أشرنا إلى موقعه بصفة عامة، وأصل التسميات التي أطلقت عليه عبر مختلف العصور، وحسب كل طرف، غير أن موضوعنا يندرج ضمن القسم الجنوبي لبلاد الرافدين، وعلى هذا الأساس لا بد علينا من تسليط الضوء على هذه المنطقة باعتبارها كانت نقطة تحول كبيرة في تاريخ العراق القديم نظرا

¹ أحمد أمين سليم، ج 5، المرجع السابق، ص 45، جاسم محمد خلف، جغرافية العراق الطبيعية....، المرجع السابق، ص 42.

للتغيرات الجذرية التي لحقت به من كل الجوانب (السياسية ، الثقافية ، الاجتماعية ... الخ)، ولهذا يمكننا أن نطرح الإشكالية التالية: أين تقع بلاد سومر؟ وإلى أي مدى استطاع سكانها رسم تاريخهم السياسي؟ .

أ- موقع بلاد سومر وأصل التسمية : تقع بلاد سومر في النصف الأسفل من بلاد ما بين النهرين أي النصف الجنوبي، الذي يبدأ من بغداد الحالية إلى الخليج العربي تقريبا بحوالي عشرة آلاف ميل تقريبا¹، حيث يحدها من الشمال أرض أكاد ، ولم تكن هناك حدود واضحة بينهما ومن الشرق بلاد عيلام² ، ومن الجنوب الخليج العربي و الغرب الصحراء العربية³ ، وقدر المؤرخون مساحة بلاد سومر في بداية الألف الثالث قبل الميلاد بحوالي 25 ألف كم² ، ورغم صغر مساحتها، لم يمنع من قيام دويلات سومرية متفرقة في جنوب العراق⁴ .

أما من ناحية المناخ وطبيعته ، فإن الباحثون يعتبرون مناخها تغير تماما عمّا كان عليه في السابق بسبب تغير مجاري الأنهار وروافدها ، وكذا تغير المناخ في حد ذاته من ارتفاع الحرارة وانخفاضها، كل هذه العوامل ساهمت في تباين مناخ سومر بين القديم والحاضر، والذي أصبح يتميز بمناخ حار وجاف للغاية ، وتربة قاحلة تعصف بها الرياح وأرضية مستوية، وهي من صنع الأنهار، ولذلك لا يوجد فيها أي نوع من أنواع المعادن، وتفتقر إلى الحجر بدرجة كبيرة⁵ .

لكن فيما يتعلق بأصل تسمية المنطقة ، لم يكن اسم السومريين و بلاد سومر معروفاً قبل عام 1869م ، إذ أن الباحثين و المنقبين الذين تصدروا البحث في تاريخ حضارة بلاد الرافدين القديمة واكتشاف أسرارها وخبائها، إنما كانوا يسعون للبحث في الحضارة البابلية و الآشورية ولم يكن يدور في فكرهم أن هناك حضارة أخرى سبقت تلك الحضارتين في الظهور ، وكانت هي الأساس لهما ألا وهي الحضارة السومرية⁶ .

وتركز أولئك الباحثون في سعيهم لدراسات البحثية التاريخية على ما ورد في التوراة و الكتب الكلاسيكية و التي كانت شبه خالية من أي ذكر للسومريين و الحضارة السومرية فأخبارهم اقتصر على الحضارتين البابلية والآشورية⁷ .

¹ Samuel Noah Kramer , the sumériens , university of Chicago , América , 1963, p3.

² إبراهيم الشريف، الموقع الجغرافي للعراق أثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي، ج1، بغداد ، ص 17.

³ نبيلة محمد عبد الخليم، المرجع السابق ، ص 12.

⁴ سعيد إسماعيل علي ، المرجع السابق ، ص 112.

⁵ محمد علي سعد الله ، المرجع السابق ، ص 67.

⁶ هاري ساركز، عظمة بابل ، تر: عامر سليمان ، الموصل، 1979، ص 12.

⁷ طه باقر، المرجع السابق ، ص 2.

ورد ذكر مصطلح السومريين لأول مرة على لسان الباحث و الأثري الفرنسي يوليس اوبرت (Youles Opport) في محاضرة ألقاها في القسم الإثنوغرافي والتاريخي في الجمعية الفرنسية للآثار والمسكوكات في 1869/12/17م ، حيث أطلق على القوم الذين تكلموا باللغة السومرية تسمية السومريين معتمدا في ذلك على ألقاب ملوك حضارة وادي الرافديين ، وهو لقب ملك بلاد سومر و أكد ، ويكتب بالنص السومري (LugaalKi-en-gl-ki-uri) ، و باللغة البابلية (Sharmat Shumerin Akkadin) ، وقد ظهر هذا اللقب في بداية تأسيس سلالة أور الثالثة (2112-2004) ق.م ، غير أن أول من استعمله هو ملك الوركاء أتو جيكال* (2230-2120) ق.م و الذي عُرف بطرده للكوتيين** ، وتحرير البلاد منهم¹ .

وجاءت تسميتها أيضا في الكتابات المسمارية باسم بلاد سومر بالمصطلح السومري (Ki-En-Gi) و بالأكدي (Mat-Sumerin) ، ولم يحدد معناها على وجه التأكيد ، وقد تم التعبير عنها في بعض النصوص السومرية باسم "كلام" أو كالاما "Kalam" ، و الذي رمزت إليها نصوص أخرى بمجموعة العلامات الكتابية "كي-إن-جي" «Kin-en-ge»² والذي يرادف في اللغة السومرية "البلاد" ، "الإقليم" ، "السهل" ، أو البر³ . هذا المصطلح الذي يعتبره أحمد سوسة أنه ظهر لأول مرة في كتابة قديمة تعود إلى ملك الوركاء "اينسا كوسانا" Ensakusana في حوالي 2450 ق.م ، حيث كان يطلق اسم "Kin-en-ge" على المنطقة المختصة بمدينة "نفر" المقدسة⁴ ، وأصبحت البلاد بذلك تعرف في العصور اللاحقة بمصطلح بلاد أكد أو بلاد بابل⁵ ، وينبغي

* أوتوجيكال : مؤسس السلالة الثانية في الوركاء (أوروك) (2114-2120 ق.م) ، يعتقد أن في زمنه تم تدوين القوائم الملكية حتى يحتفظ التاريخ السياسي السومري ، لكنه اشتهر بإنجازاته التي قام بها في المدينة من حيث انه أول من تحمل مسؤولية تحرير بلاده وإنقاذها من قبضة الكوتيين ، حيث تمكن من اخذ بركة آلهة الحرب نانا و قام على رأس جيش من الأهالي مدنيين أوروك بمهاجمتهم ، و انتصر عليهم واسر ملكهم ...، انظر: هنري. س. عبود، معجم الحضارات السامية ، ط2، جروس برس، طرابلس ، لبنان ، 1991، ص 146.

** الكوتيون : هم شعب من أهالي جبال زغروس ، على السفح الغربي للهضبة الإيرانية ، وللمزيد ينظر إلى الفصل الأول من الباب الرابع .

¹ طه باقر، المرجع السابق ، ص75.

² عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص585.

³ ناثل حنون ، حقيقة السومريين ، ط1، دار الزمان ، دمشق ، سوريا ، 2007 ، ص24.

⁴ أحمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافديين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية، ج1، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983م، ص373.

⁵ صموئيل نوح كيرمر، السومريون وتراثهم الحضاري ، تر: فيصل الوائلي ، دار غريب ، الكويت، 1973، ص3.

أن نشير إلى أنه في العصور التاريخية استخدمت صفة سومري نسبة إلى سومر ، وهو مصطلح جغرافي يدل على إقليم الجنوبي من أرض العراق القديم¹ .

ثم ذكرتها فيما بعد نصوص قديمة باسم "سومر" أو "شومر"، والذي يعتقد أنه مصطلح قديم نُطق على ألسنة أصحابه قبل ذلك بزمان طويل، ثم اتسع هذا المصطلح، وأصبح يطلق على أهله الذين عرفهم التاريخ باسم "السومريين"، كما استخدمه خلفائهم الساميون في قولهم "مات شوميريم" بمعنى "أرض شومير"² ويجمع المؤرخون بأن معنى هذه التسميات التي أطلقت على هذه المنطقة هي الأرض أو البلاد الجزء الجنوبي من بلاد الرافدين، أو بمعنى "أرض سيد القصب"³.

وبالتالي أصبحت هذه التسمية تدل على مصطلح مشتق من المنطقة التي سكنها السومريون، ولا تعبر على أصل أو عرق، بل هي مرتبطة باسم المنطقة التي استوطنوها "بلاد سومر"⁴ والذي أصبح متداولاً على هذا القسم الجنوبي الشرقي عند رأس الخليج العربي، وظهر للعيان أكثر منذ بداية الألف الثالثة قى الميلاد⁵. وكان العرب يطلقون على القسم الجنوبي من العراق اسم أرض السواد ، وهو يطابق هذه التسمية⁶ ، وترجع تسمية البلاد باسم السواد إلى كثرة المزروعات والأراضي السوداء المستغلة في الزراعة ولقد أسهم نهر الدجلة والفرات في طبيعة التكوين هذه المنطقة و تزويدها بالمياه اللازمة للأعمال الزراعية⁷ .

ب- إشكالية أصل السومريين :

1-تعريفهم : اختلفت آراء المؤرخين و الباحثين في إعطاء تعريف دقيق للسومريين ، فنجد من رأي أنهم سكان بلاد الرافدين الأصليين الذين قد رأينا أسلافهم قد أقاموا أقدم القرى الزراعية في شمال بلاد الرافدين، والتي تمثلت في أدوار عصور ما قبل التاريخ، انحدروا إلى جنوب بلاد الرافدين في نهاية العصر الحجري المعدني بعد أن تيسر

¹ عيد مرعي ، محمد حرب فرزات ، دول وحضارات الشرق القديم ، ط2 ، دار طلاس ، دمشق ، 1994، ص 54.

² عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص585، عبد الحكيم الذنون، الذكرة الأولى، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري القديم لبلاد الرافدين، ط2، دار المعرفة، دمشق، 1993م، ص24.

³ علاء الدين عبد المحسن شاهين، المرجع السابق، ص80.

⁴ عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص44.

⁵ عيسى الحسن، موسوعة الحضارات "تاريخ، لغات، أعلام وقيم حضارية، مدن عادات وتقاليده، ط1، دار الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2007م، ص401.

⁶ تقي الدباغ، المرجع السابق، ص15.

⁷ أحمد أمين سليم، ج2، المرجع السابق، ص22.

لهم سبل العيش هناك¹، وبالتالي فهم من أوائل الشعوب التي سكنت بلاد الرافدين ، ومن أقدم الشعوب التي استطاعت وضع لبنات الحضارة الأولى في القسم الجنوبي منه منذ مطلع الألف الثالثة قبل الميلاد².

وفي هذا الصدد يقول طه باقر: "هم أحد الأقوام الذين عاشوا في جهة ما من وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ، ثم استقروا في السهل الرسوبي منه في حدود الألف الخامسة قبل الميلاد أو بعد ذلك الزمن"³، تلقبوا بالعديد من الألقاب ، ولعل أهمها "أصحاب الرؤوس السوداء" أو "ذي الرؤوس السود"⁴.

واستنادًا إلى بعض علماء علم الإنسان الذين انطلقوا من نتائج بحوث علم الأجناس التي أجريت على عدد قليل من الهياكل العظيمة المتفتتة، بأن الإنسان السومري يتميز برأسه المتطاول ، لكن الأبحاث فيما بعد أثبتت عكس ذلك حيث ظهروا قصار الرؤوس ، وذوي جبهة مضغوطة إلى الخلف (كجبهة الفرد) ، وأنف متضخم وكبير⁵ ، كما صورت المناظر والتماثيل السومرية أهلها أميل إلى الإمتلاء، قصار القامة، ممتلئ الأجسام، شَم الأنوف، منحدري الجباه إلى أعلى، عيون مائلة إلى الأسفل، وكان كثيرون منهم ملتحين، وبعضهم حلقين، وجلهم يحفون شواربهم (حليقي الشوارب)⁶ ، هؤلاء السومريين كانوا شعبا سمر اللون ذا وشائج رافيدية أو إيرانية⁷.

كما تتميز شعر الرأس لديهم بالاختلاف فمنهم الحليق والقصير والطويل المعقوص والمرسل على هيئة الضفائر، وإن بدا في الآثار طويلا كثيفا مرسلا على الكتفين وأقرب على هيئة الشعر المستعار⁸ ، في حين تميزت ثيابهم التي عرفت باسم كوناكو "Kunakes"⁹ بالتنوع وأكثرها نصف فضفاضة تبدأ تشبة عريضة مطوية عند الخصر تؤدي عرض الحزام، وتمتد إلى ما تحت الركبة، وغالبا ما يظهر الحكام السومريون بعباءات واسعة، التي يعتقد أنها مصنوعة من أصواف الأغنام، بحيث تغطي الكتف اليسرى وجزءًا من ذراعها، وتقر من تحت الإبط الكتف اليمنى، كما ظهر بعض الحكام والخاصة بمعاطف فريدة مزركشة يتصل طرفها أسفل الرقبة¹⁰.

¹ عبد القادر الشبخلي ، الموجز في تاريخ العراق ، بغداد ، 1990 ، ص 82.

² Jaques Pirenne, civilisations Antiques , Albin Michel, paris, 1951, p23.

³ طه باقر، المرجع السابق، ص23.

⁴ عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص45.

⁵ أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص33.

⁶ ول ديورانت، قصة الحضارة "نشأة حضارة الشرق الأدنى"، تقلد محي الدين صابر، تر: زكي نجيب محمود، ج1، دار الجليل، بيروت، 1998م، ص15.

⁷ هيرت ج. ولز، معالم تاريخ العالم، تر: عبد العزيز توفيق، مراجعة محمد مأمون نجما، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1963م، ص200

⁸ عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص586.

⁹ عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص25.

¹⁰ عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص586.

أما الخدم رجالاً ونساءً فقد ظلوا يمشون عراة من الرأس إلى وسط الجسم إذا كانوا في داخل البيوت، كما لبسوا في العادة قلانس على رؤوسهم وأخفاً في أقدامهم، وكانت النساء السومريات يتزين بالقلائد والخلائل والأقراط، وذلك حسب مكانة الفرد السومري¹.



الملحق رقم 7 : المظهر الخارجي للسومريين القدامى .

هذه هي من أهم الصفات التي تميز بها السومريون الذين كان لهم شأن كبير في تاريخ الحضارات القديمة، واستطاعوا رسم أعرق وأنضج حضارة في الشرق القديم، ألا وهي الحضارة السومرية التي استطاعت دفع دواليب التقدم والازدهار، لكن لا بد علينا من معرفة بُناة هذه الحضارة ومن أين جاؤوا إلى هذه المنطقة؟ وما هي أصولهم؟

2- إشكالية أصل السومريين : منذ بداية تسليط الضوء على دراسة مخلفات الحضارة السومرية قبل حوالي القرن من الزمن، و لا يزال البحث جاري و مستمر حول معرفة أصل السومريين ، الذين يعتبرون من أقدم الشعوب التي وضعت أسس الأولى للحضارة في القسم الجنوبي لبلاد الرافدين ،ومما زاد من شأنه ومكانتهم العظيمة هي تلك الاكتشافات أثرية والكتابات السومرية التي تعطي لنا جوانب مشرقة من إنجازاتهم في مختلف مناحي الحياة³.

في ظل الأبحاث و التنقيبات الأثرية لم يقدم دليل قاطع و فاصل في شأن أصل السومريين وذلك راجع إلى اختلافات الباحثين، إذ أن كل باحث يقدم وجهة نظر معتمداً على دلائل كتابية أو هياكل عظمية أو إلى اللغات

¹ سامي ربحانا، تاريخ الحضارات شعوب الشرق الأدنى القديم، نوبليس، ص 59.

² ايچ . أي . ايل . ملرش ، المرجع السابق ، ص 25.

³ فاضل عبد الواحد ، السومريون وأكاديون " العراق في القديم " ، بغداد ، 1983 ، ص 226.

أو إحداه مقارنات بين الحضارة السومرية و بقية الحضارات الأخرى، وبذلك لم يتوصلوا إلى رأي فاصل ونهائي حول أصل هؤلاء القوم¹.

وبناءً على ذلك فقد اعتبرت مسألة تحديد أصل السومريين من المشاكل المستعصية، وهذا في ظل تباين واختلاف آراء و مواقف بين الباحثين ، حيث طرحت العديد من الآراء بشأن ، أصل هؤلاء القوم، ولقد استندت أغلب الدراسات إلى الجانب اللغوي أو إلى المخلفات الصناعية الفخارية أو إلى الدراسات الهياكل العظمية وهذا ما سنتعرف إليه في دراستنا هذه .

فمن ناحية الدراسات اللغوية ، ومن خلال إحداه مقارنات بين اللغة السومرية* مع لغات أخرى عرفنا من خلالها أن اللغة السومرية تكاد تكون لغة منفردة بنفسها إذ لا يمكن تصنيفها ،أو إرجاعها إلى إحدى العائلات اللغوية المعروفة الآن فهي ليست من عائلة اللغات الهندوأرية، غير أنها وصفت من نوع اللغات المعروفة باللغات الملتصقة (Agglutinative)² ، وهي لغة لا يمكن تصنيفها ضمن أية أسرة لغوية معروفة ، وقد اعتقد بعض الباحثين بأن اللغة السومرية لها علاقة بالتركية أو القوقازية لوجود ظاهرة التركيب المزجي في تركيب المفردات فيهما، وتختلف اللغة السومرية في خصائصها البنيوية عن الأكادية وغيرها من لغات الشرق العربي المعربة كالكنعانية و الآرامية وأما وجود كثير من المفردات الأكادية في السومرية فمرده إلى تعاصر كلتا اللغتين طوال ثلاثة آلاف عام³ ، وبهذا فقد اعتبر بعض الباحثين إن لم نقل جلهم إن اللغة السومرية لا تنتمي إلى إحدى العائلات اللغوية الثلاث وهي عائلة السامية و الحامية أو الهند وأوروبية كما ثبت عدم اتصال تلك اللغة باللغات الأخرى مثل الصينية و الإفريقية و الدرافيدية والهنكارية⁴.

¹ - Samuel Noah Kramer , sumerians mythology , library of Congress Cataloging in biblication , New York , 1961, p21.

* اللغة السومرية : هي من اللغات المركبة تركيباً مزيجاً (Agglutinative) وفيها تصق كلمة بكلمة أخرى أو أكثر لتكوين كلمة جديدة وتضاف إليها السوابق و اللواحق و المخصصات أو المعترفات وتعود أقدم النصوص السومرية المعروفة إلى النصف الأول من الألف الثالثة ق م ...، أنظر عيد مرعي ، محمد حرب فرزات ، المرجع السابق ، ص 42.

² طه باقر، المرجع السابق ، ص 76.

³ عيد مرعي ، محمد حرب فرزات ، المرجع السابق، ص 42.

⁴ علي شحيلات ، عبد العزيز الياس الحمداني ، مختصر تاريخ العراق "تاريخ العراق القديم" "العصر السومري 2800-2004ق.م"، ج 2، ط 1، دار

الكتب العلمية ، بيروت ، 2012، ص 9.

والبعض آخر يذهب إلى القول أن أصولهم تعود إلى أصل مغولي قديم، و ذلك استناداً إلى أن في لغتهم كثير من التراكيب الشبيهة بلسان المغول¹، وهناك من الباحثين من اعتمدوا في دراستهم للمسألة السومرية على الهياكل العظمية ، وهذا اعتقاداً منهم أنهم عند إحداث مقارنات مع العظام و الجماجم المكتشفة في العديد من المدن السومرية تمكنهم من معرفة جنس السومريين و سلالاتهم البشرية².

وبذلك انقسم الباحثون في تحديد أصل السومريين على أكثر من فريق ، ولكل فريق أدلته الخاصة التي يحاول من خلالها إقناع الآخرين برأيه و سنعرض أهم الفرضيات و الآراء الباحثين :

(أ) آراء المؤرخين وعلماء الآثار : من أهم النظريات التي مثلت هذا التيار ما يلي :

1- نظرية إدوارد ماير: (Edward Mayer): خالف هذا الباحث علماء النقوش الكتابية (Epigraphiste)

الذين أقروا بأن حل المسألة السومرية متواجدة في الكتابة والفهم للنصوص ، حيث استند رأيه على المكتشفات الأثرية في بلاد النهرين من خلال وجود ثلاثة أقوام يعيشون جنبا إلى جنب : ذي الرؤوس والوجوه المخلوقة ، الساميون الملتحون و ذي الشعور الطويلة (ساميو الغرب)³.

وفي المقابل نجد أن المعبودات السومرية اتصفت بالأوصاف السامية أي شعر طويل ولحية وشوارب ، بالإضافة إلى اللباس ، وهذه الملاحظة دفعت الباحث ادوارد ماير إلى القول بان المعبودات السومرية ما هي إلا معبودات سامية ، أي اقتباس القوم الأول معبودات القوم الأخر ، وهذا ما جعله يستنتج أن أقدم قوم في المنطقة هم القوم السامي ، بينما السومريين ما هم إلا معمرين ، ويحتمل أنهم قدموا إلى بلاد الرافدين عبر الخليج العربي ، وكانت قوتهم الحضارية تتمثل في الكتابة المسمارية التي عدلوا وفق لغتهم ، وفرض بذلك السومريون أنفسهم على القوم السامي⁴.

2- نظرية اونجناد (Ungnad .A.) : أصدر الباحث سنة 1623م دراسة أضاف بها شيء جديد إلى

المناقشة ، وهذه الإضافة تتمثل في جنس ثالث يضاف إلى القومين السابقين -السومريين والساميين- ، وسماهم السوبارتيون (Homo Subaraicus) تحت دراسة أصدرها سنة 1936م وبعنوان سوبارتو (Subartu).

¹ ول ديورانت ، المرجع السابق ، ص 15، سامي ريجانا ، المرجع السابق ، ص 58.

² على فاضل عبد الواحد، المرجع السابق ، ص 36.

³ André Parrot , archéologie mésopotamienne , T 2 , édition Albain Michel , paris , 1953, pp 308-309.

⁴ Ibid , pp310-311.

يحتل هذا القوم مساحة واسعة في الشرق الأدنى القديم الممتد من الهضاب الإيرانية إلى حوض المتوسط ، وهذه السيطرة الجغرافية والسياسية مكنتهم من الاختلاط مع السومريين الذين استقروا في القسم الجنوبي منذ الألف الثالثة قبل الميلاد ، حيث استقر السوبارتيون في القسم الشمالي وعرفت باسم -بلاد سوبارتو- ، أما فيما يخص الساميين فقد عمروا بدورهم وسط الفرات وغربه ، وختم الباحث رأيه بقوله: " في معظم الأحيان الجنس الذي يسيطر حضاريا يستلهم من حضارة الأجناس المهزومة ، وهو نفس الشيء بالنسبة للسومريين الذين اقتبسوا الكثير من السوبارتيين الذين سبقوهم إلى المنطقة " ¹.

3- نظرية هنري فرانكفورت (Henri Frankfort) : درس هنري فرانكفورت المسألة السومرية بالمنظور الأثري ، حيث اصدر دراسة سنة 1932م تحت عنوان " Archéologie and the sumerien problem " ، وأكد فيها عن الاستمرارية في التقاليد على طول ما قبل سرجون الأكدي ، وبلا شك هي أسر سومرية متعاقبة ، وأن السكان الأوائل هم السومريون ، وهم من مؤسسي الحضارة على ضفاف نهري الدجلة والفرات ، وينتمي السومريون إلى مقاطعة ثقافية لا تشمل فقط الهضاب الإيرانية ، وإنما تمتد إلى الحدود الهندية ، ووجدوا أنفسهم معزولين عن أشقائهم في الشرق ، ولكن شيئاً فشيئاً أصبحوا متاحمين لهم ².

لكن رأيه تغير بعد الدراسة التي أصدرها سنة 1954م تحت عنوان " The birth of civilisation in near east " ³ ، وترجمت من طرف الباحث ميخائيل خوري "فجر الحضارة في الشرق الأدنى" ، حيث يصرح بقوله: "إن القضية التي كثر النقاش حولها قضية نشأة السومريين قد تكون اقرب إلى الجري رواء الخيال مما هي قضية تاريخية" ، ويضيف قائلاً: " يجب أن نعلم إن عبارة- السومرية - لا يمكن إطلاقها ، إذا تكلمنا بدقة إلا على اللغة فقط ، ولا وجود لشكل إنساني يمكن تسميته بهذا الاسم ، ومن زمن العبيد حتى الوقت الحاضر ظل سكان بلاد الرافدين يتألفون بالدرجة الأولى من بشر ينتمون إلى جنس البحر المتوسط أو الجنس الأسمر " ⁴.

4- نظرية أندري بارو (André Parrot) : صرح الأثري الفرنسي أندري بارو انه يمكننا ملاحظة آثار السكان الأصليين في جنوب بلاد الرافدين من خلال بعض المواقع مثل : قرية جرمو ، تل حسونة .. الخ ، ويعتقد

¹ Urgnad .A. d'apres André Parrot , op-cit , p313.

² هنري فرانكفورت ، فجر الحضارة في الشرق الأدنى ، تر: ميخائيل خوري ، منشورات دار مكتبة الحياة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، بيروت - نيويورك، 1959، ص 61.

³ Henri Frankfort , Bir . C. Ne . Eas , Ernest Benn Limited , London , 1951 , p1.

⁴ هنري فرانكفورت ، المرجع السابق ، ص ص 56-57.

أن هؤلاء السكان ينتمون إلى مجموعة عرقية تمتد من إيران إلى حوض المتوسط عن طريق الأناضول ، وهي حضارة تعود إلى الألف الخامسة قبل الميلاد¹.

وتوسع في فكرته من خلال اعتقاده بان أقوام شرق بلاد النهرين نزحت إلى المنطقة في موجتين كبيرتين ، حيث استقرت الموجة الأولى في المنطقة الشمالية (شمال الدجلة) ، وأسسوا هناك مراكز حضارية مثل: تل حسونة ، سامراء... الخ، بينما الموجة الثانية استقرت في جنوب البلاد ، وأسسوا فيها مراكز سكنية خاصة بهم مثل: اريدو ، العبيد .. الخ ، و في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد صعدت قبائل العبيد إلى الأراضي العليا ، وفرضت نفسها بالوصاية أو بالعنف .

ظهر في عصر الوركاء (3700-3200 ق.م) الجنس السومري ، وحسب صامويل نوح كيرمر كان السومريين عمالا سخرة أو أسرى حرب في مدن متحضرة ، وانتهوا إلى السيطرة عليها بعدما تعلموا أشياء كثيرة ، ولكن عدم اندثار فخار العبيد بصفة مفاجئة دليل على عدم حدوث ثورة عنيفة ، ولكن اندثاره التدريجي سمح لما بالاعتقاد إن القادمين (السومريين) كانت لهم حضارة راقية سمحت لهم بفرض سيطرتهم ، وتكيفوا بسرعة مع وطنهم الجديد وتوفرت لديهم عدد كبير من المعادن ، واكتشاف البرونز كان له دور كبير في ارتقاء الحضارة ، ونظمت المدن السومرية نفسها ثم بدأت بمحاولات السيطرة ، وبذلك فرض الجنوب نفسها على الشمال ، أي تفوق السومريين على الساميين سياسيا وعسكريا².

(ب) آراء علماء الانثروبولوجيا : من أهم الذين اهتموا بهذا المجال :

1- نظرية فان ليشان (Van Luschan) : أثبتت التقارير المقدمة سنة 1911م أن آسيا الغربية سكنها منذ البداية جنس متجانس من نوع أصلع الرأس وعريض الجمجمة ذو ملامح بارزة ، وقام هذا العنصر البشري ببحرتين ، الأولى : في الألف الرابعة قبل الميلاد ، وهي سامية (الحوض المتوسط) آتية من الجنوب الشرقي ، بينما الهجرة الثانية كانت في الألف الثانية قبل الميلاد آتية من الشمال الغربي (جنس مستطيل الرأس)³ ، ويعتقد أن السومريين من بينهم ، وبالتالي فقد حصلت حالة من الانصهار العرقي والثقافي بين الأقوام المختلفة سواء أكانوا من الفراتيين الأوائل والسومريين والجزيريين منذ الألف الخامس قبل الميلاد ، وهذا ما يفسر عدم وجود فوارق عرقية وانثروبولوجية في الهياكل العظمية المكتشفة بعد الألف الثالثة قبل الميلاد ، بالإضافة إلى وجود رأي آخر ما يثبت

André Parrot , op-cit , p 326.

Ibid , pp 326-330.

André Parrot , op-cit , p 316 .

1

2

3

أن هناك انصهار بين هذه الأقوام (الجزرية ، السومرية ، والفراتيون الأوائل) منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، والذي يستند إلى أن الملك الأول الذي ورد اسمه في جدول الإثبات السومري ، والذي حكم مدينة اريدو قبل الطوفان كان اسمه (الوليم) ، وهو اسم أكدي ، وبالتالي غير مستبعد أن هذا اسم الملك كان لشخص سومري ، وبفعل التأثر بالجزريين سمي بهذا الاسم ، أو يكون اسما لملك جزري حكم في محيطه المتعدد من الفراتيين الأوائل والسومريين والجزريين¹ .

أخذت هذه النظرية من طرف عدد كبير من الانتروبولوجيين وبطرق مختلفة مثل: ر.دكسن (R.Dixon) سنة 1923م ، ا.هادون (A.Haddon) سنة 1927م ، واعتبر هؤلاء العلماء سكان بلاد الرافدين من أصل براكيسفال (أصلع الرأس ، عريض الجمجمة) الذي نتج عن اختلاط مجموعتين بشريتين مختلفتين واحدة شمالية أصلها من سهوب القوقاز ، والأخرى متوسطة أو عنصر الدوليكوسيفال (مستطيل الرأس)² .

2- نظرية ه.ف. فالواس (H.V.Vallois) : بعد القيام بالعديد من الحفريات والبحوث سنة 1936م، قدم أهم النتائج التي توصل إليها الانتروبولوجيين الذين سبق ذكرهم ، وقال : "أنها تعاني من إشكالية في أساسها ، لأنها لم تعتمد على دراسة العظام القديمة ، وبهذا ادعوا إلى تحليل دقيق للعظام التي عثر عليها خلال الحفريات"³ .

3- نظرية ل.ه. دودلي بوكسون (Dudley .L.H.Buxton) : قام الانتروبولوجي الإنجليزي بدراسة ثمانية جماجم عثر عليها في مقابر كيش ، وأظهرت نتائج هذه دراسته أن بوجود عنصرين ، الأول : سماهم دوليكوسيفال (جماجم طويلة) ، أما العنصر الثاني براكيسفال (جماجم عريضة) ، والنتيجة التي توصل إليها الأنثروبولوجي بعد هذه الدراسة أن السكان الأصليين لبلاد النهرين هم عنصر البراكيسيفال من الجنس الأرميني ذوي جماجم مستديرة وأنوف طويلة (السومريون) ، ثم طغى عليهم الدوليكوسيفال (الساميون) القادمين من الجزيرة العربية⁴ .

4- نظرية سيزار آرثور كيث (Sir Arthaur Keith) : قام بدراسة جماجم عديدة اكتشفت في منطقة العبيد وأور ، حيث اكتشفت المجموعة الأولى (تحتوي على 17 جمجمة استخرجت من مقابر العبيد ، تعود إلى

¹ محمد فهد القيسي ، السومريون بين النفي والإثبات "دراسات أخرى في حضارة العراق القديم" ، ط1، دار تموز للطباعة والنشر ،دمشق، 2013، ص 18-19.

² André Parrot , op-cit , p 316 .

³ H.V.Vallois d'après André Parrot , op-cit , p 316.

⁴ George Roux , op-cit , p104.

الألف الرابعة قبل الميلاد)، والمجموعة الثانية (تحتوي على 7 عينات فقط ، عثر عليها في الطابق الأرضي لقبور مدينة أور).

ورغم الاختلافات التي يمكن أن تلاحظ بين المجموعتين ، وهذا بسبب تزواج العناصر البشرية إلا أنها تنتمي إلى نفس الهيئة البدنية ، ونفس الجنس .. الخ ، والنتيجة التي توصل إليها الباحث هي أن سومريو العبيد هم من عنصر الدوليكوسيفال ((جماحم طويلة) ، والساميين المهاجرين هم أيضا من نفس العنصر ، و يظهر أن للسومريين صلة قرابة مع العنصر القوقازي (الأوروبي) ، ويجب علينا البحث عن أصلهم في جنوب غربي آسيا ، وفيما يخص الساميين ¹.

وعلى هذا الأساس فان مسألة تحديد أصول السومريين تبقى غامضة ومبهما حسب قول طه باقر: "يبدو مما عرضناه من آراء عن أصل السومريين ومهدهم ، أن ذلك من القضايا التي لم تستطع حلها الدراسات اللغوية والأثرية ، وإن كل ما قيل وما يقال بشأنها مجرد تخمين وافتراضات لا يمكن البرهنة عليها ولا رفضها بوجه قاطع" ²، فضلا على قول هنري فرانكفورت في هذا الشأن بقوله: "إن القضية التي كثر النقاش حولها ، قضية نشأة السومريين قد تكون اقرب إلى الجري وراء الخيال مما هي قضية تاريخية" ³.

3- الموطن الأصلي لهم: اختلف الباحثون في تحديد الموطن الأصلي للسومريين، ومن أين جاؤوا إلى هذه

المنطقة؟ هل أتوا على شكل جماعات منظمة؟ أم على شكل أفراد أجبرتهم ظروف الحياة على التنقل؟.

ونفس الأمر بالنسبة لتاريخ دخولهم لبلاد الرافدين، هذه المسألة التي لاقت اختلافا وجدلا كبيرا بين المؤرخين والباحثين في ذلك، وإن ذهب البعض إلى اعتباره أنه بمثابة النزوح الثاني بعد ظاهرة نزوح العبيد في 3400-3800 ق.م، وهو النزوح الذي ترك أثرا كبيرا في تاريخ المنطقة منذ نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد أو بداية الألف الثالثة قبل الميلاد، وبالتالي نتج عن وجودهم وتفاعلهم مع العبيد مجتمعات حضارية عرفت بالسومرية ⁴، بينما صامويل كريمر في مؤلفه "من ألواح سومر" يقول: "ولا يعلم زمن مجيئهم (السومريون) إلى وادي

1 André Parrot , op-cit , p 317-318.

2 طه باقر ، المرجع السابق ، ص 64.

3 هنري فرانكفورت ، المرجع السابق ، ص ص 55-56.

4 Daniel Arnaud, Op-cit, p6, Don Nardo , op-cit , p15.

الرافدين، وإنما الذي نعرفه أنهم ازدهروا بثقافتهم في القسم الجنوبي من العراق منذ حدود منتصف الألف الرابع قبل الميلاد¹.

بينما أنطون مورتكات فيعتبر استقرارهم في البلاد منذ العصر الحجري النحاسي، أو تمّ قدومهم إليها بعد عصر الصيد، فقد ظلت أعمالهم في المضممار الحضاري²، في حين نجد جورج كوسى يعتبر ظهورهم في قلب العالم القديم، وبالتحديد في القسم الجنوبي من حوض الدجلة والفرات، وكذا على مقربة من خليج العرب في حوالي 3500 ق.م³.

وأمام هذا الاختلاف نجد طه باقر الذي لم يقف على رأي واحد وثابت في ما يتعلق تاريخ دخول السومريين إلى المنطقة، حيث يؤكد بأن ظهورهم كان في عصور فجر السلالات (أي في العصور التاريخية)، بدليل عدم وجود أية إشارة أو دليل على وجودهم قبل هذا التاريخ، ثم يعود ويقول بأن تواجد السومريين في وادي الرافدين كان في الألف الخامس قبل الميلاد، أي في عصور ما قبل التاريخ، حيث يؤكد بأنه يمكن تتبع أصول الحضارة السومرية إلى جذورها الأولى في عصور ما قبل التاريخ⁴.

إذن تبقى مسألة تاريخ السومريين لبلاد الرافدين مشكلة مستعصية وغير مضبوطة، وحسب كل مؤرخ رأي في ذلك، إلا أن إجماع المؤرخين على اعتبار نهاية الألف الرابعة وبداية النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد تاريخ دخولهم لبلاد سومر⁵.

ولهذا فإن قضية السومريين ما زالت مطروحة إلى حد الآن، حتى في مسألة الموطن الأصلي لهم، وقد شكلت هذه النقطة بدورها جدلاً كبيراً بين المؤرخين الذين اهتموا بدراسة تاريخ العراق القديم، ولا يسعنا إلا إبراز أهمها:

1- هناك جماعة من المؤرخين من يرون أنهم مهاجرين من منطقة ما تقع في ما بين شمال الهند (بلاد السند)، وبين أفغانستان وبلوخستان، أين يتواجد فيها أسلاف السومريين، وذلك عن طريق صحراء لوط وصحراء كاورا في شرقي إيران التي شكلت بدورها عائقاً أمام تحركات الشعوب الكبيرة خلال الألف الرابع قبل الميلاد بسبب الرطوبة الزائدة، وهو ما لا يساعد على العبور بل والاستيطان في بعض مناطقها، ولو بشكل مؤقت⁶، مستندين في ذلك

¹ صامويل نوح كيمر، المرجع السابق، ص 8.

² انطون مورتكات، المرجع السابق، ص 33.

³ جورج كوسى، أعرق الحضارات، ط 1، دار الفرق، دمشق، 2006، ص 16.

⁴ Sauel Noah Kramer, the semurien mythology, op-cit, p14.

⁵ أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 370.

⁶ ف. فون زودن، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة فاروق إسماعيل، ط 1، دار الهدى، دمشق، 2003م، ص 24.

على التشابه الحضاري ما بين حضارة وادي السند والحضارة السومرية¹، حيث شابهت في بداية تكوينها طراز الفخار السومري القديم وزخارفه في بلاد النهرين مع نماذج وزخارف الفخار القديمة التي انتشرت جنوبا وشرقا حتى مقاطعتي خاربا وموهنجودارا بسهول السند²، بالإضافة إلى وجود علاقات تجارية بينهم وأقوام وادي الهند أو بلوخستان، كما وجد تمثيل لمناظر طقسية تتضمن الثور الهندي تتضمن الثور الهندي ذا الحدبة في كل مدن أور وسوسة، وهذا يشير إلى وجود مستعمرة تجارية هندية في جنوب بلاد الرافدين وغيلام³.

وقد اتخذ السومريون لدخولهم إلى منطقة بلاد الرافدين طريقين من جهة المرتفعات الشرقية حيث سلكوا الطريق البري الذي كان عبر الهضبة الإيرانية إلى عيلام ومنها إلى جنوب العراق⁴، إضافة إلى الطريق البحري الذي كان خط سيره الساحلي إلى الخليج العربي من ثم إلى بلاد الرافدين، أو إمكانية تنقلهم عبر شرقي الجزيرة العربية بعد عبور خليج عمان، التي ربما تتمكن التنقيبات الأثرية في عمان من توضيح هذا الطريق، وإما عن طريق جزيرة البحرين بعد الاستقرار في غربي إيران فترة زمنية معينة⁵، وقد حاول أصحاب هذا الرأي تبرير موقفهم من خلال القصص والأساطير الإغريقية المنقولة عن أصل سومري، والتي ربطت السومريين بالبحر، وكذا المركز المرموق الذي احتلته المياه في المعتقدات السومرية، إضافة إلى العلاقات التي ربطت السومريين ببلاد دلمون (البحرين)⁶.

هذه المنطقة الواقعة في الجزء الشرقي من ساحل الخليج العربي، وحسب الأساطير السومرية جنة دلمون، لا ينق فيها غراب أسود، ولا يفترس أسد، ولا يفترس الذئب الحمل، ولا يوجد كلب متوحش يفترس الجدي، ولا توجد أرملة ولا تحني الحمامة رأسها، ولا مرض فيها ولا شيخوخة، ولا صداع، ولا نواح ولا رثاء والعذراء لا تستحم، ولا تولد وآلهة بالآلام والجهد، وبدلا من تسعة أشهر للحمل، تدوم مدة الحمل تسعة أيام، ونزحوا منها بعد لعنة الآلهة نخرساج (الآلهة الأم) على إله إنكي (اله الحكمة) بالموت، بسبب أكل هذا الأخير لثمانية نباتات في دلمون هي أبناء الآلهة، ولا نعلم سبب نزوحهم الحقيقي⁷.

¹ عامر سليمان وأحمد مالك الفتان، المرجع السابق، ص75.

² Moret Alexandre , histoire ancienne « histore l'orient ,Egypt , Elam , Sumer , et Akkad Babylone » , V2 , P.U.F. , paris , p143.

³ علي شحيلات ، عبد العزيز الياس الحمداني ، المرجع السابق ، ص 13.

⁴ رشيد الناضوري، المدخل في التحليل الموضوعي ...، المرجع السابق، ص251، هاري ساركز ، المرجع السابق ، ص 53.

⁵ ف. فون زودن، المرجع السابق، ص24، صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص67.

⁶ عامر سليمان وأحمد مالك الفتان المرجع السابق، ص75.

⁷ صامويل نوح كيرمر، المرجع السابق، ص ص 239-249.

لكن من خلال التنقيبات الأثرية التي كشفت عن العلاقات التجارية المبكرة بين منطقة الهندوس (بلاد السند) وبلاد الرافدين، وكذا الدور الذي لعبته جزيرة البحرين كمحطة تجارية رابطة بينهما، وهو ما ساهم بنسبة كبيرة في فك الحناق والاحتكاك أكثر بين هذه الشعوب¹.

2- من ناحية أخرى اتجه بعض العلماء إلى الاعتقاد بأن السومريين كانوا يقطنون في بادئ الأمر جبال زاغروس وكردستان وأوون كهوفها²، ثم هاجروا فيما بعد إلى العراق من هذه المرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية عن طريق أرمينيا وإيران³، ويدعم أصحاب هذا الموقف رأيهم بطريقة تشييد السومريين لمعابدهم فوق صروح مدرجة مرتفعة تشييدها بالمنطقة الجبلية التي اعتادوا على الحياة فيها⁴، إضافة إلى الزقورات وكيفية بناءها، وهي من أهم خصائص العمارة الدينية المشيدة، والتي اقتربت من شكلها وظاهرة الارتفاع فيها من الهضاب والجبال، وكل ذلك ينطوي على أساس تعبير إنساني مقتبس من البيئة الطبيعية التي كانت منطبعة في أذهان السومريين، وإن كان لا يمكن إقراره بصفة نهائية⁵ فضلاً عن لباسهم الصوفي وصناعتهم للنحاس لأن الصوف لا يطاق في بلاد حارة كالعراق والمعادن ولا مناخ فيه، وهو ما يفسر قدومهم من مناطق جبلية عالية وغنية بالنحاس لصنع الأدوات والأسلحة، والتماثيل⁶.

ومما يدعم هذا الاعتقاد أيضاً الأسطورة القديمة التي مفادها أن الملك إنمركار "Enmerkar" ثاني ملوك الأسرة الأولى في مدينة أوروك (الوركاء) بعد الطوفان اصطفتته الربة "إنانا" من بلاد شوبا الجبلية بعدما وصفته بالحتي بالإمارة في البلاد الجبلية المحصنة والراعي الذي ولدته البقرة الأمينة في جوف الجبال، إضافة إلى الأسطورة الثانية أن هذا الملك أيضاً كان على علاقة بالمدينة الجبلية "إرتا" وملكها⁷، ويعتقد صامويل نوح كريم أنها منطقة "إنشان" في بلاد عيلام (إيران)، وسمحت هذه العلاقة بطلب من ملكها أحجاراً ومعادن ثمينة لبناء معابد أربابه وزخرفتها مقابل تصدير الغلال إليه⁸، في حين ذهب البعض إلى رصد الخصائص الجنسية التي تميز

¹ ف. فون زودن، المرجع السابق، ص 24.

² ايح -اي -ايل ملرش، قصة الحضارة في سومر وبابل، ترجمة عطا بكري، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1971، ص 4.

³ عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 588.

⁴ عامر سليمان، أحمد ملك الفتیان، المرجع السابق، ص 75.

⁵ رشيد الناضوري، المدخل في التحليل الموضوعي، المرجع السابق، ص 250.

⁶ Barbara A.Somervill ,op-cit , p20.

⁷ عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 588.

⁸ صامويل كريم، المرجع السابق، ص ص 355-356.

السومريين، والتي تتلاءم مع البيئة الجبلية ومرتفعاتها¹ وهو ما يفسر مدى التشابه الذي كان بين السومريين والعناصر الجبلية المتاخمة لها مثل: الجوتيين².

3- كما اعتبر الخبير الأثري هند كوك أن السومريين جاءوا من المرتفعات الجبلية وبالتحديد المنطقة العيلامية** المجاورة إلى منطقة الأهوار في جنوب العراق والمشابهة لها في بيئتها الطبيعية، أين استقروا في مناطقها الواسعة المجاورة، ويؤكد بأن كل من السومريين والعلاميين يتكلمون بلغة غريبة غير سامية، وكلاهما ورثا عن أجداد العلاميين ثقافة واحدة مشتركة، واستعملنا في نفس الوقت الكتابة المسمارية³.

4- هناك جماعة من المؤرخين يعتبرون هجرة السومريين لبلاد الرافدين كانت عن طريق بلاد القوقاز، أو من وراء بحر القزوين مخترقين بذلك أرض الجزيرة من الشمال ومتبعين في سيرهم مجرى الدجلة والفرات⁴، والسبب في ذلك يرجع إلى خصائص السومريين الجسدية المشابهة للخصائص الجسدية لسكان تلك المناطق وأنهم أدخلوا وطوروا الصناعات التجارية في بلاد الرافدين، ويعتقد صامويل كيرمر بأن أجداد السومريين اندفعوا على مناطق غرب إيران - بلاد الرافدين - في قوله: "كان أولئك السومريين من الأقوام البدائيين في أصلهم، ولعلمهم اندفعوا إما مما وراء القوقاز أو مما وراء بلاد بحر قزوين، وكانوا يضغطون على إقليم غربي إيران.."⁵.

5- واعتبرت هجرتهم معاصرة لعصر العبيد أو أوائل عصر الوركاء، حيث نجحوا في اقتباس حضارة بلاد الرافدين، كما استعانوا بما تعلموه منها، خاصة وأنها كانت إمبراطورية قوية، وقفت في وجه القادمين الجدد (السومريين) الذين تحولوا إلى أسرى أو عبيد، ولكن مع مرور الوقت تعلم المهاجرون فنون القتال، وكل ما يساعدهم في مجابهة هذه الإمبراطورية، ولكن بعد الركود الحضاري الذي واجهته بلاد الرافدين والضعف الذي مس أركانها استغل السومريون المتواجدون في غربي إيران بالاشتراك مع السومريين الأسر، وغزوا بذلك هذه المنطقة،

¹ عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص 588.

* الجوتيين: هم قوم يعيشون في جبال زاغروس الإيرانية ووصفتهم المصادر "وحوش الجبال"، حيث عاشوا فسادًا وتخريبًا منذ (2250-2120 ق.م) وفي عصرهم نحت المعابد وأسيت معاملته الآلهة وقتلت فيه النساء والأطفال... وتعتبر فترة تواجدهم بالعراق فترة سوداء نظرا للهمجية والتدمير التي انتهجوها -عديني الحضارة- ... أنظر: علاء الدين عبد المحسن شاهين، المرجع السابق، ص 87.

² رشيد الناضوري، المدخل في التحليل...، المرجع السابق، ص 250.

** العلاميون: شعب قديم كان يعيش على حافة نهر الدجلة في مدن متعددة، والتي جمعت بذلك في دولة واحدة، وأصبحت عاصمة لها هي مدينة السوس، وقد كانوا في نزاع مع دول ما بين النهرين، ويعود أول نزاع بينهم إلى عهد مدينة أريدو، كما تشير إليها ملحمة جلجامش واستمر النزاع إلى غاية الدولة الأكادية، فهزمهم سرجون الأكادي، ولكن سرعان ما استفادوا من ضعف الأكاديين في عهد الملوك اللاحقين، وسيطروا عليها بصفة نهائية...، أنظر: حسن فهاد حماد، المرجع السابق، ص 44.

³ أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 369.

⁴ ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص 11.

⁵ صامويل نوح كيرمر، المرجع السابق، ص 355. عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص 25.

خاصة وان القادة السومريين تميزوا بالشجاعة الفردية ومحاولتهم لتملك زمام السلطة، وعرفن هذه الفترة بعصر البطولة السومرية¹.

6- بينما ذهب البعض الآخر من المهتمين بالأصول السومرية إلى اعتبارهم من الأقوام المحلية التي سكنت العراق منذ أقدم العصور، وأنها لم تأت من خارج بلاد الرافدين، وإنما نزحت من جهة الشمال نحو الجنوب، واستقرت في القسم الجنوبي من العراق منذ عصور ما قبل التاريخ²، وأن حضارتهم أصيلة في هذه المنطقة بل ويمكن تسمية أهل حضارة العبيد بالسومريين، وما هي إلا امتداد طبيعي لمدينتي عصور ما قبل التاريخ³، بالرغم من نعتهم غير ساميين، ويعتبرون عراقيين بعد أن تثقفوا بالثقافة السامية العراقية، وعاصروا الساميين وشاركهم في حياتهم الزراعية⁴.

ويؤيد هذا الرأي طه باقر الذي يقول بدوره: "إن السومريين هم أحد الأقوام المحلية في وادي الرافدين منذ عصور ما قبل التاريخ، ثم استقروا في السهل الرسوبي منه في حدود الألف الخامسة قبل الميلاد استوطنوا في القسم الجنوبي من العراق، أي التسمية لاحقة للاستيطان ومشتقة من اسم موضع جغرافي ولا يحمل مدلولاً قومياً"⁵.
ومما يدعم هذا الاعتقاد الاتصال الحضاري الذي كان موجوداً بين السومريين وأحلافهم من سكان المنطقة المحليين، كما تؤدیه الأخبار والمآثر السومرية التالية من آداب وأساطير وشعائر وطقوس ومعتقدات، تحمل طابعاً محلياً ليس غريباً عن بيئة بلاد وادي الرافدين⁶ ولا سيما القسم الرسوبي منه والمميز بالأحراش والقصب والنخيل والغرين والفيضان والسهول.. الخ .

¹ صامويل نوح كرمي، المرجع السابق، ص ص 355-356.

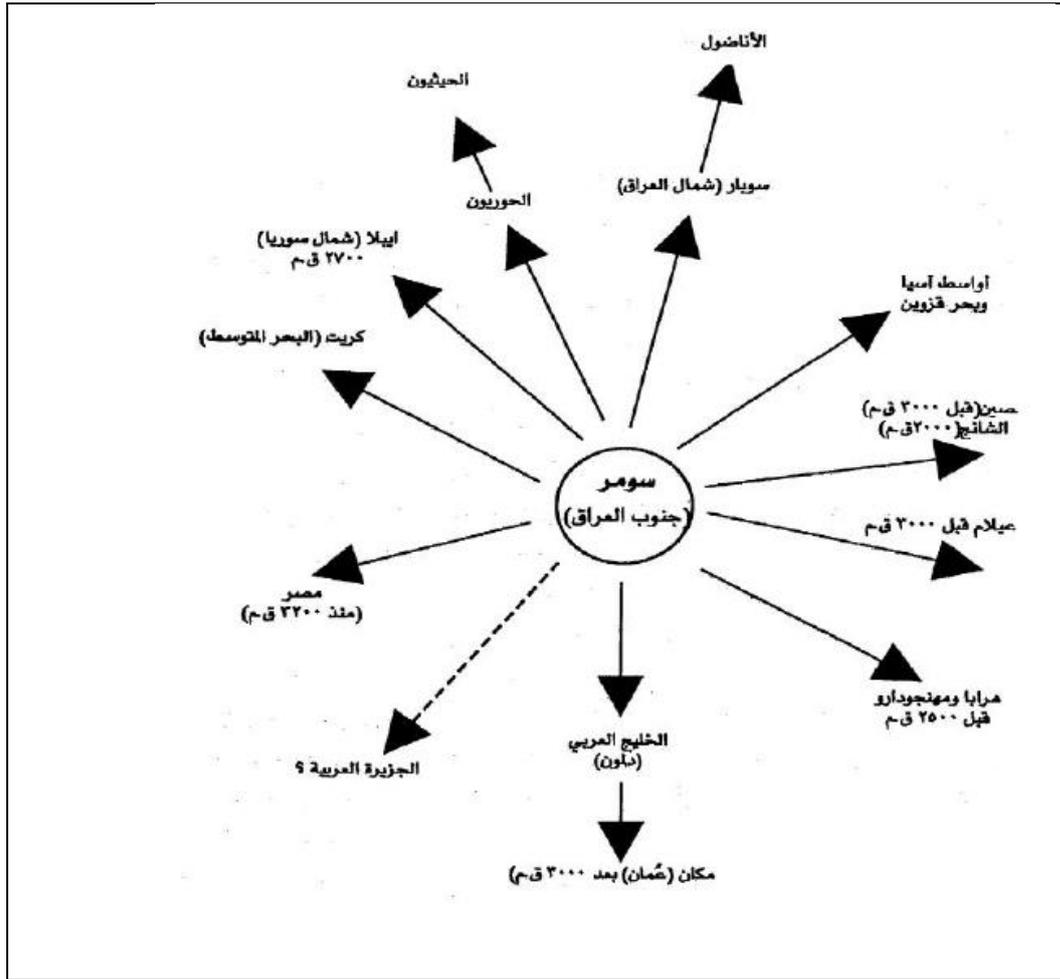
² عامر سليمان وأحمد مالك الفتیان، المرجع السابق، ص 75.

³ محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص 69.

⁴ أحمد سوسة، المرجع السابق، ص 367.

⁵ طه باقر حسب أحمد سوسة، المرجع السابق، ص ص 367-368.

⁶ عامر سليمان وأحمد مالك الفتیان، المرجع السابق، ص 76.



1

الملحق رقم 8: يمثل المخطط الذي يوضح أصل السومريين الوافدين إلى بلاد الرافدين .

كل هذه العوامل طبعت حضارة بلاد الرافدين بدليل أنه لا توجد في كتاباتهم وآثارهم ما يؤكد أو يشير إلى وجود أي موطن سابق للسومريين يختلف عن وادي الرافدين، وهو ما يعطي انطباعاً أنهم تواجدوا على هذه الأرض منذ العصور الحجرية الحديثة المبكرة ويدعم رأيه هذا أحداً المستشرقين "هنري فرانكفورت"، "بأن المناقشة المسهبة لهذه المشكلة يمكن أن تتحول تماماً في النهاية إلى ملاحقة وهم لا وجود له مطلقاً"، ويربط تواجدهم منذ عصور ما قبل التاريخ وأن حضارتهم تفتحت منذ ذلك الحين في ربوع العراق القديم، مدعماً ذلك بالأصل السومري القديم الذين سمو أنفسهم "ذوي الرؤوس السود" كما عكست طبيعتهم الإثنية مزاج وطموحات المجتمع الفلاحي المحافظ

¹ خزعل الماجدي، متون سومر (التاريخ، الميثولوجيا، لاهوت، الطقوس)، ط1، دار الأهلية، الأردن، 1998، ص 49.

المستقر الذي شكل على الدوام العمود الفقري لبلاد سومر¹ ، كما يعتبر جورج رو أن السومريين هم أبناء المنطقة وذوي أصول محلية بقوله: "وليس هناك من شك في كون هذه الحضارة عراقية أساسًا وجوهراً"².

وتبقى مسألة تحديد الموطن الأصلي للسومريين مسألة معقدة وقابلة للدراسة والنقاش في ظل التناقضات، وتعدد الآراء بين جمهور المؤرخين، لأن حضارة بلاد الرافدين شهدت العديد من الأجناس ذوي الأصول المختلفة، والتي كان لها تأثير كبير عليها بدليل التمازج والانصهار الحاصل فيما بينها، مما صعب الأمر على الباحثين الأثريين والمهتمين بتاريخ الحضارات القديمة في تحديد تاريخ ومكان مجيء السومريين، الذين جسدوا بصمة خاصة بتاريخهم نظرا للدور الفعّال الذي لعبوه، حيث ساهموا مساهمة فعّالة في خلق ازدهار حضارة العراق في الألف الثالث قبل الميلاد وأضفوا عليها طابعا خاصا يميزا لدرجة أنها نسبت إليهم، خاصة من الجانب السياسي، وهو موضوع دراستنا.

¹ عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص45.

²

الباب الأول : البيئة الجغرافية والسكانية في كل من سومر وبلاد الإغريق وانعكاساتها على النظام السياسي:

الفصل الثاني : براية الظهور الحضاري في بلاد الإغريق .

1-عصور ما قبل التاريخ الإغريقي .

أ)العصر الحجري القديم .

ب)العصر الحجري الوسيط.

ج)العصر الحجري الحديث.

و)العصر الحجري المعدني (النحاسي) :

و-1)العصر البرونزي (الهيلاوي)القديم (المبكر).

و-2)العصر البرونزي (الهيلاوي) (الأوسط).

و-3)العصر البرونزي (الهيلاوي) الأخير .

2) الخصائص الطبيعية وأثرها على التكوين الحضاري والسياسي عند الإغريق.

أ)الموقع الطبيعي.

ب)الجبال والأنهار.

ج)التربة .

و)البحر والمحزر.

ه) المناخ

3) الخصائص البشرية للإغريق.

أ)أصل التسمية .

ب) أصل السكان :

1-القبائل البللاجية .

2-القبائل الآخية .

3-القبائل الأيونية.

4-القبائل الأيولية.

5-القبائل الدورية .

ج) التطور الحضاري لشعوب الإغريق .

1-العصر المبكر (ما قبل الكلاسيكي).

أ- الحضارة الكريتية (الينوية).

ب- الحضارة الميكانية (الميسينية)

2-العصر الهليني (الكلاسيكي).

3-العصر الهيلينيستي.

-مقارنة بين البيئة الجغرافية والبشرية لكلا الطرفين (السورية - الإغريقية).

لعبت الحضارة الإغريقية دورا مهما ورائدا في عملية تطور المجتمعات البشرية وترقيتها ، إذ انتقلت معها الإنسانية من مرحلة التفكير الأسطوري إلى مرحلة التفكير التأملي العقلاني الفلسفي ، واستطاع الإغريق استغلال شتى الظروف لتحقيق التطور الأفضل ، وبالتالي سوف نحاول تسليط الضوء في البداية على :

1- عصور ما قبل التاريخ الإغريقي (اليوناني) : تختلف تقسيمات الباحثين والدارسين لعصور ما قبل التاريخ ، وذلك حسب وجهات النظر بينهم إلا أن أغلب هذه التقسيمات التقت في نقاط مشتركة بالرغم من اختلاف في المدة الزمنية لكل عصر تاريخي :

أ) العصر الحجري القديم (الباليوليتي) (paléolithique) : (500 000 ق.م-9000 ق.م) : بعد عمليات البحث والتنقيب التي أجريت في بلاد اليونان ، عثر الأثري النمساوي ماركوفيتش (Markoviths) ¹ في كهف شمال البولوبونيز على آثار ترجع تاريخها إلى العصر الباليوليتي ولكن لم يتم نشره بصورة كاملة ، كما أنه أهمل فيما بعد ، أما في سنة 1941م عثر على آثار تؤرخ بحوالي 10000 سنة في كهف بقرب من بلدة "أليارتوس" بمحافظة بيوتيا شمال غرب أثينا ، وفي سنة 1958م كان هناك كشف آخر في تساليا فضلا على التنقيبات الأثرية التي أقيمت سنة 1960م في منطقة أليس شمال غرب البولوبونيز والتي عثر فيها على آثار تعود إلى هذه الحقبة ².

لكن الاكتشافات الكبرى كانت في عام 1921م عن طريق اكتشاف معاول الحفر وجمجمة أقدم إنسان في اليونان في كهف خالكيدكي (chalcidice) * بمقدونيا بالإضافة إلى اكتشاف آثار إنسان نياندرتال في عديدة من مناطق أوروبا وبلاد الأناضول ، وأن أناسا متجولين (رحل) كانوا ينتقلون داخل اليونان ذاتها قبل 7000 ق.م .

¹ Hal Marcovitz , ancient greece , reference point press , the United State , 2013 , p6.

² محمود إبراهيم السعدني ، تاريخ وحضارة اليونان ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ، مصر ، 2008م ، ص ص38-39.

* شبه جزيرة خالكيدكي: تبرز من ساحل مقدونيا في شمال البحر الإيبي حيث تشبه بأرجلها وألسنتها الثلاثة الممتدة في البحر شبه جزيرة البولوبونيز ، بل أنها تنتمي وفقا لشكل تضاريسها ونوع نباتها إلى حبوب بلاد اليونان لا إلى شمالها ، وقد نشأت على سواحلها منذ وقت مبكر ، مستعمرات يونانية كثيرة ، ويتصل اللسان الذي يقع في أقصى الشرق من شبه الجزيرة والذي يعرف باسم أكتي بواسطة برزخ عرضه حوالي ميل ويقع فيه جبل أتوس وهو جبل منعزل شديد الارتفاع ، وتشتد عنده العواصف والتيارات مما يجعل الملاحة خطيرة جدا ، أما اللسان الأوسط تقع مدينة توروني ... /...الهامة ، وفي اللسان الغربي من شبه الجزيرة تقع مدينتي بوتيديا ، أولينثوس عاصمة للحلف الخالكيدكي في مستهل القرن الرابع وحليفته أثينا...، أنظر: عبد اللطيف أحمد علي ، التاريخ اليوناني ، العصر الهيللادي ، ج1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1976م ، ص 123 .

وأن أدوات حرفية لهؤلاء الرحل قد تم العثور عليها في منطقة "بانتاناسا" (Pantanassa) في محافظة إيبروس شمال غرب اليونان ¹.

كما ذكرت الدراسات التاريخية أنه إبان العصور الباليوليتية العليا (الأقدم) وصل إلى داخل اليونان جماعات متجولة استقرت في سهول تساليا الخصبة حيث تتواجد الأنهار والبحيرات الداخلية مما شجعها على الاستقرار والإقامة فيها حيث تم العثور على أدوات حجرية بالقرب من بحيرة كوبايس (Kopais) وفي أكثر من عشرين موقع ، وبعض هذه الجماعات وصلت إلى منطقة "أرجوليدا" في شرق شبه جزيرة البولوبونيز وكذلك إلى السهل الساحلي في محافظة إليس في شمال غرب البولوبونيز ².

ب) العصر الحجري الوسيط (Mésolithique) : 9500 ق.م - 6500 ق.م: كشفت الحفائر عن وجود صناعات للأدوات الحجرية الصوان المنتشرة على شواطئ كيفالينيا وزاكينثوس وكذلك في جزر البحر الإيبي وبالتحديد في كهف بجزيرة سكيروس وجزيرة ميلوس ، ويعتقد بأن صانعي تلك الأدوات الحجرية المدبية كانوا صيادين متجولين في الفترة الممتدة ما بين (10000 و7000 ق.م) ³.

ج) العصر الحجري الحديث (Néolithique) 6500 ق.م - 2800/3000 ق.م: بفضل علم الآثار استطاع المنقبون التعرف على كيفية حياة يوناني العصر الحجري الحديث وعلى مهاراته في كسب العيش ، ولعل أبرز حضارة ميزته هي :

1- حضارة تساليا ⁴ : استخدم مستوطنو هذا العصر الأدوات الحجرية إلا أنهم لم يعتمدوا على الفخار وعاشوا في قرى صغيرة ذات أكواخ بأرضيات منخفضة ومارسوا الزراعة والرعي والصيد وصيد الأسماك ⁵ ، كما استخدموا الأدوات المصنوعة من الحجر الأوبسيدي ، ونظرا لموقعها الجغرافي واتصالها بالبحر فقد استمدت المنطقة حضارتها من الحضارات الشرقية ومن مختلف أجزاء أخرى من آسيا الصغرى ومن بلاد الرافدين والحضارة المصرية في حدود الألف الخامسة قبل الميلاد ⁶.

¹ محمود إبراهيم السعدي ، المرجع السابق ، ص 38-39.

² حسين فهد حماد ، المرجع السابق ، ص 675.

³ S) Hood, the home of the Heroes ,the Aegean of before the Greek , London ,1974,p16.

⁴ Thomas .R.Martin , A. G . F . Pre . He .T , Yale Nota Bene university Press , U.S.A , 2000, p10.

⁵ Pierre Marchand , G .L .J . Egy . G . R , larousse Gallimard , London , p242.

⁶ Thomas .R.Martin , op-cit , p p10-11.

أما الفترة الأخيرة من العصر الحجري الحديث شهدت ظهور الفخار المرسوم برسوم ذات خطوط متقاطعة أو متشابكة ومتعددة الألوان يشبه في صناعته وزخرفته فخار عصر العبيد (بلاد الرافدين) ، وهو ما يدل على تأثر هذا العصر الذي دام أكثر من ثلاثة آلاف سنة أو أكثر تقريبا بتأثيرات شرقية ، حيث سادت حضارة زراعية وبحرية سلمية ، بينما في الجانب الديني فقد عبد أصحابها الآلهة الأم التي مثلت بشكل دمي طينية أنثوية ذات وسط منتفخ¹ ، كما أن طبيعة الديانة اليونانية في العصر الحجري الحديث أوضح بكثير من طبيعة اللغة في الفترة نفسها حيث كانت ذات طابع متميز لأنها عبرت عن نفسها بواسطة استخدامهما لتمثيل وثنية لمعبودات أنثوية والاعتماد على الكهوف كأماكن لعبادتها وتقديسها² ، كما أن السكان المستوطنين في هذه الحضارة أصبحوا شعبا هجيناً بسبب الهجرات المتكررة للمنطقة ، ومن أبرز وأهم المستوطنات والقرى البشرية التي ظهرت في حضارة تساليا هي :

أ / مدينة سيسكلو (Sesklo)³ : تم الكشف عنها فوق تل صغير ارتفاعه 1850 متراً وتحتل موقعا مسطحا يصل طوله إلى حوالي 100م وعرضه 40م ، وقد كانت عبارة عن تجمع سكاني لفلاحين استقروا في هذه المنطقة⁴ ، وكانوا يحصلون على المياه اللازمة لهم من بئر جوفية غنية ويعيشون في أكواخ دائرية أو مستطيلة عثر فيها على قطع الفخار وبالأخص نموذج لبيت صغير من الفخار ومزخرف بخطوط طولية وأخرى عرضية متقاطعة باللون الأحمر على أرضية بيضاء فضلا عن وجود أنماط زخرفية تتسم بالطابع الهندسي فتأخذ شكل المثلثات المعتدلة أو المعكوسة⁵ .

وقد أخذت تماثيل (آلهة) سيسكلو (Sesklo) شكلا يعرف باسم " Steatopy gous " أي أنها كانت تتميز بالامتلاء والانتفاخ ، وصورت على أنها تماثيل أنثوية لـ " الربة / الأم " ونحتت في أشكال عدة فعادة يكون لها رأس طويل بيضوي ورقبة مائلة فضلا عن صدر بارز ممتلئ ، وأكتاف وأرجل نحيفة أما الأذرع فإنها كانت مضغوطة إلى الصدر أو ممددة في اتجاه الرحم ، وإما أن تكون واقفة أو جالسة⁶ .

¹ محمود شاكر ، المرجع السابق ، ص ص 263-264.

² محمود إبراهيم السعدني ، المرجع السابق ، ص 44.

Thomas .R.Martin , op-cit , p 10.

⁴ حسين فهد حماد ، المرجع السابق ، ص 677.

(S) Hood,op-cit, p36

(E) Vermeule , greece in the bronze age , chicago and london , 1972 , pp 14-15.

ب/ منطقة دوميني (Dimeni)¹ أو دجيني (Dijeni) : تعود إلى الفترة الزمنية (2900ق.م-2500ق.م) في محافظة تساليا ، وكان سكانها أقل تقدما من أسلافهم الذين كانوا يقيمون في منطقة سيسكلو بالإضافة إلى أنهم أكثر حذرا وطموحا ، فقد كانت لديهم قدرات حربية وسياسية مكنتهم من السيطرة على السهل الساحلي لشرق تساليا كما طوروا في بناء قراهم عن طريق تشييد الأسوار حولها حماية لها من أي عدوان خارجي فضلا عن بناء صالة طويلة مستطيلة الشكل تعرف باسم (مغارون)² .

وتشير الدراسات التاريخية أن سكان دوميني لم يكونوا كثيرين العدد ولكنهم كانوا منظمين إلى حد كبير وقد دخلوا إلى منطقة تساليا عن طريق إما :

1- عن طريق السهول المفتوحة لشرق مقدونيا وتراقيا (thraké) .

2- عن طريق البحر من الجهة الغربية أو حتى من جهة القوقاز³ .

أما من حيث الديانة ، فإن مع نهايات العصر النيوليتي تطورت أشكال التماثيل " الربة / الأم " فأصبحت تلون ويضاف إلى أنماطها شكل الإلهة المرضعة التي تطعم طفلا ، ويعتقد أن هذه العبادة لم تكن محلية ولكنها مع ذلك كانت تصطبغ بصبغة محلية حيث في كل منطقة تعبد فيها وتستمد قوتها وتأثيرها من السكان المحليين الذين يعبدونها بدليل الكم الهائل من التماثيل الفخارية المكسورة لهذه الإلهة والتي تم الكشف عنها في الكهف في منطقة ماريثون أو كهف " إيشيا " بالقرب من منطقة مينوس في كريت .

كما كثرت صناعة تماثيل الحيوانات المصنوعة من الطين فضلا عن الكشف عن العديد من الأشكال التشكيلية ونماذج لمعابد صغيرة ، ولعل من أهم معالمه أيضا عدم اهتمام الإنسان اليوناني بالنحت الضخم إلا ما عثر عليه في منطقة سوفلي بتساليا (شمال شرق اليونان)⁴ .

1 Thomas .R.Martin , op-cit , p 10.

2 محمود إبراهيم السعدني ، المرجع السابق ، ص 42.

3 Thomas .R.Martin , op-cit , pp 10-11 .

4 محمود شاكر ، المرجع السابق ، ص ص 264-265.

(د) العصر الحجري المعدني (البرونزي) (2600ق.م- 1100ق.م) : عرفت بلاد اليونان القديمة منذ عصر البرونز عدة مراحل حضارية بحيث كان لكل اسم معين يخص منطقة نشأتها وازدهارها¹، ويقسم الباحثون العصر البرونزي إلى ثلاث فترات معينة :

د-1) العصر البرونزي (الهيللادي) القديم (المبكر) : قسم هذا العصر بدوره إلى ثلاث مراحل :

-هيللادي قديم أول : 2500-2800ق.م .

-هيللادي قديم ثاني : 2200-2500ق.م.

-هيللادي قديم أخير : 1900-2200ق.م .

يتميز هذا العصر بحجرات سكانية مختلفة استقرت في الجزر الإيجية²، وكان لكل من هذه الفترات مميزات في صناعة الفخار الذي تأثر بالفخار الآسيوي أو المقدوني ، ومع نهايته شهدت بداية هجرات بشرية نحو شبه جزيرة اليونان من الأقاليم الشمالية ودخلت معها اللغة الإغريقية وهي إحدى اللغات الهندوأوروبية ، في حين كانت اللغة السائدة في العصر الحجري الحديث وبداية العصر البرونزي هي لغة غير إغريقية³.

ويعتقد المؤرخون أن الفترة الممتدة ما بين (2500- 2000ق.م) شهدت نزوح مجموعات بشرية كبرى من منطقة البحر الأسود واستقروا في أول الأمر في شمال بلاد اليونان ثم بدأت بالاندفاع بشكل موجات صغيرة إلى الداخل ، حيث ضمت كل موجة مجموعة بشرية معينة مثل : الآخيين والأيونيين⁴ ، وكانت مجتمعاتهم منظمة بقبائل لكل منها ملكها ومجلسها الخاص واجتماع عام لأحرارها ، وكانوا مزارعين ورعاة إلا أنهم يجهلون كل شيء عن البحر⁵.

1 Thomas .R.Martin , op-cit , p14.

2 - Eric D.Nelson , Susan K .Allard-Nelson , la Grèce antique, trad par :Pascal Racitot-loubet , Marabout (Hachette livre) , France,2008 , p9.

3 Thomas .R.Martin , op-cit , pp13-14

4 محمد كامل العياد ، اليونان ، ج1، ط3، دار الفكر ، دمشق ، 1980 ، ص 98.

5 Michel Sekellariou , L'age du bronze moyen et récent (2100- 1100av J.C) dans l' histoire l' Humanité , Vol II, pp383-384 .

ولعل ما ميز هذا العصر هو التأثيرات الجديدة من الأناضول التي كانت وراء جلب النحاس والبرونز وإقامة روابط تجارية مع الحضارات الشرقية¹، ففي حوالي 2600 ق.م بدأ استخدام معدن النحاس واستمر هذا الوضع لما يقارب 200 سنة ثم شاع هذا الاستخدام حتى سميت هذه المرحلة المبكرة باسم "المرحلة النحاسية الحجرية" بسبب استخدام الأدوات المصنوعة من الحجارة فضلا عن النحاس، ثم طوّر من إمكانياته فتمكن من استخدام النحاس الممزوج مع القصدير في صناعة أدواته سواء منها اليومية أو الحربية مستخرجا معدن البرونز الناجم عن عملية المزج والخلط² حيث عثر في إقليم أركاديا عثر على نماذج للصناعات الذهبية، أما الفضة فلم تكن تستعمل إلا في صناعة الإبر³.

د-2) العصر الهيللادي الأوسط (الوسيط) : 1900-1600 ق.م / 1550 ق.م :

اقترن هذا العصر بتدمير عنيف في كثير من المواقع التي استوطنوها وبسط السيطرة تقريبا على معظم شبه جزيرة اليونان من طرف الشعوب الهندوأوروبية خاصة المناطق الشمالية منها⁴، إلا أن تخطيط المنازل والفخاريات تختلف اختلافا كبيرا عن مثيلاتها لدى الحضارات السابقة، وأتاحت فترة من الازدهار المستقر قيام تطور وانتعاش تدريجي في شبه جزيرة اليونان، إذ استطاعت الحفريات الأثرية التي أقيمت في جزيرة ميلوس وبالتحديد في منطقة " فيلاكوبي"، وفي جزيرة "باروس" الكشف عن مناطق سكنية قديمة ذات حجرات ضيقة ومبنية من الطوب اللبن والحجارة، وانتشار القرى الواسعة ذات الدور القائمة الجدران والمستطيلة الشكل حيث احتوت كل منها على موقد ذي حفرة منخفضة نوعا ما واستخدمت بالأصل لعمل الخبز⁵.

وتشير الدراسات التاريخية إلى انتقال مركز القوة من شرق جزيرة كريت إلى وسطها ولا سيما ساحلها الشمالي حيث أقيمت مستعمرة في جزيرة ثيرا "Thyra" الواقعة إلى الشمال الغربي من كريت عام 1800 ق.م، وظهرت

¹ حسين فهد حماد، المرجع السابق، ص 678.

² محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص 51.

³ حسين فهد حماد، المرجع السابق، ص 678.

Eric D.Nelson , Susan K .Allard-Nelson ,op-cit ,p9.

⁵ محمود شاكر، المرجع السابق، ص 264.

في هذا العصر أيضا الحضارة المعروفة بالمينوية (سوف يتم التطرق إليها في العنصر القادم) على أنها قوة بحرية تجارية جديدة¹.

د-3) العصر الهيللادي الأخير 1550ق.م / 1100ق.م :

لقد تم الكشف عن قصر فخم في زاكرو جنوب شرق كريت في حوالي 1450ق.م يعرف باسم كنوسوس، وعن مدينتين هما كورينا وبسيرا ، وتعكس لنا الصور الجدارية في قصور هذين المدينتين الحياة الاجتماعية والدينية التي كانت سائدة في المجتمع الإغريقي ، ومدى مساهمة العلاقات التجارية الناتجة عن الهجرات أو الحروب في تكوين الحضارة الكريتية²، وفي الجزء الأخير من العصر الهيللادي اكتملت عناصر قوة جديدة أخذت مقدرات جزر البحر المتوسط في أيديها طيلة أربعة قرون ونصف والمتمثلة في قوة الآخيين أو الميكينيين الذين كانوا يتخذون من مدينة ميكيني (مسيني) عاصمة لهم³.

وفي الأخير نستخلص أن هذا العصر تميز بظهور حضارات نشأت في حوض بحر إيجه وجنوب بلاد اليونان قبل قيام الحضارة الهيلينية منذ منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد إلى غاية 1100ق.م وتمثلها الحضارة السيكلادية نسبة إلى جزر السيكلادية (الكيكلادية) التي تنتشر في بحر إيجه على شكل نصف دائرة حول جزيرة ديلوس الصغيرة ، وحضارة طروادة على الساحل الأسيوي لبحر إيجه شمالا ، وأبرز ما ميز حرب طروادة الشهيرة حوالي (1300-1230ق.م)⁴ وتشمل أيضا حضارة كريت المعروفة بالمينوية نسبة إلى الملك مينوس والتي بلغت مجدها في الفترة الممتدة (1600-1400ق.م) والحضارة الموكينية وهي حضارة يونانية الأصل بلغت ذروتها (1550-1400ق.م) ، وفي هذا الصدد نطرح التساؤل الآتي : إلى أي مدى استطاعت هذه الحضارات الباكرا إزالة الغموض على تاريخ بلاد الإغريق بصفة عامة؟ وكيف انعكس ظهورها على تطور نظام الدولة المدينة في حدود القرن 8ق.م بصفة خاصة؟

¹ - " Chares Gates , ancient cities « the archaeology of urban life in the ancient Near And Egypte , Greece and Rome , ,second édition , illustration by Nesliham Yilmaz , Routledge , London , 2011,p120.

² محمود شاكر ، المرجع السابق ، ص 267.

³ محمود إبراهيم السعدني ، المرجع السابق ، ص 54.

⁴ Eric D.Nelson , Susan K .Allard-Nelson ,op-cit ,p9

2- الخصائص الطبيعية وأثرها على التكوين الحضاري والسياسي عند الإغريق :

إن على الباحث في مجال التاريخ الإحاطة بمعارف متعددة في مجال الكتابة التاريخية وأن يكون ملماً بالسياسة والمعلومات الجغرافية التي تشكل أرضية الأحداث والواقع الاقتصادي ، فضلا عن الأحداث الكبرى التي تتسبب في الأحداث اللاحقة ومطلعا على طبائع البشر وأنظمتهم ، ومما لا شك فيه أن الإطار الجغرافي يؤثر بدوره في طبيعة تاريخ الشعوب من الناحية السياسية والاجتماعية، من خلال توجيهه في نمط عمرانها وطرق معيشتها ويحدد طباعه وسلوكه ، وهذا ما ينطبق تماما على بلاد الإغريق المتكيفة منذ البدء بإطارها الجغرافي .

أ)الموقع الطبيعي : يتميز موقع بلاد اليونان الفريد بأنه يشغل منطقة تقع بين ثلاث قارات هي :آسيا ، أوروبا وإفريقيا ، كما يتميز بإطلالته على واحد من أقدم البحار العالم القديم وأهمها قاطبة وهو البحر الأبيض المتوسط¹ الذي شهد مولد أقدم حضارات العالم القديم ،وهذا ما جعل بلاد اليونان نقطة تلاقي للحضارات القديمة و تلاقح فيما بينهما².

والجدير بالذكر أن بلاد اليونان تقع بين بحرين ، بحر إيجه الذي يفصلها عن آسيا الصغرى (الشرق)، وبحر الأدرياتيكى وأيونيا (الأيونى) اللذان يفصلانها من جهة الغرب عن إيطاليا وصقلية(الغرب) ، أما من جهة الجنوب تطل على البحر الأبيض المتوسط ، وتنتشر في هذه البحار مجموعة كبيرة من الجزر والخلجان³ ، ويكاد خليج كورنثة وسارونيك اللذان يتوغلان من الغرب والشرق في اليونان أن يقسما البلاد إلى قسمين ويجول دون التقاء هذين الخليجين برزخ كورنثة الضيق الذي يصل شمال اليونان بجنوبها وعلى هذا الأساس قامت كورنثة بدور هام في تاريخ اليونان بتحكمها في المواصلات البرية بين شمال اليونان وجنوبها فضلا عن تحكمها في الطرق التجارية⁴ .

تبلغ مساحة بلاد اليونان القديم ما يقارب خمسين ألفا ميلا مربعا أي 64500 كيلومتر مربع في أغلبها أراضي جبلية قليلة الخصب تتخللها سهول ضيقة ، وكانت المنطقة تضم :

¹ R.F.Willeft , the civilisation of ancient Crete , university of California Press , Berkeley and Los Angeles , Great Britain , 1977, p23.

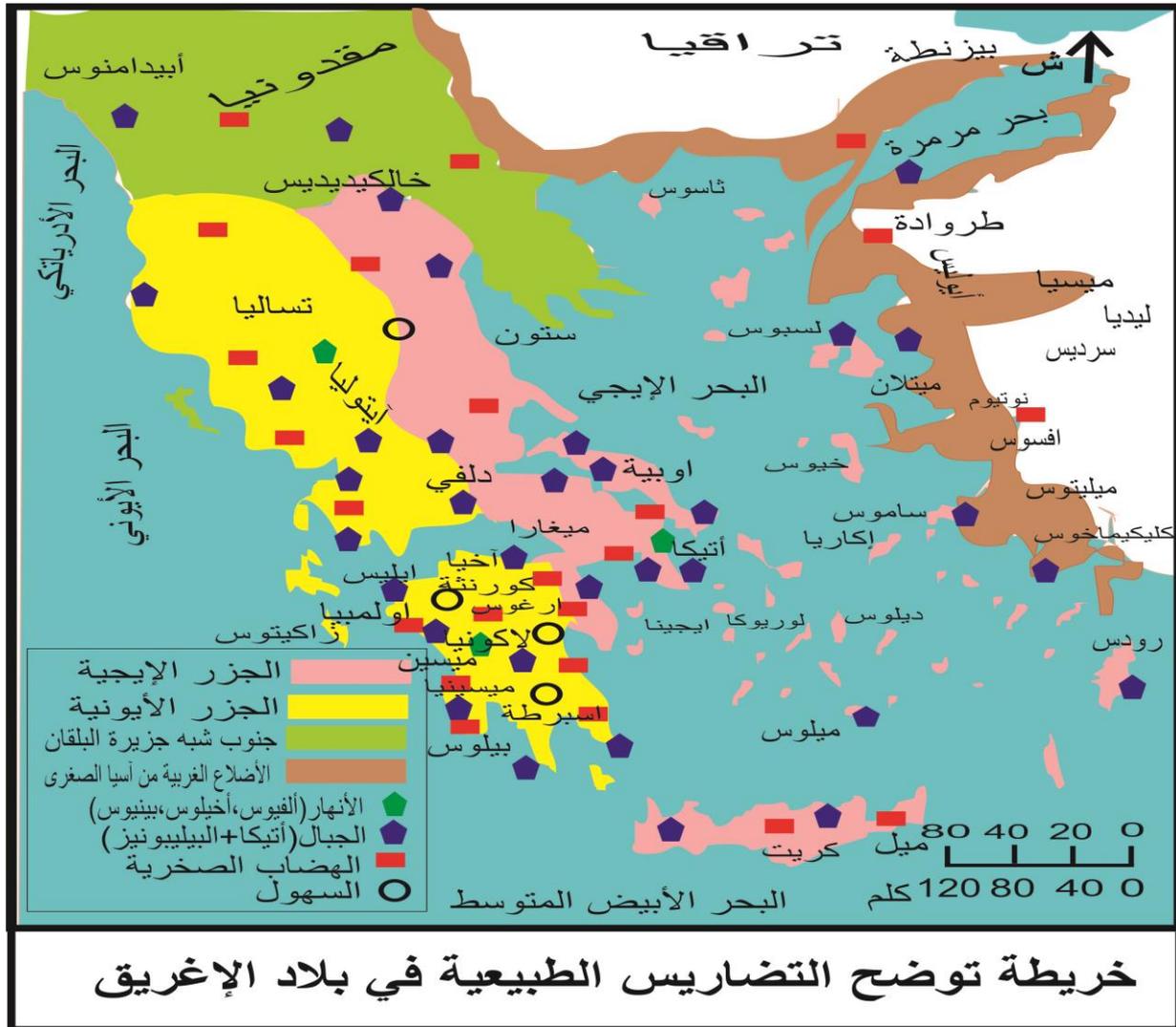
² محمد حمدي إبراهيم ، الحياة الفكرية والثقافية في أثينا ، مجلة عالم الفكر ، ع2 ، مج 38 ، الكويت ، 2009 ، ص 93.

³ محمد الخطيب ، الحضارة الإغريقية ، دار علاء ، دمشق ، 1998م ، ص 11.

⁴ حسين الشيخ ، اليونان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1993م ، ص ص 19-20.

-جنوب شبه جزيرة البلقان / - الجزر الإيجية والأيونية / -الأضلاع الغربية من آسيا الصغرى¹ .

وكانت تشغل اليونان القارية (البلقانية ربع اليونان كلها ولم تكن سوى شبه جزيرة مقسمة بين خلجان وسلاسل جبلية إلى ثلاثة أقاليم متميزة : الشمال ، الوسط ، الجنوب ، أو البولوبونيز) ، ويتألف اليونان الشمالي نفسه من منطقتين : إيبيريا و تساليا ، والمنطقة الأهم من الناحية السياسية من اليونان الأوسط هي إتیکا وبيوتيا وهما في الشرق ، بينما أهم مناطق البولوبونيز هي : الأرغوليد ، لاكونيا ، مسينا و أركاديا² .



-بتصرف من الطالبة ، واعتمادا على :³

¹ رمضان أم هاني ، جزيرة العرب والقوى القديمة " الإغريق والرومان " من القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادي ، دار هومة ، الجزائر ، 2014م ، ص 145.

² Lesley Adikins and Roy .A.Adkins , Handbook to life in the ancient greece , Updated edition , library of congress Cataloging in publication Data , New York , 2005, p p136-140.

³ Sarah . B.Pomery , op-cit , 201.

ب) الجبال والأنهار :

1) الجبال : تتميز طبيعة بلاد اليونان الجغرافية بأنها ليست امتدادا سهليا ، وإنما ذات طبيعة وعرة في عمومها فالجبال تشغل الجزء الأكبر من مساحتها بما يعادل أربعة أخماس أو (75%) من سطحها¹، حيث تخترق السلاسل الجبلية بلاد اليونان في كل الاتجاهات تقريبا بشكل يجعلها تنقسم طبيعيا إلى مناطق صغيرة تكاد تكون منعزلة عن بعضها²، ويذكر الباحث كريستيان بابيان " Christian Papeians " أن امتداد بلاد الإغريق عبر تاريخها إلى مناطق وقارات بعيدة عن مركزها أثر في تحديد حدود أتيكا والبولوبونيز³، ويمكن تقسيم التمييز بين خمسة مناطق مختلفة عن بعضها البعض وهي :

1- بلاد الإغريق الوسطى الواقعة شبه جزيرة إتيكا : عبارة عن إقليم جبلي بجنوب شرق اليونان الوسطى ومركزه أثينا يقع بين خليج سارونيك (Saronic) ويوبويا (Euboea) يضم مرتفعات لوريون (Laurion) ، وهيناليت (l'hinelte) والبانتيليك (Pentélique) وبارناس (ارتفاعه 2459م) ، أونريس (ارتفاعه 2152 م) ، وكثيرون (Cithéron)⁴ ، وتحتوي أتيكا على سهل بويوتيا (Beyoutha) الخصب حول مدينة طيبة ، ويعتبر أيضا من أقوى وأشهر أقاليم هذه المنطقة بسبب موقعه الجغرافي المميز والذي فرض على سكانه الاتجاه ، وتعزلها الجبال الواقعة في الشمال عن المناطق المجاورة في الداخل لتتجه بكتلتها إلى البحر بالإضافة إلى غناها بمحاجر الرخام والفضة⁵ ، وتتميز هذه المقاطعة عن باقي المقاطعات الأخرى بثلاث ميزات :

1- طول سواحلها المطل على بحر إيجه .

2- كبر مساحة سهلها نسبيا.

¹ Jean Kinney Williams , Great Empires of the past :empire of ancient Greece , révisé édition, chelsea House publishers , U.S.A , 2009 , p25.

² إبراهيم السايح ، تاريخ اليونان ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 2008 ، ص 10.

³ Christian Papeians , Arts et civilisation , edit arts hisoria , Bruxelles , 1988 , p 14.

⁴ علي عكاشة وآخرون ، اليونان والرومان ، ط 1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن ، 1991 ، ص 43.

⁵ Eric D.Nelson , Susan K .Allard-Nelson , op-cit , p80 .

3- ازدهار زراعة الزيتون فيها ووفرة أشجاره ، هذا فضلا عن جودة مناخها فهو أحسن من مناخ جميع المناطق الأخرى، بالإضافة إلى ذلك نجد مدينة فوكيديا (Phocédée) ذات الانحدار الشديد والمعزولة على بويوتيا بسلسلة بارناس (بارناسوس)¹.

أما في أقصى الشمال فنجد الهضبة الكبرى تساليا التي يشرف عليها جبل أوليمبيا ، وهي أرض منخفضة تكتنفها الجبال من جميع جهاتها فتجعلها شبه مغلقة لأنها لا تتصل بالبحر إلا من جانبها الشرقي (خليج باغازيه pagases) ، وتساليا أشد بلاد اليونان برودة ، تجود فيها زراعة الحبوب و تربية الخيول ، وتحتل مركزا حساسا وخطرا جدا بالنسبة لمناطق اليونان الوسطى ، ولا مفر للغزاة الذين يقصدون جنوبي اليونان من الشمال من سلوك طريقها بعد إخضاعها فهي بمثابة ساحة القتال الأمامية، بينما منتجات هذا الإقليم الزراعية تتمثل في العنب والزيتون إلا انه يعتبر أهم منطقة صناعية في بلاد الإغريق حيث تتوفر فيه مواد طبيعية مختلفة مثل : الطين ، الرصاص ، الفضة وغيرها والتي شكلت مصادر تموين الأسطول الأثيني².

2- المنطقة الشمالية : وتشمل مقدونيا وتساليا وإيريا وإيبروس* غربا ، وأشهر أقاليمها مقدونيا نظرا للدور التاريخي الذي لعبته عبر مختلف الأزمنة ، سكنها شعب ذو أصول مختلفة كالتراقيين و الإلييريين أو الألبانيين وتعود أهميتها إلى سيطرتها على المدخل الشمالي لبلاد اليونان³، حيث تتخذ شكل هذه المنطقة حدوة حصان ، فضلا عن احتوائها على سهول عظمى ، كما أنها كانت مهدا للدولة المقدونية التي ستخضع بلاد اليونان فيما بعد ، وانطلق منها الاسكندر المقدوني في توسعته⁴.

3- شبه جزيرة البولوبونيز (المنطقة الجنوبية) :** تفصل عنها وعن الإغريق الوسطى شريط أرضي ضيق يصل عرضه 6 كلم يدعى برزخ كورنثة يربط الطرفين برا وبحرا ، أما شمالا تمتد منطقة أرغوليد (Argolid) الخصب التي

¹ علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 43.

² Christian Papeians , op-cit, p 14.

*إيبروس : تقع هذه المقاطعة غربي تساليا ومعنى اسمها " الأرض الصلبة " ، وتتألف من هضاب جدباء والوديان الخصبية ، وكان فيها قديما بعض الغابات ، وتتشكل جنوبي شرقي هذه المقاطعة المستنقعات ، وفيها أيضا السهول الخصبية ...، أنظر : علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 43.

³ حسين الشيخ ، المرجع السابق ، ص 22.

⁴ Eric D.Nelson , Susan K , Allard-Nelson , op-cit , p79 .

**منطقة البولوبونيز : هي المنطقة البحرية الأهم والأوسع في بلاد اليونان اشتق اسمها من اسم بولوبوس (Pélops) وهو الزوج الأسطوري لابنة حاكم

ظهرت بها الحضارة الميكينية¹، أما غربا إيليدا (Elide) وهي شريط طويل يمتد بين البحر والمرتفعات الداخلية بما أشهر مدينة أولبيا ، وفي الوسط تعلو هضبة قليلة الزراعة تسمى أركاديا (Arkadie)^{2*}، ويعتبر الإقليم الوحيد في اليونان الذي لا يطل على البحر مما اثر على حياة سكانه الاقتصادية ، وجعلهم يقبلون على الزراعة خاصة وأن سفوح جبال أركاديا كانت غنية بالمراعي والغابات ، أما إقليم أرجوليس فيقع إلى الشرق من المنطقة الجنوبية ، واشتهرت فيه مدينة أرجوليس القوية³.

بينما في الجنوب نجد لاكونيا أو لاكيديمون (Laconia) : امتدت على أراضيها مدينة اسبرطة ، وهي هضبة واسعة خصبة بفضل نهر أورتاس ، وكل هذه المناطق تفصل بينها سلاسل جبلية تجعل السهول والهضاب تمتد نحو الجنوب الشرقي⁴.

وتشير الدراسات التاريخية أن بلاد اليونان قديما تتألف من 12 مقاطعة خلفتها الطبيعة بنفسها ، وغدت كل مقاطعة أو إقليم وحدة طبيعية قائمة بذاتها مكثفة على الأقل في تزويد نفسها بأسباب العيش الأساسية ولعل أبرزها من الشمال إلى الجنوب :

مقدونيا (Makedonia)	أقصى الشمال .
تساليا (Thessalia)	وسط شمال اليونان .
إبيروس (Epiros)	شمال غرب اليونان .
فوكيس (Phokis)	وسط اليونان .
بويوتيا (Beyoutha)	وسط اليونان .
أتিকা (Atika) و ميچارا (Mégara) والخليج السارونيكى	وسط شبه جزيرة اليونان الوسطى .

أليس وخليفته في الحكم من بعده ، وهناك رواية أخرى مفادها أن كلمة البولوبونيز تعني جزيرة بيلوبس وتعرف اليوم باسم شبه جزيرة المورة وبيلوس هو اسم شخصية أسطورية عند الإغريق وهو أب أتريوس وجد أجامنون بطل ملحمة طروادة...، أنظر: عمر عبد الحي ، الفكر السياسي في العصور القديمة الإغريقية والهليستيني والروماني ، ط 1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان ، 2001 م ، ص 10.

1 Christian Papeians , op-cit , p14.

*أركاديا: اعتبرت هذه المنطقة البرية غامضة ، وصفت في الشعر القديم على أنها أرض السعادة والتي ستبقى رمزا للعصر الذهبي الإغريقي...، أنظر: Eric

D.Nelson , Susan K .Allard-Nelson ,op-cit , p80

2 Pausanias , Description de la Grèce,(Elide) , trad par : M.Clavier ,T V , Paris , 1928 , I.

3 Christian Papeians , op-cit , p14.

4 . Pausanias ,T III (Laconie) , I .

كورنثا (Korintha) وأرجوليس (Argolis)	شرق البولوبونيز .
لاكونيا (Lakonia) وميسينيا (Méssenia)	جنوب غرب البولوبونيز .
أركاديا (arkadia)	وسط البولوبونيز .
أخايا (Akhaia)	غرب البولوبونيز .
الكيكلاديس (Kyklades)	وسط البحر الايجي .
الجزر اليونانية الشرقية	الجنوب الشرقي من بحر ايجة والتي تسمى باسم دوديكانسي (Dodékannesu) ¹ .

أما فيما يخص تضاريس اليونان فنجدها مضطربة وجبال وعرة المسلك تصعب الاتصال بين مختلف أجزاء البلاد وتتجه كل السلاسل الجبلية نحو الجنوب الشرقي مقسمة بلاد الإغريق القارية إلى عدد كبير من الهضاب وسهول متباعدة عن بعضها بجبال تصل قممها إلى أكثر من 2000 متر تشكل حوالي 60% من مساحة البلاد ، وتغطي الصخور معظم السطح مما جعلت البلاد في عزلة تامة من جهة وقلصت المساحة الزراعية من جهة أخرى².

وقد وفرت الجبال كميات من الحجر الجيري والرخام والغرين الذي يستخدم في صناعة القرميد والخزف ، وتحترق جبال بندوس اليونان من ألبانيا إلى خليج كورنثة وأعلى قمة بها بارناس 2452 مترا ، وتمتد في منطقة البولوبونيز ، وشرقا منها نجد جبالا تلاحقها هضبة الياخون (Alikhon) التي تنحدر إلى بحر إيجة تعلوها قمة أولمبيا 2917 م وتشكل هذه الجبال حاجزا طبيعيا حقيقيا يفصل الساحل الأيوني عن باقي البلاد وبالأخص سهل تساليا ، أما شمال شرق تراقيا ومقدونيا وعلى طول حدود بلغاريا نجد جبل رالوب (Rhalop) المنحدر من السهل الساحلي ، ومناطق تلية تتخللها هضاب رعوية وقد ساعدت هذه الظاهرة الجيولوجية في إنشاء المدن التي لا تربطها علاقة سياسية وممهدة في نفس الوقت لظهور الدولة المدينة وتأسيس التحالفات السياسية والعسكرية مثل : حلف ديلوس 479 ق.م ، الحلف الآخائي ، والأيوبي والإيتولي ... الخ التي لم تعمر طويلا.³

¹ محمود إبراهيم السعدني ، المرجع السابق ، ص ص 18-19 .

² لطفني عبد الوهاب يحي ، تاريخ اليونان والرومان ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ص ص 28-29 .

³ عبد اللطيف احمد علي ، المرجع السابق ، ص ص 150-151 .

إضافة إلى وجود بعض السلاسل الجبلية الوعرة التي مزقت بلاد اليونان وأدت إلى وجود ممرات ضيقة صعبة المرور ، حيث توجد بين كورنثة وأتيكا جبال جرانيه (Granea) وجبال كراته (Kerata) والطريق الوحيد الذي يربط عبر هذه الجبال لا تزيد عن ممر ضيق يمتد على الحافة الشرقية لجبال كراته بمسافة ستة أميال على ارتفاع يتراوح بين 600 و700 قدما وهو ارتفاع يجعل الذين يعبرونه عرضة للرياح¹ ، ومن السلاسل الجبلية التي برزت في اليونان أيضا نجد هيلكون (Helikon) ، وجبال بندوس (Pindos) التي تفصل بين سهول تساليا وإيبروس².

وبالرغم من هذه العزلة المفروضة جغرافيا فقد تكلم سكان الإغريق نفس اللغة وعبدوا نفس الآلهة ومارسوا تقاليد وعادات واحدة³ ، وحسب الدراسات التاريخية أن البيئة التضاريسية للإغريق قد ساهمت مساهمة فعالة في ظهور الأحزاب السياسية على غرار الأحلاف العسكرية ، وأبرز مثال على ذلك إقليم إتيكا (Atika) أقوى وأهم الأقاليم في اليونان تفسر أصل الأحزاب الأثينية واتجاهاتها فبرز حزب السهل (Pediakoi) الذي كان قوامه سكان السهول (كبار ملاك للأراضي والتجار والطبقة الأرستقراطية) وانحصر هدفهم في الاحتفاظ بالسلطة الدينية ومعظمهم أراخنة وحكام أثينا ينتمون لهذا الحزب ، وحزب آخر يدعى حزب الجبل* (Diakrioi) يضم كل القاطنين بسفوح بتيليكوس وهيمتوس وكان قوامه الفقراء الذين لم يكن لديهم ما يخسرونه ، فانصب همهم على تغيير الأوضاع السياسية والاجتماعية لتحسين أحوالهم ، وأما حزب الساحل (Paralioi) وأنصاره من سكان البلاد المتاخمة للبحر الذين يمثلون المصالح التجارية ولاعتدالهم في الرأي اتخذوا موقفا وسطيا بين الحزبين الآخرين فضلا عن الصيادين والحرفيين⁴.

2- الأنهار : اشتهرت اليونان بوجود بعض الأنهار الصغيرة قليلة الماء ومن أشهرها نهر ألفيوس (Alphios) في مقاطعة أركاديا⁵ ، إضافة إلى نهر أخيلوس (Akhélous) الذي يبلغ طول مجراه حوالي 175 كلم واتخذه اليونانيون إلها لهم وقدموه ، ونهر إفنيوس (Euenos)⁶.

¹ إبراهيم عبد العزيز جندي ، معالم التاريخ اليوناني القديم ، ج1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، 1998م ، ص 56.

² لطفي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص 29.

³ محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 23.

*حزب الجبل سوف يكون له دور في عصر الطغاة الذي يأتي بعد إصلاحات صولون لتغيير الوضع في أثينا بعد استئثار الطبقة الأرستقراطية بالحكم ، وتزعمه بيزستراتوس عام 572 ق.م (وسوف تفصل فيه أكثر في الفصل الثاني من الباب الثالث).

⁴ - Hérodote, histoire ,VIII, 144.

⁵ محمود إبراهيم السعدني : المرجع السابق ، ص 19.

⁶ - Père Lavedan , dictionnaire illustre de la mythologie et des antiquités grecques , librairie Hachette, paris , 1931, pp 4-5.

وقد ساهمت أيضا في تصعب مهمة الاتصال بين أنحاء بلاد اليونان مثل نهر بينيوس (Penios) الذي يبلغ طول مجراه 130 كلم و يجري في سهول تساليا وهو لا يصلح للملاحة لمسافات معقولة ، وإن تكن تميل إلى القصر في فصل واحد من فصول السنة ، والشائع أن هذه الأنهار تجف في فصل الصيف ومع ذلك فحتى في فترة جفافها فإنها لا تصلح دائما كوسيلة برية للاتصال لأن القاع لا يكون مستويا في أغلب الأحوال وإنما يرتفع وينخفض في تفاوت كبير بسبب أن هذه الأنهار وبخاصة في الجهات الطباشيرية التكوينية تنحدر عند منبعها بقوة جارفة وتنحدر في الصخر هوة أعمق بكثير من مستوى القاع في الجزء الأساسي من النهر¹.

وبذلك فإن أنهار اليونان لا تزيد على أن تكون سهولا تمتلئ بالماء إلا بعد العواصف الشديدة أو خلال فصل الشتاء ، وتجف مجاريها بقية فصول السنة ، فإذا كانت هذه الأنهار غير صالحة للملاحة فإنه يتعذر عبورها واجتيازها عندما تفيض مياهها في فصل الشتاء².

ج) التربة : إن السائد في جغرافية اليونان المناطق الجبلية التي تشكل الجزء الأكبر من سطح البلاد بما يساوي أربعة أخماس من بلاد الإغريق فقد كانت منحدرات الجبال تكسوها الغابات الكثيفة ، وهي مصدر غني للخشب والصيد والرعي ، كما كانت مصدرا لبعض السلع الأولية كتوفر حجر البناء بكثرة (الرخام) ، كما كان هناك صلصال جيّد لصانعي القدور³ ، ولكن الجزء السهلي الصغير الباقي من السطح والذي لا يتعدى حوالي 18% من المساحة الإجمالية لم يكن يشكل امتدادا متصلا بين الأرض السهلية الخصبة ، وإنما كانت من جهة يشكل مناطق متفرقة من السهول الصغيرة ، ومن جهة أخرى فقد كانت تربة هذه السهول من النوع الفقير ولا تصلح لإنتاج كل أنواع المحاصيل السائدة في الشرق الأدنى⁴ ، وإنما شاعت في بلاد اليونان زراعة محاصيل معينة مثل : الزيتون والكرام والقمح والشعير والخضروات⁵ ، كما تنمو من حولها أشجار التين والكمثري⁶.

ولكن هذه السهول تزداد كثرة واتساعا في الجنوب ، ولذلك نلاحظ حركة بشرية من المرتفعات إلى السهول ومن الشمال إلى الجنوب ، وبالتالي فقد مارس سكان الجبال ضغطا على سكان السهول طلبا للعمل

¹ لطفى عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص 30.

² إبراهيم عبد العزيز جندي ، المرجع السابق ، ص 59.

³ هـ . د . كيتو ، الإغريق ، تر: عبد الرزاق يسرى / محمد صقر خفاجة ، دار الفكر العربي ، 1962م ، ص 43.

⁴ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 12.

⁵ .

⁶ محمود إبراهيم السعدني ، المرجع السابق ، ص 19.

والغذاء أو سعيا منها للحصول على الأراضي الخصبة ، ولكن نظرا لضيق تلك السهول ذاتها فإنها كانت تعاني من الزيادة السكانية ، وكلما تكاثرت السكان في السهول الجنوبية تحركت المحجرة إلى خارج اليونان¹ .

وفي هذه الصدد فقد أثر فقر بلاد اليونان من ناحية المحاصيل الزراعية وخاصة الحبوب إلى التأثير على عقيدة الفرد اليوناني الدينية فقفر الزراعة زاد من أهمية ما تنتجه الأرض ، فأحيطت بنوع من القدسية فخصص لها آلهة معينة ، وتأتي في مقدمة هذه المحاصيل الضرورية للمعيشة (القمح ، العنب ، الزيتون) والتي لقبها البعض باسم " ثالوث البحر الأبيض " * ومنها صنع أهم غذاء الفرد الإغريقي المتمثل في : الخبز ، النبيذ ، الزيت ، و تتمثل أهم هذه المحاصيل في :

1- القمح : عرف في اليونانية باسم سيتوس "Sitos" ، وقد يعني أيضا الشعير² ، واعتبر القمح المحصول الرئيسي عند اليونانيين ، حيث شكل نحو ربع المساحة المزروعة ، ويسهم النصيب الأكبر في تحقيق الاكتفاء الذاتي ، بالرغم من أن إنتاج كريت لا يكفي فتضطر أحيانا إلى لاستيراد الحبوب من مدينة قورينة أثناء النصف الثاني من القرن 4 ق.م³ ، وخصصت له آلهة محددة والتي تتمثل في إله ديمتير وعلى أساسه أقيمت أعيادا واحتفالات كبرى وكانت تقام لها مهرجانات وتمارس فيها طقوس معقدة مع بداية الربيع⁴ ، كما شكل الغذاء الرئيسي عند السكان وكل طعام آخر غير القمح كان بمثابة الحلوى التي تأتي في ختام الوجبة ، وكان اليونانيون يأكلون الأطعمة المصنوعة من الدقيق بكميات كبيرة وأصناف متعددة ولم يكن الخبز يصنع عادة إلا من القمح ، وكانت كل دويلة يونانية تزرع ما يكفيها من القمح الذي كان يزرع في أكتوبر ويحصد في شهر ماي ، وإذا حدث أن عجزت أي دويلة مدينة عن تحقيق اكتفائها الذاتي تكون معرضة للمشاكل السياسية الداخلية⁵ .

¹ لطفى عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص 32.

*عثر على نقش في مدينة قورنثية يرجع إلى حوالي 326/330 ق.م ، يتضمن هذا النقش على قائمة بأسماء الأشخاص والمدن الذين زودتهم المدينة بالقمح ...، أنظر : عبد السلام شلوف ، نصوص ونقوش من ليبيا ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، 1994 ، ص 31.

² ألفرد زيمر ، الحياة العامة اليونانية " السياسة والاقتصاد في أثينا في القرن الخامس " ، تر : عبد المحسن خشاب ، مر : أمين مرسي قنديل ، تق : أحمد عثمان ، ط 2 ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2009 م ، ص 46.

³ فتحي محمد أبو عيانة ، الجغرافية الإقليمية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2005 ، ص 214 ، إبراهيم عبد العزيز جندي ، المرجع السابق ، ص 85.

⁴ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص ص 13 - 14

⁵ عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص 38.

2- الزيتون : كذلك الأمر ينطبق مع شجرة الزيتون التي نسجوا حولها أسطورة شهيرة وهي أن اثنين من الآلهة وهما "أثينا" (آلهة العدل والحكمة) و "بوسيدون" (اله البحار) اختلفا حول امتلاك إقليم أتيكا فاحتكما إلى كبير الآلهة "زيوس" ، فسأل كلا منهما عن الهبة التي سيقدمها كل منهما لأهل هذا الإقليم فعرض بوسيدون أن يهبهم الحصان ليكون وسيلة للانتقال وسلاحا قويا في الحرب ، أما أثينا أن تهبهم شجرة الزيتون فمن ثمارها غذاء وزيت له فوائد كبيرة في الطعام ومن أخشابها وقود ، وبهذا العرض فازت أثينا بالإقليم واستأثرت به لنفسها وبذلك نظر الأثينيون إلى شجرة الزيتون على أنها هبة الآلهة¹ ، وأن إكليل الزيتون البري هو الجائزة المفضلة لدى اليونانيين منذ الدورة الأولى للألعاب الأولمبية منذ عام 776 ق.م ومن مقدساتها ، حيث يقول ألفرد زيمرن: "إن إكليل الزيتون البري الأولمبي جائزة هيلانية حقا"².

واختلفت الأبحاث التاريخية حول تحديد أصل شجرة الزيتون هل هي شجرة أصيلة بأثينا أم لا؟ فحسب هذه الأسطورة اليونانية أن هذه الشجرة قد أدخلت إلى إقليم اتيكا من قبل الإلهة أثينا في وقت لم تكن قد عرفت ولم تنبت بعد في أي جهة من جهة بلاد اليونان ، بينما الاكتشافات الأثرية التي قام بها الأثريون يعتقدون أنها شجرة أصيلة في بلاد اليونان نظرا لآثار المعصرة المكتشفة في قصر مينوس بمدينة كنوسوس الكريتية والتي تعود فترتها الزمنية إلى حوالي 2600 ق.م ، ولكنها ازدهرت بوجه خاص في أتيكا.³

ومما تجدر الإشارة إليه أن شجرة الزيتون ذكرت كثيرا في الأشعار اليونانية القديمة واعتبر غصنها رمزا للسلام نظرا للمدة الزمنية الطويلة المخصصة لنضجها الجيد، والتي تتراوح بين 10 سنوات إلى 16 سنة ، وقد تتجاوزها في حالات أخرى حتى تعطي أجود محصول إلا بعد أربعين أو ستين عاما⁴ ، ولهذا كانت أشجار الزيتون كالغابات من العسير زراعتها إلا في ظل حكومة مركزية قوية، ففي حالة إتلاف مزرعة من مزارع الزيتون ، فيها خسارة فادحة ، وهذا لا يعني ضياع محصول سنة واحدة بل ضياع رأس المال بأكمله ، لان شجرة الزيتون تحتاج فترة من الزمن حتى تؤتي ثمارها ، وهذا ما حدث لأثينا في الحروب البولوبونيزية (431-404 ق.م) عندما قام

¹ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص ص 13-14.

² ألفرد زيمرن ، المرجع السابق ، ص 50.

³ عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص 40.

⁴ بيير ديفانييه وآخرون ، معجم الحضارة اليونانية القديمة ، تر: أحمد عبد الباسط حسن ، مرا: فايز يوسف محمد ، ج1، ط1، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2014 ، ص 132.

الاسبرطيون بتدمير حقولها¹، كما أن الزيت أصبح أهم سلع التصدير وشجعت الحكومة انتشاره وزراعته خاصة في عهدي صولون "Solon" الذي حرّم كل المنتجات الزراعية و استثنى منها إلا الزيت ، وبيزستراتوس "Pésistratous" الذي منح قروضا من جيبه الخاص للفلاحين في ظل التقدم البطيء لهذه الزراعة².

3-العنب : انتشرت زراعة العنب في بلاد اليونان بنطاق واسع إذ كانت كل منطقة تزرعه للاستهلاك المحلي ، والذي استغل هذا المحصول في صناعة النبيذ بكل أنواعه ، حيث اعتبره اليونانيون الشراب القومي مثلما كانت الجعة عند المصريين ، واقتصرت تجارة النبيذ على الأنواع الفاخرة كنبيذ خيوس ، ليسبوس ، ثاسوس .

وبالرغم من إنتاج الإغريق لشراب النبيذ إلا أن شعبها لم يكن مدمنا على الخمر ولو أن النبيذ كان له دور كبير في حياتهم الاجتماعية واحتفالاتهم الدينية ، وبمرور الزمن ارتبط ديونيسوس "Dionysus" أو باخوس "Bacchus" بالأعصاب حتى صار إله النبيذ وجسدت صورته على الأواني الفخارية مرفوقة بغصون الكروم³. وخلاصة القول أن فقر المحاصيل الزراعية في بلاد اليونان أثر في عمل كثير من مواطنيها الذين لجؤوا إلى مهنة المرتزقة أو بالأحرى كجنود مرتزقة عند الغير يحملون رايات غير رايات بلادهم ، وهكذا انضموا كأفراد عسكريين في صفوف وجيوش دول وإمبراطوريات كبرى مثل : الإمبراطورية المصرية في عهد الدولة الحديثة زمن الفرعون بسماتيك الثاني ، الإمبراطورية الفارسية... الخ⁴.

كما أثر كثيرا على سياسة الدويلات اليونانية داخليا أو خارجيا ولعل أبرزهم مدينة أثينا سعت لتأمين احتياجاتها من القمح عن طريق احتوائها للمناطق التي تحيط بالبحر الأسود والسيطرة على الخطوط البحرية إليها إما باستعمار هذه المناطق أو بعقد اتفاقيات ودية معها ، أو في حالات إتلاف المحاصيل الزراعية خاصة بساتين الزيتون منها التي تتطلب مدة زمنية طويلة ، وبالتالي إتلاف بستان واحد منها يعني ضياع رأس مال كله ، ولهذا أصيبت أتيكا بإضرار فادحة بسبب التخريب الذي أحدثه الاسبرطيون في مزارعها أثناء الحروب البولوبونيزية (431-404 ق.م) أو في صراعها أيضا مع الفرس (490-478 ق.م)⁵.

¹عطية ابريك مؤمن الحاسي ، كريت ودورها في تاريخ البحر المتوسط من بداية الألف الثالثة قبل الميلاد إلى نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم ، تحت إشراف عبد السلام محمد شلوف ، كلية الآداب ، بنغازي ، 2012/2011 ، ص 35.

² عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص 40.

³ ألفرد زيمر ، المرجع السابق ، ص 47.

⁴ لطفي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص 32-33.

⁵ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 14.

(د) البحر والجزر: تعتبر الحضارة اليونانية حضارة بحرية لإشرافها على العديد من المسطحات المائية وأبرزهم : البحر الأبيض المتوسط¹ ، البحر الأيوني ، البحر الإيبي ، وبالتالي فإن هذه المميزات البيئية جعلت الإغريق من أهم أقاليم المتوسط ملائمة لإقامة شعب يمارس نشاطا تجاريا مستغلا موقعه البحري² ، وفي هذا السياق يشير الفيلسوف الإغريقي أفلاطون بقوله : " لقد انتشرنا نحن اليونانيين على شواطئ البحر الأبيض المتوسط انتشار الضفادع على ضفاف الغدير"³ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن البحر يحيط بها من كل الاتجاهات مما جعلها منطقة بحرية ملاحية حيث لا تكاد اليابسة تغيب عن عين الملاح ، ولا يوجد مكان في بلاد اليونان يبعد عن البحر بأكثر من 40 ميلا ، ولا مكان في البولوبونيز يبعد عن البحر من 32 ميلا ، وهي مسافة لم تكن تستغرق سوى يومين بوسائل النقل القديمة ما عدا سهل (مانتينا) الوحيد الذي لا يطل على البحر ، ولهذا لم يكن اليوناني القديم يطيق الابتعاد عن البحر مهما كانت الظروف ، وعندما كان يحول أمر بينه وبين مرأى البحر كان يحس بكرب شديد وخير مثال عن ذلك ، العشرة آلاف محارب من الجنود المرتزقة الذين التحقوا بجيش الإمبراطور الفارسي قورش ، شعروا بحزن عميق وخوف مريع عندما ظلوا فترة طويلة من الزمن بعيدين عن البحر حتى وصلوا إلى سواحل آسيا الصغرى ، وعندما لمحو البحر هتفوا بصوت واحد : " البحر ، البحر ! " ، ثم أقوا بأنفسهم في مياهه والسعادة تغمرهم بذلك⁴ .

ومن أهم البحار التي تشرف عليها بلاد الإغريق :

1- البحر الأبيض المتوسط : يتميز بخلوه من حركات المد والجزر القوية مما سمح باستخدام الموانئ والمراسي ، وبناء الأحواض الكبيرة وتخطيط المدن الساحلية ، ولا تجد المراكب فيه أي صعوبة كبيرة سواء عند الإقلاع من الميناء أو الرسو على الشاطئ⁵ ، وقد اشتهر البحر الأبيض المتوسط منذ القدم بالملاحة البحرية بين معظم الحضارات المطللة عليه بسبب انتظام هبوب الرياح الدائمة على مدار السنة⁶ ، هذا الأمر انعكس على اليونان أيضا حيث عرفت بملاحتها البحرية وتمكن الملاح اليوناني الذي لم يكن قد ألف الإبحار بعيدا عن الساحل من أن ينتقل بين سواحله بدرجة عالية من الأمان في ظل عدم استخدامه للبوصلة ، وإنما يتبع حركة النجوم في السماء

1 Thomas .R. Martin , op-cit , p1.

2 Chares Gates , op-cit , p 118.

3 Œuvre de Platon , Phédon , trad par : victor cousin , V1 , T 1 , maison d'édition Reyt Gravier , Paris , 1846 , p304.

4 محمد حمدي إبراهيم ، الحياة الفكرية والثقافية في أثينا ، المرجع السابق ، ص ص 95 - 96.

5 الفرد زيمرن ، المرجع السابق ، ص ص 19 - 20.

6 R.F.Willefts , op-cit , p23.

فقط ، وفي الوقت نفسه ساعده على ذلك انتشار الجزر على مسافات غير متباعدة ، وكانت بمثابة الجسر الذي يربط بين اليونان وبين المناطق الأخرى القريبة منها ¹ .

2- بحر إيجه ² : تنتشر به مئات الجزر والتي بلغ عددها حوالي 483 جزيرة ، ويعتبر منطقة الجذب الأولى لليونانيين ، وكان عنصرا أساسيا في حياتهم حيث شيد اليونانيون جميع مدنهم على ضفافه ، فمن الغرب تطل عليه بلاد اليونان الأصلية ، وفي الشرق حيث الشاطئ الغربي لشبه جزيرة آسيا الصغرى ، أين هاجر اليونانيون واستقروا فيه ، وأقاموا عددا كبيرا من مدنهم هناك بعد تعرضهم للغزو الدوري ³ .

واشتهر بحر إيجه بالهدوء الشديد وبنقاء هوائه وصفاء جوه حيث تبدو صخور سواحله للعين أقرب مما هي عليه ، وخير مثال على ذلك : البارثون (معبد الآلهة أثينا) الذي يمكن رؤيته من قلعة كورنثة ، وأن من يقف عند لسان سونيوم (Sunium) في الجهة الشرقية من أتيكا يستطيع أن يشاهد مجموعة جزر الكيكلاديس (Cyclades) الملتفة حول جزيرة ديلوس ⁴ ، كما يتخلل بحر إيجه العديد من الموانئ والخلجان العميقة النافذة داخل السواحل الإغريقية مثل : خليج كورنثة الذي لا يزيد في بعض أقسامه على الكيلومتريين ، بالإضافة إلى وجود عدد من الممرات والمضايق المائية الشرقية ، حيث يوجد مضيقا البوسفور والدرديل وهما حلقة وصل بين قارتي آسيا وأوروبا أي مع سواحل آسيا الصغرى ومنطقة الشرق القديم كمصر والسواحل الشرقية للبحر المتوسط مقربة بذلك المسافة بينها لأنها بمثابة جسر العبور لمناطق الغرب والشرق ، فهو المنفذ لأوروبا من جهة الجنوب للشرق الأقصى ⁵ ، ولهذا يقول أرسطو بأن الجنس الهيليني جنس وسط في طبيعته لتوسط وقوعه جغرافيا بين آسيا وأوروبا ، ما ينطبق أيضا على الإيجيين السابقين لهم ⁶ .

¹ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 7.

Pausanias , T1 , I , 1.

³ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 8.

⁴ عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص ص 25- 26 .

⁵ ليلي عبد القادر علي الغناي ، تطور نظام دولة المدينة الإغريقية "أثينا و اسبرطة" 800-300ق.م دراسة تاريخية مقارنة ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 2008 ، ص ص 22-23.

* يتعرض شمال البحر الإيجي حتى أواخر الربيع لرياح شمالية عاصفة تكون سببا في عرقلة الإبحار أمام الملاحين أو سببا في هزيمة الحملات العسكرية ، وهذا ما حدث مع الأسطول الفارسي بقيادة مادينوس عام 492ق.م أثناء الاجتياح الفارسي الإغريقي، وأنه يبقى موصدا في وجه الإغريقين في فصل الشتاء (من أكتوبر حتى أبريل) حيث يقول هزيبود أن البحر الإيجي لا تؤمن فيه الملاحة إلا في الخمسين يوما التي تلي الربيع ، واعتبر احتيازا البحر من ميناء أوليس (Aulis) في بويوتيا إلى جزيرة بويويا المناخمة لها بمثابة عملا بطوليا ...، أنظر: عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص 27.

⁶ جورج سارتون ، المرجع السابق ، ص 229.

وكانت طبيعة الأرض في حوض بحر إيجه معقدة حيث تقطع سلاسل الجبال الأرض المستوية الواطئة وصفوف الجزر تشطر البحر ، وقد أثرت تضاريس بحر إيجه ومركزه الجغرافي في حياة السكان اليونانيين من خلال خلق طرقا ممتازة للمواصلات البحرية وتعويضه عن المواصلات البرية التي افتقد لها بسبب وعورة الجبال التي جعلت الانتقال ينطوي على مشقة كبيرة ، كما أن كثرة انتشار الجزر التي تصل إلى حوالي 483 جزيرة تبدو وكأنها قمم جبال صخرية مغمورة تحت المياه ، وتمتد من شاطئ إلى آخر في خطوط متوازية بحيث لا يبعد البر قط على مرأى البصر ، وقد شكلت هذه القمم ميدانا صالحا لتدريب المبتدئين على الملاحة* ، فضلا على أنها كانت بمثابة قناطر عبور لمختلف المناطق ، وبالتالي كان بحر إيجه المركز الحقيقي لبلاد اليونان ومهد الحضارة الهيلينية¹ .

وقد استطاع بحر إيجه تسهيل الاتصال بين هذه الجزر على المستويين التجاري والفكري فتم تبادل الأفكار والثقافات بين مختلف الشعوب ، فالانتقال من جزيرة إلى أخرى ومنها إلى مناطق مختلفة من العالم القديم ، فكان من الطبيعي أن شعبا في مثل هذا الإقليم يتطور بصورة أسرع عن غيره وأكثر انسجاما ، فليس هناك حرارة شديدة تنهك الإنسان ، كما لا أثر للبرد القارس الذي يفلج الأجسام و يشل حركتها ، فاعتدال الإقليم و لطافة الطقس وجمال الطبيعة في بلاد الإغريق يثير النشاط في النفس دون الإخلال بالتوازن مما يقود الفكر الإغريقي إلى التأمل والعمل معا ، حيث يقول أبو قراط : " إن إقليم بحر إيجه يعد مثالا أعلى في الاعتدال واللطفة ، وإليه يرجع الفضل في قوة الإغريق وشجاعتهم وحبهم للحرية"² .

وبالتالي أصبح بحر إيجه البيئة الطبيعية التي يعيش فيها اليونانيون وملتقى تعارفهم ، فشعروا بالوحدة القومية وتآزروا ليتمكنوا من السيطرة الاقتصادية والثقافية في منطقة حوض البحر المتوسط ، وبذلك توحدت منطقة بحر إيجه فكانت هي الأساس ، وشكل نقطة انطلاقها ومركز الحياة بالنسبة لها ومصدر وحدتها رغم تباينها واختلافها عن بعضها ، وبالرغم من هذه الوحدة الجغرافية لم تتحقق الوحدة السياسية ، وظلت بلاد اليونان منقسمة دائما إلى عدد كبير من الدويلات المستقلة .

3- البحر الإدرياتيكي (الأيوني) : يحدها من الغرب ومحصور بين الساحل الغربي لجنوب بلاد الإغريق والساحل الشرقي " الحذاء الإيطالي " ، ويعتبر مركزا للزواجر والتيارات غير المنتظمة في فصل الشتاء ، ويضم هذا البحر بعض الجزر الممتدة بمحاذاة شاطئه ، وتكثر به موانئ ، وبعض الأرخبيلات كأرخبيل سبوراديس (

¹ رجب سلامة عمران ، موضوعات من التاريخ اليوناني والروماني ، كلية الآداب ، القاهرة ، ص ص 13-14 .

² خليل سارة ، تاريخ الإغريق ، منشورات جامعة دمشق ، دمشق ، 2016 ، ص ص 44-45 .

(Sporades) وأرخيبيل هيانتييس (Hepante) ، والجدير بالملاحظة أن الرياح البحرية التي تهب فيه تساعد على الإبحار والملاحة بالقرب من شواطئه خاصة في فصل الصيف بينما فصل الشتاء تصعب الملاحة فيه ¹.

وحسب الدراسات التاريخية فإن اليونانيين قد تهيأوا منذ فترة مبكرة من تاريخهم للبحر أي منذ أوائل القرن 12 ق.م وأواسط القرن 9 ق.م ، وهو ما توضحه أحداث الإلياذة والأوديسة ، وقد تزايد هذا النشاط حتى القرن 6 ق.م خاصة في المجال التجاري ، ويستعينون به للتغلب على عسر الحياة في المناطق الفقيرة التي يعيشون فيها ، وقد تجلّى استخدام اليونانيين للبحر في ثلاث اتجاهات وهي :

الهجرة والتجارة والقرصنة وأكسبهم بذلك روح المغامرة إما عن طريق مهاجرين بشكل فردي أو على هيئة جماعات أو موجات بشرية استقرت على مختلف سواحل البحر المتوسط والبحر الأسود وعلى الجزر التي تشرف عليه ، كما استقروا في جنوبي شبه الجزيرة الإيطالية وصقلية وأنشأوا مستوطنات إغريقية ، واصطلح عليها باسم "اليونان الكبرى" ، بالإضافة إلى وصولهم إلى شبه جزيرة ايبيريا (اسبانيا والبرتغال حاليا) ، وإلى الشواطئ الإفريقية (مصر وليبيا) والجزر المنتشرة في البحر المتوسط مثل صقلية وقبرص... الخ، وقد استغل اليونانيون البحر أيضا في النشاط الاقتصادي خاصة في المجال التجاري الذي أصبح موردتهم الاقتصادي الأول حتى بدايات القرن السادس والخامس قبل الميلاد ، حيث كانت مريحة للغاية بالرغم من الصعوبات والعواصف التي يواجهها البحارة وهو ما سجله هزيبود في ملحتمته (الأعمال والأيام)** عندما توجه بالنصيحة إلى أخيه قائلاً :

-ضع بضاعتك في سفينة كبيرة

-لأنه كلما كان حجمها كبيرا زاد ربحك .

-إذا حدث وحجبت عنك الرياح ما تأتي به من أخطار ².

¹ محمود إبراهيم السعدني ، المرجع السابق ، ص 109.

*هزيبود(هيسيبود) : (846-777 ق.م) هو أحد أعظم شعراء اليونان القدامى ، ولد في بلدة كيمي (Cyme) في إقليم إيولي (Eolie) بأسيا الصغرى ، لكن والده هاجر به إلى بلدة أسكرا (Askrae) الواقعة بالقرب من ثيسباي (Thespaie) في إقليم بيوتيا ، هذه الأخيرة التي اعتبرها هزيبود بائسة في الشتاء ، لا نطاق في الصيف ، وليس فيها خير وثروة في وقت من الأوقات كمعظم الأماكن التي تعيش فيها الناس.. ، Hesiod , les travaux et les jours , trad par : E.Belgougnan , librairie garnier frères , paris , p7.

** من أهم قصائده الشهيرة (الأعمال والأيام) و (أنساب الآلهة) ، حيث تطرق في : الأعمال والأيام : تدور حول موضوع شخصي وقضية ذاتية ، حيث وضع هزيبود نفسه في مقابلة أو معارضة سافرة للموروث البطولي ، فهو يناقض هوميروس وتصويره للحياة التي كانت تتركز حول النبلاء والأمراء في قصور الملوك ، ويفتح قصائده بالدعاء لزيوس رب العدالة ويصور الحياة من زاوية الفلاح الكادح الفقراء ...

-أنساب الآلهة : نظمها هزيبود بإيعاز من ربات الفنون نفسها وهي أول نتاج للشاعر الذي يحاول فيها ترتيب مجموعة من الأساطير المنفرقة بأن يعطي لها نظاما متماسكا لا سيما في مسألة بداية الأشياء من ناحية تسلسل نسب الآلهة ، ويتحدث فيها هزيبود كما لو كان رجلا متميزا عن بقية الناس أو كأن الآلهة منحه قدرات خاصة تمكنه من النفاذ إلى خبايا الأمور... أنظر : أحمد عثمان ، الأدب الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا ، ط3 ، منتدى سور الازيكية ، القاهرة ، 2001 ، ص ص 113 - 122.

² Hesiod , les travaux et les jours , pp 13, 60.

كما يشير ثوكيديديس أن اليونانيين قد عرفوا القرصنة منذ وقت مبكر من تاريخهم واعتبروه عملا شريفا يسترزقون به عندهم وعند غيرهم أيضا ، ويعوضون فقر بيعتهم¹ .

ولهذا تنقسم الجزر حسب موقعها الجغرافي إلى مجموعتين :

1/ المجموعة الأولى : تقع في الغرب (الجزر الأيونية) من البحر الأيوني بين اليونان وإيطاليا وصقلية ، ومن هذه الجزر : جزيرة كورفو والمعروفة باسم كيرتي قديما ، وجزيرة ليوكاس ، وجزيرة كيفالونيا ، وجزيرة اكونثوس وجزيرة كوتيرا... الخ²

2/ المجموعة الثانية : هي مجموعة الجزر الإيجية التي تنتسب إلى بحر ايجة ، وتنتشر فيه حوالي خمسمائة (500) جزيرة مما جعل البحر فيه لا يغيب البر عنه³ ، وفي القدم كانت هذه الجزر تنقسم إلى مجموعتين :

أ) السيكلاذ : تتجمع حول أربعة وعشرين جزيرة كبيرة ، ومئتين جزيرة صغيرة نصفها محيطة بجزيرة ديلوس ، ناخوس أندروس ، كريت... الخ.

ب) السبوراد : وتتمثل أهم جزرها في جزيرة رودس التي تبلغ مساحتها حوالي 1400 كيلومتر مربع⁴ .

في حين يقسم الباحث علي عكاشة جزر بلاد اليونان إلى حوالي خمس مجموعات وقسمها حسب موقعها الجغرافي وتضم كل مجموعة ما بين أربعة إلى سبعة جزر⁵ ، وأهمها: جزيرة كريت : تقع هذه الجزيرة في منطقة غير مستقرة جيولوجيا بدليل تعرضها المستمر للزلازل والبراكين زمن العصر البرونزي ، وبالرغم من ذلك إلا

¹ Thucydide, histoire de la guerre du Péloponnèse , trad par : Jean Voilquin, Jean Capelle , TI , Librairie Garnier frères, paris , 1886, 5.

² صلاح السيد عبد الحي ، العرب واليونان ، اتصال وتواصل حضاري ، ط1 ، المكتب العربي للمعارف ، مصر ، 2009 ، ص 58.

³ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 8.

⁴ ف. ديكانوف ، س. كوفاليف ، المرجع السابق ، ص 260.

*التقسيم الآخر للجزر هو كما يلي : المجموعة الأولى (المجموعة الشمالية) : تضم جزر كل من (ناوسوس ، ساموتراس ، ليموس ، أمبروس ، تيتيدوس ، وهذه المجموعة تمتد من طروادة إلى ساحل آسيا الصغرى حتى شبه جزيرة خليكيديية) ، المجموعة الثانية : تتألف من أربع جزر (سكروس ، بسيرا ، ولسوس ، خيوس) ، المجموعة الثالثة : تضم أربع جزر وهي (ثيوس ، ميكوتوس ، أيفاريا ، ساموس) ، المجموعة الرابعة : تشمل تسع جزر وهي (كيوس ، كيثيوس ، سيريفوس ، سيفونوس ، باروس ، ناكوسوس ، أمورغوس ، استيالي و كوس) أما المجموعة الخامسة وتضم جزر (سيتيرا ، كريت ، كارباتوس ، رودس ..أنظر: وهيب أي فاضل ، الموسوعة الكبرى لتاريخ الشعوب وحضارتها (اليونان) ، ج 5+6 ، مركز الشرق الأوسط الثقافي ، ط 1 ، بيروت ، 2012 ، ص 13.

⁵ علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 39.

أنها تعتبر من أهم وأكبر جزر البحر الإيحي من حيث سعتها وموقعها الإستراتيجي، حيث تبعد عن العالم اليوناني بحوالي 200 كم طولا و58 كم عرضا، بالإضافة إلى أنها تعتبر همزة وصل بين آسيا الصغرى وشبه جزيرة اليونان ، وفي نفس الوقت بمثابة محطة تجارية هامة تقع على طريق الملاحة ما بين مصر وسواحل سوريا والعالم اليوناني منذ القدم ، فضلا على أنها من أهم جسور الانتقال التي ساعدت اليونانيين على ركوب بحر ايجه في فترة مبكرة من تاريخهم كمحاولة لتعويض ضيق موارد الحياة في بلادهم¹ .

تتميز هذه الجزر بجمال طبيعي ساحر ، ويقوم اقتصادها على الزراعات المتوسطة وتربية الماشية والنشاط البحري حيث يستطيع أن ينشرح صدر الملاح المتعب حين يرى اختلاف ألوان التلال المظلة التي تقوم كالهياكل فوق مياه البحر ، وتنعكس عليها فضلا على أن هذه الجزر منثورة ومنتشرة كاللآلئ في جميع الجهات ، ومتقاربة في نفس الوقت فلا تكاد سفينة تبعد عن الأرض أكثر من أربعين ميلا سواء أكان مسافرا من الغرب إلى الشرق أم من الشمال إلى الجنوب ، وقد كانت أشبه بمنارات تهتدي بها السفن في وقت لم تكن تهتدي فيها بالبوصلة البحرية ، وفوق كل هذا فإن حركة الرياح والماء كانت تعين الملاح على الوصول إلى هدفه في ظل ندرة وجود الضباب في البحر المتوسط ، كما أشعة الشمس التي لا تكاد تحتجب عنه و ينشأ منها بالليل وبالنهـار نسيم البحر المتوسط الذي يساعد الإغريقيون على الملاحة من بداية الربيع إلى آخر الخريف² .

هـ) المناخ : يعتبر مناخ بلاد اليونان مناخ البحر المتوسط (مناخ متوسطي) ويميل إلى الاعتدال وثابت ومنتظم ، فالشتاء قارص على الجبال أما فيما عداها فهو معتدل مشمس ، والصيف يبتدئ مبكرا وحارا ولكن حرارته ليست منهكة للقوى إلا في السهول لأن الجو جافا ، كما أن التغيير في نسيم البر والبحر يلطف الحرارة ولا يكاد المطر يعرف في الصيف أما أواخر الشتاء والخريف فهما فصلان مطيران³ .

وبالتالي مناخ جاف وحار صيفا ، وشتاء دافئ وليل بارد في فصلي الخريف والشتاء ويتلاشى أثرهما مع دفء النهار ، وهو ما يجعل الطقس دافئا طول السنة⁴ ، وفي هذا الصدد يشير أبو قراط قديما إلى انتظام تعاقب

1 Chares Gates , op-cit , p120 , R.F.Willefts , op-cit , p 23.

2 فيان موفق النعيمي ، المرجع السابق ، ص 21.

3 Thomas .R.Martin , op-cit , p4, Chares Gates , op-cit , 120.

4 سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص ص 10-11.

الفصول في حوض بحر إيجه مما يبعث النشاط في الأجسام ويزيد في فعاليتها وانتعاشها بقوله : " يعتبر إقليم بحر إيجه مثلاً أعلى في الاعتدال واللفظ وإليه يعود الفضل في قوة الإغريق وشجاعتهم وتعشقهم للحرية"¹ .

وقد شجع هذا المناخ على نمو الحياة الجماعية العامة بما يؤدي إلى نضج سياسي² ، فال يوناني كان يستطيع أن يقضي ساعات طويلة من يومه خارج منزله يحاكي بقية أفراد الجماعة، وهو اندماج يتيح تبادل الأفكار ونمو فكرة الحياة العامة المشتركة مما جعل كل فرد ملماً بالشؤون السياسية في مجتمعه وتؤهله التمتع أيضاً بالمواطنة³ ، حيث ساعدهم على ممارسة الأنشطة في الهواء الطلق والاجتماع للمقاضاة أو مناقشة قضايا سياسية وغيرها أو التسوق مثلاً بساحة الأغورا ، وهي ساحة عمومية بأثينا تتمتع بوظائف عديدة كتبادل السلع والمنافع والتقاضي وتبادل الأفكار وللحوار بين الناس ، أو التحول بأروقة المدن ، وهو المكان الذي كان يتم فيه ممارسة الرياضة البدنية ، وفي الفترة الهيلينية تطور ليضم تراكيب شكلية ضمت فناءات للرياضيين وخزانات لملابس المستحمين وغرف التبريد وأماكن للراحة ومقاعد للمتفرجين، أو إجراء المنافسات المسرحية وكذا الأنشطة الفكرية والفنية الأخرى⁴ .

3 الخصائص البشرية للإغريق : بعدما تطرقنا لخصائص البيئة الطبيعية للإغريق وجغرافيتها ، لابد من التفصيل أيضاً في السمات البشرية وأهم الأقوام التي ميزت بلاد اليونان باعتبار تتوسط أهم الحضارات الشرقية منها والغربية (الفينيقية ، الرومانية... الخ) وهذا ما جعلها منطقة عبور للعديد من الهجرات والأقوام ، وهو محور عنصرنا القادم ، إذ سنحاول الإشارة إلى :

أ) أصل التسمية : اختلفت التسميات التي أطلقها المؤرخون على الشعب الإغريقي منذ بداية العصور التاريخية بين يوناني وإغريقي وهيليني ، ولم تعرف بلاد الإغريق بأي تسمية من هذه العصور السحيقة ، وأول مصدر أدبي يطلعنا على أسماء هذه الشعوب هو ما ورد في ملحمتي الإلياذة * والأوديسة * المنسوبتين لهوميروس حيث وردت عدة تسميات منها :

¹ - Hippocrate , des aires de deaux et des lieux , trad par : le D'CH .V. Daremberg éditeur charpentier et Fortin , Paris , 1844 , I , II , 12, 16.

Thomas .R.Martin , op-cit , p4 .

³ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 15.

⁴ محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 23.

1) الآخيون (Acheor) : نسبة إلى منطقة في إقليم تساليا عرفت باسم " آخيا" فكانوا شعبا ذا سيادة في بلاد الإغريق وأطلق عليهم المصريون تسمية الأكوشا (Akawosh) والواقع أن تاريخ هذه التسميات أقدم من رواية هوميروس^{1***}، وتروي إحدى الأساطير اليونانية بأن القبائل الآخية التي استقرت في البولوبونيز قد تناسلت من "آخيوس" حفيد هلن ابن ديوكاليون (Deoucalion) وزوجته بيرها (Pyrha)².

***الإلياذة :** تعتبر الإلياذة من أهم ما خلفه الأدب اليوناني ، ومن روائع الشاعر هوميروس ، تحكي حرب طروادة وأبطالها أمثال : أخيلوس ، اجامنون باريس... الخ ، وتتكون من 15537 بيتا قسمها علماء الإسكندرية إلى 24 أنشودة لتسهيل دراستها ، تحكي حادثة اختطاف هيلين زوجة ملك اسبرطة منلوس من قبل الأمير الطروادي باريس ، سميت بهذا الاسم نسبة إلى اليونان عاصمة مملكة طروادة التي كانت ميدانا للحرب ويعتقد أن الإلياذة قد ألقت في بلاد مختلفة من خلال طولها وكذا كثرة تنقل هوميروس أما عن أسباب تأليفها فقد اختلف المؤرخون في ذلك ، فهناك من أرجعها إلى أن الشاعر قد نظمها تطريا بمعانيها وأسلوبها ، ومن قال أنه نظمها تكسبا له ، ومن قائل أنه لم يرد منها إلا تدوين الحقائق التاريخية... ، أنظر : Mike Paine , ancient greece , pocket essentials , Britain , 2007 , pp19-20

****الأوديسة :** سميت بالأوديسة نسبة إلى بطلها أوديسيوس أو أوليس " Olysse " وهو ملك أسطوري لمدينة ايتاكا (إحدى الجزر الأيونية) ، وهي تتكون من 12000 بيت شعري قسمها المؤرخون والنقاد إلى 24 أنشودة تنقسم بدورها إلى ثلاث أجزاء رئيسية : أولها أعمال "تليماخوس" وتتضمن الأناشيد الأربعة الأولى وسميت باسمه لأنه يقوم فيها بالدور الأول ، وثانيهما " مغامرات أوديسيوس " ويصفها الشاعر في الأناشيد السبع التالية ، وثالثهما " انتقام أوديسيوس " ويشمل الجزء الأخير من الملحمة ويحدثنا فيه الشاعر عن رجوع أوديسيوس إلى وطنه بعدما ترك بلدته كي يكون من قادة حرب طروادة ، وهو صاحب فكرة الحصان الذي بواسطته انخرم الطرواديين ، بعد فوزه فقد صديقا عزيزا عليه ، فأخذ يلعن الآلهة فغضب منه إله البحر بوسيدون وعاقبه بأن يتوه في البحر لمدة 20 سنة وهناك لاقى أهوالا كثيرة ومغامرات بحرية .. وعند عودته تخلص من أعدائه الذين كانوا استولوا على قصره وأرادوا أن يرغموا زوجته بينلوب على الزواج بواحد منهم ... ، أنظر : Dugas Montbel (Jean Baptiste) , observation sur l'Iliade d'Homère , A ,F, Didot ,Paris , 1830 , pp 159,163 , Mike Paine ,op-cit , p19.

*****هوميروس :** اختلف المؤرخون في تحديد مولده ولقد زعم فريق من النقاد أنه ولد في حوالي القرن التاسع قبل الميلاد ، وكني بهوميروس بمعنى الرهينة لوقوعه أسيرا في الحرب ، أو بمعنى الخطيب والمحدث لاشتهاره بالخطابة وبلاغة القصص أو بمعنى كفيف البصر لأنه فقد بصره واختلفت الروايات حول المدينة التي نشأ فيها فهناك روايات تذكر أنه نشأ في أزمير وأخرى في سيلاميس أو سمورنا (Smyrna) أو في كوما ، وقد حاولت جميع المدن نسبة إليها ، ويقال أنه أنشأ مدرسة لتعليم الصبيان ومعاهد للدرس والمحاضرة للكبار ، ولكنه غادر مدرسته ومعاهده وأخذ يجوب البحار باحثا منقبا مستطلعا شؤون المجتمعات والبلدان والشعوب حتى اجتمع له من ذلك حظ كبير ثم أصيب برمد افقده بصره فأرجعه إلى أزمير وأقام بها زمنا تدرّب في أثناءه على نظم الشعر القصصي ولما برحت به الحاجة غادرها وأخذ يطوف ببلاد اليونان وغيرها متكسبا بشعره ، وقد كان لهذه الخطب أثر كبير في إظهار عبقريته وفصاحته حتى بلغ أرقى شأنها ومركزا عاليا كما تشهد بذلك أهم أعماله الأدبية الخالدة : الإلياذة والأوديسة التي تعتبر من نتاج سنوات عمره الأخيرة أي فترة النضج والتعلّق ، يقول عنه أحد النقاد الإغريقيين القدامى : " ومن ثم فيمكن للمرء أن يشبه هوميروس في الأوديسة بالشمس ساعة الغروب " .. ، كما يقول عنه أفلاطون : " إن من يتسنى له فرصة فهم هوميروس يهمن على أساليب الفنون جميعا هيمنة تامة .. " .. ، أنظر : أحمد عثمان ، المرجع السابق ، ص 27-28 ، pp17-18 , Mike Paine , op-cit

¹ إبراهيم عبد العزيز جندي ، المرجع السابق ، ص 1.

² عمر عبد الحي ، المرجع السابق ، ص 10.

2) الأرجيوس: نسبة إلى مدينة أرجوس وهي إحدى مدن إقليم أرجوليس في شبه جزيرة البلوبونيز، ويطلق عليهم أحيانا اسم الدنانين نسبة إلى دناوس (Denyen)، وقد وردت هذه التسمية أيضا في النصوص المصرية¹.

3) الهيلينيون: نسبة إلى هلاس (Héllas)² وهم الإغريق القدامى من مقاطعة ابيروس حول مدينة دودون

وغابات توماروس التي احتوت على معبد تولت خدمته جماعة عرفت بهيللوري مهمتهما تفسير ما يقوله الإله زيوس³، وينتسبون إلى هيللوس ومن ثم اشتق لفظ هيلينيون³.

في حين تروي بعض الأساطير اليونانية أن مصطلح الهيلينية مشتق من قصة الطوفان اليونانية التي تذكر بأن الإله زيوس غضب على الجنس البشري، فأجرى طوفانا على العالم أجمع ولم ينج منه إلا ديوكاليون وزوجته بيرها اللذين احتميا ضمن صندوق خشبي استقر بهما على قمة بارينس، وقد تناسلت القبائل اليونانية من ولدهما

(هّلن)^{*}، ومن هذا الاسم هّلن اشتق اسم هيلين "Hellenes" جد الإغريق الأكبر حسب الرواية الأسطورية وهو اللقب المعروف عن البلاد⁴، وفي هذا السياق أيضا يشير المؤرخ الإغريقي ثوكيديديس بقوله أن بلاد اليونان (هيللاس) لم تقم بعمل مشترك قبل الحرب الطروادية، بل أنها في تقديري لم تكن تحمل هذا الاسم الجماعي فقبل هيللين بن ديوكاليون لم يكن هناك وجود لهذا الاسم (هيللاس) على الإطلاق، ولكن عندما اكتسب هيللين

¹ سيد أحمد الناصري، الإغريق، تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الاسكندر الأكبر، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1994م، ص 28.

^{*} هيلاس: هي منطقة تفصل بين وسط اليونان وشماله، وهي مركز تجمع الإغريق حيث يمتد فيها جبل أولمبيوس وعليها يسكن آلهة الإغريق وكبيرهم زيوس وإلى هيكله يعث المندوبون في الأعياد الكبرى لتقدم القرابين وإقامة المهرجانات الرياضية والفنية، فهيلاس مركز الإغريق ورمز وحدتهم بالرغم من تشتتهم واختلاف أنظمتهم...، أنظر، أحمد محمود صبحي، المرجع السابق، ص 12.

- Hal Marcovitz, op-cit, p30.

^{**} زيوس (Zeus): إله السماء الأعظم والأرض، إله الصواعق والأمطار، عرف عند الرومان باسم جوبيتر، حاكم العالم وأبو الأرباب ورئيس سائر الكهنة والبشر، ابن خرونوس وريا (Rhea) وشقيق عدد كبير من الآلهة أهمهم بوسيدون (إله البحر) وهاديس (إله باطن الأرض) وهيرا التي أصبحت زوجته، أشهر أولاده: أبولو وارتيمس من زوجته لاتون، أفروديث من زوجته دوني، وأثينا التي ولدت من رأسه، نعت بالملخص أو المنقذ وبالعظيم صاحب المدينة، وتشير الأساطير إلى أن زيوس كان كأبي من البشر مزاجي الطباع عادلا، وأحيانا ظالما يثور ويغضب، يحب ويكره، وكانت تقام له المعابد لأجله في أماكن شتى من بلاد الإغريق أشهرها في مدينة أولمبيا بمقاطعة أليس حيث تقام المباريات الأولمبية منذ 776 ق.م...، أنظر: رجاء كاظم عجيل، الديانة في بلاد اليونان، مجلة آداب ذي قار، مج 2، ع 5، كلية التربية، 2012، ص 69.

³ سيد أحمد الناصري، المرجع السابق، ص 28.

^{*} تشير الدراسات التاريخية أن القبائل الإغريقية تناسلت وفق الأسطورة التاريخية والتي مفادها أن هلن بن ديوكاليون الذي حكم في العصور البطولية، والذي كان ابنه دورورس هو الجد الأعلى للدوريين، وكان ايولوس هو الجد الأعلى للأبيليين، وابنا إكسوئوس هما أيون واخايوس جدين لكل من الايونيين والآخيين...، أنظر: بيير ديفانييه وآخرون، ج 1، المرجع السابق، ص 264.

⁴ عمر عبد الحي، المرجع السابق، ص 10.

وأولاده قوة ونفوذاً في فثوتيس (منطقة تابعة لإقليم تساليا) دعى الناس إلى المدن الأخرى طلباً للمساعدة ومنذ ذلك الحين أصبح يطلق عليهم الهيلينيون من باب الارتباط والعلاقة الدموية¹.

ويذكر توينبي في هذا الصدد قائلاً: "الهيلينيون هو الاسم الجديد للأغارقة أنفسهم، كان يعني سكان هلاس"، و مصطلح "هلاس" يدل على اسم مقاطعة صغيرة في وسط بلاد اليونان، كان يقوم فيها معبد لارتيمس* في أنتيلا على مقربة من "ترموبولي"، كما كان فيها معبد لآلهة الأرض والإلهين "اله"*** و"ديونيسوس" في دلفي²، وكانا هذين المعبدتين يسيران من قبل 12 دولة متجاورة عبر مجلس خاص عرف باسم "مجلس الحوار"، وقد توسعت العضوية فيه بعد مشاركة العديد من الدول الأخرى كما صاحب هذا التوسع في العضوية توسعاً آخر في استعمال كلمتي "هلاس" و"هيلين" بحيث أطلقنا فيما بعد على المنطقة بكاملها وعلى جميع سكانها، وقد نسبت إليهم منشآت حجرية ضخمة سميت بالعملاقة³.

4) الإغريق : (Greece) : اشتق هذا المصطلح من الكلمة الرومانية (الجرافي)، حيث أطلقت هذه التسمية على جماعة جرابيس (Graeci)⁴، كانت تقطن في إقليم بويوتيا ببلاد الإغريق الأم، وشاركت هذه الجماعة في تأسيس مدينة كومي أو كوماي (Cumes)* بالقرب من نابولي الإيطالية، وهي أقدم المستعمرات الإغريقية

1-

Thucydides , I , 4,5.

*****ارتيمس** : عرفها الرومان باسم "ديانا" وهي توأم أبوللو اشتهرت بكونها ربة الصيد وحامية الشرف العذري ومعينة النساء عند الوضع، ارتبط اسمها بالقمم كما ارتبط أبوللو بالشمس وانتشرت معابدها في كافة بلاد الإغريق وخاصة في المدن التي يكثر فيها الصيادون، كانت معروفة في كريت وآسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان...، أنظر: رجاء كاظم عجيل، المرجع السابق، ص 72.

*****أبوللو**: عرفه الرومان بأسماء كثيرة أشهرها فوبيوس وهيلوس، وهو ابن زيوس وتوأم أرتيمس، وهو اله الإغريقي يرمز إلى الشمس والنبوءة والشعر والموسيقى والشباب ودفع الأذى عن الناس، واعتبر ديلوس مسقط رأسه كأكثر مراكز لعبادته حيث كانت تقام له أعياداً ومهرجانات كل أربعة أعوام ومعبدته في دلفي الذي يعتبر من المعابد الإغريقية المقدسة ويقصده الإغريقيون من كل الجهات لاستشارته في أمور خاصة وعامة...، أنظر: C.Kerényi , the gods of greeks, thames and Hudson , London , 1951 , pp133-134.

3 أرنولد توينبي، تاريخ البشرية، تر: نقولا زيادة، ج1، ط1، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1988، ص 177.

3 عمر عبد الحفي، المرجع السابق، ص 11.

4 - Hal Marcovitz , op-cit , p30.

*أعطى سترابون رواية حول تأسيس مستوطنة كومي: "... بعد هذا نجد Cume أو كيمي Cymé، أسسها الخالكديون والكومايون وهذا في عصور جد قديمة، حيث تعرف بأنها من أقدم المستعمرات الإغريقية بصقلية وإيطاليا، قائدا الحملة كانا هم هيبوكليس وميجاستين من خالكيس، وقد اتفق كلا الشاعرين المؤسسين للمدينة أن لا يمكن إلا لشعب واحد أن يملكها، في حين يكون للآخر شرف إعطاء اسمها لها، ومن هذا نجد اسم المدينة اليوم هو كومي في حين معروف أنها مستوطنة لخالكيس "Chalcis"، ومنذ عهددها الأولى عرفت بالثراء الفاحش بفضل خصوبة أراضيها القائمة عليها...، أنظر: Strabon , V , 4 , 5.

(750ق.م / 735ق.م) بالمنطقة¹ قبل أن تسقط على يد جيرانها الكامبانيون (Campaniens) الذين كانوا أكثر عنفا وجرأة من الإغريق ، حيث اصطف الإغريقيون لرؤية نسائهم بين أحضان المنتصرين .

في حين بعض الكتاب يرى أن أصل اسم كومي يعود لكلمة إغريقية ومعناها الموجات ، وربما هذا يعود إلى أن المدينة قائمة على ساحل مليء بالصخور حيث تصطدم الأمواج بفعل الرياح العاتية معظم الأوقات ، وكانت كومي في الأول مستعمرة خالكديية ، ثم أصبحت أيولية ثم حددت على أنها مستعمرة مشتركة بين الخالكديون والأريتيريون ، وبحسب الأبحاث التاريخية أن قبل قدوم الإغريق إليها كان هناك تمركز للسكان المحليين في شمال هذا الموقع (شمال خليج نابولي) ، كما تشير بعض الكتابات الميكينية أنه كانت تواجد اتصالات بين السكان المحليين والعالم الإيجي تعود إلى القرن 14 ق.م ، وأن هذا التمركز قد قضى عليه بعد قدوم الاستعمار الإغريقي ، ولم تلبث هذه التسمية أن أصبحت تطلق على جميع سكان التي تشمل هذه المستوطنة والمستوطنات الأخرى بجنوب إيطاليا وصقلية اسم بلاد اليونان العظمى (Mayma Graeci) منذ القرن الرابع قبل الميلاد².

ومن اللفظة اللاتينية جاءت تسمية اليونان في اللغات الأوروبية الحديثة مثل (greek) في الإنجليزية و (grec) في الفرنسية و (Griechisch) في الألمانية³.

5) اليونان : وهي لفظ غير محدد عند الباحثين إذ يذكر سيد أحمد الناصري أن التسمية محرفة من "أيونيا" أو "يونانا" الذي ورد في المصادر المصرية القديمة ومصادر آرامية ، وهي في الأصل أطلقت على القبائل الهيلينية التي هاجرت إلى ساحل آسيا الصغرى والأناضول⁴.

وبالتالي فإن لفظة اليونان هي تحوير للفظ أيونيين (Iones) وكان الأيونيون يعرفون في اللغة الإغريقية باسم "ياؤونيس" (Iaones) ، ويعتقد أنهم من أوائل السكان الذين احتكت بهم الممالك الشرقية المجاورة فأطلقت هذه الشعوب عليهم اسم ياؤونيين مع تحوير يتفق وطبيعة لسان ولغة كل أمة من تلك الأمم ، وصار ينطق يناي (Yavani) وسماههم الأشوريون (Yawan) و (Yaman) ، أما الفرس فأسموهم (Yavna) والمصريون في

¹ حسين الشيخ ، المرجع السابق ، ص 14.

Jean Bérard , l'expansion et la colonisation grecques jusqu' aux guerres médiques , Aubier , paris , 1960 , pp -2 43-44.

³ إبراهيم عبد العزيز الجندي ، المرجع السابق ، ص 2.

⁴ سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 34.

الخط الديموطيقي أطلقوا عليهم تسمية (Wynn) ، ولعل الاسم المحور (يونان) قد ظهر أولاً في قبرص مركز العلاقات مع الشرق وخاصة أوغاريت ¹ .

وبذلك فإن المصطلح الشائع عند العرب هو "اليونان" نسبة إلى منطقة "أيونيا" وسكانها " الأيونيين " في منطقة آسيا الصغرى حيث كان العرب الأقدمون على معرفة بالمنطقة وسكانها ، فأطلقوا كلمة يونانيين ويونان اشتقاقاً من " أيونيا" على كل إغريقي ، وبالتالي على اسم بلادهم ² .

ومما سبق ذكره نستخلص أنه أطلق على هذا الشعب بفروعه ومناطقه الجغرافية أكثر من تسمية والواضح أن مصطلح " الهيلينيين " هي التسمية التي كان يرغب الإغريق استعمالها للدلالة على الشعب كله ولقدسيته الدينية أما تسمية يونان وإغريقي فقد أطلقتها عليهم أمم أخرى على فروع هذا الشعب وعمت التسمية كل الشعب الإغريقي ورغم الأصالة الظاهرة في لفظ " هيليني " إلا أنه أقل شيوعاً عند العرب عكس لفظ يوناني .

ب) أصل السكان : عرفت بلاد اليونان نزوح أقواماً عديدة من وسط أوروبا وشرقها ، وتعود أصول أكثريتها إلى الشعوب الهندوأوروبية النازحة في الأصل من أواسط السهوب الأوراسية ³ ، وكانت هذه الأقوام تلجأ إلى النزوح عن السهوب ، وتغزو المناطق التي يكثر الغذاء لكي تواجه تزايد عدد أفراد قبائلها وخاصة عندما يتزامن مع فترة الجفاف الذي كثيراً ما يحل بسهوبها ، ويتم هذا النزوح أساساً باتجاه الشرق ناحية شمال البحر الأسود ثم يأخذ بالانتشار إما غرباً إلى وسط القارة الأوروبية أو جنوباً نحو البلقان حتى بلاد اليونان كما كان البعض يتجه أحياناً نحو آسيا الصغرى عبر الهضبة الإيرانية ، ثم إلى اليونان عبر البوسفور والمضائق التركية .

لقد نزحت هذه القبائل على شكل موجات متفرقة بطرق مختلفة ابتداء من القرن العشرين قبل الميلاد مبتدعين طرقاً مختلفة واستقروا على ضفاف الجزر (بحر إيجه) ، ومارسوا الزراعة واستحضروا الحصان و جلبوا أدوات وأسلحة نحاسية وبرونزية ، واستخدموا الفخار ⁴ .

¹ إبراهيم عبد العزيز جندي ، المرجع السابق ، ص 3.

² جان بيار فرنان ، الأسطورة والفكر عند اليونان "دراسات في علم النفس التاريخي" ، تر: جورج زرق ، ط1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2012 ، ص 23 .

³ Pierre Marchand , op-cit , p241.

⁴ علاء صابر ، تاريخ الأدب اليوناني ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2003م ، ص 23.

تشير الدراسات التاريخية أن الشعب الإغريقي كانت له بواكره الأولى في شبه جزيرة البلقان منذ العصر الحجري القديم (Paleolithic)¹، حيث أثبتت الحفائر بأن سكان بلاد اليونان كانوا في معظمهم من عنصر البحر المتوسط ذات الصفات المشتركة في الشكل، وفي الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ولكن مع بداية العصر الحجري الحديث (Néolithique) (3500ق.م-1900ق.م) نرح إلى بلاد اليونان مهاجرين أطلق عليهم اسم البلاسجيين، فيا ترى من هم القبائل البلاسجية*؟ وبما تميزت عن الأقوام الأخرى؟.

1- القبائل البلاسجية (Pelasgians) : تعتبر القبائل البلاسجية أقدم القبائل البشرية² التي استوطنت بالمنطقة قبل مجيء الإغريق، حيث يذكر رالف لنتون بأنهم أحد الغزاة القادمين إلى بلاد الإغريق والمتحدثين باللغات الهندوأوروبية³، وأطلق عليهم لقب الكاريين أو الليليجين⁴ أو البيلاج⁵.

واختلفت الروايات حول تحديد أصل هذه الأقوام البشرية ولا الموطن الذي قدموا منه، فهناك من يعتبر البلاسجيين بأنهم ينتمون إلى شعوب البحر الأبيض المتوسط وربما أنهم السكان المحليين الأصليين⁶، حيث يذكر الباحث ميرز .ح.ل في قوله: "وليس من شك في أنه قد عاش في بلاد اليونان وفي الجزر المجاورة لها سكان أوائل ينتمون بصفة عامة إلى الشعب الذي عرفه علماء الأجناس بشعب البحر المتوسط"⁷.

في حين البعض استند البعض في تفسيره وشرحه أصل التسمية و مدلولها، وفي مقدمتهم جون هامرتن الذي قال بأن مصطلح البلاسجيين يعني شعوب البحر وأنه أطلق من قبل مؤرخي الإغريق القدامى، وذلك للدلالة على أن اليونان والشعب الذي ينتسبون إليه أول من سكن بلادهم⁸، بينما البعض يذهب البعض إلى

¹ Eric D .Nelson , Susan K.Allard –Nelson , op-cit ,p 78.

*البلاسجيون: هم السكان الأوائل الأسطوريين، ويقال أنهم انحدروا من بلاسجوس (Pelasgos) البطل الأسطوري الذي ولد في اركاديا من نيوبي (Niobe) وزيبوس، وقد تزوج بلاسجوس من كيلين (Cyllene)، ورزق منها بولد هو لوكاؤون (Lycaon)، وبنت تدعى كاليستو (Callisto)، والتي كانت أما لأكارس (Arcas)، ويعتقد أن اركاديا تنسب إليه...، أنظر: فوزي مكاي، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته من أقدم عصوره حتى عام 322ق.م، ط1، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، 1980، ص 56.

² Jane Ellem Harrison , the religion of ancient greece , constable and company LTD , London , 1913 , p 19.

³ رالف لنتون، شجرة الحضارة، ج1، تر: أحمد فخري، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ص 274.

⁴ مارتن برنال، أثينة السوداء "الجدور الأفروآسيوية للحضارة الكلاسيكية"، تر: لطفي عبد الوهاب وآخرون، الهيئة العامة لشؤون مطابع الأميرية، القاهرة، 2002م، ص ص 175، 185.

⁵ ليلي عبد القادر علي الغناي، المرجع السابق، ص 67.

⁶ Eric D .Nelson , Susan K.Allard –Nelson , op-cit ,p 78.

⁷ ميرز، ح، ل، المينوبيون والميسينيون، تر: إبراهيم خورشيد، إشراف جون هامرتن، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 44.

⁸ ميرز، ح، ل، المرجع السابق، ص 44.

الاعتقاد بأنهم من أصل أسيوي واحتلوا جزر البحر الإيحي وأجزاء من بلاد الإغريق نفسها قبل قدوم الآخيين حيث قدموا من غرب آسيا الصغرى عن طريق مضيق البوسفور والدرنيل إلى مداخل شبه جزيرة اليونان شرقا ثم التوغل بها جنوبا¹ .

أقام البلاسجيون بعد استقرارهم ببلاد اليونان والجزر التابعة لها حضارة وثقافة مزدهرة هي الحضارة المينوية التي أكدت على وجودها نتائج الأبحاث الأثرية ، كما أقاموا حضارة ذات طابع زراعي ، حيث عثر الأثريون على أغلب مراكزها في إقليم تساليا في حوالي 150 مركزا وكذلك في منطقة كورنثة ، وانتشرت غربا حتى جزيرة كوركييرا (كورغو) وجنوب شرق ايطاليا (إقليم إيوليا) ، ولم تكن لغة هؤلاء تنتمي إلى عائلة اللغات الهندوأوروبية ويتضح ذلك من خلال أسماء المناطق والنباتات والطيور التي تنتهي بنهايات هندوأوروبية ، فهي بالتالي غير أصلية في اللغات الإغريقية² .

ومع بداية العصر البرونزي نرح إلى شبه الجزيرة اليونانية موجات متتابعة من الغزاة (قوم جدد) يعتقد أنهم وفدوا من منطقة الدانوب أو من شرق أوروبا أو حتى بحر قزوين وأواسط آسيا ، دخلوا البلقان من شماله أو عبر سواحله الشرقية ، والمعتقد السائد أنهم ينتمون إلى السلالة الهندوأوروبية وهم قوم محبون للفروسية والقتال ويحملون أسلحة مصنوعة من البرونز قضاوا عليهم.

2- القبائل الآخية (Les Achéens): يعود ذكر الآخيين إلى فترة زمنية قديمة نسبيا³ ، حيث ورد ذكرهم في كتابات الحيشيين التي تعود إلى 1325 ق.م باسم (آخياو) ، وتصفهم بالقوة مثلهم ، فضلا عن ورود اسمهم في الكتابات المصرية والتي يعود تاريخها إلى 1223 ق.م باسم (أقايوشا) ، وتصفهم على أنهم من شعوب البحر التي كانت تغير على المصريين وبأنهم عصابة من الهمج يحاربون لإملاء بطونهم⁴ ، في حين يذكر باوسنياس أنهم كانوا يحملون التسمية القديمة "الايغاليون" (Egialéens) أو "ايغاليوس" "Egialéus" نسبة إلى منطقة ايغيال (Egiale) القريبة من جزيرة سيكيون (Sicyonie)⁵ .

¹ عاصم أحمد حسين ، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق ، مكتبة نفضة الشرق ، 1991 ، ص 56.

² عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص 86.

³ Pausanias , T VII (Achaie), I.

⁴ علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 53.

⁵ Pausanias , T VII (Achaie), I .

ولعل الدمار الذي لحق بعدد كبير من المراكز العمرانية أواخر العصر الهيللادي القديم يرتبط بمجيء هؤلاء القوم ، وأغلب الظن أنهم دخلوا المنطقة في شكل أفواج متعاقبة كما أن حضارتهم لم تكن أرقى من حضارة السكان الأصليين الذين كان أغلبهم فلاحين يهتمون بالفلاحة¹ ، ومن خلال الرسومات والنقوش الأثرية يظهر هؤلاء الغزاة ذوي بشرة شقراء ، وينتمون إلى العنصر الهندو أوروري وعلى وجه التحديد الفصيطة الوردية الألبانية ، وجلبوا معهم أسرهم وأمتعتهم ويشغلون بالصيد ويستخدمون أسلحة مصنوعة من النحاس والبرونز ، وبمرور الوقت امتزج العنصران حتى اكتمل هذا العنصر في شكل جديد أطلق عليه هوميروس اسم الآخيين².

وعلى هذا الأساس نعتبر هذه الفترة مرحلة تمهيدية لتاريخ اليونان الذي يبدأ تقريبا خلال القرنين الخامس عشر قبل الميلاد والرابع عشر قبل الميلاد بعد عدة غزوات متتالية نزحت من أواسط آسيا إلى بلاد اليونان ، واستوطنت هذه القبائل شمال البولوبونيز وأتيكا وسهول تساليا في حوالي 1500 ق.م³ ، وامتزجت دماؤهم بدماء البلاسجيين –الميسينيين الذين كانوا في تلك البلاد ، وأصبحوا في حوالي عام 1250 ق.م الطبقة الحاكمة فيها ، وأغلب الظن أنهم هم الذين أخذوا عن البلاسجيين اللغة اليونانية وليس العكس ، في حين فرض الآخيون آلهتهم الجبلية والسماوية على الآلهة الأرضية التي كانوا يعبدونها من قبلهم ، واستخدم هوميروس لفظ آخاي أو أخيل بشكل عام للحديث عن سكان اليونان القديمة (تتكلم اللغة اليونانية تحت حكم آجامنون)⁴ ، وحسب الأسطورة هم أحفاد أحيوس (Achaies) حفيد هلن (Hellen) الذي يعتبر الجد الأسطوري للإغريق ، وقد أقاموا بمنطقة تدعى آخاي⁵ والتي يعتقد أنها مدينة ميكيثاي حسب النصوص الحيثية لمملكة آشيا (14 / 13 ق.م) ، باعتبار أنها كانت تحت حكم الآخيين وتظهرهم شعبا بحارا استوطن غرب آسيا الصغرى وجزيرة ليسبوس ببحر إيجه ، وسيطروا على جنوب تساليا و إقليم أتيكا ، وجزء كبير من البولوبونيز خلال القرن 8 و7 ق.م ، وفي القرن الرابع قبل الميلاد أسسوا فيدرالية من المدن الدويلات عرفت بالرابطة الآخائية⁶.

¹ عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص 87.

² عاصم أحمد حسين ، المرجع السابق ، ص 58-59 ، و.ج.دي. بوج ، تراث العالم القديم ، تر: زكي سوس ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1999م ، ص 111.

³ André Dué , Renzo Rossi , premiers peuples européens , Hatier , paris , 1995, p 6 .

⁴ O.Habert , la religion de la grèce antique , l' Ethiellens librairie édition , Paris , 1910 , p 45.

⁵ Pausanias , T VII (Achaie) , I .

⁶ O.Habert , op-cit , p 45.

Christooher Fagg , François Carlier , la Grèce ancienne , éditions Gamma , London , 1979 , p8. 3

يعتبر الآخيون (Achaïos) أول شعب عمّر بلاد الإغريق نزحوا من الشمال¹ وكانوا أحسن وجه سفراء اللغة الإغريقية التي انتشرت بمنطقة ميكناي واستوطنوا قديما منطقة أتيكا واجزاء يوبويا (Euboa) وتيرنز (Tiryns) ومدينة بيلوس (Pylos) غرب البولوبونيز ، كما عرفت شعوب هذه الحضارة بالموكينيين (Mycénien) وعمموا اسم أشهر مدينة على العصر كله (العصر الهيللادي الثاني)² ، ويعتقد أن هذا الشعب هو الذي قاد الإغريق في حرب مريرة ضد مدينة طروادة الأسطورية والتي تعرف بحرب طروادة³ .

ويقوم نظام حكمهم على سيطرة القبيلة أيضا ، ويمثلهم رئيس القبيلة باعتباره الحاكم الذي يقيم في قلعة حصينة تجتمع حولها القرى ، ويساعده مجلس كبار السن لاستشارتهم في الأعمال المهمة ، فضلا عن مجلس القبيلة المكون من رجال الأحرار مهمتهم قبول أو رفض أي قرار لا يتناسب ومصالحة المدينة⁴ .

بينما المؤرخون والشعراء اليونانيين ذهبوا إلى اتجاه آخر وأبرزهم نجد هوميروس الذي أطلق اسم الآخيين على جميع اليونانيين الذين كانوا يعيشون في شبه جزيرة البولوبونيز ويسكنون جنوب تساليا ، والذين شاركوا في حرب طروادة ، وأنهم هم الذين استوطنوا مدن تيرنز (تيرنس) و (ميكني)⁵ ، وشبه المؤرخين الثقافة الآخية بالثقافة الميسينية واعتبروها ثقافة واحدة إلى غاية 1901م عن طريق أبحاث العالم الإنجليزي سير وليام ريدجواي (Sir

² عاصم أحمد حسين ، المرجع السابق ، ص ص 58-59.

* حرب طروادة (TROY) : تعرف أيضا باسم (ILLION) الذي اشتقت منه الإلياذة ، وطروادة مدينة تقع بالقرب من الدردنيل (آسيا الصغرى) وقد أعيد بناؤها كلما تعرضت لحريق أو تدمير نتيجة هجمات الغزاة عليها في الفترة الممتدة بين 3200-500 ق.م. والإلياذة هوميروس التي قسمها العلماء إلى 24 أنشودة تقص نهاية هذه الحرب والتي ملخصها أنه كان لملك طروادة بريام (Priam) ابنا يدعى باريس اسكندر الذي قصد اسبرطة واستقبله ملكها منلاوس (Menelans) فأحب زوجته هيلينا ، فقام باختطافها وعاد بها إلى طروادة ، فاستنجد ملك اسبرطة بباقي ملوك اليونان وهم محاربون أشداء أمثال : أجامنون ، أخيلوس ، اوليس ، دوميد ، فجهز كل ملك أسطوله وأبحروا بسفنهم مع منلاوس نحو طروادة بقيادة أجامنون وأرسي الأسطول في خليج إبياليم الهجوم فيما بعد على المدينة ، ثم ضرب الحصار حولها لمدة 10 سنوات ، وقد نشب خلاف بين أجامنون وأخيلوس بسبب تصميم أجامنون على أخذ بريسي (بنت أخ ملك طروادة) وهي إحدى السبايا التي قدمت لأخيلوس مكافأة له ، فغضب أخيل واعتزل الحرب وبدأت الهزائم تتوالى على الإغريق بالرغم من محاولات ابن عمه باتروكلوس بإقناعه بالعودة .

وكما سبق الذكر فإن حصار مدينة طروادة دام 10 سنوات ابتدع فيها الإغريق حيلة لقهر الطرواديين فصنعوا حصانا خشبيا ضخما وملؤه بالمحاربين الإغريق بقيادة أوديسيوس أما بقية الجيش فظهر كأنه رحل بينما في الواقع كان مختفيا ، فقبل الطرواديين الحصان على أنه عرض سلام بعدما أقنعهم جاسوس إغريقي بذلك ، فسمحوا للحصان الخشبي بالدخول واحتفلوا برفع الحصار ، فعندما خرج الإغريق من الحصان كان السكان في حالة سكر وخمر ففتحو بوابات المدينة للسماح لبقية الجنود بالدخول فهبت المدينة بلا رحمة وأحرقوها وقتلوا سكانها... أنظر : فيان موفق النعيمي وآخرون ، تاريخ اليونان والرومان في الشرق الأدنى القديم ، ط1 ، دار الفكر ، عمان ، 2013م ، ص 34 ، op-cit (Jean Baptiste) Dugas Montbel , pp159 , 163

3 Pausanias , T I (l'Attique) , II , 3.

4 علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 55.

5 هوميروس ، الإلياذة ، تر: دريني خشبة ، ط1 ، دار التنوير للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2014 ، ص 19.

(William Ridgeway)، والذي أثبت أن الحضارة الآخية وإن اتفقت مع الثقافة المسيحية في نواحي كثيرة ولكن الحفريات أثبتت أن الحضارة الآخية تختلف عن الحضارة الميكانية (المسيحية) في عدة أوجه¹، فإنها تختلف عنها في تفاصيل هامة مثل:

*الحديد الذي لا تكاد تعرفه الحضارة المسيحية، أما الآخيون فهم على دراية به .

*طريقة دفن الموتى تختلف بين الطرفين حيث أن الآخيون يقومون بحرق موتاهم، أما في تيرينز ومسيبي فهم يدفنون وهو ما يدل على اختلاف العقائد الدينية وفي مقدمتها الحياة الآخرة، كما أن الآلهة الآخية هي نفسها الآلهة الأولمبية وهذه لا أثر لها قط في ثقافة مسيبي .

*استعمال الآخيون للسيوف الطويلة والتروس مستديرة ودبابيس للصدور مأمونة²، ولم يعثر عليها قط بين الآثار المسيحية على أدوات مشابهة لها في الشكل، فضلا عن اختلاف بين الشعبين من حيث الملابس وتصنيف الشعر.

ولكن تبقى واحدة من إحدى النظريات التي أطلقها الباحثون على الشعوب الآخية، فاضطر بعض العلماء إلى إدخال تعديلات جوهرية حيث مما يؤخذ عليها أن الآداب اليونانية لا تذكر قط شيئا عن غارة آخية على بلاد اليونان، وأنه ليس من الحكمة أن ترفض نظرة أجمع عليها العلماء بسبب زيادة تدريجية في استعمال الحديد أو تبدل في أساليب الدفن أو تصنيف الشعر أو إطالة السيوف³.

*صفاتهم : كان الآخيون أقل حضارة من المسيحيين الذين سبقوهم وأرقى حضارة من الدوريين الذين خلفوهم، لكن أهم ما يلاحظ عنهم أنهم كانوا أحسن أجساما من هؤلاء، فرجالهم طوال القامة أقوياء البنية ونسأؤهم ذوات جمال بارع، حيث كانت تسيطر على زوجها بجمالها ودهائها، وتستطيع المشاركة في الحياة العامة بحرية كبيرة، وكانت المرأة مركزا ومحورا لكثير من الأعمال والحروب الهامة التي وقعت في عهد اليونان (حروب طروادة)، وحتى رجالها كانوا على جانب كبير من الجمال، كان لهم شعر مرسل طويل، ولحي كبيرة حيث كانت أعظم هدية يستطيع الرجل أن يهديها أن يقص شعر رأسه ويقدمه قربانا أمام كومة الحطب التي تحرق عليه جثة ما .

¹ Sir William Ridgeway, the early age of the greece, Londres, V2, Cambridge university press, 1931, N :8, pp264-265.

Sir William Ridgeway, op-cit, pp264-265.

2

³ ول، ديورانت، ج 1، المرجع السابق، ص 75.

أما ملابسهم فكانوا يغطون أجسامهم برداء مربع يطوونه فوق الكتفين ويشبكونه بدبوس ويصل إلى قرب الركبتين وتضيف النساء إلى هذا نقابا أو حزاما ، ويضيف الرجال غطاء للحقوين قدر له أن يتطور على مر الزمن وازداد الاحتشام والكرامة حتى أصبح هو اللباس ثم السروال (البنطلون) ، بينما الأغنياء يرتدون أثوابا غالية الثمن كالثوب الذي تقدم به بريام في ذله إلى أخيل ليفتدى به ولده.

- كان الرجال حفاة الأقدام والنساء عاريات الأذرع إلا في خارج الدور فكانوا يحتدون جميعا صنادل ويتحلون بالجواهر ، ودهنت النساء بالزيت الذي له رائحة الورد.

- أما من حيث عادات الزواج عند الآخيين ، فكان يتم مقابل مهر يحدد عادة بعدد من البقر يدفعه الزوج إلى الزوجة ، أما حفل الزواج فيتم وفق مراسيم دينية ومآدب لأفراد الأسرة حيث تقدم فيها كثير من الأطعمة والشراب ويمارس فيها الرقص وبعض الألعاب المسلية ، وتصبح الزوجة سيدة البيت (الإنجاب وترعى شؤون بيتها وتربي أبنائها على عادات العشيرة وتقاليدها) فضلا عن أعمال أخرى كالزراعة¹.

*مميزات أعمالهم :

- ومع أن الآخيين كانوا بدوا ورعاة فقد تمكنوا من تطوير زراعة الزيتون والكروم² ، حيث كانوا يحرثون الأرض ويبدون القمح ويقيمون الجسور ليتقوا بها فيضان الأنهار في الشتاء ، ويصطادون الحيوانات البرية التي تهاجم القرى ، وبذلك كان الصيد ضرورة قبل أن يصبح رياضة وهواية ، بينما الأغنياء اهتموا بتربية قطعان الماشية (الماعز ، الخيل ، الضأن) ، في حين كان الفقراء يأكلون لحم السمك والبقول والخضر أحيانا ، أما المحاربون والأغنياء فكان جل اعتمادهم على اللحم المشوي وفضولهم اللحم والنبيد ، ولكن الآخيين أهملوا استخراج المعادن واكتفوا باستيراد بالنحاس والقصدير والفضة والذهب والحديد حيث كانت تصنع كتلة من المعادن تقدم هدية ثمينة في الألعاب التي أقيمت تكريما لبتروكلوس (Paitroclus) ، ويقول عنها أخيل أنه: " سوف يصنع منها الأدوات الزراعية وليس الأسلحة" ، وأقيمت حسب العادات الآخية الألعاب الأولمبية كأسلوب للترفيه والتسلية مثل : قذف القرص والحرية والرمي والسهام والمصارعة وسباق المركبات والمبارزة بالسلاح ، وتسودها الروح الرياضية الطيبة³.

¹ علي عكاشة و آخرون ، المرجع السابق ، ص 54.

² Michel Sekellariou, op-cit , p383.

³ ول ، ديورانت ، المرجع السابق ، ص 87 ، 93.

-أما الصناعة عند الأخيين فكانت يدوية ومتنوعة ،ويستوردون معظم المعادن التي يصنعون منها أدواتهم مثل : الذهب ، الفضة ، النحاس ، القصدير، يقوم بها معظم أفراد العائلة حتى الكبار منهم ودون تمييز، حيث يعتقد أن الملك يشارك أيضا في المهام فمثلا الملك أوديسيوس يصنع أثاث بيته بنفسه ، كما شاركت الأميرات والملكات خادمتهن العمل المنزلي من غزل ونسج وطهي¹.

-عدم إتقانهم للكتابة والقراءة جيّدا ،حيث يعتقد أنهم لا يستخدمون الكتابة إلا مطّرين ، ولا يعرفون من الأدب إلا الأغاني الحربية وأناشيد الشعراء الجوالين غير المكتوبة بسبب انشغالهم بالحروب ، ولا يملكون مهارة فنية أو مقدرة إبداعية لا في الرسم والنقش ، ولا في فن البناء ، فيبوتهم كانت مبنية بالطين الجفف بالشمس دون نوافذ سقوفها من القصب والطين ، أثاثهم خشن المظهر².

- كان المجتمع الآحي ريفيا بدائيا يسكن في مجموعات قليلة من المدن والقرى،ويتوسطها قصر أمير أو ملك يجتمعون حوله ، ويقوم المجتمع على أساس السلطة الأبوية المطلقة ،حيث يستطيع رئيس الأسرة أن يتخذ من الجوارى ما يشاء ، فضلا عن التصرف بأولاده كيفما يشاء لدرجة الحكم عليهم بالموت أو تقديمهم قرابين للآلهة .

- عدم اهتمام بالقيم الأخلاقية كثيرا ، حيث انصرفوا إلى العمل أو القتال والغارات العسكرية ، ولم يفسحوا المجال للبحث في آداب السلوك والقواعد الأخلاقية أو المشاكل الفلسفية ، وبالرغم من اتصافهم بالكرم والخصال الحميدة إلا أنهم اتصفوا أيضا بالقسوة والعادات الوحشية ،فعندما قتل هكتور صديق أخيل في حرب طروادة ، انتقم أخيل من هكتور أشد الانتقام ،فربط جثته بذيل عربته وأخذ يجره خلفه أمام عيون أهل طروادة³.

-يعتبر المجتمع الآحي مجتمعا محاربا ، لذلك حرص على إنجاب الذكور والمحافظة عليهم ليكونوا قوة مساعدة للآباء ، ونلاحظ هذا الأمر من خلال أبطال طروادة المحاربين الذين ينتمون معظمهم لعائلة واحدة، كما شجع الملوك الأخيين على القرصنة واعتبروها مهنة نبيلة ومحترمة ، وكانوا يهيئون بأنفسهم لغارات النهب والسلب ، ويقتلون لأنفة الأسباب ، وخير مثال على ذلك : أخيل الذي اشتهر بمهارته العسكرية وحبه للقتال⁴.

¹ علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 54.

² عطية ابريك مؤمن الحاسي ، المرجع السابق ، ص 43.

³ علي عكاشة ، المرجع السابق ، ص ص 54-55.

⁴

3- القبائل الأيونية : ظهرت تقريبا في حدود سنة 2000 ق.م ، وهي تصنف ضمن أقدم القبائل في بلاد اليونان رفقة القبائل الآخية والبلاسية ، حيث تشير الأسطورة أنهم ينتسبون إلى أحفاد " أيون " حفيد " هلن " ¹ ، واحتلت هذه القبائل الجنوب الشرقي من بلاد اليونان فاستوطنوا منطقة أتيكا وأسسوا أشهر مدتهم المعرفة باسم مدينة أثينا ² من قبل سكريس حفيد أيون وبمساعدة الإلهة أثينا ، واتخذوها عاصمة لهم وبقوا في هذا الجزء حتى ضاق بهم بسبب لجوء عدد كبير من سكان البولوبونيز الفارين من الغزو الدوري ، ومن بينهم الآخيين الذين طردوا من قبل الدوريين فحاولوا غزو الأراضي التي احتلها الأيونيون في شمال البولوبونيز ، فكان نتيجة ذلك حدوث هجرة أيونية انضمت إلى المهاجرين الآخيين وسارت شرقا إلى أثينا ، وقد رحب الأثينيون بهم من أجل تكوين جبهة دفاعية مشتركة تقف في وجه الغزو الدوري ، بعدما منحهم الأثينيون " الجنسية الأثينية " ³ ، لكن مع ازدياد الاجتياح الدوري ، وضيق مساحة أثينا اضطر فريق من الأيونيين إلى مغادرة سهل أتيكا إلى آسيا الصغرى وأنشأوا هناك مع جماعة من الدوريين مستعمرة أيونيا وأقاموا عدة مدن أخرى مثل : أفسوس ، أزمير ⁴ .

4) القبائل الأيولية (les Ioniens) : تعتبر هذه القبائل إحدى الجماعات البشرية المستعمرة لبلاد اليونان قديما ، انحدروا في تحالف فدرالي من الشمال إلى الجنوب ، استقرت هذه الأقوام في غرب بلاد اليونان ، فاستوطنوا في سهول تساليا ⁵ والجزء الأوسط من بلاد اليونان ⁶ باستثناء منطقة أتيكا ، ثم غزا فريق منهم سواحل آسيا الصغرى والجزر الواقعة بصفافه ، واحتلوا الجزء الشمالي منه منذ بداية القرن الحادي عشر قبل الميلاد ⁷ ، وحسب الأسطورة تنتسب هذه القبائل إلى الجد الأعلى أيولوس ⁸ .

5) القبائل الدورية (les Doriens) : تعتبر آخر الموجات البشرية القادمة إلى بلاد اليونان منذ 1200 ق.م نزحت من الشمال عبر سهول تساليا ⁹ ، و استقروا في منطقة البولوبونيز بعد أن طردوا منها الآخيين إلى البحر

¹ مفيد رائف العابد ، تاريخ الإغريق دراسة في التاريخ السياسي والحضاري الباكر والكلاسيكي حتى ظهور الإسكندر ، ط 3 ، منشورات جامعة سوريا ، دمشق ، 1999 ، ص ص 34-35 .

² Eric D .Nelson , Susan K.Allard –Nelson , op-cit ,pp 78.

³ محمد كامل العياد ، المرجع السابق ، ص 98 .

⁴ علاء صابر ، المرجع السابق ، ص 10

⁵ Pausanias , T VII(Achaie) , I .

⁶ Eric D .Nelson , Susan K.Allard –Nelson , op-cit ,pp 78.

⁷ علاء صابر ، المرجع السابق ، ص 10 .

⁸ بيير ديفانييه وآخرون ، ج 1 ، المرجع السابق ، ص 264 .

⁹ Eric D .Nelson , Susan K.Allard –Nelson , op-cit ,pp 78.

والساحل الآسيوي وقضوا على الحضارة الميكانية بعد تعميرها قرنين من الزمن¹ ، مستغلين في ذلك حالة الفوضى والاضطراب التي عرفتها بلاد اليونان بعد انتهاء حرب طروادة وتدميرها ، حيث هلك الكثير من المحاربين في الحرب وغرقت سفن كثيرة في طريق العودة ، وحدث صراع على الحكم في المدن اليونانية بين مغتصبي الحكم الذين استغلوا غياب الملوك الأصليين² .

هذه الظروف استغلتها القبائل الدورية بالتحرك من مناطق استقرارها في مقدونيا وإيليريا ومهاجمة شبه جزيرة البولوبونيز على شكل موجات متلاحقة ، وأعنفها تلك التي حدثت في 1104 ق.م ، حيث يعتقد أنهم تسربوا من الغرب والشرق من أليس وميجارا على ممالك البولوبونيز المتفرقة ، وذبحوا بسيوفهم طبقاتها الحاكمة واتخذوا من بقى من المسيبيين أرقاء ودمرت النيران موكنياي (مسيبي) ، وتيرينز وأضحت أرجوس عاصمة جزيرة البولوبونيز لمدة 200 سنة ، ثم اتخذوا فيما بعد من مدينة اسبرطة عاصمة لهم في بداية القرن الحادي عشر قبل الميلاد (1100 ق.م) في إقليم لاكونيا أين اندمج خمس قبائل دورية مع السكان الأصليين³ .

تنتمي الشعوب الدورية (Dorians) حسب الأسطورة التاريخية إلى الجد الأعلى دوروس⁴ ، ذو نزعة حربية متطرفة ، طويل القامات مستدير الرؤوس ، معدوم الصلة بالأدب بعد أن اخترق إيريا وتساليا وعبر خليج كورنثة عند نوبكتوس (Naupacius) ، ومضيق كورنثة نفسها ، أما أخلاقهم وممارستهم في البلاد التي فتحوها فهم لا يزالون في مرحلة الرعي والصيد ، وكانوا من حين لآخر يستقرون لفلاحة الأرض ، ولكن جل اعتمادهم على ماشيتهم وسبب حاجة ماشيتهم إلى المرعى الجديد فقد كانت سببا في كثرة تنقلهم وعدم استقرارهم⁵ ، و جلبوا معهم الحديد واستخدموه في صناعة أسلحتهم وأدواتهم الحربية ، ولقد تفوقت في ذلك على سكان المناطق اليونانية المختلفة الذين كانوا يستخدمون السلاح المصنوع من البرونز⁶ .

1 Jean Kinney Williams , op-cit , p21, André Dué , Renzo Rossi , op-cit , p10.

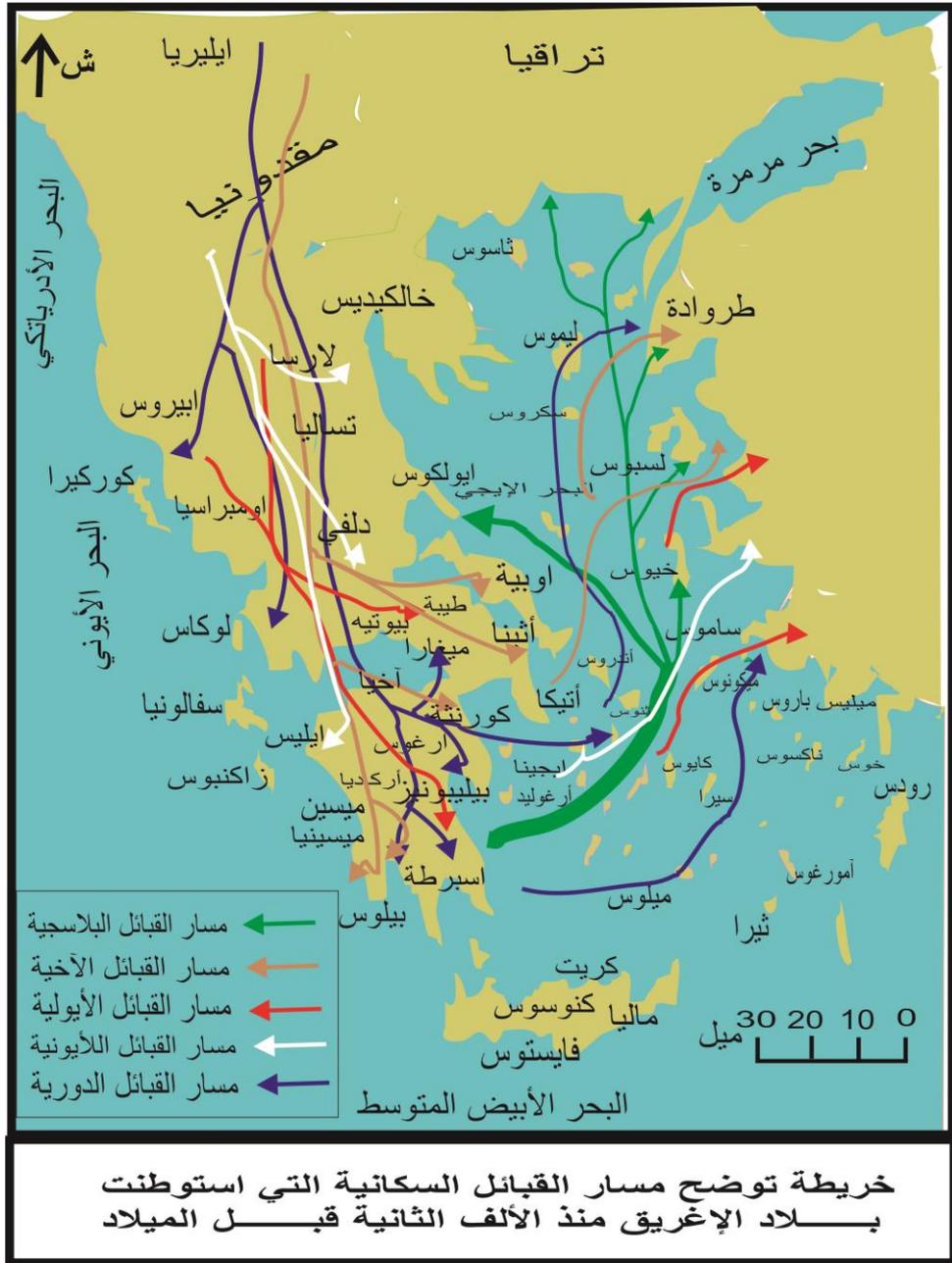
2 عطية أريك مؤمن الحاسي ، المرجع السابق ، ص 45.

3 ول ، ديورانت ، ج1 ، المرجع السابق ، ص ص 118-119.

4 بيير ديفانييه ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 264.

5 ول ، و ، ديورانت المرجع السابق ، ص ص 118-119 .

6 عاصم احمد حسين ، المرجع السابق ، ص ص 59-60.



1 - بتصرف من الطالبة ، واعتمادا على :

وتعتبر الرواية الأسطورية اليونانية القديمة بأن الدورين جاؤوا من سلالة هرقل (بطل أسطوري من سلالة زيوس ووليد امرأة تدعى " الكمين " ، ويعتقد أن كلمة هرقل اسم لقبيلة تاريخية تناسلت منها القبائل اليونانية القديمة) وأنهم عادوا إلى منطقة البولوبونيز بقوة السلاح ، وانتزعوا حقهم بقوة سواعدهم وبطولاتهم لكي يفرضوا حقهم المشروع في تولي السلطة على البلاد² ، حتى أطلق عليهم اسم (عودة الهرقلين) استنادا لهذه الرواية

André Dué , Renzo Roussi , op-cit , p p 4-8.

² أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 28.

اليونانية¹ ، و استولوا على ممالك البولوبونيز وبعض المناطق الأخرى كما احتلوا الكثير من الجزر مثل كريت ، رودس... الخ ، الأمر الذي أجبر السكان على التشتت والنزوح إلى مناطق مختلفة واللجوء إلى جبال البولوبونيز الشمالية وشواطئ آسيا الصغرى ومنطقة أتيكا (أثينا) ، فقد دمروا ما بقي من كنوسوس تدميرا تاما واستولوا على ميلوس وثيرا (Thera) وكوس (Cos) ونيدس (Nidus)² .

وتشير الأبحاث التاريخية إلى أن الغزو الدوري أدى إلى تدهور الأحوال العامة في بلاد اليونان في جميع المجالات ولمدة قرنين من الزمن من خلال تعطيل أعمال الزراعة والتجارة البرية والبحرية، وتخريب القصور(الأعمال الفنية) والمدن الداخلية³ ، وكان كل شخص فيها يحمل السلاح لأنه بات غير مطمئن على حياته وزادت أعمال العنف واشتعلت نيران الحرب وازداد الفقر شدة وانتشارا، فأحدث بذلك فوضى ديموغرافية كبيرة نتيجة الانتقال المستمر للأسر من مكان إلى آخر طلبا للأمن والغذاء والسلام ، وبالرغم من هذه الفوضى حافظ الشعب اليوناني على مقاليد الحكم والنظم الاجتماعية وأساليب التجارة وطرقها ، كما استمرت أشكال العبادة مع بعض الإضافات في الآلهة وأدوارها⁴ .

*نتائج الغزو الدوري لبلاد اليونان : بعد تعرض بلاد الإغريق للاحتياح الدوري نستخلص أهم النقاط الآتية:

-توسع العالم اليوناني بانتقال الكثير من السكان من أماكن استقرارهم إلى أماكن أخرى ، حيث هاجر بعضهم إلى جزر بحر إيجه وشواطئ آسيا الصغرى ، وتغلبوا على الميسنيين وانتزعوا منهم كيمي وازمير... الخ⁵ .

-هجرة القبائل الأيونية إلى القسم الأوسط من آسيا الصغرى التي أصبحت مركزا حضاريا وفكريا متميزا ، وفي هذه المستعمرات الجديدة التي أقامها المهاجرون أتصل اليونانيون بمراكز الحضارات الشرقية ، واقتبسوا منها العناصر الأساسية للحضارة اليونانية الجديدة ، ومنها انتقلت الحضارة إلى البر اليوناني وانتقلت من حياة البداوة واللااستقرار إلى حياة الحضارة والتمدن .

-يعتبر هزيود (Hesiod) عصرهم بالعصر الحديدي الذي تزامن مع ظهورهم واستخدامهم للأسلحة الحديدية المختلفة ، وكان كثير من اليونانيين في هذه الفترة يعتقدون أن كشف الحديد قد أضر بالإنسان واضمحللت الفنون

¹ حسن بيرينا ، تاريخ إيران القديم ، تر: محمد نور الدين عبد المنعم ، ط2 ، دار الثقافة ، القاهرة ، 1962 ، ص 80.

² عمر يحي ، المرجع السابق ، ص 16

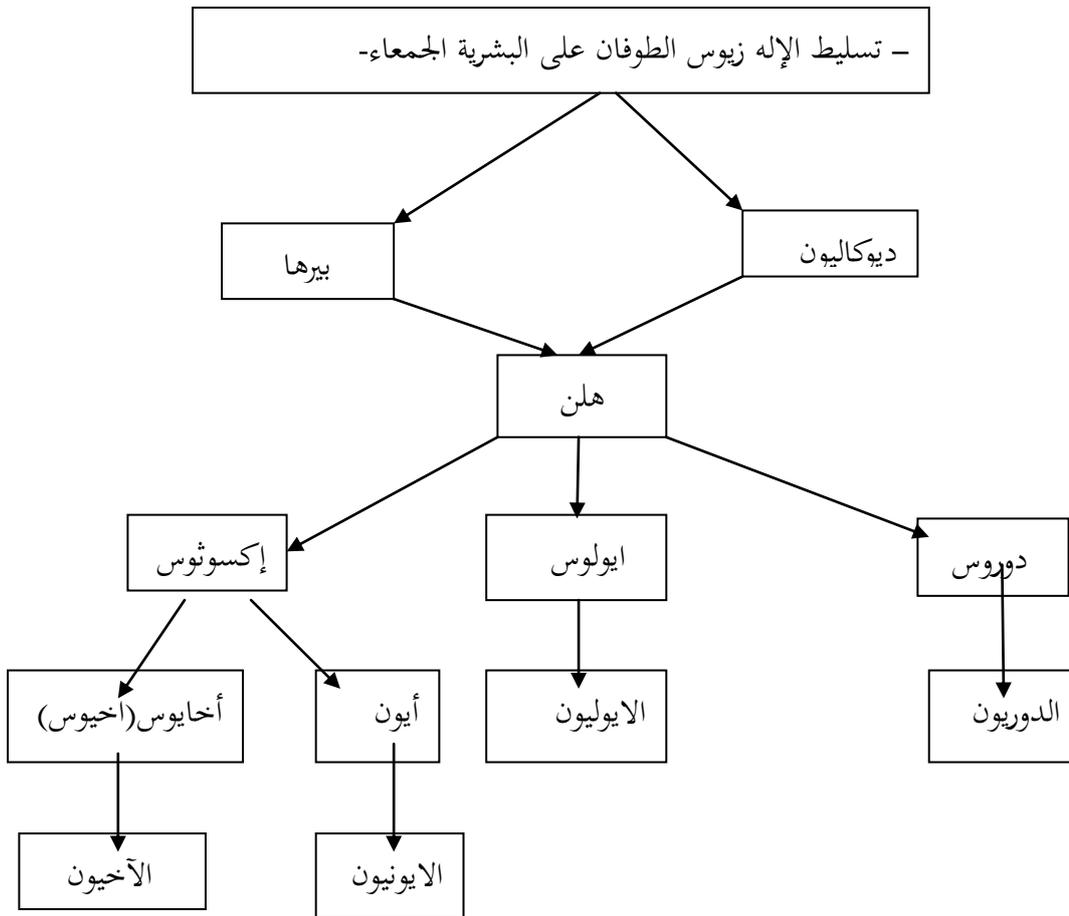
³ Jean Kinney Williams , op-cit , p20.

⁴ عمر يحي ، المرجع السابق ، ص ص 16-17.

⁵ ف.دياكوف ، س، كوفاليف ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 273.

وأهمل التصوير واقتنع النحاتون بنحت التماثيل الصغيرة الملونة ، وانحطت صناعة الفخار لأن الصناع غفلوا عما كان يتميز به فن الميسيني وكريت من نزعة طبيعية حيوية فاتبعوا طرازاً هندسياً لا حياة فيه¹.

- حدثت تغيرات سياسية جذرية في اليونان بعد احتكاك سكانها مع شعوب الحضارات الشرقية المجاورة للساحل الشرقي للبحر المتوسط ، ففي الفترة الزمنية الواقعة بين القرنين الثاني عشر قبل الميلاد - زمن مجيء الدوريين - والقرن السادس قبل الميلاد حدثت مرحلة من الاضطراب والتحول السياسي، إذ أدى استقرار القبائل الدورية وانصهارها مع السكان المحليين إلى ظهور المدن اليونانية على أسس جديدة ، وتغيرها من مجموعة القرى إلى وحدات سياسية واقتصادية وعسكرية (polis) ، تتمركز حول المدن وتشكيل دولة مستقلة (city -state) ، تتوفر فيها شروط محددة حيث نجد قلعة حصينة وساحة كبيرة للاجتماعات العامة (آغورا) ، ويتوفر فيها سوق تجاري²



الملحق رقم 11: يمثل شجرة النسب الأسطورية للشعوب الإغريقية حسب أسطورة الطوفان حسب المعتقدات الإغريقية

¹ ول ، ديورانت ، المرجع السابق ، ص 120 .

² ابتهاج عادل إبراهيم الطائي ، تاريخ الإغريق منذ فجر بزوغه وحتى نهاية عصر الاسكندر المقدوني ، ط1 ، دار الفكر ، عمان ، 2014 ، ص 63 .

- بتصريف من الطالبة - ¹ .

وبذلك فإن بلاد اليونان شهدت توافد العديد من القبائل والموجات البشرية من مختلف الجهات بداية من حدود 1900 / 2000 قبل الميلاد بدخول الأيونيين والآحيين ، وبعد الاختلاط الحاصل بين هذه الشعوب تكونت أرضية سياسية و ثقافية جديدة تمازجت فيها عناصر فكرية عديدة ، حيث تأثرت بتجارب بشرية مختلفة ولكن الاختلاط الأكبر والأهم والذي كان له الدور التاريخي ومؤسس الفعل الحضاري اليوناني هو تقدم الدورين باتجاه جنوب اليونان مدمرة كل ما جاء أمامها ، فاضطرت القبائل الأخرى إلى النزوح باتجاهات عدة حتى لجأت في النهاية إلى ركوب البحر والوصول إلى جزر أمانة والى البر الآسيوي.

ج) التطور التاريخي لشعوب بلاد الإغريق :

فيما سبق تطرقنا إلى عصور ما قبل التاريخ في بلاد اليونان ، وأهم خصائصها ومميزاتها فضلا عن أهم المستوطنات البشرية القديمة التي ظهرت فيها بداية من العصر الحجري القديم إلى غاية العصر الحجري البرونزي (النحاسي) ، وفي خضم هذه التقسيمات سوف نتطرق في هذا العنصر إلى أهم الحضارات الإنسانية التي ظهرت على سواحل بحر ايجة الشرقية منها والغربية انطلاقا مما يعرف بالعصر المبكر (3000 / 2500 ق.م - 1100 ق.م) ، وقد ازدهرت في هذه الفترة حضارتين هما الكريتية (المينوية) و الموكينية (الميسينية) ثم بحلول القرن الثاني عشر يصل إلى اليونان فوج ثاني من القبائل اليونانية المهاجرة وهو ما عرف باسم الغزو الدوري وهم يبدأ عصر الحديد، وقد اختلفت النظريات التاريخية التي اعتمد عليها الباحثون والمؤرخون في تقسيمهم لهذه الفترات الزمنية، إلا أن هذه التقسيمات قد التقت كالتالي :

1) العصر المبكر [2500/3000 ق.م - 1100 ق.م] : يمتد هذا العصر من نهاية العصر الحجري الحديث حتى الغزو الدوري لبلاد اليونان في نهاية الألف الثانية قبل الميلاد وبالتحديد 1100 ق.م ، واختلف الباحثون في تسميته بين العصر المبكر أو ما قبل الكلاسيكي أو العصر الهيللادي الحديث ولا حتى في تحديد فترته الزمنية، تتركز حضارات هذا العصر في جزيرة كريت والجزر المجاورة لها في بلاد اليونان وخاصة شبه جزيرة البولوبونيز وجزر بحر ايجة والساحل الغربي لآسيا الصغرى ² .

¹ بيير ديفانييه ، ج1، المرجع السابق ، ص 267.

² محمد إبراهيم بكر ، المرجع السابق ، ص 17.

شهد العصر المبكر (2500/3000 ق.م) ظهور حضارتين رئيسيتين هما الحضارة الكريتية نسبة إلى جزيرة كريت المركز الرئيسي لهذه الحضارة والتي تسمى أيضا بالحضارة المينوية نسبة إلى الملك مينوس "Minos" الذي سيطر على جزيرة كريت لفترة طويلة ، وقد بدأت حوالي 2600 ق.م / 1100 ق.م واجتاحت جنوب بلاد اليونان وجزر بحر إيجه ، أما الحضارة الثانية فهي الحضارة الميكينية (الميسينية) (1600 ق.م / 1100 ق.م) نشأت في مدينة ميكي في جنوب بلاد اليونان ، وقد ظهرت بفترة زمنية متأخرة عن الحضارة المينوية ، واستمرت بعدها بزمن قليل حتى انتهت في حدود 1100 ق.م بسبب غزوات الدورية¹.

1) الحضارة الإيجية (الكريتية أو المينوية) 2600 ق.م / 1450 ق.م : عرفت هذه الحضارة باسم المينوية نسبة إلى الملك مينوس² ، وهو البيت الحاكم الذي سيطر على جزيرة كريت لفترة طويلة ، حيث اعتبر توكيديديس مينوس* ملكا قويا شديد القسوة بسبب الدفاع لكبح جماح القرصنة لكي يضمن وصول العوائد الملكية إليه في سهولة ويسر³ ، ويقول جورج سارتون أيضا عنه مايلي : " مينوس أول من اشتهر عندنا عن طريق الروايات المأثورة ، أنه أنشأ أسطولا بحريا ، وجعل نفسه سيذا على جزء كبير مما يسمى الآن البحر الهيليني ، وصار سيد السيكلاديز ، بعد أن استعمر معظم المناطق ، ونصب أبناءه حكاما لها ، وعمل مينوس طبعا على تطهير البحر من القرصنة قدر استطاعته لكي يصل إليه خراج مملكته في سهولة " ⁴.

يبقى أصل المينويين غامضا إلى حد ما لأنه لا يوجد أي أثر لهجرة سكانها ولا من أين قدموا ، كما لا يمكن تحديد أسلاف هذه الحضارة بالرغم من الاعتقاد بأن أهم جزء من سكان الجزيرة جاءوا من منطقة آسيا الصغرى بسبب قربها أو بسبب أوجه التشابه بين الثقافة المينوية والكارية (جنوب الأناضول حاليا)⁵.

¹ Sarah .B.Pomeroy , and all , a brief history of ancient greece , politic , society , and culture , oxford university press , New York , 2004 , pp 16, 22.

² Lesley Adikins and Roy .A .Adkings , op-cit , p2.

*مينوس (Minos) : هو اسم أحد ملوك كريت القدامى أو لقب كان يحمل ملوك هذه الجزيرة كلقب فرعون في مصر القديمة ، وتروي الأساطير القديمة ، أن اجينور (Ajjinor) ملك مدينة صور كانت له ابنة تدعى يوروي "Europé" وهي التي سميت عليها قارة أوروبا ، وقد رآها زيوس ذات مرة وهي تنتزه فأغرم بها ولكي يفوز بها فقد تقمص شكل نور وديع لطيف وأخذ يقفز من حولها قفزات رشيقة وهي تمشي على الساحل الفينيقي ، وأخيرا تمكن من إغرائها إلى الركوب فوق ظهره ، وفجأة قفز في البحر حاملا حبيبته إلاكريت ، وهناك أنجبت منه ثلاث أولاد ذكور وهم : مينوس ، ردمانتوس ، ساربيدون ، وقد أصبح الملك ردمانتوس ملكا على ليديا (آسيا الصغرى) ، واشترك في الحرب الطروادية ضد الإغريق ، أما مينوس فقد صار حاكما على كريت... أنظر : عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص 89

³ Thucydide , I , 1 , 4.

⁴ جورج سارتون ، تاريخ العلم (العلم القديم في العصر الذهبي لليونان ، الأصول الشرقية و اليونانية) ، ج 1 ، تر: محمد خلف الله وآخرون ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2010 ، ص 232.

⁵ Eric D .Nelson , Susan K.Allard-Nelson , op-cit , p92.

فضلا عن تسميتها بالحضارة الكريتية (الإيجية) نسبة إلى جزيرة كريت الواقعة في بحر الإيجي¹ ، ولم يكشف النقاب عن الدور الحضاري لهذه الحضارة إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، حينما توصل الباحثون إلى كشف أثارها الغنية على يد العالم الانجليزي "آرثر ايفانس" سنة 1900م مثل : اللوحات الطينية في كنوسوس مكتوبة بخط "linear A"² ، وقد نشر أبحاثه حولها عام 1922م في كتابه " قصر مينوس بكنوسوس " في أربعة أجزاء ، وتشير أبحاثه أن الحضارة الكريتية انتشرت في أماكن متفرقة من المنطقة التي تطل على بحر إيجة أو على ضفافها ابتداء من نهاية العصر الحجري الحديث ، وكان المبع مراكزها في جزيرة كريت أين بلغت ذروة تقدمها وازدهارها خاصة في القرن السادس عشر والخامس عشر قبل الميلاد ، ومن كريت بدأت هذه الحضارة تؤثر على بلاد اليونان حوالي 1600ق.م³ حيث استقر سكان هذه الحضارة في شرق الجزيرة وشمالها ، ويعتقد أيضا بقدم قوم آخر في أعقابها من منطقة ليديا واستوطنوا جنوب الجزيرة⁴ ، ولعل أقوى مراكزها تكاد تنحصر في منطقتين هما :

1-منطقة كنوسوس (Knossos)⁵ : تقع وسط الساحل الشمالي للجزيرة على تل كنوسوس على بعد كيلومترات من شاطئ البحر، وقرب شواطئ نهر كايبراتوس (Kairatos) ، بلغ قصر كنوسوس ذروته بين (1600 / 1450 ق.م) ويتكون من مجموعة من المباني حيث يبلغ طوله 150م وعرضه 100م ، حوله فناء واسع مركزي ، أين تقام الاحتفالات الدينية والأعياد الكبرى ويطرح فيها الأمير قضاياها ويدعو رعاياه الذين يجتمعون حول المحكمة ، واشتهر بلوحاته الجدارية التي تصور المواكب والمهرجانات أو الاحتفالات الدينية أو مشاهد طبيعية وحيوانية مثل : الدلافين ، الإوز البري في المياه (الأهوار)⁶ .

2-منطقة فايستوس (Faestos) : في وسط الساحل الجنوبي للجزيرة ، وقد اكتشف علماء الآثار مخلفات اثرية في هذه المنطقة ولعل أبرزها قصر فايستوس من قبل الاثري آلبير " Halbherr " الذي بدأ عمله هناك سنة 1900م⁷ .

1 Jean Kinney Williams ,op-cit , p8.

2 Mike Paine , op-cit , p27, Charles Gate , op-cit , p120.

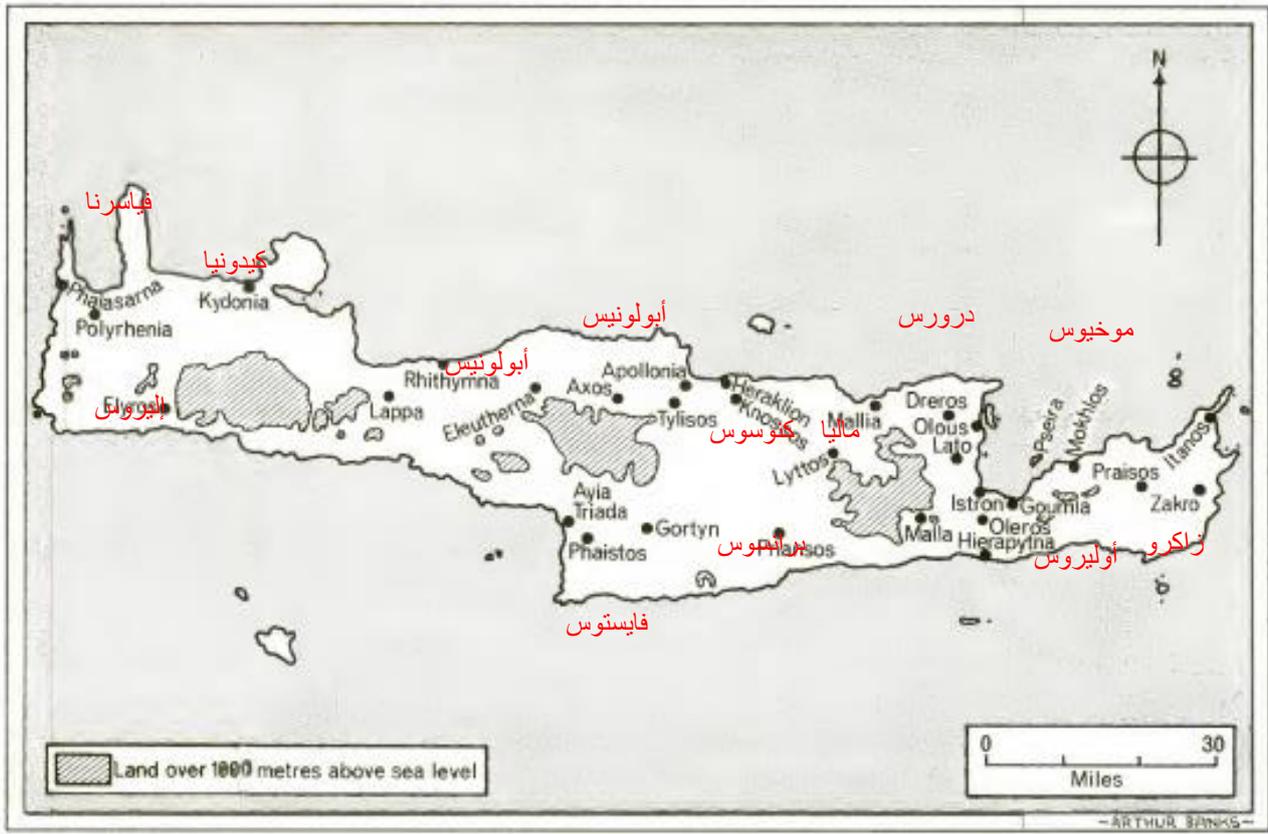
3 لطفي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص 75 ، حسين الشيخ ، المرجع السابق ، ص 32.

4 عبد اللطيف احمد علي ، المرجع السابق ، ص 89.

5 Sarah .B.Pomeroy , et al , op-cit , p 16.

6 Pierre Marchand , op-cit , pp 244 -245.

7 R.F.Willeffts , op-cit , p58.



إمتداد الحضارة المينوية

أقوى مراكز المينويين

1 - الملحق رقم 12: خريطة توضح أهم مراكز الحضارة المينوية في جزيرة كريت -

ويقسم علماء الآثار زمن هذه الحضارة إلى عصور :

1-العصر المينوي القديم, " Early Minoan I (2700 ق.م / 2500 ق.م - 2000 ق.م) : ازدهرت

بفضل موقعها الجغرافي من الجزيرة ، وإقامة اتصالاتها التجارية مع الشرق الأدنى القديم مثل : المصريين..الخ²،

وتقع مراكزها الكبرى في شرق جزيرة كريت³ حيث عثر على المزهريات الحجرية ، الأختام ، الذهب⁴.

2-العصر المينوي الوسيط " Early Minoan II" (2000ق.م - 1600 ق.م / 1500ق.م) : وقد بلغت

الحضارة المينوية قمة ازدهارها أثناء العصر المينوي الوسيط⁵، حيث أطلق عليها فترة الازدهار الأول التي شيد

أثناءها قصر ماليا و قصر كنوسوس قرب الساحل الشمالي ، وقصر فايسستوس قرب الساحل الجنوبي ، حيث

1 R.f. Willefts , op-cit , p 13.

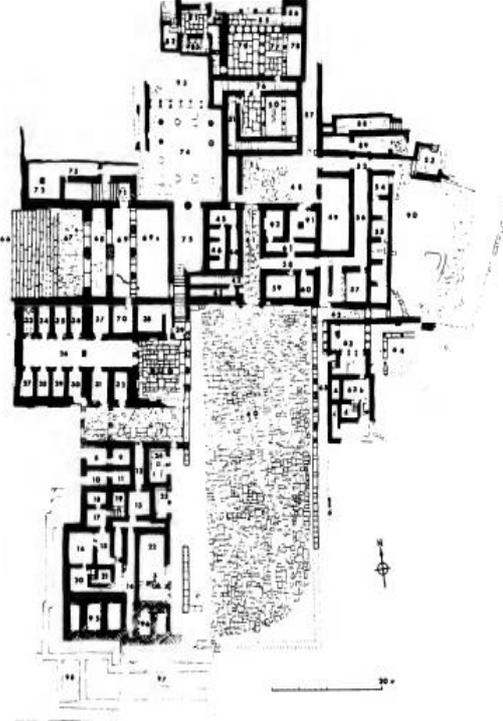
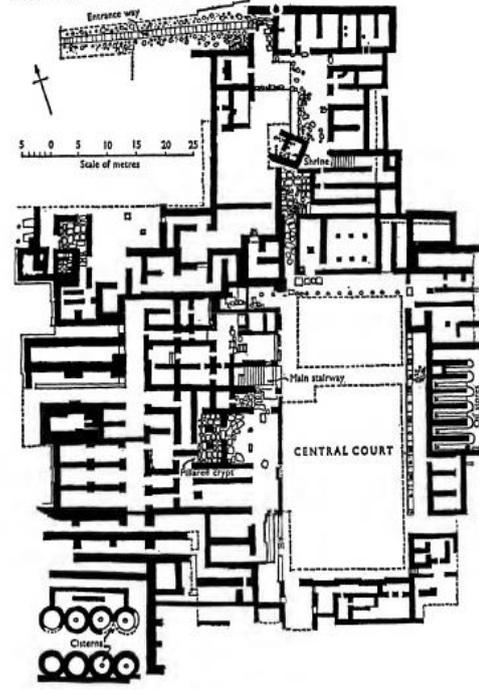
2 Pierre Marchaud , op-cit , p 245, Christopher Fagg , François Calier , op-cit , p 10

3 Eric D. Nelson , Susan K. Allard-Nelson , op-cit , p93.

4 Christopher Fagg , François Calier , op-cit , p 10.

5 عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص 90.

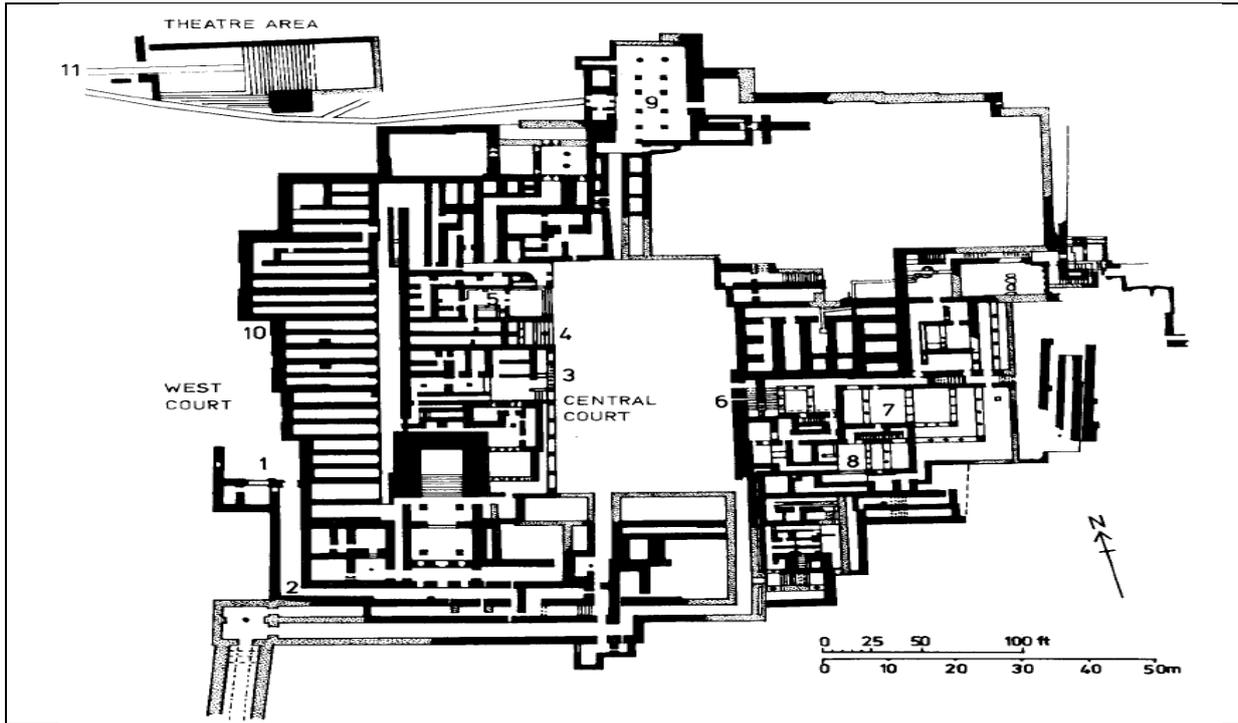
تحولت القرى إلى مدن أو مراكز سياسية ، اقتصادية ودينية¹ ، فاكتملت الحضارة طابعا مدنيا ونشأت مراكز عمرانية كثيرة في وسط الجزيرة وتمتعت كريت بالأمن بعد أن قام ملوك كنوسوس لأول مرة بتطهير البحر من القراصنة وسادها الرخاء ، وارتقى الفن في هذه المرحلة لتسمى بعصر "كماريس" (1950 ق.م / 1750 ق.م) نسبة إلى كماريس (Kamares) وهو كهف في جنوب إيدا (Ida) عثر فيه على أواني فخارية مزينة بزخارف متعددة الألوان فضلا على الأختام الأسطوانية الشرقية (بابل) ، وتحف فنية من مصر بسبب نشاط الحركة التجارية ، كما برع النحاتون في تشكيل التماثيل الطينية².

	
<p>الملحق رقم 14: يمثل المخطط القديم لقصر فاistos³.</p>	<p>الملحق رقم 13: يمثل المخطط القديم لقصر ماليا -</p>

Eric D .Nelson ,Susan K.Allard-Nelson , op-cit ,p93

عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص 90.

R.f. Willefts , op-cit , pp 65-66.



ترجمة المخطط :

- | | | | |
|---------------------|-------------------------|--------------------------------------|--------------------|
| 1- الشرفة الغربية . | 2- ممر (رواق) المواكب . | 3 - ضريح القصر . | 4 - شرفة المصعد . |
| 5- غرفة العرش | 6- الدرج الكبير . | 7- القاعة المزدوجة . | 8- ملكة المغارون . |
| 9- قاعة التعميد . | 10- غرف التخزين . | 11- الطريق الملكي إلى القصر الصغير . | |

-الملحق رقم 15 : يمثل مخطط قصر كنوسوس في حوالي 1400 ق.م.¹

3-العصر المينوي الحديث " Early Minoan III " (1600 ق.م / 1550 ق.م - 1450 ق.م):

استعادت القصور بريقها من جديد بعدما دمرت حيث توسعت وتحسنت أكثر خاصة قصر كنوسوس ، ففي تلك الحقبة أصبحت اللوحات الجدارية التي تزين الجدران تخضع لشروط معينة فأصبحت تحمل صور بشرية للرجال ذوي البشرة البنية (السمر) وبالنسبة للنساء بشرة بيضاء ، وكانت هذه اللوحات ليست للزينة فقط وإنما تحمل حس ديني².

كما تطورت الفن كثيرا وبشكل تدريجي من حيث الأشكال والأنماط الزخرفية على المزهريات أو على الأختام³ ، وقد ساعد موقعها الجغرافي اتصالها بالشرق والجنوب والشمال وتلاقى التيارات الثقافية والحضارية

Sarah .B .Pomery and all , op-cit , p 17, Charles Gates , op-cit , p 120.

Pierre Marchaud , op-cit , p 245.

R.F.Willefts , op-cit , p 57.

1

2

3

الآتية من هذه الجهات وعلى الأخص من الشرق الأدنى ، المناطق الآسيوية ، شمال إفريقيا.. الخ¹ ، ولعل من أهم مظاهرها:

1- الفن المعماري : وصل في كل من كنوسوس و ماليا وفايستوس درجة متطورة ولا بأس بها من التقدم حيث بدأت تقام على طراز أعظم فزيت جدرانها برسوم تبين أوجه الحياة في كريت مثل : الاستعراضات والحفلات ومناظر الطبيعة ، كما بلغت صناعة الخزف مرحلة متقدمة من الإتقان فالأواني التي لونت بطلاء أسود تظهر عليه رسوم زخرفية غير منفصلة باللون الأبيض أو الأحمر أو البرتقالي ، ثم لم تلبث أن تطورت بعد ذلك لتضم رسوما وصورا مفصلة للحياة النباتية والحيوانية والبحرية² .



الملحق رقم 16 : الهندسة المعمارية لقصر كنوسوس حسب تصور الفنانين³

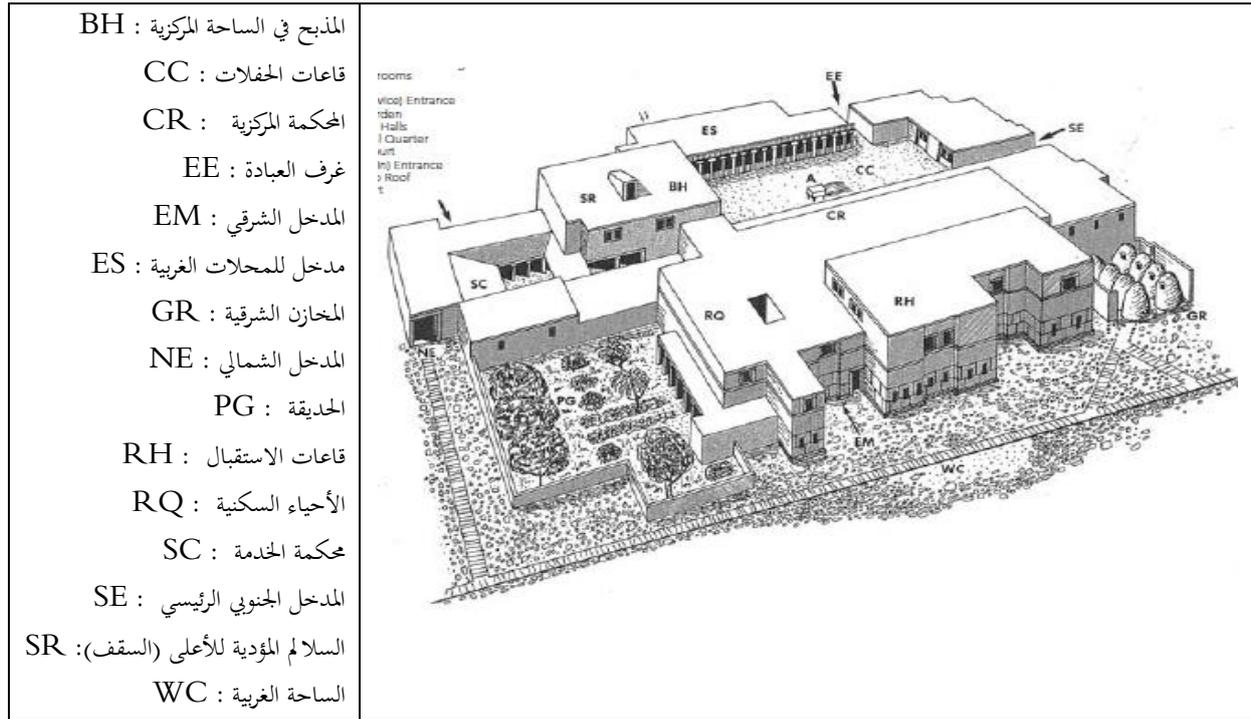
2- فخار هذا العصر صنع بواسطة عجلة الفخار ، ففي خلال خمسة قرون التي ازدهرت فيها تطور صناعة الفخار تطورا ملحوظا فبعدها كان ذو اللون الرمادي في القرن الأول من الألف الثانية قبل الميلاد تطور وأصبح ذو اللون الأصفر الذي نتج عن تطور الحرق في الأفران بعد توصلهم إلى طريقة النفخ في الكبر لرفع درجة الحرارة ، أما صناعة صهر وتشكل المعادن فإنها تقدمت وتطورت ، فقد عثر على فؤوس برونزية وأدوات للزينة من معادن نفيسة وبعض الأواني المعدنية⁴ .

¹ Eric D .Nelson ,Susan K.Allard-Nelson , op-cit ,p93.

² لطفي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص 76 ، حسين الشيخ ، المرجع السابق ، ص 33.

³ Paul Benarbo , op-cit , p 19.

⁴ محمد إبراهيم بكر ، المرجع السابق ، ص 22، إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 34.



-الملحق رقم 17 : الهندسة المعمارية لقصر ماليا في الجهة الشمالية الغربية في جزيرة كريت.¹

3-عرف أهل كريت الكتابة في مرحلة مبكرة من تاريخهم ، حيث كانت على شكل صور على نمط الكتابة الهيروغليفيه ثم تطورت وأصبحت تكتب على شكل خطوط يمثل كل منها معنى معين، وعرفت باسم الكتابة الخطية أو النص الخطي " Linéaire A " ، ولم تفك شفرتها لحد الآن ، وقد وجدت في كهف أحد جبال الجزيرة منضدة لقرايين الشراب عليها نقوش بهذا الخط².

4-ومن مظاهر التقدم الحضاري المينوي معرفة سكانها للمسرح وبعض أنواع الترف كمصارعة الثيران بغية الترفيه عن اليونانيين من خلال المواضيع المقترحة التي تمس خاصة الحياة اليومية الإغريقية فضلا على تسخيره لبعض الألعاب التسلية والترفيه.

5-ربط علاقات تجارية مع الحضارات الشرقية خاصة المصرية منها ، حيث أطلق المصريون على أهل كريت اسم "الكفيتو" منذ العصر المبكر ووصلت إلى درجة كبيرة من الانتظام في القرن الخامس عشر قبل الميلاد حيث ذكرت

¹ Paul Benarbo , op-cit , p 124.

*نظام الخطي (A) : هو نظام الكتابة على ألواح الطين من طرف المينويين ظهرت في حوالي (1800-1540ق.م) ، لكن سوف يتطور فيما بعد إلى الخط B ، إذ يستطيع المهندس ميشال فونتريس " Michael Ventris " من فك شفرته ويبرهن أنها شكل آخر من أشكال اليونانية القديمة... أنظر: . Mike Paine , op-cit , p28 .

² Sarah .B.pomery and all , op-cit , p20.

النصوص المصرية أن ملوك بلاد الكفتو وجزر البحر العظيم كانوا يحضرون الهدايا والقرايين لملوك الأسرة 18 في عصر الدولة الحديثة* خاصة في عهد تحوتمس الثالث¹.

6- اعتماد الحضارة المينوية في المقام الأول على الفلاحة والتجارة والثروة السمكية ، وعلى تربية الحيوانات كأساس لاقتصادها² حيث كشفت الحفريات على عظام الأبقار والماعز والضأن والحمير... الخ ، وفي مواطنها كشف عن بقايا الشعير والقمح وعن حبوب لبعض البقول كالبصل والفاصوليا والعدس ، وفي منازلها عشر على مشاعل تعمل بزيت الزيتون فضلا عن اعتمادهم على الصيد حيث يظهر المينويون صيادون مهرة بدليل الإناء الذي عثر عليه في جزيرة ميلوس يؤرخ له بنهاية القرن الثامن عشر قبل الميلاد وبداية القرن السابع عشر قبل الميلاد مصور عليه رسوم لعدد من الأشخاص يقفون بجوار مجرى مائي يصطادون وفي يد كل واحد منهم سمكة³.

7- اعتقاد المينويون بالحياة ما بعد الموت ، حيث كانوا يدفنون موتاهم في وضع يشبه الجنين في بطن أمه كأنما عاد الميت إلى رحم أمه في الأرض في ثابوت كالصندوق من الحجر الجيري ، كما زودت المقابر بكثير من القرايين⁴ ، كما كانت ديانتها مزيج من العقائد التي تؤمن بوجود أرواح في كل شيء وكذلك الخرافات والتصورات الخيالية وتمجيد القوى الخفية ، فقد كانوا يعبدون الجبال والمغارات والأشجار والشمس والقمر والحيوانات⁵ ، ولم تظهر في كريت معابد ضخمة وإنما كان السكان يزورون الجبال أو المغارات مقدسة في أوقات معينة⁶.

ولكن بحلول نهاية القرن الخامس عشر قبل الميلاد حلت بجزيرة كريت كارثة طبيعية أدت إلى تدمير قصورها ومراكزها العمرانية ربما بسبب حريق أو زلزال أو بركان* أو غزو خارجي ، ولكن بفضل نشاط و مجهودات

* وصلت العلاقات التجارية بين كريت ومصر إلى درجة كبيرة من الانتظام والازدهار في القرن 15 ق.م ، فقد عرف الزيت الكريتي والأواني الفخارية طريقها إلى مصر مثل : الإناء المزخرف بألوان متعددة في أيدوس وكذلك عشر على تمثال صغير من الحجر لشخص مصري يعود إلى الأسرة 12 أو 13 منقوش عليه اسمه بحروف مصرية في أحد القصور الملكية في كنوسوس.... ، أنظر : إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص ص 23-24.

¹ ابتهال عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 41.

² Jean Kinney Williams , op-cit , p19.

³ محمد إبراهيم بكر ، المرجع السابق ، ص 21.

⁴ نفسه ، ص 22.

⁵ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص ص 32-33.

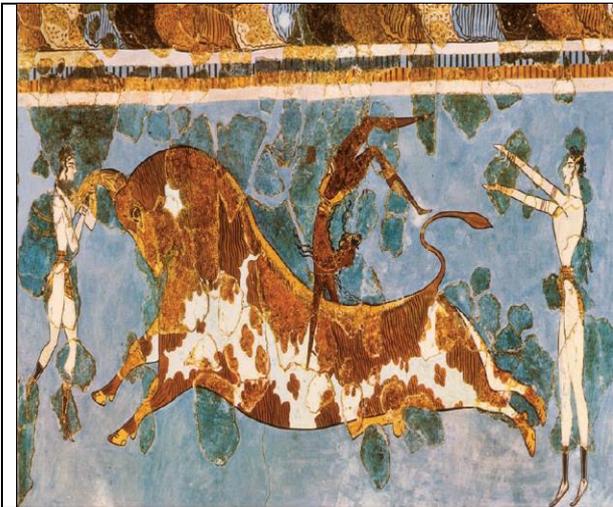
⁶ Eric D .Nelson , Susan K.Allard-Nelson , op-cit , p95.

* يعتقد أن بركان ثيرا حدث في حوالي 1630 ق.م في جزيرة ثيرا (ساتورنوس) الواقعة شمال كريت ، وهو بركان عنيف لا يحدث إلا مرة كل عشرة مليون سنة ، ومن جهة أخرى موقع البركان توسع ليشمل جميع المناطق المحاذية له بسبب حممه البركانية التي تقذف بها الرياح في كل اتجاهات بحر ايجة ووصلت إلى غاية البحر الأسود و الدلتا النيل .. الخ ، فتأثر المناخ والمحاصيل الزراعية المتوسطة بهذه الكارثة الطبيعية...، أنظر:

Sarah .B.pomery and all , op-cit , p22.

السكان¹ لم تلبث كريت أن أفادت من الصدمة بسرعة وأقبلت على فترة جديدة أطلق عليها اسم فترة الازدهار الثانية (العصر المينوي الحديث) من (1600 ق.م/1550 ق.م - 1400 ق.م) حيث بلغت الحضارة المينوية أوجها وبالتحديد في مدينة كنوسوس أين أعيد بناء قصرها الفسح² .

فضلا عن تشييد قصورا أخرى أكثر فخامة وأعظم بكثير من الأخرى وبدرجة عالية من الإتقان المعماري في استخدام الأعمدة وبناء طوابق عدّة وتزيين جدرانها بلوحات جدارية ملونة ومزخرفة برسومات مستوحاة من الطبيعة، وعرف هذا الفن الزخرفي باسم الإفريسك "Fresco" أو فن الرسوم الجدارية الزاهية الألوان ويستمد عناصره الأساسية من الطبيعة مثل : قصر ماليا (Mallia) في الشمال، تم اكتشافه لأول مرة من قبل آزيداكيس "Hazzidakis" ، كاتو زاكرو (Kato Zakro)... الخ³ .



الملحق رقم 19 : مشهد لإحدى الزخارف التي وجدت في قصر كنوسوس (Fresco)¹ .



الملحق رقم 18: إحدى مشاهد الإفريسك (Fresco) يصور حملة بحرية للمينويين.

وفي الفترة الممتدة من 1600 ق.م إلى 1400 ق.م لم تعد جزيرة كريت مجرد دويلات أو مراكز حضارية متناثرة ، وإنما ظهر هناك نوع من الترابط وتزعمت السيادة السياسية مدينة كنوسوس على كافة أنحاء الجزيرة (القرن 15 ق.م) بسبب نضجها السياسي⁴ ، ففي البداية كانت السلطة السياسية في بادئ الأمر في أيدي رؤساء

¹ Mike Paine ,op-cit , p27, Charles Gates , op-cit , p 119 .

² عبد اللطيف احمد علي ، المرجع السابق ، ص 92 .

³ Sarah .B.pomery and all , op-cit , pp16-22 , Charles Gates , op-cit , p 119 .

⁴ لطفى عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص 77، حسين الشيخ ، المرجع السابق ، ص ص 33-34 .

القبائل والأسرات الكبيرة الذين يحكمون حكما إقطاعيا ، ولكن في العصر المينوي الحديث تركزت السلطة في أيدي ملوك كنوسوس وحدهم وأصبحوا سادة بحر إيجه ، وقد عرف ملك كريت باسم مينوس وصاحب السلطات المطلقة معتمدا على علاقته بالآلهة¹ ، ويعتقد أنها احتلت بعض الأجزاء من شبه الجزيرة الإغريقية وفرضت عليها سيطرتها حسب "أسطورة ثيسوس و المينوتاوروس" ، ولكن بالرغم من كنوزها الثمينة لم تسلم من وقوعها في أيدي الآخين الميكانيين عام 1400 ق.م ، واحتلوا كنوسوس وهدموا قصورها بعد حوالي نصف قرن وتستمر مظاهر التدهور العام في مراكز الحضارة إلى أن يكتسحها قوى عسكرية في حوالي 1100 ق.م قادمة من الشمال عبر سهول تساليا عرفوا بالهمجية والحشونة والقوة وهم الدوريون² .

(ب) الحضارة الميكانية (الميسينية) [1450/1600 ق.م-1100 ق.م] : ظهرت بوادر الحضارة الميكانية (الموكينية) نسبة إلى مدينة موكيناى (مكيني / ميسيني)* بجنوب بلاد اليونان (شمال شرق البولوبونيز) ، وهي تختلف عن الحضارة الإيجية كونها يونانية الأصل على عكس الإيجية التي كانت من خارج اليونان³ .

يرجح المؤرخون ظهورها لأول مرة عام 1600 ق.م أي أنها عاصرت المينوية (الإيجية) ما يقارب مئتي عام ، واستمرت إلى غاية 1100 ق.م حينما سقطت ودمرت على يد القبائل الدورية القادمة من الشمال⁴ ، وتم اكتشافها على يد العالم الألماني هنري شليمان سنة 1870 / 1876 م⁵ على شكل مثلث يحيط بها سور ضخم وفي إحدى زواياه عثر على احد مداخل المدينة أطلق عليه اسم بوابة الأسود ، وبالقرب من هذه البوابة عثر شليمان على مقبرة ملكية تحتوي على 19 هيكلًا عظيمًا ووجد بداخلها تيجان وأقنعة وحلي ذهبية كثيرة وأواني من البرونز⁶ وفي هذا الصدد يصف الشاعر الإغريقي هيسود بأن الميكانيين هم جنس البرونز أو أنهم الأبطال الذين يشبهون الآلهة⁷ .

¹ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص ص 31-32.

² محمود إبراهيم السعدني ، المرجع السابق ، ص 64.

* تقع مدينة موكيناى في منتصف المسافة ما بين مدينتي كورنثة وأرجوس في منطقة البولوبونيز ، وكان المرتفع الذي أقيمت عليه المدينة مأهولا بالسكان

منذ بداية الألف الثالثة قبل الميلاد....، أنظر: Jean Kinney Williams , op-cit , p 9

³ Christopher Fagg , Francois Calier , op-cit , p12.

⁴ Pierre Marchand , op-cit , p 250.

⁵ Charles Gates , op-cit , p 130 .

⁶ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 29.

⁷ Hésiode , les travaux et les jours , pp 155, 145.



0 10 100

مراكز الحضارة الميكانيية (الميسينية)

الملحق رقم 20: خريطة توضح الإمتداد الجغرافي للحضارة الميكانيية في بلاد الإغريق

وتشير الأبحاث الأثرية أن موقع مدينة موكينايا جعلها مدينة محصنة تحصينا طبيعيا ، كما أن ارتفاعها عن سطح البحر بنحو 900 متر سمح لها أن تطل وتسيطر على سهل أرجوس ، كما جعلها تتحكم في الطرق المؤدية إلى المضيق وأن المنطقة التي حولها تمكنها من أن يكون لها بصفة دائمة المياه اللازمة لها في الزراعة وفي تربية الحيوانات¹ ، وبالتالي تكون لها دعامة اقتصادية قوية من خلال تطور مستوطناتها الزراعية وتنمية تجارتها² ، بدليل كشف الحفريات التي أقيمت على أنقاضها على مخزن للحبوب وغير بعيد عن المدينة عشر على منزلين أطلقوا على أحدهما اسم منزل تاجر زيت الزيتون والمنزل الآخر اسم منزل تاجر الخمر وهذا يدل على وجود زراعة الزيتون والكروم ، ففي منزل تاجر الزيوت كشف عن 39 لوحة صغيرة كتب عليها قائمة للواردات والصادرات من زيت

¹ لطفى عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص ص 82-83 .

² Eric D .Nelson , Susan K.Allard-Nelson , op-cit ,p99.

الزيتون ، ومن الحيوانات المستأنسة في ذلك العصر الأبقار والأغنام والخنازير .. الخ ، حيث عثر في إحدى المقابر الصخرية على رسم الحصان يجر عربات القتال فقط ، بينما استعملت الحمير والبغال في حمل الأثقال ونقلها ¹ .

استطاعت موجات المهاجمين الميسنيين من البر اليوناني أن تقضي على الحضارة الكريتية لتحل مدنيتهما المختلفة ، كما أقاموا مستعمرات متفرقة على السواحل اليونانية وصولاً حتى شواطئ آسيا الصغرى ولم يتمكنوا من إقامة مستعمراتهم في جزيرة كريت إلا بعد النكبات الطبيعية التي حلت بالجزيرة في القرن السابع عشر قبل الميلاد ² ونتيجة لذلك فقد تأثرت تأثراً كبيراً بالحضارة الكريتية في بداية نشأتها لكنها تمكنت من تطوير شخصيتها الحضارية ويتضح ذلك من خلال اختلاف نماذج بناء المقابر و أنماط الأواني الفخارية والدرع والسيوف والخوذ المعدنية ³ ، وتطوير النص الخطي " A " المعتمد عند المينويين إلى النص الخطي " B " وتكييفها مع ثقافتهم ⁴ .



- الشكل 1: يمثل الخط من نوع " Linéaire B " وجد في قصر بيلوس في حدود 1200 ق.م .
- الشكل 2: يمثل الخط من نوع " Linéaire B " من قصر كنوسوس الميكيني ، وتشير هذه النقوش (الأحرف) إلى نظام الترقيم ، حيث تمثل الدوائر المئات والخطوط الأفقية للعشرات ، بينما الخطوط العمودية تمثل الوحدات.

الملحق رقم 21 : الخط من نوع " Linéaire B " السائد في الحضارة الميكانية ⁵ .

وتكشف التنقيبات الأثرية التي قام بها هنري شليمان عن اكتشاف الكثير من المقابر المحفورة على هيئة أبار عميقة يصل عمقها أحيانا إلى أربعة أمتار في باطن الصخر ⁶ ، وضمن القرايين التي عثر عليها داخل هذه المقابر مصنوعات ذهبية كثيرة ومصنوعات برونزية فضية بالإضافة إلى بيض النعام وغيرها من المنتجات المستوردة

¹ محمد إبراهيم بكر ، المرجع السابق ، ص 30.

² Christopher Fagg , Francois Calier , op-cit , p 9 .

³ ابتهال إبراهيم عادل الطائي ، المرجع السابق ، ص 41.

⁴ Sarah .B.Pomery and all ,op-cit , p24.

⁵ Sarah .B.Pomery and all ,op-cit , p29.

⁶ Paul Bernabeo ,op-cit , pp29-30 .

فضلا عن المقابر ذات القباب المبنية من الحجر (طول القطر 14 متر والارتفاع 14 متر) ومخصصة للملوك ، وقد بلغ عددها حوالي تسع مقابر في منطقة ميكيثاي لوحدها¹ .

وانتشرت في هذه الحضارة أيضا صناعة الأواني الفخارية التي تظهر عليها صور الأشخاص ، ويتسع سطح الإناء الواحد لعدد من النماذج بعدما كانت في السابق (الكريتية) تجسد مناظر الحياة النباتية والحيوانية ويتسع لنموذج واحد فقط² ، بالإضافة إلى تطور صناعة الأسلحة خاصة صناعة الدروع التي وجدت في مقابر الميسنيين (الميكانيين) ، مع خوذة جلد وترس ، و بعض الكؤوس البرونزية و حتى مشط برونزي ذو أسنان ذهبية³ ، حيث تطور كثيرا الدرع الكريتي الذي كان يشبه قوسين متلاصقين ويكفي لحماية الجسم بأكمله عوض بدرع أصغر وأخف في الحمل ذو شكل يشبه القطاع الطولي للأسطوانة ثم اندثر بدوره ليحل محله درع أكثر صغرا وأخف حملا ، كما اعتمدوا على السيوف الجديدة على طراز مستقل من طرازها الأول عند الكريتيين تصلح للقطع والظعن معا ،

	
<p>خاتم من الذهب من أواخر العصر البرونزي الميسيني ، مما يدل على تأثير مينوس على الطقوس الدينية الميسينية (الميكانية) .</p>	<p>مزهريّة تعود إلى الحضارة الميسينية في حدود القرن 13 ق.م ، ويظهر فيها مجموعة من الجنود المحاربين مع الخوذات والدروع والرماح الطويلة</p>
<p>خوذة عسكرية مصنوعة من الجلد بينما الدرع مصنوع من البرونز ، وجدت في مدينة أرغوليس في حدود 1400 ق.م</p>	

4

الملحق رقم 22 : بعض الأدوات التي تعود إلى الحضارة الميكانية

¹ محمد إبراهيم بكر ، المرجع السابق ، ص ص 24-25.

² لطفي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص 85.

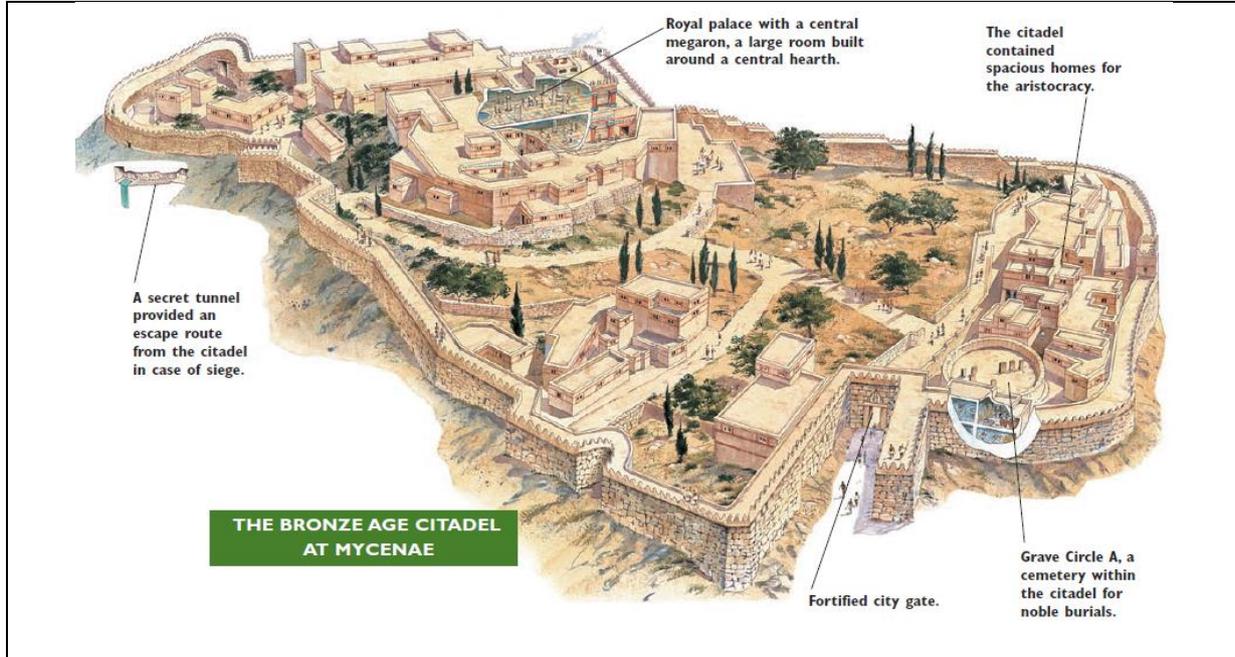
³

⁴

Jean Kinney Williams , op-cit , p 20.

Sarah .B.Pomery and all ,op-cit , pp31-32.

، ثم ما لبثت هذه السيوف أن بدأت بالاختفاء لتحل محلها الحراب التي أصبحت في القرن 13 ق.م هي السلاح الأساسي للحروب ، فضلا عن اعتمادهم على الخوذة المعدنية بدلا من الخوذة الجلدية مختلف الأسلحة البرونزية¹ ، وبناء القلاع الضخمة بصخور صلبة وضخمة وبناء السلام على طول الجدران للوصول إليها في حالة الحصار².



ترجمة مفاتيح الملحق :

- 1- القصر الملكي "ميغارون" . 2/ نفق سري مخصص للهروب من القلعة في حالة الحصار .
- 3- بوابة المدينة المحصنة . 4/ مقبرة داخل القلعة للعائلات النبيلة .
- 5 - المنازل الكبيرة للاروستقراطيين .

الملحق رقم 23 : يمثل أهم القلاع الميكانية في العصر البرونزي³.

أما بالنسبة للديانة فقد عبد أهل موكيناى نفس الآلهة التي عبدها من جاء بعدهم وهي نفسها آلهة أولمب حيث عثر على أسماء زيوس وهيرا و بوسيدون وأثينا⁴ ، وقد صاحب هذا الاستقلال الحضاري ازدياد في قوة الميكانيين (الميسينيين) وسيطرتهم على بلاد اليونان إلى درجة التي جعلت ملوك المدن اليونانية الأخرى يستجيبون

¹ لطفى عبد الوهاب يحيى ، المرجع السابق ، ص 85.

² Christopher Fagg , François Calier , op-cit , p 12.

³ Paul Bernabeo ,op-cit , p 31.

⁴ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 40.

* أجاممنون : وصف هوميروس أجاممنون عدة مرات بأنه أكثر ملكية من بقية الأبطال في طروادة نتيجة لوضعه المتميز في السلطة بوصفه القائد الذي استطاع أن يحضر أكبر وحدة عسكرية تشتمل على 100 سفينة ، ونظرا لمكانته القيادية أتيج له فرصة توزيع الغنائم واختيار جائزة الشرف ... ، أنظر : م.أي. فينلي ، عالم أوديسيوس ، تر: محمد عبودي إبراهيم ، ط1 ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2014 ، ص 97.

لنداء ملك ميكيبي ويندرجوا تحت لوائه في مشروع حرب طروادة والتي قادها ملكها " أجاممنون " * بعد حصارها لمدة 10 سنوات¹.

وانطلاقاً من الأبحاث الأثرية والروايات الأدبية أمثال : الإلياذة (Ilias) التي تحكي في صورة شعبية حرباً حقيقية بين الآخيين والطرواديين² ، وإلى جانب ذلك يرجح سيطرتها على العديد من المدن اليونانية بدليل العثور على شواهد أثرية ميكانية في تلك المناطق ، ففي أثينا مثلاً وجدت آثار قصر ومقبرة ميكيبية ، وأيضاً في كورنثة والمدن الواقعة غربي بلاد اليونان وفي لاكونيا³.

ومن ملامح التطور والسيطرة الميكانية هو العدد الكبير من الطرق الممهدة التي شقت لتصل بين موكينايا وأماكن تبعد عنها كثيراً حيث عبرت الأنهار وغلبت التلال التي تقف في طريقها بمساعدة ممرات أقيمت لهذا الغرض مثل : امتداد طرق ثلاثة في الشمال تصل موكينايا بالحصون الموجودة في مضيق كورنثة اثنتان منهما تلتقيان عند كليوبي (cleonae) والثالث يصل إلى تنيه (Tenea) كما وجدت في الجنوب آثار طريق تمتد إلى المنطقة والذي أقيم عليها فيما بعد معبد الإلهة هيرا (Hera)⁴.

كما تأثرت بعض المدن اليونانية بالطابع الموكيني خاصة في مجال العمران حيث كشفت الحفريات في كل من تيرينز (Tiryns) وبيلوس (Pylos) وطيبة (Thebes) عن مباني عمرانية شبيهة بالطراز المعماري الموكيني مثل : القصر المتواجد في تيرينز يبعد حوالي 15 كيلومتر عن موكينايا ، وقد بني على ربوة عالية وأحيط بسور عال يشبه قصر موكينايا في كل الجوانب خاصة في تصميم القصر من الداخل والجدران المغطاة برسوم الفرسك⁵.

أما من الناحية الخارجية فقد تمكن الميكانيون في القرن الرابع عشر قبل الميلاد والثالث عشر قبل الميلاد من إقامة تجارة واسعة مع شعوب البحر المتوسط مثل : فينيقيا ومصر⁶ وجنوب إيطاليا وجزر بحر إيجه وإسبانيا وشمالاً في العمق القاري حتى نهر الدانوب⁷ بدليل العثور على 19 إناء في مدينة تل العمارنة في مصر الوسطى

1 Pausanias, T I , I, II , 2-3, Jean Kinney Williams , op-cit , p9 .

2 Chistopher Fagg , François Calier , op-cit , p 12 .

3 محمد إبراهيم بكر ، المرجع السابق ، ص 28.

4 لطفي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص ص 86-87.

5 Sarah .B.Pomery and all ,op-cit , pp22,28.

6 Eric D .Nelson , Susan K.Allard-Nelson , op-cit , p98 , Jean Kinney Williams , op-cit , p 20.

7 عمر عبد الحفي ، المرجع السابق ، ص 15.

حيث استوردت خصيصا لفرعون مصر، وتحوي أجود الخمور كما انتشرت أنواع الفخار الموكيني بشكل واسع خارج اليونان بدليل العثور على أنواع منها في جزر البحر الإيجي ، وفي الجزء الجنوبي من الأناضول¹.

وكذلك كان هناك علاقات سياسية اقتصادية بين اليونان والحِيثيين في هذه الفترة من خلال مجموعة من الوثائق الإمبراطورية الحيثية حيث تظهر لنا مدى امتداد نفوذ ملك الآحيين (الموكينيين) إلى مناطق واسعة في شرقي البحر المتوسط وعن مدى أهميته في العلاقات السياسية بين الحضارات الكبرى باعتباره أقوى ملوك اليونانيين وأن له سلطة سياسية على بقية بلاد اليونان².

ولكن بعد هذه السلطة السياسية والقوة التي امتدت من القرن الخامس عشر قبل الميلاد حتى نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد (1300/1500 ق.م) لم تلبث أن بدأت في التراجع والانحيار ابتداء من أواخر القرن الثاني عشر قبل الميلاد بسبب تسلسل جماعات كبيرة من خارج بلاد اليونان إليها عرفت باسم الغزو الدوري³.

ففي نهاية الألف الثاني قبل الميلاد أغار الدوريون على مدن اليونان في شكل موجات متلاحقة استمرت أكثر من مئة عام ، وهي قبائل ذات نزعة عسكرية قادمة من الشمال ونزحت عبر سهول تساليا من الشمال إلى الجنوب حيث استقرت الموجة الأولى في الشمال بينما الموجة الثانية فقد نزحت على طول الساحل الشرقي لشبه الجزيرة اليونان واتجهت إلى شبه جزيرة البولوبونيز بعدما استطاعوا تحقيق الانتصار على الآحيين وطردهم من مواطنهم وتدمير الحضارة الموكينية في حوالي 1100 ق.م⁴.

أدى الغزو الدوري إلى تدهور الأحوال العامة في بلاد اليونان في جميع المجالات ولمدة قرنين من الزمن من خلال تعطيل أعمال الزراعة والتجارة البرية والبحرية وحدث على إثر ذلك فوضى ديموغرافية كبيرة نتيجة الانتقال المستمر للأسر والعائلات من مكان لآخر طلبا للأمن والغذاء⁵.

وما ترتب على هذه العوامل القضاء على مراكز الحضارة الميكانية بدخول المنطقة في عصر الظلام - the dark age - نسيت فيه منجزاتها الفنية والثقافية وحتى حروف الكتابة التي كانت تستخدمها وخروج السيطرة البحرية من بحر إيجه من يد اليونان إلى يد الفينيقيين ، وتصعد سلطة البيوت الحاكمة حيث أصبح النظام السائد

¹ محمد إبراهيم بكر ، المرجع السابق ، ص ص 26-27.

² لطفي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص ص 88-89 ، ابتهاج عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 42.

³ Pierre Marchand , op-cit , p 251 , Chistopher Fagg , François Calier , op-cit , p 12.

⁴ Jean Kinney Williams , op-cit , pp20-21.

⁵ عمر عبد الحفي ، المرجع السابق ، المرجع السابق ، ص 16.

في المجتمع اليوناني قائم على أساس التجمعات السكانية القبلية أو القروية وقد امتدت هذه الفترة من عهود الظلام من 1000 إلى 750 ق.م. مهددة لظهور عصر جديد يشع نور اليونان بفضله آلا وهو عصر دويلات المدن [800 / 750 ق.م - 332 ق.م]¹ وسوف نتطرق إليه بالتفصيل في العنصر القادم.

2-العصر الهيليني (الكلاسيكي) : يمتد من حوالي 1100 ق.م - 338 / 480 ق.م : وتنتسب هذه المرحلة إلى هيلاس وهو الاسم الذي أطلقه اليونان على بلادهم ، وتتركز الحضارة في هذه المرحلة في بلاد اليونان ذاتها ولا تلعب جزيرة كريت أي دور في هذه المرحلة ، ويمكن تقسيم هذا العصر إلى أربع حقبة تاريخية تمثلت في :

1-العصر الهيليني المبكر (فترة الظلام) يمتد من 1100 ق.م - 750/800 ق.م : بدأ هذا العصر مع بداية العصر الحديدي (1100/1200 ق.م) وسادت فيه القيم العشائرية والقبلية ، وكان المجتمع وولد الحروب و الغزوات وتسويات الاستيطان ، خاصة بعد هجرة السكان نحو جزر بحر إيجه وضاف آسيا الصغرى نتيجة الغزو الدوري² ، وبذلك غاب المشهد الحضاري القديم الذي كان سائدا في العصر البرونزي وحل محله نظام ملكي مؤقت ومضطرب ، ورغم مساوئ هذه الحقبة المظلمة فإنها أتاحت للمجتمع اليوناني فترة زمنية لإستعاب العناصر الجديدة التي جاءت من الشمال وبذلك نشأ مجتمع جديد في بلاد اليونان³ .

2-العصر العتيق (عصر دولة المدينة) يمتد من 750 ق.م - 480 ق.م : ظهر في بلاد اليونان نظام عرف باسم نظام الدولة المدينة (المدينة الحرة) ، فالمجتمع اليوناني عبارة عن وحدات سياسية مستقلة عن بعضها البعض نتيجة لطبيعتها الجغرافية⁴ ، فأصبحت لكل مدينة لها مقومات الدولة (الدولة المدينة) أو دويلة صغيرة ، حيث عرفت بلادهم نظام الدويلات المدن الصغيرة أي لكل دولة سلالتها الحاكمة وجيشها وحدودها ، وأبرز هذه الدويلات كانت أثينا ، اسبرطة ، طيبة ، ميتيلوس .. الخ، ونتيجة لحركة الهجرة والانتشار تطور نظام الحكم والنظام السياسي لدويلات المدن اليونانية ، وظهرت الأنظمة وتطورت من النظام القبلي إلى غاية الحكم الشعبي ((الديمقراطي) علما أن هذه الأنظمة كانت متفاوتة بحسب الأماكن التي ظهرت فيها⁵ ، ومن أبرز أحداث عصر

¹ Sarah .B.Pomery and all ,op-cit ,pp36-37.

² Lesley Adikins and Roy .A.Adikings , op-cit , pp5-6.

³ الصادق النهوم وآخرون ، اليونان الكلاسيكية ، موسوعة بحجة المعرفة ، مج 1 ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، 1982 ، ص 145.

⁴ Hand Beck , Acompanion to ancient greek governement , Wiley Black Well publication , U.S.A , 2013 , p9.

⁵ لطفي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص ص 106-116.

الدولة المدينة هي الحروب والتحديات الخارجية أهمها : الحروب الإغريقية الفارسية (الحروب الميديّة) (490ق.م / 479ق.م)* والحروب الإغريقية القرطاجية (القرن 6 - 5 ق.م)**¹.

3-العصر الكلاسيكي (480ق.م - 338ق.م) : يعتبر من أبرز المحطات في تاريخ بلاد اليونان حيث وصلت الحضارة اليونانية لأوج مجدها خاصة مع ظهور الألعاب الأولمبية وشهرتها بين العالم القديم² ، فضلا على تطور ديمقراطية أثينا في ظل حكم بركليز (سوف يتم الإشارة إليهم) ، وبناء الأكربول في أثينا وازدهار الفنون والعلوم والآداب والفكر والعمارة ، وقيام حروب البولوبونيز (431ق.م - 404ق.م) بين حلف ديلوس بقيادة أثينا وحلف البولوبونيز بقيادة اسبرطة³ .

4-العصر الهيليني المتأخر (338ق.م - 323ق.م) : انتهت زعامة أثينا على العالم اليوناني وانتقلت الزعامة إلى اسبرطة ، ولكن نظام الحكم العسكري جعل المدن اليونانية تتمرد على زعامة اسبرطة فنجحت طيبة بأن تلحق هزيمة ساحقة باسبرطة وتنتزع زعامة المدن اليونانية ، مما شجع على ظهور الحروب الداخلية بين المدن اليونانية من جديد⁴ .

وحينها ظهر الخطر المقدوني ممثلا في طموحات الملك فيليب المقدوني*** في توحيد مقدونيا والإستيلاء على اليونان ، ولما أدركت طيبة وأثينا خطر هذا الملك الجديد كونت حلفا لصدّه ، ولكن الوقت قد فات ، حيث بدأ بالسيطرة على المدن اليونانية الواحدة تلو الأخرى ، وحين اصطدم بالجيش الطيبية الأثينية هزمها هزيمة ساحقة عند خايرونيه (شمال بويوتا) عام 338ق.م وبذلك أصبحت كل بلاد اليونان بقيادة فيليب الثاني ، وجاء دور

*الحروب الإغريقية الفارسية (الحروب الميديّة) : (490ق.م / 479ق.م) : تعود هذه التسمية نسبة للسلالة التي حكمت إيران وبدأت في عهدها الخلافت العسكرية بين الفرس والإغريق ، وللمزيد أكثر أنظر الفصل الثاني من الباب الرابع.

**الصراع القرطاجي الإغريقي : نشب هذا الصراع في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط بين الإغريق و القرطاجيين منذ القرن السادس قبل الميلاد ، وتجدد هذا الصراع خلال القرن الخامس قبل الميلاد ليتحول إلى حروب دامية نتيجة لأسباب اقتصادية ، وبلغ ذروته في معركة هيمرة 480ق.م الشهيرة...، أنظر : محمد الهادي حارش ، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1992م ، ص ص 51-55.

¹ محمد إبراهيم بكر ، المرجع السابق ، ص ص 113-114.

² عبد الله السليمان ، رؤية في منهجية الكتابة التاريخية في العصور الكلاسيكية ، آفاق المعرفة ، ع 611 ، 2014 ، ص 187.

³ Eric D.Nelson , Susan K .Allard-Nelson , op-cit , pp10-11.

⁴ Hammond , op-cit , pp 293, 502.

***فيليب المقدوني : عاش في الفترة الممتدة من (386-336ق.م) تولى عرش مقدونيا سنة 359ق.م ، يعتبر المؤسس الحقيقي للإمبراطورية نظرا لما بذله من جهود في تقوية بلاده وفرض نفوذها على بلاد الإغريق ، و إعداد جيش قوي، أنظر : فوزي مكاوي ، المرجع السابق ، ص 216.

مقدونيا لتؤدي الدور القادم في تاريخ اليونان بقيادة فيليب الثاني (338-336 ق.م) حيث لفظ نظام الدولة المدينة أنفاسه الأخيرة وأصبحت اليونان ومقدونيا مملكة واحدة¹.

بعد اغتيال فيليب المقدوني اعتلى ابنه الاسكندر المقدوني عرش أبيه (336-332 ق.م) وقضى هذا الأخير على جميع محاولات الانفصال والاستقلال التي قامت بها المدن اليونانية² ودمر مدينة طيبة على آخرها ، فهابت منه المدن الأخرى وقدمت له الطاعة ، وبعدها وجه جهوده واستعداداته نحو الشرق وكان هدفه تكوين إمبراطورية عالمية ، وكان له ما أراد رغم أن الموت سبقه في إتمام هدفه بالكامل³.

توفي الاسكندر المقدوني* في بابل عام 323 ق.م بعد أن حكم حوالي 12 عاما وثمانية شهور وعمره لا يتجاوز ثلاثة وثلاثين سنة ، تاركا إمبراطورية تمتد في ثلاث قارات من بلاد اليونان غربا إلى نهر السند شرقا وما بين جبال القوقاز وبحر قزوين شمالا حتى شمال الجزيرة العربية جنوبا بما فيها مصر ، وضمت إمبراطوريته شعوب وثقافات وحضارات مختلفة⁴.

العصر الهيلينستي (332 ق.م - 30 / 14 ق.م) : تبدأ هذه المرحلة مع ظهور الاسكندر المقدوني وبالتحديد منذ خروجه من بلاد اليونان على رأس حملة متجه نحو الشرق (334 / 332 ق.م) ، وتأسيسه للعديد من المدن الهيلينستية حتى نهاية حكم البطالمة في مصر بموت كليوباترا السابعة بعد هزيمتها على يد القائد الروماني أوكتافيوس سنة 30/31 ق.م وتأسيسه للإمبراطورية الرومانية وتعيين نفسه أول إمبراطور لها تحت اسم أغسطس عام 14 ق.م**⁵.

¹ فادية محمد أبو بكر ، دراسات في العصر الهيلينستي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1998 ، ص ص 74 - 102.

² Eric D.Nelson , Susan K .Allard-Nelson , op-cit , pp10-11.

³ أحمد الريفي الشريف ، الاسكندر المقدوني (356-323 ق.م) ، مجلة سبها (العلوم الإنسانية) ، مج6 ، ع3 ، 2007 ، ص ص 57-59.

⁴ فادية محمد أبو بكر ، المرجع السابق ، ص ص 74 - 102.

*الاسكندر المقدوني : ولد في صيف 356 ق.م ، والده فيليب الثاني وأمه أميرة من منطقة ايبروس واسمها اولمبياس ، تولى عرش مقدونيا بعد مقتل والده ، وقضى بعد توليه العرش على جميع محاولات الانفصال والاستقلال التي قامت بها المدن اليونانية ، وبعدها وجه جهوده واستعداداته لحماته العسكرية نحو الشرق ، أنظر : فوكس وبيرون ، الاسكندر الأكبر ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، بيروت ، ص 5.

**يرجع بعض المؤرخين قيام الإمبراطورية الرومانية في مصر إلى عام 31 ق.م على يد أوغسطس ، كما أن هذا الإمبراطور لا يمثل في الحقيقة فاصلا بين عهدين لأن الحضارة الرومانية ظلت إغريقية الفكر ، غير أن التغيير الحضاري والثقافي الذي انبثق عن فتوحات الاسكندر جعل الفترة التي أعقبته ذات طابع مميز...، أنظر: فرج أبو اليسر ، المرجع السابق ، ص 38 .

⁵ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 11.27 , Eric D.Nelson , Susan K .Allard-Nelson , op-cit

وبذلك فقد امتدت الفترة الهيلستينية بين شعلة العهد الكلاسيكي وحلول الرومان أي القرنين 4 و1 ق.م ، حيث استمرت حوالي قرنين باليونان وحوالي ثلاثة قرون بالشرق ، وهي فترة في التاريخ القديم كانت فيها الثقافة اليونانية تزخر بالكثير من مظاهر الحضارة وتشهد على ذلك المدن الفاخرة مثل: الاسكندرية ، بالإضافة إلى أهمية التبادلات الاقتصادية والمزاوجة بين الثقافات وكان للغة الإغريقية دور كبير وانتشارها أدى وبعمق إلى تغيير طلعة الشرق الأدنى القديم بما في ذلك الفترة الرومانية¹ ، ومصطلح "هيلستينية*" مصطلح حديث ، يعتقد انه استخدم لأول مرة في أوائل القرن التاسع عشر من طرف العلماء والباحثين بهدف التمييز بين العصر الهيليني والعصر الهليستيني، استخدمه المؤرخ الألماني جوهان غوستاف درويسن "Johan Gustav Droysen" عام 1936م في كتابه "Geschichte des Hellenismus" لأول مرة استنادا إلى معيار لغوي وثقافي المتمثل في تطور مذهل للأقاليم التي تنتشر بها اللغة الإغريقية².

وإبان هذه الفترة استمرت الثقافة الإغريقية في التأثير على كافة الأراضي التي فتحها الاسكندر ، وفي الوقت نفسه وصلتها الأفكار الشرقية وعانت بلاد الإغريق من حروب مختلفة وانتشر الدمار، وخلال القرن 3 ق.م شكلت الدويلات الإغريقية منظمين للقتال من اجل الاستقلال لكن الملوك المقدونيين حافظوا على السيطرة عليهما ، ونتيجة لهذا الغزو أصبحت روما في القرن 3 ق.م إحدى أكثر الأمم قوة في غربي المتوسط بعد أن أخذت في التوسع شرقا ، وتمكنت من السيطرة على بلاد الإغريق في الأربعينات من القرن 2 ق.م وأخضعت مقدونيا لحكمها ، ولم يعد لأي من الدويلات الإغريقية قوات عسكرية تذود عنها المخاطر أو أنظمة سياسية

¹ Lesly Adikins and Roy .A.Adkins , op-cit , p141.

* الهيلستينية : اختلف المؤرخون في تفسير معناها فمنهم من اعتبرها اسما يطلق على ثقافة جديدة مركبة من عناصر يونانية شرقية وامتزاج ثقافة الإغريق ثقافات الشرق فأنتجت فكرا جديدا ليس إغريقي خالص ولا شرقي بحت ، حمل فيه الإغريق إلى الشرق شيئا من الفلسفة والعلم ولقح فيه الشرقيون حضارة الإغريق بشيء من روحانية الشرق وأنظمته عليه وذهب البعض إلى أن مفهوم اللفظ مقصورا على امتداد ثقافة الإغريق إلى الشرقيين ، وفي الوقت نفسه ينكرون أثر الشرق على الإغريق ويريدون جعل التأثير مقصورا على الإغريق في الشرق وان الإغريق هم الشعب الغالب ، لكن الرأي الأنسب هو أن مصطلح الهيلستينية ما هي إلا عنوان مناسب للدلالة على حضارة دامت حوالي ثلاثة قرون حيث كانت الثقافة اليونانية تسطع بأضوائها بمنأى من أرض الوطن الأصلية ، وقد انقسمت إلى مرحلتين : المرحلة الأولى : مرحلة اتسمت بالإبداع والابتكار في العلوم و الفلسفة والأدب والنظم والأوضاع السياسية للدول .

-المرحلة الثانية : مرحلة تميزت بالكلل الذي أصاب الدافع الفتي والإعياء كما أصاب الروح الخلاقة نتيجة رد فعل شرقي من جهة وقيام روما من جهة أخرى إلى أن انتهى المطاف بالدول الهيلستينية إلى الدمار....، أنظر : احمد محمود صبحي ، المرجع السابق ، ص ص 172-173.

² Droysen (Johan Gustav) , Pierre Salmon , Geschichte des hellenismus , revue belge de philologie et d'histoire , creative commons , T 78 , 2000 , p234.

ورغم ذلك فقد ازدهرت التجارة والزراعة والصناعة والنشاطات الثقافية واقتبس الرومان عن الإغريق نماذج فنية كثيرة وحتى الدين وتأثروا بفلسفتهم وطريقة معيشتهم ونشروا الثقافة الإغريقية في ربوع إمبراطوريتهم¹.

وعند دراستنا للمرحلة الهيلينستية نجد ما هي إلا تطور واستمرار لتاريخ المجتمع اليوناني ، كما أنه لم يعد يمثل تكويننا حضاريا قائما بذاته يمكن أن تنطبق عليه صفة الحضارة اليونانية الخالصة وإنما أصبح مجرد جزء من تكوين حضاري عالمي جديد تلتقي فيه عناصر الحضارة اليونانية بعناصر الحضارة الشرقية فضلا عن توجيه الحضاري في العصر الهيلينستي (المتأغرق) لم يعد مصدره اليونان كما كان من قبل وإنما انتقل إلى مراكز أخرى في الشرق الأدنى القديم.

وعلى هذا الأساس كانت نظرتنا نظرة عامة ولم تكن بحكم الضرورة شاملة ولكنها أوضحت نقاط هامة هي أن الظروف الطبيعية للبلاد كان لها أثر مباشر على مسيرة الحضارة اليونانية وهذا ما يساعدنا على فهم قدرة الإغريقي ومدى عبقرية هذا الشعب في تلك الظروف الخاصة التي يمكن اعتبارها عنصرا أساسيا في توجيه تاريخه ، وبما أن بلاد اليونان كانت قبلة للعديد من الهجرات البشرية التي عرفتها بلاد اليونان جاءت بثقافات متنوعة وامتزجت مع ثقافة السكان الأصليين ، وهذا بدوره نجم عليه تنوع المظاهر الحضارية وتميزها بما فيها الجانب السياسي والذي سيكون المحور الأساسي لدراستنا ، وباعتبار هذا النظام مرتبط بسياق تطور الحضاري فكان لابد لنا أن نتطرق إلى التجارب أو المحطات الحضارية الكبرى التي عرفتها الحضارة اليونانية ، وذلك بهدف وضع القارئ في صورة الموضوع وعدم تشويش أفكاره ، علما أن موضوع دراستنا يتوقف في العام 338 ق.م.

¹كريم مناصر، دور المسرح في بلاد الإغريق، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم ، تحت إشراف شارن شافية ، الجزائر ، 2008/2007 ، ص 33.

*مقارنة بين البيئتين الطبيعية والسكانية لكل من السومريين والإغريق وانعكاساتها على النظام السياسي :
من أهم أوجه التشابه والاختلاف الذي ميزت منطقة سومر وبلاد اليونان خاصة من الناحية الطبيعية والاجتماعية ما يلي :

-ارتبط نظام الدولة المدينة منذ القدم سواء عند السومريين أو الإغريق بطبيعة المنطقة (الأهوار ، الجبال ، الجزر... الخ) ، وبالخلفية الاجتماعية والاقتصادية والدينية ، فالموقع الجغرافي لبلاد سومر-القسم الجنوبي-، وطبيعة السطح الذي يمثل بيئة نهرية ذات أحراش ، هضاب ، جبال وقصب ونخيل وطمى، هذه الأخيرة جعلت المنطقة أكثر خصوبة من الناحية الزراعية بسبب مخلفات فيضاناتها (التربة الغرينية)¹ ، وأحيانا يظلّ جنوب العراق مغطى بالمياه ، مما جعل حياة السكان غير ممكنة إلى غاية الألف الخامسة قبل الميلاد ، لكن بالعمل الدؤوب وبالصرع المثمر لأجيال عديدة مع الطبيعة حوّل قدماء العراقيين السهل المستنقعي في ميزوبوتاميا إلى ارض صالحة للاستقرار ، وأسهمت جميعها في إيجاد تجمعات سكانية على شكل عشائر ثم قبائل استقرت في قرى ، ومن مجموع القرى تطورت لتصبح مدنا محددة المساحة فلا يزيد سكانها أحيانا على 1000.00 نسمة² ، ونفس الأمر يتعلق ببلاد اليونان باعتبارها تقع بين مختلف القارات (أوروبا ، آسيا، إفريقيا) مما جعلها نقطة التقاء جلّ الهجرات البشرية القادمة من الشرق أو الغرب أو الشمال³ ، كما يتميز بإطلالته على واحد من أقدم البحار العالم القديم وأهمها قاطبة وهو البحر الأبيض المتوسط الذي شهد مولد أقدم حضارات العالم القديم ، وهذا ما جعل بلاد اليونان نقطة تلاقي للحضارات القديمة و تلاقح فيما بينهما ، فضلا على إشرافها على بحري ايجة والأيوبي ، وهذا ما سمح لها بإنشاء المستعمرات الباكرة على ضفافهما⁴ .

-مرت كل من بلاد سومر والإغريق بمرحلة عصور ما قبل التاريخ ، أين شهدت البدايات الأولى للتكوين الحضاري الذي بدأت ملامحه تظهر أكثر في العصر الحجري الحديث والمعدني (البرونزي) بظهور العديد من القرى السكانية التي سرعان ما تطورت إلى حضارات إنسانية مثلما شهدته العراق القديم (جرمو ، حلف ، العبيد ، الوركاء ، جمدة نصر)⁵ ، ونفس الشيء ينطبق على حضارات الإغريق التي شهدت في بداية تكوينها عصور ما قبل التاريخ

¹ محمد علي سعد الله، المرجع السابق ، ص3، نبيلة محمد عبد الخليم ، المرجع السابق ، ص 12.

² محمد عبد اللطيف محمد علي ، المرجع السابق ، ص15،

³ حمدي إبراهيم ، الحياة الفكرية والثقافية في أثينا ، المرجع السابق ، صمحمد 93 , 93, R.F.Willeft , op-cit ,

⁴ ألفرد زيمر ، المرجع السابق ، ص19، ليلي عبد القادر علي الغناني ، المرجع السابق ، ص ص 22-23، محمود إبراهيم السعدني ، المرجع السابق ، ص 109.

⁵ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص ص 27-30 ، عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص ص 39-40.

من خلال الحفريات الأثرية التي كشفت على العديد من الصناعات الحجرية والفخارية والمعدنية في العديد من المواقع البشرية القديمة مثل :حضارة تساليا (مدينة سيسكلو ، دوميني)¹ ، لكن مع بداية العصر البرونزي (المعدني) شهدت توافد العديد من الأقوام البشرية نحو شبه جزيرة اليونان من الأقاليم الشمالية ، أو من جهة البحر الأسود مشكلين حضارات استطاعت أن تحقق ذروة التقدم والازدهار ، بدليل الشواهد العمرانية التي اكتشفت في العديد من الجزر اليوناني وأبرزها جزيرة كريت ، منطقة البولوبونيز ، هذه الأخيرة امتدت على أنقاضها الحضارة المينوية -تزامنت مع العصر الهيللادي الأوسط -، و تركزت في بداية الأمر في جزيرة كريت ، وبالتحديد في منطقتي كنوسوس ، وفايستوس ، ماليا² ، بالإضافة إلى الحضارة الميكانية (الميسينية) -تزامنت مع العصر الهيللادي الأخير- ، و تركزت في بدايتها في مدينة مكيني (مسيني) ، لكنها استطاعت التوسع في باقي الأراضي الإغريقية³ .

- اتخذت كل من سومر والإغريق العديد من التسميات والمصطلحات ، ولعل هذا الأمر يعود إلى طبيعة المنطقة من الناحية الجغرافية (سومر/شومر ، أرض سيد القصب ..الخ) أو (هيلاس ، اليونان ،هلن ..الخ) ، أو لطبيعة الأقوام التي استوطنتها منذ القدم .

- إشراف كل من سومر وبلاد الإغريق على العديد من المسطحات المائية (الأنهار ، البحار ، الشطوط) ، فبالنسبة إلى سومر امتدت في أراضيها أهم نهرى العالم القديم و الملقبين بالنهرين الأخوين (التوأمين) ، وشكلا الشريان للحياة الرئيسي في هذه المنطقة لدرجة تأليهما⁴ ، فمنذ عصور ما قبل التاريخ قام النهران وروافدهما بترسيب كميات هائلة سنويا من الطمي والغرين مما ساعدت على خصوبة التربة ، واستقطاب السكان إليها خاصة نهر الفرات الذي كان يلعب دورا بالغ الأهمية في ريّ ارض العراق وخصوبته ، ومواصلاته وتجارته (الزراعة ، الملاحة ، الاتصال الحضاري بين مدن العراق) ، و ظهور ما يعرف بنظام الدولة المدينة بدرجة كبيرة⁵ ، عكس بلاد الإغريق اشتهرت بالأنهار الصغيرة قليلة الماء (نهر أليفيوس ، نهر أخيلوس ، بينيوس..الخ)⁶ صعبت في مهمة الاتصال بين أنحاء المدن اليونانية خاصة في الشتاء ، ولا تصلح للملاحة لمسافات معقولة ، وحتى في فترة جفافها فإنها لا تصلح

(S) Hood , op-cit , p 36, (E) Vermeule , op-cit , p p 14-15.

Sarah .B.Pomery , op-cit p p 17-19.

Pierre Marchand , op-cit , p 250.

⁴برهان الدين دلو ، المرجع السابق ، ص 19.

Leonard W.King , Litt .D.F.S.A , op-cit , pp 6-7.

⁶محمود إبراهيم السعدني ، المرجع السابق ، ص 19.

دائماً كوسيلة برية للاتصال وهو ما أدى إلى حركة الانفصالية بين اليونانيين¹ ، لكنها عوضت بمورد آخر للاتصال (البحر المتوسط ، بحر إيجه ، بحر الأيوني) والذي انتشرت فيه الكثير من الجزر والخلجان مما جعلت اليونانيين شعباً بحرياً يمارس التجارة البحرية ، أو الانتشار على ضفافه وتأسيس المستوطنات الباكورة منذ القرن 8 و6 ق.م² ، عكس بلاد سومر التي لا تشرف نهائياً على البحار العظمى ، وإنما الأنهار والروافد الفرعية فقط³ .

-التنوع التضاريسي الذي يميز كل من منطقة سومر و اليونان (الجبال ، الهضاب ، السهول) ، هذه الأقاليم الجبلية ساهمت في ظهور النزعة الاستقلالية بين السكان وبالتالي ظهور الدولة المدينة ، حيث تحتل الجبال في بلاد العراق حوالي خمس المساحة ، وهي تصنع قوساً يمتد من الشمال إلى الغرب إلى الشرق ، وكونت المصدر الرئيسي الذي تنبع منه جميع روافد نهر الدجلة⁴ ، بينما في الإغريق وجدت فيها العديد من السلاسل الجبلية الوعرة التي مزقتها ، وأدت في نفس الوقت إلى وجود ممرات ضيقة صعبة المرور، حيث احتلت حوالي 80% من المساحة الإجمالية، وتتخللها هضاب رعوية⁵ ، إذ توجد بين كورنثة واتيكا جبال (جبال جرانيه (Granea) وجبال كراته (Kerata) ، بالإضافة إلى سلاسل لوريون ، هيلكون (Helikon) ، وجبال بندوس (Pindos) الخ...⁶ ، كما ساهمت البيئة التضاريسية للإغريق مساهمة فعالة في ظهور الأحزاب السياسية على غرار الأحلاف العسكرية مثل: حزب إقليم إتيكا (Atika)، حزب السهل (Pediakoi) ، حزب الجبل (Diakrioi)⁷.

-اختلاف الإنتاج الزراعي حسب البيئة الطبيعية السائدة ، ونوعية التربة في حد ذاتها ، حيث اشتهرت بلاد سومر باتساع المساحات الزراعية ، وبغنى تربتها الغرينية السوداء (الرسوبية) ، هذا ما جعلها تشتهر بالعديد من المحاصيل الزراعية (الحبوب ، الخضروات، الحمضيات الخ...) ، لكن بلاد الإغريق عرفت عكس ذلك ، إذ طغى عليها الطابع الجبلي ، وانحصرت مساحة السهول الصالحة للزراعة في حوالي 18% فقط من المساحة الإجمالية ، بينما باقي الأراضي هي فقيرة جرداء ، ولهذا اشتهرت بمحاصيل معينة فقط مثل : الزيتون ، العنب ، التين ، الخضروات الخ... وفي كثير من الأحيان ما تلجأ إلى الاستيراد أو الحروب أو الهجرة إلى مناطق أخرى أو فرض قانون على

¹ لظفي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص 30.

² محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 18.

³ Don Nardo , op-cit , p 16.

⁴ عامر سليمان وأحمد مالك الفتیان، المرجع السابق، ص30، أحمد أمين سليم، ج2، المرجع السابق، ص29.

⁵ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 10.

⁶ إبراهيم عبد العزيز الجندي ، المرجع السابق ، ص 56، لظفي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص 29.

⁷ Hérodote , histoire , VIII , 144.

مجتمعاتها مثل : قانون الشكران الذي يقضي بموجبه أنه من وصل إلى سن الستين من الضروري عليه أن يشرب السم ليترك الغذاء للآخرين ¹.

-تباينت الخلفية الاجتماعية للمجتمعات السومرية والإغريقية، والتي كانت لها الدور البارز في تشكيل المدن على ضفاف الأنهار أو بالقرب من البحار والجزر ، و اختلفت الدراسات التاريخية حول تاريخ دخولها ، أصولها ، والموطن الأصلي الذي قدمت منه ، فبالنسبة لسومر كانت نتاج أقوام متباينة الأصول عرفت بالسومريين (أجناس غير سامية) ،واليهم ينسب نظام دويلات المدن الأولى ، و يعتبر العلماء والمؤرخين أن طور الوركاء يمثل مجيء السومريين وتوغلهم في البلاد مستفيدة في نفس الوقت من حضارة العبيد ، أو أنه تطورت ضمن ثقافة العبيد التي تمثل لهم بأنها أجداد السومريين ² ، بينما المجتمع الإغريقي المكون من الهجرات الهندواروبية المتتالية ³ (البلاسية ، الأيونية ، الاخية ، الايولية ، الدورية) ، ساهم هو الآخر في ظهور العديد من المدن اليونانية التي تميزت بخصائص مختلفة عن بعضها البعض ، وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى طبيعة القبيلة التي قطنتها ، وأبرز هذه المدن نجد: أثينا ، اسبرطة ، كورنثا ، أرجوس...الخ ⁴ ، وقد سادت كلا هذه المجتمعات البشرية ظاهرة الطبقة من خلال بروز الطبقة الحاكمة (المالكة) ، الأحرار ، العبيد...الخ ، ومع تركيز الأملاك في يد القلة الحاكمة بفضل الحقوق والمزايا التي تمتعت بها هذه الطبقات على حساب الطبقات العامة والفقيرة ، كحق المواطنة وتبوء المناصب العليا تولدت الصراعات بين الأفراد والطبقات ⁵ ، أدت إلى حدوث تطور في شكل الحكم من دولة المعبد إلى دولة القصر وتعزيزه أكثر بإصلاحات اوروكاجينا ، بينما عند الإغريق تعزز أكثر بإصلاحات وتشريعات سياسية ، اقتصادية ، اجتماعية...الخ من قبل العديد من الاراخنة ⁶.

¹ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 12.

² Daniel Arnaud, op-cit, p6, Don Nardo , op-cit , p15.

³ إبراهيم عبد العزيز الجندي ، المرجع السابق ، ص 3.

⁴ سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص ص 28-29 ، عاصم أحمد حسين ، المرجع السابق ، ص ص 58-59.

⁵ علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص ص 58-59.

⁶ عبد الحكيم الذنون ، المرجع السابق ، ص 35.

الباب الثاني :

نظام الدولة المبرنة بين الظهور والتأسيس

الفصل الأول : البواور الأولى لنظام الدولة المبرنة عند السومريين

الفصل الثاني : نظام الدولة المبرنة بين مرحلتي الظهور والتطور عند

الإغريق

الباب الثاني: نظام الرولة المرينة بين الظهور والتأسيس

الفصل الأول : البلوار الأولى لنظام الرولة المرينة عنر السومريين.

1- مفهوم الرولة المرينة :

أ) الرولة المرينة حسب النصوص السومرية .

ب) الرولة المرينة حسب النصوص اللغريقية.

2- مكونات الرولة المرينة .

أ) حسب المرينة السومرية .

ب) حسب المرينة اللغريقية .

3- النشأة التاريخية للرولة المرينة السومرية .

أ) الإلوارة الرينية للرولة المرينة السومرية (وولة المعبر) .

ب) الإلوارة السياسية للرولة المرينة السومرية (وولة القصر) .

4- عوامل قيام الرولة المرينة عنر السومريين :

أ) العوامل الطبيعية .

ب) العوامل السياسية .

ج) العوامل الرينية .

و) العوامل اللقتصادية .

5)التفويض الإلهي عنر السومريين وانتقال السلطة من السماء إلى الأرض

1) نزول اللكية :

أ)السلطة في السماء :

أ-1) مجلس الآلهة .

أ-2) قرارات مجلس الآلهة .

ب)السلطة على الأرض .

2)السلالات الحاكمة السومرية من 2800ق.م إلى 2370ق.م

أ)-سلالة كيش الأولى (la première dynastique de kish)

ب)-سلالة أوروك (la première dynastique d'Uruk) .

ج)-سلالة أور الأولى (la première dynastique d'Ur) .

و)-سلالة لاجش (la première dynastique de lagash) .

و)-سلالة أوما (la première dynastique de Umma) .

شهدت بلاد سومر منذ أقدم عهودها تحولا حضاريا هاماً انتقل الإنسان من خلاله من الحياة القروية إلى حياة المدينة، وقد اصطلح على هذا التحول الحضاري الذي تميزت به الحضارة السومرية عن غيرها من الشعوب المعاصرة لها بنظام دولة المدينة، فقد قام السومريين ببناء العديد من المدن ، وفي هذه المرحلة تكونت النواة الأولى لنظام الحكم المحلي للمدينة الواحدة واستقلالها عن بقية المدن الأخرى فنتج عن ذلك ولادة نظام سياسي جديد، جاء لينظم حياة السومريين الاجتماعية و السياسية والاقتصادية ، ففي المدينة ولد وانفتح أول فكر سياسي في تاريخ البشرية جمعاء ، ومن هنا سوف نحاول تسليط الضوء على نشأة أول فكر سياسي في تاريخ الإنسانية ؟ وكيف انتقل من بلاد سومر إلى بلاد الإغريق وما هي العوامل المؤدية إلى تطوره ؟ وهل يحمل مصطلح الدولة المدينة نفس المدلول بين بلاد سومر وبلاد الإغريق ؟ وهي مقومات كل نظام ؟.

1- مفهوم الدولة المدينة : قبل تحديد مفهوم هذا النظام السياسي الذي بدأت بواره الأولى في حدود الألف الثالثة قبل الميلاد في الشرق الأدنى القديم، وبالتحديد في منطقة سومر ثم انتقل إلى فينيقيا لينتقل بعدها إلى بلاد الإغريق أين أصبح هناك أكثر دقة ونضجا وتطورا بفعل عوامل مختلفة ، لا بد علينا من شرح وتحديد بدقة أصل المصطلح كمفهوم سياسي تاريخي.

أ) الدولة المدينة حسب النصوص السومرية : تمتع سكان بلاد الرافدين منذ الألف الثالثة قبل الميلاد بمظاهر حضارية ، ونظم سياسية متطورة بدليل ظهور المجتمع الكبير الذي اختلفت فيه المصالح ، وتشابكت فيه المنافع وتعددت الحقوق والواجبات ، مما أوجب هذا الوضع ضرورة ظهور القانون لينظم حياة السومريين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ويحدد ما عليهم من حقوق وواجبات ضمن هذا المجتمع الكبير الذي سرعان ما تحول من نمط التنظيم الاجتماعي إلى نمط التنظيم الاجتماعي المدني الذي يقدم ظروفًا لإنعاش الأعمال الفنية وازدهار التقدم التقني .

هذا الازدهار الحضاري والسياسي الذي شهدته الحضارة السومرية طوال مراحلها الثلاث والتي اصطلح المؤرخون المحدثون على تسميتها "عصور فجر السلالات " *early dynastique période* ، وأطلق بعضهم مصطلح "عصر دويلات المدن" *Citys-States*¹.

George Roux ,op-cit, p10, Don Nardo , op-cit, p14.

اختلف الباحثون في تحديد هذه العصور بين [3000ق.م و2800ق.م]، غير أن الرأي الغالب أنها بدأت بحدود 2800ق.م ، أما نهايتها تمثل قيام الدولة الأكادية في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد¹ ، واصطلح عليه أحيانا بـ "عصر ما قبل سرجون" L'époque présargonique"² ، ودامت حوالي 500 سنة من [3000-2370ق.م]³ ، وقسمت هذه العصور إلى ثلاث أدوار رئيسية، اختص كل منها بخصائص ومميزات حضارية معينة:

- دور عصر فجر السلالات الأول (3000-2800ق.م) ويشمل المرحلة الأخيرة من أطوار العهد الشبيه بالكتابي ، الذي ضمّ طور الوركاء وجمدة نصر (كما سبق الحديث عنهما).

- دور عصر فجر السلالات الثاني (2800-2600ق.م) بحيث تكاملت في هذا دور الكتابة المسمارية وظهرت الحياة السياسية على هيئة دول المدن المستقلة.

- دور عصر فجر السلالات الثالث (2600-2370ق.م) أين بلغت هذه الحضارة الوليدة أوج ازدهارها في أور(المقير)⁴.

لكن قبل تفصيل الموضوع أكثر لابد من طرح الإشكالية التالية :

ما المقصود بنظام الدولة المدينة؟ وما هي الأسباب والدوافع التي كانت وراء ظهوره؟ ولماذا انحصر ظهوره لأول مرة في القسم الجنوبي على الشمالي ؟

1-الدولة المدينة "Cités Etats": نظرا لدقة هذا المصطلح وأهميته كنظام سياسي جديد ، لابد من تفصيله

أكثر ، وإزالة الغموض الذي يكتنفه ، مع العلم أن هذا المصطلح يركز على :

***مصطلح الدولة:** يقصد به اكتمال عناصر ثلاثة هي: الإقليم والشعب والحكومة ولذلك يجب أن توجد جماعة من الناس يعيشون على إقليم محدد كما يجب أن ينتظم هؤلاء الناس تحت حكومة معينة، ويحدد الإقليم نطاق السلطة التي تمارسها هذه الحكومة على الشعب.⁵

***مصطلح المدينة:** اشتق من لفظ المدنية بمعنى التحضر "civilisation" المشتق من لفظ "civitas" في اللاتينية بمعنى المدنية ، أو من "civis" بمعنى ساكن المدينة ، أو من "civilis" بمعنى مدني أو ما يتعلق بساكن المدينة، حيث

¹ ثروت عكاشة ، المرجع السابق ، ص 11.

² Pièrre Amiet, les civilisations antiques du proche-orient, 1^{er} edition, press universitaires, paris, 1970, p70.

³ أحمد سوسة ، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1980 ، ص 133.

⁴ فاضل عبد الواحد علي و آخرون ، تاريخ العراق القديم ، ج 2 ، مطبعة بغداد الجامعة ، بغداد ، 1980 ، ص 182.

⁵ عيسى الحسن ، المرجع السابق ، ص 334.

تقوم الحياة المتحضرة عادةً في المدن ، وذلك لما يتوفر فيها من ثروات وخيرات في التجارة والصناعة فضلاً عن الانجازات البشرية من اختراعات وابتكارات وإنتاج فكري ، وهي كلها مؤهلات لقيام المدن¹ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن ملامح التاريخ السياسي للعراق القديم تبدأ بصورة واضحة مع بداية عصر فجر السلالات، حيث شهدت هذه الفترة نشوء بواكير الحياة السياسية وقيام دويلات المدن، التي ظهرت في منطقة السهل الرسوبي للقسم الجنوبي من العراق لأول مرة وذلك بعد توسع القرى الزراعية ، التي نشأت خلال العصر الشبيه بالكتابي وبرزت ملامحها في النمو والازدهار وبظهور أولى السلالات السومرية الحاكمة لهذه الدويلات المستقلة منذ الألف الثالثة ق-م² .

وبفعل تطوّر الكتابة التي أصبحت ملائمة أكثر للتدوين أخذ ملوك تلك السلالات، وأمرائها يصيغون حروبهم وأعمالهم ويسجلونها على ألواح من الطين والحجر ، وبذلك انتقلوا إلى عهد جديد سمّاه المؤرخون بالعصر التاريخي، وسمّيت بدايته في العراق بعصر دويلات المدن أو فجر السلالات³ .

وبهذا ابتدأت المرحلة التاريخية بنمو المدن ورفيها فكونت كل منها حكومة تتمتع بالسيادة و الاستقلال السياسي و الإداري ، لها أنظمتها وتقاليدها وعاداتها وقوانينها وسلالاتها المستقلة ، وقد ترتب عن ذلك أن عاصرت دويلات والأسر الحاكمة له⁴ ، وقد تكونت كل دويلات المدن من مدينة ومجاورها من الأراضي التي قام سكان المدينة بزراعتها وأحياناً ضمت دويلات المدن أكثر من مدينة واحدة⁵ .

كانت المدينة السومرية تتكون من قسمين : الأول هو المدينة الخاصة والتي أطلق عليها في الأكادية (لبي ألي) (Libbi Ali) أو قابلي ألي (Qabali Ali) وهي مصطلحات تدل على القسم القديم للمدينة والتي تحتوي على المعابد و القصر ومكاتب الموظفين التابعين للدولة وعلى بيوت المواطنين ، أما القسم الثاني فهو الضاحية وتقرأ في السومرية (أور-بار-را) (Ur-Bar-ra) بمعنى خارج المدينة أو التي تتجمع فيها البيوت والمزارع و حظائر الماشية⁶ .

¹ أحمد صبحي ، في فلسفة الحضارة "الحضارة الإغريقية" ، ج1، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، ص3.

² عبد القادر الشخيلي ، المرجع السابق ، ص 73.

³ برهان الدين دلو ، المرجع السابق، ص 210.

⁴ عامر سليمان ، المرجع السابق ، ص 81.

⁵ Don Nardo , op-cit, p16.

⁶ محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص95.

وحسب النصوص الملكية أن هذه المدن حكمتها سلالات عديدة في وقت واحد ، ويستطيع أحد حكام الأقوياء السيطرة على دولة مدن أخرى مجاورة له ، فيضمها إلى مناطق نفوذه ، ولكن سرعان ما يتخلى عنها عند ظهور حكام أشد قوة منه ، وبهذا لم يستطع السومريون تأسيس دولة مركزية واحدة تجمع تحت جناحها دويلات المدن السومرية¹ وربما كان السبب في ذلك أيضا لطبيعة هذا القسم الجنوبي من العراق القديم ، فلقد حالت المساحات الشاسعة من المستنقعات سهولة الاتصال فيما بين القرى والمدن في ذلك الوقت².

أكدت الاكتشافات الأثرية أن السومريين كانوا يعيشون في عدة مدن محصنة ، ويكون لكل منها مدينة مستقلة ، على رأسها حاكم أو أمير كان يسمى إيشاكو ، وكانت الحروب مستمرة بين هؤلاء الولاة بسبب مياه الري ، وفي معظم الأحيان تتركز في يد أحدهم ويفرض على باقي المدن نوعا من الحماية ، ومن ثم يلقب بلقب غريب هو "راعي القوم ذوي الرؤوس السوداء"³.

وبالتالي يمكن تحديد المفهوم السياسي للدولة المدينة على أنه نظام سياسي واستراتيجي يحكم أن بلاد سومر كانت مقسمة ومجزئة إلى عدّة أجزاء ، وكان كل جزء منها يؤلف دويلة مستقلة عن غيرها سياسيا وإداريا واقتصاديا ، ولها نظمها ، حاكمها الخاص ، وتقاليدها وعاداتها وقوانينها وسلالتها المستقلة على أن تتركز كل دويلة حول مدينة رئيسية هي العاصمة⁴ ، ويتبعها عددا من المدن الصغيرة والقرى وما تضمنه من أراضي زراعية ، بحكم اعتمادها بالدرجة الأولى على مصدر الماء ، من خلال شبكة من الجداول والقنوات الاصطناعية⁵.

ومما تجدر الإشارة إليه أن نظام الدولة المدينة في العراق أقدم نظام دويلات معروف في العالم ، وهو يضاهي نظام الدويلات المدن اليونانية ، وأنه يرجع بجذوره إلى عصور ما قبل التاريخ ثم تطور في العهد الشببي بالكتابي ، ووصل إلى درجة النضج في عصور فجر السلالات⁶ ، حيث ظهرت أولى المدن السومرية لأول مرة في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين خلال حقبة الوركاء (4300-3100 ق.م)⁷ ، وحكمت فيها سلالات عديدة في وقت واحد ، ويستطيع

¹ سيف الدين الكاتب ، أطلس تاريخ الحضارات " أطلس التاريخ القديم " ، ط3 ، دار المشرق العربي ، الجزائر ، 2009 ، ص 24.

² محمد عبد اللطيف علي ، المرجع السابق ، ص 176.

³ حسن الباشا ، الفنون القديمة في بلاد الرافدين ، ط1 ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، مصر ، 2000 ، ص 19.

⁴ Barbara A.Somervill , op-cit , p22.

⁵ عامر سليمان وأحمد مالك الفتیان ، المرجع السابق ، ص 81.

⁶ محمود شاكر ، موسوعة الحضارات وتاريخ الأمم القديمة و الحديثة ، ج1 ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن 2002 ، ص 31.

⁷ John Haywood, C .A . Pro . Or .M , trad par : didier pmerle larousse,paris, 2000, p24 .

أحد الحكام الأقوياء السيطرة على دول مدن أخرى مجاورة له ، فيضمها إلى مناطق نفوذه ولكن سرعان ما يتخلى عنها عند ظهور حاكم أشد منه بأسا وقوة، وبهذه السياسة لم يستطع السومريون تأسيس دولة مركزية واحدة تجمع تحت جناحيها دويلات المدن السومرية، ولعل أشهر الحكام السومريين هم : لوكال بندا وجلجامش من مدينة الوركاء، وميزانبادا من أور وميسليم من كيش وأياناتوم من لجش... الخ¹.

وبالعلاقة مع عقيدة القوم الدينية، فإن ما يحدث في السماء يقع نظيره في الأرض خاصة بعدما قررت الآلهة منح البشر النظام الملكي الذي يحكم مجتمعها في السماء، باختيار من ينوب عنها أو يمثلها، وينفذ أوامرها، وبعد هذا تمنحه شارات الملكية القابعة في السماء²، ومع ازدياد قوة السلطة المركزية للملوك وقوة الملكية، ظهر اتجاه آخر يرمي إلى إحلال أسماء الملوك مكان اسم الإله في تسمية الأماكن والمدن والأحياء، فأطلق أحد حكام أسرة أور الثالثة وهو "كوريجالزو" اسمه على مدينة جديدة "دور كوريجالزو" أي مدينة كوريجالزو³.

وعلى هذا الأساس يعتبر تأسيس المدينة السومرية عملا دينيا "ثيوقراطيا" ، لا يمكن القيام به إلا بناء على أوامر الآلهة العظام، لأن المدينة قبل كل شيء مركز العبادة، ولهذا نجد بعض أسماء المدن وأسماء الآلهة حملت مدلولاً واحداً مثل: نيبور(نفر) التي كانت مركز الإله "إنليل" *Enlil سيّد سومر كلها⁴، وبروز سيادتها في بعض المدن، إضافة إلى مدينة لجش التي كان إلهها "اينورتا" ** يسمى دائما "نينجرسو" أي "سيد جرسو"، وهو يحمل اسم الحي الذي يقع فيه معبده⁵.

والجدير بالذكر أن أراضي الدولة المدينة وأملاكها خاضعة لإشراف دور العبادة، فضلا عن إدارتها و تسييرها من معبد المدينة⁶، حيث لعبت السلطة الدينية(المعبد) دورا واسعا في المدن السومرية الأولى مثل: أريدو، أوروك، أور، لجش، وأوما.. الخ، بسبب الدور الذي لعبه الكهنة كوسطاء بين الآلهة والسكان، حيث ينقلون أخبارهم إليها، وفي

¹ سيف الدين الكاتب، المرجع السابق، ص24.

² عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص103.

³ أحمد أمين سليم، ج2، المرجع السابق، ص185.

* إنليل : اله العاصفة والجو ، ويسمى أحيانا ملك الآلهة وسيد الرياح ، ولقب بجبل الريح وسيد الأرض ، ومركز عبادته مدينة نيبور (نفر) أين يتواجد معبده (الاي كور) ومعناه بيت الجبل ،...، أنظر: سامي سعيد الأحمد، المعتقدات الدينية في العراق القديم "سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة" ، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1988، ص 21.

⁴ ل . ديلاپورت ، بلاد ما بين النهرين (الحضارتان البابلية والأشورية)،ترجمة محرم كمال ،مراجعة د.عبد المنعم أبو بكر ، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1977، ص71.

**اينورتا (نينورتا) : ابن الإله انليل ، يسمى بعاصفة انليل ، وكان رب إحصاب يسيطر على الزرع والفيضانات ...، أنظر: سامي سعيد الأحمد ، المرجع السابق ، ص 94.

⁵ Jane .R.Maintosh , op-cit , p74.

⁶ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص161.

نفس الوقت مركزا للشعائر الدينية، ومقر الإدارات (القرارات) ، الحكومة والقضاء، وأيضا مركزا اقتصاديا للمقاطعات المتطورة، وبالتالي يسيطر على جميع أنظمة الدويلات المدن السياسية والدينية، ولهذا أطلق على هذه الفترة السياسية الاقتصادية مصطلح "اشتراكية الدولة الدينية"، التي جمعت بين السلطة السياسية، الدينية، الاقتصادية¹.

و حسب معتقداتهم الدينية فإن ما يحدث في السماء يقع في الأرض، ولذلك خلقت الآلهة البشر لخدمتها وطاعتها، وأن المدينة بما فيها من أراضي وموارد ومحاصيل زراعية هي ملك الإله الحامي² على أن يقوم كهنة المعبد بتنظيم كل ما يتعلق بأمور المدينة إلى جانب وجود الإنسان الذي لم يخلق إلا لخدمتها³، حيث ورد في أسطورة سومرية قديمة أن الإله إنليل قام بشق قشرة الأرض بفأس حتى ينبثق الناس منها كالنبات، ثم تحيط الآلهة ويرجونه أن يخصص لهم خدما من السومريين الذين يطلعون من الأرض، وأن الإنسان إنما وجد ليحقق الغرض من وجوده بخدمة الآلهة ولإرضاء أهوائها⁴.

و على هذا الأساس كان لكل مدينة إله يسهر على أمنها، ويوحي إلى ملكها بطريقة الحكم بعد هبوط الملكية من السماء⁵، بحكم خضوعها للسيطرة الإلهية لدرجة أن المعاهدات القديمة التي كانت تبرم بينها تكتب دائما كما لو كانت بين آلهتها، حيث كانت أسماء حكام البشر لا تذكر في الغالب⁶ وأطلق عليهم لقب "نواب الآلهة"⁷. وصفوة القول أن السومريين استطاعوا إنشاء نظام سياسي خاص بهم منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، ذو طابع ديني خالص، والانتقال من العشيرة إلى القرية الفلاحية ثم المدينة المعتمدة على الاقتصاد الزراعي وجهاز الري والتجارة، ممهدة بذلك لظهور أنظمة سياسية واجتماعية فريدة من نوعها منذ أبعد العصور التاريخية، معتمدة في ذلك على عدّة عوامل متباينة ساعدتها على تحقيق التقدم الحضاري والسياسي، والإنفراد بالزعامة السياسية، وهي أمور كلها سوف نتطرق إليها في العناصر القادمة.

ب) الدولة المدينة حسب النصوص الإغريقية : تبلور مفهوم لفظة دولة المدينة عند الإغريق بكل أبعاده السياسية في العصر الكلاسيكي فيما بين القرنين الثامن قبل الميلاد والرابع قبل الميلاد ، حيث تجسد هذا المصطلح تحت اسم البولس " polis "⁸ ، وهي كلمة من الصعب ترجمتها بدقة وقد تعني المدينة الحرة أو دويلة المدينة أو

Harmut Schmokel, op-cit, p13.

¹ سمير الطائي، المرجع السابق، ص40.

² فراس السواح، مغامرة العقل الأول "دراسة في الأسطورة -سورية وبلاد الرافدين - ، ط11، دار علاء الدين ،دمشق، 1996، ص44.

³ هنري فرانكفورت، المرجع السابق، ص72.

⁴ سامي ريجانا، المرجع السابق، ص70.

⁵ رالف لنتون، شجرة الحضارة، تقدم محمد سويدي، ج2، موفم للنشر، الجزائر، 1990، ص281.

⁶ حسن حلاق، ملامح من تاريخ الحضارات السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري والديني،الدار الجامعية ،بيروت، 1991، ص43.

Jean Kinney Williams , op-cit , p27 .

المدينة الدولة¹، وعلى الرغم من ذلك فقد استقر العرف على ترجمتها باسم المدينة الدولة "city-state" أو "cities –etats"، وذلك على أساس أن البولس كانت دائما صغيرة المساحة وقليلة السكان². وبذلك فإن مصطلح المدينة "polis" أطلق على مجموعة بشرية مستقلة لها مؤسساتها الخاصة أو بمعنى آخر كل منطقة جغرافية تؤلف كيانا سياسيا مستقلا قائما بذاته له مقومات الدولة الشكلية على الأقل، ويتمحور عادة حول مدينة واحدة و تحيط بها رقعة من الأرض تصغر أو تكبر حسب الظروف، تنتشر فيها مجموعات من القرى الصغيرة من بينها على الغالب ميناء بحري، لها قوانينها و أعرافها الخاصة وقوتها العسكرية وعملتها الاقتصادية المتعامل بها بين الناس³.

وعند البحث عن معنى دولة المدينة في المصادر الكلاسيكية يتضح أن هذه الكلمة ترددت في إيذاة هوميروس بحيث تعني المدينة الحرة وتارة أخرى تعني دولة المدينة أي بنفس المعنى، غير أن هذه الكلمة لا تعني عند هوميروس في ذلك الوقت مفهوم المدينة كلها ولكنها كانت تطلق على ذلك الجزء المرتفع من المدينة فقط عندما كانت توجد القلعة الحربية الضخمة ذات الأبراج الحصينة والبوابات العملاقة، ويوجد بهذا الجزء أيضا معبد اله المدينة وقصر الملك⁴، حيث يذكر جورج كيتو في هذا الصدد أن هذا النظام صور ملوكا بقوله: "أخيل، أجاممنون...ملك الناس وهو أشبه بأمر من أمراء الإقطاع...،وهو يستشير الملوك أو الرؤساء الآخرين في الأمور التي تتعلق بالصالح العام، فهناك مجلس يعقدونه بانتظام...، وهذا المجلس يمكن التعرف على أنه من الخصائص الأوروبية لا الشرقية"⁵. كما اعتبر الباحث جوستاف جلوتز أن مصطلح (polis) يطلق أولا على الأكروبول (المدينة المرتفعة) أي القرية المحصنة بالمعارضة مع القرية المفتوحة (komi) قبل أن تدل على المدينة كلها، بينما تسمى المدينة المنخفضة أستيه (Asty)، هذه الأخيرة التي تعني المكان المعمور الذي تقود إليه الطرق والذي يستأجر منه السطح فحسب بينما البولس فهي المكان المرتفع (الأكروبوليس) الذي يتصف بأنه حصين البناء، محاط بالأبراج، مزود بالأبواب المرتفعة ولما كان يضم معبد آلهة وقصر الملك فإنه وحده الذي يوصف بالقداسة والغنى والفخامة⁶.

1 Charles Gates , op-cit , p 208.

2 رجب سلامة عمران ، المرجع السابق ، ص 62.

3 Matthew Dillon and Lynda Garland , ancient Greece social and historical documents from archaic times to the death of Alexandre the great , 3 édit, Routledge taylor et Francis group , London , 2010 , p1.

4 غريمال بيار وآخرون ، موسوعة تاريخ أوروبا من العصور القديمة وحتى القرن 14م، ج1، تر: أنطوان هاشم ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1955، ص 121.

5 جورج كيتو ، المرجع السابق ، ص 394.

6 جوستاف جلوتز ، المدينة الإغريقية ، تر: محمد مدور ، تقديم طارق مندور ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2011 ، ص ص 16 ، 39.

بينما كتابات أرسطو تشير إلى أن مفهوم الدولة المدينة ما هو أكثر من مفهوم سياسي بقوله : " الإنسان حيوان سياسي بطبعه " ¹ ، ويمكن ترجمتها ب " الرجل هو مخلوق يعيش في دولة -مدينة" ، بمعنى أن الإنسان لم يكن يحب العراك في ساحة السياسة ، وبما أن الإنسان مخلوق يميل بطبعه إلى الحياة في مدينة الدولة (polis) ، فكلمة بولس في اليونانية تعني كل المجتمع والحضارة في الدولة الإغريقية ² .

وبذلك فإن المصطلح يعني في الأصل القلعة حيث كان مركز المدينة ، بيد أنها صارت تطلق على الدولة بأسرها وتطلق على الشعب وعلى ثقافة الدولة ، وغالبا ما كانت المدينة الدولة تأخذ اسمها من مواطنيها ، ففي اللغة اليونانية كانت الكلمة الدالة على مدينة أثينا هي "الأثينيين" ، وقد أشار ثوكيديدس في هذا الصدد بقوله : "إن المواطنين هم المدينة" في خطبته الجنائزية لرتاء الذين حصدهم الموت في العام الأول من الحرب البولوبونيز ، وفي قول آخر يقول : " إن الرجل الذي هو المدينة ، ليس الأسوار و السفن بدون رجال داخلها" ، كما طرح بركليس رأيا نموذجيا عن أثينا بقوله : " إننا نفتح مدينتنا أمام كل العالم " ، وهو ما يستدعي بضرورة القول أن المدينة الدولة لا تدل على التنظيم السياسي فحسب وإنما تدل على المدينة بشتى جوانبها من خلال بناياتها العسكرية ، مجتمعتها وأسلوب حياتها ، ومما أكده أيضا ذكر بركليس في كلمة واحدة : "إن مدينتنا بكيانها الكلي هي مدرسة الإغريق" ³ .

وتشير الدراسات التاريخية أن الدويلات المدن برزت لأول مرة على الساحل الإغريقي والتنظيم الاجتماعي للمدينة قائم أساسا على المواطنين وتطورها السياسي و الاجتماعي غير معروف خلال الفترة العتيقة وتدرجيا حلت الأنظمة أوليغاركية محل الأنظمة الملكية وذلك بين القرن 8 و7 ق.م ، من خلال انتقال السلطة إلى قادة الأسر الكبيرة النبيلة المالكة للأراضي الذين انتخبوا من بينهم حكاما سواء كانوا أراخنة بأثينا أم ايفورز باسبرطة * ، وخلال القرن 7 و6 ق.م واجهت الأرستقراطية اضطرابات خطيرة أسبابها اقتصادية واجتماعية .

وقد ساعد هذا النظام السياسي والاجتماعي على تكريس العزلة بين هذه الدويلات الواقعة بين السهول وسط الجبال ، حيث أدت إلى إيجاد تجانس ملموس بين سكان كل إقليم بحيث أصبح كل إقليم متميز و مختلف عن ما سواه ، فمدينة أثينا على سبيل المثال لها خصائص تجعلها مختلفة عن مدينة اسبرطة ، ومدينة كورنثة ذات خصائص تجعلها متميزة عن مدينة طيبة وهكذا.

¹ أرسطو ، السياسيات ، تر: الأب اوغسطينس بربارة البوليسي ، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية ، بيروت ، 1957 ، ص ص 48 ، 53

² Matthew Dillon and Lynda Garland, op-cit , p p 1, 226.

³ روبرت . ج . ليتمان ، التجربة الإغريقية (حركة الاستعمار والصراع الاجتماعي) 800ق.م / 400ق.م ، ص 21.

* سوف يتم الإشارة إليهما في الفصل الثالث من الباب الثالث.

وقد قامت حضارة المدينة الدولة على ركائز معينة تبنى فوقها العلاقات الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية وأهمها : الحرية ، الاستقلال الذاتي ، الاكتفاء الاقتصادي ... الخ ، وبالرغم أن هذا النظام يؤدي إلى الازدهار السريع وإلى زيادة نبض الحياة والسرعة في التطور ، فقد كانت في الوقت نفسه تعجل بعمر الحضارة القائمة بين جدرانها لتصل إلى شيخوخة سريعة حيث تحمل في الوقت نفسه بذور فنائها ذلك لأن أي توسع في حدودها كان أمرا مقضيا عليه بالفشل بسبب اصطدامه بالجبال التي تمثل عائقا طبيعيا لا سبيل لإزالته ولا تجاوزه إلا ببذل الجهود، أو يجابه البحر الذي كان بمثابة مانع مائي لا سبيل إلى اجتيازه إلا بشق الأنفس ، ومع ذلك فقد كان الإغريقيون القدامى لا يعرفون المستحيل فشرعوا في اجتياز هذه الموانع¹

وقد اتخذت المدن في البداية طابع القرى لوجود عدة عوامل منها :

1- خصوبة الأرض وانخفاضها كانت عاملا في قيام الزراعة فوقها مما جعل هذه القرى تؤلف مجتمعات منفصلة عن بعضها لا تخضع لأي نظام مشترك للسيطرة ، فهي لم تكن قد امتزجت بعد لتؤلف شعبا ذا حضارة متجانسة ، وذلك ما دلت عليه مخلفات الحضارة المينوية في كنوسوس ، وقد وجدت أنقاض إحدى هذه القرى التي ترجع إلى العصر الحجري الحديث².

بينما المؤرخ توينبي فاعتبر مصطلح الدولة المدينة نادرا ما ترجمت إلى المدينة لأن تلك الكلمة إنما توحى إلى عقولنا بضخامة تجمع مدني على نطاق غير معروف للعالم الهيليني فيما عدا بقاع قليلة خلال فترة قصيرة نسبيا من تاريخه ، بينما لا توحى بالتأكيد بمعنى ذات سيادة³ ، وقد بلغ عددها حوالي 60 مدينة إلى 90 مدينة دولة ، كما تصورها أفلاطون لا يزيد عدد سكانها عن 5000 نسمة أو على حد تعبير أرسطو أن يستطيع الخطيب أو المنادي أن يسمع جميع سكانها وثلاث مدن فقط كان يزيد عدد سكانها عن 2000 وهي سيراكوزا و أكراجاس، ونظرا لصغر هذه الكيانات السياسية ساعد مواطنيها على التعارف والاحتكاك فيما بينهم وارتباط حياة الفرد بمدينته ارتباطا كلياً بحيث يمكن أن تعد دولة المدينة ممثلة لأوجه الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية بجميع مواطني دولة المدينة ، بل إنها كانت تمثل للمواطن الإغريقي حياته الدينية ، إذ كان لكل مدينة إلهها الخاص بالإضافة إلى الآلهة التي يشترك مع المدن الأخرى في الإيمان كآلهة أولمب ، وبالتالي فإن دولة المدينة جعلت الحياة ممكنة وأنها الكيان الوحيد الذي يستطيع المواطن خلاله أن يعبر عن جميع طاقاته الروحية والخلقية والفكرية والاقتصادية والسياسية⁴.

¹ محمد حمدي إبراهيم ، الخصائص المميزة لحضارة الإغريق ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ص 2.

² غريمال بيار وآخرون ، المرجع السابق ، ص 121.

³ أرنولد توينبي ، تاريخ الحضارة الهيلينية ، تر: رمزي جرجس ، مراجعة صقر خفاجة ، مكتبة الأسرة للتعليم ، الأردن ، 2003 ، ص 35.

⁴ أحمد محمود صبحي ، المرجع السابق ، ص 42.

وقد جمعت المدينة بين المباني العامة والمسكن وتشمل الفئة الأولى :

-الفئة الأولى : وتشمل المباني العامة مثل : المعابد ، الأسواق ، بيوت المال ، المسارح ... الخ.

-الفئة الثانية : وتشمل قصور الحكام ، دور الأهالي والحوانيت بالإضافة إلى بعض القرى التابعة إدارياً للمدينة التي يعتمد عليها بشكل رئيسي وهو ما يعرف بالمقوم المادي للمدينة بسبب تواجد بها قلعة المدينة وفي ظلها تمتد الساحة العامة وتحيط بها منطقة سهلية حيث يعيش القرويون الذين يزودون مجموع السكان بالغذاء ، بالإضافة إلى وجود مرفأ أو ميناء بحري (تجاري) مجهز بملاحي المراكب ودور الصناعة البحرية حيث تتجاوز الأرصفة وتفرغ المراكب الآتية من كافة المرفأ المتوسطة البضائع المختلفة على الأسقف والمستودعات¹.

أما عن المفهوم الاجتماعي فينظر إليها على أنها المكان الطبيعي للاجتماع البشري وحددها أرسطو بأنها : "شركة بين العائلة والعشائر من أجل أن يعيشوا عيشة راضية ، كما أن هدفها تحقيق حياة مستقلة كاملة " ، وقد بقيت المدينة الدولة قائمة على أساس كونها تنظيمًا معقدًا يقوم على أساس صلة القرى والتنظيم القبلي² ، حيث يقول جورج كيتو في هذا الشأن مايلي : "لقد كان البولس مجتمعًا حيا مؤسسًا على صلة الرحم الحقيقية أو المفروضة بمعنى أنه كان عائلة كبيرة يتحول فيها أكبر قدر ممكن من الحياة إلى حياة عائلية ، وفيه بالطبع منازعاته العائلية التي كانت مرارا أشد"³.

ويتضح ذلك من خلال قوة الإحساس بفكرة الانتماء إلى الأصل الإغريقي الواحد الذي تنميه المدينة نفسها ، من حيث إلزامها لمواطنيها منذ نشأتهم بنوع معين من الارتباطات في العلاقات السياسية والاجتماعية وحتى مشاركتهم في شؤون السياسة والحكم ، وهذا الالتزام يبين الحياة وطريقتها من أجل التقدم الذي هو نتاج التربية الفكرية والفنية داخل الدولة المدينة⁴.

وبالتالي فإن القبائل مثلت الوحدة الأساسية على المستوى الإداري والعسكري للدولة وبتطور المدينة الدولة ضعفت الرابطة التي كانت تربط قبيلة ما في إحدى المدن بأبناء نفس القبيلة في مدينة أخرى ، ولم تعد للرابطة القبلية أهمية سوى داخل المدينة نفسها ، ولكن غيرت بالتدريج وعبر أزمنة مختلفة أسس عضوية القبائل وراثية مثلما كان الحال في أثينا .

¹ أندري إيمار ، جانيه ابوايه ، تاريخ الحضارات العام "الشرق واليونان القديمة" ، ترجمة فريد .م. داغر ، فؤاد أبو ربحان ، إشراف مويريس كروزيه ، مج 1 ، عويدات للنشر و التوزيع ، بيروت ، 2003 ، ص 355.

² أرسطو ، السياسيات ، المصدر السابق ، ص ص 34 ، 37.

³ أحمد داوود ، تاريخ سوريا الحضاري القديم 2 ، ط 1 ، دار الشرق للطباعة والنشر ، دمشق ، 2004 ، ص 398.

⁴ سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 98.

ولهذا كان كل من أفلاطون وأرسطو يعتبران المدينة الدولة نموذجاً للوجود الإنساني لأنه في مثل هذا التنظيم الاجتماعي يمكن للناس أن يحيوا حياة طيبة، كما اعتبرا أن الحجم الصغير للمدينة الدولة وينبغي أن تتمتع بالاكتفاء الذاتي.

ومما تجدر الإشارة إليه فإن المدينة الدولة لها نظاماً سياسياً خلقه مجتمع زراعي مستقر ، ومع زيادة السكان والتقدم الاقتصادي بدأ حجم ونوع التأثير للمدينة الدولة يتصاعد ، كما تزايد اتصال المدينة الدولة بغيرها بيد أنها لم تستطع أن تغلب على خصوصيتها وسرعان ما صارت وحدة صغيرة بحيث لا تقدر على تبعات الدفاع عن النفس حيث أظهر نظام الدولة المدينة صورة بلاد الإغريق بشكل عشرات بل مئات من المدن الصغيرة والمستقلة المنتشرة في مختلف أنحاء الجزيرة والجزر التابعة لها ، وتكون محصورة في رقعة صغيرة ، فكانت كل مدينة منظمة عندهم تؤلف مملكة قائمة بذاتها لها شرائعها وجيشها وأهتها الخاصة، والتي كان على ملكها المحافظة على عبادة الآلهة¹ ، فضلاً على أن لكل واحدة منها تقويمها وسياستها النقدية الخاصة بها، لهجتها الخاصة ، الأسماء ، المهرجانات، بينما تشترك في العديد من المظاهر الثقافية مثل: اللغة ، المعتقدات الدينية وطريقة الكتابة (الأبجدية)² .

وبذلك فإن دولة المدينة قد جعلت الحياة ممكنة بمعنى أن الكيان الوحيد الذي يستطيع المواطن خلاله أن يعبر عن جميع طاقاته الروحية والخلقية والفكرية والاقتصادية والسياسية ، ولكنها انتهت كوحدة عسكرية وسياسية عندما قام فيليب المقدوني بغزو بلاد الإغريق سنة 338 ق.م ، ومنذ ذلك الحين ذبلت الحيوية الخلاقة التي ميزت الثقافة الإغريقية في القرن الخامس قبل الميلاد ، فتحول الشعراء والفلاسفة من نهج ممارسة السياسة إلى نهج الحياة التأملية والنظرية ولم تعد المدينة الدولة ذات الحيوية السياسية ذاتها³ .

ب) مكونات الدولة المدنية :

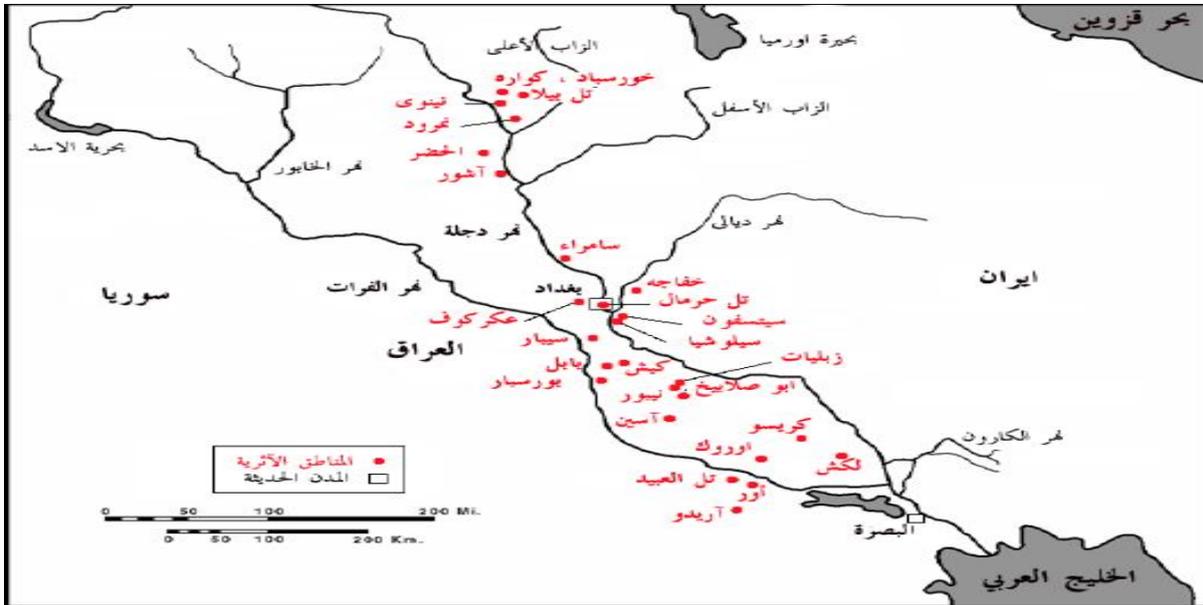
1- حسب المدينة السومرية : تراوح عدد دويلات المدن السومرية في حدود خمس عشر مدينة مستقلة ومنها : أريدو (Eridu) (أبو شهرين جنوب غرب الناصرية) ، أور (Ur) (المقير جنوب غرب الناصرية) ، لارسا (Larak) (سنكره - شمال غرب الناصرية) ، أوروك (Warka/Uruk) (الوركاء - شمال غرب لارسا) ، لاجش (lagas) (تلو - جنوب غرب قلعة سكر) ، أوما (Umma) (جوخا - جنوب غرب قلعة سكر) ، شروباك (Shuruppak) (فاره - شمال الوركاء) ، ايسن (Issne) (ايشان بحريات - جنوب شرق الديوانية) ، آداب (Addab) (بسمانية - شمال غرب

¹ جيمس برستيد هنري ، المرجع السابق ، ص 283.

² .Matthew Dillon and Lynda Garland, op-cit , p 226.

³ روبرت . ج . ليتمان ، المرجع السابق ، ص 38.

أوما) ، نيبور (Nippur) (نفر-شمال غرب آداب-شرقاً الديوانية) ، أكشاك (Akshak) بادتيبرا (Bad tibira) ، كيش (Kish) (تل الأحمير) ،¹ جرسو (Girsu) ، نينا (Nina) ، لكن بعض أسماء المدن السومرية القديمة ذكرت فيما بعد من طرف الأثريين المختصين مثل: عبيد (Ubaid) ، أبوسالابيش (Abu-Salabish)² . كانت المدينة السومرية عبارة عن إمارات متاخمة بمساحات وتعداد سكاني محدودين³ ، حيث بلغت نسبة السكان في أولى المدن السومرية ما بين 5000 و8000 ساكن، فمدينة الوركاء مثلاً: بلغ عدد السكان فيها 10000 نسمة، ثم ارتفع في سنة 2700 ق.م إلى 50000 نسمة⁴ ، في حين بلغ سكان مدينة لجش في أوج ازدهارها أكثر من 40000 نسمة⁵ ، بينما جورج روو فيشير إلى أن عددهم تراوح ما بين 30000 و35000 نسمة⁶ .



7

خريطة رقم 24: توضح أهم المدن السومرية المشيدة في بلاد الرافدين - بتصرف من الطالبة-

Daniel Arnaud ,op-cit ,p8, Barbara A.Somervill, op-cit , p22.

Géorge Roux, op-cit, p131.

³ عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص51.

John Haywood,op-cit ,p24.

⁵ عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص51.

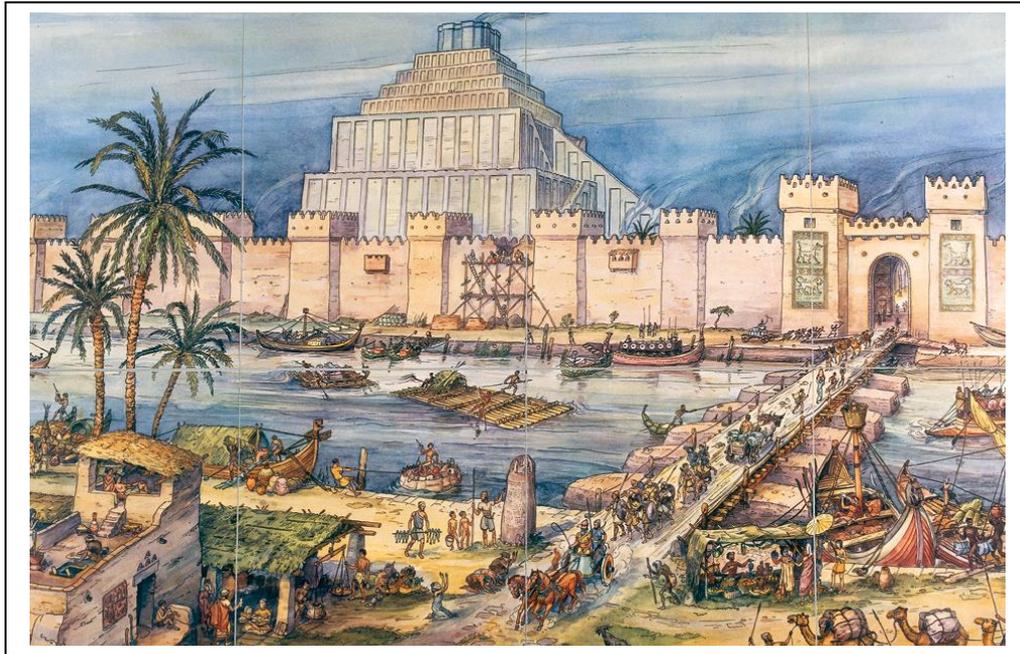
Géorge Roux ,op-cit ,p130.

⁷ هشام الصفدي ، مصورات الشرق القديم (سورية وفلسطين ، وادي النيل ، بلاد الإغريق ، بلاد الرافدين) ، دار الفكر ، دمشق ، ص1، محمد عبد اللطيف محمد علي ، المرجع السابق ، ص 174 ،

Edmonde Solberger , Jean Robert Kupper , inscription royales sumériennes et akkadiens , édition du cerf , Paris , 1971, p 21.

وعلى العموم تشكلت المدن السومرية في الغالب من ثلاثة أقسام رئيسية :

- 1-مركز المدينة "قلب المدينة": " Quabalti Ali" بالأكاادية ،ويحيط به سور ،ويتضمن القسم الرئيسي منها ،وفيه المعابد والقصر الملكي ،وبيوت السكن الحضرية ، وتعتبر بوابتها هي بداية الأجزاء الأخرى للمدينة .
- 2-ضواحي المدينة :وتدعى البرانية بالسومرية "Ura Barra" أي خارج المدينة ،وفيه معابد الأعياد الدينية "بيت أكيتو" "Bit Akitu" لإقامة احتفالات رأس السنة ،وكذلك مساكن المزارعين وحظائر الماشية ، ويساتين المدينة وعلى هذا القسم تعتمد المدينة في تغذيتها.
- 3-الميناء ومستودع البضائع: "Kar" بالسومرية ،وهو المركز التجاري للمدينة لاسيما التجارة الخارجية ،ويتمتع ببعض الاستقلال الإداري والقانوني¹ ، ويتواجد فيه التجار الأجانب ، حيث عشر في مدينة أور على ميناؤها الواقع في شمال شرقي الزاقورة بنحو 3 كيلومتر ، بينما هناك مدن أخرى أقامها الملوك لأغراض سياسية أو عسكرية كالسيطرة على طرق القوافل التجارية أو لحماية مواقع مهمة² .



3

الملحق رقم 25 : نموذج لمدينة سومرية قديمة ، تحيط بها جدران دفاعية عالية
وبداخلها (القصر ، الزاقورة ، المراكز التجارية ... الخ)

¹ سامي ريحانا، المرجع السابق، ص 68-69، محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 95.

² علي شحيلات ، عبد العزيز الياس الحمداي ، المرجع السابق ، ص 87.

3

تميزت المدن السومرية* منذ نشأتها بحدودها وأسوارها وأسرتها الحاكمة، وإلهها الحامي (الوطني)، ونظمها وقوانينها، وعرف هذا العصر بعصر القضاة، حيث كان الأمر والنهي الذي يحدث داخل المدينة أو التجمع السكاني البسيط يجل من قبل شخص واحد مختار أكثر كفاءة وأكبر سنًا من بقية الناس في المدينة¹، أما اختيار مواقعها فيكون دائماً على مجرى الأنهار، وبتغيير مجرى النهر أو ابتعاده عن المدن تهجر تلك المدن مثل مدينتي أور وأريبدو، وعلى هذا الأساس سوف نحاول تسليط الضوء على أهم ركائز المدينة السومرية في عصر فجر السلالات وهما :

1- القصر: ارتبط ظهور القصر بظاهرة التمدن التي بدأت في عصر فجر السلالات، ففي هذه المرحلة نشأت المدن الأولى وتكرزت حولها المعابد، وكان لهذه المعابد أهمية كبرى، فقد كانت مركزاً للمستوطنات التي تجمع فيها الناس ويدير شؤونهم، وقد استمر ذلك إلى غاية عصر فجر السلالات أين انفصلت السلطة السياسية عن الدينية وبذلك ظهر القصر، وفقد المعبد دوره السياسي وأصبح القصر مقراً للحكم يسكنه الملك ويدير شؤون دولته²، لم تكن القصور مستقلة عن الأبنية الأخرى في المدينة، وتظهر هذه الميزة بشكل واضح في القصور الرافدية التي بنيت في عهد سلالة أور الثالثة أين انتقلت الخبرات الهندسية إلى ملوك هذه السلالة من بينها نجد القصر الملكي الذي ذكر في الكتابات المسماة بالصيغة (E-har-sar) والذي يعني (بيت الجبل)، وتذكر أغلب المصادر على أنه قصر الملك أور نمو إلا أن بعض الدلائل المادية التي عثر عليها في التنقيبات تؤكد إلى أنه يعود إلى الملك شولجي وهذا ما أشارت إليه طبقات الأجر في تخطيط إحدى ساحات المبنى إلى اسم شولجي³، وقد بلغت مساحة هذا القصر (59×59) متر، وظهرت فيه ثلاث مجاميع من الغرف ترتبط ببعضها البعض⁴، الأولى تكون حول الفناء الرئيسي في الجزء الشمالي الشرقي من المبنى، أما المجموعة الثانية فالغرف تتجمع في الجنوب الشرقي، أما المجموعة الثالثة ففي الجنوب الغربي وتتجمع حول فناءين متصلين، كما توجد قاعدة للعرض بطول 24 متر و عرض 4 متر وتكون محاذية للمساحة الرئيسية و مرتبطة بمجموعة من الغرف، وتكون هذه الظاهرة جديدة في عمارة القصر

* من أهم معالم المدينة السومرية القديمة هي المساكن والمنازل الموزعة على جوانب شوارع رئيسية تمتد من أبواب المدينة حتى حرم المعبد، أو على جوانب شوارع أخرى ضيقة وملتوية غير مهددة في معظمها، وهذه المساكن مشيدة من الطوب اللبن ومؤلفة من طابق واحد، ونوافذها قليلة وأحجامها صغيرة....، أنظر: علاء عبد المحسن شاهين، المرجع السابق، ص 88.

¹ سمير الطائي، العنف السياسي في بلاد الرافدين "دراسة في جنوره التاريخية"، دار الدجلة، عمان، 2009، ص 40.

² حسان عبد الحق، العمارة الملكية في بلاد الرافدين و سورية في المدة الممتدة من نهاية الألف الثالث ق م حتى أواخر الألف الثاني ق م، مجلة دمشق، مج 30، ع 3 و 4، سوريا، 2014، ص 581.

³ نواله أحمد محمود المتولي، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية في أور الثالثة في ضوء الوثائق المسماة المنشورة والغير المنشورة، أطروحة دكتوراه، غير منشورة جامعة بغداد، 1994، ص 32.

⁴ طه باقر، معابد العراق القديم، مجلة سومر، مج 3، ج 2+1، مديرية الآثار العامة، بغداد، 1947، ص 31-32.

الملكي¹، فضلا عن ذلك فقد سورت المدن القديمة بجدران دفاعية* ضد الاعتداءات الأجنبية، أو أنها صممت لصد الفيضانات مثل مدينة سيبار، هذه الأخيرة التي أحيطت بجدران من اللبن الضخمة لغرض حمايتها من مياه فيضان نهر الفرات أو حمايتها من السيول الجارفة².

2- المعابد والزقورات : إن المعابد لم تكن معروفة في بلاد الرافدين في معظم عصور ما قبل التاريخ، لان الناس كانوا يعبدون آلهتهم في أماكن مختلفة مثل قمم الجبال، أمام ينابيع المياه، ضفاف الأنهار... إلخ، إلا انه بمرور الوقت ظهرت الحاجة إلى إقامة مكان يوضع فيه تمثال الإله، ويجتمع المتعبدون في مكان واحد، ومن هنا جاءت فكرة تشييد الأماكن المقدسة³، حيث احتل المعبد مكانة هامة ومميزة في حياة السومريين، إذ كان يمثل موضعا مقدسا لوجود الآلهة فيه و مركز عبادتهم الأمر الذي جعل السكان يقدسون هذا الموقع ويعطونه كل ما يملكون من أجل رضا الآلهة.

بدأ ظهور المعابد في وادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ و بوجه خاص في عصور ما قبل السلالات حيث عشر على أول تجمع معروف للأبنية الدينية يعود إلى أواسط الألف الرابع قبل الميلاد، في نهاية الفترة العبيدية في طبقة 13 من منطقة تبي جورا**، ويلاحظ في هذه المنطقة وجود ثلاث معابد حول فناء كبير مع أبنية صغيرة في الشمال الغربي مشكلة نوعا من القلاع، وهو ما يدل على الاهتمام الكبير بتوازن وتمثال أشكال المباني الفردية وواجهاتها، وفي نفس الوقت نقص العناية بوصف المعابد أو إيضاح علاقة الواحد منها بالآخر⁴، ويمكن أن نقسم المعبد بوجه عام إلى قسمين منفصلين، يطلق على إحداهما المعبد العالي الذي تمثله الزقورة و الثاني المعبد المؤسس على الأرض المسبوق للزقورة، أي المعبد الأرضي⁵.

¹ سعيد المؤيد، العمارة من عصر فجر السلالات حتى نهاية العصر البابلي الحديث، حضارة العراق، ج3، بغداد، 1985، ص129.
* يبلغ طول السور المحيط على مدينة أوروك(الوركاء) تسع كيلومترات ويعلوه 900 برج وسيكنها 100 ألف نسمة تقريبا...، أنظر: عبد القادر وساط، موسوعة المعارف الحديثة - الحضارات 2- ترجمة محمد شكري، منشورات عكاظ، المغرب، 2001، ص120.

² غسان طه ياسين، الإنسان والبيئة النهرية وأثرهما في نشوء الحضارة العراقية القديمة "ندوة الإنسان والبيئة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الأثرية"، مؤسسة عبد الرحمان السديري الخيرية، السعودية، 2013، ص7.

³ تقي الدباغ، الفكر الديني القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1992، ص28.

** تبي جورا أو تبي كور: تعتبر من أهم المواقع الأثرية المتواجدة بالعراق، تقع على بعد 14 ميلا إلى الشرق من الدجلة وعلى بعد قريب من نينوى، وعاصر هذا الموقع كل من طوري الوركاء وجمدة نصر، ويشتهر بالمعبد المكون من ثلاثة أقسام يتوسطه حصن وواجهة مزخرفة، وجدران لها بروز، إضافة إلى المنازل المستديرة...، أنظر: عبد الحميد زايد المرجع السابق، ص55.

¹ محمد شوقي إبراهيم، المدخل في تخطيط المدن، دار المريخ للنشر، الرياض، 1986، ص91، خزعل الماجدي، متون سومر (التاريخ، الميثولوجيا، لاهوت، الطقوس)، ط1، دار الأهلية، الأردن، 1998، ص280.

⁵ طه باقر، المرجع السابق، ص284.

ويشكل المعبد و الزقورة اثنين من أبرز المعالم المعمارية في المدينة السومرية ، حيث كان لهما أهمية خاصة وصفة مقدسة في المجتمع لأنهما يرتبطان أساساً بالمعتقدات الدينية باعتبارهم مقر الآلهة من جهة ومكان لإقامة الطقوس و الشعائر و الاحتفالات الدينية من جهة أخرى¹ .

يعتبر المعبد مكان العبادة الرئيسي و لإقامة الطقوس ، ويسمى مجازاً (البيت) في السومرية (E) و الأكديّة (bitu) و الذي يعني محل سكن الآلهة² ، وقد كانت المعابد تقام في وسط المدن ، وتشيد حولها المساكن وكانت ذات شكل و حجم مختلفين ، فبعضها كان مجرد مصطبات صغيرة وتتكون من صف من الدور ، وتشمل على فناء مكشوف يضم محراباً و قاعة لتمثال المقدس ، و كان هناك معابد أخرى تضم عدة أقبية و غرف ثم أقيمت المعابد الضخمة ذات التركيبات المعقدة وتخص الآلهة الأعظم .

وعلى العموم فقد كانت كافة المعابد الرئيسية تشترك في خصائص معينة حيث اشتمل كل منها على فناء واسع³ ، حيث يجتمع الناس فيه لإقامة الاحتفالات الدينية ، وكان المرء يدخل من هذه المساحة إلى غرفة تؤدي هي الأخرى إلى حجرة الهيكل المقدسة ، حيث يوجد المحراب وتمثال الإله الذي جرت العادة على وضعه على دكة في المحراب وفي حجرة الهيكل هذه يوجد أيضاً دكة المذبح التي تقدم عليها الأضاحي و القرابين للإله⁴ وبهذا كان المعبد يشمل على ثلاثة غرف متتالية هي: الدهاليز ، وما قبل المقدس ثم المقدس أو قدس الأقداس حيث تحتوي الأخيرة على تمثال الآلهة، فضلاً على غرف أخرى مختلفة منها ما يمثل مخازن ، مكتبات ، أماكن لإقامة الكهنة ، ورشات العمل⁵ .

ويوجد في المعبد أيضاً أجنحة وغرف ومرافق أخرى تستعمل لإقامة الكهان و الكاهنات و المشرفين على إدارته ، كما كان يضم أيضاً مكتبة تحتوي على وثائق مما له علاقة بالحياة الدينية كالصلوات و الأناشيد و القصص الخاصة بالخليقة و التكوين ، بالإضافة إلى وثائق أخرى تمثل اهتمامات الكهنة مثل النصوص اللغوية و الأدبية و

¹ فاضل عبد الواحد علي ، المعبد والزقورة اثنتان من أبرز السمات المعمارية في المدينة العراقية ، جامعة بغداد ، ص 15.

² سعد عمر محمد أمين ، القرابين والنذور في العراق القديم ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة الموصل ، 2005 ، ص 15.

³ حلمي إسماعيل محروس ، المرجع السابق ، ص 109.

⁴ فاضل عبد الواحد ، المعبد و الزقورة، المرجع السابق ، ص 17.

⁵ حلمي إسماعيل محروس ، الشرق العربي القديم وحضارته -بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة-مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،

1997، ص 109.

الفلكية¹، ولم تقتصر وظيفة المعابد على الناحية الدينية فحسب بل امتدت إلى الناحية الدنيوية، حيث كانت تحتوي على بعض المخازن و المكاتب التي كان يشرف عليها الكهنة و يعاونهم الكتبة و كانت مهمة هؤلاء الإشراف على أملاك المعبد من الأراضي الزراعية²، وقد بنيت جميع المعابد بمادة اللبن ماعدا المرافق التي كانت تتعرض للمياه فقد كانت تبنى بالحجارة، على أن توجه زواياها نحو الجهات الأربع مع تزيين جدرانها الخارجية بما يعرف بالطلعات والدخلات³.

ومن بين النماذج للمعابد الهامة التي تعود إلى عصر بداية الأسرات السومرية، المعبد الذي وجد في تل العبيد الذي شيده الملك السومري (آنبيدا) ثاني ملوك سلالة أور الأولى للإلهة (ننخرساک)، حيث شُيد على قاعدة مرتفعة من الآجر يصعد المتعبد إلى شرفتها على سلم حجري وعلى جانبي بابه تماثيل مصنوعة من النحاس، وقد تم زخرفة بعض الأعمدة بالأصداف و الفسيفساء، أما الجدران الخارجية فهي مزينة بتماثيل نحاسية ونقوش بارزة لبعض الحيوانات و الأزهار، بالإضافة إلى معبد الإله إنكي في مدينة أور⁴، كما جددت أقدم بقايا المعابد في مدينة إريدو، حيث وجد سبعة عشر معبدا مرتبة عموديا الواحد فوق الآخر ومثلة سبع عشر طبقة سكنية⁵، احتوت مدينة الوركاء على ما يقل ستة معابد مشيدة على هيئة معبدین مجاورين ومنها ما خصص للإلهة "إنانا" والآخر لزوجها "تموز"، معابد أخرى مخصصة للإله "أنو"، في حين بلغ عددها في مدينة لجش ما يقارب عشرين معبدا⁶.

أما الزقورة -اشتقت من كلمة (Saqaru) بمعنى العلو والارتفاع - فإنها كانت ملازمة للمعبد الأرضي في معظم المدن الرئيسية، و الراجح أن فكرة الزقورة قد نشأت في الأصل من إقامة المعابد في أطوارها الأولى فوق مصطبات مرتفعة عن الأرض، وأصبحت الزقورة في العصور التاريخية تتألف من ثلاثة أو سبع طوابق وهي إما تكون مربعة أو مستطيلة الشكل وكان يرقى إليها بواسطة سلم جانبي، وكان يبنى غلاف الزقورة بالآجر بينما يبنى

¹ فاضل عبد الواحد، المعبد والزقورة...، المرجع السابق، ص 17.

² نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 91.

³ طه باقر، المرجع السابق، ص 189.

⁴ نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 88، مؤيد سعيد، المرجع السابق، ص 115.

⁵ طه باقر، معابد العراق القديم، المرجع السابق، ص 11.

⁶ أحمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء المشاريع...، المرجع السابق، ص 380، عبد الرزاق عباس حسين المرجع السابق، ص 13.

هيكلها باللبن ، ويوجد فوق الزقورة معبد صغير يعرف بالمعبد العلوي و الذي يعرف في السومرية باسم "Gigunu" والذي ربما كان يوضع فيه التمثال¹.

ولقد وجدت آراء عديدة تفسر سبب بناء العراقيين للزقورة ، فقال بعضهم أنها تمثل الجبل الكوني أو قبر الإله الذي يموت ويعود إلى الحياة الثانية² ، و البعض يرى أن سكان بلاد الرافدين لم يستخدموا في حساباتهم للوقت سوى التقويم القمري لذلك كانت رؤية الهلال تعتبر ناحية مهمة حيث كانت تعتمد عليها كثير من الأمور الدينية والديوية ولذلك برزت الحاجة إلى الأماكن المرتفعة كزقورة³ ، أما الرأي الغالب والأهم فيعتقد بأن الزقورة بمعبدها العلوي تمثل مكان استراحة الآلهة عند نزولها من السماء إلى الأرض وأن مدرجات الزقورة إنما ترمز إلى السلم الذي يمتد بين الأرض والسماء ، حيث يلتقي البشر مع الآلهة ، أو لرفع إله المدينة الرئيسي إلى مكان أعلى من الأبنية الأخرى لحمايته من عبث الدخلاء⁴ ، في حين يرى البعض أن الغرض من تشييدها فوق الأماكن المرتفعة راجع إلى طبيعة السومريين في حد ذاتهم ، باعتبارهم سكان المرتفعات العالية ، وإهم اعتادوا عبادة آلهتهم فوق قمم الجبال ، ولذلك قاموا ببناء هذه الزقورات لتأخذ شكل جبال اعتيادية تجنّبها من المياه الجوفية أو مياه الفيضانات⁵.

وبهذا أصبح للزقورة خاصية معمارية ملازمة لمعظم المدن القديمة في وادي الرافدين ، حيث توجد في بعض الأحيان زقورتان أو أكثر في مدينة واحدة ، وقد أمكن عد ثلاثين زقورة موزعة على المدن من أقصى جنوب القطر إلى أقصى شماله⁶ ، ومن بين أشهر الزقورات نجد : زقورة الإله إنليل في نيبور (نفر) -تعرف باسم (Dur-an-ki) وتدعى منزل الجبل ، جبل العاصفة والرابطة بين السماء والأرض ، زقورة الوركاء التي تعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، زقورة كيش⁷.

2 -حسب المدينة الإغريقية : أدت طبيعة اليونان دورا أساسيا في قيام كيانات سياسية مستقلة عن بعضها البعض في مختلف الأقاليم التي قسمتها السلاسل الجبلية ، مما أدى إلى ظهور نظام الدولة المدينة حيث تعتمد كل

¹ فاضل عبد الواحد ، المعبد و الزقورة، المرجع السابق ،ص ص 23-24.

² سامي سعيد الأحمد ، المعتقدات، المرجع السابق ، ص 47.

³ فوزي رشيد ، المعتقدات الدينية ، حضارة العراق، ج1 ، بغداد ، 1985 ، ص 176.

⁴ طه باقر ، المرجع السابق ، ص 277.

⁵ نائل حنون ، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة (دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص المسماة والآثار) ، ج2، ط1، دار الخريف ، دمشق ، 2006 ، ص 88.

⁶ فاضل عبد الواحد ، المعبد و الزقورة ...، المرجع السابق ، ص 24.

⁷ صامويل نوح كرمير ، من ألواح سومر ، المرجع السابق ، ص 104 ، هنري فرانكفورت ، المرجع السابق، ص65.

مدينة (polis) على نفسها اعتمادا ذاتيا من الناحية الاقتصادية ، وتمكنت كل مدينة باستقلالها السياسي منذ ظهورها لأول مرة في حوالي القرن الثامن قبل الميلاد خاصة حول المدن الكبرى والهامة مثل مدينة : أثينا التي تشغل إقليم أتيكا ، بالإضافة إلى اسبرطة الواقعة في شبه جزيرة البولوبونيز (جنوب غرب اليونان) ، مدينة طيبة التي تقع في وسط اليونان وغيرها من الدويلات سواء في بلاد اليونان القارية أو في الجزر التي تحيط بها ¹ .

وفي هذا الصدد انقسمت بالطبع إلى عدد كبير من المقاطعات الصغيرة كل منها منفردة عن جاراتها برأس من البحر ، أو انحدار من الصخر بحيث يسهل الدفاع عنها وتصبح المواصلات ، فكانت تتألف من كل مقاطعة حكومة على حدتها مدينة ، وقد بلغت أكثر من مئة مدينة فضلا عن المستعمرات التي بلغت زهاء الألف ، وكثيرا ما تكونت المدينة الواحدة من مدينة وساحل ومرقا أو بضع قرى مبعثرة حول القلعة من المملكة الواحدة ولا يسكنها أكثر من بضعة ألوف من الناس وأعظمها لا يكاد يكون فيه مئتان أو ثلاثمائة ألف نسمة ² .

وكانت دولة المدينة الإغريقية تتكون من حصن على قمة جبل حتى يسهل عليها عملية الدفاع وكان الحصن يقام بمجرد تأسيس المدينة ، وهو مركز للحاكم ولا اجتماع المجلس الاستشاري وللعبادة وكان يسمى الأكروبول أي المدينة العالية ³ ، وهي كالآتي :

*بدأ التقدم الاستعماري نحو الغرب بتأسيس مستعمرات على شاطئ البحر الايوني وفي جنوب بحر الادرياتيكى استوطنوا في ايبروس (Epirus) والاليريا وعلى بعض الجزر هناك ، ثم في جنوب ايطاليا وفي خلال القرن الثامن والسابع قبل الميلاد اشترك المهاجرون من كثير من المدن الإغريقية في استعمار جنوب ايطاليا ومن بينهم أعداد من سكان مسينيا من غرب البولوبونيز فروا أمام غزو اسبرطة وتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وحطوا رحالهم في مدينة رجيون (Rhegion) ، ومن اسبرطة أيضا توجه عدد من السكان إلى نفس الخليج من جنوب ايطاليا وأسسوا تارنت (Tarent) ، وعلى نفس الشاطئ أسس الآخيون مدينتي توبارس (Tybaris) و كروتون (Kroton) وأسس الخلقيدون مستعمرة في جنوب ايطاليا سموها كوماي (Kyme) أو (Kumae) وبدورهم أسسوا مستعمرات بالقرب منها أهمها نابولي (Neapolis) .

كما أسس الخلقيدون مدينة ناكسوس (Naxos) في عام 735 ق.م ، وأسست كورنثة على الشاطئ الشرقي لصقلية مستعمرة سيراكوزا (Syrakus) وازدادت حركة التوسع نشاطا أكثر في حدود القرن السادس قبل الميلاد وخاصة في المنطقة المحيطة بمستعمرات ترنت (Tarent) مما دعي إلى تسميتها " بالإغريق العظمى " ،....، أنظر : مسعي عبد الحق ، الاستيطان الإغريقي في جنوب ايطاليا وصقلية بين القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الجزائر 2 ، 2006/2007م ، ص 76 .

¹ أبو اليسر فرح ، الشرق الأدنى في العصرين الهيلليستيني والروماني ، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، 2005 ، ص ص 16 - 17 ، Pébarth christophe , op-cit , pp 32-36

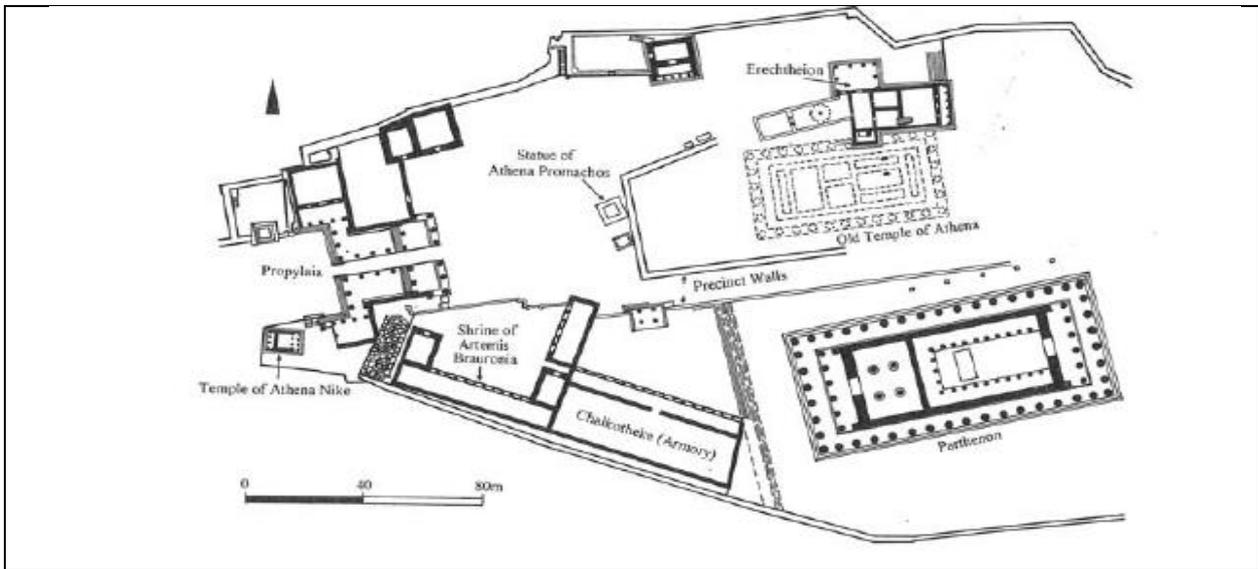
² شارل سنوبوس ، تاريخ حضارات العالم (الحضارة الفرعونية ، الأشوريون ، البابليون ، الفرس ، اليونان ، الرومان) ، تر: محمد كرد علي ، ط1 ، دار العالمية للكتب والنشر ، الجيزة ، 2012 ، ص 70 .

³ Pierre Lavedan , op-cit , pp8-9, Charles Gates , op-cit , p 254.

1- الأكربول (الأكروبوليس) : اعتبر هذا الموقع عند الإغريق مركز المدينة ومركز الحكم (بؤرة الحكم) والمسورة بأسوار حصينة حيث اعتبر كمركز سلطوي للحكم ، ففي حالة الخطر تؤمن أسوارها دفاعا وتؤلف قلعة الأكربوليس مرتكزا لها ، تجري الاتصالات على مختلف الأنواع السياسية والاقتصادية والفكرية وتقييم سلطات الحياة الجماعية السوق التجارية والمدارس و المنتديات الرياضية والمسارح والمعابد .. الخ.¹ .

فمنذ البداية كان اليونانيون يركزون على مسألة الدفاع ، ولهذا كان سكان الريف يلجؤون إلى المكان المرتفع من الأرض عندما تهددهم عصابة معادية أو جماعة من القراصنة ، ولم تكن هناك مدينة تخلو من أكربول واحدة أو أكثر ، ثم إن المدينة غير المرتفعة بنوا سياج ممتد حولها، حيث تروي معظم الملاحم عن قيام جدران محصنة بأبراج ومشقوفة بأبواب حول المدينة ، ففي كثير من الأحيان تتحصن المدن الغنية والطامحة للقيادة السياسية بسياج قوي مثل : مدينة ميليه في أيونيا ، داسوس في ايوليس² .

وقد كان الأكربول عبارة عن تل صخري صعب تكتنفه هوتان من جانبه وعلى مثل هذا المكان استوي مقر الآلهة وهيكل الإله*، وقصر الملك حيث كانت تشيد معابد المدينة والأبنية العامة ،ومنازل الطبقة الحاكمة والأغنياء



¹ أندري إمار ، ابو جوانيه ، المرجع السابق ، ص 324.

² جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص ص 47-48.

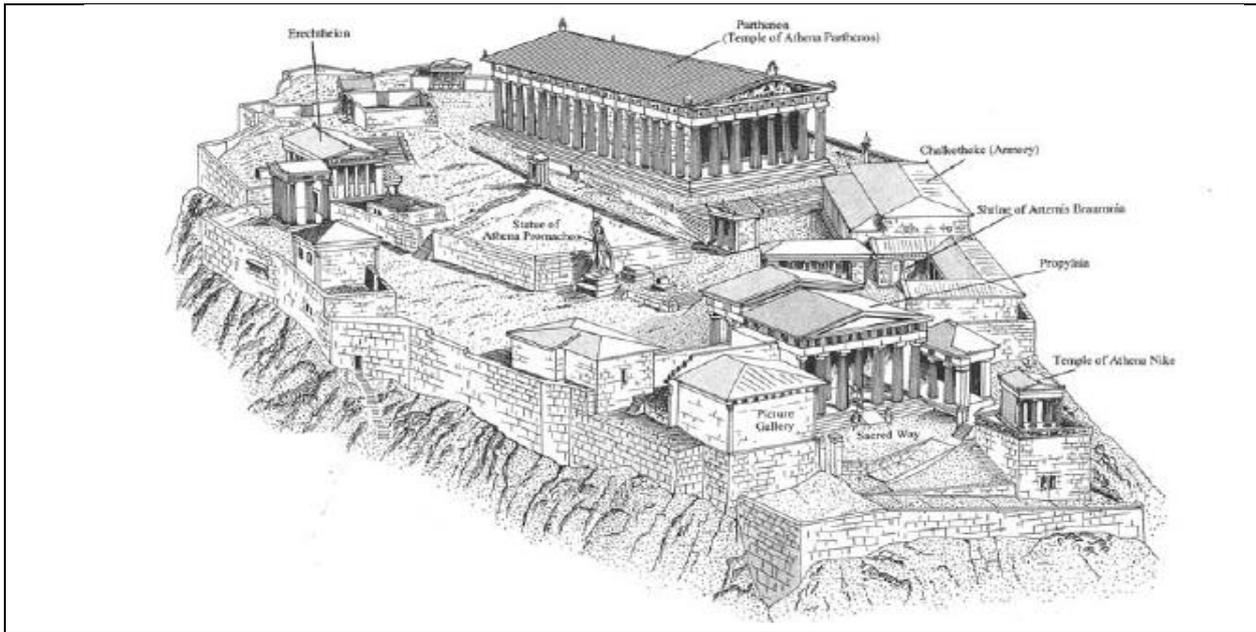
*تشير الدراسات التاريخية أن الحاجة إلى الدفاع المشترك التي تمثلها الأكربول والأسيجة تتخذ مظهرها دينيا فلكل مدينة إلهها ، كما أن لكل أسرة إلهها ويجتمع أفراد الأسرة حول مذبح المرقد العائلي وبذلك يحتفل المواطنون بديانة المدينة حول الموقد المشترك وهناك تقام الضحايا استجابة لحماية الآلهة وهناك تقدم الولائم الرسمية التي يتقاسم فيها رؤساء المدينة لحم الضحايا، وعندما سقطت الملكية اصططب الموقد العام بالقداسة الدينية تحت اسم الآلهة هسية ويصبح ملازما للبناء الذي يقيم فيه رئيس المدينة المسمى بالبريتان أو اللحنة البريتينية ...، وبذلك يصبح الموقد مركز البريتينية ..، أنظر : جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 48.

ترجمة المفاتيح :

- | | |
|--|---|
| - Precinct walls : الجدران المنخفضة | - Erechtheion : المذبح |
| -Statue of Athene Promachos : تمثال الإلهة أثينا | -Propylaia : المدخل |
| -Temple of Athena nike : معبد أثينا الجديد | -Parthenon : معبد البارثينون |
| - Shrine Artemis Brauronia : ضريح أرتميس بروتويا | -Old temple of Athena : معبد أثينا القديم |

-الملحق رقم 26 : يوضح مخطط الأكروبوليس الأثيني في القرن الخامس قبل الميلاد¹.

ثم امتد العمران إلى السفوح وبالتالي ليس هناك مدينة إغريقية من غير الأكروبول المحاط دوما بسور منيع يزيد من جماله وهو حرم مقدس للآلهة ، حيث يجتمع حول محرابه المقدس سكان المدينة لممارسة شعائرهم الدينية، وهو الشيء المهم بالنسبة للجماعة التي تقيم في المدينة هو أن يكون ثمة مركز تقام فيه الأبنية الدينية والمدنية مثل : أكربول أثينا ، كورنثة ، طيبة².



ترجمة المفاتيح :

- | | |
|--|-----------------------------|
| - Precinct walls : الجدران المنخفضة | - Erechtheion : المذبح |
| -Statue of Athene Promachos : تمثال الإلهة أثينا | -Propylaia : المدخل |
| -Temple of Athena nike : معبد أثينا الجديد | Parthenon : معبد البارثينون |

Charles Gates , op-cit , p 255.

² هاشم عبود الموسوي ، المرجع السابق ، ص ص 308 ، 351 ، غريمال بيار و آخرون ، المرجع السابق ، ص 122.

معبد أثينا القديم : -Old temple of Athena - ضريح أرتميس بروتويا: Shrine Artemis Brauronia -
 وهناك ترجمة أخرى لمكونات الأكرابوليس :
 -مقر الحاكم + منازل الطبقات الأروستقراطية + منازل الطبقة العامة (العادية) + السوق العام (الاجورا) + السور
 + الخورا (Chora) وهي الأراضي الزراعية التي تحيط بالمدينة وتمدها بالموارد الزراعية والغذاء + معبد البارثينون .
 الملحق رقم 27 : يمثل أكرابوليس مدينة أثينا -مركز المدينة -¹.

وفي هذا الصدد يشير جلوتز إلى العلاقة الدقيقة التي تقوم بين النظام السياسي، وبين الدين فيقول: "إن الحاجة إلى الدفاع المتبادل الذي يمثله الأكرابول (المدينة المرتفعة) أو الأسوار تظهر ككل ظاهرة اجتماعية في العصور القديمة في صورة دينية، فلكل مدينة ولكل أسرة إلهها"²، ومن مكونات المدينة الإغريقية أيضا نجد:

2- الآجورا (Agora)*: هي مركز المدينة المدني يقع على أرض منخفضة شمال الأكرابول، تتواجد عند سفح الجبل سوق المدينة (الآجورا) الذي تنتشر عليه مساكن المواطنين الزراعية والتي تمول حاجيات المدينة من الناحية الاقتصادية³، فالآجورا أي السوق هي بمثابة ساحة العامة للمدينة الإغريقية والمركز الاجتماعي والاقتصادي⁴، كما تعتبر منطقة الأشغال والأعمال وتقام حولها المعابد والأبنية العامة والإدارية والأسواق وأماكن الترفيه والتسلية، ومنطقة مفتوحة حولها وبقرها أروقة معبدة (Stoa) وبقية المعالم العمرانية والأضرحة⁵.

وقد اعتبرت ساحة الآجورا (السوق العامة) في البداية مركزا لتلاقي واحتكاك محبو الإطلاع والمتسكعين، أين يختلطون بالتجار والمتعاملين إما بالمقايضة أو بالبيع أو الشراء، خاصة بعد ظهور واستخدام النقد (العملة)، هذه الأخيرة التي كانت الركيزة الأولى في تطوير مفهوم السوق وشيوعه أكثر بين الناس⁶، بالإضافة إلى ذلك استطاعت الآجورا أن تؤدي دورا ثقافيا من خلال تخصيص ساعات النهار في ندوات الملتقيات التي يلتقي فيها

¹ Charles Gates , op-cit , p 255.

² جوستاف جلوتز، المرجع السابق، ص 20.

*عُرف مفهوم كلمة اجورا في المصادر الإغريقية القديمة بمعنى السوق الذي يوجد في مركز المدينة الإغريقية، وهو يعني مكان تجمع الأفراد، ليس من أجل غرض المناقشة والجدل فحسب بل من أجل البيع والشراء، وكذلك كل أنواع الأعمال،....، أنظر: عاصم أحمد حسين، ملامح من الآثار اليونانية والرومانية، مطبعة العمرانية، الجزيرة، ص 85.

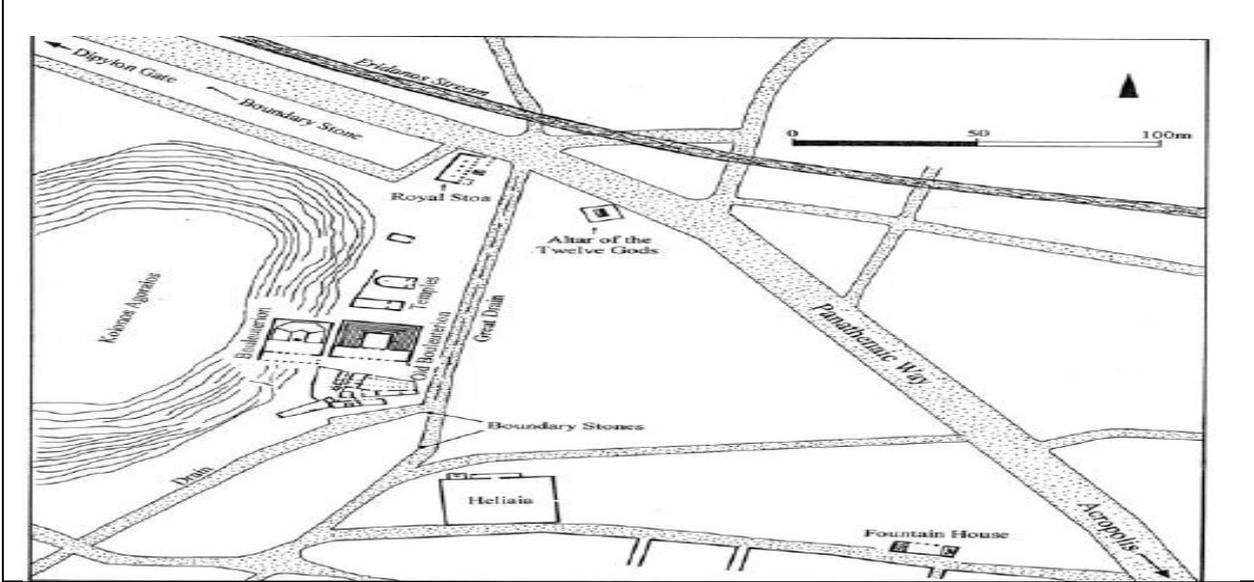
³ هاشم عبود الموسوي، المرجع السابق، ص 313.

⁴ Pierre Lavedan , op-cit , p25, Charles Gares , op-cit , p 230.

⁵ أحمد محمود صبحي، المرجع السابق، ص 43.

⁶ عاصم أحمد حسين، ملامح من الآثار....، المرجع السابق، ص 84.

الناس وسط الهواء الطلق للحديث عن الأمور السياسية ومناقشة الأحداث والأخبار اليومية ويكونون آرائهم* أي مجلس الشعب¹.



ترجمة المفاتيح :

Old Bouleuterion : الهيكل القديم	-Erodemos Stream : أروقة أودوموس
Panathenaic Way : بوابة دلفون	-Diphylon Gare : طريق باناثونيك
Boundary Stone : حجر الحدود	-Acropolis : الاكروبوليس
Royal Stoa : الأروقة المعبد (المركزية)	-Fountain house : نافورة المنزل
Altar of the twelve Gods : مذبح الآلهة الاثني عشر	

-الملحق رقم 28: المخطط الاجورا في مدينة أثينا في حوالي القرن 5 ق.م.²

وعلى هذا الأساس ساعدت الآجورا في انتشار الشعر والأدب وظهور المسرح النقدي التراجيدي والكوميدي الذي بدأ يظهر مساوئ أنظمة الحكم بواسطة المسرحيات الهزلية والنكت الهادفة إضافة إلى ظهور فن الخطابة وتطوره داخل المدن الإغريقية بشكل حماسي مما أصبح من الضروري على الفرد أن يلم بشؤون مدينته السياسية والاجتماعية³.

*في هذه الأروقة كانت تدور حوارات ومناقشات بين الفلاسفة والخطباء لدرجة أصبحت معهدا لإحدى المدارس الفلسفية تسمى بالرواقية نسبة لأحد أروقة الأسواق في أثينا، واعتبر النقاش فيها صفة من صفات المواطنة الذاتية خاصة بالنسبة للرجال الأحرار فكان الاجورا يجمع شملهم لاتخاذ القرارات منها السياسية الاقتصادية

¹ جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 20.

² Charles Gares , op-cit , p231.

³ خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 62.

وبذلك احتلت الآجورا المرتبة الثانية بعد الأكروبول ، وتأخذ دائما الشكل المنتظم (مربع أو مستطيل) ما عدا آجورا ميليس فهي غير منتظمة وتمثل شكلا استثنائيا ، وبذلك اعتبرت مركزا للحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في دويلة المدينة الإغريقية ، بعد أن تشكلت ليس من أجل المنافسة والجدل فحسب وإنما من أجل البيع والشراء أيضا ، كما أن ساحة الآجورا لم تكن وليدة فترة محدودة وإنما كانت وليدة تطور حضاري وسكاني نشأ بنشأة المدن الإغريقية وتطورها حتى في مراحل تكوينها الأولى (فترة تكوين مجتمعات القرى) حيث وجد فيها الإغريق المنفذ الوحيد لاستعراض آرائهم وأفكارهم ومركزا لعرض مبادئهم ونظرياتهم الفلسفية مما أوجد روح الجدل والمنافسة الفكرية والكلامية¹ .

وعلى العموم تعتمد المدينة الإغريقية في تخطيطها الهندسي الذي تتقاطع فيه الطرق طولاً وعرضاً ، وفي زوايا قائمة ، وتوجد فيها الساحات بشكل منتظم عند تقاطعات الطرق الرئيسية ، وهذا التقسيم يسمى النظام الهيبودامي نسبة هيبوداموس-أول من ابتكر هذا النظام وهو من مواطني ميليتوس على الشاطئ الغربي لآسيا الصغرى-² ، وسوف نحاول تسليط الضوء على بعض مكونات المدينة الإغريقية الثانوية وعلى ماذا تستند محاولين إدراجها على شكل جدول توضيحي ؟ وكيف ساهمت في تطوير النظام السياسي في المدن الإغريقية في ظل الانقسام السياسي والطبيعي ، وهل امتدت نفس المكونات المدينة السومرية في الشرق إلى بلاد الإغريق أم لا ؟ وهل ساهمت عوامل معينة وراء ذلك ؟

المكونات (أسس المدينة)	مميزاتها أو خصائصها
أروقة معبدة (Stoa)	بناء أو رواق معبد طويل يخدم عدة أغراض يستخدم لربط الأبنية مكونا منها مجمع بنائي موحد ويستخدم كملجأ الحركة مثل : رواق أولمبيا وأبعاده (9.1 × 100.5م)
بيت البرلمان (prytaneion)	يستخدم كمجلس للشيوخ (رؤساء المدينة) ومكان ينظر فيه لأمر المواطنين والزائرين ويحتوي على غرفة الجلوس الرسمية وموقد رمزي شائع الاستعمال ناره تشتعل بشكل أزلي وهي تشابه ما يماثل شعلة الأولمبياد .
ملتقى الأعضاء (bouleuterion)	وهو بماء مسقف وتوجد فيه عدد من الأعمدة الصغيرة لدعم السقف وبداخله تتم

1

² خالد غريب ، دراسات في تاريخ وحضارة و حضارة اليونان القديمة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، 2005/2006، ص20.

<p>الانتخابات الديمقراطية ويضم أكثر من 500 شخص والبناء ذو مخطط مستطيل مع مقاعد ومصطبة موجهة نحو الداخل من ثلاثة جوانب كما في مدينة براين أو شبه دائري كما في مدينة أولمبيا وفي أثينا توسعت لتستوعب 1200 شخص .</p>	
<p>وهي مماثلة للأبنية السابقة ولكن أكبر حجما وفي البداية أنشئت في فضاءات مفتوحة مستغلين مدرجات التل ثم سقفت جزئيا وهي غالبا ما تخدم لأغراض دينية</p>	<p>قاعات التجمعات للمواطنين بعامتهم (assembly halls)</p>
<p>نوع من أنواع المسارح مخططة مربع الشكل ، مسقف بشكل جزئي ومعمد بطريقة لا تعيق النظر وفيه تتم أشغال الموسيقيين وإنجاز أعمالهم . مكان لحفظ الكتب ، وإن اعتبرها عدد من المؤرخين مكانا للتعليم ، وانقسمت في اليونان إلى مكاتب عامة وخاصة ، وأشهرها :مكاتب أثينا (مكتبة بيزستراتوس ، مكتبة بطليمون) ، مكتبة اولمبيا ، كريت ، رودس .</p>	<p>أوديون (odeion) والمكاتب (Bibliotheque)</p>
<p>يعتبر مضمار السباق في المدن وهو بطول 183م تقريبا ، تمتد على جانبيه مقاعد المتفرجين ويستغل الميدان الطبيعي للأرض أو يشيد الميدان على المواقع المستوية وفي الجهة الأخرى شبه دائرية ، ومن أمثله : ملعب أولمبيا ودلفي وأثينا ، ولقد تم ترميم ملعب أثينا القديم عام 1896م لإقامة أولمبيا 1906م ويضم 50000متفرج.</p>	<p>الملعب الرياضي</p>
<p>مماثلة لمضمار السباق ، ولكن من النوع الطويل لسباق الخيول وعربات الخيول.</p>	<p>hupodrome</p>
<p>مدرسة المصارعة</p>	<p>(palaestra)</p>
<p>هو المكان الذي يلتقي فيه الشباب لممارسة الرياضة و لأداء جميع أنواع التمارين البدنية وفي الفترة الهيلينية تطور ليضم تراكيب شكلية ضمت فناءات للرياضيين وخزانات لملابس المستحمين وغرفة للتبريد وأماكن للغسل وأماكن للراحة والمجاورة ومقاعد للمتفرجين ومخازن وغرفة النادي التي تستخدم لإلقاء المحاضرات ومن أهم وظائفه : استخدامه كمكان لممارسة الرياضة العامة والخاصة ، وحتى الفلاسفة ،مثل سقراط الذين كان احد ابرز المصارعين المهرة ، بالإضافة إلى استخدامه كمدرسة أو</p>	<p>"الجمنزيوم" (gymnasian)</p>

<p>جامعة، ويؤكد أفلاطون هذه الوظيفة حيث كتب إلى أستاذه سقراط قائلاً: "لقد كنت في حجرة تغيير الملابس وغيرت ملابسني وجلسنا نتناقش في أمورنا الفلسفية" ويستخدم أيضا كمركز لتدريب الجنود مثلما كان في اتيكا . .</p>	
<p>كانت من بين العناصر الهامة في المدن اليونانية ، وقد ظهرت عدة كلمات في النصوص الكلاسيكية ، وأشهرها كلمة " Balaveion " والتي تعني حمام أو ماء الحمام نفسه ، وكان الحمام اليوناني يضم بشكل عام ثلاث حجرات أساسية وهي:</p> <p>- Frigidarium :وهي صالة مخصصة للماء البارد.</p> <p>- Tepidarium :حجرة خاصة للساونا.</p> <p>- Caldirarius :حجرة الماء الساخن .</p>	<p>الحمامات</p>
<p>عبارة عن قبور ومراكز دينية ، وقد ترك الإغريق بصمات حياتهم في العمارة المدنية كذلك أعطوا أهمية لأضرحتهم وعماراتها .</p>	<p>الأضرحة (mausoleums)</p>
<p>تتميز بالمسقط الأفقي مستطيل الشكل ومواد الإنشاء من الحجر ذات اللون الأبيض للجدران الخارجية وجميع الغرف تفتح أبوابها في فناء داخلي يقع في قلب المنزل والفضاءات الرئيسية تتركز على الجانب الجنوبي لتواجه شمس الشتاء والبقية على الجانب الغربي والشرقي ، وتترتب على طابقين وعادة ما يكون الطابق الثاني للسكن ، أو تفتح منه محلات من واجهات البيوت باتجاه الشارع والغرف في البيوت ارتفاعها قليل وطويلة الشكل ويحيط بالفناء أعمدة.</p>	<p>الأبنية السكنية</p>
<p>منذ القرن 16 ق.م عرف اليونانيون المسرح من خلال اجتماعاتهم والحوارات التي كانت تتم فيما بينهم لتداول الأساطير القديمة ، وقد ارتبط كهنة اله ديونيسوس بالمسرح ، حيث كانت تقام المسرحيات في الهواء الطلق حيث يستغل الميدان الطبيعي لجوانب التلال كمدرجات ، وتكون المسارح في أو قرب المدن ولها شكل معماري محدد ويستغل الميدان لتسطر الرؤية على أرض المسرح المستوية في البداية واستخدم المسرح في البداية لأغراض دينية ثم تطورت الدراما والكوميديا في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد ، وانعكست التطورات على التصميم الشكلي للمسرح</p>	<p>المسرح (theater)</p>

<p>حيث كان يتكون المسرح من ثلاثة عناصر مستقلة :</p> <p>*<u>مدرج الاستماع</u> : يتكون من صفوف من المقاعد الحجرية المنظمة على شكل حدوة الفرس تترتب حول فضاء دائري مرصوف .</p> <p>*<u>الأوركسترا</u> : مساحة مستوية تجلس فوقها فرقة الترتيم .</p> <p>*<u>الكورس</u> : وهو خشبة المسرح للممثلين ، وهو مماس لمساحة الأوركسترا وله خلفية بسيطة من الديكور.</p> <p>وللمسارح الإغريقية تأثيرات صوتية مدروسة ناتجة من عوامل متعددة .</p>	
<p>المراكز الدينية المقدسة التي تقام فيها الشعائر والطقوس الدينية وتمتاز بالفخامة ومزخرفة بالنقوش على الجدران وبالأعمدة الضخمة .¹</p>	<p>المعابد (temples)</p>

وخلاصة القول أن المدينة الإغريقية تمتاز بأنها مدينة حجرية أو رخامية وهذا ما جعلها محافظة على بقائها حتى اليوم على أن هناك عمارة خاصة من المباني الطينية والطوب اندثرت وزالت ، وقد اعتمدت على هندسة دقيقة في حساب الأبعاد والنسب واستعمل فيها مقياس جسم الإنسان ، كما عبرت المدينة الإغريقية بشكل صادق عن الظروف السياسية وذلك بنوع الطراز والمواضيع والمعالجة في التزيين ، حيث كانت المدن محصنة بسور منيع غير منتظم يتبع شكل الطبوغرافية والبوابات التي لا تقع على الطرق الرئيسية المؤدية إلى مراكز المدينة كما أنها تبنى على المنحدرات لتصريف مياه الأمطار الكثيرة ومقابلة للشرق بهدف استقبال الشمس صباحا وحمايتها من الرياح.

2- النشأة التاريخية للدولة المدينة السومرية :

يشكل التاريخ السياسي السومري محطة هامة في تاريخ الإنسانية بسبب النضوج والوعي الحضاري والفكري بسبب بظهور معالم سياسية راقية تتماشى والبيئة الجغرافية ، وتجسيد لأول مرة مفاهيم سياسية خالصة .

وأمام هذه المعطيات لا بد من الوقوف على النشأة التاريخية للدولة المدينة في سومر، وقد قدمت العديد من الآراء التاريخية في سبيل تفسير هذه النشأة والوقوف على بوادرها الأولى.

أ) الإدارة الدينية للدولة المدينة السومرية (دولة المعبد) :

إن المدينة السومرية هي أقدم المدن الحضارية ، حيث تطورت بصورة طبيعية عن مجتمع ما قبل المدنية ، وأن السلطة في سومر بدأت دينية لدى الجماعات القروية وأن العامل الديني كان العامل الأهم في نجاح السومريين في

¹ هاشم عبود الموسوي ، المرجع السابق ، ص ص 315 ، 316 ، خالد غريب ، المرجع السابق ، ص ص 23، 28.

شق غرين الدجلة والفرات وتطويع المستنقعات، حيث كان لدى السكان إيمان بأن السلطة البشرية تجدد الدعم من القوى الغيبية بدليل قيام المدن حول مراكز العبادة، فإلى جانب وظائفها الدينية كانت بمثابة المركز السياسي الذي تدار منه الوظائف المدنية والإدارية¹.

تشير الأبحاث التاريخية أن أولى المدن السومرية نشأت أو لما نشأت حول المعابد وأنها كانت قائمة على أساس ديني، ومن المؤسسة الدينية انبثق النظام الملكي، وحسب صامويل كيرمر أن التنظيم السياسي السومري نظام ثيوقراطي ديني، خضع لسيطرة المعابد الدينية منذ النصف الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد، ومن ثمة أطلق عليه مصطلح "دولة المعبد"².

ويرجع هنري فرانكفورت هذا التغير والانتقال من المجتمع البدائي إلى الدولة المدينة الخاضعة في حكمها للنظام الكهنوتي، إلى حياة القروي البسيطة فيما قبل التاريخ التي كانت تتلاءم أحسن التلائم مع البيئة الجغرافية، أما الحياة المدنية فكانت تتعارض أحياناً مع النظام الطبيعي أكثر منه إلى الانسجام، بسبب اعتقادهم أن الآلهة تحدد أعمال الإنسان بكثرة الفيضانات والعواصف والجفاف والحرائق... الخ، وهي ظروف لا تلائم تطور المدينة السومرية، فاضطر السومري على تنظيم عمله أكثر و تكيف استيطانه حسب التغير الدائم لتوزيع المياه والأراضي ولتفادي الفيضانات، ولهذا لا عجب أن تكون الثقة التي تبديها المدينة في تنظيمها ومؤسساتها مغمورة بالخوف، وموجهة إلى قوة خارقة إلهية تنم عن تنظيم عملي للمدينة، ويحكمها مجمع الآلهة بمعنى أنها محكومة من قبل إله، الذي يملك المدينة و سكانها³.

والجدير بالذكر أن المعتقدات الدينية لعبت دوراً رئيسياً في جميع نواحي حياة سكان بلاد الرافدين القدامى، فكل خير أو شر أو كل مصيبة تحل بالمدينة كانت تعزى إلى إرادة الآلهة، ولذلك كان المعبد يمثل مسكناً للآلهة، و مركزاً للحياة السياسية الأولى والثقافية في المدن -مقر لإدارة نظام الحكم -، ومحور الحركة والعمران، ومظهر نشاط المجتمع في جميع صنوف الحياة، ولذلك كان لكل مدينة إله خاص تحتمي به، له حق السيادة، وهو مالكها في نفس الوقت، ومالكا لها ينوب عنه ويمثله وهو الكاهن "الابن"⁴.

¹ آر نولد تويني، المرجع السابق، ص 93-94.

² Samuel Noah Kramer, the sumérians, op-cit, p75.

³ هنري فرانكفورت، المرجع السابق، ص 63-64.

⁴ سيتون لويد، آثار بلاد الرافدين، تر: سامي سعيد الأحمد، دار الرشيد، بغداد، 1980، ص 144.

وعلى هذا الأساس كانت ثقة الناس في العهود الأولى منصبه على الرجال القائمين على خدمة الآلهة أي طبقة الكهنة الذين كانوا الوسطاء بينهم وبين الآلهة والممثلين لهم على الأرض، والذين يقومون بخدمتها وتنفيذ رغباتها نتيجة اعتقادهم السائد بأن جميع الظواهر الطبيعية المدمرة كانت تسير وفق رغبة الآلهة¹.

فالآلهة حسب معتقدتهم الديني عبارة عن قوة خارقة خالدة، ومصدر لكل شيء، ومحرك للأحداث التي يعيشها الإنسان، وأن ما يلحق المدينة سواء اضطراب طبيعي أو حروب خارجية سببه غضب وانتقام الآلهة، وبالتالي حرص القوم على إرضائها وتحاشي غضبها المؤدي إلى إنزال الشرور والمآسي².

ويعتبر طه باقر أن المعبد البؤرة الأولى الذي نمت وتطورت حولها المدينة السومرية، فقد كان مركز الحياة القرية الفلاحية ثم المدينة، ومدار حياتها الدينية والاقتصادية والاجتماعية³، فضلاً على أنه المركز الحيوي لكل مظاهر الحضارة في المدينة تتجمع فيه ومن حوله كل أوجه النشاط⁴، ولذا فمن المرجح أن كهنة المعابد كانوا أول وأقدم الحكام في المجتمعات السومرية المتحضرة، حيث كان الكاهن الأعلى "اين*" EN "حاكم المجتمع المعبد يجمع بين السلطتين الدينية والزمنية، بتوليه الشؤون الإدارية العامة إضافة إلى واجباته الدينية، وكان يعيش في جناح خاص في حرم المعبد يسمى "إجيبار (Egipar)" أو "جيبار" (Gipar)⁵.

واعتبر الكاهن الأعلى وكيل الإله الذي يرمى شؤون الآلهة وينوب عنها في رعاية شؤون الشعب وإدارة المدن السومرية، ونظراً لقداسته الدينية أطلق عليه اسم "باتيزي" أو "انسي" ومعناها الخادم أو الأمير، ويعتقد الباحثون أن هذه التسمية دينية في الأصل، بمعنى أن لقب الخادم إنما تعني خادماً للمعبد أو خادماً للآلهة، وبالتالي فإن الكاهن هو أول من حمل هذا اللقب، وأصبح يطلق عليه الخادم الأكبر⁶.

وعادة ما كانت المدينة تحتوي على عدة هياكل والمصنفة على شكل درجات وفتات أهمها "هيكل إله المدينة" أكثر الهياكل غنى وزيادة على وظائفه المتعددة من الواجبات الدينية إلى السهر على المدينة وحفظ أمنها ودرء أخطار الفيضان والقيام بمشاريع الري وصيانتها وتحسينها⁷، حيث اعتبر الإله سيّداً للمدينة يعيش فيها مع زوجته وأولاده

¹ طه باقر، ج2، المرجع السابق، ص47.

² سمير الطائي، المرجع السابق، ص35، 42.

³ مولاي أحمد حسين السليمان، محاضرات في تاريخ الشرق القديم "مصر الفرعونية والعراق القديم"، بول للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص70.

⁴ عبد المنعم أبو بكر، المرجع السابق، ص274.

⁵ "اين*" EN "ترجم عادة إلى كلمة المولى أو السيد، وللمزيد ينظر الفصل الأول من الباب الثالث.

⁶ Barbara A.Somervill, op-cit , p 23.

⁷ Samuel Noah Kramer ,the sumérians ,op-cit ,p76.

⁷ أحمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء المشاريع....، المرجع السابق، ص380.

وخدمه، ومسكنه هو المعبد الذي جمع فيه أملاك المدينة من أراضي وضرائب¹، وقد استحضر أورنيبا بنفقات طائفة أحشابا من الجبال لتزيين الهياكل بغية التقرب للآلهة وخدمة مصالح دولته²، لذلك فإن سلطة المعبد على الأرض ما هي إلا انعكاس لسلطة السماء ، باعتباره الأرضية الاجتماعية والاقتصادية، والمنظمة السياسية في دويلات المدن السومرية، وفي وقت من الأوقات كان الدولة بذاتها، ونواة حضارتها، والمركز الرئيسي فيها ، ويتوسطها، وتحيط به الأسوار الضخمة التي تفصله عن باقي أجزائه³، ففي مدينة لجش مثلا لم تتحرر السلطة السياسية من السلطة الدينية تحرا تاما ، ولم تكن هناك سلطة تحدد نفوذ " الإين " بالرغم من وجود مجلس الشورى، بل كان نفوذ الكاهن أقوى من أي سلطة أخرى كونه وكيلا للإله المدينة⁴.

وحسب اعتقادات السومريين فإن هذه البنايات الضخمة إنما شيدت لتوطيد رابطة القوة التي تعتمد عليها المدينة، وعن قدرة المجتمع في بذل مثل هذه الجهود الجبارة إلى جانب تأمين الحماية المقدسة للمدينة، وتعظيمها معنى المواطنة باعتبارها أبنية تبقى شاهدة دوما عن عظمة المدينة⁵، وكانت تتجمع حول سور المعبد مئات من المنازل، كما كان للمدينة نفسها سور ضخمة يحيط بها ومزود ببضع البوابات الضخمة المتينة التي تؤدي إلى الخارج⁶. وقد كانت بعض المدن السومرية تركز بالدرجة الأولى على الناحية الدينية دون غيرها مثل: مدينة نيبور(نفر)، أريبدو، كيش... الخ، حيث اعتبرت مراكز للتلقين الديني نظرا لاحتوائها على الهياكل الدينية ومقرات الآلهة والمعابد والزقورات، كما أنها كانت موضع احترام الملوك والحكام في كل عهدها، ولم تتأثر بالعداء والتنافس الذي يدور بين أولئك الحكام لأهميتها الدينية⁷.

وخلاصة القول أن الدولة المدينة السومرية قد انحصرت في نشأتها على شخصية الإين "الكاهن" ، هذه الأخيرة هي التي تصنع القرار السياسي والاقتصادي والديني ، وتساعد بطبيعة الحال هيئة من المشرفين والموظفين والكهنة

¹ نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص23.

² ل. ديلابورت، المرجع السابق، ص69.

³ Jean Pierre Grégoire , Arch. Adm. SU , Librairie Orientaliste Paul Geuthner , Paris ,1970, XV.

*أرجع المؤرخون سبب تشييد السومريون مدنهم ومعابدهم في أماكن مرتفعة إلى تأثير طبيعة وطنهم الأصلي والأول على دينهم ، حيث كانوا يسكنون في مناطق جبلية قبل نزوحهم إلى أرض الجزيرة ،ومن ثم كانوا يجعلون قدس معبودهم في مكان مرتفع خصوصا وأن وطنهم الجديد كان عرضة لفيضانات الأنهار، فضلا عن اعتقادهم السائد أن المكان المرتفع يجعلهم أكثر قربا إلى الآلهة ، وتضرعاتهم إليه تكون أكثر قابلية، أنظر: حسن الباشا ، المرجع السابق، ص35.

⁴ Samuel Noah Kramer ,the sumérians ,op-cit ,p80.

⁵ هنري فرانكفورت ، المرجع السابق ، ص66-67.

⁶ عبد المنعم أبو بكر، حضارة مصر والشرق القديم، دار مصر للطباعة، القاهرة، ص 274.

⁷ عبد الرزاق عباس حسين، نشأة مدن العراق وتطورها، المطبعة الفنية الحديثة بغداد، 1973، ص16، André Parrot, op-cit, p96.

تكون خاضعة تحت إشرافه المباشر، إلا انه ينبغي نذكر بان حجم الوحدة السياسية وثقلها لم يكن ثابتا نتيجة النزاعات والحروب الداخلية ما بين المدن .

(ب) الإدارة السياسية للدولة المدينة (دولة القصر) :

لقد رافق التطور الحاصل في الدويلات السومرية من ناحية نظمها وتقاليدها وعاداتها وقوانينها وسلالتها الحاكمة تطورا في نظم الحكم، حيث لم يعد الكاهن "اين" قادرا على إدارة شؤون المدينة الدينية والديوية في آن واحد، خاصة بعدما تعقدت الحياة وزادت متطلبات الناس، فانتقل إلى قصر خاص مستقل عن المعبد، ولقب نفسه بلقب الإنسي "Ensi" (بالأكادية ايشاكو)، والذي يعني وكيل الإله أو الفلاح المستأجر، وأصبح اهتمامه الأول بالشؤون الديوية وإدارة البلاد، وحل مشاكل الناس¹.

ومع هذا ظل يمثل الآلهة على الأرض، ويلعب دورا مهما في شؤون الدينية، وفي إدارة مقاطعات المعابد، أما الأمور الدينية البحتة فقد أنيطت لكاهن آخر ظل مقره في المعبد يعاونه في ذلك مجموعة من الكهنة، ويتبعه عدد كبير من الخدم والعاملين في المعبد من مختلف الأصناف والدرجات.

ومع ولادة وظيفة الإنسي "الحاكم الزمني" بدأ الانفصال التدريجي بين السلطتين الدينية والديوية باتجاه إعادة توزيع السلطة بين القصر والمعبد لصالح الملك، لتمتد سلطة هذا الأخير بالهيمنة على شؤون دولته، ولغاية تعيين الكاهن الأعلى حتى يمارس نيابة عنه الشؤون الدينية، حيث أصبح للحاكم قصره الخاص، وبحوله فئة جديدة من الموظفين بغية إدارة شؤون الدولة²، وشهدت كيش أول قصر ملكي مستقل عن المعبد نحو 2700 ق.م بعد الثورة الانقلابية التي قام بها حكامها على كهنة المعبد³.

غير أن بوادر الانفصال التدريجي بين مؤسسة القصر ومؤسسة المعبد، لم يضيق من حكم و نفوذ الكهنة، وانفتح المجال أمامهم ليكون لهم شأن فعال في أوضاع دويلاتهم وسياستها، حيث أصبحت معابدهم تنتفع بنصيب وافر من ثروات المدن وأرضيها الزراعية لدرجة أنهم أصبحوا يذكرون أسماءهم إلى جانب اسم حكامهم مثل: كاهن مدينة لجش دودو (Dudu) الذي ذكر اسمه إلى جانب اسم الحاكم في عهد الملك "أنتيمينا" في حوالي 2450 ق.م⁴.

وفي بعض الأحيان تغلب المشاعية الثيوقراطية على بعض المدن، وسلطة رجال الدين كانت تفوق الاستقلال العادي لتتحول إلى سلطة سياسية مركزية مباشرة مثلما حدث في مدينة لجش في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد، وعندما

¹ طه باقر، ج2، المرجع السابق، ص48.

² عبد الوهاب حميد رشيد، حضارة وادي الرافدين "ميزوبوتاميا"، ط1، دار المدى بغداد، 2004، ص212.

³ Paul Garelli, le proche –Orient Asiatique des origines ,aux invasions des peuples de la mer , 1èr éditions ,presses Universitaires ,Paris ,1969,p66.

⁴ سامي سعيد الأحدي، السومريون وتراثهم الحضاري، مطبعة الجامعة، بغداد، 1975، ص122،.، cit.p69.، Paul Garelli, op

حكم الكهنة عشرين عاما قبل ثورة أوروكاجينا* الاجتماعية، وإعادة الحرية لسكانها الذين كانوا يعانون من ابتزاز الكهنة واستغلالهم لأموال الشعب.¹

وحسب الدراسات التاريخية أن سلطة ونفوذ الكهنة على مستوى الحكم لم تكن ثابتة، وإنما كانت تتباين بين ضعف السلطة السياسية وقوتها، ففي كثير من الأحيان ما كانت هذه الفئة تستغل ضعف السلطة السياسية لتخضع الملك لهيمنتها أو تبعده عن الحكم حيث استغل بعض الكهنة مناصبهم ومركزهم الإنسي ليفرضوا سلطانهم ويزيدوا من نفوذهم مثلما حدث مع الكاهن " آنتارزي (Enetarzi) " الذي استولى على عرش مدينة لجش، واعتبر نفسه وريث عرشها².

لدرجة أن أصبح الحكام في صراع مكشوف مع كهنة المعبد الذين كانوا ينافسون ويزاحمون في النفوذ قصر الحاكم، وتصور لنا مجهودات أوروكاجينا مدى حدّة الصراع بين الملك والكهنة حيث يذكر هذا الحاكم المفسد التي كانت منتشرة قبل عهده عندما كان الكهنة يغتصبون أموال الشعب السومري، ويستغلون مزارع المعابد، ويستولون على أرزاق الناس³.

هذه الظروف أجبرت أوروكاجينا على التحرك، ووضع حد لتسلط الإنسي وكبار الكهنة على عموم الناس، والتي أطلق عليها " ثورة أوروكاجينا الاجتماعية " وإعادة الحرية لسكان مدينة لجش، كما أعاد هيبة المعبد الدينية المقدسة، ومنع على الكهنة من التدخل في شؤون الحكم، واستبدل لقب " باتيزي " بلقب الملك، وحرّم على رجال السياسة والحكم من التدخل في شؤون المعابد، وأزال سيطرتهم على أملاك الآلهة والفقراء والمساكين⁴، ويقول في مرسومه: "على الكاهن الأكبر ألا يدخل بعد اليوم حديقة لأرملة فيأخذ من خشبها أو يفرض عليها جعلاً يتقاضاها من ثمرها⁵"، وتباهى هذه الملك بأنه وهب شعبه الحرية وخلصهم من استبداد الكهنة وتعد قوانينه السومرية نواة لشريعة حمورابي فيما بعد⁶.

وقد عزز مركز القصر أكثر ضعف حكومة الكهنة عن تلبية متطلبات الشعب السومري والأزمات الحادثة في ممالك دويلات المدن، خاصة في فترة الحروب التي كانت قائمة بين المدن السومرية (بين لجش وأوما / بين الوركاء وكيش)

* أوروكاجينا / أور-إم-كينا : أي المدينة الكلمة الصادقة....، وللمزيد ينظر إلى الفصل الأول من الباب الرابع.

¹ عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص35.

² عبد الرضا الطعان، الفكر السياسي في العراق القديم، دار الخلود للنشر والتوزيع، بيروت، 1981، ص163، Paul Garelli ,op-cit,p69.

³ Paul Garelli ,Ibid ,p69, Jaque Pirenne ,op-cit ,p45.

⁴ George Roux ,La Mésopotamie ,éditions du Seuil ,Paris ,1995,p161 .

⁵ ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص16.

⁶ برهان الدين دلوو، المرجع السابق، ص215، Jaques Pirenne,op-cit ,p45.

، وحتى على المغيرين عليها من دول الجوار، ولما كان الكهنة لا يستطيعون كسب الحرب أصبح القائد المنتصر الحكيم أصل الملكية في نظام الحكم، وهو ما دفع الناس لجعله حاكماً ثم ملكاً، وأطلق عليه لقب الرجل العظيم "لوغال" (Lugal) "أو الرجل الكبير، واكتسب هالة من القدسية¹ .

وكان استخدام هذا اللقب - لوغال - محدود، فلا يلقب الحاكم نفسه به إلا إذا امتدت سلطته إلى بعض المدن المجاورة، ولا سيما مدينة نيبور (نفر) المقدسة، ثم شاع استخدامه وأصبح اللقب الرئيسي لحكام الدويلات السومرية، في حين صار لقب الإنسي لا يطلق إلا للإشارة إلى صفة الملك الدينية المقدسة، وإلى علاقته بالآلهة، كما استخدم لقب اشكو للدلالة على الحكام والولاة الذين كان يعينهم الملك على المدن والمقاطعات التابعة له²، وأمام هذا التطور أصبحت المدينة السومرية تركز على المعبد أولاً، ثم قصر الملك (البيت الكبير) ثانياً، واعتبر من أبرز الأبنية فيها، ويحتوي على مدخلان ضيقان لا يتسع أحدهما لدخول أكثر من شخص، مع مخابئ للحرس على جوانبه لمراقبة الداخلين واعتراضهم إذا لزم الأمر³.

وكشفت التنقيبات الأثرية عن بعض قصور الحكام في عدة مدن مثل قصر مدينة كيش* وأريديو... الخ⁴، واحتوت هذه القصور على وثائق هامة تتعلق بالطقوس الدينية وبأخبار الغزوات، والأعمال الإنشائية المختلفة التي كان الأمراء يقومون بها⁵.

وإذا كان المعبد بيت الرب فإن القصر بيت الملك، وكلاهما كانا على قدر كبير من الأهمية لدى السومريين، ويعكس القصر الملكي في كيش على البعد الأفقي في العمارة السومرية، وفي المقابل تعكس لنا الزاقيات وبعض المعابد على البعد العمودي⁶.

ومجمل القول أن السومريون لم يعرفوا النظام الملكي إلا بعد انهيار دولة المعبد والتخلص من استبداد الكهنة، بعد ظهور حكام رفضوا الانصياع وراء مصالح رجال الدين خاصة بعد الانفصال التدريجي بين السلطة الزمنية

¹ عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص 35.

² طه باقر، ج 2، المرجع السابق، ص 48-49.

³ سامي ريجانا، المرجع السابق، ص 69.

* قصر كيش: بني من اللبن فوق ربة صناعية، وبقيت من أطلاله الأجزاء السفلى من جدرانها المتناسكة، وجزء من درجه وقواعد بعض أعمدته، ويظهر درجه الصاعد على سفح الربة المؤدي إلى مدخل مزخرف، يليه فناء مكشوف ذو أساطين من الآجر، يمتد الضوء منه إلى الغرف الداخلية المتصلة به، وقيام سقف قاعات القصر الرئيسية على أساطين من الآجر أيضاً، وزينت بعض جدرانها بلوحات سوداء من الشست، طعمت بأصداف ومناظر ترمز إلى انتصارات أصحاب القصر وجانب مما كان يجري في ضياعهم الزراعية من تربية الماشية والماعز وحليها....، أنظر: صالح عبد العزيز، المرجع السابق، ص 613-614.

George Roux, la mésopotamie, op-cit, p161

⁵ عبد المنعم أبو بكر، المرجع السابق، ص 276.

⁶ عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص 49، p100، Andre Parrot, op-cit

والدينية، وهو ما يفسر استخدام بعض الباتيزي في مرحلة لاحقة لقبهم السومري لوكال (سيدا أو ملكا)، وتجاوزوا بذلك مرحلة سلطة المعبد والإمارة إلى مرحلة سلطة الدولة ذات النظام الملكي¹.

3- عوامل قيام نظام الدولة المدنية: تباينت العوامل والأسباب المؤدية لظهور الدولة المدنية في بلاد سومر، والتي ساهمت بنسبة كبيرة في تطوره والإنفراد بالزعامة السياسية على جميع الشعوب، ولعل من أهم العوامل المساهمة في ذلك :

أ) العوامل الطبيعية:

- كان لطبيعة البلاد الجغرافية وطبيعة بيئتها، الأثر الفعال في نشوء أولى أنظمة الحكم وأسلوب تطورها من الأنظمة البدائية إلى نظام دويلات المدن فنظام القطر الواحد الذي تكرس منذ أواسط الألف الثالثة قبل الميلاد في عهد الدولة الأكادية².

- شكل ظهور القرى الكبيرة الأولى ثم المدن علامة بارزة على مدى مقدرة الإنسان الجبارة في تفوقه على الكثير من الظواهر الطبيعية، وهي المقدرة التي لا تتجلى إلا عند ظهور عناصر التحدي التي تعمل على إثارة القدرات العقلية المختلفة للتفكير الهادف إلى تأمين كافة الوسائل لاستغلال كل ما في الطبيعة لتحقيق غايات الإنسان، بتحويل عناصرها جميعاً لخدمته بدل أن تكون جالبة للخراب والدمار، وذلك بزراعة الإنسان الرافدي البدائي المواسم بعد الفيضانات، وتكيفه في نفس الوقت مع التغير الحاصل للأرض ومجري المياه وتأمين مستقراتهم الزراعية من غدر الفيضانات، وهذه من أهم المؤشرات الأولى لظهور القرى الثابتة التي تطورت مع مرور الزمن إلى مدن كبرى³.

فمن خلال استعراض تاريخ العراق القديم، يلاحظ أن أولى الأنظمة الحكم، وأولى الحضارات الناضجة لم تزدهر في الشمال، بل في القسم الجنوبي -بلاد سومر- من العراق وهذا راجع إلى طبيعة البلاد الجغرافية و أثرها الواضح في نشوء التنظيم السياسي السومري، ففي القسم الشمالي من العراق كانت مستوطنات الإنسان الدائمة الأولى مستوطنات زراعية بالدرجة الأولى، وعلى صيد الحيوانات وجمع النباتات البرية، واعتمدت زراعتها على أمطار المنطقة الغزيرة، وفي نفس الوقت مؤمنة من أخطار الفيضانات المدمرة بسبب بعد مستوطناتها عن وديان الأنهار، وبالتالي لا تؤثر الفيضانات كثيراً على المناطق والأراضي المجاورة، ولهذا كانت الجهود المبذولة من طرف الإنسان لا تستدعي توحيد الجماعات وتكثيف الجهود، وتنظيمها للقيام بمشاريع الري الضخمة، والاكتفاء فقط

¹ توفيق سليمان، المرجع السابق، ص 100.

² عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 245.

³ عمر محمد صبحي عبد الحي، المرجع السابق، ص 118.

بإنتاج القوت ،ولذلك ظلت المستوطنات الواقعة في القسم الشمالي صغيرة ومحدودة ،ومكتفية بما لديها من أراض ومياه وقوة وجهود¹.

- أما في القسم الجنوبي من البلاد -سومر- ،فكانت المنطقة ذات تربة خصبة ومياه وفيرة ،لكن طبيعة المنطقة قاسية جدًا ،حيث تتكرر الفيضانات في مواسم غير مناسبة للزراعة ،فتغمر سهولها الواسعة تاركة وراءها طبقة سميكة من الطمي والغرين اللذين يزيدان من خصوبة تربتها .

لكن هذه الفيضانات تهدد السكان ومزروعاتهم ومستوطناتهم بالدمار والخراب، وهو ما استدعى من سكانها تكثيف جهودهم أكثر للتصدي لمخاطرها، من أعمال تجفيف الأراضي وشق القنوات لتأمين إيصال المياه إلى الأراضي الزراعية، وبالتالي أثر العامل الطبيعي كثيرا في ظهور الدولة المدينة².

-تميزت منطقة وادي الرافدين ومنطقة الأهوار* جنوب العراق-مقر إقامة السومريين الأوائل- بصعوبة الحياة بسبب حرارة الجو الحارقة ،ونسبة الملوحة الناجمة عن تجفيف الأراضي والتبخر السريع للمياه بعد الفيضان، أو بسبب ارتفاع المياه الجوفية والمحتوية على نسبة عالية من الأملاح تصعد إلى السطح لتغطي كافة الأراضي بالأملاح البلورية البيضاء التي تمنع الزراعة في العديد من المناطق وعلى وجه الخصوص القسم الجنوبي من العراق الذي تأثر سلبا من حيث المنتج الزراعي ، و أمام هذه الظاهرة الطبيعية، توجب على سكان المنطقة بذل جهود شاقة لترويض بيئته القاسية، وانعكس هذا الصراع البشري مع الطبيعة في ظهور أول المجتمعات السياسية³.

-غنى المنطقة بالموارد المائية وتعدد مصادرها من النهرين العظيمين (الدجلة والفرات)⁴ ، إضافة إلى العديد من الروافد التي تصب فيها ،وتخترق أراضي واسعة ،ما جعل معظم المدن السومرية تشيد على ضفاف هذه الموارد بغية توفير كل عوامل التطور والاستقرار⁵.

- تعرض القسم الجنوبي من العراق للكثير من العواصف الرملية القاتلة في ظل قلة الأمطار التي كانت شحيحة ،وقد تنقطع نهائيا ،فينتاب الجفاف ويعم القحط والجفاف حيث وجب على سكان المنطقة التغلب على تلك

¹ طه باقر، ج2، المرجع السابق ، ص46.

²فاضل عبد الواحد علي وآخرون، المرجع السابق، ص46، John Hawood ,op-cit ,p24.

*الأهوار : (ج.م/هور) : البحيرة التي تجري إليها مياه الأمطار والجبال ، وتتسع مع مرور الزمن ..،أنظر :قاموس مرشد الطلاب الجديد "المصور" ،عربي-عربي، منشورات المرشد الجزائرية ،الجزائر ،2009، ص297.

³سمير الطائي ،المرجع السابق ،ص31.

⁴ Leonard W. King , Litt.D.F.S.A , op-cit, p7.

⁵عبد الرزاق عباس حسين ،المرجع السابق ،ص11، Daniel Arnaud , op-cit ,p7.

الصعاب وتسخير الطبيعة القاسية لخدمته¹، وتوحيد الجهود أكثر وتكاثف الجماعات للقيام بمشاريع عامة ضخمة لتجنب أخطار العواصف والفيضانات والاستفادة من مياهها، كإقامة السدود والخزانات وشق الترع والجداول².

- وطبيعي أن تلك المشاريع الضخمة تتطلب إدارة وقيادة مركزية حازمة، تسيطر على الجهود وتنظم وتوجه العمل، وتسخره لخدمة الجماعة وفق خطط معينة، فكان أن ظهرت أولى الإدارات المركزية التي كانت النواة لأولى الحكومات، وأولى أنظمة الحكم، والمساهمة في ظهور الدولة المدينة في سومر³.

- انقسام المنطقة الجنوبية من العراق جغرافياً إلى عدّة أجزاء تفصل بينها الأنهار والأهوار والمستنقعات، بسبب تعدد الموارد المائية التي اعتبرت منذ القدم أساس قيام المدن وتطورها وظهور أكثر من إدارة مركزية واحدة في المنطقة منذ مطلع الألف الثالثة قبل الميلاد، خاصة اهتمام ملوكها بمشاريع الريّ وتفاجرهم بقيامهم بها، واعتبروا ذلك من واجباتهم الدينية والدنيوية، وأرّخوا السنين بمثل هذه الأحداث⁴.

- إدراك الإنسان الرافدي القديم لفكرة الاستقرار الدائم في بيوت ثابتة مبنية على الطوب واللبن بدلا من بناء الأكواخ المكونة من الأعشاب الجافة والسريعة التلف والخراب والتي يمكن بناؤها في وقت ضيق، وتنهار بشكل أسرع، لكن بعد اكتشافه لأسرار السكن الآمن لجميع المخاطر من خلال اكتشافه المقدرة على تنظيف مجاري المياه وإقامة السدود والزراعة المروية و القائمة على تخفيف الأرض، و ربيها بواسطة الجهد الإنساني عن طريق إيصاله للمياه اللازمة للأرض المزروعة، وبالتالي الاستفادة من الظروف الطبيعية ووضعها في خدمته ليكون له التقدم والتحضر⁵.

- صقل مواهب أولئك الأقوام السومرية وعقولهم، وإيجاد حركة فكرية عنيفة أدت إلى تقدمهم في مضمار الحضارة والثقافة، وإلى إيجاد نظام سياسي ملائم لظروفهم الطبيعية والسياسية فحياة السهول والأنهار كانت تعرض الناس لهجمات الحيوانات المفترسة واعتداءات الجماعات البشرية المجاورة.

- فالظروف الأمنية وجبت على القاطنين بسومر على العيش في المنازل وتشبيد المدن وتقسيم الأعمال فيما بينهم لسد حاجياتهم التي أخذت تتعدد وتنوع، كما استوجب وجود نظام اجتماعي متطور، يتضمن التشكيلات السياسية الحكومية و الأعراف و القوانين لحفظ النظام في المدن⁶.

¹فاضل عبد الواحد وآخرون، المرجع السابق، ص47.

Barbara A.Somervill , op-cit , p8.

² طه باقر، ج2، المرجع السابق، ص47.

³ محمود شاكر، المرجع السابق، ص16.

⁴ عمر محمد صبحي عبد الحي، المرجع السابق، ص119-7-5.

⁵ اي. ايل. ملرش، المرجع السابق، ص5.

- اختلاف إنتاج التربة وتباين توزيعها ومدى قرب الحقول الزراعية أو بعدها عن مصادر المياه الاروائية في خلق مجتمع طبقي، ونشوب صراعات وخلافات حول الحدود، فنتج عنها تكتلات وتجمعات سكانية بين ذوي المصالح المشتركة استعدادا للهجوم والدفاع عن مصالحها، كما أدى تعقد ظروف الحياة في السهول الرسوبية إلى تسهيل عملية التحضر ونمو المدن القديمة، فقد كانت هناك حاجة لسلطة تتوسط بين الرعاة والفلاحين و صانع المحراث والحارث، والبائع والمشتري... الخ¹.

ب) العوامل السياسية :

- ظهور الديمقراطية البدائية لأول مرة في سومر -المهد الأول-، ويعود لهذه السياسة الفضل في تشكل المدينة السومرية في بداية الألف الثالثة قبل الميلاد و تطورها، حيث عقد أول مرة برلمان في التاريخ فيها، وتألف من مجلسين: مجلس الأعيان (شيوخ المدينة أو المسنين) ومجلس الأحرار(العموم أو النواب).

ويجتمع المجلسان للإشراف على أمور المدينة من اتخاذ القرارات الضرورية في الحالات الطارئة والظروف التي تحتاج إلى قرار حاسم، ولعل ما يميز هذا البرلمان هو تمتع المواطنين بحق الكلام والتعبير²، وتتضح ديمقراطية سومر في قصة جلجامش عندما تسلم إنذار حاكم مدينة كيش المجاورة بالاستسلام أو الحرب، عرض الأمر على مجلس الشيوخ أولاً ثم على مجلس النواب قبل أن يتخذ قراره³.

- النزاع وعدم الاستقرار بين التجمعات السكنية البدائية (القرى)، حيث كانت في حالة حروب ونزاع مستمر بعضها مع البعض الآخر بهدف الاستيلاء على أكبر جزء من الأراضي والسيطرة على الطرق التجارية المؤدية إلى مواد الخام، فقد قامت محاولات عديدة لتشكيل أولى الإدارات المركزية، وضم أكبر عدد ممكن من القرى والتجمعات السكنية و صهرها تحت لواء المدينة الواحدة، ولم يتحقق هذه الوحدة السياسية إلى غاية الألف الثالثة قبل الميلاد⁴.

- كانت بلاد الرافدين خاصة المنطقة الجنوبية منه مفتوحة أمام الأقوام الغازية من الشرق والشمال والغرب⁵، ما أدى إلى تعرضها إلى هجمات تلك الأقوام الوافدة، وإلى اختلاط السومريين مع أناس يختلفون عنهم في الطباع والعادات، وما يتبع ذلك من عنف وتدمير وتبدل في التكوين الاجتماعي، السياسي... الخ، حتى أن ذلك لم يمنع من انقراض بعض المدن بأكملها، ولم يبق منها سوى الآثار المكتشفة مثل: المعاويل والفؤوس... الخ، وبذلك يقول لي

¹ عبد الرزاق عباس حسين، المرجع السابق، ص10.

² صامويل نوح كيرمر، من ألواح سومر، المرجع السابق، ص91.

³ عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص108.

⁴ محمود شاكر، المرجع السابق، ص41.

⁵ صالح أحمد العلي، العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983، ص182.

أوينهام في كتابه "بلاد ما بين النهرين": "أنا نعرف بأن جميع مدن ما بين النهرين الكبيرة والصغيرة قد دمرت لمرات عديدة بواسطة الحروب"¹.

- دور الرق في ظهور الدولة المدينة، ونضجه أكثر في بلاد الرافدين علما أن السومريين كانوا أول الشعوب التي جعلت للرق نظاما رسميا، حيث كانت الغالبية العظمى من الأرقاء من أسرى الحرب و أرقاء الديون، واستغلالهم في الأعمال الشاقة التي تتطلب الإنجاز، بعد إدراكهم أن العدو يمكن الانتفاع منه حيا بدلا من قتله، وهو ما ساهم أكثر في استقرار السومريين وتغيير من تفكيرهم بالتنقل والارتحال، والاستفادة من هذه الطبقة في تطوير مدتهم في جميع النواحي².

- استفادة المدن السومرية التي ازدهرت في عصر فجر السلالات مثل: لجش، أور، آدب... الخ من حضارة قديمة سابقة، وذات مقومات حضارية هامة و قيمة، وقيامها في نفس الوقت على بقايا وآثار هذه القرى القديمة التابعة لدور العبيد، والذي ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ 3500 ق.م³، فقد أسس سكان العبيد القرى التي طورها السومريون فيما بعد إلى بلدات و مدن كبرى حول المعابد⁴.

فقد أخذت عنها المقومات الحضارية الأولى من طريقتها في الصناعة والبناء و التعدين... الخ، وهي كلها ساهمت في تحقيق الازدهار الحضاري وظهور أنظمة سياسية متطورة والمتمثلة في الدولة المدينة⁵.

- وضع المنطقة سياسيا و دور بعض القرى المنيعه والمحصنة في جلب السكان تحت لوائها، وتقديمها الحماية للسكان المحليين ضد الطامعين في ثرواتهم، ففي أوقات الخطر و الأزمات جذبت إليها السكان من المناطق المجاورة والتي أقل أمانا و تحصينا منها.

وبهذه الطريقة تحولت العديد من القرى المنيعه إلى مدن ذات سكان أكثر عددا وتنوعا وبقيت محافظة على هذا التميز حتى بعد زوال الخطر من خلال الاحتفاظ بقسم من المهاجرين الذين طلبوا المأوى والعيش الآمن⁶.

ج) العوامل الدينية:

- دور الكهنة في صقل معتقدات سكان العراق القدامى، بأنهم الرجال القائمين على خدمة الآلهة في الأرض، وأنهم الوسطاء بينهم وبين الآلهة والممثلين لهم على الأرض، بتنفيذ أوامرها وقراراتها، خاصة وأن القسم

¹ سمير الطائي، المرجع السابق، ص33.

² رالف لنتون، ج1، المرجع السابق، ص ص 282-283.

³ A.Moortagat , op-cit , pp298-299

⁴ Don Nardo ,op-cit , p14.

⁵ أحمد سوسة، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين، المرجع السابق، ص148.

⁶ عبد الرزاق عباس حسين، المرجع السابق، ص10.

الجنوبي من البلاد كان يعاني من اضطراب في الظواهر الطبيعية (الفيضانات، العواصف... الخ)، وحسب طه باقر فإن أول الحكام وأول من قام بتنظيم الجهود وتسخيرها هم من طبقة الكهنة الذين أطلق عليهم اسم " EN " ، حيث سارعت الأقوام السومرية على تكثيف جهودها، وإنشاء المدن ومنح أمورها للكهنة بغية الحصول على الأمن والاستقرار، والحصانة الإلهية¹.

فقد ساد لدى السومريين القدامى معتقد قديم أن المدن التي تتخلى عنها الآلهة تصبح عرضة لهجمات الأعداء، و عرضة لأشكال المصائب والخرائب ، فبسبب عدم رضا الآلهة دمرت العديد من المدن بأكملها، أو انتقاما من حكامها الذين خالفوا أوامرهم².

- دور المعابد في تماسك المجتمعات سياسيا ، حيث شيدت هذه البنايات الضخمة لتوطيد الرابطة مع القوة التي تعتمد عليها المدينة، فهي لن تعلن عن عظمة الآلهة وجبروتها وحسب وإنما حتى على قدرة المجتمع في بذل جهود ضخمة ، وكانت هذه الهياكل الدينية شاهدة على التقوى وموضع فخر وتباه بين الأقوام السومرية فإلى جانب كونها قد أنشئت لتأمين الحماية المقدسة للمدينة، فإنها أيضا شيدت تعظيما لمعنى المدينة والمواطنة، كونها أنصبه تذكارية تبقى قائمة لزمن طويل³.

فهي بذلك تعلن عن عظمة المدن وقدرتها على منافسة التجمعات والقرى القديمة ومجابهة التحديات الخارجية، التي هددت كيانها السياسي.

-إثبات وتأكيد أهمية وفاعلية الديانة السومرية بين جميع الديانات الأخرى ، ومدى قدرتها على حماية المستوطنات الأولى من الظواهر الطبيعية المهتدة من فيضان نهرى الدجلة والفرات ، وتقديسها للحياة السياسية السومرية⁴.

(د) العوامل الاقتصادية:

-ظهور الزراعة في بلاد العراق القديم⁵، والتي شكلت أولى المرتكزات المادية للاستقرار الاجتماعي في ظل بوادر نشأة المجتمعات البشرية وإمكانية تطورها، فالقرية المحتوية على عدد قليل من الخيام في المرحلة الأولى ثم على بيوت جدرانها من اللبن أو من الطين مع معرفة أكبر لتقنيات الزراعة والري .

¹ طه باقر، ج2، المرجع السابق، ص47.

² سمير الطائي، المرجع السابق، ص42.

³ هنري فرانكفورت، المرجع السابق، صص 66-67.

John Haywood ,op-cit, p24

. Daniel Arnaud ,op-cit, p7, John Haywood ,op-cit ,p24

⁴
⁵

ومن هذه القرى البدائية، بدأ الإنسان يتقدم في الوعي والإدراك والمعرفة بالمحيط الطبيعي والاجتماعي، وربط علاقات مع المجتمعات المجاورة، خاصة وأن العمل الزراعي في السهول يتطلب تكثيف الجهود وتوحيد العمل لجعل الأرض صالحة للزراعة وتأمين ربيها، ففي حدود الألف الخامسة قبل الميلاد، قامت الزراعة المروية على الجهد والإرادة والصبر البشري لتأمين كل الوسائل والطرق المؤدية لاستصلاح الأراضي الزراعية، وبذلك فهم الإنسان العراقي القديم كل شروط الظروف الطبيعية التي يعيش فيها، وإدراكه اختلاف ارتفاع منسوب الدجلة عن منسوب نهر الفرات في الجنوب خاصة وأن فيضان النهرين يكون في موسم الزراعة الصيفية .

كان لهذه الجهود المبذولة الفضل الكبير في تطويع العناصر الطبيعية المختلفة ونمو المجتمعات العراقية القديمة، ومن ثمة ظهور القرى الكبيرة، فالمدن التي أصبحت المركز أو المحور الرئيسي الذي تدور حوله حياة الدويلات المدن منذ الألف الثالثة قبل الميلاد مثل: أور، لجش، الوركاء¹، ولذلك كان يطلق على هذه المدن البدائية مصطلح "المدن الزراعية"².

-المنتوج الحضاري الذي شهدته العراق القديم منذ الألف الخامسة قبل الميلاد بظهور السفينة البدائية، التي تم اكتشافها في أواخر الألف الخامسة قبل الميلاد، حيث شكل اكتشافها انقلاباً كبيراً في نوعية المواد التجارية بتوسيع نطاق التجارة، وظهور الأسواق التجارية فضلاً عن محاولة إقامة الموانئ التي ترسو عليها السفن³، وأشهر الموانئ التجارية في سومر يقع في مدينة أور التي كان لها امتياز امتلاك الميناء التجاري على غرار المدن السومرية الأخرى⁴. وبفضل هذا الاكتشاف تحولت القرى الزراعية إلى مدن كبيرة، وتوسعت العلاقات الصناعية والتجارية... الخ، وازدادت حاجة السومريين إلى الاحتكاك أكثر مع الجوار وسرعان ما تحولت هذه الحاجة الاقتصادية إلى تنظيم سياسي فريد⁵.

-نشأت المدن في أرض سومر بعد أن أخذ الفلاحون يتجمعون في أسر نافذة تنفرد بالسيطرة على أراضي شاسعة أما أثناء الحروب استطاعت السيطرة على الغنائم والعربات والعبيد... الخ، وبالتالي بدأت تنمو فئة النبلاء بينما كثر

¹ عمر محمد صبحي عبد الحي، المرجع السابق، ص 42-117، حميد رشيد عبد الوهاب، المرجع السابق، ص 107.

² عبد الرزاق عباس حسين، المرجع السابق، ص 11.

³ فوزي رشيد، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، "القوانين في العراق القديم"، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1988، ص 7.

⁴ Daniel Arnaud ,op-cit ,p8.

⁵ فوزي رشيد، المرجع السابق، ص 7.

الفقراء الخاضعون لنفوذ أولئك الأسر ، وعلى هذا ظهرت الدولة السومرية تأمينا للسيادة ، واحتفظت في نفس الوقت بتقاليد القبائل وجامعة للقرى الصغيرة¹ .

-ازدياد نسبة الإنتاج لتحسن وسائل الري ونمو القوى المنتجة،وتفسخ المشاعية العشيرية إلى أسر فلاحية كبيرة وصغيرة ،وظهور الملكية الخاصة،وتشكل الطبقات الاجتماعية خاصة بعد الزيادة السكانية وحلول الأسرة الأبوية محل الأسرة الأموية،وهي عوامل ساعدت على ظهور الدولة المدينة التي تأسست لتثبيت سلطة ملاك العبيد والأراضي من النبلاء و الأشراف ،وأیضا لقمع انتفاضات الأرقاء والفقراء ،وقد انعكست هذه الظروف إيجابا على الحياة السياسية في بلاد ما بين النهرين في بداية الألف الثالثة قبل الميلاد² .

-اكتشاف حبة الشعير والقمح في بلاد الرافدين، واعتبر هذا الاكتشاف طفرة كبيرة في حياة البشرية، لما لعبته من دور فعال في استقرار ذهن الإنسان وتكوينه للمجتمعات المدنية الصغيرة، والتي تعرف ب"الدولة المدينة"، وما تستدعيه هذه الحبة من قابلية الخزن لمدة طويلة من الخزن دون الحاجة إلى التنقل وترك مكان العيش يوميا، وبالتالي استطاع الإنسان الرافدي من خلال هذا الاكتشاف إلى أن يستقر ويفكر بتنظيم حياته و حياة عائلته ومجتمعه البسيط ضمن الأسرة والعشيرة ،ثم تطورت بعدها إلى القبيلة المكونة من عدد من العشائر ومن ثمّة المدن³ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن زراعة الحبوب الصلبة التي يمكن أن تنتج وتحفظ لمدة طويلة بدون تلف عاملا مؤثرا في ظهور المدن السومرية ، وأن عملية التحضر والتمدن لم تأت جزافا بل كانت نتيجة لتأمين الحاجة الأساسية للإنسان وهي الغذاء ،ومن ثم التفرغ للتفكير بالأمور الحضارية الأخرى⁴ .

-صعوبة المواصلات والتنقل في الفترات الأولى بسبب التنوع الجغرافي للمنطقة (الأقاليم التضاريسية ،الأنهار، الروافد المائية... الخ) ، أن سهلت في ظهور عدّة مراكز إدارية ونمو المدن الكبيرة المستقلة، حيث كانت كل مدينة من تلك المدن تتبعها عدد من القرى والأرياف القريبة ومكتفية ذاتيا ومعتمدة ذاتيا على مواردها المائي وخصوبة تربتها وجهود سكانها المنظمة في ذلك⁵ .

-التطور الاقتصادي للمدن القديمة التي نجحت في عملية إيصال المياه إلى الأراضي الزراعية ،وتحقيقه للزراعة المرتكزة وتربية الحيوانات ،والتي كانت حافزا لحث الإنسان الرافدي على حل المشاكل المعقدة .

¹عزمي سكر ، المرجع السابق ، ص 42.

²برهان الدين دلوو ، المرجع السابق ، ص 251.

³سمير الطائي ، المرجع السابق ، ص 17.

⁴عبد الرزاق عباس حسين ، المرجع السابق ، ص 10.

⁵فاضل عبد الواحد علي ، عامر سليمان ، المرجع السابق ، ص 48.

ويعتبر هذا العمل بدء العهد الحضري الحقيقي ،حيث استطاع أن ينجز أعمالا تبدو مدهشة بالقياس إلى مستوى المعرفة آنذاك ،ولقد أدى ذلك إلى اتساع الإنتاج وظهور الفائض منه الذي أدى بدوره إلى أول انقسام اجتماعي وطبقي واضح: طبقة تعيش على فائض الإنتاج وطبقة تعمل على الزراعة والحرف ،وهذا كله كان في حاجة إلى نوع من التنظيم المركزي المنبثق عنه تكوين المدينة ثم ظهور الدولة التي تتولى نيابة عن المجتمع الأعمال الإنشائية العامة ،وتحمي مصالح مختلف طبقات المجتمع ¹ .

- ضرورة الحاجة إلى الأخشاب والأحجار الكريمة والمعادن (التي تفتقر إليها بلاد الرافدين ،والتي كانت سببا في نمو الأعمال التجارية بين العراق القديم ومنطقة الشرق البحر المتوسط ،لتوفر الأخشاب لديهم،ولقد استطاع الإنسان الرافدي أن يبدع طرقا جديدة في توصيل تلك الأخشاب الثقيلة إلى مراكزه الصناعية،واستدعى هذا الأمر منه الاستقرار بدل السير والتجوال ،وخلق نظام حكومي يلاءم طبيعة نشاطه الاقتصادي ² .

- غنى المنطقة بالعضار(الصلصال) الذي استخدم في بناء المساكن الأولى وإنشاء آكام تعلو مستوى الماء لدرء الفيضان ،وهو ما ساعد على بروز ملامح المدن البدائية خاصة على ضفاف الأنهار ،وشكلت هذه المدن السباقية بإيجاد التنظيم السياسي المتناسك للمجتمع وبداية التطور الحضاري ³ .

- ارتفاع نسبة المحاصيل الزراعية في المدن السومرية القديمة ،وزيادة تخصصها أكثر في المهن اليدوية التي اعتمد الإنسان الرافدي عليها في تنظيم حياته وتطويرها مثل:التعدين، الخبز ،النشاطات التجارية ...الخ،في ظل بروز بؤادر الصراع والسيطرة على المواد الأولية (الطبيعية والصناعية) ،والتفكير في خلق تنظيم سياسي منظم يرتب حياتهم ويسهل عملياتهم الدنيوية ⁴ .

- توصل الإنسان الرافدي إلى اختراع الكتابة (الرمزية ثم التصويرية) التي ساهمت مساهمة فعالة في تطوير الجماعات الإنسانية ،حيث سجلت الاتفاقيات و القوانين والوصايا والصفقات التجارية، حيث شجعت الكتابة السومرية على قيام الوعي السياسي ،حيث أصبح بإمكان أمر الكاهن أو الملك أو خاتمهما أن يذهب إلى أماكن بعيدة عن بصره وصوته ،وامتد نفوذه حتى خارج الدولة المدينة الواحدة ⁵ .

¹ أحمد سوسة ،تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء المشاريع، المرجع السابق، ص106.

² سمير الطائي، المرجع السابق، ص18.

³ برهان الدين دلوو، المرجع السابق، ص24،190، op-cit, John Haywood

John Hawood ,op_cit ,p24.

⁴ هـ، ج، ولز، المرجع السابق، ص24،62، op-cit, John Haywood

وفي الأخير نخلص إلى أن نظام الدولة المدينة هو أقدم وأرقى الأنظمة السياسية الذي انبثق عن الحضارة السومرية في الألف الثالثة قبل الميلاد بفعل عوامل مختلفة (طبيعية سياسية.. الخ)، حيث استطاع الإنسان السومري القديم أن يجسد أول نظام سياسي على أرض الواقع بعدما تطور بشكل طبيعي عن مجتمع ما قبل الميلاد (دور العبيد ،جمدة نصر) إلى مجتمع منظم ومرتكز على أسس حضارية وسياسية بحتة .

جسدت سومر لأول مرة فكرة الدولة عبر التاريخ بانعقاد أول برلمان سياسي منظم ومعرفتها أشكالاً مختلفة من مكنيزمات الدولة كالمملكية (نزولها من السماء على الأرض) والديمقراطية والاستبدادية كان للعامل الديني والطبيعي أثر بارز في ظهور الدولة المدينة ،بعد اقتناع السومريين أن السلطة البشرية تجد الدعم من القوى الغيبية، وأن أولى المدن السومرية لما نشأت كانت حول المعابد بنزول الملكية لأول مرة في مدينة أريدو... الخ، وهو ما أطلق عليه المؤرخون " دولة المعبد".

4-التفويض الإلهي عند السومريين وانتقال السلطة من السماء إلى الأرض :

أ-نزول الملكية: اعتقد العراقيون القدامى بأن الآلهة أوجدت الكثير من المفاهيم والأنظمة، وأن الملكية كانت من بينها، فبعد أن أتمت الآلهة خلق الإنسان أصبح من الضروري تعليمه هذه المفاهيم والمظاهر الحضارية المختلفة، تنظم هذه المفاهيم والأنظمة قوة إلهية، ولهذا برز مظهر الملكية العراقية الأولى ثيوقراطيا (دينيا) ¹، وعلى هذا الأساس كانت الملكية (السلطة) كما يلي :

أ) السلطة في السماء: تعد الملكية في بلاد الرافدين قاعدة حضارية أساسية ، وينظر إليها نظرة تبجيل ، حتى أنهم تصوروا أن ليس بوسع الإنسان أن يعيش بدون قائد ، ولا يمكن أن تسود الطمأنينة والسلام والعدالة في المجتمع دون وجود حاكم يدافع عنها² ، حيث نظر السومريون إلى الناس الذين ليس لهم قائد نظرة الاستياء والشفقة واعتقدوا أن الناس سيصبحون حائرين في أمرهم عند غياب القائد دونما تنظيم أو توجيه ، مما يشكل خطورة قد تؤدي إلى الدمار، ومن بالغ الصعوبة أن يجد المرء عالما منظما أو دولة منظمة بدون أن تكون هناك سلطة عليا تديره ، فاعتقدوا في تفكيرهم بأن الملكية (السلطة) وجدت قبل أن تمارس على الأرض، إذ كانت قابضة في السماء، وتمارس من قبل الآلهة وكانت شارات الملكية موضوعة عند دكة عرش الإله "أنو" ثم نزلت على الأرض³، بعدما خلق الإنسان ليعبد الآلهة وينوب عنها في إدارة شؤون البشر على الأرض، حيث كانت الملكية إحدى الهبات التي منحها الآلهة

¹فاضل عبد الواحد علي، ثم جاء الطوفان - مجلة سومر- مج 31، ج 1+ج 2، بغداد، 1975، ص 4.

²أيلاف سعد علي البصري، وظيفة الإبلاغ في الرسوم الجدارية العراقية والمصرية القديمة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2008، ص 172.

³هنري فرانكفورت، المرجع السابق، ص 69.

لتمكنهم من القيام بواجباتهم اتجاه البشر¹ ، من خلال ربط الإنسان السومري بنصوص نشأة ذلك النظام بالقوى الإلهية ، ويتضح ذلك في قائمة الملوك السومرية التي تنص على نزول الملكية من السماء² ، ويقول النص :

في ذلك الوقت لم يكن قد لبس تاج....

وكان الصولجان ورباط الرأس والتاج والعصا مودعة في السماء أمام آنو...

ثم هبطت الملكية من السماء...³

اعتبر الإله آنو النموذج الأول لكل الحكام ، فهو الملك والحاكم الأقدم ، ومالك الشارات التي ترمز إلى جوهر الملك كالصولجان والتاج ورباط الرأس وعصا الراعي... الخ ، وهذه الشارات قد وجدت قبل أن يعين أي ملك بين البشر ، وقد كانت كلها في السماء بين يدي الإله آنو ، ومن هناك هبطت إلى الأرض⁴ .

وتروي الأساطير السومرية أنه بعد أن شكلت الآلهة "آنو-إنليل-إنكي ونخرساج" ذوي الرؤوس السوداء ، وأوجدت الحيوانات ، وأكثر من النبات ، وبعد أن نزلت الملكية من السماء قام الإله "آنو" بتأسيس المدن السومرية الخمس في "...أماكن طاهرة ونادى بأسمائها وعينها كمراكز للعقائد الدينية ، وأولى هذه المدن هي "أريدو" التي كانت تسمى "نون كي"⁵

وعندما أنزلت الملكية من السماء ، كانت أولا في مدينة أريدو (أبو شهرين) "Eridu" ، وفي أريدو حكم أوليم "Alulim" حوالي 28800 سنة ، وحكم الالجار "Alagar" حوالي 36000 سنة ، ثم انتقلت الملكية من أريدو إلى بادتييرا "Badtibira" ، وفي بادتييرا حكم انمينلو-أنا "Ennenlu-Anna" حوالي 43200 سنة ، ثم حكم انمينجال-أنا "Enmengal Anna" حوالي 28800 سنة ، ثم تبعه الإله دموزي حكم حوالي 36000 سنة ، وانتقلت الملكية من بادتييرا "Badtibira" إلى لاراك "Larak" الذي حكمها ان سيبازي-أنا " Enmendur-Anna" ، وحكم فيها حوالي 21000 سنة ، ثم انتقلت الملكية من سيبازي إلى شروبناك

¹ طه باقر ، ج2 ، المرجع السابق ، ص55.

² أحمد عبد الحليم دراز ، المرجع السابق ، ص105.

³ طه باقر ، ج2 ، المرجع السابق ، ص55.

⁴ ثوركليد جاكوبسين ، ما قبل الفلسفة "الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى" ترجمة إبراهيم جبرا ، مراجعة محمد الأمين مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، بغداد ، 1960 ، ص162.

⁵ محمد بيومي مهران ، مصر والشرق الأدنى القديم "حضارات الشرق الأدنى القديم" ، ج1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2005 ، ص60.

"Shuruppak"، حيث أصبح أوبارتوتو "Abartutu" ملكا وحكم 18600 حوالي سنة، وكانت هذه هي المدن الخمسة وحكامها الثمانية الذين حكموا 241 ألف سنة قبل حادثة الطوفان¹.

وما تجدر الإشارة إليه أنه توالى على الحكم خمس مدن سومرية وهي: أريدو، سبار، شروباك، لاراك بادتييرا، وفي نفس الوقت ثمانية ملوك حكموا قبل الطوفان لمدة بلغت نحو ربع مليون سنة، ثم حدث بعد ذلك الطوفان*، وقد شوهدت آثاره في كثير من المدن الجنوبية²، ثم نزلت الملكية من جديد في مدينة كيش، ويقول النص: "وبعد أن أغرق الطوفان الأرض نزلت الملكية (مرة ثانية) من السماء، وكانت أولا في كيش ثم الوركاء..."³، وتوالى على الحكم ثلاثة وعشرون سلالة في مدة إجمالية تصل إلى 24510 سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ونصف⁴.

وقد عزز الاعتقاد بنزول الملكية من السماء هذا النص الذي يقول: "أن البشر لم يكن يحكمهم ملك، و في ذلك الوقت لم تكن هناك شارات للملك ولا تاج...الصولجان، والتاج وعصابة الرأس وعصا (الراعي) عند الإله أنو من السماء، وحينئذ نزلت الملكية من السماء"، وكان إيمان الإنسان السومري بنزول الملكية من السماء يعني أن الملكية هي التي نزلت من السماء، وليس الملك، ولذلك لم يكن الملك إله⁵، بل احتفظت شارات الملك عند الإله أنو و إنليل، ولكن الآلهة التي كانت في السماء لم تحكم البشر مباشرة على الأرض، ففوضت عنها ملوكا وحكاما لينوبوا عنها ويمثلوها في حكم البشر على الأرض⁶، ولهذا كان يشار إلى الملكية بعبارة الوظائف الانليلية، وتقسم إلى قسمين: - معاقبة المدنيين والمحافظة على النظام في الداخل أولا، وقيادة الحروب وحماية البلاد ثانيا، وعندما تتولى الآلهة الأخرى مهمة السلطة فإنها تعمل بإرشاد من إنليل وأنو وفق:

1 - . Jean Claud planas ,la mésopotamie antique,sumer,babylone et assyrie,par Jean Battéro « la mésopotamie,l'écriture,la raison et dieux,Édition Atlas,n :81

*الطوفان: تعني هذه الكلمة السومرية (Ama-uru)، والبابلية (Abubu) ارتفاع وطغيان المياه، وهو حادث يصوره الأقدمون أنه وقع في عصر موغل في القدم، وكان كونيا أي أنه لم يقتصر على وادي الرافدين فقط، وإنما شمل العالم القديم بأسره، ولكنها فيما بعد أصبحت تعني في الأكادية تعني الدمار و البأس والضرارة، وعثر على أطلاله في بعض المدن السومرية مثل كيش على عمق يزيد عن ثمانية أمتار أسفل التل إضافة إلى كميات كبيرة من القواقع والأسماك التي تعيش في المياه العذبة، وعثر أيضا على أطلاله في مدينة أور على طبقة طمية رسوبية سمكها متران ونصف وفي أسفلها على طبقة أخرى تحوي على مخلفات بشرية....، أنظر:فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص3، عبد المنعم أبو بكر، المرجع السابق، ص270.

² خزعل الماجدي، متون سومر، المرجع السابق، ص42.

³ أحمد عبد الحليم الدراز، تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2010، ص105.

⁴ سامي ريحانا، المرجع السابق، ص64.

⁵ خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص42.

⁶ نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم "حضارة العراق القديم"، ج6، ط1، دار المعارف، مصر، 1961، ص25-26.

أ-1) مجلس الآلهة : اعتقد السومريين أن الآلهة قد اقتسمت المناصب والمسؤوليات فيما بينها ، وأصبح كل اله مسؤولاً على ظاهرة أو شيء معين ، وهكذا تنتظم حركة الظواهر الطبيعية بصورة مستديمة ، وهؤلاء الآلهة كانوا يجتمعون في مجلس خاص يلتقي فيه الأرباب العظام يسمى (بوخور ايلاني) ، ولا يمكن تنفيذ أي أمر دون اخذ موافقة المجلس ، حيث يتم اتخاذ القرارات فيه بالتصويت¹ .

وفي هذا الصدد يشير جاكبسون أن مجلس الآلهة هو السلطة العليا في الكون تتخذ فيه الآلهة القرارات الخطيرة بشأن مصائر البشر والمدن السومرية ، ولكن قبل اتخاذ القرارات كانت المقترحات تبحث وتناقش ، ويتأسس في العادة هذا المجلس اله السماء (آنو) ويقف إلى جانبه ابنه الإله الزوابع (انليل)، الذي يمثل القوة التنفيذية وهو قائد للقوات المسلحة² ، حيث يقول الطعان : " إن مملكة الآلهة صورت كما لو كانت تحكم من قبل الإله الملك بطريقة غير اوتوقراطية ، والمصادر تشير بلا شك إلى انه كان يشاركه في حكمه مجلس كبار الآلهة ، وهذه المملكة تشكل بلا شك مدينة سماوية ، كانت الآلهة الاعتيادية فيها مجرد مواطنين " ³ .

كان لكل اله في المجلس مركزه ، وتخص الآلهة الخمسين بينهم سبعة آلهة أقوالهم فاصلة ، وهم (آنو ، انليل، انكي، نخرسك، اوتو ، إنانا) وظيفتها تقرير مصائر الكائنات الحية ، ولكن إلى جانب الآلهة العظام كان يوجد بلا شك الآلهة الآخرين الذين لا يؤدون إلا دوراً ثانوياً ، وعرفت هذه المجموعة باسم أكيجي (Igili)، وهناك نص آخر لصلاة الإلهة ومباركتهم للإله الأكبر (آنو) :

-يا آنو العظيم لتبارك السماء والأرض .

-ليبارك بابتهاج الآلهة : إنليل وآيا وبلتيل (بعلة ايل) .

-ليبارك معاً الإلهان : سين وشمس وحيث تتجلى .

-ليبارك الإلهان نركال وسيبي بقلب ثابت⁴ .

ومن النماذج التي تطرقت إليها النصوص السومرية حول عمل مجلس الآلهة ، هذه الأخيرة تجتمع لتقرير مصائر البشر بسبب الخطايا التي يرتكبها ، وأن الطريقة التي يصل بها قرار المجلس للبشر تكون عن طريق الحلم ، أهمها مسألة موت إنكيديو ، حيث عقد مجلس الآلهة اجتماعاً بشأن تقرير موت إنسان انكيديو ، إذ ورد في الملحمة أن انكيديو يقول لجلجامش : "يا صاحبي لم اجتمع الآلهة العظام في مجلس الشورى" ، ثم يقول أنكيديو مرة أخرى :

¹ سامي سعيد الأحمد ، المرجع السابق ، ص 199.

² هنري فرانكفورت ، المرجع السابق ، ص ص 176-227.

³ عبد الرضا الطعان ، المرجع السابق ، ص 370.

⁴ يوسف الخوراني ، البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسط الأسيوي القديم ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1974 ، ص 165.

-اسمع أذن الحلم الذي رأيته هذه الليلة

-آنو وإنليل وآيا وشمش السماء كانوا يعقدون فيه المشورة

-فقال آنو لإنليل : ينبغي أن يموت واحد من الاثنين ، الذي اقتطع أشجار الأرز من الجبال

-لكن انليل أجاب : أنكيدو يجب أن يموت وجلجامش لن يموت¹ .

والجدير بالذكر أن الآلهة هي التي تختار دويلات المدن السومرية وحكامها ليحكموا فيها ، وكان الانتخاب لمرة واحدة فقط ، وحين يقرر الاجتماع أن المدة انقضت يصوتون على إسقاط المدينة الحاكمة ، ونقل منصب الملكية إلى مدينة أخرى وحاكم أخرى ، وهناك العديد من الأمثلة نجد فيها الآلهة وهي تمنح لإنسان ما الحكم على البشر مثل : نص تنصيب لبت عشتار² .

أ-2)قرارات مجلس الآلهة : يمكن أن نقسم قرارات الآلهة إلى قسمين :

1-قرارات جماعية : إن القرارات التي تتخذها الآلهة في مجلسها أو تتخذها مجموعة من الآلهة الكبار ذوي النفوذ المرموق في المجلس ، ونتاجها تكون ذات اثر جماعي عام مثلما تشير إليه ملحمة أتراخاسيس ، حيث قرر الآلهة إنزال الكوارث بالبشر ، فبعد تكاثر البشر وتزايد ضحيهم ، قرر الإله إنليل الاجتماع في مجلس الآلهة ، ويقول :

-فقال مخاطبا الآلهة العظام .

-لقد أصبح صخب البشر شديدا علي .

-وقد حرمني ضحيهم النوم .

-فلتقطع المؤمن عن الناس .

-ولتكن ندرة في الزرع حتى تجوعهم³ .

وفي نص آخر يقول :

-إني منفعل بسبب ضحيهم .

-فلنأمر بالوباء ينتشر بين الناس .

-وليقتضي الإله نمتار على صخبهم .

-ولتفتك كالإعصار : الأمراض والأوجاع والأوبئة...⁴ .

¹ سامي سعيد الأحمد ، ملحمة كلكامش ، دار التربية ، بغداد ، 1984 ، ص 317.

² عبد الرضا الطعان ، المرجع السابق ، ص 126.

³ ايج. أي. ملرش ، المرجع السابق ، ص 24.

⁴ ايج. أي. ملرش ، المرجع السابق ، ص 46.

ومن الأمثلة على هذا النوع من القرارات ما نستخلصه من قرار الآلهة العظام الأربعة (آنو ، إنليل ، أنكي ، نخرساک) بتدمير بلاد سومر ، حيث ورد في ميثية بلاد سومر ، كيف الآلهة قررت تدمير مدينة أور وبلاد سومر :
-فقد قرر مصيرها الآلهة آنو وإنليل وأنكي ونماخ .

-أجل مصيرها الذي لا يمكن أن يبدل من يستطيع أن يغيره .

-لقد أرب (آنو) مستوطنات سومر فخاف الناس¹ .

2-ب)قرارات فردية : يخص هذا النوع قرار اله واحد يتسم عادة بكونه من الآلهة الكبار ، وتكون نتائج قراراته ذات طبيعة جماعية عامة ، ففي ميثية أور يذكر مؤلفها أن غضب إنليل قد جلب الكارثة على أور ، وقد سارعت الآلهة إلى ترك هياكلهن في بلاد سومر ، حيث ذهبت نكال زوجة الإله ن نار لوضع طلبها أمام انليل متوسلة الخلاص لمدينتها من دون جدوى ، حيث ما أن قال الإله الأعظم كلمته لتكن كذلك في المجلس المقدس إلا و أصبح الرجوع عن ذلك غير ممكن ، لذلك دمرت أور بجميع هياكلها تماما من قبل العيلاميين² .
ومن الأمثلة أيضا إرسال الآلهة عشتار للثور السماوي إلى الوركاء ، وكانت نتيجة ذلك قتل الثور المئات من رجال مدينة الوركاء³ .

ب-السلطة على الأرض : كانت نشأة الملكية دينية ينوب فيها الملك عن الإله في إدارة شؤون البلاد التي هي ملك الآلهة ، فالإله في نظر الإنسان الرافدي القديم يعتبر سيد المدينة الحقيقي ، لذلك كان الملك لا يقوم بأي نشاط مهما كانت طبيعته إلا بعد استشارة الإله⁴ .

وقد قدر للملك السومري أن يحمل هذه الثقة التي منحتها إياها الآلهة "إنليل" و"عشتار" اللذين أنزلا وظائف الملكية وشارات الملك على الأرض ، فنصب الإله إنليل ملكا على الناس ، ويمنح له صولجانه وينظر إليه بعين الرضا ، على أن يكون جديرا على تحمل أعباء الحكم ، وممن تتوافر فيه صفات لا تتوافر في الناس العاديين ، فاستحق أن يطلق عليه لقب "لوكال" ، فقد ورد في ترتيله إلى الانليل :

1 Samuel Noah Kramer ,the sumérians ,op-cit ,p446.

2أدزارد أتو وآخرون ، قاموس الآلهة والأساطير ، تر: محمد وحيد خياط ، دار الشرق العربي ، بيروت ، ص 159.

3 طه باقر ، مقدمة في أدب ...، المرجع السابق ، ص 112.

4 عبد المنعم أبو بكر وآخرون ، المرجع السابق ، ص 298.

-إنليل من يصل أمره إلى ابعده مكان ، ومن كلمته مقدمة الرب الذي لا يبذل كلامه والذي يقدر المصائر إلى الأبد، والذي يهب أحكام السلطة والسيادة والإمارة ، إنليل اوجد إمارة الراعي ، خلقت إمارته ووضعت التاج على رأسه¹.

وبهذا كانت الملكية بالاختيار الإلهي ، ويرتفع أحيانا إلى مرتبة ابن الإله عن طريق التبني² ، وعندما تنتقل الملكية من مدينة إلى أخرى ، أو من سلالة إلى أخرى يجب على الملك أن يحصل على اعتراف اله نفر به ، لكي يسبغ الشرعية على حكمه في نظر الناس³ ، وبالتالي كان الحكام يجسدون الآلهة في دويلات المدن السومرية عبر مفهوم التفويض الإلهي وتأليه الحكام لأنفسهم، ونظرا لعدم استقرار بلاد سومر سياسيا ، دفع الملوك إلى تفضيل أسطورة التفويض على التأليه ، وله صلاحيات في جميع السلطات السياسية والتنفيذية والدينية... الخ ، وأقيمت له المعابد وصيغت له التماثيل بوصفه ممثلا للآلهة على الأرض⁴.

وحسب هذا الاعتقاد عمل الإنسان السومري على أن تكون حياته السياسية تسير وفق نمط مماثل لتنظيم الآلهة السياسي، لأن حياته السياسية ما هي إلا صورة مماثلة عن تلك الحياة التي يحيها الأرباب في السماء ، ولا يمكن تنفيذ أمر دون موافقة مجلس الآلهة ، فعندما أراد " إنليل " ترشي ابنه "مردوخ" لمنازلة "تيامة" فقد حصل على موافقة مجلس الإله⁵، كما استعان الإله نجرسو -إله مدينة لجش- بمشاور إلهي في حالات الحرب والسلم والبحث في حاجات المدينة⁶.

هذه النظرية اعتمد عليها السومريون في تنظيم حياتهم السياسية تحت ما يعرف بالديمقراطية البدائية "Démocratique Primitive" منذ عصر فجر التاريخ، وهي المرحلة الانتقالية بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية ، بتشبيه حياة الآلهة بحياة البشر مثلما حدث في عملية انتخاب مجلس الآلهة ، والمعروف أيضا هو انتشار مجالس القدماء (Ukkin) في المدن السومرية وانحصرت أدوارها في إدلاء الرأي والاستشارة فقط أمام قرارات الحاكم السومري⁷.

1 Samuel Noah Kramer ,the sumérians ,op-cit ,p384.

2 نجيب ميخائيل إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 25-26.

3 شحيلات والحمداني ، المرجع السابق ، ص 19.

4 جورج سعد ، تطور الفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى ، منشورات الحلبي ، لبنان ، 2000، ص 16.

5 سامي سعيد الأحمد ، المرجع السابق ، ص 120.

6 ثوركليد جاكوبسين ، المرجع السابق ، ص 222.

7 George Roux ,la mésopotamie ,op-cit,p 132-134.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الملكية لم تكن من أصل إنساني، ولكنها أضيفت إلى المجتمع البشري عن طريق الآلهة، فالملك إنسان كلف بمسؤوليات فوق مستوى البشر وتستطيع الآلهة سلبها منه وتحويلها لغيره متى شاءت¹، إذ يتم اختيار الآلهة للملوك عن طريق النظرة الإلهية التي يلقيها الإله على ملك المستقبل، فإذا رفع الإله بصره نحو ملك المستقبل، فإن ذلك يعد دليلاً على تفضيله له لممارسة السلطة على الأرض، أو يتم عن طريق التلفظ باسمه ضمن طقوس دينية معينة².

ولعل من الأسباب التي تستند عليها في اختيار الملوك غريبة في بعض الأحيان والتي تنم عن الاهتمام برفاهية الشعب، وأن تتمتع رعاياهم بالحكم العادل، ولو أن الإنسان السومري كان يؤمن بأنه خلق كخادم للآلهة، وليس من حقه أن يطالب،³ لأن أساس الملكية في العراق القديم هو مبدأ الاختيار الإلهي⁴.

وطبقاً لهذه المعتقد فقد ورد نص سومري للإنسي أورو كاجينا يقول فيه أنه تعاقد مع الإله نجرسو - إله مدينة لجش - للقيام بإصلاحات اجتماعية، وأنه وصل إلى السلطة عن طريق الاختيار الإلهي⁵، حيث ورد نص آخر للحاكم لوجال زاجيري يقول فيه أنه تم اختياره عن طريق الآلهة على أنه... "الابن المولود لنيسابا (Nissaba)* وتغذى باللبن المقدس لننخرساج (Ninhursag)**".

كما ورد نص آخر على لوحة النسر للملك أياناتوم*** الذي ادعى أنه ابن الإله نجرسو والآلهة ننخرساج، كما يذكر أن الآلهة هي التي أرضعته "... وقد وضع بذرة أياناتوم نجرسو وحملت به ننخرساج التي فرحت من أجله و أخذته أياناتوم*** بين ذراعيها وأجلسه على ركبتني ننخرساج التي أرضعته..."⁶

¹ عبد الحليم الدراز، المرجع السابق، ص 106.

² أندري إمار، المرجع السابق، ص 140، عبد الرضا الطعان، المرجع السابق، ص 431.

³ عبد الحليم الدراز، المرجع السابق، ص 106.

⁴ محمد بيومي مهران، مصر والشرق الأدنى القديم...، المرجع السابق، ص 59.

⁵ عمر محمد صبحي عبد الحي، المرجع السابق، ص 149.

* نيسابا: من الآلهة الثانوية السومرية وهي آلهة القصب.

** ننخرساج: أو نينماح (السيدة المبحلة أو الأم الأرض الأصلية، وهي ترتبط في الفكر السومري ب "إنليل" و "أيا" في خلق الجنس البشري....، أنظر: جعفري نارندر، عالم المعرفة "المعتقدات الدينية لدى الشعوب"، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة عبد الغفار مكاوي، الكويت، 1993، ص 14.

*** أياناتوم: هو حاكم مدينة لجش، وهو من أشهر حكامها للدور السياسي والعسكري الذي برز فيه ضد مدينة أوما...، وللمزيد أكثر ينظر الفصل الأول من الباب الرابع.

**** إيانا / إبانانا (Inanna) آلهة الحب والخصوبة والولادة...، أنظر: رشيد الناضوري، المدخل في التحليل الموضوعي...، المرجع السابق، ص 56.

⁶ عبد الحليم الدراز، المرجع السابق، ص 184-185.

أسطورة " صعود إيتانا إلى السماء" ويخاطب في هذه الأسطورة الإله آنو كبار الآلهة بقولهم:

- ما تأمر به تحقق ؟

- وما قول السيد والأمير إلاّ

- ما تأمر أنت به، ولا توافق أنت عليه.

- يا آنو أكلمتك هي العليا .

- من يستطيع أن يقول لها كلا؟

- يا أبا الآلهة، إن أمرت.

- فأمرك أساس السماء والأرض .

- أي إله يستطيع لأمرك ردّا ؟

وآنو بصفته سيد الدنيا المطلق والقوة العليا في الكون ،يوصف بمثل هذه الكلمات :

- يا صاحب الصولجان ،والخاتم ،وال"بالو"

- يا من تدعو إلى الملكية.

- يا سيّد الآلهة، يا من كلمتك هي الغالبة.

- في مجمع الآلهة الكبار المقرر.

- يا رب التاج المجيد، يا مدهشا.

- بقوة فنتتك ،

- يا غالب الزوابع العاتية ،ومرتقي منصة الألوهة

-بجلالك وأبجتك .

-ألفاظ فمك المقدس.

-تصغي إليها الأجيحي .

-والأنوناكي تسير أمامك خائفة .

-و كالأفصاب في مهب الريح .

-تنحني لأوامرك الآلهة.¹

¹ثوركليد جاكوبسين، المرجع السابق، ص163.

وبسبب ارتباط الملكية بالآلهة ، نظر السومريون إلى الحروب بين دويلات المدن السومرية وكأنها حروب بين آلهة هذه المدن ، ويتم عقد الصلح بتوسط آلهة آخري وبأمر من الإله انليل ، لأنه يمثل السلطة السياسية ويمنح الملكية ، و في هذا الصدد تشير النصوص الملكية السومرية إلى النزاع القائم بين حكام سلالة لجش ومدينة أوما المجاورة لها ، حيث ورد في نص سومري :

-إنليل سيد جميع البلدان ،أبو الآلهة حدد الحدود .

-بكلمته الثابتة بين نجرسو (اله لجش الحامي) وبين شارا (اله أوما الحامي)

-عين ميسيليم (ملك كيش) الحدود بالقياس بموجب أمر إلهته ستران -اله الحدود-¹ .

وعندما نقض أوش-حاكم مدينة أوما - الاتفاق ، اضطر نجرسو-اله لجش- إلى شن الحرب على أوما بأمر من إنليل ، وناشد أياناتوم حاكم لجش نخرسك -إلهة مدينة كيش- بأن تنزل غضبها لإنهاء النزاع تماما² ، ولهذا أصبحت ميزة الملكية في سومر هي خضوع الملك وتبعيته للآلهة ، ولا يحق له اتخاذ أي قرار إلا بالعودة إلى مجلس الآلهة .

2-السلالات الحاكمة السومرية من 2800ق.م إلى 2370 ق.م : تعد جداول الملوك السومرية* من أهم

الوثائق التاريخية التي تعد مصدرا أساسيا من مصادر معرفتنا بعصر فجر السلالات ، ويعود زمن تدوينها على الأرجح إلى عصر سلالة أور الثالثة ، وآخر نسخة منها تعود إلى عصر ايسن -لارسا³ ، وما يعاب على هذه القوائم المبالغة في أرقام السنين المخصصة لحكم الملوك ، ولا سيما ملوك ما قبل الطوفان ، فضلا على ذكر

¹ ديلاپورت ، المرجع السابق ، ص 75.

² صامويل نوح كيرمر ، من ألواح سومر، المصدر السابق ، ص 98.

* إثبات الملوك السومرية: إثبات بأسماء السلالات التي حكمت في وادي الرافدين منذ أقدم الأزمان، ففي سنة (2000 ق.م) قام الكتبة السومريون والبابليون بجمع ما وقع تحت أيديهم من كتابات وما تناقلته سلالة ايسن من أخبار وأساطير دونوه بشكل ثبت بأسماء السلالات التي حكمت في عصر فجر السلالات وقد ذكروا فيها أسماء ملوكهم وعدد سنوات حكم كل ملك، أن بداية تدوين هذه القوائم محتمل ترجع إلى زمن اوتوجيكال (2120-2114 ق.م) ملك سلالة الوركاء الثانية الذي حرر البلاد من الكوتيين، أما آخر تدوين لقوائم الملوك السومرية يرجح إلى زمن (أيسن) (2114-2017 ق.م). وتبقى قائمة ثبت الملوك أحيانا المصدر الوحيد عن بعض السلالات التي حكمت في بلاد سومر ولاسيما الفترة المبكرة...،أنظر: فاضل عبد الواحد، من ألواح سومر إلى التوراة ، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر، بغداد ، 1989 ، ص ص134-135، فرج بضمه جي، المتحف العراقي ، مديرية الآثار العامة ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، 1976 ، ص 42.

Charles Keith Maisels , op-cit , p350.

السلالات بشكل متسلسل ومتعاقب ، وعلى الرغم من أن ما كشفته التنقيبات تشير إلى الكثير من هذه السلالات كانت في الواقع متعاصرة كلياً أو جزئياً ، بالإضافة إلى إغفال ذكر بعض السلالات وأسماء الملوك مثل : سلالة لجش و اوما بسبب الاعتبارات السياسية ، أو عدم اعتراف كهنة المعبد الإله انليل في نفر بحكمها¹.



الملحق رقم 29:
القوائم الملكية السومرية .
2

ولعل من أهم السلالات الملكية التي توالى على حكم دويلات المدن السومرية خلال عصر فجر السلالات : (أ) **سلالة كيش الأولى "la première dynastique de Kish"** : حكمت هذه السلالة في بداية الألف الثالثة قبل الميلاد أي في حدود 2800 ق.م ، وهي أول سلالة حكمت بعد الطوفان مباشرة³ ، وهو ما يفسر لنا حقيقة بعض الملوك القدامى الذين اتخذوا لقب كيش كإشارة إلى اتساع سلطاتهم السياسي في البلاد⁴. وتظهر أهمية كيش من خلال أنها السلالة الأولى التي ظهرت في القوائم الملكية بعد الطوفان ، وسجلت هذه الأخيرة ثلاث وعشرين ملكاً حكموا لمدة 24510 سنة وثلاثة أشهر ويومين ونصف يوم⁵.

¹ طه باقر ، مقدمة في تاريخ، المرجع السابق ، ص 289.

² John Haywood , op-cit , p25

³ Barbara A.Somervill , op-cit , p24.

⁴ أحمد سوسة ، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء المشاريع ، المرجع السابق ، ص 388 .

⁵ George Roux, la Mesopotamie, op-cit, p140-

وتضم هذه السلالة اثنا وعشرون أو ثلاثة وعشرون ملكا ،منهم اثنا عشر ملكا ساميا من أقوام الجزيرة العربية ،وستة أسماء سومرية وأربع أسماء من لغة مجهولة ثالثة واسم غير مقروء،ومن خلال هذا التفاوت والتباين في أسماء السلالة يتضح أن هناك اندماج سلمي بين السومريين وأقوام الجزيرة العربية¹، ففي عهد أورنانشة مثلا نزل الساميون الغربيون من مدينة ماري على وادي الفرات إلى الفرات الأسفل ،وبسطوا نفوذهم هناك مثل :أسماء كلبوم"kalbim"أو كلب ،حروف "Qalamum"،عقرب "Zuqaqip"،وهي بدون شك تدل على كوكب من النجوم ،بينما الباقي من الملوك يحملون أسماء سومرية².

وتشير النصوص السومرية أن أول حكام الأسرة الأولى في كيش هو الملك الأسطوري "ايتانا" Etata"الذي جمع بين الصفتين الأسطورية والتاريخية ، ويعتقد أنه حكم لمدة 1560 سنة³ ،حيث يقول النص: "...وعندما وضعت الآلهة أساس المدينة...فوضوا الملك بأن يكون راعيا للبشر....وكان ايتانا هو ذلك الملك...."⁴، ودارت حول اسمه أسطورة الصعود إلى السماء والسقوط قبل بلوغها بغية الحصول على عشبة الولادة، وأنه وصل البحث به إلى أبعد مدى في السموات حيث ركب على ظهر نسر صعد به إلى ارتفاع شاهق مما أدى إلى خوفه وسقوطه⁵.

وتبين هذه الأسطورة أن الملك "ايتانا" قد حرم من الذرية ،فأراد أن يحصل على نبات الولادة الموجود في السماء ،وبعيدا عن البشر ،حتى يضمن وريث عرش كيش .

وفي عهده نجحت مدينة كيش من توحيد مدن سومر المتنافسة، ومد نفوذها وسيادتها على كامل بلاد سومر⁶، وانفردت مدينة كيش دون غيرها من مدن جنوب العراق القديم بقيام أربع أسر حاكمية فيها أثناء عصر الأسرات السومرية المبكرة ،وهي كالتالي :سلالة كيش الأولى وعدد ملوكها 23 ملكا ، وآخر ملوكها آجا "Agga" ،والثانية وعدد ملوكها ثمانية مثل داداسك، وماماكال ،أما السلالة الثالثة حكمها أشهر ملك وهو "كوبابا" ،والسلالة الرابعة فقد حكمها سبع ملوك أولهم "بوزرسين"⁷.

ومن أشهر ملوك هذه السلالة هو الملك اثنان وعشرون"انمي باراجسي" الذي شيد أول قصر ملكي مستقل عن المعبد في مدينة كيش في حوالي 2700 ق.م ، وذكرت القوائم الملكية غزوه لبلاد عيلام على الحدود الجنوبية الشرقية

¹ عبد الحكيم الذنون ،المرجع السابق ،ص29

² George Roux , la mésopotamie , op-cit, P140.

³ Barbara A.Somervill ,op-cit , p25.

⁴ نبيلة محمد عبد الحليم ،المرجع السابق ،ص59.

⁵ رشيد الناظوري ،المدخل في التحليل الموضوعي ،...،المرجع السابق ،ص255.

⁶ أحمد أمين سليم ، ج2، المرجع السابق ،ص170.

⁷ خزعل الماجدي ،المرجع السابق ،ص43.

لبلاد النهرين في إيران، إضافة إلى بناء معبد للإله إنليل (إله الهواء والرياح الرطبة التي تجلب معها الأمطار) في مدينة نغر(نيبور)¹ .

إضافة إلى الملك الذي عرف باسم "ميسيليم" ولقب بملك كيش (شاركيش)، وهو لقب استخدمه الملوك اللاحقين فيما بعد بسبب المكانة الكبيرة التي حققتها مدينة كيش على غيرها من المدن السومرية² . ذاع صيت الملك ميسيليم داخل وخارج بلاد ما بين النهرين، حيث عثر على بعض الآثار التي تحمل اسمه مثل: مقبض الصولجان منحوت من الحجر الكلسي، وجاء فيه مايلي: "...ميسيليم ملك كيش، يأتي معبد نينجرسو ويقدم الصولجان إلى نينجرسو..."، كما برز اسمه على ألواح مكتشفة في إبلا السورية³، وتروي قصة التحكيم على الحدود بين مدينتي لجش وأوما بعد الخلاف الذي نشب بينهما في القرن السابع والعشرين قبل الميلاد وفي نهاية الأمر قبل حكام المدن بتحكيم ميسيليم بعد أن استوحى رأي الآلهة "ستران"، وأقام نصباً تذكاريًا يعين بموجبه الحدود بين المدينتين⁴ .

لكن سلالة كيش دحرت بالسيف والسلاح، ونقلت ملكيتها إلى أوروك (الوركاء) التي أصبحت أكبر منافس لها⁵ .
أسطورة إيتانا والنسر :

ورد في اللوح الأول منها ما يشير إلى بداية نزول الملكية من السماء، واختيار الآلهة لأحد البشر ليتولى مسؤولية حمل النظام الملكي، وتدور القصة حول أحد حكام مدينة كيش، التي ذكرت بعد الطوفان، وورد ذكر الملك الأسطوري إيتانا في قائمة الملوك السومرية، ومما جاء فيها :

- الأنانوكي العظماء الذين قرروا الأقدار.
- جلسوا واجتمع مجلسهم على اليابسة ...
- كانوا يخلقون جهات العالم ويحددون شكله....
- لم يكونوا قد عينوا ملكا على جميع الناس المتوالدة.
- عند ذلك الوقت لم تكن عصبه الرأس والتاج.
- قد صنعا بعد.

Paul Garelli ,op-cit,p p66-67 .

² أحمد أمين سليم، ج2، المرجع السابق، ص.170

Joseph Wiesner, op-cit, pp21-22.

⁴ عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص29.

⁵ سامي ريجانا، المرجع السابق، ص64.

- ولم يكن الصولجان مطعما باللازورد.
- وفي الوقت نفسه(؟) منصة العرش لم تكن قد صنعت بعد.
- والسببتي أحكموا أفعال البوابة في وجه الجيوش (؟).
- [ال...] أحكموا أفعالهم ضد شعوب (أخرى) مقيمة.
- والإيكيكي سوف يقومون بحراسة المدينة.
- الصولجان والتاج والعصبة وعصا (الراعي).
- وضعوا أمام آنو في السماء .
- لم تكن هناك نصيحة لشعبها .
- (وعندئذ) نزلت الملكية من السماء .
- عشثار [أكانت تبحث عن [راع .
- وتبحث في الأعلى والأسفل عن ملك.
- وإنليل كان يبحث عن منضدة عرش لإيتانا .
- "الشباب الذي تبحث عنه عشثار بكل اجتهاد.
- وتبحث دون نهاية [....].
- وها إن ملكا يتم تعيينه على اليابسة ،وفي كيش [تم تعيين].
- ادخل الملكية [....] ¹.

ب) سلالة الوركاء الأولى: " La première dynastique d'Uruk " :أسست هذه السلالة من طرف الملك "مس كي أجا ستر" Meskiaggasher سنة 2750 ق.م² ، وعدد ملوكها اثنا عشر ملكا وحكموا نحو 2310 عاما ،وتعتبر مدة حكم الملوك الثلاثة الأوائل خرافية مثل الملك جلجامش مدة حكمه بلغت 126عاما، إلا أنه ابتداء من الملك الرابع "دوموزي" * الصياد تنخفض مدة حكمه إلى حد معقول ³.

¹ أحمد أمين سليم ،ج5 ،المرجع السابق ،ص191-192.

²

Arnaud Daniel ,op-cit,p 11.

* دوموزي : اله الخصب وتجديد الحياة ، ومحرك الأجنة في الأرحام ، وينتج الحليب ويضعه في الأثدية حسب أساطير سومر...أنظر: حرب طلال ، معجم أعلام الأساطير والخرافات، دار الكتب العلمية ،بيروت ، 1999، ص 74.

³ محمد عبد اللطيف أحمد العلي ،المرجع السابق ،ص64.

وليس لدى المؤرخين معلومات مفصلة حول هؤلاء الملوك اثنا عشر بسبب تعرض معبد الوركاء لترميمات متعددة في أيام الملك أورنامو، واستطاع الملك مس كي أجا ستر "ابن إله الشمس أوتو" أن ييسط حكمه من جبال زاغروس حتى البحر المتوسط، حيث ذهب إلى البحر ثم إلى الجبل، وخلفه ابنه "انمركار" "Enmerkar" الذي جعلته الأساطير السومرية من أنصاف الآلهة، واحتل مدينة "أراثا" في إيران ليحصل على الحجارة والمعادن من أجل بناء المعبد¹.

وجاء بعده على عرش الوركاء ابنه "لوكال باندا" "Lugal Banda" الراعي الصالح الذي ألهته الأساطير وجعلته أبا لجلجامش*، ثم خلفه ابنه دوموزي "Dummuzi" الذي عرف على أنه إله النبات والخضرة، ولقب بالصيد، وقام بمقاومة العيلاميين ومهاجمتهم ووصلتنا أخبار بعض الملوك الأبطال أو نصف الآلهة عن طريق القصائد القديمة مثل: دورة "انمركار" "cycle d'Emerkar" و "دورة لوجال باندا" "cycle de Lugal Banda".

وتعالج هذه القصائد موضوعا واحدا، وهو العلاقات الدبلوماسية والتجارية بين الوركاء وأرطا "Aratta"، وهي بلاد بعيدة تفصلها سبعة جبال عن بلاد سومر، وتقع في إيران وهي بلاد غنية بالذهب والفضة ومختلف الأحجار الكريمة، ولكنها فقيرة من حيث الحبوب ويحكمها ملك كاهن، ويعبدون إنانا (إلهة الحب والحرب والخصوبة)².

ثم تولى العرش فيما بعد الملك جلجامش الذي يعتبر من أشهر ملوك هذه السلالة، وكتبت حوله العديد من الأساطير والقصص، وصورته على أنه شخصية جمعت بين الآلهة والبشر فثلثه إنساني وثلثه إلهي، وحكم لمدة 126 سنة ويحتمل أنه عاش حوالي 2700 ق.م³، ويشكك المختصون في حقيقة هذا الملك، حيث يقول في هذا الصدد بول غارولي: "ذكر هذا الأخير جلجامش في القوائم الملكية إلى جانب معبودات مثل: لوجال باندا" "و دوموزي "Dumuzi"، وفترة الحكم الخيالية التي عرفها ملوك أسرة الوركاء الأولى جعلت الباحثين يشككون في وجود شخصية مثل جلجامش الذي ظهر بلقب إن "En" الذي يعني السيد (الإله)، وليس بلقب لوجال "Lugal" الذي يعني الملك⁴.

وفي عهده وقعت المنافسة بين الوركاء وكيش في حدود 2675 ق.م، وكادت أن تكون حربا من أجل السيادة الكاملة على سومر، غير أن هذا الصراع انتهى بالتصالح و احتفاظ مدينة الوركاء بالسيادة، وخلدت هذه الحادثة من

¹ عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص 30.

* جلجامش: ابن الإله نيسين " ونصف الإله لوجالبندا " "Lugalbanda"...، أنظر: حرب طلال، المرجع السابق، ص 72.

² Géorge Roux, la mésopotamie, op-cit, pp142-143.

³ Samuel Noah Kramer, from the tables of sumer, V 34, Syria, 1957, N3, pp 345-347.

⁴ Paul Garelli, op-cit, p66

طرف شاعر سومري في قصيدة "جلجامش وآجا ملك كيش"، وفيها ذكر أول مجلس شوري في التاريخ مؤلف من مجلسين "مجلس الشيوخ" و "مجلس المحاربين"¹.

والجدير بالذكر أيضا أنه قام بتشيد سور مدينة الوركاء الذي يبلغ طوله تسع كيلومترات، وهو أقدم سور مبني من الطوب، ومجهز بأبراج دفاعية، فضلا عن بنائه لبعض المعابد مثل: معبد الإله إنليل في مدينة نمر، وقدم القرابين المناسبة لمعبود لجش الإله نينجرسو²، وتولى العرش بعده اثنا عشر ملكا، وفي عهدهم أصاب مدينة الوركاء الضعف وأتيحت الفرصة للمدن المنافسة الأخرى لصدارة الدويلات السومرية، وهذه المدينة هي أور³.

3) سلالة أور الأولى : "La première dynastique d'Our" : تروى جداول الملوك السومرية بأن حكم في سلالة أور الأولى خمسة ملوك من سلالة واحدة ، وذلك بعدما انتقلت المملوكية إلى مدينة أور إثر هزيمة مدينة الوركاء في الحرب، كما وردت : "دحرت أوروك في الحرب و نقلت مملوكيتها إلى أور"⁴.

ظهرت هذه السلالة في حدود 2650 ق.م في عهد الملك "مس أني -بادا"، وبلغ عدد حكامها الذين توالوا على حكمها خمسة ملوك لمدة 177 سنة، وأول عمل قام به الملك "مس أني-بادا" هو تشييده للمعبد الضخم في تل العبيد للآلهة نخرساج (سيده الجبل)، والمزين في واجهته بنقوش تتألف من صنوف من الحيوانات مقطوعة من الصدف أو حجر الكلس أو النحاس، بينما على طرفي المعبد شيدت أعمدة ذات فسيفساء، ويعلوه لوح كبير من النحاس ويمثل الطائر الأسطوري "أمد كود"⁵.

ولقد ذكرت القوائم الملكية من الملوك الخمسة الأوائل الذين تعاقبوا على عرش السلالة وفي مقدمتهم كما أسلفنا الذكر "مس أني -بادا" "Mésannipadda" مؤسس سلالة أور الأولى في حوالي 2650 ق.م، وحكم لمدة 80 سنة مناصفة مع ابنه "أنبي -بادا" "Anni-padda"، وخلفهما "مس كياج" "Meskiag" الذي حكم لمدة ستة وثلاثين سنة، ورابع ملوكها يسمى إلولو "Elulu" الذي حكم هو الآخر خمسة وعشرين سنة، وخامس ملك لهذه السلالة حسب القوائم الملكية يدعى "بالولو" "Balulu" حكم لمدة ستة وثلاثين سنة ويعتقد أنه ابن الملك السابق "إلولو"⁶.

¹ عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص 30.

² سامي ريحانا، المرجع السابق، ص 64.

³ السعدي حسن محمد محي الدين، المرجع السابق، ص 57.

⁴ طه باقر، مقدمة...، المرجع السابق، ص 323.

⁵

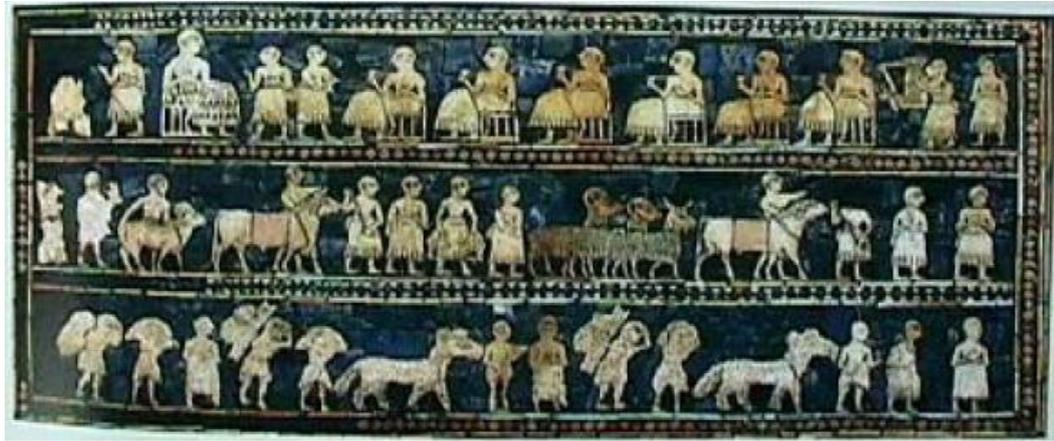
Géorge Contenau, op-cit, p91

Géorge Roux, La Mésopotamie, op-cit, pp150-151, Paul Garelli, op-cit, pp 67-86.

⁶

واستطاع ملوكها فرض سيطرتهم على المناطق المجاورة مثل الملك "مس أني بادا" الذي بسط نفوذه على الأراضي الممتدة من جنوبي العراق ،حتى شمال مدينة نغر (نيبور) العاصمة الدينية التي تحظى بقدسية كبيرة ،و اهتمام ملوك سلالة أور بها ¹ .

ولعل ما أهم اشتهرت به سلالة أور هي تلك اللوحة المشهورة باسم " شعار أور " أو "ساري أور" " L'etandard d'ur" يبلغ طولها 47سم وارتفاعها 22سم،و تحمل وجهين ويظهر فيهما تجمع من أجل الحرب ثم احتفال بالسلام ،وجه يصور حرب غمرتها العربات والمشاة ،وينتظمون في ثلاث صفوف ،في حين أظهرت الصفوف الثلاثة في وجه اللوحة الأخرى عن مشاهد احتفال بالنصر على الأعداء مع العزف على الموسيقى ،ولكن لا تشير هذه اللوحة على طبيعة المعركة ولا على الأعداء ،وهذا ما يقلل من أهميتها التاريخية ² .



3

الملحق رقم 30: يمثل ساري (راية) مدينة أور بالواجهتين الأولى والثانية

¹ السعدي حسن محمد محي الدين ، المرجع السابق ،ص58.

² . Géorge Roux , La Mésopotamie, op-cit, pp150-151, Schmokel Hartmut, op-cit ,pp39,41 .

³ Barbara .A . Someill , op-cit , p 16.

كما كشفت التنقيبات الأثرية التي أجرتها البعثة البريطانية الأمريكية في مدينة أور عامي 1922-1934م عن قبور وكنوز ذهبية وفضية مثل القبور المكونة من سراديب متقنة لدفن ملوك هذه السلالة، وشيدت فوق السراديب والقباب معابد لعبادة الملك المقدس أور وتقديم القرابين له، وعرفت باسم "المقبرة الملكية"* التي وجد في القبر الواحد منها عدا الشخص المدفون على عدد من الأتباع والحاشية، وحتى العربات والحيوانات التي كان يجرها والحلي والمجوهرات النفيسة، وهو ما يفسر أن الملوك إذا توفي أحدهم دفنت معه حاشيته وأتباعه والأثاث العائد له بسبب إيمانهم بالحياة بعد الموت¹.

وفي أواخر حكم هذه السلالة أي في زمن ملكها "أيلولو" وابنه "بالولو"، كانت سلالات أخرى تتطاحن فيما بينها، حيث ظهرت سلالات عيلامية في مدينة آوان، واستولت على العديد من الأراضي في القسم الشرقي من البلاد، كما ظهرت سلالة ماري (تل الحريري) على الفرات الأعلى، ثم ظهر منافس آخر لسلالة أور ملك مدينة لجش "أياناتوم" الذي ضمها إلى سلطانه بعد حوالي قرن من الزمن².

(د) سلالة لجش الأولى " **La première dynastique de Lagash** " : ظهرت هذه السلالة في مدينة لجش (تلو) الواقعة في وسط الطريق بين نهري الدجلة والفرات، وتربع على مساحة 3000 كيلومتر مربع، والاسم القديم لهذه المدينة "جرسو" "Girsu"³.

تزامنت هذه السلالة مع الصراع العيلامي الشرقي من جهة، ومن جهة أخرى مع الصراع الداخلي مع حكام مدينة أوما (تل جوفة الحالية على الفرات الأعلى والواقعة شمال غرب لجش بحوالي 30 كيلومتر)⁴، وبالرغم من هذه الظروف، فقد توالى على عرشها عشر ملوك أقوياء، حكموا زهاء 165 سنة (2520-2355 ق.م)، وتركوا وراءهم أخباراً كثيرة عن مآثرهم العمرانية والحربية، ونصوصاً تاريخية هامة عن تلك الحقبة⁵، ووردت أسماءهم

* المقبرة الملكية: "Cimetière Royal" كشفت التنقيبات التي قام بها الأثري سير ليونارد وولي في مدينة أور في سنتي 1922-1934م على ما يناهز 16 قبراً ملكي، ومنها ما يعود إلى الملكة "شب آد" التي وجدت جثتها في حفرة مستطيلة مع جثث حاشيتها من الوصائف والأتباع، وعلى بقايا عريتين مع حيواناتها من الحمار الوحشي وسائقيهما إضافة إلى الكنوز الذهبية.... أنظر أحمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء...، المرجع السابق، ص40

¹ سامي ريجانا، المرجع السابق، صص 64-65، 74، Pierre Amiet, op-cit,

² عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص31، فرج بصمة جي، المرجع السابق، ص26.

³ Arnaud Daniel, op-cit, p11, Moret Alexandre, op-cit, p342.

⁴ السعدي حسن محمد محي الدين، المرجع السابق، ص61.

⁵ فرج بصمة جي، المرجع السابق، ص26.

كالتالي: أورنيينا (أورنانشة) - أكورجال - أياناتوم - أياناتوم الأول - أياناتوم الثاني - إنتيميننا - أياناتوم الثالث - آنتارزي - لوجال أند - أورو كاجينا (أورانيمكينا)¹.

كانت سلالة لجش من أكبر منافسي أور من الناحية السياسية والعمرائية، ويبدأ تاريخ هذه السلالة بملكها القوي "أورنيينا" (Urnina) أو (أورنانشة) (Ur-Nanshe) الذي حكم [2520 ق.م - 2490 ق.م]، وقد أشارت النصوص التاريخية إلى عدد من الحكام الذين سبقوا أورنانشه، حيث وردت حولهم معلومات قليلة جدا، وفيما يلي أسماء حكام هذه السلالة وأهم إنجازاتهم:

1- الملك انخيكال / اين جين كال (En.he.gal): وهو من الحكام الذين سبقوا الحاكم أور نانشه في حكم لجش، حكم حوالي خمس عشر عاما، ويعتقد انه كان معاصرا لملك كيش (ميسيليم)، وهو بدوره لم يذكر في جدول الإثبات السومري²، ورد اسمه في النصوص الاقتصادية بأنه اشترى ثماني قطع من الأراضي التي يظن أنها كانت تابعة لملك كيش ميسيليم (Meselem)^{3*}، كما خلف سجلا إداريا كتب على لوح حجري بالأراضي الزراعية التي اشتراها، والتي تقدر بنحو (3820 منا)^{4*} من النحاس، كما دخل انخيكال في نزاع مرير مع سلالة اوما المجاورة، وانتهى هذا النزاع من خلال التحكيم الذي قام به ميسيليم - ملك كيش -، وأعطى الحق فيه لسلالة لجش⁵.

2- كورسار: حكم مدة عشرين سنة من [2460-2540 ق.م]، ورد ذكره من قبل الملك ميسيليم، ولا تعرف قرابته أو صلته بالحاكم الذي سبقه، ولا آلية تداول السلطة التي جرت بين الاثنين.

3- لوكال شاكنكر (Lugal. Šagen-gar): يحتمل أن هذا الحاكم حكم في لجش قبل الملك أور - نانشه بجيل أو جيلين، ويرى بعض الباحثين أن نسب سلالة لجش يعود إلى شخص يدعى كونيدو "Konedo" الذي

¹ فوزي رشيد، أورو كاجينا "أول مصلح في التاريخ"، دار الحرية، بغداد، ص 18.
* حول ميسيليم وتوسطه بين اوما ولجش ينظر الفصل الأول من الباب الرابع.

² فوزي رشيد، أورو كاجينا، المرجع السابق، ص 14.

³ William Hallo, William Kelly Simpson, The Ancient Near East A History, America, 1971, p. 51.

* المن: يساوي المن الواحد (505 غم) في الوزن الحالي... أنظر: فوزي رشيد، القوانين في العراق القديم، المرجع السابق، ص 37-38.

⁴ عبد العزيز عثمان، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج 1، دار الفكر الحديث، لبنان، 1967، ص 252.

⁵ فوزي رشيد، أورو كاجينا، المرجع السابق، ص 14.

حكم حوالي عشرين عاما (2540-2520 ق.م) ، ورد ذكره في نصوص ابنه اور نانسه التي أشار فيها إلى أن جده كان يدعى كورسار ، وأن أباه يدعى كونيدو¹ .

4- أورنانشة " Ur-Nanshe " : هو ابن كونيدو ، يعد هذا الحاكم المؤسس الحقيقي لسلالة لجش الأولى ومخلصها من سلالة كيش الثانية ، دام حكمه من (2520-2490 ق.م) أي نحو ثلاثين عاما² ، فقد ازدهرت سلالة لجش في عصره ، وبدأت الأخبار ترد من خلال الكتابات التاريخية عن إنجازاته السياسية والعمرانية والاروائية ، وتمثل فترة حكمه من أزهى عصور لجش ، حيث اشتهر بأعماله الحضارية والثقافية ، بترميم أسوار المدينة ، وإعادة بناء المعابد ، وإقامة التماثيل اعترافا بفضلهم في اعتلاء عرش لجش³ مثل معبد الإله نينجرسو، ومعبد الإلهة نانشة⁴ ، وأخذ يشق القنوات لتنظيم عمليات الري، ففي كثير من الأحيان ما ظهر هذا الملك ممثلا فوق آثاره حاملا سلة بها أدوات مختلفة مما يستعملها ويحتفل مع أفراد أسرته و حاشيته للإنجازات التي قام بها في البناء والتعمير⁵ .



الملحق رقم 31 : الملك أورنانشة وأولاده .⁶

¹ سامي سعيد الأحمد، العراق القديم، المرجع السابق ، ص 269.

² فوزي رشيد ، اوركاجينا، المرجع السابق ، ص ص 15 ، 28.

³ Jastrow Morris, The civilization of Babylonia and Assyria, London, 1975 ,p 128.

⁴ فرج بصمة جي ، المرجع السابق ، ص 27.

⁵ Pierre Amiet ,op-cit ,p73.

⁶ Harmut S chmokol , op-cit , p 29.

كما قام بأعمال عديدة لبناء دولته التي تتربع على مساحة 3000 كيلومتر، والمكونة من عدة تجمعات سكانية أو أحياء : جيسو، الحي المقدس، أورو كوجا، ونينا، وتنتشر حول هذه الأحياء سبعة عشر قرية وثمانية مراكز إدارية، كما حصن المدينة وسورها¹، وأمر بقطع الأخشاب من الجبال البعيدة وإحضارها عن طريق الماء بغرض استخدامها في صنع الأبواب والسقوف²، و ربط علاقات سياسية و اقتصادية مع جزيرة دلمون (البحرين) بهدف استيراد الأخشاب، كما فرض سيطرته على المناطق الجبلية، إذ تشير المصادر انه حصل على الكثير من الضرائب من سكان الجبال وجلبها إلى لجش³.

4- أكور كال "A-kur-gal" : الذي وصل إلى الحكم بعد وفاة أبيه أورنانشه، وبالتالي يمكننا القول بأنه اعتلى العرش بطريقة سلمية، قائمة على مبدأ الوراثة من الأب إلى الابن، حيث حكم حوالي خمس عشر عاما (2470-2490 ق.م)، و لا نعرف عنه الشيء الكثير سوى اسمه وصورته المنقوشين على منحوتات اور نانشه⁴، كما عثر على نصوص مسمارية تعود إليه تخص بناء المعابد⁵، ويبدو أن أكوركال كان ضعيفا بسبب ضغط اوما على لجش، حيث نلمح ذلك من خلال تنازله عن لقب لوكال⁶، واتخاذه لقب ايشاج (ايشاكو)* بدلا عنه، إذ كانت حروبه مع اوما مستمرة، في حين تذكر بعض الكتابات التاريخية أن أكوركال قد دخل أيضا في حرب طويلة مع كيش انتهت بعزله عن العرش وتنصيب ابنه (اياتام) بدلا عنه⁷.

5- "أياناتوم" 2470 ق.م - 2445 ق.م " حفيد الملك أورنانشه، ذاع صيته في الجانب العسكري وتوسعاته على حساب المدن المجاورة مثل: مدينة أوما، كيش... الخ، وهو صاحب مسلة العقبان أو راية النسور الشهيرة الموجودة في متحف اللوفر حاليا، والتي خلدت انتصاراته على مدينة أوما "Umma" والخسائر الثقيلة التي لحقت بها⁸.

1. Arnaud Daniel ,op-cit ,p11.

2. ل.ديلابورت، المرجع السابق، ص 29.

3. William, W. Hallo, The Ancient Near East History, op.cit., p. 51.

4. طه باقر، مقدمة في تاريخ...، ج 1، المرجع السابق، ص 314.

5. موريس لامبرت، عصر ما قبل سرجون، تر: فرج بضمه جي، مجلة سومر، مج 8، ج 1، مديرية الآثار العامة، بغداد، 1952، ص 88.

6. عبد العزيز عثمان، المرجع السابق، ص 253.

* ايشاج (ايشاكو): كلمة بابلية تعني (الإنسي) أو الأمير...، أنظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ...، ج 1، المرجع السابق، ص 314.

Jastrw Morris , op.cit., p. 128.

George Contenau ,op-cit ,p91, André Parrot,op-cit,p135, Pierre Amiet,op-cit,p75.

واستطاع هذا الملك من أن يفرض سيطرة مدينة لجش و على العديد من المدن السومرية ويجعلها تابعة لنفوذه ، إذ فتح نفر وغزا الوركاء ولارسا¹ ، كما فرض سيطرته على مدينة أور بعد أن قضى على حاكمها المسمى بالولو (Balulu) *، وعيّن عليها احد أمرائها حاكما تابعا له المدعو (انشاكوش انا Ensha kush ana) ** ، وقد عثرت التنقيبات الأثرية في أور على بقايا أثرية قديمة ، تعود لدولة لجش² ، وفي هذا الصدد يشير النص التالي إلى سيطرة دولة لجش على مدينة أور:

"ابن اكوركال، أمير لجش، بلاد عيلام قد ضربها، مدينة اوروا، بالسلاح قد ضربها، مدينة اوما بالسلاح قد ضربها، مدينة أور، بالسلاح قد ضربها"³.

وقد كان اياناتوم يعزو كل نصر يحققه إلى إسناد الإله ننجرسو بحجة أن الإله كان يظهر له في المنام، كما أطلق على نفسه اسم (الزوج المحبوب إلى الإلهة انانا) ، وبعد أن وطد الأمن والنظام في الجنوب أرسل حملاته إلى الشرق حيث بلاد عيلام⁴ ، حيث أمن حدوده الشرقية بإخضاع عدة مدن عيلامية على الحدود، وقضى على تهديد العيلاميين للسومريين⁵ ، وقد ذكر ذلك في النص الآتي:

"اياناتم، كسر رأس عيلام، ضم عيلام إلى بلاده، كيش كسر رأسها، ملك أوبس طرد بعيدا إلى بلاده"⁶.

ولعلّ من ابرز النصوص التاريخية التي تتحدث عن انتصارات اياناتوم ذلك الذي يذكر انتصاره على بلاد عيلام والوركاء و أور والذي جاء فيه: "اي – اناتم، أمير لكش، الذي منح القوة من قبل الإله انليل، الذي يغذى

¹ سامي سعيد الأحمد، السومريون، المرجع السابق، ص58.

* بالولو Balulu: الحاكم الرابع والأخير في سلالة أور الأولى ،حكم حوالي 36عاما في منتصف الألف الثالث ق.م و، كانت نهايته نهاية مدينة أور على يد ملك وان /فان ، حيث نقلت الملكية من أور إلى مدينة وان...أنظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ...، ج1، المرجع السابق، ص291.

** انشاكوش انا "Ensha kush ana": حاكم اوروك وهو ابن ابلولو (Elulu) الحاكم السابق على أوروك، غزا انشاكوش انا نيبور وحاصر كيش

وفتحها ،وقد أهدى إلى الإله انليل في نيبور جميع ما غنمه وبذلك صار سيد بلاد سومر...،أنظر: موريس لامبرت، التاريخ السومري، مجلة سومر، مج9،

ج1، دائرة الآثار والتراث ، بغداد ، 1953، ص 55.

² ابو بكر عبد المنعم وآخرون، المرجع السابق ، ص271.

³ موريس لامبرت، عصر ما قبل سرجون ، المرجع السابق، ص55

⁴فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة تموز، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1973 ، ص 145.

⁵عبد القادر الشخيلي، المرجع السابق، ص76.

⁶ عبد الكريم عبد الله ، ملامح الوجود السامي في جنوب العراق، مجلة سومر، مج30، ج1+2، بغداد ، 1974، ص 74.

على الدوام من قبل نخرسك بلبنها، الذي أعلن اسمه نكرسو، الذي اختير من لدن الآلهة نانشه، في قلبها، ابن اكوركال، انسي لجش فتح بلاد عيلام وفتح اوروا وفتح اوما وفتح أور¹

ولكن هذا الانتصار سرعان لم يدم طويلا، إذ سرعان ما قامت مدينة أوما بشورة وخرجت تطلب الثأر، وانتهى الأمر بالقضاء على "أياناتوم"^{**} الذي لم يخلف ولدا، وتولى الحكم بعده أخوه "أياناتوم الثاني" الذي اهتم بالجوانب الدينية، وبأمر المعابد²، وعرف عصره تسلط الكهنة وبسط نفوذهم إلى حد كبير، حيث نحت الكاهن أورهابوب "Ur-Halub" اسمه إلى جانب اسم الملك، إضافة إلى نقش الكاهن الأكبر دودو "Dudu" صورته على دبوس مرفق بشعار المدينة ورمز الإله نينجرسو³.

و من خلال عرضنا لبعض المقتطفات التاريخية من أعمال وإنجازات هؤلاء الملوك، نلاحظ اختلاف وتباين في طريقة الحكم واهتمامات كل ملك سواء من الناحية السياسية أو العسكرية لكل دويلة، مما جعل سلالة لجش أن تكون من أشهر السلالات السومرية نظرا للدور البارز الذي لعبته بين مختلف الدويلات الداخلية والخارجية، ووصول صيتها حتى بلاد عيلام وشبه الجزيرة العربية والفرات الأعلى، وكل ذلك يرجع بطبيعة الحال إلى الملوك الأقوياء الذين ساهموا مساهمة فعالة في رسم هذه الأحداث أمثال: أنتيميئا (2430 - 2400 ق.م)، أوروكاجينا (2365 - 2357 ق.م)^{*}، الخ.

و-سلالة اوما : إن المعلومات التي وردت عن هذه السلالة تتلخص في معاهدة الصلح بين أوما ولجش، فضلا على المعلومات التي وردت في لوح آخر يعود في تاريخه إلى (برا أيروم) زوجة ملك أوما المدعو (كش-شاكيدو)، حيث ذكرت فيها اسم والدها (أورلوما) واسم جدها (أيناكي) واسم زوجها (إل)، وتكمن فائدة هذا اللوح هو أنه عرفنا بالتتابع الزمني لملوك هذه السلالة، وبأسماء ملوك لم يرد ذكرهم في معاهدة الصلح، حيث حكم فيها ستة ملوك لمدة أكثر من 100 عام، وهم (أي أبزو، أوش، ايناكلي، أينادامو، اورلوما، إل كيش شاكيدو، وزوجته بأيروم، بوبو، لوكال زاكيري)⁴، ومن أهم ملوك هذه السلالة نجد :

* اوروا: مدينة تقع ضمن المسافة الفاصلة بين لجش وعيلام وهي اقرب إلى عيلام من لجش...أنظر: فوزي رشيد، القوانين في العراق القديم، المرجع السابق، ص 273.

1 Samuel Noah Kramer, the sumérien, op-cit, p442.

** للمزيد ينظر الفصل الأول من الباب الرابع.

² إسماعيل حلمي محروس، المرجع السابق، ص 12.

³ ديلايورت، المرجع السابق، ص 31.

* للمزيد ينظر إلى الفصل الأول من الباب الرابع.

⁴ فوزي رشيد، أوروكاجينا...، المرجع السابق، ص 15.

-الملك أي أبزو : ورد اسم هذا الحاكم في كتابة تضمنتها ثلاث كسرات من تمثال ذكر حاكم بهيئة أي أبزو (E.Abzu) ، وقد ورد في الكتابة أنه حاكم مدينة أوما ، وقد تم شراء هذا الكسر من قبل أحد المنقبين الفرنسيين واسمه (دي سارزك) في مدينة الشطرة ، وقد قيل له أنها جلبت من موقع أم العقارب ، وقد تم استنساخ الكتابة من قبل (دي سارزك) ، وتضمنت العبارات التالية : "إلى الإله -أي أبزو ملك كشا (أوما) ... بابل كا" ، ويعتقد أن اسم "بابل كا" الذي كتب بجانب اسمه في النص هو والد أي أبزو ، وأنهما حكما في حدود القرن السادس والعشرين قبل الميلاد ، إذ يحتمل إنهما لم يكونا جزءا من الحرب التي نشبت بين مدينتي أوما ولجش¹ .

-الملك أكا : دون اسم هذا الحاكم بهيئة أكا (Agga) على خرزة من العقيق الأحمر ، لم يتم معرفة اسم المدينة التي تعود لها هذه الخرزة ، وقد تضمنت الكتابة مايلي " إلى الإلهة انانا ، أكا ، ملك كيش (أوما) " ² ، ولا يعرف بالتحديد تاريخ حكم هذا الملك ؟ و تاريخ ظهوره وترتيبه بين الملوك الآخرين .

والجدير بالذكر أنه اسمه يتشابه مع اسم حاكم سلالة كيش الأولى (أكا) بن (مبارجيسي) الذي حكم في حدود 2650 ق.م ، ومن هنا تطرح الإشكالية التالية : هل هما نفس الشخص ؟ أم مجرد تشابه في الأسماء فقط ؟ في البداية وفي ظل الانتقادات الموجهة للقائمة الملكية يحتمل أنهما شخص واحد حكم في كلا المدينتين سواء كان في مدينة كيش أو حاكما في أوما ، وهو أمر عادة ما يحصل في عصر فجر السلالات ، لكن هناك من يفند هذا الاحتمال ويعتقد أنه مسألة تشابه الأسماء يعد من الأمور العادية والشائعة في المجتمعات القديمة .

-الملك أوش (Ush) أو كيش (Cish) : (2475-2500 ق.م) عاصر ملك لجش (أكوركال) ، وحكم حوالي 25 سنة ، إذ أن هذا الأخير لم يستطيع الوقوف بوجه حاكم مدينة أوما الذي نقض معاهدة الصلح التي عقدت بين الطرفين حول سهل (كوايدنا) ، والذي تم تحت إشراف حاكم كيش (ميسيليم) ، وكذلك فإنه لم يتمكن من منع استغلال سكان أوما للسهل ، حيث تذكر النصوص أن سكان أوما استمروا في ذلك حتى مجيء الملك أياناتم الذي استطاع السيطرة على السهل مرة أخرى ، ولم يكتف بطردهم بل سمح لهم بزراعة بعض أقسام السهل على أن يدفعوا إلى حكام سلالة لجش حصة من محصول الأراضي التي سمح لهم بزراعتها.

-الملك أينكلي (Enakalli) : (2465-2475 ق.م) : حكم حوالي 50 عاما ، هو ابن الملك (أوش) ، ورد ذكر اسمه في وثيقة أنتمينا بعد الملك أوش ، فضلا على النص المدون على لوحة من الذهب محفوظة اليوم في متحف اللوفر ، ويعتقد أن اللوحة جلبت من موقع جوخة ، وهي تحمل كتابة تعود لإحدى ملكات أوما وهي

Frayne . D.R, Pre . Per . Neo.Sum , Madrid , July , 2010 , p365.
Ibid , p363.

حفيدته (برا أيروم) أو (بارا- كيدو) حسب بعض القراءات ، إذ ذكرته مع كل من والدها (أورلوما) وزوجها (كش-شاكيدو) ووالده (إل) ¹.

وقد سمح هذا النص بالتعرف على بقية الملوك الذين لم يرد اسمهم ضمن وثيقة أنتيمينا ، وفي عهده تغلب عليه ملك لجش أنتيمينا (2430-2400 ق.م)، ووضع مكانه على عرش أوما ابن أخيه الملك أيلي ، وأبرم معاهدة صلح معه في إعادة حقوق مملكة لجش الأولى بأراضيها وإعادة تثبيت الحدود القديمة بين المملكتين .

-الملك أورلوما (Urumma): حكم في حوالي 2470 ق.م، ورد اسم هذا الحاكم في عدة نصوص مثل نص أنتيمينا و الملكة برا أيروم ، بالإضافة إلى نصين آخرين عثر عليهما في موقع أم العقارب ، وهو مدون على لوح فضي ، تمّ شراؤه من قبل المتحف العراقي ، ولهذا النص أهمية كبيرة لأنه يدعم التاريخ السياسي لمدينة أوما ، وكتب فيه : " إلى الإله نكار-با -أي ، أورلوما ، ابن ان كالي ملك أوما ، بنى معبدا له " .

كما ورد ذكره أيضا في لوحة تعريفية من حجر العقيق الأحمر لا يعرف مصدرها ، حيث تضمنت : " إلى الإله أن كالي ، أورلوما ، ملك أوما ابن ان كالي ، ملك أوما ، بنى معبدا له " ².

ومن أهم أعمال هذا الملك هو نقضه للمعاهدة المبرمة بين مدينة أوما ولجش حول سهل (كوايدنا) من جديد ، والتنكر لدفع الجزية التي تمّ الاتفاق عليها في مقابل زراعة بعض أقسام السهل ، بل أنه أقدم على تخفيف قنوات الحدود وتحطيم المسلات التي أقيمت على التراب وألقاها في النار ، مما أدى إلى نشوب الحرب بين السلالتين ، وكان النصر فيها إلى جانب ملك لجش (انتيمينا) ، الذي لاحق جيوش أورلوما*³ ، وقتل الكثير منهم ، فضلا عن ذلك أشتهر ببنائه لمعبدين أحدهما للإله نكار ، والأخر للإله أن كالي** ، وأهم ملوك هذه السلالة وأشهرهم آخر حاكم هو لوكال زاكيري ⁴.

وصفوة القول أن العهد السومري القديم أو ما يسمى بعهد دويلات المدن السومرية (2800-2370 ق.م) يمتد بجذوره إلى أولى مراكز الاستيطان البشري في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين ، حيث تطورت المراكز الزراعية الأولى وتحولت إلى مدن ودويلات تحكمها سلالات ملكية وذلك في العهد الشبيه بالكتابي في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد نتيجة ظروف طبيعية وسياسية و... الخ ، ومن أهم مميزاته هذه المرحلة التاريخية في

¹ فوزي رشيد ، ترجمات لنصوص سومرية ملكية ، بغداد ، 1988 ، ص ص 17-18.

² Frayne .D.R , op-cit , p368.

* للمزيد ينظر إلى الفصل الأول من الباب الرابع.

³ فوزي رشيد ، أوروكاجينا... ، المرجع السابق ، ص ص 13-14.

** هناك اختلاف حول أصل ان كالي ، هل المقصود به الإله المحلي في مدينة أوما أم اسم الحاكم السابق نفسه بعد أن تمّ تأليهه .

⁴ طه باقر ، مقدمة في تاريخ... ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 320.

تاريخ سومر هو الانتقال من دولة المعبد إلى دولة القصر ، والتخلص من سيطرة الكهنة على مقاليد الحكم بعد الانفصال التدريجي النهائي عن المعبد ، استطاع السومريون أن يؤسسوا برلمانا سياسيا يتمتع بالديمقراطية والمواطنة ، بعد تمكنهم من استغلال الظروف المختلفة (الطبيعية ، السياسية ، الدينية ، الاقتصادية) لصالحهم ، وتسليم شؤون الرعية إلى الملوك أو الحكام الأقوياء عبر ما يعرف بالتفويض الإلهي ، فضلا عن ذلك تطور فن العمارة الذي تمثل في بناء المعابد والزقورات والقصور الملكية ، وتطور الآداب والملاحم البطولية التي كانت تدون في أقدم المدارس التعليمية التي كانت تسمى ب(بيت الألواح) ، وأصبح المعلم له مكانة مرموقة في المجتمع السومري ، وإصدار أول و أهم الإصلاحات الاجتماعية في التاريخ القديم ، والمعروف بإصلاحات أوروكا جينا.

الباب الثاني: نظام الرولة المدينة بين الظهور والتأسيس

الفصل الثاني: نظام الرولة المدينة بين مرحلتي الظهور والتطور عند الإغريق

I/ ويلة المدن الإغريقية بين الميثولوجيا والواقعية .

II/ تطور ويلات المدن وارتقاؤها إلى البولس (POLIS) .

1-الرولة المدينة في مرحلة الظهور (1200ق.م , 900-1000ق.م) .

2- الرولة المدينة في مرحلة التكوين (1000ق.م , 800ق.م) .

3-الرولة المدينة في مرحلة التطور(800ق.م , 400ق.م) .

III/-العوامل المؤوية لهذا التطور السياسي عند الإغريق :

1)العوامل الطبيعية :

أ)أهمية الموقع الجغرافي وتأثيراته على الجانب السياسي .

ب)البيئة الجبلية وتأثيرها على التطور السياسي .

ج)الطبيعة البحرية والجزرية لبلد اليونان .

و)الطبيعة النهرية .

ز)طبيعة الإقليم اليوناني .

2)العوامل الاجتماعية:

أ)التكوين البشري والعرقى (البناء السكاني) .

ب) الاستيطان الإغريقي على الساحل الأسيوي والليطالي .

3) العوامل الاقتصادية :

أ) ظهور الأنظمة الاقتصادية .

ب) نظام النقر (العملة) .

4) العوامل الدينية:

أ) واور عبادة الأسرار والأسلاف .

ب) واور العبر الإغريقي .

ج) واور الآلهة الإغريقية .

و) واور الثبنة .

و) واور الملك الكاهن .

❶ مقارنة بين الرولة المدينة عند كل من السومريين والإغريق (برؤية الظهور والتطور) .

تبقى مسألة نشأة نظام الدولة المدينة مسألة غامضة بدليل اختلاف الروايات والأحاديث التاريخية ، فالبعض يرى أنه نشأ منذ لحظة انقسام المجتمعات القديمة بشكل عام والمجتمع الإغريقي بشكل خاص إلى حكام ومحكومين أو رؤساء ومرؤوسين أي أن ظهور هذا النظام مرتبط بظهور الجماعة السياسية فهي لا توجد إلا حيث تكون الجماعة السياسية قد وصلت إلى درجة من التنظيم تجعل لها وجودا مستقلا عن أشخاص الحكام الذين يمارسون السلطة فيها الأمر الذي لا يتحقق إلا بعد وصول تلك التجمعات إلى درجة معينة من الوعي السياسي (المدينة) وعلى الأرجح أن المدينة لم تظهر كمدينة إلا باستقرار الجماعات البشرية ونجاح تلك الجماعات في تشكيل النظام السياسي .

وخلال دراستنا لكيفية نشأة الدولة المدينة عند الإغريق ، وعن بواعث اتخاذ هذا النظام السياسي كمرجعية سياسية قائمة على أن لكل مدينة قلعتها كمركز للحكم السياسي ، ومعناها مركز الحكم الديني باعتباره من ملحقات المدينة كوسائل الدفاع والتحصينات كالأسوار وأبراج المراقبة.... الخ.

I/ دويلة المدن الإغريقية بين الميثولوجيا والواقعية : لا نغفل اثر الميثولوجيا في بلورة مفهوم الدويلات المدن الإغريقية مثلها مثل الدويلات المدن السومرية ، لان ما على الأرض يعد جزءا متمما للنظام الكوني (الإلهي) ، وحياة الناس على الأرض ومؤسساتهم الاجتماعية والاقتصادية مرتبطة بالآلهة¹.

تشير الأبحاث التاريخية أن انتقال أعلى سلطة من اورانوس* إلى كرونوس ثم زيوس تحققت كما تذكر أسطورة نشأة الكون نتيجة تغيرات جذرية حصلت في مبادئ حكم العالم وطرائقه ، ولم يقتصر تأثير هذه التغيرات على العلاقات بين الآلهة أنفسهم وإنما في موقفهم مع الناس²، إذ أن انتقال السلطة الإلهية ينعكس على مدى تطور الناس من البدائية والقبلية من حيث التفرد بالسلطة إلى حياة المدنية المتمثلة بالتفكك العشائري وتكوين دويلة مدن ذات مقومات أساسية (دينية ، اقتصادية ، سياسية .. الخ)، ويعد الإله زيوس هو من يمثل ذلك التطور ولاسيما بعد

¹ ف.س.نرسيبيان ، الفكر السياسي في اليونان القديمة ، تر: حنا عبود ، ط1، مطبعة الأهالي للنشر والتوزيع ، دمشق ، 1999، ص 11.

*اورانوس : هو رب السماء وزوجته جايا ربة الأرض ، يأتي في كل ليلة ليسترخي بجوارها إلا انه كان يكره أبناءه ، وهناك نبوءة بان احد أبناءه سيأخذ مكانه على عرش الآلهة ، لذا كان يتلعثم ليسقطوا في التتاروس (الأرض المظلمة) حتى لا يروا النور ، غير أن زوجته جايا دبرت له حيلة للتخلص منه وأحضرت حديدا وصنعت منه منجلا ودعت ابناها وفي مقدمتهم اقيانوس اله النهر ، كرونوس ، رهيا ، فيمسوتيس... ، إلا أنهم تملكهم الخوف ما عدا كرونوس الذي تربص بابيه اورانوس واخذ المنجل من أمه جايا ، وقضى بذلك على سلالة اورانوس وجاءت بعده سلالة الثانية من حكم كرونوس ...، أنظر: Hesiod , theogony , translated by Hygh G.Erelyn –white , 1914, p17.

² ف.س.نرسيبيان ، المرجع السابق ، ص 11.

سيطرته على العالم الكوني كما يقول النص: " زيوس كبير الآلهة اليونان ، حاكم السماوات ، والد الآلهة والإبطال"¹ ، وبعد سيطرة زيوس على العالم الكوني تم تقسيم الكون بين ثلاثة من الآلهة العظام وهم أبناء كرونوس بقيادة زيوس ، وهذا ما يمثل في تقسيم العالم اليوناني إلى دويلات مدن متعددة كل دويلة لها قوانينها الخاصة التي تحكم بالعدالة ، ويذكر الإله بوسيدون -اله البحر- في نص له: "نحن ثلاث أخوة -أبجبتنا رهيا أبناء كرونوس - زيوس وأنا وهاديس* حاكم المملكة السفلى ثلاثة أجزاء من كل الأشياء الموجودة ، وقد اخذ كل واحد منا ميراثه لقد أجزيت القرعة ، فقضي علي أن اسكن في الأعماق السحيقة ، وان يأخذ هاديس مملكة الليل المظلم ، وأخيرا يأخذ زيوس السماء الواسعة والهواء والغيوم ، وبقيّة الأرض هي الاولمب ملكا مشتركا للجميع"².

يشير النص إلى الفترة المظلمة التي عاشتها اليونان والمجرات الداخلية التي حدثت إبان الزحف الدوري ، ونتيجة هذه التنقلات التي حدثت بين الأقوام اليونانية قسمت تلك الأراضي التي سكنت فيها ، وبعد الاستقرار خرجت من ذلك العالم المظلم إلى عصر تشريع القوانين ونشوء دويلات المدن المتطورة بعضها وصل إلى مرحلة البولس³ ، لكل منها قوانينها الخاصة ، وألتهما التي كانت سبب نشأتها وحاميتها مثل : إلهة أثينا هي إلهة دولة المدينة أثينا منحتها اسمها ودافعت عنها ، وقد أثبتت الوقائع أن نشوء الدويلات المدن الإغريقية كان وراءه عدة عوامل تراوحت بين الطبيعية والدينية والاجتماعية... الخ ، ليتبلور المعنى الحقيقي لها فيما بعد⁴ ، وفي هذا الصدد يقول أرنست باركر: " إن أصل الفكر السياسي مرتبط بالعقلانية الهادئة والواضحة للفكر الإغريقي ، فبدل أن يلقي اليونانيون بأنفسهم في دائرة الدين ويروا هذا العالم بمنظار لاهوتي ، كما فعلت شعوب الهند ويهوذا ، اتخذوا مواقعهم من مملكة الفكر ، وكانت لديهم الجرأة على الاندهاش من الأشياء المرئية ، وعلى طرح أسئلة على أنفسهم بصددها ، وسعوا لإدراك الكون على ضوء العقل... كما أن من السهل عدم إثارة الأسئلة حول معنى علاقات الإنسان بالطبيعة أو حول علاقات الفرد بمؤسسات مثل : الأسرة أو الدولة"⁵.

¹ Hesiod , theogony ,op-cit , p 17.

*هاديس / هيدس: هو أحد الآلهة المجمع الأولمبي ، وهو اله العالم السفلي الذي تنزل إليه الأرواح وأرواح الموتى ، يحكم هذا العالم بالعدل والاستقامة....، أنظر: رجاء كاظم عجيل ، المرجع السابق ، ص 71.

² Macel Detienne , the gods of politics in early greek cities , paris , 2003, p12

³ سعد عبود سمار ، خلود حبيب كريم ، دويلة المدينة اليونانية (نشأتها وتطورها) اسبرطة أمودجا ، مجلة كلية التربية ، ع28، العراق ، 1994 ، ص 229.

⁴ عبد الرضا حسين الطعان وآخرون ، موسوعة الفكر السياسي عبر العصور ، ط1، دار الروافد للنشر والتوزيع ، بيروت ، 2015 ، ص 204.

⁵ أرنست باركر ، النظرية السياسية عند اليونان ، تر: لويس اسكندر ، محمد سليم سالم ، ج1، مؤسسة سجل المغرب، القاهرة ، 1966 ، ص11.

II / تطور دويلات المدن وارتقاؤها إلى البولس (POLIS) :

1-الدولة المدينة في مرحلة الظهور : (1200ق.م / 1000-900ق.م) : أدى نزوح الجماعات اليونانية وانتشارها في العديد من مناطق البحر المتوسط في الفترة الممتدة ما بين القرنين الثاني عشر والسابع قبل الميلاد إلى تمازج هذه الأخيرة مع بعضها البعض على نطاق واسع ، إلى جانب اختلاطها مع شعوب المناطق التي نزحت إليها ، واعتمدت هذه الجماعات باطلاعها على إرث ضخيم نابع من تجارب حضارات متنوعة وفكر متعدد الاتجاهات¹ ، وذلك على عكس ما كان عليه الوضع في بلاد اليونان حيث كانت تلك الفترة الزمنية بداية بدخولها في المرحلة المظلمة بسبب الانحطاط الحضاري الذي عرفته في ظل الحضارات السابقة المينوية والميسينية (الميكانية) ، وكونت هذه الفترة الزمنية الطويلة الممتدة ما بين القرنين الثاني عشر والسابع قبل الميلاد مرحلة تفاعل وتخمير حيث كونت لديها أرضية انطلاقاً حضارية مبدعة في تاريخها وفي تاريخ البشرية جمعاء².

وبالتالي أقام النازحون الجدد في أماكن استقرارهم الجديدة مستعمرات لهم على شواطئ المتوسط ، وشيدوا فيها مدناً مستقلة شبيهة بالتي كانوا يقيمون فيها قبل هجرتهم ، حيث كانت تحكمهم في حالات السلم الأسرة وفي حالات الأزمات والحروب تحكمهم العشيرة ، ففي حالات الأزمات والصراع يتطلب الأمر أن تعمل العشائر مجتمعة حيث يطيع رؤساءها أوامر أقواهم سلطاناً بمعنى تدين المدينة الولاء للمدينة الأخرى الأقوى (الدولة)³ ، حيث تدين لها بالطاعة هم وجيوشهم من الأحرار وأتباعهم العبيد ، والعشيرة جماعة من الناس ينتسبون إلى أصل واحد ويدينون بالولاء والطاعة إلى رئيس واحد ، وحصن هذا الرئيس هو منشأ المدينة ومركزها حتى إذا ما أصبح سلطانه سنة متبعة وشريعة معترفة بها⁴.

وفي هذا الصدد تتجمع حول الحصن عشيرة بعد عشيرة حتى يتكون من مجموعها مجتمع سياسي من ذوي القرى ، وإذا طلب الرئيس عملاً جماعياً من عشيرته أو مدينته دعا أحرارها الذكور إلى اجتماع عام وعرض عليهم اقتراحاً قد يقبلونه وقد يرفضونه ، ولكن أعظم الأعضاء شأناً هم الذين يستطيعون أن يقترحوا تغييره ، وبذلك كانت هذه الجمعية القروية العنصر الديمقراطي الوحيد في هذا المجتمع الأرستقراطي الإقطاعي ، وكان أعظم

¹ عمر عبد الحفي ، المرجع السابق ، 22.

²

Thomas .R.Martin , op-cit , p 37.

³ لطفي عبد الوهاب يحي ، اليونان و... ، المرجع السابق ، ص 100.

⁴ أرنست باركر ، المرجع السابق ، ص 46.

أعضاءها فائدة للدولة أفصحهم لسانا وأقدرهم على التأثير في عامة الشعب¹، وتمتع جميع المواطنين اليونانيين بمواطنة مشتركة وكأعضاء بوليس، وبالتالي شكلت هذه العشائر الوحدات السياسية ووضعو فيها أسس الشعور الإقليمي للهوية اليونانية البدائية².

كان المجتمع اليوناني في البداية مجتمع ريفي، وحتى مدتهم لا تعدو أن تكون قرى تشرف عليها قلاع قائمة فوق التلال المجاورة لها، وفي هذه المناطق الجديدة اختلطت الثقافات ببعضها البعض كالمينوية والكرتية والآخية والدورية مع ثقافات الشرق الأدنى القديم البابلية والأشورية والفينيقية.. الخ³، ونتيجة لهذا التلاحح الحضاري وبعد التفاعل البطيء لمختلف الثقافات إلى بروز مراكز حضارية زاهية شكلت بداية التطور الحضاري الإغريقي الذي انتقل فيما بعد إلى البر اليوناني، لأن اليونانيين عندما اضطروا إلى النزوح أو الهجرة لم يتركوا موطنهم الأصلي إلا من حيث المكان إذ حملوه معهم في وجدانهم بكل ما فيه من تجارب وأفكار وراحوا يتفاعلون مع محيطهم الجديد.

وأهم ما حدث في هذه المرحلة من الناحية السياسية هو ظهور المدينة الدولة وبداية تطورها في العالم الهيليني على غرار المدينة الدولة الفينيقية مثل: بيلوس، فضلا عن بلاد ما بين النهرين مثل: أور، بابل.. الخ⁴، ولم تضم الدولة المدينة الإغريقية في البداية سوى بعض الحقول وبجانبا غابة صغيرة ومرعى صغير، وميناء يؤمن الاتصال بالعالم الخارجي، ولا يتجاوز عدد سكانها في العادة عشرة آلاف نسمة يقطنون في مدينتهم المزودة بسوق ومعبد وساحة عامة (الاجورا) مستوعبين أهمية الحدود الإقليمية⁵.

فشل الإغريق في تحقيق وحدة سياسية كبرى تجمع بين أجزاء بلادهم المختلفة بسبب جغرافية بلادهم الوعرة خاصة فيما يتعلق بالبيئة الجبلية الطاغية على جغرافية اليونان، والتي دفعتهم إلى إيجاد نظام سياسي يتمشى وظروفهم الطبيعية والبشرية ألا وهي إقامة وحدات سياسية صغيرة نواتها المدينة (Polis)، فإن أي فرد مواطن إغريقي من هذه الدول بوسعه أن يتسلق الجبل المشرف على المدينة أي يرى حدود دولته ووطنه في نفس الوقت، و

¹ ول، ديورانت، المرجع السابق، ص 102.

² Eric .d Nelson , Susan K , Allard , op-cit ,p117.

³ Lesley Adikins and Roy .A.Adikings , op-cit , p138.

⁴ عمر عبد الحفي، المرجع السابق، 22.

⁵ Eric .d Nelson , Susan K , Allard Nelson , op-cit ,p117.

في المقابل يعتبر سكان الدويلات المجاورة لمدينته أجنب عنه ، بينما يشعر في داخله أن ثمة رباطا وثيقا يربطه بباقي المواطنين في دولته ، وذلك الرباط هو صلة الرحم والدم ثم جاءت الرابطة المكانية لتعوضها ¹ .

وعلى هذا الأساس يعيش الإغريق في دويلات مستقلة عن بعضهم البعض إلا في بعض الفترات حاولت بعض المدن الكبرى التحكم في المدن الصغيرة اليونانية وفرض السيطرة عليها ، بدلا من الاتحاد معها، خاصة تلك المدن المخاذية لها جغرافيا -الجيران القريبين أحيانا أكثر الأعداء -، لكن في بعض الأحيان يتجسد مفهوم الوحدة القومية عند مواجهة عدو خارجي مثلما حدث خلال الحروب الفارسية الإغريقية ، حيث تحالفت المدن اليونانية مع بعضها البعض بهدف محاربة أطماع ملك الفرس اكسركيس ، ومعظم اليونانيين اعتبروا أنفسهم ليسوا كإغريق وإنما كعضو في دولة -مدينتهم ² .

2-الدولة المدينة في مرحلة التكوين (1000ق.م / 800ق.م) :تبدأ هذه المرحلة في حدود 1000ق.م أي باندثار الحضارة الميكينية (الميسينية) ، حيث مرت بلاد الإغريق بحقبة من التأزم والتدهور نتيجة غزو القبائل الدورية للأراضي اليونانية وتدميرها لمعظم معالمها مما أدى إلى حدوث أزمة كبيرة لمدة قرنين من الزمن حتى 800ق.م وسميت هذه الفترة بالعصر المظلم (القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد) بسبب ركود الأوضاع والدمار الذي لحق بالمنطقة وغموض المصادر في هذه الفترة ³ .

تشير الدراسات التاريخية بأن السكان لم يعودوا يتذكروا كيفية الكتابة لعدم وجود وثائق أو علامات تدل على أن ما كانوا يفعلونه في تلك الحقبة الزمنية ، كما انتشر الجوع وتدهورت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية شيئا فشيئا حتى عزموا الرحيل عن هذه الأراضي للبحث عن أراضي جديدة تشبع حاجاتهم فذهبوا إلى ساحل آسيا الصغرى ، وتوقفوا عند الأراضي المطللة على بحر إيجه ⁴ .

ولكن هذا الوضع ما لبث أن بدأ يتغير ويستعيد اليونانيون حضارتهم وازدهارهم في حدود القرن الثامن قبل الميلاد ، حيث بدأت الأمور تستقر وتتطور تدريجيا فضلا عن استقرار الغزاة الجدد إلى جانب السكان المحليين

¹ سيد احمد علي الناصري ، الألعاب الاولمبية القديمة ، أشغال الدورة التدريبية لإعداد فريق مصر في الدورة الاولمبية المنعقدة في القاهرة الرياضي ، تحت إشراف وزارة الشباب ، 1972 ، ص 15.

² Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p226.

³ خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 312 ، Eric .d Nelson , Susan K , Allard Nelson , op-cit , p117,

⁴ ابتهاج عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 58.

واندماجهم معهم ليكونوا مجتمعا جديدا قائما على سياسة التعايش والتنظيم ، ويستطيع فيها الإنسان الإغريقي من خلاله أن يتابع مسيرته من حيث الحيوية والقدرة على التآلف والاستعداد للحضارة¹ .

وتذكر الأبحاث التاريخية أن المجتمع الجديد اليوناني أنه تكون من تجمعات سكانية قبلية حيث كان لكل تجمع من هذه التجمعات القبلية قد انحدرت بدورها من العشيرة المنحدرة من جد واحد كعنصر أولي للهيئة الاجتماعية وخلال تجمع العشائر في وحدات لأغراض حربية هي القبائل إلى التنظيم السياسي للحياة المستقرة والإقامة في صعيد واحد² ، وكان صاحب أكبر مساحة من الأراضي يرأس التجمع القبلي الذي يوجد فيه ويتخذ لقب الملك (باسيليوس) ، فالمملك هو الوسيط بين الآلهة التي ينحدر منها وبين البشر³ ، لحد قول أرسطو: "المملك أشبه بإله بين الناس"⁴ ، واعتبر في البدايات الأولى ملك الآلهة ، أو رب السماء ، أو وكيل الإله ونائبه على الأرض أو بعبارة أخرى هو ظل الإله على الأرض⁵ ، ولكنه ضيق بضيق مساحة المدينة وحدودها وأصبح محصورا وفق مملكته الصغيرة ، وكان معرضا لأن يخلعه المجلس استنادا إلى عوامل القوة والضعف ، وفيما عدا فإن حكم الملك وراثيا وكانت حدود سلطانه غير واضحة المعالم ، حيث كان قبل كل شيء زعيما عسكريا شديد العناية بجيشه حريصا على عدته (الحرب ، السهام ، العربات) وتدريبه أو طعامه⁶ ، ويتمتع بجميع الصلاحيات ويضم من الناحية الرسمية كل السلطات (السياسية والعسكرية والدينية) ومصدر التشريعات والقائم على الأمور التنفيذية فهو الذي يقود أي حملة عسكرية والكاهن الأعلى للمنطقة ، ويظهر في العديد من النصوص أنه صاحب حق إلهي في العرش وكبير الآلهة هو الذي يمنحه السلطان الواسع في الحكم ، ففي هذه المرحلة من البوادر الأولى لنشأة هذا النظام لم تكن لفظة القانون غير موجودة بعد وغير متعامل بها لأن المملك هو الذي يشرع ويطبق وفقا لمجمع الآلهة ويساعده في ذلك الكهنة⁷ .

¹ لطفى عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص 101.

² جوستاف جلونز ، المرجع السابق ، ص 16 ، سعد عبود سمار ، خلود حبيب كريم ، المرجع السابق ، ص 230.

³ Charles Gates , op-cit , p209.

⁴ أرسطو ، السياسات ، المصدر السابق ، ص 222.

⁵ سالم يونس عبد الكريم سالم ، الملكية المقدسة في اليونان ، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية ، ع10 ، جامعة بنغازي ، طرابلس ، 2016 ، ص2.

⁶ ول ، و ، ديورانت ، المرجع السابق ، ص 103.

⁷ حسين الشيخ ، المرجع السابق ، ص 35.

لكن الدور الأساسي الذي قام به الملك هو محاولة الربط بين التجمعات السكانية القبلية بشتى الوسائل (العنف أو السلام) مما أدى إلى تعبيد الطريق لقيام المدن التي أخذ مفهومها يتطور تدريجياً، ويساعده مجلسان أحدهما:

1- مجلس الشيوخ (الاستشاري): يضم الأعيان أو الأرستقراطيين من رؤساء القبائل والعشائر¹، ولهذا المجلس قوة وفاعليته في التأثير على سير القرارات الرئيسية، فهو يشكل العنصر الأرستقراطي في نظام الحكم ويتخذ القرارات النهائية في القضايا العامة²، وقد صور لنا هوميروس في إلياذته على وجود هذا المجلس من خلال استدعاء الملك اجامنون لمجلس الشيوخ بهدف استشارتهم في أمور الحرب الطروادية، وأمر البلاد في هذا الصراع³.

2- مجلس العامة: يتألف من سكان عامة التجمع السكاني، وهو الجمعية العامة (ajora)، ولكن في الأصل كما سبق الذكر أنها مركز الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية (السوق العامة)، ولكن في هذه الفترة أصبحت تعني المكان الذي يناقش فيه سكان المدينة الشؤون العامة لمدينتهم، ولم يكن لهذا المجلس أي سلطة وفاعلية في اتخاذ أي قرار أو اقتراح حيث لم يكن أكثر من العلم بمجريات الأمور والموافقة على ما يتوصل إليه الملك ومجلس الشورى من قرارات⁴.

ونظراً للدور السياسي الذي يلعبه الملك في ربط التجمعات السكانية القبلية ببعضها البعض بدأ يتطور مفهوم المدينة (polis) من المكان أو مساحة من الأراضي إلى النظام السياسي الذي ينظم سكان المدينة ويحدد حقوق وواجبات مواطنيها، فكلمة بولس (polis) تعد غامضة عند الإغريق، إلا أن أرسطو قد وضحها بأنها الدولة ذات النمط المثالي، وقد استند عمله إلى عنوان (politics) بمعنى علم السياسة التي تعني حرفياً المسائل المتعلقة بالمدينة، باعتقاد أن الإنسان هو مخلوق مهياً بطبيعته للعيش في مدينة (polis)، حيث يمكن أن يعيش في الحياة الجديدة، وعلى هذا الأساس وضع أرسطو شروطاً عديدة لارتقاء المدينة نحو البولس وأهمها:

¹ Eric .d Nelson , Susan K , Allard Nelson , op-cit , p117.

² خليل سارة، المرجع السابق، ص 312، إبراهيم السايح، المرجع السابق، ص 84.

³ هوميروس، الإلياذة، المصدر السابق، ص 2، 53، 84، سعد عبود سمار، خلود حبيب كريم، المرجع السابق، ص 230.

⁴ خالد غريب، المرجع السابق، ص 27.

- 1- أن يعيش السكان بدون عنصرية على أساس (Oikos) ، أي إلغاء الفوارق الطبقيّة وتشمل كلمة البولس هنا أبناء المدينة عامّة ، يعيشون فوق الأرض والجميع لهم حقوقاً متساوية¹ .
- 2- يكون فيها اليوثيريا (Eleutherus) ، أي أن يتمتع البولس بالاستقلالية والسيادة ، وتلك المفردات السياسية تعبر عن سياسة الحرية الخارجية لدولة المدينة .
- 3- الشرط الدستوري (Constitutional) ، إذ لا يمكن أن تكون الحياة السياسية حقاً دولة المدينة ما لم يكون هناك مجلس نواب تشريعي من قبل الديموس (الشعب) من فئة الأحرار .
- 4- الاكتفاء الذاتي (Autarkeia) : إن الحياة الجديدة في دولة المدينة تتوقف على تأمين للمواطنين ضروريات الحياة ، وأن تطوير مدينة شرط من شروط الاكتفاء الذاتي عند اليونانيين قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بتطوير الاستغلال الاقتصادي للعبيد .
- 5- بناء مركز مدينة متحضر أ و ما يسمى بالعاصمة ، فضلاً على الجدار (الأسوار) ، وهي ميزة مهمة لتحقيق دولة المدينة المثالية² .

وقد فرض الواقع المعيشي بين التجمعات السكانية طرح فكرة الإتحاد أو التوحيد بين هذه التقسيمات في كل منطقة ، حيث أدت البيئة الجغرافية (التكوينات الجبلية والسهلية والساحلية) لبلاد الإغريق من زيادة الإتحاد والتلاحم بين التجمعات السكانية ، فالأماكن الجبلية بحكم تكوينها التضاريسي لها ميزات دفاعية وهجومية تفتقر إليها الأماكن السهلية ، ولكنها في الوقت نفسه لا تصلح إلا للرعي وتفتقر إلى المراعي الغنية والأراضي الزراعية التي تتميز بها السهول والأماكن الساحلية تحتاج وتكمل المناطق السهلية من خلال مواردها المعيشية التي تقوم على الصيد³ .

وعلى هذا الأساس فإن حاجة كل تقسيم إلى التقسيمات الأخرى فغنى المناطق السهلية بالموارد المعيشية المحلية يكمل النقاط الدفاعية التي تتميز بها المناطق الجبلية ، وفي نفس الوقت تعتبر المناطق الساحلية المنفذ الطبيعي لأي هجرات أو تعامل تجاري ، وهذا ما دعم من فكرة الإتحاد والالتحام بين هذه التقسيمات ، ولهذا فقد أدى الملك

¹ Magens Herman Hansen , the ancient greek city-state , regla Accademia scienttarum danica , commissioner Munksgaard , Copenhagen , 1993, pp134, 136 , Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p326.

² سعد عبود سمار ، خلود حبيب كرم، المرجع السابق ، ص ص131-132.

³ لطفى عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص 103.

دورا كبيرا في توحيد التجمعات السكانية المتجاورة بعضها ببعض في شكل مدينة صغيرة لتتسع تدريجيا بتعدد محاولات التوحيد لتتطور تحت مصطلح الدولة المدينة وجمع في يديه معظم السلطات منذ بدايتها¹.

وهكذا اندثرت الحضارة الميكينية (الميسينية) حوالي القرن 1000 ق.م بسبب الغزو القبائل الدورية، وكان نتيجة هذا الاندثار فترة من التخلخل والتخلف التي سادت المجتمع اليوناني لحوالي قرنين من الزمن (1000 ق.م / 800 ق.م) ولكن رغم مساوئ هذه الفترة المظلمة فإنها أتاحت للإغريق لاستعاب العناصر الجديدة الوافدة من الشمال وامتزاجها مع العناصر المحلية، أدى في النهاية إلى قيام مجتمع جديد متخذا في ذلك التكوين الذي عرف بنظام الدولة المدينة معتمدا في ذلك على المقوم السياسي الذي يدور حول توحيد التجمعات السكانية القبلية في عصر الحكم الملكي (الملك)².

3- نظام الدولة المدينة في مرحلة التطور (800 ق.م / 400 ق.م) :

بعد أن انتهت المرحلة التكوينية لمجتمعات المدن الإغريقية، أصبح المقوم الاقتصادي هو الذي يدفع تطورها السياسي، فأخذ أفراد الطبقة الأرستقراطية منذ القرن الثامن قبل الميلاد تقريبا يزحفون على سلطات الملك بشكل تدريجي في هذه المدن ويحاولون انتزاعها الواحدة بعد الأخرى سواء أكانت هذه السلطات عسكرية أم سياسية أم تنفيذية أم قضائية، ولكن دون سلطته الدينية (الكهنوتية) بسبب أنه لا بد من وجود ملك للديانة ولسلامة المدينة³.

ولهذا يعتبر القرن الثامن قبل الميلاد مرحلة جديدة في تطور الدولة المدينة ببروز مقومات اقتصادية وعسكرية حيث انتهى دور الملوك في توحيد مجموعات القبائل في شكل مدن إلى فرد من أفراد الطبقة الارستقراطية الغنية، وفي هذا الصدد يشير الشاعر هوميروس* في البداية إلى أن الملك أخيلوس (أخيل) الذي تحدث عن ثروته وأرضه

¹ ابتهال عادل إبراهيم الطائي، المرجع السابق، ص 63،

² Marshall Cavendish , op-cit , pp 40, 43.

³ خليل سارة، المرجع السابق، ص 314.

*بحر مثال عن هذا التغير في دور الملوك في بلاد الإغريق من السياسي إلى الاقتصادي ما يقدمه الشاعر هوميروس في الأوديسة، أن هذا المركز أو المنصب أصبح مجرد وسيلة للثروة والسطو من خلال المشهد الذي صوره في قصر أوديسيوس والصراع القائم بين ولي العرش (تليماخوس ابن أوديسيوس) والأرستقراطيين الطامعين في الحكم، حيث بعد غياب الملك أوديسيوس عن مدينته (أتيكة) وقصره، شب صراع بين الأرستقراطيين وابنه تليماخوس، وهنا أشار هوميروس إلى منصب الملك لا على وسيلة لتوحيد البلاد أو لإعطائها شخصيتها السياسية و لكن على أنه مصدر للثروة وبالتالي أصبح وراثته العرش شرط غير ضروري للنظام الملكي في ظل أطماع الارستقراطيين....، أنظر: هوميروس، الأوديسة، تر: دريني خشبة، دار التنوير، بيروت، 2013، 95، 361.

وماله الذي يملكه بعد الشقاق والنزاع الذي وقع بينه وبين آجامنون في حربهم ضد طروادة بقوله : " إنك لتعلم أبي لم آت إلى هنا لمحاربة حاملي الرماح من أبناء طروادة ، فهم لم يسيئوا إلي قط ، إنهم لم يسلبوا بقري ولا خيلي ، ولم يجربوا محاصيلي في حقول افثيه (aphthia) اسم المدينة الحصبة " ¹ .

ومما تجدر الإشارة إليه أنه بعد القرن الثامن قبل الميلاد لم يعد للملك دور بارز ومتميز به على غيره من كبار رجال المدينة ، وإنما أصبح مجرد فرد من أفراد الطبقة الارستقراطية المتكونة من زعماء القبائل والعشائر ² ، حيث سقطت معظم الحكومات الملكية في أغلب المدن اليونانية لتحل محلها حكومات جماعية أساسها الطبقة الارستقراطية من زعماء القبائل والعشائر الذين يسيطرون على المورد الاقتصادي الرئيسي (الأرض) وعوض النظام القديم بنظام جديد أطلق عليه المؤرخون اسم عهد الأراخنة * أي النظام الارستقراطي ³ .

ويرسم هزيود لوحة معبرة عن تحكم النبلاء الأرستقراطيين في حوالي القرن 8 ق.م وبداية القرن 7 ق.م في بلدته بيوتيا ، والتي كانت تضم عددا كبيرا من الإقطاعيات الفلاحية في قوله : " العمل ، أيا كان ، لا يعيب الإنسان " ، كما يصفهم في قصائده (الأعمال والأيام) " بأكلة الهدايا " أو " الشريحة الظالمة " ⁴ .

وفي هذه الأثناء بدأت بلاد الإغريق تعرف مشكلة زيادة أعداد السكان وقلة الأراضي الزراعية التي لم تكن تكفي حاجات المجتمع الإغريقي بصفة دائمة ، لذا اندلع الصراع بين المدن الدويلات المتجاورة حول السيطرة على مناطق الثراء الاقتصادي بعد أن شكلت مسألة الحدود إحدى أسبابه ، وقد نمت بعض تلك المدن على حساب دول أخرى مثل : اسبرطة وأثينا ، كما دفع نقص الأراضي الزراعية وفقرة التربة الزراعية العديد من السكان إلى

¹ هوميروس ، الإلياذة ، المصدر السابق ، 1 ، 152 ، 8.

² ابراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 87.

*الأراخنة : (ج . م . أرخون) (Archon) أو أركون : أطلق على أعيان أثينا وهو منصب كان لمدى الحياة ثم لمدة 10 سنوات وأخيرا لمدة سنة واحدة ابتداء من 683 ق.م ، تقلد رجلا واحدا في البدء ثم اشترك فيه ثلاث ارستقراطيين منتخوبون سنويا ، وتسمى السنة الذي يتولى فيه الأرخون الحكم باسمه وبعد إجراء الإصلاحات برزت قيادة جماعية من تسعة حكام خلفا للثلاثة ، ويتم تعيينهم عن طريق القرعة حيث كان كل عام يتم إقصاء قبيلة من قبائل العشر من القرعة ، وهناك الحاكم العسكري (Polémarque) ثم حلت مكانه قيادة جماعية في عام 487 ق.م ، ومع بروز الديمقراطية تقلصت أهمية منصب الأرخون ولم يعد يضطلع صاحبه الا بصلاحيات قضائية وظل الحكام أعضاء بالاريوخوس (مجلس الشيوخ) بشكل منتظم انظر :

Felton (c) , Greece Ancient and modern , Vol 1 , éd : 4 , library university of California , U.S.A , 1987 , p 74.

³ Fustel de Coulange , la cité antique , Vol 2 , éd : d'Aujourd'hui , paris , 1978 , pp 123, 152

⁴ Hisiod , les travaux et les jours , op-cit , pp23-24.

مغادرة موطنهم وتأسيس دول جديدة على طول شواطئ البحرين المتوسط والأسود خلال القرنين (الثامن والسادس قبل الميلاد)¹.

وقد أدت هذه المحركات نحو البحر إلى زيادة المستوطنات الإغريقية وكثافتها على شواطئ البحر المتوسط والأسود وشواطئ إيطاليا وصقلية، كما ساهمت التجارة الإغريقية في القضاء على مشكل ضيق المساحة بالمنطقة بالاستيطان بجنوب إيطاليا وصقلية ما اصطلاح عليها ب : "اليونان الكبرى"² ، وقد عبر عن ذلك أفلاطون بقوله : " لقد انتشرنا نحن اليونان على شواطئ البحر المتوسط كما تنتشر الضفادع على ضفاف الغدير " ، وفي هذا المجال أيضا يقول : " وأخيرا إذا كان هناك فيض من المواطنين وحرنا في أمرنا ، فأمامنا ذلك التدبير القديم وهو إرسال جالية للاستعمار "³.

وبذلك فإنه بعد هجرة اليونانيين نحو سواحل البحر المتوسط واحتكاكهم بالفينيقيين ، وتجارهم المنظمة إلى بروز طبقة التجار التي ساهمت هي الأخرى مساهمة فعالة في حركية تجارة البحر المتوسط ، إذ أصبح البحر يشكل موردا اقتصاديا أساسيا إلى جانب الأرض ، بحيث أصبحوا ينافسون الفينيقيين في حد ذاتهم في الحركية التجارية القائمة على الاستيراد والتصدير ، فضلا على منافستهم لملاك الأراضي داخل المدن اليونانية ، ويسعون إلى تأمين مصالحهم عن طريق المشاركة في السلطة والمهام السياسية⁴.

اضطرت دولة المدينة الإغريقية إثر اعتمادها على التجارة البحرية الخارجية من اجل استيراد المواد الغذائية إلى إنشاء الأساطيل البحرية الكبيرة القادرة على تلبية شؤون التجارة والدفاع عنها ، ومع مرور الزمن تمكنت كثير من هذه الدول من أن تقيم لها مراكز دفاع وجباية رسوم على انتقال البضائع في العديد من المناطق الاستراتيجية .

وفي خضم هذا التطور السياسي ، قامت بين المدن اليونانية علاقات تفاوتت بين السلم والحرب سواء من الناحية الداخلية أو الخارجية، فعلى الصعيد الخارجي دخلت دويلات المدن اليونانية في تحديات خارجية مع القوى الكبرى كالفرس وقرطاج⁵ ، واختلفت الأسباب والدواعي وراء هذه الصراعات إما بسبب التنافس على الأسواق الخارجية والسيطرة على الطرق البحرية (البحر الأبيض المتوسط) ، أو تضارب المصالح في آسيا الصغرى (الثورة

¹ Fustel de Coulange , op-cit , pp 123, 152.

² Lesley Adikins and Roy .A.Adkings , op-cit , pp138, 140.

³ محمد كامل العباد ، المرجع السابق ، ص 18.

⁴ Hammond , A history of greece , 2 édit , oxford , 1967 , p p 125 , 135.

⁵ محمد إبراهيم بكر ، قراءة في تاريخ وحضارة الإغريق ، المرجع السابق ، ص ص 113-114.

الأيونية)* ، أما على الصعيد الداخلي فقد برز الصدام بين المدن الرئيسية حيث لازمها الصراع وبقي مستمرا لأسباب مختلفة تباينت بين تكريس مصالح سياسية أو تجارية ، ضف إلى ذلك حب التوسع والسيطرة على بقية المدن اليونانية الأخرى (حروب البولوبونيز [431-404ق.م] خير مثال على ذلك)¹.

وفي ظل تدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية وتنافس دويلات المدن الإغريقية إلى زيادة تعصب السكان لدولهم بشكل أصبحت فيه المدينة الدولة محل التبجيل والإكرام وحتى القداسة من قبل أهاليها ، فمع نمو وتطور المدينة الدولة الإغريقية في حوالي القرن السابع والسادس قبل الميلاد ظهر عنصر الحرية الذي تشبث به اليوناني ، وعنصر النظام الذي يؤمن الانسجام والتناسق والاستقرار في المجتمع ، فالحرية هي أساس تكوين الشخصية المستقلة للإنسان كما هي أساس الإبداع².

وفي هذه الأجواء التنافسية الحادة نشبت النزاعات والحروب الطويلة بين الدول التي اضطرت إلى إقامة تحالفات سياسية وعسكرية ضد بعضها البعض مثل : الحلف البولوبونيز ، حلف ديلوس ، الحلف البيوتي .. الخ³ ، وكذا انفجار الثورة الاقتصادية وتوسيع عالم التجارة وزيادة المستعمرات أدى إلى تأصل عصبية الناس لمدهم التي ينتمون إليها إلى جانب الثورات الداخلية الناتجة عن النزاعات بين الطبقات الاجتماعية المختلفة ، وهذا ما ترتب عنه نزوع السلطة الملكية وتحولها إلى سلطة أرستقراطية قائمة على نوع من الديمقراطية الأرستقراطية وعلى أساس مبدأ المساواة بين الجميع واستطاعت طبقة التجار بعد ما قويت أن تقيم أنظمة استبدادية همها الوحيد القضاء على سيطرة مالكي الأرض ، وبذلك شهدت عدة مدن إغريقية في النصف الثاني من القرن السابع ثورات متلاحقة تعاقبت فيها الكثير من الأنظمة الاستبدادية ، الديمقراطية⁴.

وصفوة القول أن نظام الدولة المدينة شهد تغيرات وتطورات جذرية مست كل النواحي انطلاقا من الجانب الاجتماعي ، السياسي ، الاقتصادي ، حيث استبدلت المشاعة الأبوية إلى مجتمع متناحر ، منقسم إلى طبقات

*المدن الأيونية : نشأت هذه المدن في ساحل أسيا الصغرى كنتيجة طبيعية لحركة المحجرات الإغريقية الكبرى خلال القرنين 8 و6 ق.م ، وقد حدثت هذه الحركة نتيجة لعدة عوامل (طبيعية ، الغزو الدوري ، الضغط السكاني ، فقر المنطقة اقتصاديا ، ضعف دول الشرق الأدنى القديم .. الخ) ، ونتيجة لهذه الحركة تأسست العديد من المدن وكانت أغلبها على الساحل الأيوني ، بيد أنها لم تنعم بالحرية الدائمة حيث سقطت تحت الحكم الليدي...، أنظر: خالد آدم أحميدة ، المدن الأيونية من الحكم الليدي إلى الحكم الفارسي ، المجلة الليبية العالمية ، ع22 ، جامعة بنغازي ، ليبيا ، 2017 ، ص ص 2-3 .

1 Thycydide, I, 1,2.

2 عمر عبد الحي ، المرجع السابق ، ص ص 24 ، 38.

3 Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p226.

4 Lesley Adikins and Roy .A.Adikings , op-cit , pp138-139.

والسلطة التي كانت سابقا وظيفة إدارية بحتة تتجاوز ومصالح الكل ، صارت أداة سطو السلطات العشائرية القديمة لكن الملاك النبلاء حافظوا على بعض الأشكال الأبوية (عشائر ، بطون ، قبائل) .

أبرز نظام الدولة المدينة الذي ساد بلاد اليونان تطور في النظام السياسي حيث عرفت بعض هذه المدن الدول نظاما سياسيا واحدا (اسبرطة) ، وبعضها الآخر عرف أنظمة سياسية متعددة (أثينا) ، كما تطور المجتمع اليوناني من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، وعرف أكثر فتراته ازدهارا فضلا عن امتداد اليونان إلى خارج شبه جزيرة البلوبونيز ، فأسسوا المستعمرات والمدن التي تطورت بشكل مماثل للتطور الذي شهدته المدن اليونانية التي أنشأتها .

III- العوامل المؤدية لهذا التطور السياسي عند الإغريق :

إن ما يميز الحضارة اليونانية أنها نتاج جهود كثيرة متكاثفة متساندة ، بذلتها عناصر متعددة مستقلة عن بعضها البعض ، وهو ما يستدعي الانتباه أن مجهود الفرد ونصيبه في هذه الحضارة لم يكن ينتظر منه أن يؤدي إلى خلق وإبداع حضارة عامة مشتركة، وذلك لان المجهود الفردي أو الإقليمي كان ينشد تنمية الشخصية المحلية الذاتية سواء للإقليم أم للمواطن في هذا الإقليم ، وعلى الرغم من ذلك فقد أبدعت تلك الجهود حضارة تعتبر من أعظم الحضارات البشرية وفق جغرافية متميزة ولهذا قيل فيها : " ليس التاريخ إلا جغرافيا متحركة ، بينما الجغرافيا هي تاريخ ثابت أو متوقف فالأرض هي المسرح التي حدثت فيه وقائع التاريخ ، وهي ذات أثر كبير في توجيه مصير الإنسان فهي التي أطعمته وأنشأته وعنيت بواجباته ، وأوجدت المصاعب والعقبات الطبيعية التي تشحذ قريحته للتغلب عليها والعمل على استغلالها"¹.

وقد ساد اليونان نظام خاص يميزها عن الباقي ، فبرزت دويلات الإغريق ذات صبغة جبلية وأخرى ذات صبغة سهلية وأخرى ساحلية ، ولسكان كل من هذه المناطق الثلاث أنماط في التفكير وطرز في المعيشة خاص بهم ، ولعل من أهم العوامل المؤدية لبروز نظام الدولة المدينة عند الإغريق ما يلي :

1)العوامل الطبيعية : من أهم العوامل الطبيعية التي أدت إلى قيام وانقسام بلاد اليونان إلى عدة وحدات سياسية صغيرة ولعل أهمها :

¹محمد حمدي إبراهيم ،الحياة الفكرية والثقافية في أثينا ، المرجع السابق ، ص 93.

أ- أهمية الموقع الجغرافي وتأثيراته على الجانب السياسي : استطاع الموقع الجغرافي أن يؤثر على تفكير الإغريق وعلى حضارتهم ونظامهم السياسي ، حيث مثل قرب بلاد اليونان من الشرق الأدنى منبع الحضارات القديمة سواء المصرية منها أو الرافدية أو الفينيقية .. الخ ، بمثابة البوابة الشرقية لأوروبا ، والتي منها تدفقت حضارة الشرق القديم (أنظمة الحكم ، العمران ، السياسة ، الآلهة .. الخ) ، كما كانت جزيرتا قبرص وكريت بمثابة المعبر الجنوبي للاتصال التجاري والحضاري لساحل إفريقيا الشمالي ، كما كانت الجزر اليونانية في بحر إيجه وعلى طول ساحل آسيا الصغرى بمثابة الجسر الشرقي بين أوروبا وآسيا الصغرى فضلا عن ساحل شبه القارة اليونانية الغربي والجزر التي فيه خاصة منها جزيرة كوركيرا (korkira) التي تعتبر بمثابة البوابة الغربية لبلاد اليونان ، حيث حمل التجار والمهاجرون الإغريق الحضارة إلى شبه الجزيرة الايطالية خاصة من ناحية الأفكار والمبادئ الاقتصادية والسياسية فضلا على أنه سوقا تنبض بالحياة النشطة المتنوعة ¹ .

- ومما تجدر الإشارة إليه أن المركز الاستراتيجي الذي تمتعت به اليونان جعلها ذات أهمية كبيرة من الناحية التاريخية ، فعبر هذه المنطقة التقى الشرق مع الغرب وانتقل الناس من آسيا إلى أوروبا ومعهم انتقلت الأفكار السياسية والتجارية والمكتشفات الجديدة ، وكذلك المعتقدات الدينية والأفكار الفلسفية خاصة من ناحية آسيا وضياف البحر المتوسط الشرقي الذي يمثل العالم المتمدن آنذاك ، ولهذا تعرضت للمؤثرات الوافدة من هذا العالم تعرضا مباشرا .

وعلى الرغم من أنه لم يعزلها عن وسط أوروبا عزلا تاما من خلال الحواجز الجبلية مثل : الألب والبرانس فإنها تعتبر مكشوفة من ناحيتي الشرق والجنوب وكأنها اليد التي تمدها أوروبا نحو آسيا² ، وفي هذا الصدد يشير الباحث أحمد محمود صبحي في كتابه (الحضارة الإغريقية) أن الملامح الأولى لظهور الحضارة الإغريقية كان على سواحل آسيا الصغرى لا في اليونان نفسها ، وأرجعه إلى احتكاك شعوبها واتصالهم بالحضارة الفينيقية ، البابلية .. الخ ، فضلا عن الرحلات الكبرى التي كان يقوم بها كبار مفكري الإغريق مثل : أفلاطون ، هيرودوت إلى مصر وغيرها من أثر كبير في تشكيل فكرهم³ .

¹ سيد أحمد علي الناصري ، الإغريق ...، المرجع السابق ، ص 9.

² عبد اللطيف احمد علي ، المرجع السابق ، ص 9-10.

³ أحمد محمود صبحي ، المرجع السابق ، ص 17.

ومن جهة أخرى فقد أثر هذا الموقع على نوعية البشر الذين سكنوا هذه المنطقة حيث قرّب بلاد الإغريق من مناطق الكثافة السكانية في آسيا وجعلها محورا لهجرات كثيرة استقرت بعضها في هذه البلاد، وكون سكانها الذين أقاموا بها صرح الحضارة الإغريقية العتيدة ، على أن أغلب الموجات البشرية التي سكنت بلاد الإغريق منذ عصر البرونز كانت غالبا ذات أصول أسيوية أو الهندو أوروبية¹ ، ولهذا جل هذه القبائل تعيش حياة الانفصالية والاستقلالية ، وسادت الفردية طابع الروح اليونانية نتيجة التجزؤ أو التفتت الذي فرضه مواطنها الأولى وصعوبة الاتصال البري ، فأصبح لكل مدينة صغيرة ولكل جزيرة شخصيتها المتميزة بل لكل مدينة إله خاص بها ، وإن اشتركوا جميعا في التوجه إلى آلهة اولمب ، وخير مثال على ذلك :أثناء خطر الحروب الفارسية على كيان بلاد اليونان لم تحرك المدن اليونانية نحو الاتحاد لمواجهة الفرس بل اقتصر ذلك على عدد قليل من المدن خاصة تلك المطلة على بحر ايجه ، أما الباقي منها فانتحل الحجاج والأعدار للامتناع عن المشاركة² .

وعلى هذا الأساس فإن ما يمكن قوله أن الروح الفردية كانت طابع الحضارة الإغريقية ، والفردية من مقومات الفكر الحر، إذ لم تكن هناك سلطة مركزية سياسية تفرض سلطانها ولا نظام كهنوتي يفرض عقيدته ، وفي غياب مركزية السلطة السياسية نشأ نظام البولس .

ب) البيئة الجبلية وتأثيراتها على التطور السياسي :تقطع بلاد اليونان الجبال غير منتظمة طولاً عرضاً حيث تقسمها إلى مرتفعات كثيرة وسهول قليلة وتجعل الاتصال بين أجزائها شاقاً إن لم يكن متعذراً³ ، بحكم أنها بيئة جبلية في معظمها [60% إلى 80% من أراضيها يزيد علوها على 200م عن سطح البحر]⁴ ، وعلى هذا الأساس أثرت الطبيعة الجبلية في تقسيم المنطقة إلى وحدات سياسية متفرقة ساهمت في خلق نظام سياسي جديد يتماشى والبيئة الجغرافية من جهة ويتلاءم مع التفكير البشري السائد آنذاك بين القبائل والأقوام التي استوطنتها من جهة أخرى⁵ من خلال :

-عملت كحواجز طبيعية بين السهول ، تحول دون سهولة الاتصال بين القبائل البشرية المختلفة ، وتجعل التنقل شاقاً من مكان لآخر ، كما تداخل هذه الجبال وتزاحمها لا يترك سوى ممرات قصيرة وضيقة تسير بمحاذاة سلاسل

¹ فوزي مكوي ، المرجع السابق ، ص ص 14 -15.

² احمد محمود صبحي ، المرجع السابق ، ص ص 20-21.

³ عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص 20.

⁴ وهيب أبي فاضل، المرجع السابق ، ص8

⁵

الجبال وتكسوها الثلوج خاصة في فصل الشتاء مما يصعب الأمر على الفرد الإغريقي التنقل والاتصال مع غيره فاتجهوا نحو ركوب البحر¹.

- أما الممرات التي بالجبال أو بينها لا تيسر سبل الاتصال بقدر ما يكون عامل فصل وعزلة ، وكل من يحاول عبورها يتعرض إلى خطورة كبيرة فمعظم الممرات التي تخترق الجبال تتجه إلى الارتفاع فضلا على أنها تكون مغطاة طوال فصل الشتاء بالثلوج مما يجعلها عقبة في سبيل الاتصال بين السكان ، وخير مثال على ذلك ما حدث عام 378 ق.م في الممر الذي يصل بين مدينتي كورنثة وبويوتيا (Beotia) حيث اضطرت القوات الاسبرطية أمام قوة الرياح الشديدة أن تلقي بدروعها جانبا حتى يستطيع الجنود المرور².

- كونت هذه الجبال أيضا حاجزا طبيعيا بينها وبين المناطق السهلية فأصبحت هناك مشقة كبيرة في الانتقال برا من سهل إلى آخر عبر الجبال الوعرة الشديدة الانحدار التي تفصل بين المدينة والأخرى ، فحالت هذه السلاسل بذلك دون سهولة الاتصال بين المدن وقسمتها إلى مناطق صغيرة معزولة عن بعضها على شكل دول مستقلة يفصل بينها وديان كثيرة ويقطنها عدد محدود من البشر ، فهي لا تصلح للسكن إلا بنسبة ضئيلة³ ، وقد كانت هذه الظاهرة الجيولوجية سببا واضحا في إنشاء المدن التي لا تربطها أي علاقة سياسية وروحية ، وهذا ما أدى إلى بروز تنافر بمختلف ألوانه، وصدت جميع النوايا الرامية لتوحيد بلاد اليونان تحت دولة قومية كبرى ، وبذلك ظل سكانها يكون العدا لبعضهم البعض ولا يتناسون خصوماتهم وأحقادهم إلا إذا تعرضت بلاد الإغريق لغزو أجنبي ، فيجبرون طواعية على الوحدة والتلاحم خدمة لمصالحهم الاستقلالية ، وهذا ما نلاحظه خلال الغزو الفارسي للمنطقة (490 ق.م-478 ق.م) ، وظل ينظر كل مواطن إغريقي إلى سكان المدن المتجاورة كأجانب عنه ومتمسكا في نفس الوقت بحريته ولا يريد التنازل عن كيان مدينته كدويلة ذات سيادة⁴.

- شكلت البيئة الجبلية إحدى عوامل غياب حكم مركزي ، ومن ثمة ساهمت في خلق عزلة سياسية حيث كان لها دور في بروز المدن الدويلات ، إنشاء التحالفات السياسية مثل : حلف ديلوس⁵ ، والحلف الآخائي^{**} والأيووني

¹ مصطفى العبادي ، اقتصاديات أثينا ، مجلة عالم الفكر ، ع2، مج38 ، الكويت ، 2009 ، ص 194.

² إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 10-11.

³ ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص 28.

⁴ علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 46.

⁵

والإيتولي التي لم تعمر طويلا بزوال الغرض من إنشائها وساهمت هذه المدن الدويلات في تكريس الحروب والنزاعات وأشهرها الحروب البولوبونيزية (431ق.م - 404ق.م) ¹.

- ساعدت صعوبة التضاريس على إذكاء هذا الانفصالية في مختلف أرجاء المنطقة، وأبرز مثال على ذلك: إقليم أتيكا بأقسامه الطبيعية (سهول، جبال، سواحل) انعكست على طبيعة نظامها السياسي، حيث نجد كل منطقة برز فيها حزب سياسي معين يمثلها في المجالس السياسية (حزب السهل، حزب الجبل، حزب الساحل)، كما حالت دون قيام وحدة سياسية كاملة جاعلة من بلاد الإغريق تظهر على شكل مدن متفرقة، ويفتخرون سكانها بانتمائهم وبنزعتهم الاستقلالية، إذ نجد المواطن الإغريقي إما يكون كورنثيا أو أثينيا أو اسبرطيا... الخ، دون أن

* حلف ديلوس: تأسس سنة 477/478 ق.م ويعتبر حلف سياسي وعسكري اقتصادي (بحري)، يضم أغلب المدن اليونانية الواقعة على شواطئ بحر إيجه وعلى جزره تحت زعامة أثينا، ينسب إلى جزيرة ديلوس إحدى أهم جزر البحر الإيبي، بعدما تلاقت مصالح الدول الأيونية مع مصالح أثينا بضرورة التحرر من السيطرة الفارسية آنذاك (478-490 ق.م) وتوسع تجارة الإغريق الواقعة في آسيا الصغرى ونفوذها، يعود الفضل في إنشائه إلى القائد الأثيني أريستيديس (Aristudes) الذي يعتبر المشيد الحقيقي والمنظم الحقيقي لهذا الحلف، بينما ثيموستكليس هو الأب الروحي له، أما اقتراح تأسيسه (الاتحاد الدبلوماسي) فقد قدم من قبل الجزر الكبيرة الثلاث (خيوس)، (ساموس)، (ليسبوس) حيث جاء ممثلو عن المدن الحليفة إلى أثينا لإقرار ما اتفق عليه قبلا بصورة رسمية سنة 477 ق.م، ثم بدأ عدد الدول المنتمية إليه يزداد، وقد تحول هذا الحلف مع مرور الوقت إلى إمبراطورية فقد نقل المركز الرئيسي من جزيرة ديلوس إلى مدينة أثينا (العاصمة) وشهد تطورا كبيرا في فترة الحكم الديمقراطي خاصة في عهد بركليز (429-462 ق.م)...، أنظر: Marcocoyitch Hall, op-cit, p55.

**الحلف الأخائي: هي كنفدرالية من 12 مدينة دويلة بالبولوبونيز من سكان الساحل الشمالي وهم الأخيون، لم يشارك في نزاعات القرن 5 ق.م، واحتلتها مقدونيا في نهاية القرن 4 ق.م، وفي عام 281 ق.م وبعد 50 سنة من الحرب التي اندلعت بعد وفاة الاسكندر الأكبر تم إعادة تنظيم الحلف و دعم بانضمام سيكيون وكورنثة، ميغالوبوس، أرغوس... الخ، وكل عضو مستقل ويشارك في مجلس يجتمع مرتين في السنة لتحديد سياسة خارجية موحدة وسن قوانين اقتصادية عام 235 ق.م، شن ملك اسبرطة (كليونمين 3) حربا على الرابطة الآخية لحمل الأخيين على الانخراط معهم، فقاموا بالتحالف مع مقدونيا وهزيمة كليونمين 3 عام 222 ق.م وأصبح الأخيون تابعين لمقدونيا، ثم تحالفوا مع الرومان ضدهم، وخلال الأربعين سنة تلت أخضع الرومان الرابطة وباقي بلاد الإغريق لسلطتهم، وفي عام 168 ق.م أسر حوالي 2000 من الأخيين ونقلوا كرهائن إلى روما، وفي عام 146 ق.م أصبحت الرابطة الآخية مقاطعة رومانية...، أنظر: كريم مناصر، المرجع السابق، ص 68.

***الحلف الأيوبي: يضم الدويلات المدن الإثنا عشر الواقعة في الجزء الأوسط من الساحل الغربي لآسيا الصغرى، كان سكانها من دويلات الشمال ومن الذين عبروا بحر إيجه في القرنين 12 و 11 ق.م تحت ضغط الأقوام الغازية التي أتت إليهم من الشمال والغرب...، أنظر: عمر عبد الحفي، المرجع السابق، ص 33.

****الحلف الإيتولي: ضمت الدويلات المدن مقاطعة إيتوليا، تأسست في بداية القرن 4 ق.م، وأصبحت هامة في القرن 3 ق.م عندما نافست الرابطة الآخية، وقد هيمنت على بلاد الإغريق الوسطى من البحر الأيوبي إلى بحر إيجه، وخضعت لها أقاليم البولوبونيز وتاليا وتراقيا وآسيا الصغرى، وفي عام 220 ق.م واجه الحلف حاكم مقدونيا فيليب 5 وانهمز أمامه، ثم تحالف مع الرومان الذين تمكنوا من حاكم مقدونيا عام 197 ق.م، لكن الإيتوليون لم يسترجعوا ممتلكاتهم، فتحالفوا مع أنتيوخوس (Antiochos) ملك سوريا ضد الرومان، وعرفت الهزيمة على يدهم عام 189 ق.م وانحلت الرابطة نهائيا عام 167 ق.م...، أنظر: كريم مناصر، المرجع السابق، ص 68.

¹ عبد اللطيف أحمد علي، المرجع السابق، ص 150-151، سيد أحمد علي الناصري، الألعاب الاولمبية...، المرجع السابق، ص 16.

يكون مواطننا إغريقيا بمعنى نسبه إلى المدينة لا إلى الوطن الأم¹ ، وبالرغم من هذه العزلة المفروضة عليهم جغرافيا يذكر هيرودوت أن سكان بلاد الإغريق تكلموا نفس اللغة وعبدوا نفس الآلهة ولهم تقاليد واحدة².

وقد أدت هذه الانفصالية السياسية بين المدن الإغريقية إلى حدوث نزاعات وتشكيل الرأي العام في هذه المجتمعات الصغيرة بشكل واضح قد لا يتوافر في مجتمعات الدول الكبيرة ، حيث أدى إلى التطور السريع في نظام الحكم بشكل متعاقب بدءا بالنظام الفردي الملكي والارستقراطي ثم الأوليجاركي (الأقلية) فحكم الطغاة وصولا للنظام الديمقراطي الذي جسده بركليز فعليا ، كما أثرت كثرة المساحات الجبلية على الطباع والشخصية الإغريقية فنجدهم ذوي طباع مختلفة غالبا ما تكون على نوعين :

* إما أن يكون من النوع المحافظ الذي لا يميل إلى التغيير السياسي مع ولائهم وحبهم الشديد لوطنهم ويمثل هؤلاء الشعوب الدورية .

* إما أن يكون عكس ذلك يتطلعون دائما للتغيير والتجديد ويمثل هؤلاء الشعوب الأيونية³.

- وبالتالي وعورة الاتصال البري في خضم هذه الحواجز الجبلية حال دون قيام وحدة قومية أو سلطة مركزية تبسط سلطاتها السياسي على جميع المدن في أنحاء بلاد اليونان ، فأصبح استقلال كل مدينة وانفرادها بطابع خاص وهو ما يسمى بنظام البولس (POLIS) أو الدولة المدينة (CITY- STATE) أهم طابع للحياة الإغريقية ، بل من أهم مقوماتها حيث استطاعت هذه المدن اليونانية أن تتخذ من الحواجز الجبلية سياجا يقوم مقام حدودها ويقيها من اعتداء جيرانها ، وبذلك أتاحت التضاريس لعدد كبير من الوحدات السياسية أن تنمو وتدعم مركزها وهي منعزلة الواحدة عن الأخرى ، وخير مثال عن ذلك : مدينة اسبرطة التي تحصن بين جبال أرجوس وأركاديا⁴.

وصفوة القول أن الجبال الإغريقية لعبت دورا كبيرا في تعزيز الانفصالية بين المجتمعات الإغريقية وخلقت نظام سياسي يتماشى مع متطلبات بلاد الإغريق ، و تقسيم البلاد إلى عدد كبير من المدن و القرى التي امتدت بين السهول والوديان ، وتميزت بعزلتها عن بعضها البعض بجبال عالية جعلت منها مناطق مفصولة بصورة تامة عن جاراتها مما كانت نتيجته الحتمية ظهور نظام الدويلات المستقلة والمتمتعة بسيادتها ولها نظامها الخاص ، ولكن ليس

¹ علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 44.

²

³ ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص 29.

⁴ أحمد محمود صبحي ، المرجع السابق ، ص 20.

هذا هو العامل الوحيد وراء جعل المدن اليونانية تعيش اللامركزية والاستقلالية وإنما هناك عامل آخر يكمن في الطبيعة البحرية ، فإنا ترى كيف أثر البحر بمختلف فروعها في ظهور نظام الدولة المدينة ؟ .

ج) الطبيعة البحرية والجزرية لبلاد اليونان وتأثيراتها : كما سبق ذكره فإن البحر يتوغل في أراضي اليونان ويمزقها ويجعل سواحلها مسننة كثيرة التعاريج أو يقطعها إلى جزر وأشباه الجزر ، و يقسم البلاد كلها إلى قسمين كبيرين وبصورة خاصة في خليجي سارونيك وكورنثه الذين يقسمان المنطقة إلى :

1- قسم شمالي وهو إقليم أتیکا وبرز مدنه أثينا حيث صعب عليها برزخ كورنثة في التواصل بينها وبين جيرانها خاصة جزيرة بيوتيا الواقعة في الغرب منها.

2- قسم جنوبي ويتمثل في شبه جزيرة البولوبونيز وأشهر مدنه اسبرطة .

وبذلك أصبح البحر عائقا دون تحقيق الوحدة وخلق الانفصالية بين السكان والمدن اليونانية بدلا من أن يكون وسيلة لخلق الوحدة الاقتصادية والثقافية بين أقسام العالم الإيجي ، ويشكل حاجزا للفصل أكثر من كونها أداة وصل بين الشعوب والقبائل اليونانية¹.

وعلى هذا الأساس لعب البحر في بلاد الإغريق دورا مزدوجا أي كان حلقة وصل بين سكان و شعوب العالم القديم بشكل عام وبحر إيجه بشكل خاص ، و بمثابة أداة ربط ووسيلة من وسائل الوحدة من خلال تبادل التجارة وتبادل الأفكار بين مختلف الأقاليم لأن سلاسل الجزر المنتشرة في البحر تهيئ سهولة الاتصال خاصة جزر (كريت ، رودس) ، إلا أنه كان في الوقت نفسه عائقا كبيرا دون تكوين الوحدة السياسية حيث صعب على المدن اليونانية أن تمد نفوذها السياسي عبر الحدود الطبيعية من البحر والجبال... الخ² ، وبالتالي لم تكن لها مراكز سياسية متفوقة خاصة تلك التي تم تشييدها في آسيا الصغرى ، ولم تملك الأداة الفعالة لتحقيق أهدافها السياسية المشتركة ، وكان من المستحيل عليها أن تتوسع خارج نطاقها الطبيعي ، حتى أن دول المدن الكبيرة التي استقرت فيها الحياة السياسية على قواعد راسخة ، كانت عاجزة أمام الحواجز التي يقيمها البحر والجبال وأحسن مثال على ذلك :

¹ عبد اللطيف احمد علي ، المرجع السابق ، ص 20.

² سعد عبود سمار ، خلود حبيب كريم ، المرجع السابق ، ص 229.

مدينة أثينا و الجهودات التي بذلتها في توطيد أقدامها في جزيرتي سيلاميس ويوبويا أثناء الحملات الفارسية¹ ، وقد تغنى جماعة من المنشدين بجزيرة سيلاميس نظرا لأهميتها البحرية وموقعها الاستراتيجي ما يلي :

- في سيلاميس الزاخرة يزيد البحر .

- والأمواج المتلاطمة ، الحافلة بطين النحل .

-استقر تلامون الشيخ بعد ترحال طويل .

-منذ بعيد ، على عرش البحار .

-متطلعا إلى التلال المحملة بأشجار الزيتون .

- مأخوذا ، حيث نبتت لأول مرة .

-فاكهة العذراء أثينا الرمادية البراقة² .

وقد كان لقرب هذه الجزر وكثرة أشباه الجزر والخلجان وتكاثر الأرخبيلات دوره في مراقبة حركة الملاحة للطرق التجارية والطرق البحرية في ظل وجود التيارات المائية بشكل دائم خاصة جزر بحر إيجه ، وبالتحديد جزيرة كريت التي تكمن أهميتها في أنها حلقة وصل بين بلاد الإغريق وآسيا الصغرى وسواحل بلاد الشام ، حيث كانت السفن تنتقل بين كريت من جهة ومصر وسوريا من جهة أخرى منذ أقدم العصور ، فقامت بذلك علاقات تجارية بين مصر وسوريا وبين مصر وجزيرة ناكسوس من ناحية أخرى وتمكين الملاحين والبحارة من رؤية البر بوضوح³ .

وبالتالي انفصال الكثير من الجزر عن أرض بلاد الإغريق كان له دور كبير في خلق النزعة الاستقلالية بين القبائل اليونانية التي اختلفت في النشأة والموطن والتقاليد... الخ ، والسماح ببناء وتشيد على سرحها المدن اليونانية خاصة بعدما اقتنع سكانها بأنهم لا يمكنهم الابتعاد عن البحر ، وفي الوقت نفسه مستغلين حصانتها الطبيعية (إحاطتها بالمياه من كل الجهات) للتصدي لكل الأخطار الخارجية⁴ .

¹ عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص 29.

² ألفرد زيمر ، المرجع السابق ، ص 6.

³ محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 24.

⁴

وصفوة القول أن بيئة اليونان البحرية قسمتها إلى عدد كبير من المناطق الصغيرة التي تفصل بينها إما البحار أو الجبال ، كما أن البحر بتوغله في السواحل الإغريقية جعلها مشتتة تكثر بها التعاريج ، وذات وديان غارقة في الداخل ، وكذلك رؤوس وعرة ممتدة وسط المياه العميقة في شكل سلاسل من الجزر والصخور البارزة فوق الماء حائلا بذلك دون تحقيق وحدتها السياسية ، بالإضافة إلى ذلك كثرة انتشار الجزر به سواء في البحر الإيبي أو الأدرياتيكي ساهمت بدور كبير في ظهور نظام البولس ، لكن السؤال المطروح : ما مدى مساهمة الطبيعة الجزرية اليونانية في ظهور الدولة الحديثة ؟ .

(د) الطبيعة النهرية وتأثيرها على الجانب السياسي : كما سبق وأن ذكرنا فقد كان الانتقال برا في اليونان أمرا على قدر كبير من الصعوبة بسبب تغلغل الجبال سطح اليابسة من كل جانب ومياه البحر موعلة أيضا في اليابسة توغلا شديدا ، وبالتالي تم تمزيق السطح تمزيقا شديدا ، وأصبح الانتقال من مكان إلى آخر أمرا بالغ الصعوبة في ظل تواجد الممرات الجبلية الضيقة .

وبطبيعة الحال انعكست هذه الظروف على الأنهار التي صعدت مهمة الاتصال بين أنحاء بلاد اليونان ، فقليل منها هو الذي يصلح للملاحة لمسافات معقولة في فصل واحد من فصول السنة أي في فترات قليلة فقط ، والانتقال عبرها لم يكن سهلا ميسورا ، وكثيرا منها ما تتجمد أثناء انخفاض درجة الحرارة أو عند فيضانها في الشتاء بينما تجف في فصل الصيف ومع ذلك فحتى في فترة جفافها فإنها لا تصلح دائما كوسيلة برية للاتصال لأن القاع لا يكون مستويا و إنما يرتفع وينخفض في تفاوت كبير مثل : نهر بنوس (Pénéus) في تساليا و ألفيوس (Alpheus) في البولوبونيز¹ .

ومن هنا أعاققت البيئة البحرية بصفة عامة والنهرية بصفة خاصة في قيام وحدة سياسية ، وبالتالي كرس مبدأ العزلة و الانفصالية السياسية ، وقسمت هي الأخرى البلاد إلى عدة دويلات مستقلة نتيجة لصعوبة الاتصال حيث فشلت جميع المحاولات لتكوين اتحاد يشمل جميع الدويلات اليونانية تحت لواء واحد ، ولكنه ليس العامل الوحيد وراء خلق النزعة الاستقلالية بين القبائل اليونانية ، حيث يوجد عامل آخر وراء ذلك ألا وهو طبيعة الإقليم في حد ذاته ؟ .

¹ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 11 ، رجب سلامة عمران ، المرجع السابق ، ص ص 11-12 .

(و) طبيعة الإقليم اليوناني : يعتبر العامل الرئيسي الذي حدد طبيعة الإقليم وساهم بشكل كبير في ظهور الدول المدن الإغريقية هو صغر مساحة أراضيها الزراعية ، وفقر تربتها الصالحة للزراعة (القمح والغالل) حيث كانت معظمها جدياء وفقيرة طبيعيا في ظل ضيق الحيز الذي تشغله كل دويلة مدينة ، ومحاصرتها بالجبال القاحلة من كل جهة¹ .

- وقد انعكس فقر تربة الأراضي اليونانية والتباين الشديد في الظروف المناخية والزراعية على الاختلاف في الطباع وأساليب المعيشة ، وقوى الرغبة في الاستقلال السياسي ، كما أن عدم استطاعتهم على توفير الغذاء والمواد اللازمة لحياتهم للأعداد المتزايدة من السكان دفعهم للبحث عن مصادر أخرى للإنتاج ، والمتمثلة في اندفاع السكان نحو الهجرة* والبحث عن أراضي جديدة أو مصادر مادية أخرى كالتجارة والصناعة في محاولة منهم للتغلب عن قسوة البيئة² ، وفي هذا الصدد يقول ثوكوديديس : " بينما كانت التربة أكثر خصوبة ، كان احتمال تغير السكان أكثر حدوثا... لأن سهولة اكتفاء الأفراد بمساحات صغيرة ساعد على التفرد والاستقلال عن جاورهم ، وعدم قيام وحدات سياسية كبيرة ولذلك يكونون أكثر جذبا لمطامع الغزاة الأجانب " ³ .

- ومما تجدر الإشارة إليه أيضا أن هذا التكوين الطبيعي للإقليم اليوناني ساعد على ظهور وخلق الدولة المدينة منذ القرن الثامن قبل الميلاد ، إذ تضافرت مجموعة من العوامل لجعل الحياة في بلاد اليونان شاقة وسهلة في نفس الوقت ، وعلى جعل شعبها صلبا منفتحاً أكثر على تيارات الحضارات الأخرى ، ذلك أن وعورة الأرض وجدبها وضيق المساحة الصالحة للزراعة في ظل اختلاف المناخ من فصل إلى آخر وقساوة الشتاء قد جعلت البقاء للأصلح ، وبالتالي جعلت اليونانيون شعبا متقشفا شديدا المراس ، يعيش حياة العزلة وتمسكا بالروح الفردية ، و متحمسا في نفس الوقت للحرية .

1 Christopher Fagg , François Calier , op-cit , p8.

*ظل يسيطر نوع من الخوف على اليونانيين من نقص الغلال في فترات الأزمات و ظروف الحروب حيث اضطروا إلى وضع قانون الشكران الذي يقضي بضرورة شرب السم من قبل الشخص البالغ 60 سنة حتى يترك الغذاء لغيره...، ولكن بعض المفكرين من أمثال أفلاطون وأرسطو نصحوا بضرورة التمسك بمبدأ تحديد أعداد المواطنين والسكان ، فأفلاطون مثلا في مصدره القوانين يحدد عدد المواطنين بعدد 5040 مواطنا ، بينما هزبود في مصدره (الأعمال والأيام) ينصح رب الأسرة بإجذاب ابن واحد حتى تنمو ثروة الأسرة حتى لا تظل معالم الأزمة...، أنظر : أفلاطون ، القوانين ، تر: د، تيلور ، تع: محمد حسن ظاظا ، مطابع الهيئة المصرية العامة ، الإسكندرية ، 1986 ، ص ص 333 ، 347 ، 284 ؛

Hésiod , les travaux et les jours , p 283.

2 عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص ص 33-34 ، جورج سارتون ، المرجع السابق ، ص 228.

3 Thucydides , I , 2 , 6.

- كما أدى ضيق مساحة المنطقة إلى ضعف الدويلات المدن الإغريقية وعجز معظمها على أن تصبح قوى سياسية كبيرة من ناحية ، وتقوية الروابط بين الفرد ودولة المدينة ، والاهتمام الشديد بالشؤون السياسية وقيام رأي عام وإذكاء روح الوطنية ، والتعاون الوثيق لاستغلال كل إمكانيات الحيز الضيق ، ومضاعفة الجهد و احتدام المنافسة أدى إلى خصومة بين المدن اليونانية ، هذه الأخيرة التي أثر تقاربها إلى توتر علاقاتها واحتكاكها ، وقيام المنازعات والحروب بينها ¹.

بالإضافة إلى ضيق الحيز أدى إلى اضطراب اليونانيين بالاتجاه نحو البحر والتجارة وإنشاء المستعمرات والرغبة في التوسع في مناطق البحر الأسود والبحر المتوسط خصوصا الغنية منها بإنتاج الغلال بعدما كانت الملاحة غير آمنة من خطر القرصنة من جهة ، والتيارات البحرية من جهة أخرى ما جعل السكان يتمركزون في قرَاهم و يتحصنون بها أو الهجرة ² ، و أدرك كل فرد إغريقي أن مصلحته ترتبط بمصلحة الجماعة أشد الارتباط ، وأن الدولة المدينة في الواقع مصلحة عامة أو مشتركة بالإضافة إلى معتقداتهم وأفكارهم وأمانيتهم متماثلة ، فإرادة الفرد مقيدة بإرادة الجماعة ، ومنها برزت خاصية جديدة وهي الارتباط الوثيق بين المواطن والدولة وشكلت إحدى مظاهر وحدة المدن ³.

وخلاصة القول أن للظواهر الجغرافية المختلفة أثر كبير على حياة الإنسان الإغريقي ، وبالتالي انعكست على تاريخه السياسي ، وذلك تبعا لنوع تفاعله مع بيئته ومواجهته لظروفها فالسهول والجبال والجزر والمناخ والموقع الجغرافي... الخ تؤثر كلها في تكوين الإنسان الإغريقي وفي لغته و نبرة صوته ، وفي لون بشرته وشعره وأساطيره ودينه وحتى في فكره وفلسفته وسياسته وشرائعه ، ومن هنا فإن التاريخ الحقيقي للإغريق ينطلق من جغرافيتها لان الجغرافية تشكل عاملا حساسا في توجيه تاريخ الأمم خصوصا في العالم القديم ، وقد انطبع أثرها بشكل كبير على مسلك اليوناني فأثرت في توجيهه ، وبالتالي في تاريخه .

ومما تقدم نجد أن وعورة الجبال وصعوبة المسلك بينها ، وتغلغل البحر في السواحل الإغريقية وكثرة انتشار الجزر والخلجان جعلها مشتتة تكثر فيها التعاريج وذات وديان غارقة في الداخل ، وكذلك رؤوس وعرة ممتدة وسط المياه

¹ خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 322.

² مصطفى العبادي ، المرجع السابق ، ص 197.

³ خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 322.

العميقة في شكل سلاسل من الجزر والصخور البارزة فوق الماء وفقرة التربة وضيق مساحتها حائلا بذلك دون تحقيق وحدتها السياسية وذلك عندما انعدم إمكان استخدامه.

إذ أنه للتكوين الجغرافي دوره في جعل البلاد منفصلة عن بعضها البعض بتداخل اليابسة في الماء وبخاصة في الجزء الجنوبي للمنطقة التي ظهر فيها توغل البحر واضحا مخلفا وراءه خليجين عميقين هما : خليج كورنثة و خليج سارونيك ، وبذلك فإن الطبيعة قد فرقت ما بين بلاد الإغريق ومزقتها إلى أجزاء صغيرة لا يمكن أن يسكن في كل منها سوى جماعة محدودة من البشر ، وهذا ما شجع الروح الانفصالية (العزلة) ودفع إلى تأسيس مجتمعات صغيرة مستقلة قائمة بذاتها ، وقد تطور كل من هذه المجتمعات الصغيرة حتى أصبحت كيانات سياسية قائمة بذاتها ولا تتسع مساحتها في أغلب الأحوال لأكثر من مدينة واحدة يحيط بها امتداد بسيط من الأرض يقوم فيها عدد قليل القرى ، وهكذا قام في بلاد الإغريق نظام الدولة المدينة تحت اسم "البولس" ، وبالرغم من أن العوامل الطبيعية كان لها دور كبير في ظهور هذا النظام فإننا لا ننسى أيضا ظروفًا أخرى ساهمت في نشأته ولو بصورة غير مباشرة ألا وهي الظروف الاجتماعية ، فإنا نرى كيف ساهمت الأقوام اليونانية التي استوطنت بلاد الإغريق في خلق نظام سياسي يتماشى مع فكرها ونشأتها التاريخية ؟.

2) العوامل الاجتماعية : يكتنف الغموض فترة الانتقال من عصر البرونز إلى عصر الحديد والقرون الثلاثة التالية بعد ذلك (1100 ق.م / 700 ق.م) ، وهي فترة اضطبغت بالعنف والفوضى في منطقة شرق البحر المتوسط ، بسبب أنها فترة اقترنت بتحركات بشرية جماعية وهجرات مدمرة في البر والبحر¹ ، ولهذا سوف نسلط الضوء في البداية على :

أ) التكوين البشري والعرقى (البناء السكاني) : كما سبق ذكره من قبل فإن اليونان شهدت توافد العديد من القبائل البشرية منذ العصر الحجري الحديث بداية من البلاسجيين إلى الآحيين والأيونيين والأبوليين وأخيرا الدوريين في نهاية القرن 12 ق.م (الهجرات البشرية الكبرى لبلاد الإغريق)² .

بدأ الإغريق كغيرهم من الشعوب القديمة تفكيرهم الاجتماعي بالإيمان بوجود قرابة تربط بين الآلهة والبشر ، وفي فترة الهجرات والتوسع تطور هذا الالتزام للآلهة إلى الوثائق الجماعي الذي يقوم بين عدد من الأفراد لذاتهم

¹ Hammond , op-cit , pp 82-88.

² Jean Kinney Williams , op-cit , p21, Eric D .Nelson , Susan K.Allard –Nelson , op-cit , p 78.

ولصالحهم ، ومن ثم بدأت أواصر القبيلة حيث أصبحت القبيلة هي أصل وأساس الدولة المدينة الإغريقية ، وبالتالي أصبحت أحياء المدينة هي فروع القبيلة مثل : البطون ، العشيرة¹.

وكما هو معلوم فإن العشيرة نشأت من مجموعة من الناس اعتقدوا أنهم انحدروا من جد واحد ، ويشتركون في عبادة واحدة ولهذا العبادة مقر واحد هو مقر زعيم العشيرة ، وكان كل فرد يرتبط بالولاء لعشيرته ، وهكذا أصبحت المدينة الدولة هي رمز هذا الولاء ، بينما مجتمعها الصغير المحدود يربط بين المواطنين بالإحساس بقربة الدم والمساواة المطلقة في الحقوق والواجبات من أجل الصالح المشترك².

وقد كانت هذه المجتمعات البشرية قبل الغزو الدوري تعيش ضمن نوع من الإمارات المتباعدة جغرافيا عن بعضها البعض بسبب العوائق الجغرافية الطبيعية مثل : الموانع البحرية بين الجزر ووجود جبال وأنهار فاصلة بين المناطق المختلفة ، وقد شكل عامل نسب هذه القبائل وانتماءها العرقي عاملا في ظهور البولس عند الإغريق حيث ظلت بعضها تعيش متوقعة على نفسها بعيدة عن الاختلاط مع القبائل الأخرى بالرغم من القرابة البعيدة بين مختلف انساب هذه القبائل³.

ومما زاد من صعوبة الاتصال وتحقيق الوحدة بين القبائل الإغريقية الأولى هو صميم الروح الإغريقية التي تجعلها تعزز بالفردية والاعتلاء عن الروح الجماعية ، ولقد عبرت هذه الروح عن نفسها باحتفاظ كل مدينة بكيانها وشخصيتها في ظل نظام الدولة المدينة ، حيث شكلت كل مدينة دولة قائمة بذاتها (وحدة سياسية و اقتصادية) غير أن الوضع تغير بتأثير الغزو الدوري في نهاية القرن 12 ق.م لبلاد الإغريق ، حيث أحدث تغييرا في مختلف الظروف الأمنية والاقتصادية والاجتماعية عند مختلف التجمعات البشرية اليونانية ، وحاول الدوريون أن لا ينصهروا ويندجوا مع السكان المحليين اعتقادا منهم أنهم سلالة عريقة وتنسب لهرقل البطل الأسطوري ، ولهذا حاولوا خلق مجتمع خاص بهم ، كما أدت سياستهم التعسفية إلى الهجرة الجماعية* كبيرة خارج اليونان .

¹ سيد احمد الناصري ، الإغريق ...، المرجع السابق ، ص ص 101 -102.

² George Grote , A history of greece , V3 , London , 1856, pp 55,58.

³ عمر عبد الحفي ، المرجع السابق ، ص 36.

**أخذت الهجرة عند الإغريق عدة أشكال :

-قد تكون تسريا بطيئا يذوب في السكان الأصليين إذ اكان عدد المهاجرين قليلا ، وبالتالي تضيع هويته وعاداته وتقاليده ويمتزج مع هؤلاء السكان ..
-قد تكون سيلا متدفقا من المهاجرين يذيب السكان الأصليين ، ويقضي بنسب متفاوتة على ملامح المجتمع القديم .

وزرعوا الخوف حتى نفوس سكان المناطق الأخرى الذين تمكنوا من البقاء خارج السيطرة الدورية¹.

ولذلك عمد أفراد الجماعات في البر اليوناني إلى العيش متقاربين ، فتجمعوا وأحاطوا أنفسهم بأسوار تمكنهم من حماية أنفسهم ضد أي هجوم ، ولقد تحولت هذه الأسوار لتصبح أسوار المدن يلجؤون إليها بعد عملهم طوال اليوم²، و أن يعملوا متكاتفين للدفاع عن أنفسهم أمام أي خطر يتهددهم ، ولذلك ظهرت الحمية وروح الاعتزاز بالمواطنة عند الجميع الذين انكبوا على العمل المشترك بغية صيانة مستقراتهم التي تحولت إلى قرى كبرى ، ومن ثم إلى مدن قائمة وسط المناطق الزراعية التي تؤمن غذائهم ، وبالتالي نشأة نظام الدولة المدينة القائم على الأساس العرقي أيضا ، ومن أشهر القرى التي كبرت وتوسعت لتصبح (أم القرى) ثم إلى مدينة كبيرة (أرجوس) (Aragos) الواقعة في شرق البولوبونيز ، والتي استطاعت أن تجذب إليها المهاجرين من موكيناي ، حيث أصبحت من أهم المراكز الجنوبية في شبه جزيرة البولونيز إلى انتزع منها هذا المجد من قبل قرية صغيرة ما لبثت أن تطورت وأصبحت مدينة لا تقل عنها وهي مدينة اسبرطة³.

إذن تعتبر الظروف التاريخية لنشأة القبائل الإغريقية وكيفية تكوينها عاملا مساعدا في نشأة الدولة المدينة منذ القرن 8 ق.م ، حيث استوطن اليونانيون البلاد في شكل قبائل نازحة ، ولكل قبيلة عاداتها وأخلاقها ولهاجاتها الخاصة ما جعلها تكون لنفسها وحدة قائمة بذاتها⁴ ، وقد اضطروا للتجمع في مستوطنات سكنية متحصنة بالأسوار لدرء خطر عدوان سكان البلاد التي احتلوها عنوة ، ومن هذه المستوطنات التي انتشرت في آسيا الصغرى على ضفاف البحر الأسود ، أو في جنوب إيطاليا وصقلية أو في ليبيا (قورينة) ومصر تكونت دولة المدينة⁵.

وفي هذا الصدد يشبه أرسطو الدولة المدينة بالجماعة البشرية وبأنها نظام طبيعي ، والإنسان بطبعه ميال إلى الاجتماع بغيره ، ومن ثمة جماعتان قبل المدينة الدولة هما (الأسرة والقرية) ، فبعد الأسرة (الجماعة الأولى) التي كونتها الطبيعة من أجل إشباع الحاجات التي لم تعد تعبر يومية بصفة بحتة ، وظهرت بعدها الجماعة المشكلة من

—قد تكون الهجرة منظمة أو مسلحة تتعالى على السكان الأصليين ، ولا تمتزج بهم ومن ثم ينشأ مجتمع جديد، تؤدي العنصرية فيه دورا كبيرا للتمييز بين طبقات السكان ،إحداها غازية لها كل الميزات و الحقوق مكونين ما يسمى بحكم الأقلية ، ويميلون إلى الاستبداد ،أما الطبقات الأصلية منقوصة الحقوق ...،أنظر: سعد عبود سمار ، خلود حبيب كريم ، المرجع السابق ، ص 230.

¹ عمر عبد الحفي ، المرجع السابق ، ص 36.

² مصطفى العبادي ، المرجع السابق ، ص 298، عمر عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص 29.

³ سيد أحمد الناصري ، المرجع السابق ، ص 97.

⁴ Charles Gates , op-cit , p 208.

⁵ فضل الله محمد إسماعيل ، أصول الفكر السياسي ، مكتبة المعرفة ، القاهرة ، ص 1.

عدة قرى ، وهي المدينة إنها الوحيدة التي تمتلك القدرة على كفاية ذاتها (الاستقلال الاقتصادي)¹ ، وخير مثال على ذلك قوله : "إن الإنسان حيوان مدني بالطبع ، والذي لا يستطيع أن يعيش في جماعة ، أو الذي ليست له حاجات اجتماعية ، لأنه لا يكفي نفسه بنفسه ، فهو إما بهيمة أو إله" ، فالإنسان حسب أرسطو حيوان مدني بمعنى انه ينتمي إلى المدينة ، وانتمائه هذا طبيعي وليس مكتسبا ، فهو ينشأ ويتشكل وينمو في الأسرة ، ويصل إلى تكامله ويحقق طبيعته في المدينة² .

وبذلك كان نظام الدولة المدينة عند الإغريق وليد التطور الاجتماعي القائم على التطور العائلي والعشائري عن طريق تجمع مجموعة من العشائر ثم ظهرت القبيلة ، وقد اتحدت القبائل الإغريقية فيما بينها ، وخضعت لشخص يحكمها ، فظهرت القرية ، فإذا تشبعت حاجات القرية تطلعت إلى قرى أخرى غيرها تتبادل معها المنافع والمصالح ، وبالتالي مهدت لظهور الدولة المدينة المبكرة ، حيث اتحدت القرى التي كانت حول كل مدينة واندجت فيها ، فتكون من هذا الاندماج مملكة صغيرة ، ومن أهم ما بلغه اليونانيون القدامى ، فكانت كل مدينة منظمة عندهم تؤلف مملكة قائمة بذاتها³ .

وقد ارتبطت حياة الفرد الإغريقي بمدينته ارتباطا وثيقا وعكست تفكيره وجذوره العرقية منذ عصوره الباكرة حيث مثلت كل أوجه الحياة السياسية و الاقتصادية والدينية ، ولهذا نجد مدينة اسبرطة ذات طابع عسكري اقتصت بالمهام العسكرية بحكم تركز القبائل الدورية فيها ولها خصائص تميزها عن مدينة أثينا-مهد الديمقراطية - ذات طابع تجاري ثقافي اقتصت بالمهام التجارية ، ونشر الثقافة والفلسفة بحكم تواجد القبائل الأيونية والآحية ، وهي قبائل أقل حدة ونزعة عسكرية من الدوريين⁴ .

وخلاصة القول فإن عامل التكوين البشري والعرقى كان له دور كبير في تحديد الشكل النهائي للمدن اليونانية ، وفي تحركات سكانها نحو الساحل الغربي لشبه جزيرة آسيا الصغرى أو إلى جزر بحر إيجه ، وأن الفعل الإنساني يظل العامل الرئيسي في نشأة نظام الدولة المدينة وتطوره ، فهو يعدل أو يثمن العوامل الطبيعية من حيث شروط المكان وطبيعة المناخ ، وهو القادر على تحديد هوية المدينة ونظامها الاجتماعي والسياسي ، وما يجعل المدينة

¹ أرسطو ، السياسات ، المصدر السابق ، ص ص 48 - 53.

² خنافر دولت ، المدينة الإغريقية بين الواقع والمثال ، مجلة الفكر العربي ، ، مج4 ، ع29 ، معهد الإنماء العربي للعلوم الإنسانية ، لبنان ، 1982 ، ص33.

³ ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص 120.

⁴ أحمد محمود صبحي ، المرجع السابق ، ص ص 42-44 ، Christopher Fagg , François Calier , op-cit , p 8

تعبّر عن قدرات الفرد الإغريقي على الارتقاء بوسطه الاجتماعي ومجاله العمراني في إطار علاقات متوازنة تضمن حراكا حضاريا بين مختلف الجماعات والشرائح والطبقات التي تكون بنيتها الاجتماعية القائمة على ركائز ومقومات أساسية تبنى فوقها العلاقات الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية ، وفي طبيعتها : الحرية ، الاستقلال الذاتي ، الاكتفاء الاقتصادي ، ولكن هناك مؤشر آخر لا بد من تسليط الضوء عليه والذي ساهم وبطريقة غير مباشرة في ظهور وتعزيز الدولة المدينة الإغريقية ألا وهو دور المستوطنات الإغريقية الأولى خاصة على السواحل الأسيوية والإيطالية بعد تدهور الوضع الاجتماعي والاقتصادي وحتى السياسي في بلاد اليونان ، ما أجبر سكانها على المغادرة والبحث على مناطق أخرى تعوض وطنها الأم ، ومن هنا يتبادر إلى أذهاننا : كيف ساهمت الحملة الاستيطانية الإغريقية الباكورة (الأسيوية والإيطالية) في تعزيز الانفصالية السياسية بين القبائل اليونانية ؟ وإلى أي مدى نجحت في ذلك ؟ .

ب) الاستيطان الإغريقي على الساحل الأسيوي والإيطالي : بعد غزو القبائل الدورية لبلاد اليونان في القرن 12 ق.م ، وجد الآخيون والأبوليون أنفسهم يعانون من الجوع والتشرد والعبودية ، فضلا عن المشاكل السياسية ، لذلك قررت هذه الأخيرة الهجرة والفرار من بلادها الأصلية (اليونان) ، والبحث عن أراضي جديدة غنية اقتصاديا¹ ، وفي هذا الصدد يقول ثيكوديديس : " إن البلاد المعروفة اليوم باسم هلاس لم تعرف من ماضيها القديم مستوطنات مستقرة ، وإنما كانت عرضة لسلسلة من الهجرات من قبائل مختلفة هربا من الغزاة الأقوى منهم ، وهذا ما جعلهم دائما على استعداد لهجرة أوطانهم الأصلية " ².

ومما تجدر الإشارة إليه انه رغم هجرة الإغريق إلى عدّة اتجاهات ، إلا أنهم فضلوا التوجه نحو الشرق ، وذلك راجع إلى عدة عوامل أبرزها يعود إلى :

- 1- المعرفة السابقة للآخيين لمنطقة آسيا الصغرى ، حيث عرفوها منذ أن كانت سوقا تجاريا لهم ، كما أنهم وصلوا إلى تلك المنطقة كغزاة ، وخير دليل على ذلك حملتهم على طروادة 1200 ق.م .
- 2- العامل الجغرافي لبحر إيجه وجزره ساعدوا في تيسير الهجرة نحو آسيا الصغرى .
- 3- سقوط الحيثيين الذين تركوا وراءهم فراغا سياسيا في المنطقة .

Charle Gate , op-cit , p 206, Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p1 .
Thucydides , I , 19.

1

2

4- تحول بلاد الإغريق لمنطقة مكتظة بالسكان الغرباء ، وما آسيا الصغرى إلا روبة أبوابها مفتوحة تستقبل كل الوافدين إليها¹ .

5- غنى المنطقة بالأراضي الزراعية والاقتصادية ، والتي اعتبرت أكبر محفز للمهاجرين الإغريق الذين يحتاجون إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي في الغذاء² .

وكان أول من هاجر من بلاد اليونان خوفا من استبداد الدوريين نحو الساحل الغربي لآسيا الصغرى هم القبائل الأيولية (الهجرة الأيولية)³ القاطنين في الجزء الغربي من شبه جزيرة البلقان (كورنثة) باتجاه الساحل الغربي لآسيا الصغرى مستفيدين من خبرتهم ومعرفتهم للمنطقة منذ عهد بعيد ، أين حاربوا طروادة وانتصروا عليها ، وبالتالي شجعتهم للذهاب إليها ، حيث استقروا في القسم الشمالي من سواحل آسيا الصغرى ، وسمي هذا القسم باسم أيوليس (Aelisse) أو أيوليا (Aelia) نسبة إلى للأبوليين ، وقاموا بتأسيس العديد من المدن هناك ، والتي بلغت حوالي 12 مدينة وأشهرها : نوتيوم ، لاريسا⁴ .

بينما الهجرة الثانية نحو الساحل الغربي لآسيا الصغرى فكانت تسمى بالهجرة الأيونية (Ionia) في حدود القرن 10 ق.م بسبب نزوح الدوريين من جديد على طول الساحل الشرقي لبلاد اليونان ، ووصلوا حتى أثينا و اتيكا ، ولكنهم فشلوا في الجنوب ، ففر الأحيون القدماء إلى إقليم آخيا الذي يقع في شمال غرب البولوبونيز ، لكن بسبب ضيقه وفقره طبيعيا اضطروا إلى اللجوء من جديد إلى مدينة أثينا التي استقبلتهم وحمتهم من القبائل الدورية ، لكن حين كثر أعدادهم قررت تنظيم هجرة تشرف عليها نحو الساحل الغربي لآسيا الصغرى أطلق عليها اسم الهجرة الأيونية ، والتي تضم العناصر الأيونية (الأثينية) والعناصر الآخية الوافدة إليها⁵ .

وقد نجحت في تنظيمها بالرغم من مقاومة سكان آسيا الصغرى بفعل قوة أسطولها والظروف الطبيعية آنذاك حيث كان الجو صاحيا يجعل السماء زرقاء صافية والضياء ووضوح الرؤية في درجة لا تخطر على بال أهل البلاد الشمالية⁶ ، وبالتالي استطاعت أن تحتل الجزء الأوسط من الساحل الغربي لآسيا الصغرى ، وانتشرت مدهم

¹ خالد آدم أميدة ، المرجع السابق ، ص 5.

² Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p 1.

³ Charle Gate , op-cit , p 206

⁴ خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 334

⁵ إبراهيم عبد العزيز الجندي ، المرجع السابق ، ص 127 ، سيد أحمد علي الناصري ، الإغريق ، المرجع السابق ، ص 86.

⁶ جورج سارتون ، المرجع السابق ، ص 229.

التجاري من فوكايا (Phocaea) شمالا حتى ميليتوس جنوبا (القرن 7 / 6 ق.م)، ثم زادوا من توسعهم حتى الجزر المتاخمة لهذه الجزر وأهمها مينوس وساموس ، وعلى الشاطئ المواجة لهذه الجزر سهل ممتد شمال جبال ميكالي (Mycale) كان الايونيون يجتمعون كل رأس سنة في عيد قومي حول معبد اله بوسيدون ، وقد أصبحت المنطقة التي استقروا فيها باسم إيونيا (Ionia) ، وبلغ عدد مدنها 12 مدينة مثل: افسوس ، فوكايا ، كلازوميناى (Clazomenae، تيوس (Teos) ، لبيدوس (Lepidus) ، كولوفون... الخ¹.

وأخيرا نظمت هجرة أخرى ثالثة عرفت باسم الهجرة الدورية باتجاه آسيا الصغرى ، فبعد تكاثر أعداد الدوريين في ظل منطقة فقيرة من الناحية الزراعية ، قررت أن تهاجر باتجاه الجزء الجنوبي من شبه جزيرة آسيا الصغرى المقابل لجزيرة رودس ، وأطلق على هذا القسم اسم " دوريس " ² ، ومدوا نفوذهم حتى جزيرتي كريت ، ثيرا.. الخ ، أما الساحل الأسيوي فقد اخذوا ما بقي منه ، فكان لهم الجزء الجنوبي والجزر المتاخمة له ، فأسسوا هالكارنوس ، كيندروس.. الخ³ ، ثم تعززت هجرتهم أيضا نحو صقلية وجنوب ايطاليا ، وتم إنشاء العديد من المستعمرات اليونانية فيها ، ومحافظين في نفس الوقت على لغتهم وديانتهم ، عمراتهم وسياستهم ونفس العادات والتقاليد، وبالتالي حافظوا على نفس القواسم المشتركة مع الوطن الأم⁴ ، لدرجة أن أصبح السكان الأصليون جزءًا من الهيلينية ، حيث ساد تفاعل بين اليونانيين والسكان الأصليين ، وفي هذا الصدد يقول أفلاطون بان اليونانيين يعيشون في جميع أنحاء شواطئ البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود مثل "النمل أو الضفادع حول بركة"⁵.

ولعل ما يميز الهجرات الأولى أنها لم تكن منظمة عفوية ، ولم تكن باسم مدينة يونانية معينة ، وإنما قامت بها جماعات مغامرة غامروا بأنفسهم في ميدان القرصنة أول الأمر ، ثم حين وجدوا مستقرا على الساحل الغربي لآسيا الصغرى أقاموا بها فضلا على أنها كانت تقتصر على خليط من المهاجرين الفارين من القبائل الدورية أو المستاءين الذين يعملون لحسابهم الخاص دون خطة معينة ، ولكن بعد هذه الهجرات الأولى الغير منتظمة واكتشاف الثروات الاقتصادية للمنطقة بدأت المدن اليونانية تنظم هجراتها القادمة بهدف تخفيف من زيادة السكان فضلا على أن تصبح آسيا الصغرى بمثابة نقطة تجارية لفتح سوق جديدة في بحر ايجة⁶ .

¹ مصطفى العبادي ، المرجع السابق ، ص 203.

Charle Gate , op-cit , p 206

²
³ إبراهيم عبد العزيز الجندي ، المرجع السابق ، ص 128.

⁴ Christopher Fagg , Francois Calier , op-cit , p21 , Charles Gates , op-cit , p208.

⁵ Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p 2.

⁶ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص ص73، 78.

وتشير الدراسات التاريخية أن نجاح الهجرات الإغريقية* منذ بداية القرن 10 ق.م وتوسعها أكثر في القرن 6/7 ق.م ، واستيطانهم على الساحل الأسيوي راجع إلى ضيق حيز الدولة المدينة ، وغزو القبائل الدورية وسياستهم التعسفية تأثير كبير في دعم نظام الدولة المدينة على شواطئ بحر إيجه أثناء فترات الاستقرار والهدوء النسبي ، حيث بدأت المدن الجديدة المشيدة على الساحل الأسيوي تستفيد من موقعها الجغرافي الهام من خلال الاتصال التجاري والحضاري مع الممالك الشرقية الكبرى من جهة مثل : مصر ، الفرس.. الخ ، ومن جهة أخرى الاتصال مع باقي المدن اليونانية رغم عزلتها السياسية بغية الاستعانة ببعضها البعض ، ومن ثم نشطت المبادلات التجارية والحياة الاقتصادية والسياسية عند الإغريق ، وكذا تعزيز روح الإخاء والزمالة بينهم¹ .

وقد احتفظت هذه القبائل المهاجرة على نفس نمط المدن اليونانية من الناحية الدينية أو لهجتها وتقاليدها أو نظامها السياسي ، وحتى هندستها العمرانية من خلال بناء مستوطناتها الجديدة فوق مواقع محصنة (قلاع محصنة تطل على المدينة وتضم ساحة عامة ومعبدًا مخصصًا للإله الراعي (الحامي) ، الأراضي الزراعية)² ، كما كانت تأخذ معها شعلة من النار المقدسة (هيسثيا) من المدينة الأم لتولد منها نارا في المستعمرة الجديدة³ ، وهو ما يدل على أن اليونانيون المهاجرون حافظوا على نظام الدولة المدينة التقليدي والسائد في شبه جزيرة البلقان ، ونقلوه معهم إلى بيئات جغرافية مختلفة عن الوطن الأم الذي كان يعينهم أكثر من المناطق الجديدة ، حيث استمرت العلاقات بينهم وبين المدينة الأم وكنوا لها شعور الاحترام⁴ .

* قبل إرسال أي مجموعة من المستوطنين خارج بلاد الإغريق ، يتم استشارة الآلهة للتأكد من أن هذا القرار صائب ، في أغلب الأحيان تلتبس نصيحة أبولو في دلفي ، أين يعتقد أن الآلهة تتحدث عبر الكاهنة التي تدعى وسيط الوحي ، وبعد استشارتها تم إرسال العديد من الهجرات البشرية باتجاه جنوب إيطاليا وصقلية ، وتأسيس مستوطنات اقتصادية هناك مثل: مستعمرة كيمي (Cumae) في حوالي 750 ق.م ، مستوطنة نيبوليس " Néapolis " في القرن الخامس قبل الميلاد أي في حوالي 470 ق.م/460 ق.م ، مستوطنة ناكسوس " Naxos " ، سيراكوزا في جزيرة صقلية تأسست سنة 734 قبل الميلاد ، فضلا عن تأسيس مستعمرات جديدة التي وصلت إلى غاية الحد الغربي للبحر المتوسط حاليا إيطاليا، فرنسا، اسبانيا و إلى الحد الشرقي في جزيرة قبرص ، الساحل الشمالي لإفريقيا (ليبيا) ، وقد أثبت النقش الموجود في تيرا ، أن الإله أبولولو بعد استشارته عبر وسيط الوحي في دلفي أعلن أنه من الضروري على الشعب المغادرة و تشكيل مستعمرة جديدة ، وبفعل هذا التوسع الإغريقي تمكن التجار من إنشاء أسواق إضافية للسلع اليونانية و كذا إنشاء موانئ يونانية استراتيجية...، أنظر: Jean Kinney Williams , op-cit , p25

¹ خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 321.

² Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p2.

³ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 79.

⁴ Christophe Fagg , François Calier , op-cit , p20 .

و بالرغم من أن هذه العلاقة الجديدة لم تتجاوز العلاقة الروحية فقط ، ولم تصل إلى التبعية السياسية ، فالمدينة الجديدة تمتعت باستقلال ذاتي كامل ولا تدين بأي تبعية سياسية للمدينة الأم فمثلا : لما أسس المهاجرون من مدينة ميجارا مستعمرة بيزنطة على الساحل الغربي لأسيا الصغرى لم يتخذوا لها زعيما من بيزنطة بل من المدينة الأم (ميجارا) ويرافقه عدد من الكهنة والعرافين والمهندسين¹ .

وفي خضم هذه الأوضاع الجديدة فقد ترتب عن هذه الحركة أو الاستيطان الإغريقي الذي امتد جذوره الأولى إلى القرن 10 ق.م عدة نتائج إيجابية تباينت بين السياسية والاقتصادية ، واصطبغت بلاد الإغريق بصبغة جديدة من التطور والازدهار ، حيث ظهرت الأنظمة السياسية بأشكالها المتطورة بداية من النظام الملكي إلى الأرستقراطي إلى الاوليغارشي (الأقلية) إلى الديمقراطية* ، واتضح معالمه أكثر بعد هذه الهجرات أو الانتشار الإغريقي ، فضلا عن التطور الاقتصادي الذي شهدته اليونان خاصة في مجال التجارة الخارجية عبر البحار وازدياد نشاط التجارة والصناعة وظهور طبقة من التجار الأثرياء ومنافستها لطبقة الأثرياء أو ملاك الأراضي الزراعية الكبرى فضلا عن تبادل الأفكار واحتكاك الثقافة الإغريقية بثقافات أخرى² .

ومن ناحية أخرى فإن هذه المستعمرات الجديدة عززت الانفصالية والتفرقة السياسية بين المدن اليونانية ، وكانت عاملا من عوامل الانشقاق السياسي بعد زيادة المنافسة السياسية والاقتصادية وتضارب مصالحها التجارية وبالتالي ناصبت المدن الجديدة العداء للمدن القديمة ، ووقعت بينها الحروب والصراعات ، وهو ما أدى إلى استمرارية نظام الدولة المدينة حتى في مناطق بعيدة عن بلاد اليونان ونضجه أكثر عكس السومريين.

3) العوامل الاقتصادية : اقترن ظهور نظام الدولة المدينة وتطوره عند اليونانيين بنظام الحياة الاقتصادية التي كان عمادها عددا من العائلات الأرستقراطية القوية والعريقة التي استأثرت بأكبر مساحة من الأراضي الخصبة ، بينما استقر الأهالي العاديون في الأراضي الأقل خصوبة في أطراف الوديان وأسفل سفوح الجبال ، أو يعملون في فلاحة الأرض عند الأسر الغنية³ .

أ) ظهور الأنظمة الاقتصادية : نجح نظام البولس (Polis) عند اليونانيين ، وأثبت قدرة فذة على التطور والرقى الحضاري حيث لم يقتنع اليونانيون عامة بالاستقرار في الحياة في ظل نظام سياسي واحد ، وكانت لهم الجرأة على

¹ سيد أحمد الناصري ، الإغريق...، المرجع السابق ، ص 137 .

* للمزيد ينظر إلى الفصل الثاني من الباب الثالث .

² خليل سارة ، المرجع السابق ، ص ص 337-338 .

³

خوض تجربة نظمهم السياسية ، فعلى الرغم من تكويناتهم الاجتماعية التي قامت أصلا على النظام البدائي القبلي ، فإنهم سرعان ما تجاوزوا القبيلة إلى النظام الملكي ، وعرفوا الوحدة في ظل النظام الملكي ، ولكن بعد فشله في مواجهة غزوات الدوريين¹ ، تمكنت العائلات الارستقراطية أن تحد من سلطة الملك ، وأن تقيم نظاما جديدا يستأثرون فيه بالسلطة مكان الملك عرف بالنظام الارستقراطي القائم على أساس النسب العريق أو الشريف (ملاك الأراضي الزراعية والضيعات الكبرى) ، وعلى قيمة ما يقدمونه لمجتمعهم من فضل وخدمة وعطاء² .

وبالتالي أصبح المقوم الاقتصادي هو الذي يدفع المدن الإغريقية على التطور السياسي ، حيث أخذ أفراد الطبقة الارستقراطية منذ القرن 8 ق.م تقريبا يزحفون على سلطات الملك بشكل تدريجي في المدن اليونانية ويحاولون انتزاع سلطته الواحدة تلو الأخرى (عسكرية ، سياسية ، قضائية) ماعدا الوظائف الدينية وفي هذا الشأن يذكر فوستيل دي كولانج ما يلي : " أن الملوك بدوا متعطسين وقساء في إمرتهم ، فقد انتزع معظم الإغريق السلطة منهم ، ولم يتركوا لهم غير العناية بالدين " ، إلى غاية أن سقطت الحكومات الملكية كاملة في القرن 7 ق.م لتحل محلها حكومات جماعية أساسها الطبقة الارستقراطية³ .

ففي عهد الارستقراطيين تمكنت أثينا من مواجهة الغزو الدوري ، وبالقيام بتنظيم المهجرة الكبرى إلى جزر بحر إيجه وساحل آسيا الصغرى ، وقد ساعدت هذه المستوطنات الإغريقية الباكراة في ظهور طبقة جديدة تعرف بطبقة التجار الأثرياء نتيجة ازدهار النشاط التجاري وخصوصا في البحر المتوسط خلال القرنين 8 و7 ق.م ، وانعكس ذلك على الدويلات المدن اليونانية الأصلية مثل : أثينا ، اسبرطة ، كورنثة... الخ ، والتي اتجهت نحو التجارة غربا في ايطاليا و صقلية وليبيا بسبب ما حققته الطبقة الجديدة من نمو و ثراء ، كما أدى هذا الثراء إلى توازن بين الفئتين وهكذا نشأت طبقة جديدة من أثرياء النسب والأرض و أثرياء المال والتجارة ، وبسبب ترابط المصالح المشتركة بين الفئتين اتسعت الطبقة الحاكمة وظهر وفقه نظام عرف بالنظام الاوليغارشي (حكم الأقلية)⁴ .

ولكن نتيجة للقوانين التعسفية والمجحفة في حق الطبقة العامة والفقيرة كادت أن تدخل أثينا في ثورة شعبية لولا الإصلاحات والتشريعات المقدمة من قبل مجموعة من المشرعين أبرزهم : تشريعات صولون (594 ق.م / 571 ق.م) الذي ينتمي إلى طبقة التجار الأغنياء ولكنه اشتهر بنزاهته واعتداله وفكره المصلح والنير حيث تميزت

¹مصطفى العبادي ، المرجع السابق ، ص 204

Charles Gates , op-cit , p209.

Fustel du coulange , op-cit , p p 333, 339 .

²

³

⁴ مصطفى العبادي ، المرجع السابق ، ص 204.

أفكاره بالديمقراطية والمساواة ، و ثم تأتي مرحلة عصر الطغاة بقيادة بيزستراتوس ثم بعده النظام الديمقراطي الذي نجح فعليا في تجسيده المشرع بركليز ، وبالتالي دفع بعجلة الدولة المدينة إلى التقدم أكثر والتطور في بلاد اليونان وخارجها ، وأصبح أكثر نضجا وعمقا في المجتمع اليوناني .

وبعد عرضنا للطبقات الاجتماعية والاقتصادية التي استطاعت أن تسيطر على دواليب الحكم ، لا بد علينا أن نشير الآن إلى النشاط الاقتصادي السائد (زراعة ، صناعة ، تجارة) في بلاد الإغريق وكيفية مساهمته في تطوير نظام البولس (polis) ونجاحه ، حيث اتسم النشاط الاقتصادي خاصة في مدينة أثينا مثلا بالتنوع والإبداع الاقتصاديين ، وبرز ذلك من حيث تعددية مصادر الدخل نتيجة للتوزيع الطبقي المحكم لشرائح المجتمع ، مع الاهتمام بالطبقات المنتجة ليس فقط من أجل تطور النشاط بل لتطوير المهنة وزيادة دخل الفرد والدولة¹ ، وكما أشرنا سابقا فإن الزراعة تشكل عصب الحياة الاقتصادية في بلاد الإغريق ، لكن بسبب فقر التربة الزراعية وضيق حيز مساحة الدولة المدينة ، لم تكن الأرض تكفي حاجات السكان بصفة دائمة فكان الحل الوحيد عليهم هو الاتجاه للبحر للبحث عن موارد جديدة تعوض فقرهم وتغطي احتياجاتهم ، او العمل كجنود مرتزقة سواء عن اليونانيين في حد ذاتهم او عند الفرس والمصريين وباقي ممالك الشرق² ، وهو ما يؤكد أفلاطون في جمهوريته بقوله : " تنشأ دولة المدينة (polis) لأننا منفردون لا نستكفي ، كل بنفسه ، لأن لكل واحد منا احتياجات متعددة ، وبسبب كثرة حاجاتنا ، فنحن بحاجة إلى أفراد كثيرين لتحقيق ذلك ، ومن ثم لزم قيام مجتمع كثير من الأفراد ليتعاونوا ويساعد بعضهم البعض فيما هم بحاجة إليه ، وينشأ من مجموع هؤلاء السكان ما نسميه الدولة ، ويتبادل السكان المنافع - أخذا وعطاء - لأن في ذلك مصلحتهم " ³ .

وقد أدت هذه الظروف الاقتصادية والاجتماعية إلى الهجرة من جديد إلى الشواطئ المختلفة للبحر المتوسط والأسود ، والعمل في مهن أخرى تتلاءم وطبيعة إقليمهم البحري ألا وهي مهنة التجارة ومشاركة الفينيقيين في نشاطهم التجاري في البحر المتوسط حيث بدؤوا يتعرفون على الأسواق الخارجية وطريقة التعامل التجاري⁴ ، بالإضافة إلى أن رواج رحلاتهم البحرية التجارية ساعد هم على الاحتكاك أكثر بشعوب البلاد التي قصدوها ، فاقتبسوا حضارتها خاصة الفينيقية والرافدية ، واستثمروا ثروات بلادهم فاستخرجوا معادنها وأحجارها الكريمة

¹ ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص ص 61-62 .

² محمود السيد ، المرجع السابق ، ص 43 .

³ جيمس أور ، الجمهورية "تحليل كتاب الجمهورية لأفلاطون" ، تر: هنادي مزبودي ، ط1 ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، 2017 ، ص 111، 107 .

Hammond , op-cit , p p 125, 135.

وازدهرت بعض صناعاتهم وفنوتهم كأواني الخزفية والأدوات المعدنية مما جعلها سوقا تجارية يقصدها جميع الشعوب مما أثر إيجابا على تطور نظام الدولة المدينة وانتشاره أكثر¹، وفي هذا الصدد يقول ثوكوديديس: " إن شيوع السفر في البحر وازدياد المحاصيل والسلع وتخزينها فرض بناء مدن جديدة وراء أسوار تحيط بها على السواحل وتم احتلال البرازخ لأسباب تتعلق بالتجارة والدفاع عن الممتلكات في وجه القوى المجاورة لها"².

وعلى هذا الأساس أصبح البحر موردا اقتصاديا آخر لليونانيين إلى جانب الأرض، وعاملا من عوامل ازدهار التجارة الإغريقية الخارجية التي فتحت المجال أمام فئة جديدة (الطبقة الشعبية) للحركة خارج الأراضي الإغريقية و التعبير عن آرائها ومصالحها المتزايدة بالسعي بكل الطرق إلى المشاركة في الحكم منذ بدايات القرن 6م. مما أثر وبطريقة أخرى على النظم السياسية في المدن اليونانية³.

بالإضافة إلى الاهتمام أيضا بالصناعات المختلفة، و بفرض الضرائب وكيفية دفعها، واستخدام السجلات الخاصة بذلك⁴، ومع ازدياد الثروات ظهر نظام النقد من خلال صك العملة النقدية وأجودها دقة العملة النقدية الأثينية المصنوعة من الذهب والفضة من حيث الجودة والوزن حتى أصبحت أشهر عملة بين المدن الإغريقية على مر العصور⁵.

ب) نظام النقد (العملة)⁶: شكل ظهور النقد بين المدن الإغريقية ثورة اقتصادية كبيرة من خلال التطور الحاصل في مجال العلاقات النقدية السلعية، ونمو الإنتاج الصناعي والتجاري من جهة، ومن جهة أخرى ظهور طبقة جديدة ثرية تنافس النبلاء وتحلّى بالقيمة الشخصية المحبة للحرية والسلطة، وبالتالي أصبحت الثروة مبدءاً لتنظيم اجتماعي جديد، لم يكن له مكان في نطاق التنظيم العشائري القديم الذي اقترب على نهايته، بينما المجتمع الجديد في تقدم مستمر مما أثر على تطور الدولة المدينة بصورة ملحوظة⁷.

وقد أصبحت هذه المصادر المالية للمدن الإغريقية بمثابة المصدر الخاص بتوفير المتطلبات الدفاعية كالمساهمة في صد أي اعتداء خارجي مع بقية المدن في حال وجود خطر خارجي يتعرضهم، واعتمدت أثينا في العمل الحر

¹علي عكاشة وآخرون، المرجع السابق، ص 50.

²Thucydides , I , 23.

³خليل سارة، المرجع السابق، ص ص 316-317.

⁴Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , pp 226,326 .

⁵ليلي عبد القادر علي الغناي، المرجع السابق، ص 61

⁶Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p326.

⁷ألفرد زيمرن، المرجع السابق، ص 58.

على الجودة الخاصة بالنقوش وأعمال الخزف والفنون المتعددة المختلفة ، حيث وصلت الصناعات الحرفية إلى أقصى شرق البحر المتوسط وبلاد فارس والشام ، وبالتالي كانت أثينا حاضرة لكل المدن الإغريقية التي تفتن فيها المعماريون والبناءون المهرة في بناء ونحت المعابد والقصور والمنازل ، وفي المقابل نجد مدينة اسبرطة فبالرغم من اهتمامها العسكرية إلا أن ذلك لم يمنعها من الاهتمام بالجانب الاقتصادي الذي اعتمد بالدرجة الأولى على المجال الزراعي وتصدير فائض المنتجات الزراعية وبخاصة الحبوب كالقمح والشعير والزيتون .. الخ ، عن طريق تبادلها مع المدن الإغريقية الأخرى ، ويقوم بهذا النشاط الاقتصادي طبقات متخصصة تتمثل في : العبيد ، خدام المنازل.. الخ¹.

وقد عثر المتقنون على مظاهر الحياة الاقتصادية كالعملة النقدية وجداول الضرائب ، وكثيرا ما استفادت من خيرات مستعمراتها الاقتصادية التي تفتقر إليها ، أما النشاط الحربي لاسبرطة فلم يكن على المستوى الذي تميزت به أثينا بالرغم من وجود الاستقرار النسبي للدولة ، ولكنها تطورت فيها الصناعات المعدنية الخاصة بأدوات القتال كالدرع والسيوف والسهام ، كذلك الصناعات العاجية وصناعة المراكب فضلا عن اهتمام الاسبرطيين ببناء القلاع والمراكز العسكرية استكمالاً لمتطلبات حياتهم العسكرية².

وانطلاقاً من هذا التوضيح البسيط للخلفية الاقتصادية لبلاد الإغريق خاصة منها أثينا واسبرطة نستنتج أن للاقتصاد دور مهم في تشكيل نظام الدولة المدنية والحفاظ على وجودها واستقرارها ، ذلك أن قوة المدينة تعد عاملاً أساسياً في تطورها ونموها الحضاري فلولا الاقتصاد الأثيني وما كان يتمتع به الأحرار من شعبها من حرية وديمقراطية لما استطاعت هذه المدينة أن تنتج فكراً أو علماً أو فلسفة ، ولما استطاعت أن تقيم تلك المؤسسات السياسية والديمقراطية العظيمة حيث يقول المؤرخ المياري : " إن موقع أثينا والحرية والديمقراطية وقوة اقتصادها وفر لها جميع الشروط اللازمة للسيادة الاقتصادية والفكرية ، وهو الأمر الذي حمى ديمقراطيتها ونظامها السياسي الديمقراطي المتميز عن بقية المدن الإغريقية الأخرى " ³.

(د) العوامل الدينية : ساد عند اليونانيين منذ القدم علاقة وطيدة ودقيقة بين التنظيم السياسي وبين الدين ، حيث يقول جلوتز: " إن الحاجة إلى الدفاع المتبادل الذي يمثله الاكروبول (المدينة المرتفعة) أو الأسوار التي تظهر في صورة دينية ، فلكل مدينة ولكل أسرة إلهها " ⁴ ، فجميع الأنظمة السياسية والتدابير الاجتماعية قامت منذ بداية

¹ ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص ص 62-63.

² محمود السيد ، التاريخ اليوناني والروماني ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 2007 ، ص 44.

³ ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص 62.

⁴ جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 20.

التاريخ على معتقدات دينية ، وأن الآلهة لعبت أكبر دور في حياة الإنسانية بسبب أن الدين أسرع مؤثر في حياة البشرية ، وخلال دراستنا للعوامل المؤدية لهذا التطور السياسي نطرح عدة تساؤلات عن بواعث هذا النظام بحيث يكون لكل مدينة قلعته "كمركز للحكم السياسي" ، ومعناها "كمركز للحكم الديني" الذي يعتبر من أهم مكونات المدينة الإغريقية ، وأن هناك مجتمعات صغيرة تعيش منعزلة في البلاد لا تعرف فيما بينها رابطة دينيا ولا رابطة سياسيا ، ولكل منها منطقتها وحدودها .

ومن هذا المنطلق نطرح التساؤل التالي : " ما مدى تأثير الدين في ظهور الدولة المدينة عند الإغريق ؟ وكيف ساهمت عبادة الأسرار أو الأسلاف بالتحديد في هذا التطور السياسي لأول مرة ؟ وكيف أثرت المعتقدات الدينية الإغريقية في تجسيده واستمراره على نقيض السومريين الذي انتهى في عام 2370 ق.م ؟

(أ) دور عبادة الأسرار والأسلاف : إن العامل الأساسي وراء ظهور الدولة المدينة عند الإغريق هو ديانة العصر الباكر أي ديانة الأسرار أو الأسلاف* ، والتي تتسم بالاستقلال الديني لكل أسرة من حيث العبادة والشعائر والدفن والإله ، فعبادة السلف تأمر الإنسان بأن يمجّد أسلافه وهي التي جمعت الأسرة حول المذبح ، حيث عاشت الأسر في البدء منعزلة ولم يعرف الإنسان إلا أهله المنزلية ، والفكرة الدينية عند القدماء هي النسمة الملهمة والمنظمة للمجتمع الإغريقي¹ .

وبالتالي كانت ديانة كل أسرة تختلف عن غيرها من الأسر الأخرى على أساس أن النظام في المجتمع الإغريقي في العصور الباكرة هو نظام الأسرات ، وكانت الديانة تحرم أن تختلط أسرتان وأن تمتزجا معا ، ولكن يجوز أحيانا أن تجتمع عدة أسرات دون أن تضحى بدياناتها الخاصة ، لتحتفل بعبادة مشتركة فيما بينها ، ولتشكل فيما بعد نظام العشيرة المكون من عدة أسرات .

ويقوم هذا النظام على التوسيع في الفكرة الدينية والانتقال من العبادة الفردية (العبادة المنزلية) إلى العبادة الجماعية لمجموعة من الأسرات ، فعندما أخذت العشيرة تستقر على الأراضي اليونانية ظل يجمع الموقد المشترك جميع

*ديانة الأسرار والأسلاف : هي ديانة موضوعها الأسلاف ورمزها الأساسي الموقد ، وهي التي كونت الأسرة الأولى ، وتتميز هذه الديانة بأنها فردية أسرية ، سرية فهي تتسع لكل فرد من أفراد الأسرة فقط سواء أكان حرا أو عبدا وتبشر بتعاليم البعث والميلاد والخلود ، ولعل من أهم عقائدها : عقيدة الروح والموت ، عبادة الموتى ، النار المقدسة ... ، لكن هذه القواعد بدأت تفتى وتزول شيئا فشيئا عكس الديانة الأخرى القائمة على آلهة الطبيعة المادية فقد كانت أكثر ميلا للتقدم وتطورت تدريجيا وبحرية ... ، فضلا على أنها جماعية عادية ، وشخصياتها الرئيسية : زيوس ، هيرا ، أثينا ... وأخذت مذاهبها تقوى شيئا فشيئا بلا انقطاع في سيطرتها على الإنسان ... ، أنظر : خليل سارة ، المرجع السابق ، ص ص 256-257.

¹خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 309.

أولئك الذين يجري في شرايينهم دم الجد الأولى ، فتحت سقف واحد رضعوا لبنا واحدا واستنشقوا دخانا وأكلوا خبزا واحدا من نفس القدر ، ولم تكن هناك ضرورة لتحديد القرابة فجميع أبناء العشيرة أخوة ، ولزمن طويل كانوا يذكرون تلك الدور الواسعة التي تضم عدة مئات من ذوي القرابة ، وقد تحدث هوميروس عن 512 أختا كانوا يقيمون معا في دار بريام ومعهم زوجاتهم وأزواجهم فضلا عن الأبناء ، و تتمتع هذه الأسر باستقلال كامل ، ولا تقبل أي حد لسيادتها ، ولم تكن تعترف بالتزامات غير تلك التي تملئها ديانتها الخاصة¹ .

وقد اعتقد الإغريقون أن الاستقلال الذاتي كان مشروطا بشرط مادي هو الاكتفاء الذاتي ، وهكذا كانت تملك العشيرة إلى جوار دارها ذات الموقد المقدس جميع الأراضي المحيطة وبها قبر الجد المقدس ، ثم كل ما يلزمها من حقول ومزارع وأعناب وزيتون لإطعامهم ، ويسير أمورهم و شؤونهم زعيم العشيرة الذي ارتقى إلى درجة الملك والجد الإلهي ويحمل في شرايينه أنقى دم وهو حبر الإله المتجسد فيه² .

ومن ثمة تكونت مجموعة من العشائر ما يعرف بالقبيلة (Tribu) حيث احتفظت كل عشيرة بديانتها الخاصة لتحتفل بعبادة مشتركة فيما بينها ، ولتشكل فيما بعد نظام القبيلة المكون من عدة عشائر ، وكانت لهذه القبيلة ديانة مشتركة أوسع شمولاً ، وإلهها من نفس طبيعة إله العشيرة وإله الأسرة ، وخصص له في كل عام يوم واحد عيد له واحتفال ديني يشترك فيه كل أعضاء القبيلة وشيدت له هيكلها ، وللقبيلة اجتماعاتها وقراراتها الملزمة لجميع أعضائها ، وكان لها محكمتها وقانونها ، وهكذا تكونت النواة الأولى للمدينة القديمة³ ، وكذلك الأمر ينطبق على اتحاد عدة قبائل لتتكون المدينة شرط أن تحترم كل قبيلة ديانة الأخرى ، لأنه لم يكن في استطاعة قبيلتين أن تندجا في قبيلة واحدة لأن ديانتهم تتعارضان في ذلك ولهذا كونت هذه القبائل المتحدة فيما بينها ديانة عامة وإلهها مشتركا يشترك في عبادته جميع أعضاء المدينة⁴ .

وعلى هذا الأساس يمكننا القول أن المدينة الإغريقية تكونت من اجتماع عدة عائلات وإقامة شعائرها الدينية المشتركة المتميزة بشعائرها الخاصة ، وقد شكلت هذه المرحلة بداية خروجهم من النطاق الأسري المحدود إلى مرحلة اجتماع عدة عائلات ، حيث تكونت منها مجموعات عرفت عند الإغريق باسم (Phrtatre) ، وهكذا اتسعت الفكرة الدينية بعد أن تكونت لدى هذه المجموعة فكرة عن آلهة أسمى من الآلهة المنزلية فشيّدوا لها هيكلها

¹ جوستاف جلونز ، المرجع السابق ، ص 35.

² نفسه ، ص 36.

³ البير نصري نادر ، المدينة الكلاسيكية مدن اليونان والرومان ، مجلة الفكر العربي ، ع 29 ، معهد الإنماء العربي للعلوم الإنسانية ، 1982 ، ص 50

⁴ خليل سارة ، المرجع السابق ، ص ص 310-311.

وأشعلوا لها نارا مقدسة ورتبوا لها شعائر شبيهة بالشعائر التي تقام للآلهة العائلية¹ ، وفي هذا الصدد يقول فوستيل دي كولانج: "واجب تكريم الجد الأعلى استتبع واجب ضمان استمرارية الأسرة وفق الأصول والأنظمة التي تسود الزواج وحق الملكية وحق الوراثة ، وهذا ما أعطى سلطة مطلقة ومقدسة لرب العائلة ولبكر أولاده ، هذه السلطة وهذا الحق أصبحا أساسا لكل حياة أخلاقية واجتماعية ، ثم إن الضروريات الاقتصادية والحربية أجبرت العائلات على التجمع في قبائل والقبائل في مدينة"².

وهكذا أصبح لكل أسرة عبادتها وموقدها الخاص ، ولكل مدينة عبادتها ومذبحها الخاص أيضا ، والذي يعد مشتركا عاما بين القبائل التي تجمعت لتكوين المدينة بأن توقد نارا مقدسة وأن تتخذ ديانة مشتركة ومذبح المدينة يقع ضمن سور مبني يسميه الإغريقون بريتانينون (Prytaneae)* توقد له النار التي لا تنطفئ أبدا ، وتقدم له القربان³ ، و حسب فوستيل دي كولانج يمثل بيت النار أثينا المركز الديني لكل أتيكا ، وعندئذ تأسست الوحدة الأثينية ، فمن الناحية الدينية احتفظت كل قرية بعبادتها القديمة لكنها اتخذت جميعا عبادة مشتركة ، ومن الناحية السياسية احتفظت كل واحدة برؤسائها وقضاتها وحقها في الاجتماع ، ولكن فوق هذه الحكومات المحلية وجدت حكومة المدينة المركزية⁴ .

ومن منظور آخر فقد أثرت عبادة الأسلاف ولو بطريقة غير مباشرة في ظهور بواكر نظام الدولة المدينة عند الإغريق عن طريق تخصيص آلهة معينة تمثل طبقتهم الاجتماعية التي ينتمون إليها وتجسد وضعيتهم المعيشية (الفقر ، المهنة ، الثروة) سواء للطبقة الفقيرة وأخرى للطبقة الأرستقراطية وهذا ما جعل الأسرات و العشائر والقبائل عند اليونانيين تعيش في نوع من الاستقلالية والعزلة ، وهو ما يؤكد الباحث ز.بتازوني في قوله: " إن عبادة الأسلاف كانت سابقة عن عبادة الطبيعة وأهتها التي ظهرت في كتابات هوميروس ، ويرجع تعدد الآلهة وتنوعها بين الأمور الحسية الطبيعية والأمور العقلية المجردة إلى النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها الثقافة اليونانية ، فالطبقات الدنيا كانت تتعلق بالآلهة المحسوسة مثل: ديونيسوس (اله الخمر) ، هيفايستوس (اله الحدادين والصناع

¹ البير نصري نادر ، المرجع السابق ، ص 62

² Fustel du coulange , op-cit , p p376.

³*البريتانينون : هو المبنى الذي يحتوي الموقد (بيت النار) ، إذ كان لكل مدينة إغريقية موقدها الخاص ...،أنظر: جوستاف جلودتز، المرجع السابق ، ص 36

³ محمد الخطيب ، المرجع السابق ، ص 56.

⁴ Fustel du coulange , op-cit , p p 172-173.

وغيرها من الآلهة التي يقدها الزراع والصناع البسطاء ، في حين أن أبوللون (اله الشعر والعرافة) ، وزيوس (كبير الآلهة) كان يقدهما أبناء الطبقة الارستقراطية¹ .

وصفوة القول نستخلص أنه عندما تتكون القبيلة من مجموعة عائلات ويصبح لها طقوس دينية خاصة بها عندئذ تتميز القبائل الواحدة عن الأخرى ، وعندما تجتمع عدة قبائل مع احتفاظ كل قبيلة بطقوسها حينئذ تتكون المدينة ، وللمدينة دينها المشترك ، نارها المقدسة... الخ، فضلا على أن هذه العائلات والأسر التي اتحدت في مجموعات والمجموعات في قبائل والقبائل في مدن حافظت كل منها على طقوسها الخاصة وذاتيتها الخاصة واستقلالها الديني ، كما أن الديانة الباكورة عند الإغريق كانت هي السبب في ارتباط الجماعة السياسية وتعزيز صلة النسب بين أعضاء الجماعة ، وهي السبب التمهيدي لظهور الدولة المدينة الإغريقية (polis) الناتجة عن اجتماع عدة قبائل برضاها أحيانا ، وبالقوة أحيانا أخرى فبعدها كان لكل عشيرة أو قبيلة رئيسها الخاص وديانتها وآلهتها الخاصة أصبح لكل مدينة إلهها الخاص وأحيكت له أسطورة دينية توضح سبب وجوده وعلاقته بالأسرة والقبيلة والمدينة وفقا للثالوث المقدس " المواطن ، المدينة ، الإله " .

واعتقدوا أن المدينة بما أحدثته من تفكيك للمجتمع القبلي العشائري الذي كانوا يعيشونه من قبل ، قد حررتهم من الوصاية الثقيلة للعشيرة العائلية ، وجعلتهم كائنات فردية ومستقلة نسبيا ، وأصبحوا مواطنين متحمسين لمدينتهم و مستعدين للموت في سبيل حريتها واستقلالها² .

ب) دور الآلهة الإغريقية : منذ القدم لعبت المعتقدات والأساطير الدينية دورا مهما في تعلق الإغريقي بمدينته من جهة ، وصلة المدينة بإلهها من جهة أخرى حتى تدعمت هذه الرابطة بين الثالوث المقدس " المواطن ، المدينة ، الإله" وارتبطت حياة الفرد الإغريقي بمدينته ارتباطا كليا وأصبحت تمثل حياته السياسية والاقتصادية والفكرية بل إنها كانت تمثل حياته الدينية ، إذ كان لكل مدينة إلهها أو آلهتها الخاصة* بالإضافة إلى الآلهة التي يشترك مع مواطني المدن

¹ عصمت نصار ، الفكر الديني عند اليونان ، ط2 ، دار الهداية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2005 م ، ص 23.

² مصطفى النشار ، المرجع السابق ، ص 32.

* وقد أرجع الباحثون تعدد الآلهة عند اليونانيين إلى الطبيعة الجغرافية للخريطة السياسية التي كانت تقسم اليونان إلى مجموعة جزر متفرقة ودويلات منفصلة بموانع طبيعية ، الأمر الذي يخرج فكرة الوحدة والكثرة من إطار الفكر العقائدي ويخضعها إلى التطورات السياسية ، وكما سبق ذكره أن ساد إلى جانب الآلهة المنزل انشر آلهة الديانة الطبيعية (المادية) ويسكنون جبل الأولمب مثل : أثينا ، هيرا ، زوس .. الخ، وتولدت هذه الديانة من مشاهد قوى الطبيعة (الشمس ، السحاب ، البحر) وتميز هؤلاء الآلهة بقوتهم الفائقة للطبيعة ، واحتفظت كل ديانة بطقوسها الخاصة ، ومن الصعب القول أي من الديانتين اسبق من الأخرى ، ولكن مع انتشارها اتسع نطاق المجتمع اليوناني ..، أنظر : عصمت نصار ، المرجع السابق ، ص24، البير نصري نادر ، المرجع السابق ، ص ص 50-51.

الأخرى في الإيمان بها كآلهة الأولمب¹، فتقدّس آلهة اولمب كانت بمثابة رابطة دينية حية يشترك فيها جميع الإغريق في تقدّسها وعبادتها، وعلى مختلف دول مدتهم يجلبون نبوءة أبوللون في معبد ديلفي وجميعا يحجون إليه لاستشارته²، وهو ما يؤكد أرسطو: "إن دولة المدينة قد جعلت الحياة ممكنة بمعنى أنها الكيان الوحيد الذي يستطيع المواطن الإغريقي خلاله أن يعبر عن جميع طاقاته الروحية والخلقية والفكرية والاقتصادية والسياسية بل والألعاب الرياضية على أتم وجه"³.

ونظرا لقدسية الآلهة وارتباطها بالمدن، فلا تكاد أي مدينة إغريقية تخرج للحرب إلا وهي تحمل معها وفي مقدمة جيوشها صورة إلهها وشعاره، ولن تخطو أي خطوة إلا بعد استشارته بسؤاله عما يخبئه الغيب لها، وكان من واجب الإله أن يحارب في صفها، وأحيانا يظهر في مقدمة الجيش أو فوق رماح الجنود، ولم يكن النصر مقصورا على غلبة المدينة لمدينة أخرى بل كان يشمل أيضا غلبة إله المدينة الأخرى⁴، وقد أصبحت هذه النظرة الدينية مع الأيام عامل تفرقة بين المدن اليونانية، وبالتالي أصبح الدين لدى اليونانيين عامل تفرقة بقدر ما كان عامل توحيد، فقد كان لكل جماعة (أسرة، عشيرة، قبيلة، مدينة) إلهها الخاص بها توقد له النار التي لا تنطفئ وتقدم له القرابين (طعام، خمر، ذهب) قبل كل وجبة⁵، ولهذا خصص لكل مدينة إلهها الخاص بها، ففي مدينة أثينا مثلا تعبد الإلهة أثينا، وفي أليوسيس تعبد ديمتر، وساموس تعبد هيرا، وأفسوس تعبد ارتيس، وبوسودونيا يعبد الإله بوسيدون... الخ⁶.

في حين بعض الآلهة تعدى نفوذها حدود المدينة الواحدة خاصة بعدما تتحد دولا عديدة متجاورة معا لأغراض سياسية واقتصادية للمشاركة في الاتفاق على موقع ديني مقدس، وأبرزها: الامفيكتونونات (الجيران) وتكون هذا الحلف أول مرة حول حرم ديمتر بالقرب من ثيرموبيلاي، وكان له مركزان هما ديلفي وثيرموبيلاي⁷ واعتقد اليونانيون بأن الآلهة هي التي تمنحهم البركة والصحة والعافية وهي التي تعاقب الأشرار وتهدم سفنهم في البحر وأسوارهم، وتنزل بهم الكوارث وتحرمهم من الإنجاب، وكانت الطبقات الدنيا تعتقد أنه بإمكانها مدهانة

¹ أحمد محمود صبحي، المرجع السابق، ص 42-43.

² خليل سارة، المرجع السابق، ص 320.

³ أحمد محمود صبحي، المرجع السابق، ص 43.

⁴ محمد الخطيب، الفكر الإغريقي، المرجع السابق، ص 56.

⁵ حسين نعمة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعابد القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994، ص 103.

⁶ عبد الرضا حسين الطعان وآخرون، المرجع السابق، ص 205.

⁷ بيير ديفانييه وآخرون، ج1، المرجع السابق، ص 458.

الآلهة ورشوتها للتجاوز عن أخطائهم¹، فضلا عن اعتقادهم بأن سبب نشأة المدن الإغريقية راجع إلى وجود الآلهة التي حمتهم ودافعت عنهم أمام الأخطار وهو ما يؤكد عبد الرضا حسين في قوله: "...وتتكون دولة المدينة وهي الوحدة السياسية المركزية لدى الإغريق... وألهتها التي كانت سبب نشأتها وحمايتها وبشيرها ونذيرها ومثلها الأعلى" فمثلا: كانت أثينا هي آلهة مدينة أثينا التي منحتها اسمها وحمتها ودافعت عنها، وهي من الآلهة النساء عند اليونانيين القدماء وترمز للحكمة وحامية الأبطال والحواضر، وتواجه فوضى إله الحرب " آريس أو مارس"².

وبالتالي شكل تعدد الآلهة الإغريقية المحلية عقبة في سبيل تحقيق الوحدة القومية نتيجة لصراعاتها بالإضافة إلى أن الصراع بين المدن دخل زاوية آخري للصراع تتمثل في الخلافات الدينية والعقائدية التي باتت مصدرا للخلاف وتطورت حتى أدت لحدوث صراع ديني تعددت أسبابه، فكان للدين في هذه المدن شأن كبير من خلال رعاية حكومات المدن وسهرها على الطقوس الدينية، وذلك لكونها ترى فيها ضرورة ملحة لاستمرار النظام الاجتماعي والاستقرار السياسي.

وخلاصة القول أنه لم يكن لدول المدن دين رسمي يتمسك به مواطنوها أو عقائد تملئ عليهم كما أنه لم يكن عماد الدين الإغريقي الإقرار بعقائد معينة فضلا عن عدم وجود عقائد ثابتة، بل كان قوامه الاشتراك في أداء الطقوس والعبادات الدينية الرسمية.

ج) دور المعبد الإغريقي: ارتبط ظهور المدن الإغريقية منذ القدم بظهور المعابد فكلاهما مرتبط بالأخر، فبداية المدن هي نفسها مرحلة المعبد التاريخية حيث نشأ مجتمع المدينة أول مرة حول مذبح التضحية الدموية التي تقدم وقت البذار*، وعندما اشتدت المدينة الإغريقية قدما وازدادت اتساعا وشهرة زاد معبدها ظهورا وانتشارا، وغالبا ما ينشأ إلى جوار المعبد القصور الملكية مثل: قصر كنوسوس الذي يحتوي على كل إمارات الراحة والترف فضلا عن مقاصير دينية مقدسة، بالإضافة إلى تواجد معابد أخرى منفصلة في جزيرة كريت³.

¹ عصمت نصار، المرجع السابق، ص 112.

² عبد الرضا حسين الطعان، المرجع السابق، ص ص 204-205.

*قربان البذار: هو من أهم الأضاحي عند الإغريق بسبب أنه من داخل حياة الإنسان الإغريقي عند رعيه الحيوان وزراعتة الأرض إحساس بوجود فارق بين أجزاء السنة وبوجود فارق بين اليوم واليوم، فكان المعبد يسهر على حساب هذه الأيام بما يقيم من أعياد وبذلك كان الهيكل بمثابة ساعة المكتب ..، أنظر: جوستاف جلوتز، المرجع السابق، ص ص 36-37.

³ ج. ه. ولز، معالم تاريخ الإنسانية، المرجع السابق، ص 247.

ولم يعرف اليونانيون في البداية الشكل التقليدي للمعابد كما هو الحال بالنسبة للمجتمعات الشرقية بسبب أن طقوس العبادة تؤدي مباشرة لصورة الإله المجسدة على الأرض ، ومن ثم كان البيت بمثابة المعبد نظرا لوجود موقد النار المقدسة "هستيا" فيه ، وكذا كانت الطرقات والجبال والحفر معابد ما دامت تحتوي تمثالا أو هيكلًا لأحد الآلهة ، لكن تطور مفهوم المعبد بعد ذلك و أصبح مرتبطا بموقع الهياكل المجسدة للآلهة ومكانا مقدسا لا يعتدى عليه ، يأوي إليه اللاجئون والمطاردون ليأمنوا فيه على أنفسهم فلم يكن مكانا للصلاة فقط بل بيتا للإله الذي ينصب فيه تمثاله وتوقد أمامه نار لا تنطفئ¹ .

والجدير بالذكر أن في هذه المعابد مزار مقدس يشرف عليه في الغالب تمثال ضخم جرت العادة أن يكون ذا هيئة فضيعة وحشية نصفها حيواني و أن يقوم أمامه مذبح للقربان ، غير أن التمثال في المعابد الإغريقية كانت في الأغلب تمثال لإله في صورة إنسانية ، وكان هذه التمثال إما أن يعد هو الرب بعينه أو رمزا للرب أو صورة للرب الذي أقيم المعبد لعبادته ، واتصل بالمعبد عدد من الكهنة أو الكاهنات وخدم المعبد² ، بالإضافة إلى تواجده في وسط المدينة وفي أعلى مكان فيها ضريح إلهها ، وكان الاشتراك في عبادة إلهها رمز مواطنتهم وميزتهم الدينية والسياسية³ .

وبما أن المنزل العادي كان يؤخذ كنموذج لسكن الإله ، فإن الشكل الأصلي للمعبد يشبهه إلى درجة كبيرة ، حيث لم يكن في العصور المبكرة أكثر راحة إلى حد كبير ، وأشهر المعابد مثلا : نجد معبد أبوللون في ديلفي كان مجرد كوخ كبير صنع في البداية من أغصان الشجر ، وقد بني لوقت طويل من الخشب والآجر وصمم دائما طبقا لتخطيط واحد ، فكان مستطيلا بشكل عام ، وله أحيانا في بعض أقاليم البلاد شرفة بارزة ، وعند نهاية القرن الثامن قبل الميلاد أظهرت نماذج نذريه من الطين المحروق السمات الأساسية للمعبد الإغريقي** التي تطورت ملامحه في وقت لاحق حتى أصبح أكثر تعقيدا ، بالإضافة إلى أشهر معبد عند اليونانيين (معبد البارثينون) في أثينا .

ويرتفع المعبد عادة على مصطبة بثلاث درجات تعرف باسم الكريبيس (krepis) وظيفتها حماية قاعدة البناء من تسرب الماء إليه ، وقد جعلت الرغبة في منح السكن الإلهي مظهرًا أكثر جمالا للمعماريين الذين أحاطوه

¹ عصمت نصار ، المرجع السابق ، ص 122.

² ج . هـ . ولز ، معالم تاريخ الإنسانية ، تر: عبد العزيز توفيق جاويد ، مج 1 ، القاهرة ، 1967 ، ص 247.

³ محمد الخطيب ، الفكر الإغريقي ، المرجع السابق ، ص 56.

* بعد تطور المعبد أصبح يتكون من :

بصفوف أعمدة تبدأ من صنف واحد إلى اثنا عشر عموداً مع تحديد طراز الأعمدة¹ ، ولقد أغفل الآخيون بناء المعابد بسبب اهتمامهم ببناء القصور ، بينما اهتم الدوريون ببناء الأضرحة على مر الأزمان تدريجياً حتى أصبحت معابد كاملة حيث بدأ هذا التطور بالجدار الذي يحيط بالضريح الذي أصبح الشكل للمعبد الإغريقي مستطيلاً في واجهته الأمامية ومتعرجاً ثم أضيفت له أجنحة جديدة متعرجة فأصبح الشكل للمعبد الإغريقي مستطيلاً في واجهته الأمامية مسقف تسنده الأعمدة ، أما الساحة الداخلية من البناء فقد بني فيها صفان من الأعمدة لإنشاء ممرات جانبية² .

وبعد تطرقنا للهندسة المعمارية للمعبد الإغريقي واهم مكوناته في العصور البكرة ، سوف نحاول تسليط الضوء على دوره في ظهور الدولة المدينة عند الإغريق ؟ وهل تمتع بنفس القدسية الدينية التي اشتهرت بها معابد السومريين ؟

لعب المعبد الإغريقي دوراً مهماً في الحياة السياسية والدينية والاقتصادية ، حيث اعتبر مركزاً للمشورة في الأمور الدينية والاستشارات السياسية والطبية ، والقاعدة الأساسية للشؤون الاقتصادية والعسكرية ، ففي حالات السلم و الحرب يلجأ الملوك والكهنة إلى المعابد لاتخاذ القرارات المهمة مثل : حركة التوسع الاستعماري ضد الفرس ، تأسيس المدن ... الخ ، فكانت طبقة الكهنة تقدم أجوبتها على شكل أبيات شعرية وتراتيل دينية³ ، وقد لعب وحي ديلفي أيضاً دوراً هاماً على الرغم من صعوبة تفسيره في حياة الشعوب اليونانية التي لا تستطيع اتخاذ أي إجراء مهم دون الحصول على نصيحة ووحى الإله ، ففي حركة الاستعمار الإغريقية الكبرى التي أسست مستعمرات إغريقية على طول شواطئ البحر المتوسط من إسبانيا إلى الشواطئ البعيدة خاصة في القرن 8 ق.م إلى القرن 6 ق.م⁴

ويعتقد أن الكاهنة البوثيا أو بثيا (Pythia) أمدت مؤسسي المدن الجديدة بالإرشادات الطقسية لأشكال العبادة والنظم الدينية ، وبمعلومات جغرافية عن الأقاليم البعيدة التي يبحرون إليها ، فضلاً على بروز دورها في حملاتهم على الفرس خاصة عندما غزى أكسركيس الإغريق عام 480 ق.م ومعركة بلاتاي 478 ق.م* ، وكان لها

-حجرة بسيطة (الحرم) توضع فيها تمثال الإله ويسمى الناوس (Naos) أي حجرة قدس الأقداس .

-بجو ضيق (الرواق) : يسمى البروناوس (Pronaos) أي حجرة ما قبل قدس الأقداس يتقدمه مدخل وله سقف مثلث الشكل مقام على شرفة حيث بنيت فيما بعد الواجهة المثلثة ، لكن تطور وأصبح رواق معبد ، والمخرب (قاعة الأسرار الدينية) (Temenos) مفصولة ومعزولة على حدى .

-مقصورة الفنائس (Opisthodomos) خلف البناء بمحذوف توفير مكان جديد لحفظ القرابين والأشياء الثمينة ... ، أنظر : ثروت عكاشة ، الفن الإغريقي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1982 ، ص 193 ، بيير ديفانييه و آخرون ، ج 1 ، المرجع السابق ، ص 256 .

¹ بيير ديفانييه ، المرجع السابق ، ص ص 255-256 .

² رجاء كاظم عجيل ، المرجع السابق ، ص ص 73-74 .

³ ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص 97 .

⁴ -

تأثير كبير على الإنتاج الفكري والأدبي من خلال احتواء أروقتة على صور لشخصيات ثقافية مهمة مثل :
هوميروس وهيسود... الخ¹.

ومما تجدر الإشارة إليه أن للمعبد الإغريقي علاقة بالوضع السياسي الراهن في المدن الإغريقية ، ففي عهد
الطغاة في القرن 7 ق.م اهتم ملوكه ببناء المعابد الضخمة لإظهار عظمتهم ولإيجاد فرص عمل للعاطلين لكسب
تأييدهم ، ففي أثينا أعاد بيزستراتوس بناء معبد إلهة أثينا وشرع في بناء صمم للإله زيوس².

وبالرغم من قيام المدينة الإغريقية حول المعابد ، فإنها لم تشهد عبر تاريخها قيام دولة المعبد التي تظهر عند
السومريين ، فقد لا يدخلها بعض الناس إلا مرة واحدة في السنة أو قد لا يدخلها سوى الكهنة فحسب ، وقد لا
تدخلها أيضا الكاهنات إلا منقبات مثل : معبد سوسيبوليس (Sosipolis) في مدينة ، ويكتب على الهيكل
الداخلي كلمة (Adyton) بمعنى " ممنوع الدخول " ، وهناك أماكن أخرى يمنع فيها المشي مثل : أيكه الآلهة
ديميتر والآلهة كوري في مدينة ميغالوبوليس (Megulopolis)³ ، ولكن فيما يتمثل دور الكهنة في تجسيد العزلة
السياسية التي سادت بلاد الإغريق ؟ ، وهل تمتعوا بنفس المكانة والقدسية الدينية التي تمتع بها كهنة الشرق ؟ كل
هذه النقاط سوف نشير إليها في العنصر القادم .

د) دور الكهنة : لم يتمتع الكهنة في المدن الإغريقية بأي سلطة سياسية ولم يسيطروا على الدولة ، وإنما العكس
الدولة هي التي تسيطر على الكهنة ، بالإضافة إلى أنهم لم يؤلفوا نهائيا طبقة حاكمة ومميزة داخل المجتمع الإغريقي
عكس الطبقات الشرقية التي سطرت فيها هذه الطبقة على جميع السلطات والصلاحيات ، واعتبروا المحرك الرئيسي
للمجتمعات الشرقية ونشاطاتها ، في حين عند الإغريق كانوا مجرد موظفين صغار في الهياكل ، وأملاكهم يدير
شؤونها موظفون من قبل الدولة ، وكان في وسع أي إنسان أن يؤمن بما يشاء من العقائد الفكرية والدينية شريطة

* في موقعة بلاتاي عام 478 ق.م نظم الاسبرطيون صفوفهم وعلى رأس كل مقاتل إكليل من الأغصان الخضراء ، وبدأ لاعبو الناي يرتلون التراتيل الدينية
والملك وراء صفوف الجيش يقدم الذبائح ، ولكن أحشائها لا تعطي إشارات مناسبة ، أعاد الملك الكرة مرتين أو ثلاثة بالرغم من تقدم الجيش الفارسي
وأخذوا يرمون سهامهم على الجيش الاسبرطي لكن جنود الاسبرطين ظلوا ثابتين ينتظرون الإشارة الآلهة الدينية المناسبة ، وفي الأخير ظهرت علامة الآلهة
فرجع الجنود تروسهم وقبضوا على سيوفهم وبدأوا القتال بكل ضراوة حتى حققوا النصر على الفرس ...، أنظر : البير نصري نادر ، المرجع السابق ، ص
54.

¹ بيري ديفانييه وآخرون ، ج1 ، المرجع السابق ، ص ص 464 - 465.

² رجاء كاظم عجيل ، المرجع السابق ، ص 74.

³ محمد الخطيب ، الفكر الإغريقي ، المرجع السابق ، ص 58.

ألا يكفر بأله المدينة أو يشبهها ، وقد أثرت هذه الظروف في عزل المجتمعات الإغريقية بعضها عن بعض وتنوعت العبادات فيها ¹.

حيث أصبح لكل مدينة إغريقية كهنتها الخاصة ولم تجمع أي روابط بين كهنة مدينتين ، ولا أي صلة أو تبادل في التعليم أو الشعائر، فكانت كل مدينة مستقلة بحد ذاتها ولها قوانينها الخاصة وأعيادها الدينية ، وحتى عملتها الخاصة التي قد تحمل رمزها الديني ، وبالتالي لم يكن هناك شيء واحد مشترك بين مدينتين حتى أن الزواج كان ممنوعا بين مدينتين مختلفتين ، فكل مدينة أقامت حول حدودها خطا فاصلا من الحدود المقدسة ، وكان هو أفق ديانتها القومية وألتهها وفيما وراء هذا الخط كانت تتحكم آلهة وعبادة وكهنة آخرين ².

وكما سبق ذكره لم يكن للكهنة في الديانة اليونانية وظيفة خاصة أو هيئة تقسمهم إلى طبقات كما هو الحال في الديانة المصرية و، لأن رب البيت اليوناني كان يعتبر نفسه كاهنا فيقدم القرابين ويضع الزهور للآلهة... الخ ، وكان أي شخص يقوم بخدمة الآلهة تطوعا ، ولم يعرف اليونانيين نظام العزلة الكهنوتية بل كان عمل الكهانة يؤدي في البداية من الحاكم إلى أقل المواطنين شأنًا إلى جانب أداء حياته العادية ، ولم تكن هناك فروضا على سلوك الكاهن إلا ابتعاده عن ارتكاب الآثام والمعاصي ، ويتم تعيينهم من قبل الدولة ، ولا يشترط فيهم إلا معرفتهم المراسيم الدينية والطقوس والاحتفالات التي تؤدي للآلهة ، ولم تكن لهم معاهد لتعليمهم كما هو الحال في الديانتين المصرية والرافدية ، وكانوا متسامحين إلى حد ما مع المشركين أصحاب الديانات السرية طالما لم يتعرضوا بالسب أو الجحود أو نكران لإله المدينة خاصة آلهة أولمب ، وهو ما يؤكد ارتباط الدين بالسياسة والمتمثلة في ضرورة ولاء المواطنين لرمز مدينتهم وولاءهم لمعتقدهم السائد والذي يضمن تماسك المدينة ³.

وفي العادة يرتدي الكهنة أثوابا تميزهم عن غيرهم ⁴ ، ومن أهم الوظائف الدينية التي يقوم بها الكهنة في المدن اليونانية هي : -الإشراف على معابد الآلهة وتسيير أمواله .

¹ حسن نعمة ، المرجع السابق ، ص 104.

² خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 267، ألبير نصري نادر ، المرجع السابق ، ص 53.

³ عصمت نصار ، المرجع السابق ، ص ص 121 - 122.

⁴ ج. هـ . ولز ، المرجع السابق ، ص 247.

-الإشراف على الصلوات الدينية وعلى مهابط الوحي وأهمها : معابد العرافين* في معبد أبوللون في دلفي (Delphy) ** والتي كانت تجرى كل أربع سنوات خلال مدة الألعاب الاولمبية ، في حجرة خفية وهي مقصورة داخلية تجلس فيها الكاهنة بثيا على كرسي عال بثلاث قوائم ، وتصدر التنبؤات الصادقة والمؤكددة ، والتي كشف بها أبوللون بلطف إرادة أبيه زيوس ، بالإضافة إلى معابد زيوس في ديدونا***، مما يدل على أن اليونانيين قد آمنوا بالتنبؤ والعرافة كما تأثروا بالأحلام .

- تقديم القرابين والأضاحي للآلهة التي تنوعت بين الثمار والحبوب والتمثيل والأواني الثمينة والحيوانات ، وعند الحاجة كان يضحي بالآدميين أنفسهم (كالمجرومين المحكوم عليهم بالإعدام) .

-التفنن في تأويل الكلام والاحتفالات الدينية والقيام بالطقوس الدينية¹ .

ونتيجة لمحدودية دور الكهنة وخضوعهم لسيطرة الدولة ، تحرر اليونانيون ن ضغوط العقيدة الدينية وبخاصة نفوذ الكهنة وموظفي المعابد وكل من له نفوذ ديني عكس الحضارات الشرقية الأخرى ، وبذلك نشأت بلاد الإغريق وتطورت دون نشوء كهانة قوية ذات نفوذ وترتب عنه حرية التفكير في الأمور الدينية فاتسع أمامهم مجال البحث أين يستطيع الفكر الإغريقي قول ما يشاء وبحرية في خضم ما تصف به من حدة الذكاء والخيال الواسع والخصب ، حب المعرفة والاطلاع الدائمين ، ونظرا لقدسية الآلهة وارتباطها بالمدن فقد تلق الإغريقي بمدنهم ووطنهم وجسدهم من خلال الملاحم والقصائد الشعرية التي تمجد مدنهم وآلهتهم ، ومن هنا سوف نحاول تسليط الضوء على ما مدى

* لعرفة (Oracle) : مشتقة من اللفظ اللاتيني (Oraculum) بمعنى النبوءة ، والمقصود بها إجابة الآلهة عن طريق كاهن أو كاهنة على أسئلة السائلين فيما يتعلق بمستقبلهم كالزواج ، التجارة ، المشاريع ، المستعمرات ...، أنظر: بيير ديفانييه وآخرون ، المرجع السابق ، ص 462.

** معبد دلفي : تمارس فيه أشهر التنبؤات عند الإغريق وهي عرافة دلفي ، وهي في الأصل عرافة الأرض الأم ، غير أن أبوللون بعد ذلك وظائفها ، وقد جرت العادة أن تكون الإستشارة من خلال الكاهنة بثيا (Pythia) التي تروح في عيبوبة بسبب التركيز العقلي والروحي الكامل وتنطلق بأصوات مبهمه غير مفهومة ، حيث يحول الكهنة هذه الأصوات إلى أنباء مناسبة في لغة مفهومة بالشعر والنثر ، ويقع هذا الموقع في إقليم فوكيس الذي يقع تقريبا في وسط بلاد الإغريق بالقرب من جبل بارناس شمال خليج كورينثوس (كورنثه) أحد أكثر الأماكن فقرا ورهبة في اليونان ، ويشبه اسم دلفي كلمة ديلفوس (Delphys) أو الرحم ، واعتبر بذلك مركز الكون ، وأهم مركز ديني عند الإغريق ...، أنظر : محمد الخطيب ، الفكر الإغريقي ، المرجع السابق ، ص 60، بيير ديفانييه وآخرون ، المرجع السابق ، ص 463.

*** معابد ديدونا : يقع في ايروس ، وبالرغم من أنه لم يتمتع بشهرة كبيرة مثل وحي ديلفي إلا أنه وحي ديدونا كان أكثر مهابط الوحي أهمية في بلاد الإغريق ، فقد كان كرويوسوس بين الحجاج الذين قدموا اليه ، وقد قدم اليه الاسكندر في وقت لاحق هبة كبيرة من المال إلى الحرم ... ، ومن أهم الاكتشافات التي عثر عليها في هذا المعبد هو بقايا أثرية تدل على ان هناك مسرح تم تشييده فضلا كمية من التماثيل النذرية البرونزية على شكل حيواني تنتمي الى العصر العتيق ...، أنظر : بيير ديفانييه ، نفسه ، ص ص 445-446.

¹ ليلى عبد القادر علي الغنائي ، المرجع السابق ، ص 97

مساهمة الآلهة الإغريقية في ظهور الدولة المدينة ؟ و ما علاقة تعدد الآلهة المحلية في عدم تحقيق الوحدة القومية الإغريقية ؟ .

(و) دور الملك الكاهن: منذ القدم ساد الاعتقاد بالأصل الإلهي للملوك في بلاد اليونان بهدف إضفاء الشرعية على ملكهم ، و ضمان طاعة الرعية لهم ، وذلك عن طريق الاعتقاد بنوة هؤلاء الملوك للآلهة الكبار ، لا سيما آلهة السماء ، وذلك بمخاطبة الملك للإله بصفة "الأب" أي باتصال الإله بشكل مباشر ، وتنكروا لأبائهم من الآدميين ولم يجدوا حرجا في هذا المسلك طالما سيضمنون لأنفسهم البقاء على سدة الحكم ، وفي هذا الصدد أشار هوميروس عن الملك انه منحدر من زيوس (رب الأرباب وملك السماء) ، أو ينعته بابن زيوس ، وأن العديد من الأسر الحاكمة في بلاد اليونان لا تنفك عن الادعاء بأنحدرها من اله السماء زيوس ، أو كانت تمتلك الأسر الارستقراطية النزعة إلى نسب أصولهم إلى زيوس ، فادعوا زواجه من نساء أسلافهم ، وخير مثال على ذلك : افتخار البيلاسجيون (سكان ايبيروس) بأنحدرهم من نسل بيلاسجوس (Pelasgus) ملك ارجوس ، فهو الجد الأسطوري لهم ، وعليه سموا ، والاركاديون يرون بأن بيلاسجوس كان أول البشر وأول الملوك ، وأنه كان شبه اله ، أو انه كان ابن نيوبي (Niobé)* من زيوس ، هذا الأخير حسب اعتقادهم هو المسؤول عن تعيين الملوك ، وعن منحهم السلطة على الأرض ، فكانوا ممثلين وخلفاء له ، حيث يقول هوميروس : "إن زيوس هو من يعطي الملوك الجحد أو يصف زيوس بأنه سيد المشورة ، وأن الملوك من تربيته"¹ ، وقد تلقب الملك عند اليونانيين بعدة ألقاب وتسميات خاصة منها :

- ملك المدينة أو ملك الملوك أو الملك الكاهن أو الرئيس الديني (الحبر الأعظم) ويحتل أعلى مرتبة في المدينة ويسمو إلى مرتبة الجد الإلهي على حد قول جوستاف جلوتز ، ويحمل في شرايينه أنقى دم وهو حبر الإله المتجسد فيه ، ولذلك ارتبط نسبه بالإلهية فأجامنون ومنلاوس ينحدرون من زيوس ، وينحدر عن أبوللون ملوك آخرين مثل أجاكس ، وعن بوسيدون ينحدر نستور والكنيوس² .

*نيوبي(Niobé): هي زوجة أمفيون الطيب نسبة لمدينة طيبة (Thebes) اليونانية في اقليم بيوتيا (Boeotia) ، وهو نفسه ابن الإله زيوس ...، أنظر:

سالم يونس سالم عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 5.

¹ سالم يونس سالم عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص ص 4،7.

² جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص ص 36 ، 73.

- كان الملوك الإغريق يعدون كهنة لرب السماء ، وهذا ما يتضح من شهادة هيودوت التي يقول فيها أن ملكين من ملوك اسبرطة كانوا كهنة لزيوس ، أحدهما كان كاهنا لزيوس "لاكيدايون" أي "زيوس الاسبرطي" ، والآخر "الزيوس اورانوس" أي "زيوس السماء" ، وفي كريت كان مينوس يعد كاهنا لزيوس¹.

وقد تكمص الملك سلطة الإله كاملة ، وفي بعض البلاد يسلمون بأن هذه القوة الخارقة تنفذ بطول الزمن فتحتاج إلى تجديد ، ففي جزيرة كريت كان مينوس يدخل كل تسع سنوات إلى كهف زيوس كي يقدم حسابا عن أعماله ، و في اسبرطة أيضا كان يجلس رجال الدين كل تسع سنوات في صمت متجهين بأبصارهم إلى السماء في ليلة صافية خالية من القمر ، فإذا رأوا شهابا يسقط كان ذلك دليلا على أن الملوك قد ارتكبوا إثما ضد الآلهة وأصبح من الواجب إعلان سقوطهم².

وتشير الدراسات التاريخية أن ملوك الإغريق يباشرون حكمهم وسلطتهم مدى الحياة ثم يورثونها لأكبر أبنائه سنا بسبب حملهم الدم النقي إلا في بعض الحالات عندما تنتزع الملكية ، أين يتم اغتصاب العرش مثلما حدث مع الملك أوديسيوس بعد عودته من مغامراته البحرية إلى أتيكا إلى تدعيم ملكه باحتفال ديني بتقدم القرابين حيث وجد أكثر من واحد من النبلاء ينازعونه على سلطانه³ ، وفي العادة يحمل ملك المدينة الصولجان* ذو المسامير الذهبية الذي يبرق في يد أجاممنون بهدف إضفاء قدسية دينية ، حيث صنع الإله هيفايستوس هذا الصولجان الذهبي ومنحه زوس إلى هرميس (ملك الكاهن) الحق في تمثيل المدينة في كافة المناسبات باعتباره يملك السلطة والقوة ، ويملك حق العمل وحق الكلام⁴.

وقد تمتع الملك بقدرات إلهية وامتلك قوة خارقة وسلطة وراثية مطلقة ، فكان رئيس المدينة سياسيا وعسكريا وكاهنها الأكبر ، ولقب بملك المدينة واتخذ من زهرة الزنبق رمزا لسلطانه ، وسوف نحاول في هذا العنصر حصر مهام الملك الدينية فقط دون المهام الأخرى وكيف ساهم في نشأة الدولة المدنية وتطورها عند الإغريق؟.

¹ سالم يونس سالم عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 14.

² جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 36 ، 73.

³ هوميروس ، الأوديسة ، المصدر السابق ، ص 44-45.

*الصولجان الذهبي : هي تلك العصا التي تخضع الشعب للملك ، وهو يوحي في نظر الجميع قد اختاره " زيوس " بحكمة كي يضمني عليه قداسة إلهية يصحبها ما تقتضيه من عظمة النفس ، مع منحه كلمة ثيمستيس ، وهو مصطلح يضمني الأحقية أو الشرعية على الحكم ..، أنظر سالم يونس سالم عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 8.

⁴ جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 74.

إلى جانب السلطات السياسية امتلك الملك الكاهن وظائف دينية بحكم انه الكاهن الأكبر للمدينة ، فهو الذي يترأس الطقوس الدينية ويحافظ على نار المعبد مشتعلة ، ويقدم القرابين للآلهة ويتلو الصلوات ويترأس حفلات الطعام الدينية المقدسة التي تجمع أفراد المدينة حول الموقد المقدس ، حيث يمثل قصره قصر الشعب (البريتينية) وموقده هو الموقد العام الذي يجتمع حوله رؤساء الجماعة لكي يحضروا تقديم القرابين الذي يسبق المداولات العامة أو استقبال عظماء الضيوف، ويرتدي الملابس القرمزية ويحتل مركز الصدارة في الاحتفالات ، ويسير على رأس المواكب ، وإليه تقدم الكؤوس مترعة وخير قطع اللحم في الأضاحي ، فهو الذي ينهض بنفقات الضحايا والقرابين التي تقدم للآلهة والولائم .

بالإضافة إلى ذلك يقوم الملك الكاهن بتفسير وتنفيذ الإرادة الإلهية باعتباره الوسيط بين البشر والآلهة ، ويتسلمه الصولجان يتسلم النواميس (أسرار الآلهة أي القرارات والقوانين السرية المقدسة والمعصومة الصادرة عن حكمة ، والتي يكشف عنها عن طريق الأحلام والعرافات) تحت مبدأ الاختبار الإلهي أو الحق الإلهي كي يضمن القضاء على الجرائم وإنقاذ الأبرياء ونشر السلام الداخلي بين العشائر بان يوقع على المجرمين عقوبة " إهدار الكرامة" باعتباره السيد الموكل بالعقاب والتهديد ومن ثم الحفاظ على النظام الاجتماعي¹ وفي هذا يقول هوميروس : " عندما يقيم ملك يخشى الآلهة ولا يسمو إليه عيب ميزان العدل ، تخبص الأرض السوداء بالقمح والشعير وتثقل الفواكه والأشجار وتنتج الأغنام الحملان باستمرار ويغص البحر بالسماك كل شيء يزدهر عندما يحسن الملوك ويصبح الشعب سعيدا " ².

ومما تجدر الإشارة إليه أنه بمجرد تطور شكل نظام الحكم في المدن الإغريقية تلاشت تدريجيا فكرة الحق الإلهي التي تركز فيها السلطات في يد شخص واحد وهو الملك ويجسد ما يعرف بالحكم الملكي الفردي ، لكن بعد استئثار هذا الأخير بجميع السلطات والصلاحيات أثار بذلك العائلات الأرستقراطية الغنية خاصة في مدينتي أثينا واسبرطة فقاموا بثورات قوية ضد ملوكهم وتمكنوا من خلالها انتزاع السلطتين السياسية والعسكرية والقضائية وتركوا له فقط السلطة الدينية حيث أصبحت السلطة السياسية والعسكرية بيد مجلس الشعب والجمعية العامة .

¹جوستاف جلودر ، المرجع السابق ، ص 36 ، 74.

² هوميروس ، الإلياذة ، المصدر السابق ، ص 96.

وباختفاء هذا الحق الإلهي اختفى بالضرورة مبدأ الحكم الملكي الفردي المطلق لتحل محله مبدأ الحكم الجماعي الذي وصل إلى ذروة نضوجه وتطوره في شكل الحكم الشعبي (الحكم الديمقراطي) ، واتضحت بصورة جلية انفصال بين السلطات والمهام المنوطة سواء للملك أو المؤسسات السياسية الأخرى¹.

ومما زاد من حرية الفكر الإغريقي هو تحرر الديانة الإغريقية من نفوذ الحكام ، فلم يكن هناك حاكم مغتصب لديانة معينة يستمد منها تعاليمه ، وهذا يعني عدم وجود نفوذ ديني أو سيطرة سياسية تستند على الدين وبالتالي لم تكن هناك صراعات بين مراكز النفوذ الديني ومركز النفوذ السياسي .

وعليه يتضح أنه كان للدين شأن كبير في سياسة الأمم لأنه العامل الوحيد الذي يؤثر في أخلاقها ومبادئها بسبب استمراريته وانتقاله بين الأجيال ، بالإضافة إلى أن للمعتقدات الدينية تأثير كبير على الأنظمة السياسية منذ بداياتها الأولى على حد قول غوستاف لوبون : " كان تأثير المعتقدات الدينية على الجانب السياسي ، والسبب في قوة الدين العظيمة كونه العامل الوحيد الذي تتوحد به وقتاً ما منافع الأمة ومشاعرها وأفكارها فيقوم المبدأ الديني دفعة واحدة مقام غيره من العناصر " ².

وصفوة القول أن الجانب الديني بمختلف أسسه (الآلهة ، الملك الكاهن... الخ) كان لها دور واضح في ظهور الدولة المدينة عند الإغريق و إن كان تأثيره بطريقة غير مباشرة عكس المجتمعات الشرقية التي ساهمت في ظهور ما يعرف بدولة المعبد ، لكن عند الإغريقين ساهمت ديانة الأسلاف والأسرار القديمة بشكل كبير في جعل المجتمعات البشرية والقبائل تعيش نوعاً ما في العزلة السياسية وحتى الدينية من خلال انه كان لكل أسرة إلهها الخاص ، ملكها الخاص ، ديانتها الخاصة وحتى معبدها الخاص... الخ. ، فضلاً عن انتشار مبدأ عدم انصهار وامتزاج ديانتين بين مدينتين إغريقيتين... الخ.

ونستنتج أن نواة المدينة الإغريقية هو عبارة عن اتحاد مجموعات متحدة ومنظمة (قبائل وعشائر) ، واضطرت أن تحترم الاستقلال الديني والسياسي والإداري لكل قبيلة يونانية ، ولكل مجموعة ، ولكل أسرة دون أن تتدخل في شؤونها الداخلية حيث احترمت سلطة الأب في العائلة وسلطة رئيس العشيرة أو القبيلة داخل قبيلته ، كما أن حتى في المجال العسكري مثلاً نجد أن تكوين الجيش في بداياته الأولى مقسماً إلى عدة قبائل وإلى مجموعات ، ولي عائلات بحيث أن الجندي في المعركة يقاتل بجانب من يشترك معه في تقديم القرابين لذات الآلهة على ذات الهيكل ،

¹ أندريه إيمار ، المرجع السابق ، ص 260.

² جوستاف لوبون ، المرجع السابق ، ص 158.

وبالتالي نستخلص أن مجتمع المدينة اتسع مع اتساع الفكرة الدينية ، فاتساع المدينة واتساع الفكرة الدينية متلازمان ومتوازيان .

مقارنة بين الدولة المدينة عند كل من السومريين والإغريق: سوف نحاول تسليط الضوء على أهم نقاط التشابه والاختلاف بين الدولة المدينة التي كان مهد ظهورها عند السومريين وبلوغ ذروتها عند الإغريق في ظل التحولات الداخلية والخارجية التي أثرت بشكل واضح في مسار هذا النظام السياسي ، فيا ترى ما هي أهم المؤشرات المشتركة بين السومريين والإغريق من حيث الدويلات المدن ؟ وما هي نقاط الاختلاف والتباين بينهما ؟.

–أوجه التشابه :

في بداية العصور التاريخية ظهرت الدويلات المدن السومرية " city-state " التي وصلت إلى قمة ازدهارها في مطلع الألف الثالثة قبل الميلاد ، وأصبحت تشكل أولى الكيانات السياسية في العالم القديم ، وتمثلها حكومات المدن المنتشرة على ضفاف نهري الدجلة والفرات ، وحكمت فيها العديد من السلالات الملكية بعد نزول السلطة (الملكية) من السماء لأول مرة في مدينة إريدو قبل الطوفان ثم نزلت مرة أخرى في مدينة كيش بعد الطوفان¹ ، حيث كان الحكم فيها وراثي إلا في حالة انقلاب أو ثورة ، حيث يتم باختيار الملوك والحكام المؤهلين للحكم عن طريق التفويض الإلهي أو الاختيار الإلهي - نظام ثيوقراطي -² ، وكان قسم من هذه الدويلات التي حكمت في العصر السومري تعاصر بعضها البعض الآخر ، وهذا ما أدى إلى نشوء علاقات ودية وأحيانا أخرى إلى خصومات ونزاعات فيما بينها بسبب المناطق الزراعية ومياه الإرواء أو السعي وراء السيطرة والسيادة³ ، بينما اتسم نظام الدويلات المدن الإغريقية بخاصية النمو والتطور ، وتعرضت لدورة من التغيرات فيما عدا مدينة اسبرطة فهي وحدها في العالم اليوناني التي احتفظت بتقليد ثابت من الاستمرار المتصل في نظام الحكم ، أما المدن الأخرى فقد تطورت وفق نظام يكاد يكون واحد في كل مكان من الملكية إلى حكم الارستقراطية إلى الحكم الفردي المطلق (الأقلية) ، ومن الحكم الفردي المطلق إلى الديمقراطية⁴ ، وقد ساعدت هذه التغيرات على نمو الفكر السياسي من ناحيتين :

¹ خزعل الماجدي ، متون سومر، المرجع السابق ،ص42، أحمد عبد الحليم الدراز، المرجع السابق ، ص 105 .

² عمر محمد صبحي عبد الحي، المرجع السابق، ص149 .

³ Samuel Noah Kramer ,the sumérians ,op-cit ,p75 .

⁴ برهان الدين دلوو، المرجع السابق ،ص213 ، هاري ساكنز ، المرجع السابق ، ص 64 .

1-المقام الأول : كان من شأنها تجميع عدد من الحقائق تصلح أساسا للبحث والاستقصاء ، فبدلا أن يكون هناك دستور من نوع واحد اشتمل تاريخ البلاد على دساتير مختلفة جاء كل منها عقب الآخر ، وإذا كان وجود دستور من نوع واحد يدعي إلى وجود التفكير فإن ظهور دساتير متعاقبة لابد أن يوحي بالنقاش والمقارنة .

ارتكز نظام الدولة المدينة في بلاد الإغريق في مرحلة تكوينه وتشكيله على المقوم السياسي أي على الدور الذي يلعبه الملوك في عصر الحكم الملكي في توحيد التجمعات السكانية القبلية ، كما اتسمت مرحلة تكوينه بسمات دينية وقبلية حيث شهد القرن الثامن قبل الميلاد تطورا جديدا بعد المرحلة المظلمة التي عاشتها اليونان بعد اندثار الحضارة الميكانية ، فبدأت تبرز إلى السطح مقومات اقتصادية وعسكرية¹ ، ففي المجال الاقتصادي تحول دور الملوك الأساسي في توحيد مجموعات القبائل في شكل مدن وبعد أن استقر وضع هذه المدن ككيانات سياسية لم يعودوا أصحاب دور متميز على غيرهم من كبار ورجال المدينة ، بل وأصبح الملك في الواقع مجرد واحد من أفراد الطبقة الارستقراطية التي تكونت من الملوك ، زعماء القبائل والعشائر ، وبالتالي تحول دور الملك من الدور السياسي إلى الدور الاقتصادي (الارستقراطي)² .

كان للطبيعة الجغرافية السومرية منها أو اليونانية (الأتار ، الجبال ، الجزر ، البحر) أثر في ظهور المجتمعات القبلية الممزقة وجعلها منعزلة أو شبه منعزلة تحت نظام عرف بالبولس (polis)³ ، حيث كان لها أثر إيجابي على المواطن بشكل عام سواء السومري أو الإغريقي ، كما لها الأثر السلبي :

1- الأثر الإيجابي : يتمثل في أن الدويلات المدن التي قامت في هذه المناطق كانت كل منها صغيرة في حجمها ، وفي عدد السكان الموجودين بها ، وقد كانت النتيجة الطبيعية لهذا الوضع هي توافر الفرصة للاحتكاك الدائم أو حتى اليومي بين هؤلاء المواطنين لمناقشة كل الأمور المتعلقة بالمجتمع إما أمام الزاقورات، أو في ساحات الآجورا⁴ .

-وقد أدى تبلور الرأي العام في كل من هذه المجتمعات الصغيرة بسرعة لا تتوافر في مجتمعات الدول الكبيرة إلى التطور السريع في نظم الحكم أو النظم السياسية التي انتشرت على مستوى المجالس السياسية السومرية منها أو الإغريقية ، بحيث عرفت بلاد سومر نظام سياسي واحد والمتمثل في النظام الملكي الوراثي يسوده مبدأ التشاور و

¹ تحليل سارة ، المرجع السابق ، ص 314.

²

. Fustel de Coulange , op-cit , pp 123, 152.

³ سيد أحمد علي الناصري ، الألعاب الأولمبية ... ، المرجع السابق ، ص 15 .

⁴ تقي الدباغ ، الفكر الديني القديم ، المرجع السابق ، ص 28 ، هاشم عبود الموسوي ، المرجع السابق ، ص 313.

الديمقراطية في مناقشة قضاياها السياسية خاصة تلك المتعلقة بالحروب والأزمات التي تواجهها المدن وهذا ما نلمحه في مسألة الصراع بين الوركاء و كيش ، أين لجأ مجلس النواب الأحرار إلى مجلس الشيوخ لحل هذه الأزمة¹، بينما في المدن اليونانية شهدت سلسلة من النظم المتطورة في فترات زمنية مختلفة من النظام الملكي إلى الأرستقراطي إلى الأوليغارشي لينتهي بالنظام الديمقراطي ، ومثله العديد من المجالس السياسية ، و التشريعات والقوانين التنظيمية ، وهذا ما زاد من شهرة هذه البلاد واحتكاكها أكثر مع دول الجوار² .

-ساعد الانقسام السياسي والتنافس بين الدويلات السومرية و الإغريقية على نضج الفكر السياسي والديمقراطي ، وازدهار الحضارتين السومرية والإغريقية ، حيث تمسكت هذه الدويلات بحياة الاستقلال ، وأشاد مفكروها بهذا النظام واعتبروه أرقى نموذج للمجتمع الإنساني المتحضر، حيث تجسدت هذه المبادئ السياسية في الملاحم والأساطير والشعائر الدينية³ .

2-الأثر السلبي : لعل من أهم الآثار السلبية على نظام الدولة المدينة سواء عند السومريين أو الإغريق هو شدة انقسام السكان إلى جماعات صغيرة منفصلة عن بعضها البعض ، وكل واحدة منها حريصة على استقلالها التام وسيادتها ، ولم تقبل أبدا نظام حكم مشترك وموحد ، وبالتالي سيساهم هذا الوضع في أن يكون مصدرا لضعفهم وتراجعهم بسبب استغلال دول الجوار هذه الظروف للتدخل والسيطرة على أقاليمها ، وهذا ما نشهده من خلال كثرة التحرشات التي قام بها العيلاميون أو الأكاديون على الأراضي السومرية⁴، أو الاحتلال الميدي للمدن الأيونية (الإغريقية) التي انتشرت على الساحل الغربي لآسيا الصغرى ، بعد العصر الذهبي الذي عاشته المدن اليونانية خلال القرن الخامس قبل الميلاد⁵ .

-بالإضافة إلى أن التضاريس الوعرة والتربة الطينية (الغرينية) وكثرة المستنقعات جعلت من الصعب إنشاء نظام جيد للطرق وهو القاعدة الأساسية لتوحيد أي دولة وبالتالي تأصلت النزعة الانفصالية السياسية عند الجماعات ،

1 Samuel Noah kramer ,L'histoire commence à sumer, op-cit, p61.

2 محمد الخطيب ، الفكر الإغريقي ، المرجع السابق ، ص 284، علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 69.

3 ابتهاج عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 58.

4 إبراهيم عبد العزيز جندي ، المرجع السابق ، ص ص 58-59.

5 Nicholas Sekunda , Marathon 490bc the first persian invasion of greece , publishing cosprey , U.S.A , 2002, p 9.

ولقد بقيت معهم النزعة حتى عند خروجهم من بلادهم ، وهذا ما نلمحه عند اليونانيين الذين أسسوا للعديد من المستعمرات (أسيا الصغرى وإيطاليا وصقلية) ¹.

-توصل نظام الدولة المدينة في بلاد اليونان إلى مرحلة الحكم الشعبي دون أن يتحقق في بلاد سومر الذي انحصر في المنطقة الجنوبية من وادي الرافدين ، بحكم العوامل الطبيعية ، الدينية ، السياسية ، لكن هذه المدن السومرية لم تصل في تطورها ونضجها عن طريق الحكم الجماعي وتحميد الديمقراطية الشعبية الفعلية إلى أكثر من حكم طبقي تسيطر عليه الأقلية الثرية التي تباين مصدر ثرائها بين النشاط التجاري أو امتلاكها للأراضي الزراعية خاصة بعدما انفصل القصر عن المعبد ، وأصبح الملك يسير أمور بلاده بنفسه ²، عكس المدن اليونانية التي تطورت وفق أنظمة معينة بداية من نظام الحكم الفردي (الملكي) إلى نظام الحكم الشعبي بداية من القرن الخامس قبل الميلاد ، حيث لم يبق هذا النظام مجرد نظام نيابي يحكم فيه الشعب بشكل غير مباشر من خلال أشخاص يمثلونه وينوبون عنه ، وإنما أصبح نظاما شعبيا مباشرا يشترك فيه كل من يريد من المواطنين لممارسة كافة السلطات بشكل مباشر وفقا لمجالس سياسية منظمة ، وتجسد هذا النظام وفق حقب زمنية معينة ، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى الظرف التاريخي الذي أحاط بالمجتمع الإغريقي خلال المرحلة التكوينية أو مرحلة النمو التي مرّ بها هذا المجتمع حتى تبلورت ملامحه ككيان سياسي متكامل ³.

-إن النظم السياسية هي مجرد التعبير الخارجي للظروف والعوامل التي تحدث داخل المجتمع ، والمجتمعات قد تتشابه وقد تختلف ، فينعكس هذا بالضرورة على نظامها السياسية ، فنظام الدولة المدينة عند اليونان قد تأثر كثيرا بفعل العوامل السياسية والطبيعية والدينية ، ولكن جغرافية بلاد اليونان كانت السبب الجوهرية وراء ظهوره (الموقع ، التكوين الطبيعي ، الجزر ، الجبال والتضاريس ، الأنهار) ⁴ عكس بلاد سومر الذي تطورت الدولة المدينة فيه بفعل عوامل دينية وطبيعية ولعل أبرزها (تأثير المعتقدات الدينية على الفكر السومري القديم (نزول الملكية من السماء إلى الأرض) ، كثرة الطوفان ، كثرة المنعرجات ، صعوبة الاتصال) ⁵.

¹ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 78 ، إبراهيم عبد العزيز جندي ، المرجع السابق ، ص 59.

² Daniel Arnaud ,op-cit, p7, John Haywood ,op-cit ,p24

³ جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 16

⁴ عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص ص 150-151 ، مصطفى العبادي ، المرجع السابق ، ص 194.

⁵ طه باقر ، ج2 ، المرجع السابق ، ص ص 46-47 ، هنري فرانكفورت ، المرجع السابق ، ص ص 66-67.

-عرفت بلاد الإغريق بفقر تربتها وبقلة أراضيها الزراعية التي لم توفر للأعداد المتزايدة من السكان الموارد اللازمة لحياتهم والمتمثلة في الإنتاج الزراعي ، فكان ذلك حافزا مشجعا للبحث عن مصادر أخرى للإنتاج تمثلت في اندفاع السكان نحو الهجرة باتجاه آسيا الصغرى وجنوب إيطاليا وصقلية وشمال إفريقيا بهدف البحث عن أراضي جديدة أو مصادر اقتصادية أخرى كالتجارة والصناعة في محاولتهم للتغلب على قسوة البيئة¹ ، وتحت هذه الظروف الطبيعية القاسية ، عمل الإغريق على تطويعها بشكل أو بآخر ، وربط مصيرها بنمط الإنتاج التخصصي (الصناعي أو التجاري) مما جعل حضارتها حضارة صناعية تجارية قبل أن تكون حضارة زراعية كما هو الحال في حضارة السومريين ، ولعل هذا ما يفسر تطورها التجاري بدءا من القرن 8 ق.م، وتحولها إلى سوق تجاري منفتح عبر موانئها المنتشرة على سواحل المتوسط² ، عكس بلاد سومر التي تميزت بخصوبة تربتها (أرض غرينية) مما أدى إلى اكتشاف حبة القمح والشعير وأجبرت السكان على الاستقرار والتخلي على فكرة الترحال والتنقل ، وشكلت عاملا لاستقطاب السومريين أكثر من هجرتهم ، وبذلك تطورت هذه المراكز الزراعية الأولى إلى مدن وعواصم سياسية مزدهرة معتمدة في ذلك على الاقتصاد الزراعي وجهاز الري والتجارة ، وبالتالي نشأت أنظمة سياسية واجتماعية بدلا من النظام القبلي³ .

-تتميز طبيعة بلاد اليونان الجغرافية بأنها ليست امتدادا سهليا كما هو الحال عند السومريين ، وإنما نجد الإغريق ذات طبيعة وعرة في عمومها ، فالجبال تشغل الجزء الأكبر من مساحتها بما يعادل أربعة أخماس أو 80% من سطحها ، فالسلاسل الجبلية تخرق بلاد اليونان في كل الاتجاهات تقريبا وبشكل يجعلها تنقسم انقسامًا طبيعيًا إلى مناطق صغيرة ، منعزلة عن بعضها البعض⁴ في ظل كثرة الجزر، و انتشار الأنهار التي تفتقر إلى سهولة المجرى ، كل هذه الظروف جعلت من نظام البولس ينشأ ويتطور إلى مرحلة النضج ، وشكلت عامل فصل أكثر من عامل وصل بين هذه المناطق الصغيرة التي وجدت صعوبة في الاتصال⁵ ، فضلا عن دور المحجرات الأولى لبلاد الإغريق (الاخيون ، الدوربون الخ) الذين تأثروا كثيرا بهذه البيئة القاسية التي انعكست على طباعهم وشخصيتهم الإغريقية ، حيث نجدهم ذوي طباع مختلفة ، إما أن يكونوا من النوع المحافظ الذي لا يميل إلى التغيير السياسي مع

¹ جورج سارتون ، المرجع السابق ، ص 228، إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص ص 73 ، 78.

² تحليل سارة ، المرجع السابق ، ص 322.

³ سمير الطائي ، المرجع السابق ، ص 17.

⁴ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 10.

⁵ عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص 29.

ولأنهم الشديد لوطنهم، أو أن يكونوا عكس ذلك يتطلعون دائما للتغيير والتجديد والاحتكاك مع الطرف الآخر¹ ، بينما قام عند السومريين مجتمع نظام البولس أيضا بسبب عوامل دينية وطبيعية (دور الكهنة ، فيضانات نهري الدجلة والفرات ، اكتشاف حبة القمح والشعير والتي تستدعي البقاء وانتظار مدة جني المحصول ، وهكذا تخلى عن فكرة التنقل إلى الاستقرار وفضل خلق مجتمع بشري منظم على سطح الأرض يماثل مجتمع الآلهة المتواجد في السماء تحت مبدأ التفويض الإلهي² .

- إن صميم الروح المشيدة للمدن في حد ذاتها تعبر عن الانفصالية ، و تعزز بالفردية والاعتلاء عن الروح الجماعية ، هذا الأمر نلمحه عند السومريين أو الإغريقين ، من خلال جعل أقوامها تعبر عن نفسها باحتفاظ كل مدينة بكيانها وشخصيتها و عاداتها ، وهذا ناتج عن أصلها الحقيقي الذي تنتمي إليه ، أو التنوع البشري وتعدد الأعراق الذي تعرف بلاد الإغريق جعلها تعيش ضمن نوع من الإمارات المتباعدة جغرافيا عن بعضها البعض بسبب العوائق الطبيعية ، فضلا عن انتمائها العرقي الذي ظلت بعضها تعيش متفوقة على نفسها بعيدة عن الاختلاط مع القبائل الأخرى (القبائل الإغريقية) بالرغم من القرابة البعيدة بين مختلف انساب هذه القبائل³ ، ولكن وفي ظل الظروف الأمنية غير المستقرة عمدت هذه القبائل على إحاطة مدنها بالأسوار ، وأن يعملوا متكاتفين للدفاع عن أنفسهم أمام أي خطر يتهدهدهم ، ولذلك ظهرت الحمية وروح الاعتزاز بالمواطنة عند الجميع⁴ ، ويتجسد ذلك من خلال تأسيس الأحلاف السياسية والعسكرية عند الإغريق على حساب المدن السومرية التي لم تتجسد فيها مثل هذه التكتلات السياسية ، ومن أبرز هذه الأحلاف نجد : حلف ديلوس ، الحلف الآخائي ، الايوني ، الايتولي⁵ .

-على الرغم من أن الدولة المدينة كانت نظاما سياسيا و اجتماعيا يتيح الازدهار السريع ويؤدي إلى زيادة نبض الحياة وتسارع التطور ، فإنها كانت في الوقت نفسه تجعل الحضارة القائمة فيها تبلغ سريعا مرحلة الشيخوخة وتصل إلى الذبول والانهيار المحتوم ، فلقد كانت المدن اليونانية بحكم الحتمية الجغرافية تحمل في طياتها بذور فنائها نظرا إلى أن أي توسع في حدودها كان أمرا مقضيا عليه سلفا بالإحباط ، حيث أن مثل هذا التوسع كان مقدر له أن يصطدم بالجبال التي كانت تمثل أمامه عائقا طبيعيا لا سبيل إلى تجاوزه أو إزالته أو بالبحر الذي كان يمثل مانعا

¹ ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص 29.

² طه باقر ، ج2، المرجع السابق ، ص47 ، سمير الطائي ، المرجع السابق ، ص17.

³ عمر عبد الحي ، المرجع السابق ، ص 36، أحمد محمود صبحي ، المرجع السابق ، ص 41.

⁴ مصطفى العبادي ، المرجع السابق ، ص 298، سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 97.

⁵ عبد اللطيف أحمد علي ، المرجع السابق ، ص 150-151.

مائيا من الصعب اجتيازه على نقيض السومريين الذي وقفت في وجوههم المعتقدات الدينية (مجمع الآلهة) فضلا عن تأثير فيضانات نهري الدجلة والفرات ، وكثرة الطمي المترتب عنها¹ .

-أوجه الاختلاف :

-إن دراسة نظام الدولة المدينة بمراحله المتعاقبة دراسة تحليلية مقارنة تظهر الموضوع من عدة زوايا للكشف عن أوجه الاتفاق و الاختلاف ، كما أنها تقدم التسلسل السياسي لعملية تدرج وتطور أشكال الحكم سواء في المدن السومرية أو في المدن اليونانية ، حيث حافظت جميع المدن السومرية على برلمان سياسي واحد يجسده الملك ويساعده مجلس الشيوخ ومجلس المحاربين الأحرار رفقة مؤسسات سياسية أخرى² خاصة بعد نزول الملكية بعد الطوفان من جديد في مدينة كيش³ ، بعدما نزلت لأول مرة في مدينة إريدو⁴ .

بينما الوضع يختلف في المدن الإغريقية ، وقدمت كل من أثينا واسبرطة نموذجاً عن مدى تطور الديمقراطية وتحميد فكرة المواطنة ، حيث حافظت اسبرطة على نظامها الملكي (ازدواجية الحكم) ويساعده عد مجالس سياسية⁵ ، في حين أثينا تغير النظام السياسي فيها عدة مرات ، بحكم الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تعيشها آنذاك ، أما بقية المدن الإغريقية الأخرى فقد تطورت وفق نظام يكاد يكون موحداً في كل مكان من الملكية إلى الديمقراطية ، وقد ساعدت هذه التغيرات على تطور الفكر السياسي عند اليونان ومساهمته في التفصي والبحث على محتويات الدساتير المتعاقبة بدلا من ظهور دستور واحد فقط⁶ .

-ارتبط ظهور المدن سواء السومرية منها أو الإغريقية بظهور المعابد فكلاهما مرتبط بالأخر ، حيث برزت ملامح المعبد أكثر عند السومريين وساهم في نشأة المدينة السومرية التي كانت بدايتها دولة المعبد (الزاقورة) ، لكن بعد

أن أصبح الكاهن "اين" عاجزاً على إدارة شؤون المدينة الدينية والديوية في آن واحد ، خاصة بعدما تعقدت الحياة وزادت متطلبات الناس ، انتقل إلى قصر خاص مستقل عن المعبد ، ولقب نفسه بلقب الإنسي⁷ ، ومع ولادة وظيفة

¹ ول ، ديورانت ، المرجع السابق ، ص 134 ، البير نصري نادر ، المرجع السابق ، ص 57.

² صامويل نوح كزيمر ، من ألواح سومر ، المرجع السابق ، ص 91.

³ أحمد عبد الحليم الدراز ، المرجع السابق ، ص 105.

⁴

Jean Claud planas , op-cit , N : 81.

Powell (A) , op-cit , p 101.

⁵

⁶ لطفي عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ص ص 106-107 .بجي

⁷ طه باقر ، ج2، المرجع السابق ، ص48.

الإنسي " الحاكم الزمني " بدأ الانفصال التدريجي بين السلطين الدينية والدينيوية باتجاه إعادة توزيع السلطة بين القصر والمعبد لصالح الملك ، ومن هنا بدأ تتشكل ما يعرف بدولة القصر¹ ، في حين لم يكن المعبد عند الإغريق يتمتع بنفس القدسية الدينية والسياسية التي تمتع بها عند السومريين ، وليس في سجل الإغريق مرحلة دولة المعبد ولا مرحلة الملوك الكهنة بل ظلّ مركزا للمشورة في الأمور الدينية والسياسية ، وبخاصة عند خروج الإغريق في حركة التوسع الاستعماري ، وتأسيس المدن ، حيث كانت الكاهنة تقدم أجوبتها على شكل أبيات شعرية² ، وعلى هذا الأساس كانت نشأة المدينة لأول مرة حول مذبح التضحية الدموية التي تقد وقت البذار ، وعندما اشتدت المدينة الإغريقية أكثر و ازداد اتساعها ، انعكس هذا الأمر على شهرة المعبد وتطوره³ .

-تمتع الملك الكاهن سواء عند السومريين أو الإغريق بمكانة مرموقة جدا في مجتمعاتهم بحكم أنهم يمثلان إرادة الآلهة على الأرض ، ويمتلكون قوة خارقة وسلطة وراثية مطلقة ، واجتمعت في يده جميع السلطات الدينية والدينيوية⁴ ، وبالرغم من أن الملك الإغريقي ينحدر من سلالة الآلهة أو من نسب الآلهة نتيجة لزواج بعض الآلهة من البشر ، ورغم رجوع نسبه إلى الآلهة فإنه لم يكن إلها بل زعيما دينيا فقط ، يملك السلطة الروحية ، لهذا لم يعبد الإغريق ملوكهم كما فعل المصريون القدماء ، بينما الإغريقيون فضلوا الحكم الملكي وان يكون هنالك فصل بين الجانب السياسي والديني⁵ ، في حين نجد الملك عند السومريين كان على رأس الدولة ، وكاهنها الأعلى ، والمحارب الأول ، الرجل الأول الذي يحكم حكما فرديا أو أوتوقراطيا ، وفي يده مختلف السلطات ، وله مطلق التصرف في كافة الشؤون وكلما اتسع سلطانه زادت سلطاته⁶ ، بحكم سلطته الواسعة لا بل المطلقة ، لأنه يمثل الإله على الأرض ، فهو صلة الوصل بين الإله والبشر ، ويحكم باسم الإله حكما مطلقا⁷ ، يتم تعيينه تحت مبدأ الاختيار الإلهي أو التفويض الإلهي وأن يكن وسطاء بين البشر والآلهة وتمارس طقوسهم وعبادتهم في المركز الديني المعروف بالزاقورات⁸ ، بينما الملك

¹ عبد الوهاب حميد رشيد ، المرجع السابق ، ص 212.

² أحمد عثمان ، المرجع السابق ، ص 414.

³ ج، هـ، ولز ، معالم تاريخ الإنسانية ، المرجع السابق ، ص 247.

⁴ أرسطو ، السياسات ، المرجع السابق ، ص 80.

⁵ دولت خنافر ، المرجع السابق ، ص 35.

⁶ نجيب ميخائيل إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 24، برهان الدين دلوو ، المرجع السابق ، ص 251.

7

Jean Claude Palanas, op-cit, n :81

⁸ جورج سعد ، المرجع السابق ، ص 16.

الإغريقي فيتم تعيينه وفق مبدأ الحق الإلهي أو الاختيار الإلهي ، وأن يسهروا على تحقيق السعادة أو الشقاء لشعوبهم¹.

- إن جميع الأنظمة السياسية والتدابير الاجتماعية قامت منذ بداية التاريخ على المعتقدات الدينية ، وأن للآلهة دور عظيم في الحياة الإنسانية ، كما كانت للمعتقدات الدينية تأثير كبير على النظام السياسي بسبب قوة الدين العظيمة كونه الوحيد الذي تتوحد به وقتاً ما منافع الأمة ومشاعرها وأفكارها² ، وبالتالي فإن ديانة السومريين عرفت في بداية نشأتها نظام كهنوتي خاص بها وبالبيئة التي ميزتها عكس ديانة الإغريق التي لم تعرف في البداية نظام كهنوتي خاص بها واضح المعالم ، حيث اختلف دور الكهنة في بلاد الإغريق عن كهنة السومريين ، ولعل السبب راجع إلى العامل الجغرافي ، فالمملك الكاهن في بلاد الإغريق اقتصت بمساحة محدودة من الأرض أي في إطار جغرافي ضيق اقتصر على المدينة الدولة بينما الملك الكاهن السومري فله صلاحيات واسعة وضخمة ، وفي إطار جغرافي أوسع من الإغريق ، ولا يمزقه البحر أو الجزر أو الجبال³.

- حسب المعتقدات السومرية فإن مرتكزات المدينة السومرية هو قصر الملك⁴ و المعبد الذي يقام فوق مصاطب عالية ومخصصة لإله المدينة الخاص ، وفي وسط المعبد برج عال يعرف بالزاقورة⁵ ، خاصة بعد نزول الملكية مباشرة من السماء على الأرض، حيث يعتبر المعبد القاعدة الأرضية الاجتماعية والاقتصادية ، والمنظمة السياسية بين السومريين ، وفي وقت من الأوقات كانت الدولة بحد ذاتها بسبب توطيد رابطة القوة التي تعتمد عليها المدينة إلى جانب تأمين الحماية المقدسة لها ، وتعظيماً لمعنى المواطنة باعتبارها أبنية تبقى شاهدة دوماً عن عظمة المدن السومرية⁶ ، وبالتالي كان للدين دور بارز في تفعيل وتحسيد نظام الدولة المدينة عند السومريين بينما عند الإغريق فكان للعامل الطبيعي والسياسي دور كبير أكثر من الدين ، حيث اتخذ اليونانيون المدينة كوحدة سياسية ، ولم تكن القبيلة هي الوحدة السياسية ، وقد بلغ اعتزاز اليونانيون بوحدة المدينة حدا جعلهم مستعدون للتضحية بأنفسهم في سبيل استقلال مدتهم ، ومن مرتكزات المدينة الإغريقية الأساسية مثل مدينة أثينا تكمن في الاكروبوليس والاجورا

¹ جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 36.

² جوستاف لوبون ، المرجع السابق ، ص ص 157-158.

³ ج ، ه ، روز ، الديانة اليونانية القديمة ، تر: رمزي عبده جرجس ، دار نضضة مصر ، القاهرة ، 1965 ، ص 7.

⁴ حسان عبد الحق ، المرجع السابق ، ص 581.

⁵ طه باقر ، المرجع السابق ، ص 284.

⁶ هنري فرانكفورت ، المرجع السابق ، ص ص 66-67 ، عبد المنعم أبو بكر ، المرجع السابق ، ص 274.

الذين يتوسطان المدينة¹ فضلا عن ميناء بيرايوس والمسرح المكشوف، حيث ساعدت ساحة الاجورا (السوق) في إلقاء الخطابات السياسية والأدبية بين الناس وهناك يلتقي الطبقات الغنية مع الفقيرة فضلا عن احتكاك المثقف مع الإنسان البسيط، وهو ساعد على تجسيد أكثر مفهوم نظام الدولة المدينة اليونانية خاصة في فترات الحروب².

-إن الشعوب السومرية لم تعرف الهجرة إلى مناطق أخرى بعدما استوطنت في حدود 3000 ق.م في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين، واكتفت باستغلال ثروات هذه المنطقة ومسيرة الفيضانات المتكررة لنهري الدجلة والفرات، ومجابهة الأخطار الخارجية التي كانت تحيط بها، بينما بلاد الإغريق فقد عرفت حركية في الهجرات البشرية، هذه الأخيرة التي لم تخرج من معظم المدن الإغريقية بل خرجت من بعض هذه المدن خاصة تلك التي كانت بعيدة عن البحر، وكذلك يحيط بها الجبال، (أسباب طبيعية وسياسية)، واستطاعت أن تنتشر في صقلية وجنوب إيطاليا و ساحل آسيا الصغرى³.

¹ Pièrre Lavedan , op-cit , pp8, 25, Charles Gates , op-cit , pp 230-254.

² معاصم أحمد حسين ، ملامح من الآثار....، المرجع السابق ، ص 84، جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 20.

³ جان جاك شوفالييه ، المرجع السابق ، ص 15.

الباب الثالث :

أشهر المرن السومرية والإغريقية وطبيعة الأنظمة
السياسية السائرة فيها.

الفصل الأول :

البرلمان السياسي السائر في المرن السومرية قبل 2370 ق.م.

الفصل الثاني :

مدينة أثينا وتطور أنظمة الحكم فيها.

الفصل الثالث :

مدينة اسبرطة وتطور أنظمة الحكم فيها.

الباب الثالث : أشهر المدن السومرية والإغريقية وطبيعة الأنظمة السياسية السائرة فيها .

الفصل الأول : البرلمان السياسي السائر في المدن السومرية قبل 2370 ق.م .

1- نماذج عن أشهر المدن السومرية الرافدية قبل 2370 ق.م

أ) مدينة أور (UR):

1- أصل التسمية .

2- الموقع الجغرافي .

3- تاريخ التنقيبات الأثرية في مدينة أور .

4 - مخطط المدينة العام :

أ- الشكل العام .

ب- السور .

ج- الخندق .

و- القبور .

و- سوانى المدينة .

ب) مدينة إريرو (Urudo):

1- الموقع الجغرافي .

2- تاريخ التنقيبات الأثرية في مدينة إريرو وأهم الاكتشافات :

أ- المعابر .

ب- القصور .

ج- السور .

و- التمثال .

و- المقابر .

ج) مدينة كيش (KISH):

1- الموقع الجغرافي .

2 - أهميتها التاريخية .

3- تاريخ التنقيبات الأثرية في مدينة كيش .

2- النظام السياسي السومري (وسمقرطية بللو سومر) .

أ) الملك :

1-الشارات الملكية :

- أ-التاج .
 ب-الصدولجان .
 ج-العصا .
 و-الخيط وأوولات القياس
- 2- الملك البريل .
 3- الألقاب الملكية:
 أ-لين "EN" .
 ب-إنسي "ENSI" / باتيزي "PATESI" .
 ج-لوكال / لوجال "LUGAL" .
 و-لوكال كالاما (ملك البللو) "LUGAL KALAMA" .
- 4- المهام الملكية (واجبات الملك) .
 أ-المهام الدينية .
 ب-المهام المدنية .
 ب) ولي العهد .
 ج-تتويج ولي العهد :
- 1-الاحتفال الديني في المعبر .
 2-الاحتفال المدني .
 3-برلمان بللو سومر قبل 2370 ق.م .
- أ)مجلس الشيوخ (مجلس المسنين) "Sibut alim" .
 ب)مجلس الأحرار (مجلس العموم) (النواب) "Gurus Uru" .
 ج) الوزراء (المعاونون) :
 أ-السوكال ماهو (Sukal -Mah) .
 ب-كبير الوزراء (إيشاكو) .
 ج)وزير المالية .
 و-المنظار (نوبانرا) .

في بلاد سومر ظهرت المدينة كترتيب فريد وتنظيم كامل، واعتقد أن الإله فقط هو القادر على خلقها، وقد كانت المدينة رمزا للازدهار الحضاري والملكي، ومركزا للثراء والقوة ووقفت في مركز كفاح مستمر من أجل أو ضد السيادة السياسية، وفي كل مرة حشد الملوك جهودهم لخلق مدتهم الخاصة، كما بذلوا جهودهم لإبادة المدن المهزومة، وقد حافظ السومريين على منهجهم في التخطيط وفي الطراز المعماري.

إن مخطط المدن السومرية لا يقترن في أسسه بين المدن النامية والمدن الجديدة، وإنما بتطور طراز البلد عموما من وحدات السكن ونتيجة النمو حولها، وقد تركزت طريقة البناء في تشييد فناء مركزي أو غرفة عيش تتجمع حولها غرف ثانوية تبعا للمعطيات واتبعت الطرق الطراز السائد لمشي الناس والحيوانات نحو الحقول والمجمعات المجاورة ونقل الممرات لأكثر قدر ممكن، مع ترك الممرات ضيقة لتسهيل حركة الأقوام وغالبا ما كانت الأركان دائرية تسهل عملية انسياب المرور، وبالتالي لم يكن هناك مجال لمكان يترك للحداثق أو المساحات الخضراء العامة، لكن في بداية الألف الثالثة قبل الميلاد تكونت تجمعات المساكن المفصولة بممرات ضيقة صغيرة، وزودت بعضها بمصارف المياه ووجدت أيضا منازل ذات أشكال منتظمة ولها مصارف تنتهي في الشارع مثل: مدينة كيش التي تمثل نموذج عن المدينة المنتظمة والمتطورة، أما مدينة أور فكانت المناطق السكنية بها تضم منازل كبيرة الحجم وتتكون من دورين، وهناك مناطق أخرى مزدحمة تنتشر بها المساكن الصغيرة المختلطة بالتاجر والمعامل، إضافة إلى بعض مساكن المواطنين أصحاب النفوذ والامتيازات، وتبنى وفق مخطط منتظم .

1 - نماذج عن أشهر المدن السومرية الرافدية قبل 2370 ق.م : شهدت الرقعة الجغرافية لبلاد سومر وما جاورها ميلاد حضارة عريقة في العالم القديم فكانت مهدا للمنجزات البشرية التي أصبحت نواة التطور في العالم منذ فجر السلالات ، فكان لها شأن كبير في تنمية وتثبيت مفاهيم المدينة التي جاءت نتيجة لتفاعل الناتج و الصاعد بين مجتمع نشيط و طبيعة سخية ، و أصبحت المدن السومرية الأولى نموذج أولي عن كيفية بناء المدن التاريخية القديمة في الشرق القديم ، وبداية لتبلور المدينة الجديدة بمظهرها الحالي ، وخلق نوع من التنافس في تشكيل طراز معماري فريد (الأبراج، دعامات وأبواب الأسوار، الشوارع)¹.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه يمكن تقسيم المدن السومرية وفق وظائفها التي ميزتها ، أو الدور التاريخي والسياسي الذي لعبته على مستوى الألف الثالثة قبل الميلاد ، حيث تختص بعض الدويلات المدن بوظائف معينة دون غيرها مثل: مدينة نمر (نيبور) ، أريدو وكيش والوركاء .. الخ، اعتبرت كمراكز للتلقين الديني والاقتصادي ومن

¹ عبد الرزاق عباس حسين ، المرجع السابق ، ص ص 15-16.

وموضعا لاحترام الملوك والحكام الآخرين ، في حين كانت بعض المدن عسكرية باعتبارها مركزا للعداء والتناحر لأهميتها الاقتصادية وموقعها الاستراتيجي¹.

وسنحاول في العنصر القادم أخذ نماذج عن بعض المدن السورية التي اشتهرت طوال الفترة الممتدة 3000-2370 ق.م حسب وظائفها التي اتسمت بها ، والموقع الجغرافي الذي تحتله في بلاد الرافدين ، مع تسليط الضوء على أهم مميزاتا التاريخية من خلال التنقيبات الأثرية التي قام بها علماء الآثار والتاريخ؟.

أ) مدينة أور (UR) :

1- أصل التسمية :ورد اسم مدينة أور وفق صيغ متعددة في اللغة السورية، ففي الصيغة الأولى وردت ب: (Ur-) Ur (M)-Ma ، وإما صيغة ثانية فجاءت ب: (SES-AB,SES-UMUG) ، وقابلها بالا كدية بصيغة (Urim) ، و لا يعرف معنى لهذا الاسم لكن اجمع الباحثون على أن التسمية أور (أورام) مع مفردات عديدة في اللغة السورية تعود بأصولها إلى اللغة الأكادية².

ووردت تسمية أور أيضا في العهد القديم باسم أوريم مشابها للتسمية لدى السومريين³ ، وكما أطلق عليها تسمية المدينة المقدسة بسبب المكانة الدينية وكثرة انتشار المعابد فيها⁴، كما وجدت تسمية أخرى في العهد القديم باسم أور الكلدانية وولد أبرام ناحور وهاران ، وولد هاران لوط ، ومات هاران قبل تارح على ارض ميلاده في أرض أور الكلدانية⁵.

وورد ذات الاسم في سفر التكوين الإصحاح الحادي عشر "فخرجوا معا من أور الكلدانية ليذهبوا إلى أرض كنعان"⁶ وجاءت نفس التسمية للمدينة عند الطبري الذي يذكر في تاريخه قصة إبراهيم الخليل فيقول : "أنه نشأ في قرية الكوفة و البصرة يقال لها أور⁷ ، فقد ولد إبراهيم -عليه السلام- في مدينة "كوثر" قريبة من مدينة أور ، ويعتقد أنه

¹ عبد الرزاق عباس حسين، المرجع السابق، ص ص15-16.

² توفيق عماد طارق، بداية الاستيطان السكاني في جنوب بلاد الرافدين ، دراسة تحليلية، مجلة دراسات تاريخية ، ع22، بيت الحكمة ، بغداد ، 2009 ، ص 47.

³ صموئيل نوح كيرمر ، المرجع السابق ، 37.

⁴ استبلة فيردمان ، التنقيب عن الماضي ، تر: أحمد فخري عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1958 ، ص 92.

⁵ جمال البدري ، النبي إبراهيم و الشرعية السياسية ، المكتبة المصرية القاهرة ، 1999 ، ص 39.

⁶ سفر التكوين، الإصحاح 12-13.

⁷ محمد وحيد خياطة ، من أور الكلدانية إلى أرض كنعان ، مجلة سومر ، مج 33، ج1، بغداد، 1977، ص 27.

نشأ بها في حوالي 2000 ق.م ، حيث كانت المساكن في عصره مبنية على شرفات التل التي تكونت من تراكم مخلفات الأجيال المتعاقبة¹.

أما اسم المدينة المعروفة بتل المقير فقد جاءت هذه التسمية من قبل العرب خلال قرون بعيدة² ، واستمرت ذكرها حتى الوقت الحاضر ، حيث صار يطلق عليها " ذي القار " وهي مدينة مشهورة في جنوب العراق ، وهذا لكثرة استعمالها مادة القار في بناء معالمها³.

2-الموقع الجغرافي : تقع مدينة أور على بعد 365 كيلومتر جنوب الشرقي من بغداد وعلى مسافة 17 كيلومتر إلى الجنوب الغربي لمدينة الناصرية -مركز محافظة ذي القار حالياً- و تجاورها محطة القطار المعروفة بمفترق الطرق ، واستناداً إلى النصوص الكتابية القديمة يرجح أن مدينة أور كانت بالقرب من البحر -أي الخليج العربي- في زمن سلالة أور الثالثة (2113-2007) ق م ، بينما هي تبعد اليوم بأكثر من 200 كيلو متر و المعتقد أن الفرات كان يجري بجوارها ، أما اليوم فتبعد عنه غرباً بحوالي 12 كيلومتر ، شيدها الملك أينمركال -ثاني ملوك سلالة الوركاء الأولى -عندما كانت منطقتها تابعة لنفوذه وتحت سيطرته⁴.

لقد نشأت المدينة قرب الطريق الذي كانت تجتازه الصحراء ، وفي وسطها منطقة زراعية خصبة وافرة المياه ، وقد ربطها نهر الفرات بمدن العراق الداخلية وكان لقربها من الخليج العربي و اتصالها به أثر كبير في ارتباطها بالعالم الخارجي إلى جانب كونها مركزاً لعبادة إله القمر (نارسين) و زوجته (نينكال)⁵ ، وبذلك فإن موقع المدينة الجغرافي بالنسبة لبلاد الرافدين يحتل أهمية كبيرة ، إذ تقع أور في القسم الجنوبي و المتمثل في بلاد سومر و يبدو أن المساحة المسكونة من قبل السكان تبلغ حوالي 1200×800 متر⁶.

وامتازت المدينة بسعة مساحتها التي تقرب من حوالي 4-6 كيلومتر طولاً و 1.5-2 كيلومتر عرضاً⁷ وتم اختيار مدينة أور قديماً على مجرى الفرات القديم، الذي يحيط بالمدينة من الجهة الشمالية و الغربية إلى جانب قناة عريضة قد حفرت على مسافة 45 متر من جانب السور الشرقي، وبهذا فقد حصنت المدينة و أصبحت محاطة

¹ عيسى الحسن، المرجع السابق، ص139، حسن الباشا، المرجع السابق، ص30.

² استبلة فيردمان ، المرجع السابق ، ص 92.

³ شاه الصواني ، صيانة آثار أور في لواء الناصرية ، مجلة سومر ، ج1+2، بغداد، 1961 ، ص 29.

⁴ شاه الصواني ، أور ، وزارة الإعلام مديرية الآثار العامة ، بغداد ، ص 12.

⁵ سعيد سامي الأحمد وآخرون ، المدن الملكية و العسكرية " المدينة والحياة المدنية ، ج1، بغداد ، 1988 ، ص 150.

⁶ سيتون لويد ، المرجع السابق ، ص 171.

⁷ قاسم راضي حنين، التنقيب و التحري الأثري في مدينة أور عام 2001 ، مجلة سومر ، مج58 ، مديرية الآثار، بغداد، 2003/2004، ص 26.

تايلور (J.E.T.Taylor) حيث حفر فيها من 1852م إلى 1854م¹ في أماكن مختلفة من المدينة ولاسيما في الزاقورة، ورغم تحريباته وأعماله غير العلمية ، إلا أنه عثر على مجموعة من الأسطوانات الفخارية المنقوشة بكتابات مسمارية تعود إلى الملك نبونائيد آخر ملوك الدولة البابلية الحديثة².

لكن بعد نهاية الحرب العالمية الأولى أعيد التنقيب فيها، عن طريق العديد من المنقبين والأثريين أمثال :كامبل تومبسون (R.Campell. Thompson)، حيث بدأ تنقيباته سنة 1918م وذلك لحساب المتحف البريطاني و لفترة قصيرة، أعقبه فيما بعد الأثري هول (H.R.H. Hall) سنة 1919م، حيث استطاع أن يحقق نجاحاً كبيراً في تل العبيد حيث كشف عن بقايا معبد سومري³.

وخلال ذلك الوقت حوّل المتحف البريطاني العمل التنقيبي إلى موقع مدينة أور حيث أبدت جامعة بنسلفانيا استعدادها لهذا التحويل إذ تم تعيين السير ليونارد وولي (Sir Leonard Woolley)⁴ مديراً للتنقيبات الأثرية الذي تهيأ لتلك المهمة مما جمعه من خبرات من خلال عمله في مجال التنقيب في مواقع عدة بشمال سوريا⁵.

لذلك أرسلته الجامعة المذكورة إلى الموقع لأول مرة في عام 1922م و لقد أجرى وولي أعمال البحث و التحري بالمدينة خلال أحد عشر موسماً وكان آخر موسماً ما بين 1933- 1934م وقد اتسمت حفريات هذه المواسم بالمنتظمة و العلمية ، وخلال هذه المواسم تمكن وولي من استعادة صورة المدينة وتاريخها بالكامل في بلاد الرافدين⁶ وقد اتجه الهدف الحقيقي لمهمة وولي كما يقول ماكس مالوان في: "إعادة الصورة المختفية للحضارة السومرية وإثبات أن أور كانت مهداً لهذه الحضارة"⁷، واستطاعت هذه البعثة البريطانية الأمريكية المشتركة بين عامي 1922 و 1934م الكشف عن نتائج عظيمة عن حضارة وادي الرافدين في عهدها الأولى⁸.

¹ غلين دانيال ، الحضارات الأولى الأصول و الأساطير ، تر: سعيد الغانمي ، ط1 ،مجلة دبي الثقافية، دار الصدى، 2009 ، ص 71.

² شاه محمد الصيواني ،أور ، المرجع السابق ،ص 13.

³ بهنام أبو الصوف ، دور النقيبات الأثرية في الكشف عن حضارة العراق القديم ، حضارة العراق ،ج1، بغداد، 1985، ص ص 67-68.

⁴ Woolley Leonard , Ur Excavation the Royal cenetry , V 2, New York , 1934 , p 2

⁵ بوستغيت نيكولاس ، حضارة العراق وآثاره، تر: سمير عبد الرحيم الجلي ، دار المأمون، بغداد ، 1991 ، ص 55.

⁶ شان الصيواني ، صيانة آثار أور، المرجع السابق، ص 210.

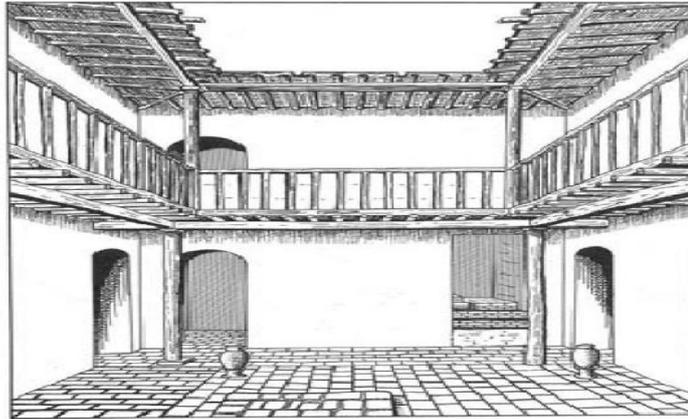
⁷ ماكس مالوان ، مذكرات مالوان ، تر: سمير عبد الرحيم الجلي ، منشورات الجمل بغداد، 2004، ص 39.

⁸ سامي ريحانا ، المرجع السابق ،ص 64.

والجدير بالذكر أن هذه البحوث دلت على أن مدينة أور كانت من أوائل المدن التي نشأت في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين ، حيث تكونت من غرين دجلة والفرات قبل أكثر من 5000 ق.م ، وأن عبقرية السومريين الذين سكنوها جعلت لها شهرة واسعة ، ومنزلة سياسية مرموقة ، فقد كان جنوب العراق من الوجهة الجيولوجية قعرا لخليج البصرة ، فارتفعت أرضه برسوب طمي النهرين العظيمين ، وانحسر ماء الخليج رويدا رويدا عنه ، وصار جزءا من اليابسة واستطاع السومريون بعد هجرتهم إلى أرض الرافدين من تحويلها إلى مدينة زراعية فلاحية ، بعد أن حولوا المستنقعات إلى حقول خصبة بواسطة الترع وأنظمة الري المقننة ، واستطاعت هذه الحفريات العلمية أن تصور لنا ولو بالتقريب مخطط المدينة العام ، وشكلها بصفة عامة ، وهذا ما سوف نشير إليه في العنصر القادم¹.

4-مخطط المدينة العام : تعد مدينة أور من أهم المدن السومرية التي حظيت بمخطط هندسي دقيق نظرا لموقعها

الجغرافي ، ولأهميتها السياسية والاقتصادية ، حيث صوّر لنا المنقبون الأوائل هندستها المعمارية من خلال :
أ-الشكل العام : كانت مدينة محصنة بيضوية مساحتها حوالي 10 كيلومترات مربعة ، وهي أصغر مساحة من مدينة أوروك ، وتقع على النهر ولمينائها أرصفة وفي وسطها المباني العامة والمعابد ، يحميها سور ضخّم ، وخلفه المنازل متراصة على جانبي الشوارع ، وكانت المدينة عامرة بالسكان² ، ويحيطها من الجهتين الشمالية الغربية نهر الفرات ، ولها مرفأ على هذا النهر ، وفي المنطقة الشمالية الغربية من المدينة بنيت أسوارا ضخمة للمراكز الدينية كالمعابد وقصورها والأبنية الثانوية³.



4

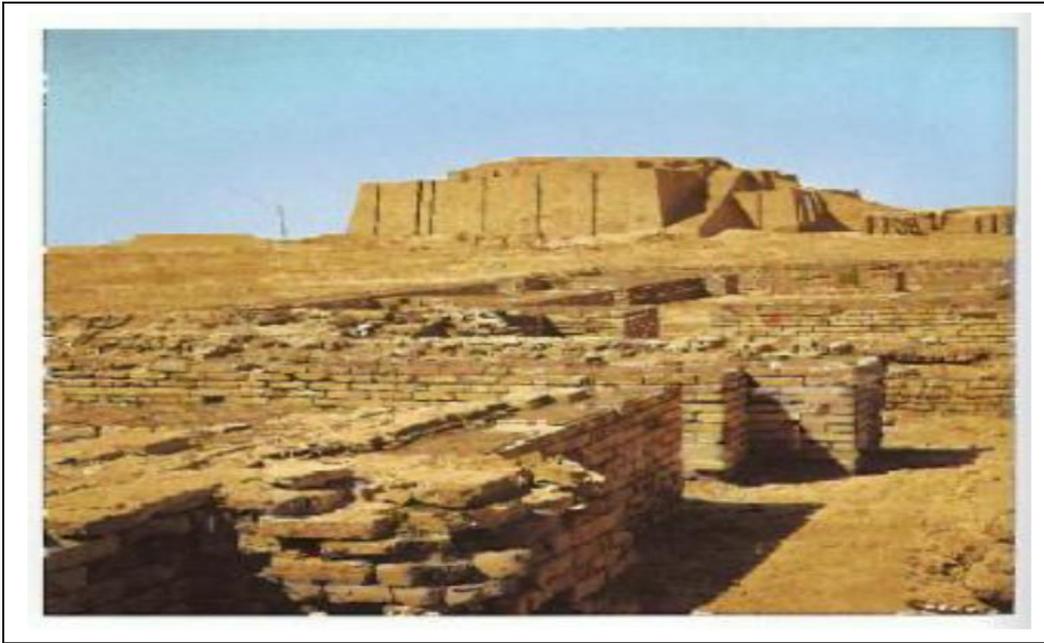
الملحق رقم 33 : يمثل منازل مدينة أور .

¹ عبد الرزاق الحسيني ، المرجع السابق ، ص 86.

² حسني الباشا ، المرجع السابق ، ص 30.

³ سيتون لويد ، المرجع السابق ، ص 137.

ب-السور: كشفت الحفريات التي جرت في القسم الأوسط من مدينة أور عن آثار سور ضخمة مبني من اللبن الطيني، سمكه 27 متر ، شكله بيضاوي يتسع من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ، يبلغ طوله نحو ثلاثة أرباع الميل وعرضه نحو ربع ميل، يضم أعظم الهياكل الدينية¹، وهو ما يدل على أن المهندسين في أور كانوا يعرفون العمود والقنطرة والعقود والقبة منذ 2600 ق.م، وكل أسس الهندسة المعمارية و الزاقيات تبرز هذه الأشكال الهندسية بشكل متقدم²، مثل: الزاوية الحمراء التي ما زالت تلفت أنظار محبي الآثار منذ أقدم العصور، ومن أحسن الزاقيات المتواجدة ببلاد الرافدين³، إضافة إلى بيوت المواطنين المبنية من طابقين وخلف كل بيت يوجد معبد للصلاة وتحت أرضه يدفن أفراد العائلة⁴، وفي هذا الصدد يذكر النص الشعري السومري القديم الذي كتب في مدح مدينة أور: "أن مواطن مارهاشي -منطقة جبلية تابعة إلى بلاد عيلام(إيران) -أصبح متمدنا عندما عاش في مدينة أور، هذه المدينة التي ساهمت كثيرا في إنجاز عملية التمدن"⁵.



6 الملحق رقم 34 : يمثل زاوية مدينة أور

¹ Woolley Leonard , Excavation of Ur ,The Ziggurat and its Surroundings ,V 5, New York , , 1939, p p 2 ,5

² عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص 57.

³ عبد الرزاق الحسني، المرجع السابق، ص 86.

⁴ عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص 57.

⁵ عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 107.

John Haywood , op-cit , p 30.

ج- الخنديق : يحيط المدينة من جوانبها الثلاث الشمالي و الشرقي و الغربي، خنادق مائية حيث لا يمكن الدخول إليها إلا من الجنوب فقط عبر أرض جافة ، كان أولهما مجرى أرض الفرات القديم الذي يحيط بالمدينة من الجهة الشمالية و الغربية بجانب أيضا قناة عريضة حفرت على مسافة 45 متر من جانب السور الشرقي - كما ذكرنا سابقا- وبذلك فقد حصنت المدينة بخنادق مائية من جوانبها الثلاث ، إلا من الجهة الجنوبية¹ .

د- القبور : عثر المتقنون الأثريون في مدينة أور أثناء عمليات الحفر والتنقيب على مجموعات متنوعة من المقابر ، ولا سيما المقابر الملكية ، وهي عبارة عن قبور ضخمة مكونة من سراديب ذات عقود متقنة من الأجر لدفن ملوك هذه السلالات ، وشيدت فوق تلك السراديب معابد لعبادة الملك المقدس ، وتقدم القرابين له ، ولكن وجدت هذه المقابر خالية ولا تتواجد بها رفات أصحابها بسبب غزوات العيلاميين أو الاموريين² .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه المدينة بلغت أوج ازدهارها في عهد سلالة أور الأولى في حدود 2700-2500 ق.م من خلال ما تثبتته المقابر الملكية (2600 ق.م) كما سبق ذكرها³ ، والتي نقتت فيها البعثة البريطانية بإدارة ليونارد وولي عام 1926 و 1932م ، تقع هذه المقبرة إلى الشرق من منطقة المعابد و القصر الكبير و تعد من أضخم المقابر المكتشفة و أغناها و آثراها في العراق القديم⁴ ، عثر بداخلها على كنوز لا تقدر بثمن من الذهب والفضة والبرونز و أدوات الزينة النسوية مثل: زينة الملكة شوب آداد ، وبلغت عدد القبور التي تم العثور فيها 17/16 قبر ملكي ، وتضم هياكل 74 خادما وخادمة⁵ ، وعادة ما كان الملك يدفن معه جواربه بملابسهن وحليهن بعد قتلهن بالسهم عند موته وكان للمقبرة قبة و بئر⁶ .

و- موانئ المدينة : أن وقوع مدينة أور على جانب مياه الخليج العربي ومن جانب آخر وقوعها على نهر الفرات هو أنسب موقع للملاحة و التجارة مع البلدان المجاورة لها⁷ ، وكان يحيط بالمدينة من الشمال إلى الغرب و لها ميناءان يستخدمان للملاحة فيها⁸ .

¹ صيواني شاه ، صيانة آثار أور...، المرجع السابق ، ص 21.

² علي شحيلات ، عبد العزيز الياس الحمداني ، المرجع السابق ، ص 50.

George contenau , op-cit , p91.

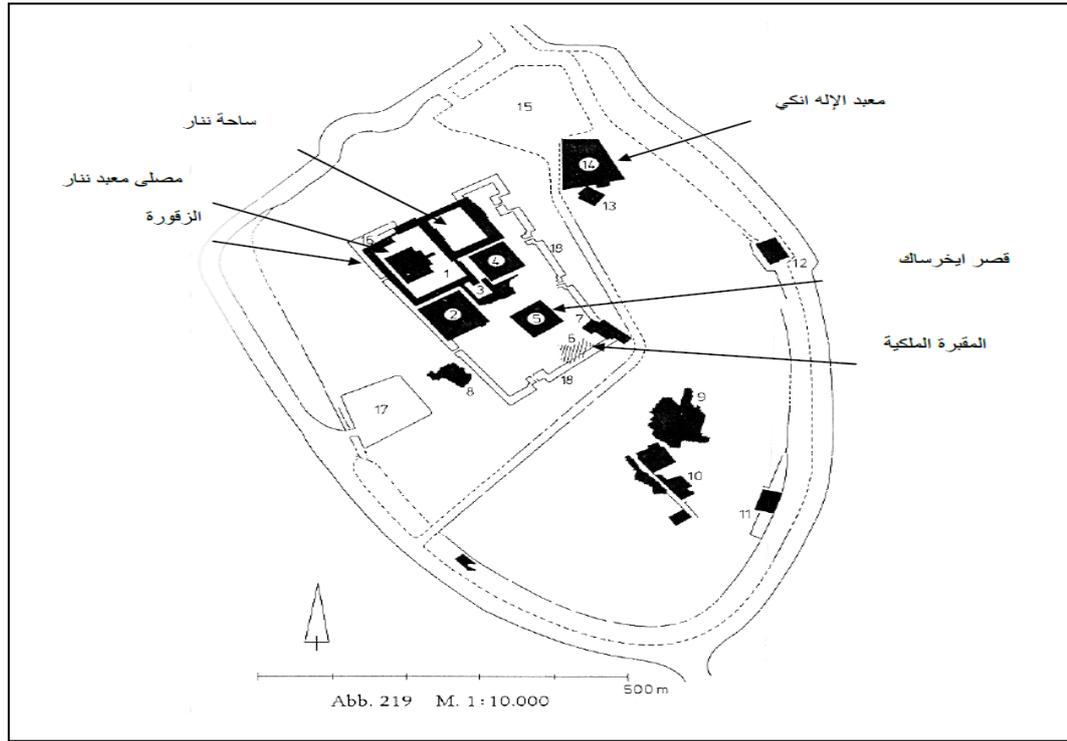
Woolley Leonard , Ur of the childees , op-cit , p28.

John haywood , op-cit , p30 , Pierre Amiet , op-cit, p74.

⁶ عيسى الحسن، المرجع السابق، ص 139.

⁷ غلين دانيال ، المرجع السابق ، ص 80.

⁸ سعيد سامي الأحمد ، المدن ... ، المرجع السابق ، ص 151.



1 الملحق رقم 35 : يمثل المخطط العام لمدينة أور

وكما سبق ذكره أن مدينة أور قد نشأت فيها ثلاث سلالات ملكية أهمها سلالة الأولى والثالثة ، فأما الأولى كان ملوكها الأوائل خاضعين للسلالات المعاصرة لسلالتهم ، حيث أنها لم تستقل إلا في زمن الملك (بواتوم) سادس ملوك سلالة كيش الأولى ، وعلى يد ملكها (مس-أني بدا) في حدود 2475 ق.م الذي حكم لمدة (80 سنة) بعدما انتقلت الملكية من الوركاء إلى مدينة أور² ، استطاع أن يفرض سيطرته على مدينة نيبور (نفر) ، وعلى مدينة كيش ، ولذلك اتخذ لنفسه لقب ملك كيش ، والذي نقش على احد الأختام الاسطوانية ، ووصفته بعض النصوص الحديثة بأنه نصف إله وأظهرت اسمه واسم زوجته نيتور(نين)³ ، ومن أهم أعماله العمرانية بناء المعبد (نن خرساج) *سيده الجبل في مدينة العبيد القريبة من أور ، حيث كانت واجهة هذا المعبد مزخرفة بنقوش تتألف من صنوف من الحيوانات ، مقطوعة من الصدف أو حجر الكلس أو النحاس ومطعمة بالنحاس ، وكانت على

¹ هالة عبد الكريم سليمان كرموش الراوي ، ألواح تذكارية في العراق القديم من الألف الثالثة قبل الميلاد ، دراسة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم ، تحت إشراف أحلام سعد الله الطائي ، جامعة الموصل ، العراق ، 2012 ، ص 138.

² علي شحيلات وعبد العزيز الياس الحمداي ، المرجع السابق ، ص 48.

³ عبد الحميد زايد ، المرجع السابق ، ص 36.

*نن خرساج : كانت تمثل على هيئة بقرة ، ولم تلبث أن اختارت لها زوجا هو الإله "نانا" إله مدينة أور الذي مثل على هيئة الثور القوي ، والذي يرمز به إلى القمر...، أنظر : عبد المنعم أبو بكر وآخرون ، المرجع السابق ، ص 276.

طرفي المدخل أعمدة ذات فسيفساء ، ويعلوه لوح كبير من النحاس يمثل الطائر الأسطوري (آمدكور) ، غير أنه لم يستطع إتمامه بسبب موته بعد أن حكم ما يقرب من أربعين سنة، وتولى الحكم بعده ابنه (أني بدا) الذي أتم بناء المعبد وتزيينه بالنقوش والتمائيل الحجرية والمعدنية من أجل الآلهة "نن خرساج" التي انتشرت عبادتها في جميع أنحاء البلاد حتى مدينة ماري التي تقع على الفرات الأوسط ، وكذا تجديده لمعبد إنليل في مدينة نيبور (نفر) ، ثم خلفه ابنه (مس كياج نونا) الذي قام بدوره بتجديد معبد نفر وإقامة تماثيل لإله إنليل فيه¹ .



تمثال من الذهب واللازورد يمثل كبش على شجرة



الآلة الموسيقية لسلالة أور الأولى



الألعاب التي عثر عليها في المقبرة الملكية



الحلي التي عثر عليه في المقبرة الملكية

2

الملحق رقم 36: بقايا المقبرة الملكية في أور

¹ أنطون مورتيكات ، المرجع السابق ، ص 56 ، Moret Alexandre , op-cit , pp 332-333 ,

² Woolley Leonard , Ur excavation the royal cenetry , op-cit , pp 138-145, Harmut S chmokol , op-cit , pp 34-35.

واعتمادا على اللقى الأثرية أن حكام مدينة أور ووجهائها كانوا يمتلكون ثروات ضخمة وتراكت على شكل كنوز، حيث وجد الذهب بكثرة في مقابرهم، والذي كان يجلب من الهند، عن طريق مينائها التجاري، ومن أفغانستان الحالية والقوقاز وبلاد عيلام... الخ جلب اللازورد الذي استخدم في رداء الملكة " يو-أبي/شوب أداد" ،ولحية الثور لإلهة إنانا القيثارة المقدسة والكأس البرونزية المصنوع من النحاس والقصدير، والكثير من الخرز، حتى لقبت هذه المدينة لحيويتها التجارية البحرية "بالمدينة البحرية"¹ .

ويشير علماء السوفييت إلى مواطنين تجارين تعاملت معهم مدينة أور منذ القدم أحدهم أكثر قدما إلى الشمال الغربي من بحيرة "همون" الغنية بالقصدير والنحاس ومنها جلبت الشرائح البرونزية الجاهزة أما المواطن الثاني "نهر خيلميند" الغني هو الآخر بمادة القصدير ومصدر خامات الذهب، أما الفضة فقد استوردت من الشمال من شبه جزيرة آسيا الصغرى² .

أما من الناحية الدينية فكانت مدينة أور مركزا لإله القمر "سين" وولده "نسكو" وزوجه "سندرنا" أو "نين هرساج" ،ثم انتقلت عبادة هذه المعبودات إلى جميع أرجاء بابل³ ، ولا تزال بقايا من دور عبادته قائمة، ومثل إله القمر "سين" بهلال وحده أو بهلال مع صورة إنسان، وسمي من طرف السومريين باسم "ننار" أو "ننا" ومعناه رجل السماء، وربطوه بظاهرة خسوف القمر بسبب تمكن سبعة شياطين أو أرواح شريرة من القمر، ومن أجل ذلك كانوا يقومون بتقديم القران، ويصلون حتى يعود القمر إلى حالته الطبيعية⁴ .

واشتهرت مدينة أور كغيرها من المدن السومرية بقيامها بالعديد من الطقوس الدينية وفي مقدمتها طقس الزواج المقدس الذي عثر على مشاهد منه على آثار الأختام القديمة، حيث يحضر هذا الاحتفال المغنون والموسيقيين ،و يقوم الملك بدور الإله المحلي "ننار" أو "سين"، ومثل على صورة ثور وحشي، بينما الكاهنة -اين- ارتدت على رأسها كسوة غير مألوفة جسدت قرون بقرة وأذانا، وأوضحت مشاهد طقس الزواج المقدس الكاهنة تمسك فاه قصب وتنزلها في آنية، تقف على الأرض أو تنزلها عليها، وربما أن هذه الوسيلة سحرية لنقل الخصوبة إلى الأرض.

¹ ديكانونوف ي.م وآخرون، تاريخ الشرق القديم "نشوء المجتمعات الطبقة القديمة والمواطن الأولى للحضارات العبودية"، تر: محمد العلامي، مراجعة: خلقي حنفر، ط1، دار الفكر، عمان، 2012، ص193.

² - Jaque Pirenne, op-cit, p33, George Roux, la mesopotamie, op-cit, pp 150-151.

³ محمد بيومي مهران، ج1، المرجع السابق، ص250

⁴ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص146.

يرجع الباحثون هذا الطقس إلى تاريخ المزارعين المبكرين، وأنه امتد حتى المقبرة الملكية مثل مقبرة شوب أداد ومثيلاثا، وأنها ليست قبورا عادية للكهنة - الملكة، وإنما هي آثار طقس الزواج المقدس¹. هذا الانتشار الواسع والشهرة المميزة التي حققتها في عصر فجر السلالات السومرية جعلتها محط أنظار العديد من مدن الجوار، ويلتمسون الفرصة للقضاء عليها، أو ربط علاقات صداقة وحسن الجوار معها، بدليل سعي ملوك كيش ولجش إلى إبرام معاهدات دبلوماسية في عهد ملوكها الأوائل .

ب) مدينة أريدو (Urudo) :

1- الموقع الجغرافي : تقع أطلال مدينة أريدو القديمة على مسافة تقدر بـ 25 كيلومترا جنوب غربي أور، وعلى حوالي 40 كيلومترا من جنوب غربي مدينة الناصرية الحالية، وتعرف اليوم باسم "تل أبو شهرين"²، و يرجع المؤرخون تاريخ تأسيسها إلى أدوار ما قبل التاريخ ، حيث وجد بالقرب من اريدو فخار أقدم من العبيد المكتشف في أور جنوبي العراق ، يعود إلى العصر الحجري المعدني المتوسط حتى العصر المعدني المتأخر ، والذي يمتد من الألف الخامس قبل الميلاد إلى 3500 ق.م ، كما ذكرت المدونات التاريخية إن أريدو ذكرت في إثبات الملوك السومرية على أنها أولى المدن الخمسة التي حكمت فيها سلالات من الملوك في عصر ما قبل الطوفان³ ، حيث ورد في أسطورة الخليفة عندهم لم تكن مدينة "نفر" مخلوقة ، ولم تكن "الوركاء" مخلوقة ، ولا معبد "أي انا" مشيدا ، ولا "اريدو" مشيدة ، إلا أن مدينة "اريدو" بنيت على القمر⁴ ، حيث سكنها لأول مرة جماعة من البحارين والصيادين، وبنوا منازل سيقانها من القصب، وراحوا يبحثون على طعامهم في المياه المالحة والأراضي الواسعة⁵.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المدينة كانت يومها على ساحل الخليج العربي، وليست بعيدة كما هي الآن، بسبب الأراضي الممتدة حاليا بين أريدو وساحل الخليج العربي هي أراضي حديثة تكونت بفعل ترسبات نهر الدجلة والفرات عبر حقب جيولوجية أدت إلى انحسار الخليج العربي نحو الجنوب، وأن هذا الخليج كان يغمر منطقة

¹ ديكانونف ي . م . وآخرون ، المرجع السابق ، ص 191.

² أحمد سوسة ، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء المشاريع ،...، المرجع السابق ، ص 149.

³ رحيم حميد عبد ثامر العبدان ، سحر عبد الله إبراهيم الحارث ، الموقع الجغرافي لمدينتي أور واريدو في ضوء تحديد مجرى نهر الفرات القديم باستخدام نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد ، مجلة كلية التربية ، مج 2، ع 2 ، بغداد ، 2012 ، ص 6.

⁴ Heidel , A , the babylonian genesis , chicago , 1967, p50.

⁵ Daniel Arnaud ,op-cit ,p7.

الأحراش وأن شواطئه القديمة كانت تمثل خطا طويلا، وربما له اتصال بالبحيرة الضخمة المعروفة اليوم باسم "هور الحمار"¹.

إن خرائب مدينة أريدو تؤلف مرتفعا واسعا مستطيل الشكل تقريبا مساحته 175x220م وعلوه 12م ، واقعا وسط منخفض واسع من الأرض ، كان في عصور ما قبل التاريخ مغمورا بمياه خليج البصرة أو الأهوار المتصلة به أو مياه الفرات ، وتكثر على أطرافها قطع من حجر المرمر وحجر البازلت ، وأنواع أخرى من الحجارة التي لا تتوفر في مدينة سومرية أخرى² ، بلغت مساحتها في نهاية عصر العبيد نحو عشر هكتارات، ووصل عدد سكانها إلى أربعة آلاف نسمة ، ونشأت فيها التقاليد المعمارية الأولى التي سارت على أسسها فيما بعد العمارة الرافيدية الراقية³.

وقد ساعد موقعها على الجانب الغربي من نهر الفرات في أقصى جنوبي بلاد سومر وقرتها من شبه الجزيرة العربية من قوة مركزها التجاري ، وتشجيع القوافل التجارية على المرور فيها ، وتنشيط تجارتها ، مما يحتمل أنها تأثرت بالعنصر السامي⁴.

تعود أقدم إشارة إلى أريدو في الكتابات القديمة إلى مؤسس سلالة لجش المعروف باسم (اورنانشة) ، وقد حكم في حدود سنة 2700 ق.م ، وفي زمن اياناتوم أحد ملوك السلالة ذاتها خضعت المدن السومرية لحكمة ، ويحتمل أن أريدو أيضا أصبحت تحت نفوذه السياسي ، لكن ابنه "انتيمينا" أقام فيها حوضا واسعا لانكي -اله أريدو-⁵.

2- تاريخ التنقيبات الأثرية في مدينة إريدو وأهم الاكتشافات : إن من أوائل من نقبوا في مدينة أريدو ، المنقب (لوفتس) سنة 1852م ثم عقبه تيلر سنة 1855م وكامبل طومسن سنة 1918م ، والدكتور هول من سنة 1919م إلى سنة 1920م ، إلا أنهم لم ينقبوا تنقيباً طويلاً فأكملت العمل بعد سنوات من طرف مديرية الآثار العراقية خلال 1947م -1948م⁶.

¹ عبد الحكيم الذنون ، المرجع السابق ، ص57 ، عبد اللطيف محمد علي ، المرجع السابق ، ص187.

² فؤاد سفر ، حفريات مدينة الآثار العامة في مدينة إريدو ، مجلة سومر ، ع3 ، ج1 ، 1947 ، ص219.

³ فراس السواح ، مدخل إلى نصوص الشرق القديم ، ط1 ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، 2006 ، ص229.

⁴ فاضل عبد الواحد علي ، المرجع السابق ، ص70.

⁵ فؤاد سفر ، حفريات مدينة الآثار العامة في مدينة إريدو ، المرجع السابق ، ص223.

⁶ مكاي دروثي ، مدن العراق القديم ، تر: يوسف يعقوب سكوتي ، ط3 ، بغداد ، 1961 ، ص91.

والجدير بالذكر أن هذه التحريات الأثرية التي أجرتها البعثات العراقية بين سنتي 1946 و1949م أثبتت على أنها تشكل أقدم مواضع الاستيطان في السهل الرسوبي الجنوبي، إذ كشفت عن بقايا تسع عشرة طبقة أثرية تحتوي على نوع جديد من الفخار تحت طبقات التي وجد فيها فخار العبيد واعتبر هذا الفخار الجديد طوراً جديداً من أطوار ما قبل التاريخ وأقدم عهود الاستيطان في جنوبي العراق¹، وتعتبر هذه المدينة حسب قائمة الملوك السومرية من أقدم المدن السومرية، وأقدسها بعد مدينة نيبور (نفر) باعتبارها أولى المدن الخمس قبل الطوفان وأول عصر للملكية، فهي المدينة التي هبط نظام الحكم فيها من السماء أول مرة قبل الطوفان*².

وكشفت التنقيبات الأثرية فيها عن بقايا تسع عشرة طبقة أثرية أو دور سكني، وتنظم هذه الطبقات ابتداءً من الطبقة 19 الكائنة فوق الأرض البكر في الأدوار الحضارية التالية :

-الطبقات [15-19]: طور اريدو أو ما يعرف بدور العبيد الأول .

-الطبقات [12-14] : طور فخار حاج محمد ، وهو الطور الذي أطلق عليه مع فخار رأس العمية (العبيد الثاني)

-الطبقات [8-11]: طور فخار العبيد المألوف الذي كان يسمى العبيد القديم (العبيد الثالث) .

-الطبقات [6-7]: فخار دور العبيد المتأخر (العبيد الرابع) .

-الطبقات [1-5]: دور الوركاء والأطوار التالية و بضمنها عصر فجر السلالات³ .

وقد أظهرت هذه التنقيبات الحافلة على أهم إنجازات مدينة أريدو من الناحية العمرانية والاقتصادية

والاجتماعية، من خلال العثور على:

أ- المعابد : بالرغم من قداستها الدينية إلا أنها لم تكن مركزاً سياسياً بدليل عدم تعرف المختصين حتى الآن على

حكامها، إضافة إلى محو الطوفان على كل الآثار التي تدل على أنها عاصمة لسلالة ملكية مقارنة مع كثرة بقايا

المعابد المنتظمة ودور الكهنة التي اكتشفت فيها والتي ترجع إلى عصر العبيد، وقد قامت مديرية الآثار القديمة

بالتنقيب في أطلالها منذ عام 1946م والعثور على بقايا المعابد المشيدة الواحد فوق الآخر، حيث وجدت لهم على

العديد من المعابد المنتظمة ودور سكني مشيدة باللبن، ويعلوه جميعاً زقورة مرتفعة⁴، ومن أشهر معابد المدينة نجد

¹أحمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء المشاريع....، المرجع السابق، ص149.

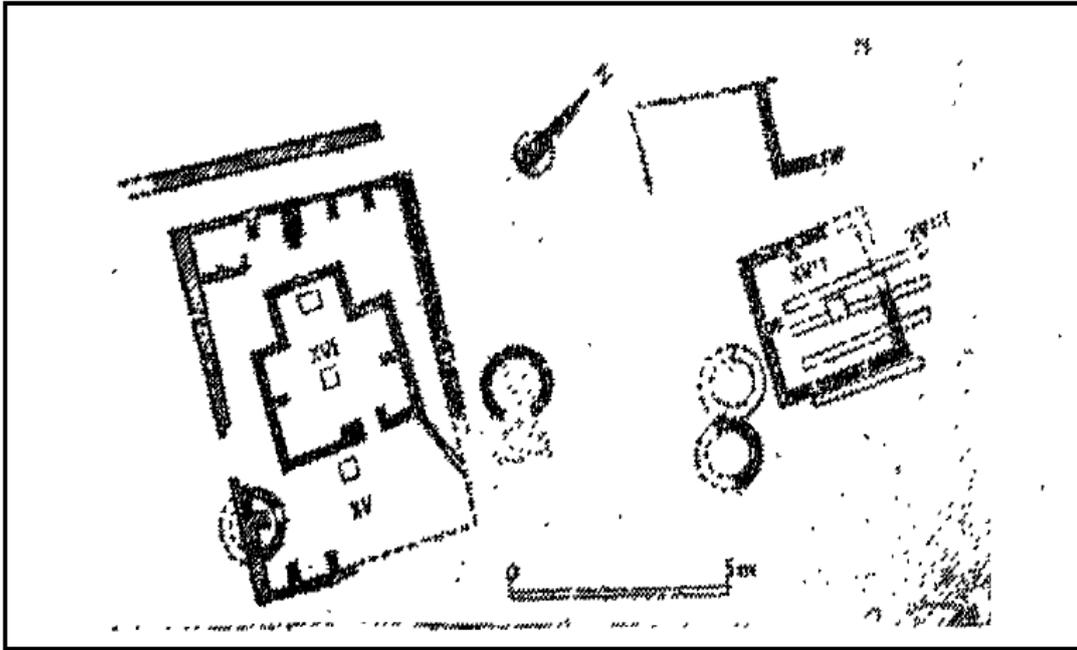
*المدن الخمسة الأولى التي هبطت فيها الملكية هي: إريدو، بادتيرا، لارك، سبار، شروباك،....، أنظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات...، المرجع السابق، ص 288.

²فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص8،70 Daniel Arnaud, op-cit,

³Mieroop –Marc Van De , the ancient mesopotamian city , Oxford , 1997, p 49.

⁴عبد الرزاق الحسيني، المرجع السابق، ص 85.

معبد الإله (إنكي)¹ ، ويدعى باسم "أي ابسو" بمعنى (المياه العميقة) أو (بيت المحيط) ، وكان تخطيطه بسيط الشكل لا تزيد أبعاده على 15x11 قدما ، ويحتوي على محراب يوضح فيه شعائر الآلهة أو تماثله ، ومنضدة للندور (مذبح) تشيد بالأجر الطيني المجفف أمام المحراب ، ووسّع هذا المعبد خلال عدد الإصلاحات المتأخرة حتى أصبح في وسطه محل مقدس للعبادة ، يحيط به عدد من الغرف الإضافية ، أما الجدران المشيدة بالأجر الطيني الباهت اللون ، فكانت تزين بدخلات وطلعات تتعاقب على أبعاد منتظمة ، وقد عثر في هذا المعبد على أفعى من فخار كانت من ضمن الندور المقدمة للإله إنكي² ، وفي هذا الصدد يقول مالوان : "إن إريدو كانت قبل القرن الثالث للميلاد مدينة عظيمة ذات معابد عالية وبيوت ، ويحيط بها سور ، ومثل هذه المدينة لا يمكن أن تكون بنيت في داخل البحر ، كما أن الخليج لا يمكن أن يكون عندها آنذاك"³ .



4

الشكل رقم 37: يوضح معبد إريدو

استطاعت إريدو الحفاظ على مكانتها الدينية حتى الأدوار التاريخية المتأخرة ، وذلك في حوالي سنة الألف قبل الميلاد ، وعندما صارت جزء من بلاد البحر أصبحت تعرف بـ "كلدية" و "بيت ياكيني" ، وكان لبلاد البحر تأثير سياسي وثقافي على مدينة إريدو ، عن طريق "آدابا" الذي يعتبر أول إنسان خلقه الإله "إنكي" ، فكان نطفة البشرية

Barbara A.Somervill , op-cit , p20.

¹ صمويل نوح كريم ، المرجع السابق ، ص 181.

² ماكس مالوان ، المرجع السابق ، ص 42.

³ وليد الجادر ، المرجع السابق ، ص 91.

الأولى ،ولهذا كان يدعى "ابن أريدو" ، وتشير الأسطورة السورية الخليقة: " إن البقاع جميعها كانت بحرا ثم خلقت أريدو"¹.

سبق أسطورة خلق الإنسان نص سومري يقول: " بعد أن أخذ الكون شكله واستقرت السماء في موضعها ، وكذلك الأرض ، بعد أن انتظمت دورة النهار والليل وحركة الفصول ، بعد أن أخرجت الأرض زرعها وتفجرت ينابيعها، بعد أن ظهرت الحيوانات بأنواعها وامتألت البحار بأسمائها ، بعد ذلك صار المسرح مهيبا لظهور الإنسان ... أما لماذا خلق الإنسان؟ فإن الأسطورة السورية لم تتردد في الإجابة عن هذا السؤال، فالإنسان خلق عبدا للآلهة ،يقدم لها طعامها وشرابها، ويزرع لها أرضها ويرعى قطعانها، خلق الإنسان لحمل عبء العمل ورفعته عن كاهل الآلهة ، فمنذ البدء كان الآلهة يقومون بكل الأعمال التي تقيهم وتحفظ حياتهم ،ولكنهم تعبوا من ذلك ،فراحوا يشتكون لإنكي الحكيم ليجد لهم مخرجا، ولكنه هو المضطجع بعيدا في الأغوار المائية ، لم يسمع شكائهم ،فمضوا إلى أمه الإلهة "نمو" المياة البدائية التي أنجبت الجيل الأول من الآلهة لتكون واسطتهم إليه فمضت إليه قائلة:

-أي بني ،أنهض من مضجعك ،أنهض من [.....].

-وضع أمرا حكيما .

-اجعل للآلهة خدما يصنعون [لهم معاشهم]

-فتأمل إنكي مليا في الأمر ثم دعا الصناع الإلهيين المهرة وقال لأمه نمو:

-إن الكائنات التي أرتيت خلقها ،ستظهر للوجود .

-ولسوف تعلق عليها صورة الآلهة.

-امزجي حفنة طين، من فوق مياه الأعماق.

- وسيقوم الصناع الإلهيون المهرة بتكثيف الطين (وعجنه).

-ثم كوّني أنت له أعضاءه .

-وستعمل معك نمماخ يدا بيد .

-وتقف إلى جانبك عند التكوين ،ربات الولادة .

-ولسوف تقدرين للمولود الجديد ،يا أماه مصيره .

-ونعلق نمماخ عليه صورة الآلهة ؟.

-[.....] في هيئة إنسان [.....].

¹أحمد سوسة ،تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء المشاريع ...، المرجع السابق، ص ص149-150.

بعد ذلك يتشوه اللوح الفخاري حامل النص ، ثم تظهر بعدها بوضوح الكتابة التي توضح احتفال إنكي بإيجازه المبدع في وليمة يدعو إليها الآلهة.¹

ب- القصور: شمل هذا التنقيب تلا كبيرا آخر على بعد كيلومتر واحد من أريدو ، حيث كشف فيه عن بقايا قصرين واسعين متشابهين في التصميم ،شكلهما مستطيل ،أبعاده (50,80 مترا) ، ومعدل سمك جدرانها 2060م ،وشيدا على غرار أبنية ذلك العصر باللبن في العهود الأولى في نحو 2700ق.م ،ولكل منهما من الخارج جدران سميكان بينهما ممر ضيق لحماية القصر من الرمال السافية التي اشتهرت بها مدينة أريدو ،وعثر في هذا القصر على تماثيل صغير من حجر الرخام (عبارة عن تماثيل رجل طعمت عيناه بحجر اللازورد)،ويرجح أنه يعود إلى عصر فجر السلالات الثالث (2600-2370ق.م) ،وأنه معاصر لقصر كيش².

ج- السور: كانت اريدو من أشهر المدن في العراق القديم إلا انه مع بداية تاريخ 3200ق.م -3000ق.م حتى أخذت المدينة تتقلص ، فأصبح ذرعها في منتصف الألف الثالثة قبل الميلاد حوالي (220x170م)³ ،و أحيطت بسور شبه مربع بني بالحجر ،وهو مشهد نادر في جنوب العراق الذي استخدم الطين منذ القدم في تشييد عمائره ،وتبلغ أبعاد السور (300,400مترا) على رأس التل⁴ ،ويشير الباحث فراس السواح أنها تبنت الأنماط المعمارية والفنية الأوروكية الجديدة⁵ ،وعلى بقايا أرضفة ميناء على مقربة من ساحل البحر على شواطئ المستنقعات كانت تتصل بساحل الخليج العربي كما ورد في نص سومري للملك شولجي ملك أور⁶.

د- التمثال : تميزت هذه المدينة بفن النحت والفخار منذ القدم ،فقد أوضحت التنقيبات التي أجراها تايلر سنة 1855م عن اكتشاف تماثيل أسد عظيم مصنوع من حجر البازلت الصلب ،وعجز الأثري تايلر عن نقله لأول مرة من موضعه ،فقام بطمره ،وأشار إليه في خريطته عن أريدو ،ولكن لما نقتب مديرية الآثار العراقية في شتاء 1947م عثرت على هذا التمثال بعد تعيين موقعه على ما جاء في خريطة تايلر، ونقله إلى المتحف العراقي ويظهر تماثيل الأسد جالسا على عجزه ،وقدماه الأماميتان لصققة بجسمه ورأسه جميل وذنبه على جنبه الأيمن ،وطول هذا التمثال

¹ محمد الطاهر سحري ،رحلة في عالم الأساطير السورية ،ط1، مطبعة سبيوس ،الجزائر ،2007، صص 61-62.

² أحمد سوسة ،تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء المشاريع ،...، المرجع السابق، ص153.

³ فؤاد سفر ، حفريات مدينة الآثار العامة في مدينة إريدو، المرجع السابق ، ص 221.

⁴ حسين فهد حماد ،المرجع السابق ،ص81.

⁵ فراس السواح ،المرجع السابق ،ص229.

⁶ حسين فهد حماد ،المرجع السابق ،ص81.

متر ونصف متر ، وعرضه نحو 60 سم ويزيد وزنه على الطن الواحد ، ويعتقد أن الحجر الذي صنع منه موجود في مكان ما في بادية الشام¹ .

و- المقابر : لم تتوفى مديرية الآثار العامة خلال تنقيباتها داخل مدينة اريدو خلال الموسم الثاني (1947-1948م) في الكشف على عدد من القبور ، فوسعت التنقيب في الخندق الذي شقته ، وإذا بما تكشف على مقبرة واسعة تتألف من نحو 1000 قبر ، يرجع زمنها إلى عصر العبيد ، وقد كان المتوفي فيها مزودا بالأواني الفخارية والطعام اللازم لانتقاله إلى ما بعد الموت ، ويرجع زمن هذه المقبرة إلى أواخر عصر العبيد، حيث كانت قبورها على الرمل الخالص سمكها حوالي المتر الواحد² .

والجدير بالذكر أن القبر يتألف من صندوق مستطيل مشيد باللبن مليء بالأتربة والرمال بعد وضع الجثة في قراره وختمه بغطاء من اللبن ذاته ، يمتد أحيانا إلى خارج جوانب الصندوق ، وما يمكن ملاحظته أن بعض هذه الصناديق كانت تحتوي على أكثر من جثة واحدة ، والقبر الواحد كان مخصصا لعائلة واحدة ، فلما يموت الزوج أو الزوجة فتح الصندوق ثانية ودفن بجوار زوجته ، ولما لم يتسع الصندوق إلا لشخصين أزيحت عظام الميت الأول جانبا والأواني الفخارية التي زودت بها ، ويدفن الطفل أحيانا جوار والديه ، ووجد في بعض القبور مدفونا في حفرة في غطاء الصندوق³ .

ج) مدينة كيش (Kish) :

1- الموقع الجغرافي : تعتبر كيش من أقدم المدن السومرية ، تقع أطلالها على نهر الفرات ، وتبعد بحوالي 15 كم شمال شرق مدينة الحلة الحالية ، ولا تزال آثارها حاليا بالقرب من بابل بمسافة تقدر من 15/20 كيلومترا جنوبي شرق بابل ، وهي على مقربة من أكد⁴ ، وتعرف بأسماء عديدة مثل (تل الأحيمر - أنغره - البندر - الخزنة)⁵ ، و هي أول مدينة هبط فيها نظام الحكم من السماء بعد الطوفان مباشرة⁶ بمعنى أن أول هيئة إدارية ، أو أول سلالة حاكمة في العراق القديم بعد الطوفان كانت فيها ، وهي سلالة كيش الأولى كما تميزت عن غيرها من المدن السومرية

¹ أحمد سوسة ، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء المشاريع، المرجع السابق، ص 153-154 ، شكري أكرم ، أسد اريدو ، مجلة سومر ، ع4، ج1، 1948 ، ص 81.

² فؤاد سفر ، حفريات مديرية الآثار القديمة العامة في اريدو ، الموسم الثاني "1947-1948م" ، مجلة سومر ، م4، ج2، 1948 ، ص 278.

³ فرج بصمة جي ، المرجع السابق ، ص 19 ، فؤاد سفر ، حفريات مديرية، المرجع السابق ، ص 278.

⁴ Benjamin w.porter and Alexis T.Bouin , remembering the dead in the ancient near east « recent contributions - from bioarchaeology and mortuary archaeology , university press of Colorado , Boulder , U.S.A, 2014 , p65.

⁵ سامي سعيد الأحمد ، المدن، المرجع السابق ، ص 148.

Daniel Arnaud ,op-cit,p8.

الأخرى في عدد السلالات التي حكمت فيها قبل قيام الدولة الأكادية والتي تفوق عدد السلالات التي ظهرت في باقي المدن الأخرى في عصر فجر السلالات ، حيث كانت مركزا أربع سلالات مبكرة خلال 2800-2340 ق.م ، في حين نجد أقدم المدن السورية وأهمها -مدينة الوركاء (أوروك) - لم تزد عن سلالتين¹ .

2- أهميتها التاريخية :

قدمت لنا كيش صورة عن التنظيم السياسي المبكر لحكومة المدينة السورية ، حيث شهدت تفكيراً ديمقراطياً بانتخاب حاكم المدينة من الجمعية العمومية التي تضم جميع رجال الأحرار حتى فئة النساء، وتحقيق شهرة واسعة في بلاد سومر ، حتى أصبح حكام المدن المجاورة يلقبون أنفسهم بملك كيش² ، وكان لملوك كيش دورا بارزا في عصر فجر السلالات وفي شهرة المدينة³ ، إذ نجحوا في توحيد البلاد في حدود 2800 ق.م ، مع العلم أن أسماء بعض ملوكها مثل: (كلبوم / كلبو " Kalibum " ، قلومو "Qualumum" ، حمل ، زقاقيم/زوقايب "Zuqaqim" ، عقرب) تشير إلى الأصول الجزرية دارجة في شبه الجزيرة العربية ، وأن هذه المدينة شهدت استقرارا للقبائل الجزرية في بلاد ما بين النهرين قبل الأكاديين⁴ ، حيث ورد 12 ملكا من مجموع 23 ملكا بأسماء جزرية ، و6 منها كانت سورية ، أما 5 الباقية فلا يعرف اشتقاقها اللغوي ، وهذا ما يدل على الاختلاط القومي بين سكان وادي الرافدين والتعايش السلمي فيما بينهم ضمن السلالة الواحدة⁵ .

وكما سبق الذكر فقد قدر عدد حكامها بثلاثة وعشرين ملكا وأشهرهم الملك : إيتانا الراعي ، ميسيليم ، آجا الذي عاصر جلجامش ، ونازعه على الحكم في سومر ، ونجاح ميسيليم لأول مرة في التاريخ في إبرام الصلح بين مدينتي لجش وأوما... الخ ، وقد تمتعت هذه المدينة بمكانة خاصة في نفوس الأقوام الجزرية التي نزحت منها ، حتى أن قسما من الملوك في السلالات اللاحقة في المدن الأخرى لقبوا أنفسهم بلقب (ملك كيش) ، بسبب اعتزازهم بتاريخ هذه المدينة⁶ .

3- تاريخ التنقيبات الأثرية في مدينة كيش :

كانت مدينة كيش مثل غيرها من المدن السورية محط أنظار الباحثين الأثرين الذين أولوا اهتماما كبيرا لها، وفي مقدمتهم علماء التنقيب الفرنسيين بإدارة هنري جينوايلاك أول

¹فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 81.

²محمد بيومي مهرا ، ج 1، المرجع السابق، ص 251.

³ Benjamin w.porter and Alexis T.Bouin ,op-cit , p65.

⁴قيس حاتم هاني الجنابي ، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان ، 2012 ، ص 124.

⁵هاري ساكز ، المرجع السابق ، ص 60.

⁶طه باقر ، مقدمة في تاريخ ، ج 1، المرجع السابق ، ص 269.

منقب فيها سنة 1912م¹، ثم تبعه فريق مختلط من الإنجليز والأمريكان والفرنسيين [من جامعتي أوكسفورد وشيكاغو] سنة 1923-1933م مثل: لانغدون "Langdon" في سنة 1924، ماكي "Mackay" [1925-1929م]، واتلين "Watelin" [1930، 1934]، ونقب فيها أخيراً فريق أمريكي تحت إشراف الباحث جوفم "Jofme" الذي عثر على العديد من المخلفات الأثرية تعود إلى حوالي 5000 سنة قبل الميلاد مثل القصر الملكي السومري إضافة إلى مقبرة تعود إلى سلالة مبكرة والزقورات... الخ، كما قام جيل ثاني من العلماء بعمل كبير من أجل تطوير البحث الأثري في المدينة مثل : جيسون "Gibson" سنة 1972م، لويد "Lloyd" سنة 1969م، موري "Moorey" سنة 1978م، راثبون "Rathbun" سنة 1975م، ومنذ عام 2004م تعززت التنقيبات الأثرية أكثر عن طريق فريق متعدد التخصصات الذي سعى إلى تقديم شروحات وافية ونقدية في نفس الوقت لظروف الحياة السائدة عند سكان كيش القدامى²، ومن أهم الاكتشافات هذه المدينة ما يلي :

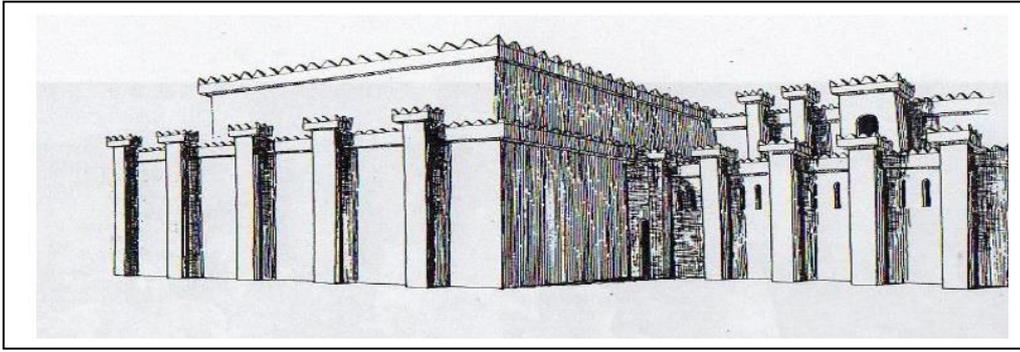
أ- القصر : شكل هذا القصر أول نموذج للعمارة المدنية والعسكرية، فهو يجسد اتصال القصر والحصن من خلال نظام الأسوار الدفاعية الذي سخر لحماية القصر من الأعداء الخارجيين وحتى الأعداء الموجودين داخل المدن، وقد تم تخطيط هذه البناية على شكل مستطيل (75/40متر)، وأحيطت بسور تحصيني، مع برج مسلح، ويقع في الداخل مساكن ومنازل زراعية وراء الفناء المربع الصغير (15/15متر)، أما تركيبة البنايات التي شيدت في فترة لاحقة (55/30متر)، و في جزئها الغربي تقع قاعة ضيقة ومحاطة بأربعة أعمدة (قطرها 1,5متر)، وفي الجزء الشرقي من البناية مسرح له أعمدة مقامة على سور وفسيفساء جداره صدفية تجسد مشاهد حربية، ويعتقد أن هذه القاعة كانت مخصصة للجمعية الشعبية ومسرحاً للمجلس³، كما كشفت التنقيبات الأثرية عن بقايا بناية تمثلت في بيوت سكنية مشيدة باللبن المستوي الخدب، عثر فيها على مجموعة من الفخاريات وأدوات معدنية مصنوعة من البرونز تعود إلى عصر فجر السلالات الثاني⁴.

¹ حسين فهد حماد، المرجع السابق، ص545.

² Benjamin w.porter and Alexis T.Bouin, op-cit , pp65-66.

³ ديكانونوف ي.م وآخرون، المرجع السابق، ص234.

⁴ Vorstesalij, P.P., and Kolbus, S., Review of Proto – Dynastic développement in Babylonia, Mesopotamia, Vol XX, 1985, p 23, Gibson, M , The city and area of Kish, Florida, 1972, p 72 .



1

الملحق رقم 38 : يمثل قصر مدينة كيش

ب- رأس دبوس من الحجر : نقش هذا الأخير بكتابة مسمارية قديمة (صورية) تذكر اسم (ميسيليم) ، وهي محفوظة في متحف اللوفر في باريس ، وهو شاهد أثري على أن زمن هذا الملك يعود إلى 2600 ق.م ، وأنه ملكا عظيما اشتهر بحروبه في أواسط البلاد وشرقيها ، وضم إليه مدينة لجش ، وفض النزاع القائم بين مدينتي أوما ولجش حول مياه الإرواء ، والذي قد استمر لمدة قرن من الزمان ، ونصب على الحدود بين المقاطعتين مسلة حجر الحدود بهدف تعيين الحدود وشروط الصلح².

ج- الزاقورة : هي عبارة عن برج مدرج ، ارتفاعه ما بين ثلاثة إلى سبعة طوابق ، وفي أعلاها يوجد معبد صغير يمثل الإله ، ويوجد إلى جانبه معبد كبير على الأرض تقوم فيه وتمارس الطقوس الدينية ، و أيضا بقايا الدور السكنية وبعض شوارعها و المقابر³.

ولم تنحصر مساحة بلاد سومر في الألف الثالثة قبل الميلاد على هذه المدن والإمارات فقط وإنما تعدتها إلى مدن أخرى بفعل الظروف المساعدة على ذلك، واستطاعت أن تفرض سيطرتها وهيبتها لبعض الوقت، وأن يكون لها دور تاريخي هام .

وبالرغم من ذلك لم يستطع الباحثون الكشف عن معطيات أكثر دقة وشمولية مقارنة مع المدن السومرية الكبرى مثل: اوروك ، لجش ، أوما... الخ التي استطاعت التعمير حوالي خمس قرون ونصف ، وأن تهيمن على الشرق القديم ، ولا تزال أطلالها باقية حتى الآن، ولكن سوف نحاول تسليط الضوء على بعض المدن السومرية الأخرى :

Harmut S chmokel , op-cit , p 16.

1

2 علي شحيلا ، عبد العزيز الياس الحمداني ، المرجع السابق ، ص 199.

3 نخبجة من أساتذة التاريخ ، العراق في التاريخ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1983 ، ص 213.

المدن السومرية	لمحة عنها
<p>- الوركاء (أوروك)</p>	<p>اتخذت تسمية ايرك في العهد القلسم ، وفي المصادر اليونانية والرومانية تسمية (أورخوي) ، تقع بقايا أطلالها حاليا في محافظة المثنى ، والتي تبعد نحو 220 كم جنوب شرق العاصمة بغداد ، وعلى مسافة 20 كم شرقي مجرى نهر الفرات .</p> <p>تعتبر هذه المدينة القديمة من أكبر المدن الرافدية وأكبرها حيث تعود إلى عصور ما قبل التاريخ لكن الاستيطان البشري استمر بها ، حيث كانت في ماضيها تقع على الضفة الغربية من مجرى نهر الفرات القلسم، كانت مؤلفة من حارتين أحدهما تسمى (أي-أنا) نسبة إلى تسمية المعابد فيها (حارة المعابد) ، ومن أشهر معابدها هو معبد (أي-أنا) الذي خصص لعبادة الإله السومري (آنو) والإلهة عشتار ، أما الحارة الأخرى تسمى حارة (كلاب) ، لكن الملك أينمركال جمع بين قسمي المدينة ، وجعلها مدينة واحدة كبيرة يضمها سور كبير ، حيث كانت مسورة على هيئة شبه دائرة يبلغ محيطها حوالي 8,5 كم ، وتبرز شهرتها في :</p> <p>- الملوك الأقوياء الذين حكموا فيها مثل: اينمركال ، تموز، كلكامش ..الخ.</p> <p>- نضوج الكتابة المسمارية فيها ، حيث تطورت فيها الكتابة ، بعد أن ظهرت بوادرها الصورية في مدينة كيش ونقشت فيها الكتابة على الحجر ، حيث تكاملت الكتابة بمراحلها الثلاث (الصورية ، الرمزية ، الصوتية (المقطعية) .</p> <p>- تطور أنظمة الحكم ، وتسلسل الوظائف السياسية فيها .</p>
<p>- نيبور (نفر)</p>	<p>سميت قديما باسم (سوم) و(نيبرو) ، وتعرف أطلالها اليوم (نفر) الواقعة بالقرب من مدينة الديوانية في محافظة القادسية ، تبعد بنحو 72 كم جنوب شرقي مدينة الحلة ، وبالقرب من بلدة عفك ، تبلغ مساحتها نحو 4000 متر مربع.</p> <p>كانت مدينة نيبور منطقة سكنية وتجارية بسبب وجود سجلات ووثائق تجارية تعود لعائلة (موراشو/موراشو 455-403 ق.م)، وفي الحي الشرقي وجدت ألواح من الطوب المجفف بالشمس ، وسمي هذا الحي ب"حي الكتاب" ، ومعظم اللوحات عبارة عن وثائق تجارية وأناشيد سومرية وأساطير ونصوص من الحكمة بينما في الجهة الشمالية يقع الحي الديني، حيث وجدت المعابد لإنليل والآلهة البانثيون السومري منذ الألف الثالثة قبل الميلاد .</p> <p>وقد تم تشييد في وسط المدينة زقورة، ارتفعت عن مستوى الأرض بحوالي 15 مترا، وقديما كان يعلوه معبد صغير يصعد إليه الزائر من ثلاثة سلالم ، وأمام هذه السلالم ساحة كبيرة، وبموازاة الجانب الشمالي الشرقي للبرج معبد مستطيل، وبين الزقورة والمعبد شارع عريض بلط بالأجر والزفت ، ويحيط بالمنطقة سور ذو أبراج يقيها من هجمات الأعداء وورد ذكرها في الأساطير السومرية والبابلية منذ الألف الثالثة قبل الميلاد.</p> <p>وتوجت هذه الحفريات بنتائج باهرة، ساهمت في الكشف عن أسرار مدينة نيبور خاصة بعد اكتشاف موقع أثري غني بألواح طينية مكتوبة وهو "تل رقم الطين" وأطلقت عليه البعثة الاستكشافية اسم "المكتبة".</p>

<p>وقد اكتشف فيها العديد من الكتابات ورقم الطين التي تقدر بحوالي ألفي قطعة ومعظم هذه الرقم الألواح الخاصة بالشؤون الاقتصادية كالبيع والشراء والقرض والمقايضة، إضافة إلى الألواح المدرسية لتدريب الطلاب على الكتابة، وبها بعض المفردات اللغوية، وبعضها يحمل نصوصاً رياضية أو فلكية.¹</p> <p>ويذكر المنقبون أنه يحتوي على مواضيع أدبية وأسطورية ودينية سومرية بعضها ترتبه دينية مع مذبح الآلهة (نانشة) إحدى آلهات مدينة لجش، والتي وصفت بالرحمة والعدل ومساعدة الضعفاء، ومن بين الآثار التي عثر عليها لوحة كبيرة تضم حوالي مائتي سطر وهي قطعة أدبية تضم نقاش أدبي بين أستاذ وشاب، فيرشدته إلى التحلي بمكارم الأخلاق فضلاً عن لوحة أخرى تحتوي على نصائح فلاح لولده، فيرشدته إلى طرق الإرواء والحراسة وحصاد الشعير، واعتبر هذا الرقم أقدم تقويم زراعي يقدم للحضارة الإنسانية .</p>	
<p>تعرف هذه المدينة اليوم باسم (تل العقر)، وكانت تسمى أيضاً (دور أيلو) ، تقع في ضواحي بلدة بدرة في محافظة واسط ، على الحدود من بلاد عيلام بالقرب من نهر كلال ، وعلى بعد 156 كم شمال شرقي مدينة بابل ، وزهاء 108 كم جنوب مدينة اشنونا (تل أسمر) .</p> <p>تعتبر مدينة دير من أهم المدن السومرية نظراً لموقعها الاستراتيجي ، فهي على الحدود الإيرانية العراقية ، وكانت من المواقع الرئيسية في الطريق التجاري (الطريق الحربي) المؤدي إلى بلاد عيلام ، وكثيراً ما اجتازته جيوش السومريين نحو بلاد عيلام ، وقد جرت عندها العديد من المعارك الحربية بين الرافدين والعيلاميين ، كما دخلت في صراع مع مملكة اشنونا (تل أسمر) في زمن ملكها بلالاما ، ومن المرجح أن أقدم ملك لها هو الحاكم (ندنوشا) حسب النص الكتابي المكتوب باللغة البابلية ، يذكر فيه ألقابه و أعماله ، كما ذكر اسم اله المدينة (سترآن) ، وهو اله خاص بالحدود وتسويتها ، كما يرجح أن الحاكم (آنو-متبل) هو خليفو ندنوشا في سلالة دير ، والمعاصر لملك اشنونا (بالالاما) ، وبحسب النص الذي وجد في مدينة إشنونا أنه تمكن من دحر جيوش (أنشان) أحد أقاليم بلاد عيلام ، وأنه غزا مملكة أشنونا .</p>	<p>-دير</p>
<p>يعرف الموقع حالياً باسم تل (أبو حبة) و(سبار) ، وهي إحدى المدن الخمسة التي نزلت فيها الملوكية قبل الطوفان وفق ما جاء في جداول الملوك السومرية، ويقع التل بالقرب من بلدة اليوسفية على بعد (45 كم) شرق بغداد وعلى الضفة اليسرى من فرع نهر اليوسفية. أبعاد الموقع (800×1200 م) نقتب فيه بعثات كثيرة أولها من المتحف البريطاني عام 1881 و1882، وبعد ذلك في عام 1927 نقتب فيه بعثة برئاسة (والتر أندريه)، وفي عام 1978 نقتب هيئة أثرية من جامعة بغداد- كلية الآداب- برئاسة وليد الجادر كشف خلالها عن طبقات عديدة تعود إلى عصر الوركاء وعصر جمدة نصر وعصر فجر السلالات وكسر فخارية وبأشكال مختلفة، وقد تم تمييز ثلاثة أدوار سكنية للطبقة الأولى عن مجموعة من الغرف ذات مساحات مختلفة عثر في بعضها على مواقد وفخاريات ورقم طينية تعود إلى عصر فجر السلالات الثالث، وتمكنت الأبحاث الأثرية</p>	<p>-سيبار" Sippar "تل أبو حبة".</p>

<p>الكشف على زاقورة مكرسة للإله "شمش" والإله "انونيتوم". رمم حمورابي أسوارها بعد احتلالها، وفتح خندقاً للمياه، وبعد سلالة بابل الأولى لم يعرف عن سيار إلا القليل حتى عام 1174 ق.م حين نهبها الغازي العيلامي كوهيرناهنوتي، ثم أخضعها الملك الأشوري تجلانبلاسر عام 1100 ق.م، واكتشف المنقبون الأثريون فيها 130 ألف لوح مكتوب بالمسماري، ومعظمهم معاملات تجارية .</p>	
<p>تأسست في حوالي 2650-2750 ق.م، وتقع في وسط العراق شمال أكد، تغلب عليها أياناتوم ملك لجش بعد أن احتل كيش في حدود 2500 ق.م، وبعد قرون استعادت أكشاك سيطرتها على سومر وأكد وموقع هذه المدينة غير معروف بشكل دقيق، إلا أن كتابات ماري (تل الحريري) تلمح أنها قريبة من الموقع الأثري القديم "أشنونا" في جنوب وادي نهر الديالي الذي يصب في نهر الدجلة قرب المدائن (طيسفون حالياً).</p>	<p>-أكشاك " Akshak "</p>
<p>تقع في شمال شرق بلاد سومر على نهر الدجلة، وكانت لاراك من عواصم سومر في الفترة الواقعة قبل الطوفان .</p>	<p>-لاراك " Larak "</p>
<p>الموقع عبارة عن مجموعة من التلول تغطي منطقة أبعادها (1.2×2.4 كم) وارتفاع أعلى نقطة فيه نحو (10.67 م) عن مستوى السهل المجاور، تقع بقاياها اليوم على مجرى نهر الفرات القديم من ضمن ناحية آل بدير في منطقة الجزيرة التي تكثر فيها الكثبان الرملية والتي تسبب عواصف رملية تؤثر على الموقع والمزارع المحلية، تعرف حالياً باسم بسماية، يقع الموقع إلى الشرق من مدينة الديوانية مسافة (80 كم) وعن عفك بجوالي (45 كم) وعن ناحية آل بدير بجوالي (25) كم، وتبعد عن مدينة نهر الأثرية مسافة (40 كم)، نقب الموقع من قبل هيئات تنقيسية عديدة ابتداءً من عام 1805 من قبل لوفتس، ثم وولف عام 1885، ثم دورك بين الأعوام 1889-1891، ثم بيترز 1897، ثم القنصل الأمريكي بانكس عامي 1903-1904، ثم التنقيبات الحديثة التي قامت بها دائرة الآثار العامة وكشفت هذه التنقيبات عن أبنية تعود إلى عصر جمدة نصر وأخرى تعود إلى عصر فجر السلالات، كما تم الكشف عن جدار بيضوي الشكل يحيط بالأبنية من عصر فجر السلالات وهو بسمك (4 م) تدعمه أبراج دائرية، وكشف عن غرف مشيدة باللبن المعروف باسم (اللبن المستوي المحذب) الذي شاع استخدامه في هذا العصر (عصر فجر السلالات) واللبن المستخدم في بناء الجدار بقياس (9×8×25 سم) والمادة الرابطة هي الطين، هذا فضلاً عن العثور على مجموعة من الفخاريات وبأشكال مختلفة، وعلى تمثال صغير للملك (لوجال دالو)، بالإضافة على العثور على رقم طينية. ومن خلال نتائج التنقيبات التي جرت في الموقع بينت أن تاريخ الاستيطان في المدينة يعود إلى الألف الرابع ق.م، وأستمر حتى العصور التاريخية اللاحقة، وتبرز أهميتها التاريخية في تحرير ملكها (لوكال ابي موندو) سومر من الغزاة العيلاميين في حدود 2500 ق.م، وفي القرنين الثاني والعشرين والواحد والعشرين كان حاكم آداب يعين من قبل ملوك أور، وألقتها الرئيسية تسمى "نيهورساج".</p>	<p>-آداب " Adab "</p> <p>" بسماية "</p>
<p>تقع آثارها على بعد 25 كيلومتر جنوب شرق أوروك، وعلى بعد 48 كيلومتر شمال شرق الديوانية</p>	<p>-لارسا " سنكره " والمسماة</p>

<p>،وقد دلت الأبحاث التاريخية والتنقيبات التي أجراها الباحث الأثري لوفنتس في منتصف القرن التاسع عشر وأندري بارو في عام 1933م على أن هذه المدينة كانت ذات شهرة واسعة في العهد البابلي القديم في حوالي 2000 ق.م، كما عثر المنقبون على بقايا تعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد مثل: الزاقورة والمعبد الذي يعود لإله الشمس "أوتو".</p>	<p>في التوراة باسم "إلسار".</p>
<p>تقع أيسن على مسافة (40 كم) جنوب شرق مدينة الديوانية في محافظة القادسية الحالية، وعلى بعد 30 كيلومتر جنوب غرب نيبور، وتعرف اليوم باسم (أيشان البحريات) ، أعلى ارتفاع للتل يبلغ حوالي (8 م) عن مستوى سطح السهل المجاور، نقتب المدينة من قبل البعثة المشتركة من متحف الفن متحف الميتروليتان ومعهد الفن في جامعة نيويورك في سنتي 1972 - 1973م، ثم نقتب فيما بعد البعثة الألمانية برئاسة (روودا)، وكشفت هذه الأخيرة على مجموعة من الفخاريات تعود بتاريخها إلى عصر فجر السلالات الثاني والثالث¹.</p>	<p>-ايسن " Essne".</p>

-بتصرف من الطالبة -

2- النظام السياسي السومري (ديمقراطية بلاد سومر) :

لم تكن نظم الحكم في بلاد ما بين النهرين مستقرا ،بحكم أن البلاد كانت متنوعة الأشكال ومتعددة الشعوب ،حيث مرت العهود السودرية بأنظمة الحكم مختلفة من نظام العشيرة إلى القبيلة أو القرية حتى الدولة المدينة ،وتحت أشكال بدائية من الديمقراطية² .

كان المجتمع السومري القديم أبعد ما يكون عن البدائية ،بل كانت حياته السياسية والاجتماعية في المدن السودرية راقية بالمقارنة مع المناطق الأخرى في تلك الفترة ،وقد سادت حياته التنظيم المتكامل ،حيث عرف الإنسان السومري بالصرامة في عمله وجهده ،وذو عقلية ديمقراطية ،حيث يقول صامويل كيرمر في كتابه "التاريخ يبدأ من سومر": "كان السومريون يتمسكون بالطيبة والصدق ،وبالقانون والنظام ،وبالعدل والحرية وبالاستقامة والصراحة ،وبالرحمة والشفقة ، وكانوا يمتنون الشر والكذب والفوضى والاضطراب"³ .

¹ وليد الجادر، نتائج تنقيبات الموسم السادس، 1983-1984م، في مدينة سبار (أبو حبة)، من بحوث آثار حوض سد صدام وبحوث أخرى، بغداد، 1987، ص ص 186-194،، رياض عبد الرحمن الدوري، التقرير النهائي من نتائج أعمال التنقيبات في موقع بسماية، الموسم الأول والثاني ، 1999، ص ص 2، 4، عبد الحكيم الذنون، المرجع السابق، ص ص 52، 59، عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 208، علي شحيلات، عبد العزيز الياس الحمداني، المرجع السابق، ص ص 191، 203، عبد الرزاق حسين، المرجع السابق، ص 87، قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 128. .p8-9 ,op -cit ,p74, Daniel Arnaud ,op -cit ,p8-9 .,128 Pierre Amiet ,op -cit ,p74, Daniel Arnaud ,op -cit ,p8-9 .,128 Bank, E.G., Bismaya, Or the lost city of Adba, New York, 1912, pp. 15, 41.

² وهيب أبي فاضل، المرجع السابق، ص 143.

³ صامويل كيرمر، المرجع السابق، ص ص 46-47.

وعلى أية حال، فإن التنظيم السياسي لحكومة المدينة السومرية، إنما يمثل مرحلة هامة في تاريخ الفكر الإنساني، لأنه يشهد بتواجد التفكير الديمقراطي في بداية العصر التاريخي بعدما انتقل الحكم من النظام الديمقراطي البدائي إلى النظام الملكي أو أوتوقراطي (فردية الحكم)، أي تركز السلطة جميعها بيد الملك¹.

والجدير بالذكر أن نظام الحكم الملكي السومري تميز بصبغته الوراثية وبالاستمرارية، أي انتقال الحكم من سلالة إلى أخرى، ولم يغيّر هذا النظام باستثناء بعض التغيرات الجانبية التي واكبت تطور المجتمع، ولكن في بعض الأحيان لا يعترف بحق الابن الأكبر في تولي عرش الحكم، ونلمس هذا الأمر في سلالة لجش الأولى، أما في حالات اغتصاب العرش من قبل أفراد في الأسرة الحاكمة، ولا يمتلكون الحق فيه شائعة بقدر كبير، وكان أولئك المغتصبين يؤكدون في نفوسهم الكتابية شرعية حكمهم اعتماداً على الاختيار الإلهي لهم²، باعتباره أساساً للملكية في العراق القديم، وإن كان هذا لا يعني أن الأقوام السومرية لم تعرف مبدأ الوراثة، الذي أشارت إليه قائمة الملوك السومرية، وقد فسر نظام التعاقب بأنه من مظاهر رضى الآلهة عن ملوك الأسرة التي يتعاقب أبنائها على العرش³.

إن التنظيم السياسي لدويلات المدن السومرية إنما كان انعكاساً لأفكار القوم الدينية وذلك بتجسيد حياة الآلهة السومرية في السماء على الأرض، وعليه ارتكز نظامها السياسي على :

أ) الملك : كان الملك على رأس الدولة، وكاهنها الأعلى، والمحارب الأول، الرجل الأول الذي يحكم حكماً فردياً أو أوتوقراطياً، وفي يده مختلف السلطات، وله مطلق التصرف في كافة الشؤون وكلما اتسع سلطانه زادت سلطاته⁴، بحكم سلطته الواسعة لا بل المطلقة، لأنه يمثل الإله على الأرض، فهو صلة الوصل بين الإله والبشر، ويحكم باسم الإله حكماً مطلقاً، فهو قائد الجيش الأعلى ورأس السياسة و منظم الإدارة، له سلطات واسعة، لكن عليه واجبات كثيرة وفي طبيعتها تأدية الواجب الديني من ترأس الحفلات الدينية وتقديم الذبائح وبناء المعابد، وعليه أن يفرض القوانين ويؤمن العدالة والمساواة، وعليه في كل أعماله الإصغاء إلى صوت الآلهة، فهي توحى إليه رغبتها، وحتى يكشف رغبة الآلهة في تسيير أمور المدينة عليه بتفسير الأحلام واستفسار أقوال العرافين، وعليه بالتنجيم والسحر، واللجوء إلى الكهنة والراصدین ومفسري الأحلام لتفسير إرادة الآلهة⁵.

¹ Samuel Noah Kramer , the sumérian , op-cit , p72.

² فون زودن، المرجع السابق، ص73.

³ محمد بيومي مهران، ج1، المرجع السابق، ص59.

⁴ نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص24، برهان الدين دلوو، المرجع السابق، ص251.

⁵ Jean Claude Palanas, op-cit, n :81

ولم تكن مقابلته بالأمر السهل بحكم مركزه وانشغاله بتسيير أمور الدولة ، كما أن التنبؤات كانت تشير إلى أن بعض الأيام غير مناسبة ، ولا يجوز للملك أن يقوم فيها بأي نشاط ولا يقابل خلالها أي أحد بما فيها ولي العهد ، أما إذا كانت التنبؤات مرضية ، فيحق له استقبال رجال البلاط ومسؤولي الدولة بعدما يشرف على تنظيمهم ناظر القصر ، كما يستطيع الملك استقبال في قصره الوفود الأجنبية ودافعي الضرائب والجزية من أبناء الأقوام الخاضعة تحت حكمه ، بالإضافة إلى ذلك يستطيع العامة مقابلته في مناسبات أخرى خاصة عندما يخرج من قصره لتفقد المشاريع العامة أو في أثناء قيادته للحملات العسكرية أو قيامه بحملات الصيد أو رعايته للاحتفالات¹ .

وتذكر الأساطير السومرية أن هناك طقوس واحتفالات دينية تمارس على الملك من طرف الكهنة بحكم الارتباط الوثيق مع الجانب الديني ، ومن هذه الطقوس احتفالات رأس السنة الجديدة ، ففي اليوم الخامس من الاحتفالات يدخل الملك مع الكاهن الأعلى إلى حجرة الهيكل الخاصة بالإله القومي ، وبنزع شارات الملك جميعها ، ويركع أمام تمثال الإله اعترافا بسلطانه وفضله عليه ، وبعد أن يصفعه الكاهن صفقة قوية يستعيد شارات ملكه ، ويستعيد ملوكيته بأمر من الإله² .

واعتبر الملك السلطة العليا ، وقل ما يتم ذكره في الأحداث العادية أو بطريقة غير مباشرة في عمليات التصدير والاستيراد ، وعكس ذلك فتدخالاتهم في أرشيف المراسلات أمر حساس جدا ، فقصر أور الملكي كان على اتصال مباشر مع مستشاريه ، ويفرض سلطته على الموظفين في مختلف المقاطعات بهدف تنفيذ أوامره على مختلف مراكز نفوذه³ ، وكان الملك يعيش في قصر فخم وسط حاشية كبيرة ، حيث يحتشد جيش من الكهنة والموظفين والقادة والأقارب والكتاب ، والفلاحين ، حتى أصبح مؤسسة سياسية وعسكرية ودينية كبيرة ، وبدخل القصر المنيع هيكل سري مختلف يؤدي فيه الملك واجباته الدينية دون أن يراه الناس⁴ .

وتشير الدراسات التاريخية أن للملك زوجة-الملكة أو السيدة- تستقل بأملاكها الخاصة التي تديرها بنفسها ، وتشارك في تصريف الأمور ، ويسمح لها بالاشتراك في شؤون الدولة أحيانا ، ولكل من أولاده بيته الخاص ، وبه موظفوه ومعاونوه الذين يختصون بخدمته وسقائه وزراعته وغير ذلك من الحرف المختلفة⁵ .

1 George Roux , ancien Iraq , op-cit , p295.

2 طه باقر ، مقدمة في تاريخ ... ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 56-57.

3 Jean Pierre Grégoire , op-cit , p XIII , N : 106 : 5 , 150 : 7.

4 وهيب أبي فاضل ، المرجع السابق ، ص 144-145 ، سامي ريجانا ، المرجع السابق ، ص 70.

5 نجيب ميخائيل إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 27-28 .

1-الشارات الملكية : بعد هبوط الملكية وشارات الملك من السماء إلى الأرض، وانتخاب الآلهة حكاما على الأرض لينوبوا عنها، أصبح لهؤلاء الملوك مكانة مقدسة، بل ربما اتخذوا صفات الآلهة نفسها، ولكنهم لم يعبدوا كألهة حقيقيين أثناء حياتهم، وإنما بعضهم عبد بعد وفاتهم¹، وقد ساد اعتقاد لدى السومريين أن دم الملك دم مقدس، ومتى اعتلى العرش جهد في أن ينتسب للإله حتى يركب مركزه الجديد، وأول حاكم سجلت أعماله الملك "ايتانا" ملك مدينة كيش الذي اعتلى العرش في وقت مبكر جدا من الألف الثالثة قبل الميلاد²، ومن الشارات الملكية التي سجلت هي :

أ)-التاج : هو لباس الرأس الخاص بالملك الذي يرمز إلى الزعامة ، وقد اختصت بعض الآلهة بالتيجان ، فكان الإله سين -اله القمر- معروفا بأنه اله التاج وضيأؤه يرمز إلى لمعان التاج الملكي والأشعة المنبعثة منه ترمز إلى الألوهية ، وكانت الآلهة عشتار التي تمنح التاج للملوك للسومريين³ .

وتعد القرون من أهم العلامات المميزة لتيجان الآلهة ، أما الملك الذي كان الإله يمنحه السلطة له ، فإنه كان عادة يلبس تاجا خاليا من القرون ، وتمثل الخوذة الحربية الذهبية التي اكتشفها وولي في المقبرة الملكية في أور للملك -ميسليم- أقدم أنموذج للباس الرأس الملكي ، ولبس أياناتوم -ملك كيش- خوذة حربية كما هي موضحة على مسلة العقبان إلا أنها أكثر بروزا من الخوذة الملكية للملك ميسليم ، وأصبحت هذه الخوذة لباس الرأس المتميز حتى في العصور الأخرى ، ولكنها اتخذت أشكالا أخرى⁴ .

ب) الصولجان : كان الصولجان رمز السلطة السياسي وهو عبارة عن قضيب يتألف من كرة من الحجر أو المعدن مثبتة في النهاية على قبضة طولية⁵ ، واتخذت أشكالا مختلفة فمنها ما كانت بهيئة رأس أسد ، وكثيرا ما كان الملوك يقدمون الصولجان هدايا للآلهة ، وكان الملوك في بلاد الرافدين يحملون الصولجان ذات الرؤوس الكروية يتكون الواحد منها من عقدة وحلقات في طرفه الأعلى وشرابش مثبتة في طرفه الأسفل⁶ .

تعد الصولجان من المواد النذرية المهمة عند السومريين ، حيث كانت تقدم كهدايا نذرية إلى المعبد ، وأن لم تحمل نقوشا كتابية ، فضلا عن كونها تعد رمزا من شارات الملكية وكأسلحة احتفالية ،غايتها التقرب من الآلهة ، ومن

¹ محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 281.

² محمد علي سعد الله، المرجع السابق، ص 70.

³ وليد الجادر ، الأزياء والأثاث ، حضارة العراق ، ج4، دار الحرية ، بغداد ، 1985 ، ص 355.

⁴ فرج بصمة جي ، المرجع السابق ، ص ص 84 ، 206.

⁵ وليد الجادر ، المرجع السابق ، ص 358.

⁶ يوسف عبد الله ، الجيش والسلاح في العهد الأشوري ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ، 1977 ، ص 213.

أجل أن تمنحهم الحياة وتستجيب لتضرعهم ، فضلا عن اطلاق الملوك أو الأمراء اللاحقين على صولجاناتهم المكرسة والأعمال المنفذة عليها ، كما أن من طقوس تقديم الصولجان أن يتم تقديمه إلى الملوك في أثناء تنويجهم ، ولما كان الصولجان يمثل رمز القوة والسلطة ، فقد كان يتسلمه كل ملك في حفل تنويجه ، حيث كان الكاهن يحمل التاج والصولجان على الوسادة جالبا إياها إلى الملك ، في حين يقوم بتنويج الملك ويقول له : " عليك أن توسع بلادك بصولجانك المستقيم عسى إلهك أن يمنحك القناعة والعدل والسلام"¹.

ج)- العصا : هي قضيب معدني ينتهي طرفها بهلال معدني ذي حافة خارجية مسننة بهيئة ، تشبه المنجل المفطح وفي بعض الأحيان كان الملك يحمل عصا من الخشب تثبت فيها قطعا من الصوان بمادة القار ، والتي تعرف بالخطاف ، وكان السيف والخطاف يستبدل في بعض المناسبات عصا طويلة كانت هي الأخرى أحد رموز السلطة الملكية ، وتسمى عصا الملك بعصا الرعية لأنه يرعى بها الناس ويحميهم².

د)- الخيط وأدوات القياس : كان الملوك يتسلمون الخيط وأدوات القياس من الآلهة لكي يقوموا بتعمير البلاد ونشر العدل ، وهذا واضح في مسلات الملوك المشرفين على أمور البلاد³.

وبعد الحديث عن الملك السومري وكيفية وصوله للحكم ، فضلا على أهم الشارات الملكية التي تمنحها الآلهة له حتى تضفي على ملكه قدسية دينية ، لا بد علينا أن ننوه بشخصية أخرى كان لها دور كبير في تسيير أمور البلاد وإن كان ذلك غير واضح في الكثير من المصادر ألا وهو :

2-الملك البديل : إن الظروف المحيطة بالمدن السومرية كثيرا ما جعلت الملك محط أنظار ، وفي حالة خطر تهدد حياته وأمن وسلامة البلاد بأكملها ، وقد تظهر علامات سماوية أو أرضية يفهمها الكهان وقراء الطالع على أنها تنذر بالشؤم ، فيتحتّم على الملك أن لا يحضر الاحتفالات أو الطقوس لكي لا يعرض حياته للمخاطر ، فيبعث برده بدلا عنه أو يبعث أحد الأشخاص بديلا مؤقتا عنه ، أما إذا كان النذر ينبئ بوقوع خطر على حياة الملك ، فيضطر للاختفاء فترة من الزمن ، ويختار شخصا عاديا يعين بديلا عنه ، وبطبيعة الحال بعد استشارة الآلهة بواسطة الكهنة⁴.

H.Frankfort , Kingshie and gods , Chicago , 1948 , p 247.

² جورج كوننتيو ، الحياة اليومية في بلاد بابل و آشور ، تر: سليم طه التكريتي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1986 ، ص 227.

³ J.B.Protchard , the ancient near east in pictures , New Jersey , 1996 , p 118.

⁴ طه باقر ، مقدمة في تاريخ ... ج2، المرجع السابق ، ص62.

في حين بعض المصادر أرجعت سبب ظهوره إلى عجز الملك عن التوفيق بين الوظائف والمهام الدينية و
الديوية في كل الأمكنة وتسيير أمور البلاد ، فلجأ إلى تعيين بديلا عنه والمتمثل في-الملك البديل- ليقوم بهذا العمل
أو يأخذ إحدى متعلقاته أو عبايته أو رداؤه¹ .

ولقد قدرت مدة حكم الملك البديل بمائة يوم يقلد خلالها جميع صلاحيات وواجبات الملك كأدائه بعض
الشعائر الدينية التي قد تمثل خطورة على حياة الملك مثل: إجراء العمليات السحرية على جيش العدو قبل بدء
المعركة تفاديا من تأثير السحر على الملك الحقيقي ، فضلا على الطقوس التي كانت تجرى لدفع الشر والأذى ، وكان
الملك البديل يرتدي في ذلك رداء الملك أو عبايته أو شيء يدل عليه² ، وبعد زوال فترة الشؤم، يعود الملك الحقيقي
إلى عرشه ويأمر بتصفية الملك البديل، وهو ما حدث في مدينة ايسن عندما تنازل الملك التاسع (ايرا-إيميني) عن
عرشه مؤقتا لصالح البستاني (إنليل-باني)، ولكن قبل أن تزول فترة الشؤم والخطر مات الملك الحقيقي بعد أن فرط
حساء ساخنا، ومن ثم صار البستاني ملكا حقيقيا على ايسن وحكم طوال عشرين سنة³ ، وفي هذا الصدد ورد
النص السومري الخاص بذلك :

-ما أجل استمرار السلالة ، الملك ايرا-إيميني جعل البستاني

-إنليل باني يحل محله ويجلس على عرشه ووضع التاج الملكي على رأسه ، مات ايرا-إيميني في قصره

-لأنه تناول حساء حارا ، إنليل بأني الذي كان على العرش لم يتنازل عن العرش وعين ملكا⁴ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك من فسّر ظاهرة الدفن الجماعي في مقبرة أور الملكية ، بأن الملك البديل كان يقوم
بدور الملك في الزواج المقدس متقمصا شخصية الملك ، وكان يقتل بعد ذلك ، وكان يتم حماية الملك في العصور
السومرية من شرور السنة بفدية بشرية ، وتقدم له في احد أيام عيد رأس السنة (أكيتو) أو عند ظهور فأل سيء ،
وكان يتم اختيار الفدية البشرية بالقرعة من بين ذكور المدينة ويتم ذبحها عند غروب الشمس من اليوم نفسه أو بعد
مائة يوم وموته يأخذ معه كل الشرور التي ستحيط بالملك خلال السنة المقبلة⁵ ، ووردت عبارات في النصوص
المسمارية تشير إلى الملك البديل :

-ربما أذهب في مكان الملك .

¹ نجيب ميخائيل إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 29.

² أحمد أمين سليم ، ج 2 ، المرجع السابق ، ص 199.

³ عبد الوهاب حميد رشيد ، المرجع السابق ، ص 104.

H.Frankfort , Kingshie and gods , op-cit , p263.

⁵ سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، ج 1 ، المرجع السابق ، ص 33.

- سوف أموت سعيدا بديلا من اجل سيدي¹ .

3) الألقاب الملكية: تطورت الألقاب الملكية منذ أقدم العصور بتطور نظام الحكم واتساعه والاتجاه نحو المركزية ونحو دولة القطر الواحد، ومن ثمة الإمبراطورية²، وقد عبرت هذه الألقاب عن طبيعة النظام السياسي، وعن حالة صاحبها من قوة وضعف، فضلا عن انجازاته وأوضاع معاصريه من الملوك، مثلما حدث مع الملك "لوكال زاجيري" عندما نجح في توحيد معظم جنوب العراق، يتخذ الألقاب المناسبة لذلك³.

وعادة ما شكلت هذه الألقاب الملكية التي نعت بها الملوك السومريين أنفسهم في نقوشهم الكتابية مصدرا مهما جدا لمعرفة ما كانوا يتمتعون به حقا، وما كانوا يدعون الحق فيه، ولوحظ على هذه الألقاب الطابع الدنيوي الخالص⁴ أو التي استخدمها الحكام الأوائل كانت مجردة⁵.

وسنحاول في هذا السياق شرح الألقاب الملكية حسب تسلسلها الزمني الذي يتناسق مع مدى قوة وسلطة الملك في بلاد الرافدين من عصر السلالات السومرية القديمة إلى الإمبراطورية الأكادية، بحكم الفترة التاريخية الواجب دراستها من 3000-2370 ق.م، ولعل من أقدم الألقاب التي اتخذها الحكام السومريين :

(أ) "EN": يعتبر هذا اللقب من أقدم الألقاب التي أطلقت على الحكام في بلاد الرافدين، ولهذا سوف نحاول في البداية تسليط الضوء على :

1- أصل التسمية : تعود أصل تسميته إلى سومر ، حيث اعتبر أول لقب سومري يطلق على الملوك السومريين ويعني السيد أو حاكما⁶، ويقابله في اللغة الاكادية ب " ايل " " belu " ويعني أيضا سيذا أو حاكما ، وقد يعني صاحباً أو مالك الممتلكات أو موظفا⁷، أو الكاهن الأعلى، ومنها الاسم المؤنث "اينت" " entu " " enutu" بمعنى الكاهنة العليا ، والاسم المعنوي المشتق من الكلمة نفسها اينوت " enutu " بمعنى سيادة أو وظيفة الكاهنة العليا، في حين تكتب في اللغة الاكادية بصيغة بيلت " beltu " بمعنى سيادة ، واشتق من الاسم صيغة بيلوت

H.Frankfort , Kingshie and gods , op-cit , p263.

¹ طه باقر، مقدمة في تاريخ...، ج2، المرجع السابق، ص57.

² أحمد أمين سليم، حضارة العراق القلم، المرجع السابق، ص196.

³ فون زودن، المرجع السابق، ص76.

⁴ طه باقر، مقدمة في تاريخ...، ج2، المرجع السابق، ص57.

⁵ George Roux, La Mésopotamie, op-cit, p160

⁶ عامر سليمان وآخرون، المعجم الاكدي، ج1، بغداد، 1999، ص143.

"beltu" أي السيادة¹، وبالتالي فهو أعلى الناس في خدمة الإله باعتباره مدير الإله ومدير الدولة في مدينته بالحفاظ على النظام القائم في هيكل الإله والمدينة بصورة عامة².

2- كتابة اللقب: ورد هذا اللقب (العلامة) لأول مرة في نصوص العصر الشبيه بالكتابي، وهي أقدم الكتابات التي تم اكتشافها، وكانت خاصة برجال الدين، وهدفها تنظيم اقتصاد المعابد، لذلك يصعب في هذه الفترة التمييز بين وظيفة الكاهن ووظيفة الحاكم، وهما وظيفتان يرحح اجتماعهما في شخص واحد³، إذ يحتمل أن حامل اللقب "EN" كان حاكما وكاهنا في وقت واحد⁴.

وبالتالي فإن الألواح الطينية المكتشفة في الطبقة الرابعة بمدينة الوركاء في حدود 3100 ق.م على الرغم من أن قراءة تلك الألواح غير مؤكدة إلا أنها استطاعت أن تشير إلى رمزية هذا اللقب، والتي يعتقد أنها تحمل علامات كتابية للدلالة عن لقب وظيفي منذ عصر الوركاء⁵، حيث وردت لوحدها من دون اسم يتبعها مما يشير إلى أنها كانت تستعمل بوصفها اسم مهنة أو لقب، وليس اسم شخص معين، إذ ليست لدينا أدلة على أنها تستعمل آنذاك لقباً وظيفياً⁶، أما الشكل الصوري للعلامة المكتشفة، والتي تعبر على لقب اين "EN" يشبه الكرسي أو العرش إلى حد ما حسبما ورد على ألواح عصر الوركاء، حيث أن العرش يمثل شكل من أشكال السيطرة والسلطة، وأن الكاتب القديم لم يجد شكلاً يعبر عن لقب "سيد" أو "حاكم" إلا من خلال الإشارة إليه رمزياً بالعرش الذي كان يجلس عليه الملك السومري، أو أن عرشه كان متميزاً وانه صنع خصيصاً لمنصبه⁷.

في حين هناك من يشير إلى أن هذا اللقب ورد لأول مرة في أقدم النصوص المكتشفة في دور جمدة نصر في حدود 3000 ق.م، حيث ورد مصطلح اين "EN" مع الاسم ليل "LIL" ليصبح ذو معنى: هواء أو جو، ويدل في نفس الوقت على اسم انليل "ENLIL" الذي يعني سيد الجو أو سيد الهواء⁸، كما أصبح لقب اين "EN" جزءاً رئيسياً يرفق في العديد من أسماء الآلهة مثل: انكي (اله الأرض والمياه)⁹.

¹ هيفاء أحمد عبد الحاج محمد، ألقاب حكام وملوك العراق، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار القديمة، تحت إشراف الأستاذ عامر سليمان، جامعة الموصل، 2007، ص 12.

² ثوركليد جاكوبسين، المرجع السابق، ص 223.

³ طه باقر، مقدمة في تاريخ.....، ج 1، مرجع السابق، ص 263.

⁴ رضا جواد الهاشمي، النظام الكهنوتي في العراق القديم، مجلة كلية الآداب، ع 14، العراق، 1972، ص 266.

⁵ Leick, G, Mesopotamia, England, 2001, pp30-34.

⁶ Hallo William W, Ear. M. R. T., emprt, New Haven, 1957, p3.

⁷ هيفاء أحمد عبد الحاج محمد، المرجع السابق، ص 15.

⁸ هاري ساكز، المرجع السابق، ص 62.

⁹ ثوركليد جاكوبسين، المرجع السابق، ص 223.

وإن ورد ذلك ربما يشير إلى بدايات نشوء أولى أنظمة الحكم ، ومنذ العصر الأكادي أصبح لقب " اين " EN " يكتب مقطوعاً ويختصر أحياناً إلى " be " ، ومثال ذلك ما ورد في القواميس المعجمية ب: " be-lu " ¹ ، والحدير بالذكر أن أول من استعمل هذا اللقب السياسي هو اين "شكوشانا" En sakusanna* الذي سمي نفسه اين كي ان جي " EN.KI.EN.GI " بمعنى سيد بلاد سومر ².

وقد اكتسب هذا اللقب أهمية دينية خاصة ، نظراً لدلالته الدينية التي فاقت المجال السياسي بسبب أن الحكام الأوائل الذين تولوا الإدارات كانوا من طبقة الكهنة استرضاء للآلهة وتجنباً لغضبها ونقمتها ، كما أنه يشير في الأصل إلى الكاهن الأعلى في المدينة ، والذي استطاع أن يجمع بيده السلطتين الدينية والديوية ³ ، وأن حامل هذا اللقب كان حاكماً مطلقاً لا ينافسه أحد في الحكم ، ويكاد يكون في مصاف الآلهة ، وأن مكانته أصبحت تماثل مكانة انليل وسيطرته على الهواء ⁴ ، بالإضافة إلى ذلك الجناح الخاص الملاصق للمعبد المسمى "أكيبار" ⁵ أو "كيبار" اتخذ مسكناً لهؤلاء الحكام ⁵ ، ولكن هذا اللقب قد تطور في المراحل الأخيرة من بداية عصر الأسرات السومرية باقتزابه من الجانب الديوي وانتقال مركزه من المعبد إلى القصر ⁶.

(ب) - إنسي " ENSI " / باتيزي " Patési " : أو " إشكو " Issakku " بالأكدية :

1- أصل التسمية : هو مصطلح سومري قديم ، وردت كتابته بالعلامات التالية التي تقرأ با.تي.سي PA.TE.SI ، ويقابلها في اللغة الأكدية اشيك / اشكو " Issakku / Issakku " ، ومن المصطلح الأكدية

Hallo William W , op-cit , p 3.

* شكوشانا : هو ملك سومري من سلالة الوركاء الثانية ، ابن الملك ايليلي " Eilili " من مدينة أور في حوالي القرن الرابع والعشرون ، وقد عثر على آنية مهداة إلى انليل مدونا عليه انتصاراته على مدينة كيش واسترجاعه للسلع النذرية التي نحتت من المعبد ...، أنظر:

Leick, G., Who's who in The Ancient Near East, London and New York, 1999, p35.

Hallo William W , op-cit , p4.

³ عامر سليمان وأحمد مالك الفتیان ، المرجع السابق ، ص 83.

⁴ فوزي رشيد ، السياسة والدين في العراق القديم ، بغداد ، 1983 ، ص ص 6 ، 10.

** أكيبار أو كيبار: هو الملحق الخاص بالمعبد ، ورد في اللغة السومرية بصيغة " كيبار " GI.PÀR " ، وتعني مقر الكاهنة العليا ، والكلمة تتكون من مقطعين ، الأول "كي" ويعني ليلة ، والثاني "بار" ويعني المسكن ، فيكون المعنى العام لها المسكن الليلي ، في حين هناك من يقصد به معنى المخزن ، على أساس أن المخزن هو المكان الذي تجمع فيه غلال الحصاد والمحاصيل ، وكانت تجزى في هذا الجزء من المعبد طقوس ومراسيم الزواج المقدس الذي يقام في المعبد ، وهو تأكيد لخصب الحصاد الذي سيملاً هذا المكان ...، أنظر: مريم عمران موسى ، الفكر الديني عند السومريين في ضوء المصادر السومرية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، إشراف فاضل عبد الواحد علي ، جامعة بغداد ، 1996 ، ص ص 297-298.

⁵ عامر سليمان وأحمد مالك الفتیان ، المرجع السابق ، ص 83.

⁶ أحمد أمين سليم ، حضارة العراق القديم ، المرجع السابق ، ص 197.

اشتق الاسم المعنوي اشكوت "issakkutu" الذي يعني حكم الحاكم أو وظيفة الحاكم ، وعلى هذا الأساس يفسر معنى اللقب بحاكم مدني¹ أو أمير المدينة².

لكن في ظل الأبحاث المستمرة حول تاريخ سومر السياسي ، أصبح المؤرخون يرجحون أن أصل التسمية ومعناها يحمل في طياته معنيين رئيسيين :

المعنى الأول: يقصد به حاكما محليا لمنطقة معينة غالبا ما تكون مدينة أو بلدان معينة، بدليل ما ورد في الكتابات الأدبية والتاريخية السومرية والاكادية ، وقلما كان مستقلا بل تابعا .

في حين المعنى الثاني الذي ظهر فيما بعد ، فيقصد به "الفلاح ذو الامتيازات الخاصة" أو "الفلاح المستأجر"³ ، وقد شاع استخدام هذا المصطلح ومعناه الثاني منذ العصر البابلي القديم بدليل الكتابات الإدارية والاقتصادية التي تعود إلى عهد حمورابي ، والتي ورد فيها على انه يعني احد الفلاحين الذين كانت تقطع لهم الأراضي.

وبالرغم من جهود الباحثين إلا أن تطور هذا اللقب ومعناه لا يزال غامضا ، حيث فسر المقطعان با.تي "PA.TE" بأنهما مقطعان صوتيان لتحديد القيمة الصوتية للاسم مما دفعهم إلى الافتراض بان المصطلح يرقى إلى عصور مبكرة جدا ربما تسبق الحضارة السومرية ، وأن المصطلح كان يلفظ تانسي "TENSI" إلى جانب اينسي "ENSI" ونييسي "NINSI" ، ثم اختصر السومريون المصطلح السومريون اللقب ليصبح اين "EN" بمعنى سيد وسي "SI" في حالة المضاف إليه⁴.

في حين هناك من فسر معنى المصطلح بأنه الكاهن أو الرئيس الذي يخطط منطقة المعبد ، فالمقطع با. "PA" يعني الكاهن أو الرئيس ، أما المقطع تي "TE" فيعني منطقة المعبد ، ويليه سي "SI" ليدل على الذي خطط ذلك المعبد، أي أن الدلالة اللغوية للقب المذكور تشير إلى المراقب أو الرئيس الذي يضع أسس بناء ما و لا سيما بناء المعبد وترميمه وإنشاء قنواته⁵.

ومن جانب آخر هناك من يفسر لقب اينسي "ENSI" بأنه يتألف من مقطعين هما اين "EN" ويعني الحاكم الديني ، وسي "SI" ويعني قرنا أو قرونا ، وبهذا يكون المعنى الحرفي للكلمة الحاكم الديني المقرن ، وإن دلّ هذا المعنى على بداية تطور الحاكم الديني وتحوله التدريجي لان يكون قائدا عسكريا ويقودهم في الحروب ، ويمنع في

1 Black, J, and Others, A Concise Dictionary of Akkadian, CDA, Wiesbaden, 1999/2000, p134.

2 فون زودن ، المرجع السابق ، ص 74.

3 طه باقر ، مقدمة في تاريخ ، ج2، المرجع السابق ، ص 57.

4 Black, J, and Others, op-cit , pp262, 266.

5 George Roux , the ancient Iraq , op-cit , p187.

الوقت نفسه من تأثير السلطة الدينية حتى يستطيع أن يحكم الناس، على الرغم من أن القرون كانت رمزا من رموز الآلهة من دون البشر¹.

والجدير بالذكر أن هذا التغيير والتطور في مركز الحاكم يعود إلى النصف الأول من الألف الثالثة قبل الميلاد عندما كانت المدن خلال تلك الفترة في صراعاتها المستمرة من اجل حماية حدودها وأراضيها الزراعية ، والرغبة في الاستيلاء على أراضي جديدة ، وبالتالي احتاجت هذه المدن إلى رجل سياسي محنك وقائد عسكري في نفس الوقت، يتولى شؤون بلاده سياسيا وعسكريا أكثر من حاجتها إلى رجل الدين الذي لا يستطيع التفرغ لمثل هذه المهام²، وخير دليل على هذا التطور ما يشتهه الصراع القائم بين حاكم سلالة الوركاء الأولى جلجامش وحاكم مدينة كيش الأولى آجا³، ومن هنا بدأ هذا اللقب يطلق على الحكام السومريين بعد انفصال التدريجي للقصر على المعبد وابتعاده عن الأمور الدينية⁴.

في حين هناك من يرى أن لقب اينسي " ENSI " يعتبر لقباً دينياً يعني وكيل الإله ، أو الحاكم من عند الإله أو الحاكم بأمر الإله بمعنى النائب أو الوكيل ، إشارة إلى التفويض الإلهي ووكالته عن اله المدينة في حكم المدينة وسكانها، أو "الخادم" لأن لقب "الخادم" كان يعني خادم المعبد، هذا الأخير الذي شكل المقر الرئيسي والوحيد لتسيير شؤون المعبد⁵، كما كان ينظر إليه كونه حارساً للإله أو المالك حيث ينتخبه الإله من بين جميع الناس ، ويعاد تعيينه كل عام .

ويدل هذا اللقب على وكرالته عن معبود مدينته في حكم المدينة ، مسؤوليته عن الشؤون الزراعية وما تتطلبه من مشاريع تتصل بعمليات الري، ومع هذه الوظائف ظل يمثل الآلهة على الأرض ، ويلعب دوراً مهماً في الشؤون الدينية، وفي إدارة مقاطعات المعبد، وبهذا يمكن أن نطلق عليه لقب "الملك - الكاهن" الذي جمع بين وظيفة حاكم المدينة وفي نفس الوقت ممثل الإله والكاهن الأعظم⁶.

2- كتابة اللقب: ورد هذا اللقب في النصوص القديمة من مدينة أور ، وهي إحدى المراكز الرئيسية التي كانت تسعى لأخذ مركز السيادة فيما بينها ومنافسة مدينة الوركاء ، ويرجح أن صاحب هذا اللقب كان في الأصل

¹ فوزي رشيد ، السياسة والدين ...، المرجع السابق ، ص 10 ، 13.

² نفسه ، ص 13.

³ Samuel Noah kramer ,L'histoire commence à sumer, Op-cit, p61.

⁴ برهان الدين دلوو ، المرجع السابق ، ص 251.

⁵ توفيق سليمان ، المرجع السابق ، ص 99.

⁶ رشيد الناضوري، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن، المرجع السابق ، ص 253، برهان الدين دلوو، المرجع السابق، 252.

شخصاً إدارياً ممن عمل في إمرة المعبد ، كما يظهر ذلك في تحليل الباحث هالو (Hallow) بالمقاطع التي يكتب بها (PA.TE.SI) ، كما ورد في النصوص المدرسية في مدينة شروباك (تل فارة) ، حيث وجد مخروط طيني فيها يقدم نصاً لآحد الحكام وفي هذا الصدد يقول النص السومري :

" خا.لا. اد . دا اينسي شوروباك خا لا دا حاكم مدينة شروباك ..".

كما ورد في النصوص المدرسية من شوروباك (تل فارة) مصطلح "كار.با.تي.سي" " CAR.PA.TE.SE" ، والذي يظنه أحد الباحثين انه يعني اللقب "اينسي" نفسه ، كما ورد المصطلح بصيغ مختلفة ، وكلها ذات معنى واحد¹ ، لكن في النصوص المتأخرة ورد مصطلح كار.با.تي.سي . كال " CAR.PA.TE.SI. GAL " متبوعاً باسم المدينة ، وليس لوحده ، لذا يمكن اعتبار اللقب انه أصبح لقباً سياسياً ، إذ ورد المصطلح في نصوصها الاقتصادية بالصيغة الآتية : " كار.يا.تي.سي اود.نون حاكم مدينة آداب"² .

ومما تجدر الإشارة إليه أن أول ذكر لحامل لقب اينسي " ENSI " بوصفه حاكماً مستقلاً عن السلطة الدينية هو حاكم لجش الذي اشتهر بتوسعاته العسكرية ونزاعاته مع المدن المجاورة وأبرزها مدينة أوما ، ألا وهو الملك أياناتوم الأول واستمر حتى الملك لوكال زاجيري ، إذ وردا في كلا النصين إشارة للملكين ولاستعمالهما لهذا اللقب مثل النص التالي :

النص الأصلي	ترجمته
NIN.GÍR.SÚ [U]R.SAG EN.LÍL.RA É.AN.NA.TÚM ENSÍ LAGAŠAKI.KE4 Á.SUM.MA NIN.GÍR.SÚ.KA.KE4 LÚ d.NIN.GÍR.SÚ.RA A.ŠÀ GÁN KI.ÁG.NI	(ل) ال نكرسو البطل الاول (ل) ال إنليل اي.ناتم حاكم مدينة لجش الذي اعطى القوة (من قبل) النكرسو الرجل (الذي) ل النكرسو / (الرجل العائد ل النكرسو) حقله المحبوب
GÚ.EDIN.NA ŠU.NA MU.NI.GI4.A É.AN.NA.TÚM	حافة السهل هو أعاده له اي . ناتم

Hallo William W , op-cit , pp 35-36.
Ibid , p p36-37.

1
2

<p>قاهر البلاد (المسمى من قبل) ال نكرسو ابن اكوركال حاكم مدينة لجش (لاجل) النكرسو المعبد الحجري.</p>	<p>KUR GÚ.GAR.GAR NIN.GÍR.SÚ.KA.KE DUMU A.KUR.GAL ENSÍ LAGAŠAKI.KE NIN.GÍR.SÚ.RA É.ZA</p>
<p>(من) اللانورد النقي (الخالص) بنى له مخزن المعبد (....) بنى (له) كدس (المحبوب) في ذلك المكان اي.ناتم الكاهن الأعلى (الأكبر) (ال) ال نكرسو إلى الآلهة الشولتولا¹.</p>	<p>KÙ.ZA.GÌN MU.NA.DÙ GANUN É.[X].KA MU.NA.D[Ù] GUR7 GÚ MU.NA.NI.GUR É.AN.NA.T[ÚM] PA.T[E.SI GAL] [NIN].GÍR.[SÚ].KA DINGIR.RA.N[I] ŠUL.UTUL[A]</p>

ترجمته	النص الأصلي
<p>....لوكال زاجيري ، ملك مدينة الوركاء ، ملك البلادحاكم مدينة اوما².</p>	<p>....LUGAL.ZÀ.GE.SI LUGAL UNU(G)KI.GA LUGAL KALAM.MAPA.TE.SI UMMAKI.....</p>

ج)- لوكال أو لوجال "Lugal":

1- أصل التسمية : يتكون هذا اللقب من كلمتين: المقطع الأول: "Lu" ويقابله في اللغة الاكدية أويل "awilu" بمعنى رجل ، والمقطع الثاني: "Gal" ، ويقابله في اللغة الاكدية ربو "rabu" بمعنى عظيم أو كبير، وعند الجمع بين المقطعين يصبح يحمل مدلول "الرجل العظيم أو الكبير"³ ، ويعني أيضا "المدير" بمعنى رأس العيلة أو السيد الأعظم⁴ ، ويترجم عادة بمصطلح الملك أو الحاكم ، ويقابله في اللغة الاكدية "Sarru" ، وكان هذا اللقب محدود الاستعمال ثم

Crawford, V. E , Inscriptions From lagash , Vol. XXIX, 1977 , p 191.

Ibid , p192.

George Roux,La Mésopotamie ,op-cit ,p160.

⁴ جماعة من علماء الآثار السوفيات، المرجع السابق، ص276.

شاع استخدامه¹، وطغى على اللقب القديم "إنسي" الذي أصبح مقتصرًا على صفة الملك الدينية وعلى علاقته بالآلهة، ثم انحدر حتى أصبح لقبًا يطلق على الحكام المحليين الذين يعينهم الملك، وأصبحت سلطة الملك بعد ذلك سلطة زمنية².

وهناك من يفسر المصطلح السومري لوكال "Lugal" على أن المقطع الأول منه، وهو المقطع "لو" Lu، يعني "رجلًا"، وذلك لأن العلامة المسمارية الدالة عليه اشتقت من كتابة صورية سابقة ترسم إنسان بشكل واضح، أما العلامة الصورية كال "Gal" والتي يفترض على أنها العظمة، فهي فكرة يصعب رسمها لذا أشير إليها بالعلامة التي تدل على الكأس، ومنه يكون معنى المصطلح المركب من العلامتين لوكال أي رجل الكأس على اعتبار أن الكأس رمز ملكي لذا جاءت الأختام الاسطوانية السورية غالبًا، وهي تصور الملك ممسكًا بيده كأسًا ربما إشارة إلى مغزى رمزي للملك بمعنى "الرجل النموذجي للكأس"³.

بينما مقر سكنى الملك لوكال عرف في اللغة السورية "EGAL" أي البيت الكبير، كما تعني بلاطًا أو غرفة رئيسية، وانتقلت الكلمة إلى اللغة الآكدية لتصبح ايكل "EKALLU" بالمعنى نفسه⁴، ويترجم المصطلح عادة بكلمة قصر، وقد ورد أقدم ذكر للكلمة في النصوص القديمة لمدينة أور، حيث انتقلت الكلمة بصيغتها الآكدية إلى بلاد الشام، إذ استخدمت في كل من اللغة الاوغاريتية والعبرية والآرامية في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، وكانت تعني قصرًا أيضًا وأحيانًا تعني معبداً، كما استعملت الكلمة للدلالة على البنايات الإدارية البعيدة عن العاصمة التي يمكن أن تترجم بـ "سراي الحكومة"⁵.

وعلى هذا الأساس اعتبر القصر مكان سكنى الملك وعائلته والخدم الخاصين بالعائلة الملكية، وقد ضم أجنحة لعدد كبير من موظفي المملكة والإداريين، وحاملي الرتب العسكرية والكتابة، وجباة الضرائب ومترجمي الملك والأطباء والموسيقيين والعرافين وأشخاص آخرين، وعليه فلم يكن القصر مجرد مقر سكنى الملك بل كان مركزًا

¹ عامر سليمان وأحمد مالك الفتیان، المرجع السابق، ص 83.

² نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 24.

³ Hallo William W, origins in studies in the history and culture of the ancient near east, Vol 6, London, 1996, pp191-192.

⁴ زينه لابات، قاموس العلامات المسمارية، تر: ألبير أبونا، وليد الجادر، خالد سالم إسماعيل، مراجعة وإشراف عامر سليمان، بغداد، 2004، ص 149.

⁵ أوتو ادزارد، عصر فجر السلالات في الشرق الأدنى القديم "الحضارات المبكرة"، تر: عامر سليمان، موصل، 1985، ص 85.

رئيسا للحكومة¹، وهذا ما يوضح بأن الحكام لم يكونوا بالحقيقة يتمتعون بسلطة الملك بل استخدموا اللقب من أجل إضفاء صفة القدرة والعظمة للملوكية ، وما لها من مكانة مهيبه ومقدسة² .

2- كتابة اللقب : وردت الإشارة من قبل بعض الباحثين وفي مقدمتهم هالو " Hallow " أن أول ظهور للقب "لوكال" كان في النصوص القديمة قبل عهد أورنانشة في أربعة مواقع :الوركاء (أوروك)، جمدة نصر، أور ، ومن ثم استعمل المصطلح في النصوص المتأخرة في مدينة شروباك (تل فارة) ...الخ ، حيث ظهر استعماله لأول مرة مع الملك ميس كالام دو (كك) "MES.KALAM.DU (G)" الذي ظهر اسمه مع لقب لوكال على ختم وجد في قبر ملكة غير معروفة ، ربما كانت زوجته ، كما ظهر اللقب مع ابنه أ.كالام .دو(كك) "A.KALAM.DU(G)" على طبع ختم تعود للملكة شو.آم "SU.AM" التي ذكر لقب زوجها كالام دوك بصيغة لوكال .اريم "LUGAL.URIM" أي ملك أور ، مع العلم أن اسم الملك لم يرد في جداول الملوك السومريين³ .

وفي هذا الصدد ورد في إحدى النصوص السومرية التي تعود في عهد الملك اورنانشة الذي حكم في حدود 2520 ق.م ، حيث ذكر النص الآتي :

النص الأصلي	ترجمته
UR. d.NANŠE LUGAL LAGAŠAKI DUMU GU.NI.DU DUMU GA[R].SAR É d.NIN.GÍR.SU MU.DÙ.....	اورنانشة . ملك مدينة لجش ابن كونيدو ابن كورسار معبد ال نكرسو بنى (بناه).... ⁴

وقد حمل بعض حكام هذه السلالة لقب لوكال "LUGAL" على الرغم من أن لقب اينسي "ENSI" كان هو اللقب الغالب عليهم ، وربما يعزى ذلك إلى أن مدينة لجش قد بلغت ذروتها من الازدهار والاتساع في

¹ هاري ساكز ، قوة آشور ، تر: عامر سليمان ، بغداد ، 1999 ، ص 210.

² Hallo William W, op-cit , p12.

³ هيفاء أحمد عبد الحاج محمد ، المرجع السابق ، ص 66.

⁴ Crawford, V. E , op-cit , p 195.

السلطة بحيث أنها بسطت نفوذها على جميع بلاد سومر، ولا سيما في عهد اياناتوم الذي يذكر في كتاباته انه حصل على ملوكية سومر¹.

والجدير بالذكر أن من أهم الأسباب والدوافع التي أدت إلى انتقال الحكم والسلطة من الإنسي إلى اللوكال "الرجل العظيم" هو تطور الأوضاع العامة في بلاد سومر، والتي تطلبت اختيار أحد الأشخاص الأقوياء الذين اتصفوا بصفات القادة لتولي إدارة شؤون المدينة وقت الطوارئ والأزمات خاصة في حالة الهجوم المفاجئ أو حدوث كوارث طبيعية التي تحتاج إلى اتخاذ قرارات آنية وحاسمة، وأمام هذه الظروف ما كان على الإنسي و مجلس الشيوخ إلا أن يختاروا الرجل العظيم "لوكال" لتولي هذه المهمة في بداية أمرها، لكن هذا الأخير استغل سلطة نفوذه ومركزه الاستراتيجي في الدولة، وودع بالأشخاص المنتخبين بالاحتفاظ بوظائفهم بصورة دائمة، ومن ثم تقليص مجالس المدينة بالتدريج وأصبح اللوكال ملكا ذو سلطة مطلقة منذ أواخر عصر فجر السلالات، ولم يصبح مقيد بتلك المجالس، وليضيف شرعية لحكمه ادعى بأنه منتخب من قبل الآلهة وليس من البشر².

ويبدو أن لهذا اللقب أصولا عسكرية، حيث كان قائد عسكري وقت الشدة والأخطار ثم أصبح فيما بعد ذا صبغة مدنية مطلقة³، بينما طه باقر يذكر أن هذا اللقب لا يستخدم إلا عندما يسيطر حاكم المدينة على حدود أوسع من حدود مدينته أو دويلته الأصلية، كما يجب أن يتضمن اعتراف الإله إنليل -إله مدينة نيبور- بشرعية حكمه، فيحمل حينها لقب "ملك" ويحمل كل حاكم مدينة تابعة له لقب "حاكم" (كورنينا)، وكان موظفو الدولة مسؤولين أمامه، ومرتبطين به ويحصلون له الضرائب عن قطعان الماشية والقوارب⁴.

وبالتالي يتخذ لقب لوكال إلا عندما تزداد قوة الملك ونفوذه، ويخضع لسلطته بعض المدن المجاورة، وظل مميذا، وأول من حمل هذا اللقب هم حكام مدينة كيش⁵، وعلى الرغم من أن سلطة الملك كانت مطلقة، كان مسؤولا أمام الآلهة فقط، وبالتالي كانت الملكية مقيدة منذ البداية بقيدي الدولة والدين، وقد اضمحل دور المجالس في اختيار الملك في بداية عصر فجر السلالات، إلا أن تأثير الكهنة على الملك والملكية استمر لمدة أطول، وتمثل السلطة في لجش مثلا للصراع بين الكهنة وبين الملك، فعندما كرس أنتيمينا-حاكم لجش- مزهية فضية للإله ننجرسو من أجل حياته، اضطر إلى أن يكتب عليها اسم الكاهن دودو، وورد في النص السومري :

¹ طه باقر، مقدمة في تاريخ....، ج2، المرجع السابق، ص 315-316.

² عامر سليمان وأحمد مالك الفتیان، المرجع السابق، ص85.

³ علاء الدين عبد المحسن شاهين، المرجع السابق، ص89.

⁴ طه باقر، مقدمة في تاريخ....، ج2، المرجع السابق، ص57.

⁵ محمد حرب وعلي فرزات، المرجع السابق، ص95.

(قدم أنتيمينا مزهرية من الفضة الخالصة ، ولأجل حياته ...

(قدمها الى نجرسو ... في الوقت الذي كان دودو كاهن نجرسو)¹.

(د)-لوجال كالاما (ملك البلاد) "Lugal Kalama" : ظهر هذا اللقب في أواخر عصر فجر السلالات ، أي بعد انهيار نظام دولة المعبد تحت ضربات الملكية المنتصرة² ، وبداية التوجه نحو القطر الدولة الموحدة التي ضمت أكثر من دويلة سومرية واحدة .

ويدل لقب لوجال كالاما على مدى تطور نظم الحكم واتساعه في بلاد سومر ، وأول من استعمل هذا اللقب هو الملك "لوكال زاغيري" -ملك مدينة أوما- "Lugal zagiri"³ ، الذي نجح في توحيد معظم جنوبي العراق ، وأصبح يتخذ لنفسه الألقاب المناسبة التي اتسمت بالطابع الديني الكهنوتي مثل: ملك البلاد، ملك الأقاليم، ملك سومر ، وملك الوركاء الذي نقل إليها العاصمة من أوما ، وملك أور ، واعتبر نفسه ملكا على سومر " لوجال كالاما"⁴ ، وعلى هذا الأساس يشير هذا اللقب على الوحدة السياسية التي تمكن من تحقيقها ، و ادعى لوكال زاغيري بأنه منحه إياه الإله "إنليل" ، حيث جاء في نص منقوش على إناء مكرس للإله إنليل :

(إنه الابن المولود من قبل الآلهة نيسابا ، والذي أطعم اللبن الطاهر من قبل الإلهة نخرسك ، والابن الأكبر لسيدة الوركاء) ، وورد في نص آخر (إن الإله إنليل ، ملك كل الأقطار ، أعطى لأميره المحبوب لوكال زاغيري ، ملكية البلاد ووجه إليه أعين الناس (سكان البلاد) من الشرق إلى الغرب ، وأخضع جميع الناس له ، عندئذ توجه جميع الناس من البحر الأسفل على طول نهرى الدجلة والفرات ، إلى البحر العلوي نحوه ، ومن الشرق إلى الغرب ، ولم يبق إنليل أي منافس له ، واستلقى سكان جميع الأقطار في المروج تحت حكمه ، وانحنى جميع رؤساء سومر ، وحكام الأقطار الأجنبية كلها أمامه)⁵.

ولكن سرعان ما يختفي لقب "لوجال كالاما" بمجرد انهزامه أمام الملك سرجون الأكادي مؤسس الدولة الأكادية سنة 2370 ق.م ، والذي اتخذ لنفسه لقب "ملك الجهات الأربع"⁶.

¹ انطوان مورتكات ، المرجع السابق ، ص 62.

² توفيق سليمان ، المرجع السابق ، ص 100.

³ عبد الحميد زايد ، المرجع السابق ، ص 166.

⁴ محمد بيومي مهران ، ج 1 ، المرجع السابق ، ص 71.

⁵ صامويل نوح كيرمر ، من ألواح سومر ، المصدر السابق ، ص 465.

⁶ أحمد أمين سليم ، ج 2 ، المرجع السابق ، ص 197.

- جدول الألقاب الملكية السومرية :

الرقم	اللقب	كتابته القديمة (السومرية / الاكادية)	معناه
01	اين بلو	EN Belu	السيد / حاكما / الكاهن الأعلى
02	إنسي / باتيزي / إشكو	PA.TE.SI / ENSI Issakku	حاكم مدني / أمير المدينة الفلاح المستأجر .
03	لوكال / لوجال ربو	Lugal Rabu	الرجل العظيم / الكبير العظيم
04	لوكال كالاما	Lugal Kalama	ملك البلاد

-بتصرف من الطالبة -

4) المهام الملكية (واجبات الملك) : مارس الملك السومري العديد من المهام والوظائف الدينية والمدنية التي

يسير بها مقاليد حكمه ويستند إليها، وسنحاول تسليط الضوء في بداية حديثنا على:

أ) المهام الدينية : من أهم الوظائف الدينية المنوطة له مايلي :

- كان الملك الكاهن الأكبر للإله الوطني، وعلى رأس رجال الدين، فهو الذي يقوم ببناء المعابد وتجديدها وكل ما يتعلق بذلك من تخصيص الأثاث والأدوات والتماثيل، وبطقوس العبادة¹، حيث كان شهر (جوان) شهر الفأل الطيب ولهذا يخصص في بناء المعابد والقصور، وحسب بيومي مهران أن الملك يضع اللبننة الأولى بنفسه، على أن تكون قالباً من نوع خاص من الخشب، ويملاً ذلك القالب بالطين مصحوباً بالأدعية وتقديم الأضاحي والذبائح وعزف الموسيقى²، ويهتم بتعميرها وتوسيعها ووضع تماثيل الآلهة المناسبة فيها، وقد تفاخر الملوك بأدائهم هذا الواجب الديني، فصور بعضهم على المنحوتات وهم يحملون سلال الطين والآجر رمزاً لقيامهم ببناء المعابد³، وفي هذا الصدد يقول النص السومري ما فعله ملك لجش -أورنانشا- : "أورنانشا ملك لجش بن جوني دو، بنى معبد نينجرسو... بنى معبد نانشى... بنى معبد جاتوم دوج... عندما بنى نينجرسو جلب إلى المخزن سبعين كارو حبوب في الجبال... جمع الأخشاب، بنى سور لجش... نحت تماثيل نانشى السيدة... حفر القناة..."⁴.

¹ - George Roux, La Mesopotamie ,op-cit ,p161 .

² محمد بيومي مهران، ج1، المرجع السابق، ص68.

³ طه باقر، مقدمة في تاريخ...، ج2، المرجع السابق، ص59.

⁴ أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص59.

-الإشراف على إقامة طقوس العبادة ، حيث عثر على العديد من الأختام الاسطوانية من العصر الشبيه بالكتابي يظهر فيها شخص ملتح ، وهو في مشاهد دينية ، حيث يحمل بيده مادة طقوسية وقرابانا كما في المشاهد المصورة على الإناء النذري الذي وجد في مدينة الوركاء بمنطقة المعابد (اي-إنا) في الطبقة التي ترجع لعصر جمدة نصر في حدود 3000 ق.م ، حيث نقش على الإناء ثلاثة حقول ، إذ يصور في الحقل الأول العلوي مشهد خاص يحمل سلة من الفاكهة مقدمة إلى الإلهة إنانا ، ومن المحتمل أن هذا الشخص يمثل الكاهن الأعلى "EN" ¹ ، بالإضافة إلى طقوس التطهير ² ، والزواج المقدس بوصفه الزواج الإلهي لما له من أهمية حسب اعتقادهم في زيادة الخصب والنماء والازدهار في الطبيعة سواء فيما يتعلق بالإنسان أو النبات أو الحيوان ، وكانت هذه الطقوس في بدايتها خاصة بإلهة إنانا وبزوجها دموزي ، وتعاد وقائع هذا الزواج الإلهي عن طريق ممثلي الآلهة من البشر سنويا ، ولهذا لعب فيه الملك هنا دور دموزي عشيق الإلهة "إنانا" ، وطقوس أعياد رأس السنة الجديدة ³ ، حيث اعتبر أول أيام السنة الجديدة يوم الشؤم ، وعلى الملك أن يظهر فيه كفلاح ، وأن يصوم لخير شعبه حتى يظهر القمر الجديد ، وهناك طقوس خاصة بالملك كطقس الأكل وهو عبارة عن مائدة تقدم لجميع الآلهة لحمايتهم ورعايتهم ، ثم طقس الوضوء وهو عبارة أيضا عن حمام يأخذه الملك ويدعو فيه مختلف الآلهة لحمايته من الشر الذي يهدده أحيانا ⁴ .

- تولى مهمة تعيين الكاهن الأعلى ، وكان هذا التعيين يلقي اهتماما كبيرا من طرف الكتبة السومريين لدرجة أنه اعتبر من الحوادث المهمة الواجب تأريخها ، وهو الذي كان يراقب إدارة أموال الهياكل ، والمسؤول الأول أمام الآلهة عن سلوك البشر وأعمالهم كما أنه الوسيط بينهم وبين الآلهة ، ويقوم في بعض الأحيان بالتكفير عن ذنوب البشر بعد ظهور إشارات تدل على ذلك كخسوف القمر أو زلزال... الخ ، بالصوم والصلاة والاعتكاف ⁵ ، أو حلاقة شعر الجسم ويضعه في طاسة تدفن في أرض العدو ⁶ .

- يعد المسؤول الأول على جميع المراسيم والاحتفالات والمراسيم الدينية التي كانت تقام في الأعياد والمناسبات الدينية ، كما كان الكاهن الأعلى لجميع أصناف الكهنة الآخرين لكونه يمثل أعلى منزلة في التسلسل الكهنوتي العام ،

¹ Frankfort H, the Art and architecture of the ancient orient , London , 1977, pp 25, 26.

² أنذري إمار ، المرجع السابق ، ص 141.

³ Schmokel Hartmut , op-cit , p56.

⁴ محمد بيومي مهرا ، ج 1 ، المرجع السابق ، ص 67.

⁵ Moret Alexandre , op-cit , p371.

⁶ عبد الحميد زايد ، المرجع السابق ، ص 168.

وتظهر أهميته حتى بعد مماته من خلال القرابين التي كانت تقام على الملك مثل ما أوضحتها النصوص المبكرة المتواجدة في مدينة لجش وتعود لعهد لوكال آندا وأوروكاجينا*¹.

- استشارة الآلهة ورعاية شؤونها فضلاً عن المعبودات الأخرى²، وتفسير ما تريده وتوصي به، حيث يعتمد في ذلك على طقوس ومراسيم معينة في تفسير رغباتها وإرادتها من إعلان لحملة عسكرية أو تعمير، بالإضافة إلى ذلك أنه كان ملزم بتقديم التقارير اللازمة إلى الآلهة لبيان حسن إدارته وقيامه بواجباته بصورة صحيحة، وتتم هذه الأمور وفق طقوس دينية خاصة يستخار بها الإله وتقرأ رغبته في أكباد الضحايا المقدمة له³.

وكانت هناك طريقتان في التعرف على إرادة الآلهة (النذر والأحلام) وتوثقان باستجلاء الفأل، فالملك لم يكن باستطاعته أن يلجأ إلى التنفيذ الفعلي قبل أن يستجلي الفأل، وذلك بقصد التعرف على اليوم المناسب لذلك، فهذا الاستجلاء يتم بعد ذهاب الملك إلى المعبد، حيث كان يكتب في الغالب مقترحا على لوح طيني يضعه أمام الإله، ثم تذبح الأضحية وتفحص أحشاؤها ويقرأها ويفسرها الكهنة المقيمون في المعبد⁴.

ب) المهام الدينيّة : لعل من أهم الوظائف الدينيّة التي كانت من مسؤوليات الملك اتجاه الرعية ما يلي :

- إقامة الشرائع و نشر العدالة ، والسهر على تطبيق القوانين في ضوء ما يقرره إله العدل - إله أوتو : إله شمش - ، حيث كان الملك بمثابة القاضي الأعلى الذي ينظر في قضايا الناس وخلافاتهم ومنازعاتهم، ويحسم بينهم وفق ما يقتضيه العدل والحق ، فضلاً عن تعيينه للقضاة بجميع درجاتهم ، والسهر على قيام الكهنة بتطبيق أحكام القانون وتفسيرها⁵ ، ولذلك فإن ما يصدره من قوانين لا تمثل إلا وحيًا من الآلهة وتنفيذاً لرغباتها ، وبالمقابل على جميع الأفراد تطبيقها ابتغاء مرضاة الآلهة وتحاشياً لغضبها⁶ ، و على هذا الأساس أصدر الملوك والحكام العديد من الإصلاحات والقوانين تنفيذاً لرغبة الآلهة في نشر العدالة ، حيث يوجد نص في إصلاح الملك اوروكاجينا - ملك مدينة لجش - يدعو من خلاله إلى تحرير مواطنيه من كل أنواع الظلم وإعادة لهم العدل والحرية ، و وطد المراسيم

* للمزيد ينظر إلى الفصل الأول من الباب الرابع .

¹ هيفاء أحمد عبد الحاج محمد ، المرجع السابق ، ص 15 .

² نجيب ميخائيل إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 27 .

³ طه باقر ، مقدمة في تاريخ ... ، ج 2 ، المرجع السابق ، ص 59 .

⁴ Renet Labat , la caractère religieux de la royant Assyro Babylonienne, libraire d'Amérique et d'orient ,

Adrien Maisonneuve , Paris 1939 , p185.

⁵ طه باقر ، مقدمة في تاريخ ... ، ج 2 ، المرجع السابق ، ص 60 .

⁶ توفيق سليمان ، المرجع السابق ، ص 137 .

المقدسة التي وضعها للبلاد الإله ننجرسو، وفي هذا الصدد يقول النص: "الكلمات التي قالها سيده الإله ننجرسو فهمها ونفذها، وأنه لم يسلم اليتيم والأرملة للرجل القوي، وأن أروكاجينا قد ربط نفسه بالعهد مع الإله ننجرسو) - العمل على مد قنوات الريّ وحفر الترغ والقنوات المائية والأنهار على نطاق واسع¹، وتنسيق عملية توزيع المياه للأغراض الزراعية بسبب قلة سقوط الأمطار في المناطق الوسطى والجنوبية²، وإقامة السدود بهدف الحفاظ على مياه الفيضانات، ويشاهد ملوك سومر على الأنصاب التذكارية يضع أحدهم على رأسه ما يشبه العمامة، وهو يرفع كأبيّ عامل التراب اللازم للبناء، ويشرف بنفسه على أعمال الحفر والصيانة³.

ومما تجدر الإشارة إليه أن السلالات الحاكمة حرصت على الاهتمام بمشاريع الريّ وحفر القنوات وشق الجداول وتنظيمها، وإنما يعكس هذا العمل على طبيعة السلطة القائمة، فكلما كانت السلطة قوية، وتمتع بسيطرة مركزية على البلاد كانت تتمتع بإمكانات أكثر لتنظيم مشاريع الريّ تنظيمًا جيّدًا، وفي حالة ضعف السيطرة المركزية كانت تحمل العناية اللازمة لحفظ شبكة القنوات التي تروي الأرض مما يؤدي إلى تدهور الإنتاج الزراعي وهجرة السكان، وفي هذا الصدد شق الملك أنتيمينا -ملك لجش- نहरًا يبلغ حوالي 140 كم، كما أقام أياناتوم -ملك لجش- سدا على احد جداول لجش الرئيسية وهو مشابه للسد الذي بناه أنتيمينا على الدجلة، وبلغ عدد الأجر الذي تمّ استخدامه في هذا المشروع حوالي ثمانية مليون أجرة⁴.

-المحافظة على حدود الدولة، وتأمين مستلزمات الدفاع ضد الأخطار الخارجية وتحقيق الرفاهية لكل المواطنين⁵، حيث فرض سلطانه على المدن المجاورة، بحكم مركزه العسكري -قائد الجيش العسكري- كان يقوم بالحملة العسكرية المهمة، ونادرا يبعث نائبا عنه في قيادة الجيش⁶، أو يسند قيادته إلى أحد كبار الضباط (نوباندا) لتولي المهمة العسكرية⁷.

وباعتبار أن المعبد هو مقر إقامة الإله، فقد كان الملك يحصل على موافقة الآلهة لتنفيذ هذا القرار السياسي منه، وبطبيعة الحال كانت هناك طرق يتم بموجبها وصول قرار الآلهة إلى الملك، ولقد أوجز "ثوركليد جاكوبسين" هذه الطرق بقوله: "ولكي يعرف الإنسي مشيئة سيده الإله كانت له عدة سبل يطرقها، فهو يتلقى أمرا منه عن

¹ George Roux, La Mesopotamie, op-cit, p161 .

² فون زودن، المرجع السابق، ص 74-75.

³ محمد حرب، وعيد فرزات، المرجع السابق، ص 95.

⁴ سامي سعيد الأحمّد، السومريون وتراثهم الحضاري، المرجع السابق، ص 93.

⁵ Schmokel Hartmut, op-cit, pp 53-54.

⁶ Jaque Pirenne, op-cit, p38 .

⁷ برهان الدين دلوو، المرجع السابق، ص 255.

طريق حدث خارق (نذر) يرى فيه الكهنة إشارة يؤولونها بموجب قوائم طويلة تدرج فيها الإشارات ومعانيها، وقد يطلب الجواب على سؤال معين بتضحية حيوان للإله وقراءة رسالة الإله في الشكل الذي يتخذه كبد التضحية، وإذا لم يتضح الجواب في المرة الأولى أعاد الكثرة، والطريق المباشر للاتصال بالإله لمعرفة قراره هو الأحلام، فيذهب الإنسي إلى الهيكل ليلا، ويقدم التضحية ويصلي ثم ينام، وعندئذ قد يظهر الإله في أحلامه ويوصيه بما يريد¹.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الملك كان يتباهى في هذه المعارك ببطولته، وكثيرا ما كانت الآلهة تعده بالنصر وتمنحه إياه، حيث كان مستعدا للمعارك دائما حتى أنه لا تنقضي سنة واحدة دون أن يخوض فيها الملك حربا واحدة²، فكان الملك يخرج على رأس الجيش وهو يلف نقابه حول حقويه ويغطي الكتف اليسرى بعباءة صغيرة، كما يغطي رأسه بخوذة شبه مخروطية يتدلى منها ما يستر العنق ويحمل في يده حربة وسيفا مقوسا قصيرا، وقد لبس درعه، ومن خلف الملك يصطف جيشه المكون من جنود في صفوف من سبعة جنود يحمل أولهم الدرع المستطيل والباقون الحراب، ويلبسون خوذة مخروطية، ويحمل كل منهم رمحه وترسه، والهدف من هذه الحروب السيطرة على طرق التجارة والاستحواذ على السلع التجارية والمراعي... الخ³.

ومن النصوص السومرية التي تظهر أن الآلهة هي التي تقوم بإصدار أوامرها للقيام بالحملات العسكرية، وبالمشاركة في الحروب مثل ما يظهره النزاع القائم بين مدينة لجش و أوما، ويظهر أن إلهي المدينتين ننجرسو -اله لجش- وشارا-اله أوما- قد اتفقا على تسوية النزاع بناء على قرار صدر من الإله أنليل، وقد مثل الإله نينجرسو "اله لجش" في مسلة النسور (العقبان) وهو يدخل المعركة ضد جيش أوما ويصيد الأعداء في شبكته المقدسة، وإن حاول أحدهم الفرار منها ضربه بدبوسه على ناصيته، وبعد النصر يحتفل الملك بذبح ثور ويتقدم الجند لإعدام الأسرى، أما الملك فيفقا عين الحاكم المهزوم وأحيانا يقدم عشر الأسرى قربانا للآلهة التي جعلت النصر حليفه⁴.

وتظهر مساهمة المعبد كذلك في تزويد جيش الملك بصنف من الفرق الكهنوتية غير أنها لم تكن قتالية، وأهم هذه الأصناف أطباء الكهنة، ويتأسسهم كبير الأطباء "راب -آسي" الذي كانت مهمته الرئيسية معالجة الجرحى أثناء القتال، فضلا عن صنف الموسيقى العسكرية برئاسة الكاهن "راب-زماري" بسبب قدرة الموسيقى على إثارة طاقات الجند فاستخدامها عند مسيرة الجيش إلى المعركة تمنحهم العزيمة الكافية على القتال، كما كان يرافقهم

¹ ثوركليد جاكوبسين، المرجع السابق، ص 224.

² عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 168.

³ سامي ربحانا، المرجع السابق، ص 70، ل. د. يلابورت المرجع السابق، ص 74.

⁴ نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص 35.

الكاهن العزاف "البارو" الذي يقوم بالكشف على طالع المعارك، وقد كان يحظى بمكانة هامة لا سيّما عندما يحرز الملك النصر¹.

-أما عن أعماله الإدارية فتتضح من خلال الأخبار والروايات التي وردت في الأوامر والمراسيم التي كانوا يصدرونها والرسائل التي يبعثونها إلى حكام الولايات التابعة للدولة وهو ما يفسر مدى فرض رقابته ونفوذه على تلك الولايات، وأنه على دراية كبيرة بما يدور فيها، فكان الملك ينظر إلى الشكاوي البسيطة، وكثيرا ما كان يرد الملوك على الحكام لفحص بعض الدعاوي بدقة، كما أن المسائل الإدارية التي كانت من اهتمامات الملك شؤون الإرواء وتطهير الأنهار².

-وباعتباره يمثل السلطة العليا في الدولة فقد جمع بين العديد من الوظائف الإدارية والاقتصادية، حيث تولى مسؤولية إدارة المدن أو التجمعات السكانية، ينظم أمور العامة يطبق العدالة، يفرض القوانين، يشرف على أعمال الترميم والتشييد، يشرف على الضرائب على مختلف السلع (مواشي، أقمشة، حبوب... الخ)³.

- كان للملك مهمة تحديد المهام الموكلة إلى الموظفين الكبار في الدولة وتكليف العاملين لدى الدولة في المناصب ذات المستويات المختلفة بمراقبة الأعمال العامة والعمل كضباط أو جنود في أيام الحرب في ظل غياب وثائق رسمية تؤكد هذه المراتب العسكرية، مع العلم أن ذكر ضباط معينين ضمن التقارير الحربية يبقى أمرا نادرا⁴.

-استقبال السفراء ودفعي الضرائب، حيث يظهر الملك فيها الملك وهو يجلس على عرشه المرتفع في غرفة استقبال كبرى في القصر، وقد أحاط به وزرائه وأفراد البلاط والحرس، و يرتدي كامل لباسه الرسمي، ويقوم باستقبال سفراء الدول العظمى، ويقدم السفراء عند أقدام الملك الهدايا الثمينة التي جلبوها له من بلادهم والحيوانات النادرة والنباتات، وكذلك العبيد⁵.

¹فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص 30.

²عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 168.

³.

Jean Pierre Grégoire ,op-cit ,pXIII,N :58,64.

*كان لكل دويلة جيش مؤلف من المواطنين الأحرار، هذه الصفة التي شملت مواطني المدن والفلاحين والرعاة، ونجد في اللغة السامية القديمة مفهوم الحر الذي يدل على الفرد الذي ليست عليه التزامات مالية والمعفى من واجبات معينة، أما الجيش الدائم و المنظم لم يعرف حتى زمن ملك أكاد -سرجون- أما ذروة التنظيم العسكري للجيش فقد حققت مع الأشوريين،أنظر: سامي ربحانا، المرجع السابق، ص 70.

⁴فون زودن، المرجع السابق، ص 80-81.

⁵أحمد أمين سليم، ج2، المرجع السابق، ص 199-200.

(ب) ولي العهد : كانت الملكية في العراق القديم وراثية، حيث يخلف الملك أحد أولاده، خاصة البكر منهم ولكن لم يشترط في ولي العهد أن يكون الابن الأكبر بل قد ينتخب الابن الأصغر لولاية العهد¹، ولكن قد يخلف الملك أخاه، وقد يختار الملك الابن الأكبر ثم يستبدله بولد آخر عن طريق الكهنة، غير أن هذا الأمر قد يدعو للثورة ضده، وربما قتله².

والجدير بالذكر أن الملك يستشير الآلهة عن طريق الكهنة في اختيار ولي العهد، وقد تشير الآلهة إلى رغبتها في شخص ولي العهد عن طريق الرؤيا أو الفأل أو بعلامات سماوية أو أرضية يفسرها الكهنة، وقد يثبت هذا الاختيار بأداء القسم من قبل العائلة المالكة وممثل الشعب³.

وتتم مراسيم اختيار ولي العهد بأن يقيم الملك احتفالا كبيرا يدعو إليه كبار رجال الدولة والقادة العسكريين والأمراء والنبلاء، إضافة إلى أفراد الأسرة الحاكمة ليباعوا ولي العهد ويعلنوا بصفة شكلية بأن هذا الأمير هو وريث الملك في العرش، ويقسم الحاضرون على الولاء له وطاعته والعمل على خدمته والمحافظة على ملكه بعد وفاة والده، ومساعدته في تولي مهامه والقضاء على كل من يحاول النيل منه أو من مملكته، وقد يشمل هذا القسم حتى حكام الأقاليم والولايات التابعة له، ويبرم من أجله معاهدات رسمية⁴.

وسمي هذا القسم بـ"يمين الولاء"، ثم ينتقل ولي العهد بعد ذلك من قصر الملك إلى قصر ولي العهد -قصر خاص- حتى تبدأ فترة تدريبه على الحكم⁵، وسمي قصره باسم "بيت ريدوني" "Bit-roduti" (قصر الخلافة).

وتتم نشئة ولي العهد تنشئة خاصة بعد أن يعلم ويثقف، ويدرب على أساليب الحكم وإدارة المملكة وقيادة الجيوش بهدف تهيئته للمهام الملكية المستقبلية⁶، وأثناء حياة والده يقوم ببعض المهام الإدارية والعسكرية فيعين قائدا للجيوش في الحملات العسكرية ونائبا للملك في إحدى مقاطعات المملكة أو حاكما عاما فيها، وإذا توفي الملك أعلن الحداد في جميع أنحاء المملكة، ويعتقد أن الملك الجديد يبدل اسمه عند الاحتفال ويكنى نفسه بأحد الأسماء الملكية⁷.

¹ طه باقر، مقدمة في تاريخ....، ج 2، المرجع السابق، ص 60.

² محمد بيومي مهرا، ج 5، المرجع السابق، ص 69، نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق ص 26.

³ أحمد أمين سليم، حضارة العراق القديم، المرجع السابق، ص 200.

⁴ طه باقر، مقدمة في تاريخ....، ج 2، المرجع السابق، ص 61.

⁵ محمد بيومي مهرا، ج 5، المرجع السابق، ص 69.

⁶ أحمد أمين سليم، ج 2، المرجع السابق، ص 201.

⁷ طه باقر، مقدمة في تاريخ....، ج 2، المرجع السابق، ص 61.

ج) تتويج ولي العهد: تتم مراسم تتويج الملك الجديد بعد مراسم دفن الملك السابق، واكتمال الطقوس الدينية الخاصة بدفنه، وتقام مراسم حفل التتويج من نوعين: ديني ومدني.

1/ الاحتفال الديني في المعبد: يتم أولاً باستلام ولي العهد شارات الحكم في المعبد الرئيسي للعاصمة¹، بعد أن يتقدم الكاهن الأعلى إلى معبد الإله القومي ثم يتقدم الملك إلى حجرة المقدسة و يقدم فروض الطاعة لتمثال الإله وفق طقوس دينية معينة².

ويصف النص السومري الذي تم العثور عليه في الوركاء على مراسم التتويج، وجاء فيه: "لقد دخل الحاكم إلى المعبد، واقترب من منصة العرش المقدسة فأخذ الصولج السني بيده واقترب من سيدة الصولج (المنصة)، ووضع التاج الذهبي على رأسه، وبذلت سيدة الصولج اسمه الحقيق ودعته باسم الملكية،³ ففي أثناء تواجد الملك في الهيكل يكون الناس خارج المعبد في خوف وهلع، لاعتقادهم أن الملك أسيرا في العالم السفلي، وأن البلاد بدون ملك تكون عرضة لقوى الشرور، وفتك الطبيعة وتدميرها⁴.

وطبقا للنصوص المسمارية يتزامن هذا اليوم بإجراءات خاصة ومميزة، بقيام الكهنة بتطهير المعبد قبل وصول موكب الملك، فقبل نهاية الليل بأربع ساعات ينهض كاهن الأوريجالو، ويغسل بماء الدجلة والفرات، ويدخل إلى حضرة الإله " مردوخ " وزوجته "زربانيت"، ويلبس لباسا مصنوعا من الكتان أمامهما، ويتلو صلاة مطولة⁵، وبعد انتهاء التلاوة يفتح الأبواب، ويدخل جميع الكهنة لتقدم الشعائر المأثورة، وبعد مضي ساعتين من شروق الشمس أي بعد انتهاء موائد الإله مردوخ وزوجته، يتم استدعاء الكاهن ليطهر المعبد ويرشه بالماء المأخوذ من حوض الدجلة والفرات ويضرب على الطبل ثم يحرق البخور، ويتلو تلاوته بصوت عال :

"طهروا المعبد.

الإله مردوخ من أريدو الساكن بمعبد أي -أودل...

الإله كوسوك ...

الإله نتكريم....المستمعة إلى الصلوات .

الإله مردوخ طهر المعبد

¹ أحمد أمين سليم، ج2، المرجع السابق، ص202.

² طه باقر، مقدمة في تاريخ ..، ج2، المرجع السابق، ص61.

³ نجيب ميخائيل إبراهيم، المرجع السابق، ص26.

⁴ سامي سعيد الأحمد، السومريون وتراثهم الحضاري، المرجع السابق، ص21.

والإله كوسوك رسم المخطط.

والإلهة نتكرتيم تلقي التعويذة.

أخرج أيها الشر الذي قد يكون موجودا في هذا المعبد.

بعدها يقوم كاهن الأوريجالو إلى حضرة الإله مردوخ، ويجهز طبق ذهبي عليه لحم مستوي واثنى عشرة رغيفا من الخبز وأربعة صحون ذهبية، وعليه أن يصنع منجرة ومواد عطرية من خشب السرو، وبعدها يسكب الشراب وهو يتلو الصلاة التالية:

"مردوخ المبجل بين الآلهة .

الذي يسكن معبد الإيساجيل والذي أصدر القوانين .

الذي... إلى الآلهة العظام.

إنني أسبح ببطولتك.

عسى أن قلبك رقيقا مع كل شيء تقع يدك عليه.

في معبد أي - زور (Ezur) عسى أن يرفع رأسه...¹.

وبعدها ينظف الطبق ويستدعي جميع الصناع، وينقل الطبق إلى الإله نابو، وبعد ذلك يأخذون أرغفة الخبز الموجودة على الطبق حالما تغادر سفينة الإله نابو، وفي هذه الأثناء يصل الملك إلى المعبد، وعلى ذلك الطبق يجلب الصناع الماء لغسل أيدي الملك، بعدها يقوم الكهنة بتقديمه للمثول أمام الإله "مردوخ" ثم يترك لوحدة مدة من الزمن فيخرج له الكاهن الأعلى من قدس الأقداس أين يوجد تمثال مردوخ، فيخلع عنه الشارات الملكية (الصولجان والتاج والحلقة) ويضعهما على منضدة أمام تمثال الإله، ثم يعود إلى الملك فيلطمه على وجهه ويعركه من أذنيه ويأمره بالسجود أمام الإله²، ثم يجيبه كاهن "أوريجالو" باستجابة الإله لدعائه والتزامه إلى جانبه ضد أعدائه وخصومه بقوله: "لا تخف الإله "مردوخ" سيسمع صلاتك وسيعظم سلطانك ويخلد ملوكيتك..."³.

وحسب معتقدات القوم في الوقت الذي تتم فيه تنويع الملك الجديد على الأرض، كانت الآلهة تتوجه في السماء، فعندما يقوم الكاهن بوضع التاج على رأس الملك ويمنحه الصولجان، فإن الآلهة في السماء تضطلع بدورها بمنح هذه الشارات، وبعد أربعين يوم من غياب الشمس يربط "أوريجالو" أربعين قصبية من سعف النخيل ثم يقوم

¹ راجحة خضر النعيمي، أعياد رأس السنة، مجلة سومر، مج46، ج1+ج2، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1989، صص121-122.

² سامي سعيد الأحمد، السومريون وتراثهم الحضاري، المرجع السابق، ص20.

³ راجحة خضر النعيمي، المرجع السابق، ص123.

بوضعها في حفرة حفرت بالساحة المقدسة، ويضع عليها عسلا و زبدة و زيتا جيدا¹ ، وبعد ذلك يوقد الملك النار في الحفرة، ويذبح ثور أبيض اللون وبعدها يبدأ الاثنان (الكاهن والملك) بقراءة دعاء خاص بمناسبة التتويج: "أيها الثور المقدس ضوء براق ينير الظلمة..."² .

2/ الاحتفال المدني : عندما تنتهي مراسم الاحتفالات الدينية، تبدأ مراسم الاحتفال المدني بذهاب الملك إلى قصره الملكي في موكب حافل، حيث يكون في انتظاره كافة رجال الدولة، وقد اصطفوا لتقديم الولاء والطاعة إلى الملك، ويقدموا له الهدايا، وكانوا يخلعون شاراتهم المميزة ويضعونها أمام الملك، ويقدمون أنفسهم في هيئة غير منتظمة بدون مراعاة قواعد البروتوكول المألوف في البلاد، وبمجرد تتويج الملك الجديد يتخلى الموظفون على مناصبهم ليتركوا الفرصة للملك الجديد بتعيين أقطاب حكومته وكبار موظفيها³ .

وأمام هذه الوضعية، فإن شاء الملك الجديد أن يبقى على وزرائه وموظفيه قال لهم: "ليسترجع كل واحد منصبه ووظيفته، فيأخذ كل منهم شاراته وأوسمته المميزة لرتبته ووظيفته ثم يأخذ كل فرد منهم منصبه بمقتضى أسبقيته ومنزلته بالنسبة إلى عرف البلاد"⁴ .

3- برلمان بلاد سومر: قامت السلطة السياسية في حكومة المدن السومرية على أساس الجمعية العمومية التي تتولى مهمة الإشراف على المسائل العامة والاجتماع وقت الحاجة للنظر والفصل في الموضوعات التي تم المدينة بأسرها مثل: عملية اختيار كبار المسؤولين في حكومة المدينة، وورد ذكر الجمعية العمومية وكبار السن في عصور ما قبل التاريخ، وهو ما يفسر أن التنظيم السياسي لحكومة المدينة نشأ مع المدينة نفسها⁵ .

وقد تطلب هذا التنظيم تكوين جمعية عمومية لمواطني المدينة بما فيهم النساء، فالإنسان السومري كان يتصور آلهته كالبشر، و يعتقد أن اجتماعات الجمعية العمومية للآلهة المنعقدة في السماء بزعامة الإله أنو تبحث في شؤون البشر الهامة، تناقش فيما بينها وتصدر القرارات، بحكم أن للآلهة حقوق سياسية، ونفوذ سياسي والآلهة لهن نصيب في هذه المجالس، وهو ما لم يمنع السومريون من إشراك المرأة في هذه مجالس الرجال⁶ .

¹ Renet Labat, op-cit, pp181, 241.

² راجحة خضر النعيمي، المرجع السابق، ص123.

³ طه باقر، مقدمة في تاريخ...، ج2، المرجع السابق، ص62.

⁴ Géorge Roux, Ancient Iraq, op-cit, pp315-316

⁵ محمد عبد اللطيف محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 178.

⁶ نبيلة محمد عبد الحليم، المرجع السابق، ص58، عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص165.

ومن ثمة فإن أول برلمان سياسي معروف في تاريخ الإنسان كان في حدود 3000 ق.م، ويتألف من مجلسين أساسيين¹ :

أ/ -مجلس الشيوخ (مجلس الشورى) أو (مجلس المسنين) "sibut alim": إن مصطلح مسني المدينة يتألف من من مقطعين "شيبوت" "sibut" ، وفي اللغة السومرية اب-با "AB.BA" مضافا اليه الاسم مدينة بالاكدي "آلم" "alu" ، وفي السومرية أوري "URI" ليصبح المعنى مسني المدينة "sibut alim" الذي يقابله في اللغة السومرية "AB.BA.URI" ، ويترجم المصطلح بأنه يعني شيوخ المدينة أو آباء المدينة².

أما المصطلح في اللغة السومرية الذي يشير إلى الأشخاص المسنين أو الشيوخ فهو "SU.GL" ، أما بالنسبة للعراقيين القدامى ، فإن ظهور الشعر الأبيض يعد علامة مميزة لتقدم العمر كما هو الحال في بقية المجتمعات ، وكما هو معروف فإن السومريين يتصفون بالشعر الأسود الداكن³.

يتكون هذا المجلس من أعيان المدينة وملاكها الكبار أو ذوي النفوذ ، ومن المسنين وشيوخ المدينة⁴ ، و في نفس الوقت يعتبر كمجلس استشاري بجانب رئيس السلطة ، حيث بدأت ملامحه تتضح في حدود 2700 ق.م في مدينة أوروك (الوركاء) السومرية في عهد الملك جلجامش ، كما ورد ذكره في نصوص لغوية على أنه بمثابة مديري مزارع المعبد في عهد جمدة نصر عندما لم تكن مزرعة المعبد قد فصلت بعد عن المجتمع⁵.

وتذكر الدراسات التاريخية أن مجلس الشيوخ هو أول مجلس ديمقراطي انعقد في التاريخ بسبب الظروف السياسية السائدة بين الدويلات المدن السومرية ، أين كان الصراع قائما بينها من أجل القيادة والسيطرة ، وخير مثال على ذلك الصراع القائم بين مدينة كيش -مركز السيادة على سومر بزعامة الملك-آجا- ضد مدينة الوركاء -

¹ Samuel Noah Kramer, L'histoire commence à sumer, op-cit, p60.

² Halloran, J. A., Sumerian Lexicon, , Los angeles, U.S.A, 2006 , p 76.

³ Harris, R., Gender and Aging in Mesopotamia, University of Oklahoma press, 2003 , p p 50-51.

⁴ طه باقر، مقدمة في تاريخ...، ج2، المرجع السابق، ص51.

⁵ جماعة من علماء الآثار السوفيات، المرجع السابق، ص278.

* يرجع المؤرخون بذور الصراع والحروب الأولى بين المدن السومرية إلى القرن السابع والعشرين قبل الميلاد ، بعد أن بلغت مدينة الوركاء درجة كبيرة من القوة والازدهار وأصبحت تنافس مدينة كيش وتحدد مصالحها ، وحسب الأسطورة أن ملك كيش -آجا- طلب عبر رسوله من مدينة الوركاء المشاركة في أعمال الري التي تقوم بها كيش ، فاقترح مجلس الشيوخ لمدينة أوروك (الوركاء) على زعيمها جلجامش السلم ، وأن ينفذ أوامر -آجا-، ولكن جلجامش رفض الخضوع لمدينة كيش ، وطرح الأمر على مجلس الأحرار(الجمعية الوطنية) الذين ساندوا قراره ورفض الانصياع لأوامر آجا مما أجبر ملك كيش إلى إعلان الحرب والخروج على رأس جيشه المحمول على الزوارق إلى الوركاء ، ونزل على أسفل الفرات وحاصر المدينة وانتهت الحملة بمزيمه كيش، ونقل جلجامش السيادة له ، و تمكن من تحقيق لمدينة الوركاء مكانة بارزة في البلاد بأكملها...، أنظر: ديكانوف ي. م وآخرون، المرجع السابق، ص182 , Jane R.Maintosh ,op-cit , pp 72,74.

بزعامه ملكها جلعامش-^{*}، هذه الأخيرة التي برزت لتنافس كيش على السيادة، فأرسل الملك آجا إنذارا إلى جلعامش يحذره من خطورة الوضع، فاضطر مجلس الشيوخ لعقد اجتماع مع مجلس الأحرار للتشاور في هذه المسألة، فاقترح مجلس الشيوخ السلام بأيّ ثمن ولو بفقدان الاستقلال والاستسلام، فرفض جلعامش هذا الأمر، وصمّم على المواجهة¹ بقوله: "علينا ألا نذعن لبيت كيش ولنحارب بالسلاح"، فكان جوابهم عليه: "ولنذعن لبيت كيش ولا نضربه بالسلاح"، فلجأ جلعامش إلى مجلس المحاربين، فكان ردّهم عليه: "كلا! علينا ألا نخضع لمعبد كيش، ولنضرب بسلاحنا!"².

وفي نص آخر يوجه فيه جلعامش كلامه إلى مجلس لشيوخ والمحاربين الشباب يستشيرهم في سفره إلى غابة الأرز، حيث يقول:

- اسمعوني يا شيوخ أوروك، ذات الساحة .
- سأسلك الطريق إلى خمبابا المتوحش .
- أنا كلكامش، لأرى من يتكلمون عنه .
- الذي تتداول البلاد اسمه باستمرار .
- لأغلبه في غابة الأرز .
- كم قوي سليل أوروك .
- تكلم كلكامش: إلى شبان أوروك ذات الأسوار .
- اسمعوني يا شبان أوروك ذات الأسوار .
- يا شبان أوروك الذين تعرفون القتال .
- بقوتي سأسلك الطريق إلى مقر خمبابا .
- سأواجه نزالا لا أعرفه³ .

ومن مهام هذا المجلس إدارة الشؤون العامة المتعلقة بالوحدات الاجتماعية الخاصة بهم، و تطبيق العدالة واتخاذ التدابير الإدارية، والمناقشة مع حاكم المدينة على المسائل السياسية الأساسية واتخاذ القرارات حولها كإعلان

¹ Samuel Noah kramer, L'histoire commence à sumer, Op-cit, p61.

² سعد عبود سمار، عامر ناجي حسين، مجالس المدن في العراق القديم (3000-1000 ق.م) "التأسيس والمهام"، مجلة كلية التربية، ع14، بغداد، 2013، ص 145.

³ سعد عبود سمار، عامر ناجي حسين، المرجع السابق، ص 146.

الحرب والسلم ، بالإضافة إلى ذلك التكفل بتدبير أملاك العامة ، وتسمية ممثلو الإدارة مثل: مرعي المشاعة... الخ¹ ، ومن اختصاصاته أيضا الإشراف القضائي والنظر في التشريعات والدعاوي المهمة مثل: توقيع عقوبة الإعدام وتنفيذها (مجلس القضاء الأعلى) ، إلى جانب وجود محاكم مختلفة مؤلفة من قضاة مدنيين والكهنة² .

ب) مجلس الأحرار (مجلس العموم النواب) أو مجلس الرجال أو الشباب: كوروش* اورو " Gurus

Uru: يتألف من المواطنين الذكور القادرين على حمل السلاح أي الشباب³ ، ومن جميع المواطنين في المدينة بما في ذلك النساء، اعتبر هذا المجلس بمثابة المؤتمر العام أو ما يشبه الجمعية العامة، ويقوم بإرشاده مجلس الشيوخ⁴ ، واستطاع جلعامش أن ييث الحماس والوطنية فيه وسانده في قراره بعدم الخضوع والاستسلام ، حيث كان قرارهم مناقضا لقرار مجلس المسنين، وطلبوا منه إعلان الحرب على كيش ورفض الاستسلام⁵ ، وفي الصدد تشير هذه القصيدة حول مسألة اجتماع جلعامش مع مجلس الشيوخ في شأن إرسال إنذار آجا لمدينة الوركاء :

"إن مبعوثي (رسل) آجا بن "انميراجسي " "Enmebaraggesi"

شرعوا السفر من كيش إلى جلعامش في أرك.

فعرض السيد جلعامش الأمر على مجلس الشيوخ مدينته .

وقال لهم :

"علينا ألا ندعن لبيت "كيش" ولنحارب بالسلاح .

ولكن مجلس لشيوخ المدينة المنعقد أجاب "جلعامش" .

لندعن إلى بيت كيش ولا نحارب بالسلاح .

(أما) "جلعامش" "سيد كلاب" .

الذي حقق أعمال البطولة من أجل الآلهة "انانا" .

فلم يسر لكلمات شيوخ مدينته .

إن جلعامش ، "سيد كلاب" مرة أخرى .

¹ ف. دياكوف ، س. كوفاليف ، المرجع السابق ، ص 88، بهان الدين دلوو ، المرجع السابق ، ص 251.

² أحمد أمين سليم، حضارة العراق القديم، المرجع السابق، ص 187-188.

*كوروش " Gurus " : مفردة سومرية تقابلها في اللغة الاكدية " etlu " بمعنى الرجل الشاب أو الشاب الراشد أو العامل سليم الجسم أو قوي البنية

الجسدية ... ، أنظر : ، Halloran, J. A, op-cit , p57,

³ صامويل نوح كيرمر، من ألواح سومر، المرجع السابق ، ص 82.

⁴ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 164.

⁵ طه باقر، مقدمة في تاريخ ... ، ج 2، المرجع السابق ، ص 53، 51.

عرض الأمر على مجلس محاربي مدينته وطلب إقرار كلمته :

لا ندعنوا لبيت " كيش " لنضربه بالسلاح .

فأجاب مجلس المحاربين " جلعامش " (قائلين له) :

لا ندعن إلى بيت كيش ، ولنضربه بالسلاح .

وعندئذ سرّ جلعامش ، سيد كلاب .

لكلام محاربي مدينته وابتهجت روحه¹ .

وما يمكن أن نستخلص منها أن مجلس رجال المدينة كوروش اورو " **Gurus Uru** " قد أعطى النصيحة التي أراد جلعامش أن يسمعها ، وبهذا أضفى قرارهم الشرعية لقرار جلعامش للتصدي لجيش آجا وعدم الاستسلام له، وعلى هذا الأساس أطلق على هذا البرلمان لأول مرة مصطلح " برلمان حرب " أو بما يسمى "الديمقراطية العسكرية"²، وعلى الرغم من عدم توفر المعلومات حول هذه المجالس وكيفية تكوينها وصلاحتها وعلاقتها بالملك ، فإن الإشارات تدل على أن هذين المجلسين يجتمعان سوية لاتخاذ القرارات في الأمور التي تمه المدينة بصورة عامة ، وكان لكل مواطن حق الكلام والمناقشة، غير أنه كان لرأي البعض أهمية خاصة، نظرا لكبر سنهم أو سعة نفوذهم ، وكان هذا النقاش يستمر في العادة حول القضايا الهامة حتى يتم التوصل إلى قرار نهائي بإجماع الآراء ، وكان القرار النهائي يعلن من قبل مجموعة صغيرة من المجتمعين ويطلق عليهم اسم مشرعي القانون³ .

ومن بين القرارات المهمة التي يتخذونها إقرار الحرب أو السلم ، وفي الحالات الضرورية الطارئة تسليم السلطة الحكومية لوقت محدود إلى أحد الأعضاء⁴ ، فالملك في كثير من الأمور لا يزال يشبه رئيس القبيلة، ولحل الأمور يستدعي مجلس الشيوخ ، وبعد ذلك يدعو إلى اجتماع شعبي يحضره كل قادر على حمل السلاح⁵ .

ومن قراراتهما أيضا اختيار موظف يتولى أمور المدينة الدينية وبعض الأمور الدنيوية والذي يطلق عليه لقب "اين" أو انتخاب العاهل وربما عزله، وكانت سلطة هذا الموظف محدودة ومقيدة بسلطة هذين المجلسين ، فلا يحق له اتخاذ أي قرار هام إلا بالرجوع إليهما ، وقد تجسد هذا الأمر في قصة جلعامش حاكم مدينة الوركاء وآجا حاكم مدينة كيش ، أما في حالات الطوارئ (فيضان مدمر، تفشي أوبئة... الخ) ، والتي تحتاج إلى أخذ القرار بصورة حاسمة

¹ صامويل نوح كيريم ، من ألواح سومر ، المصدر السابق ، ص 95.

² نعيم فرح، تاريخ الشرق الأدنى القديم "السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي" ، دار الفكر، دمشق، ص 21.

³ طه باقر، مقدمة في تاريخ... ، ج 2، المرجع السابق، ص 51.

⁴ محمد حرب وعيد مرعي، المرجع السابق، ص 82.

⁵ نعيم فرح، المرجع السابق، ص 21.

وسريعة دون الرجوع إلى مجلس المدينة ،فكان لابد من اختيار شخصية ذات حنكة وحسن الإدارة والتصرف ،وتعيينها مؤقتا لإدارة المدينة في مثل هذه الوضعية ،وأطلق عليه كما سبق ذكرنا لقب "لوكال" الذي سيعمل على تقليص صلاحيات المجلسين تدريجيا بعد دعم الرعية لمنصبه¹ .

ويرجع الباحثون هذا التغير والانتقال من الهيئة الديمقراطية الأولية إلى الملكية الأوتوقراطية ،وانفراد الملوك بالسلطة إلى حياة لا استقرار التي ميزت بلاد سومر ، وكثرة المنازعات والحروب بين دويلات المدن ،مما أدى إلى عدم استمرار نظام الديمقراطية الأولية ،لأن مثل هذا النظام يصعب تطبيقه في مثل هذه المنازعات التي تحتاج إلى البحث السريع في القرارات بطريقة السلطة الفردية ،وقد أدى هذا الوضع إلى تجمع السلطة بيد الملك² ، وهكذا انتقل النظام الديمقراطي إلى النظام الملكي ،غير أن بقايا وآثار النظام الديمقراطي ظلت موجودة وقائمة في المدن السومرية وممثلة بمجالس المدن التي كانت تختص بالنظر في القضايا التي يحيلها إليها الحاكم³ .

(ج) الوزراء (المعاونون) :

كان يتجمع حول سلطة الملك عدد ضخم من الوظائف والموظفين ، كما هو الحال في كل إمبراطوريات الشرق الأدنى القديم ، فكان القصر الملكي الكبير وحدائقه الشاسعة مركزا لمدينة داخل الدولة ، هذا وكان يدبر شؤون الدولة وزراء وموظفون ومفتشون وعمال وكهنة وطوائف أخرى⁴ .

وكما سبق ذكرنا فإن ملوك سومر تركزت بين أيديهم جميع السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية والدينية ، في حين يقتصر دور الأجهزة المساعدة من وزراء وقواد وموظفين على الناحية الاستشارية المحضة⁵ .
ومن أهم موظفي الدولة :

أ/ السوكال ماهو (Sukkal-Mah) : و الذي يعني المستشار أو الوزير الكبير وهو أقوى شخصية في الجهاز الإداري بعد الملك وهو مكلف بالإشراف العالي على الإدارة ، ويعني أيضا المبعوث أو المرسول وهذا ما يتضح في النصوص السومرية التي يشير فيها إلى النفقات الخاصة باحتفال عيد اكيثو⁶ .

¹ طه باقر ،مقدمة في تاريخ ... ،ج2، المرجع السابق ،صص 51-52.

² أحمد عبد الحلیم الدرّاز، المرجع السابق ،ص108، نبيلة محمد عبد الحلیم ، المرجع السابق ،ص62.

³ صالح أحمد علي ، المرجع السابق ،ص185.

⁴ محمد بيومي مهران ، ج5 ، المرجع السابق ،ص72.

⁵ جورج سعد ، المرجع السابق ،ص16.

ومما تجدر الإشارة إليه أن مهمته لا تقتصر في نقل البريد بين العاصمة و المقاطعات فقط ، ولكنهم موظفون مكلفون بمهام ذات سلطات واسعة و متنوعة ودورهم مهم في الإدارة و لا يملك المستشار إقامة خاصة به ، وإنما يقيم في القصر إلى جانب الملك ، وهذا ما ساعده على تسيير أحسن للإدارة المركزية¹ .

ب/ - كبير الوزراء "ايشاكو" : كان بمثابة رئيس الوزراء الذي يدير الشؤون الخارجية و يليه الوزراء ، وأبرزهم :

ج/ - وزير المالية : كان بمثابة وزير القصر² ، أو ناظر القصر³ ، أو نائب القصر، ويعتبر أهم موظفي الدولة، وتشبه وظيفته وظيفته المشرف العام، فهو منظم مشروعات المنافع العامة والشؤون الزراعية⁴ ، ويدير أملاك الدائرة الملكية، ويهتم بالشؤون الاقتصادية من صناعة وتجارة⁵ ، ويساعدهم الجند أو قواد الجيش ووكلاء الأعمال.

وإلى جانب وزير المالية يوجد عدد من الموظفين مثل: أمين خزانة الملك وناظر الريّ ومسجل عقود البيع ، وحاجب القصر ، ويساعده طبقة من النظار يعرف الواحد منهم باسم "نوباندا"⁶ .

وتشير الألواح إلى وجود عدد من النظار "نوباندا" ، ويختص كل منهم بقطاع من قطاعات الدولة ، ويتبع النوباندا عدد من الموظفين من القضاة والكهنة ، وأمناء مخازن الغلال والكتاب والملاحظين... الخ⁷ .

بالإضافة إلى ذلك يتواجد مساعدين آخرين للملك في مجال الشؤون الدينية ، ويتعلق الأمر بـ الكهنة و الكاهنات فضلا عن الموسيقيين و عمال البريد الذين يجوبون البلاد ، يحملون أوامر الملك إلى أبعد حدود الدولة .

وكانت هناك طبقة من السفراء "مارشفري" يعث بهم الملك ليمثلوه في الخارج واتصالهم مباشر به، و يصطحب في مهامه تراجمه و كتبه وقضاة⁸ .

أما المحافظين في المدن فكانت توكل إليهم وظائف وواجبات مهمة ، وعرفوا في العصر البابلي فيما بعد باسم ربياتم أي الكبير ، إضافة إلى الكتاب الذين تفرغوا لكتابة مختلف الرسائل والوثائق، وإدارة شؤون الحقول الزراعية للدولة والمعبد ، كما كان يتوجب عليهم قياس الأراضي لأصحاب الأملاك الخاصة أو المزارعين المستأجرين ، وكان هناك

¹ فون زودن ، المرجع السابق ، ص 81.

² برهان الدين دلوو ، المرجع السابق ، ص 253.

³ محمد أبو عصفور محاسن ، المرجع السابق ، ص 201.

⁴ ل. ديلابورت ، المرجع السابق ، ص 78.

⁵ عبد الحكيم الذنون ، المرجع السابق ، ص 36.

⁶ نجيب ميخائيل إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 28.

⁷ برهان الدين دلوو ، المرجع السابق ، ص 254.

⁸ نجيب ميخائيل إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 28.

موظفون مسؤولون عن الأعمال الخدمية المختلفة، ولاسيما في تنظيم القنوات المائية الكبيرة التي كانت ضرورية جدا في المناطق قليلة الأمطار وإقامة حواجز منيعة على ضفاف الأنهار¹.

وخلاصة القول أن بلاد سومر قبل نحو أربعة إلى خمسة آلاف سنة كانت تفتخر وتتباهى بمدن كبيرة وتتركز حول مباني عامة كبيرة وذات شهرة واسعة، وكان تجارها والعاملون بها يزاولون تجارتهم الواسعة في البر والبحر مع الأقطار المجاورة، واستطاع مفكروها وشعراؤها أن يخلقوا مجموعة من الأفكار والمبادئ السياسية التي تقبلها الإنسان الرافدي، زيادة على التطور في طريقة الكتابة بقلم القصب على الطين، مكنت لأول مرة من تخليد أعماله وأفكاره ومعتقداته، ولهذا فليس من الغريب أن يحرز السومريون تطورا في حقل السياسة بخطوات ثابتة نحو الحكومة الديمقراطية بالهيمنة على سلطات الملوك والاعتراف بحقوق المجالس السياسية، خاصة بعدما تطورت من دولة المعبد إلى دولة القصر، وتجسد في هياكل سياسية ومجالس تنظيمية لتسيير البلاد من مجلس الشيوخ إلى مجلس الأحرار، إضافة إلى مجالس أخرى ثانوية تتجمع حول القصر.

وبعد نزول الملكية من السماء، قامت الآلهة باختيار من ينوب عنها في تسيير أمور البشر وخلق مجتمع سياسي راقي يتمشى والمجتمع الإلهي المتواجد في السماء ضمن ما يعرف بالتفويض الإلهي، ولهذا عيّنت من تتوفر فيه المواصفات الحقيقية للسلطة في شخص يعرف بالملك، هذا الأخير الذي استطاع أن يجمع بين الوظائف الدينية والديوية لنيل رضا الآلهة والبشر، ولقب بعدة ألقاب ملكية عبر مراحل تاريخية (اين، إنسي، لوكال، لوكال كالاما)، ودلت هذه الألقاب على مدى قوة الملك وتطور مدينته، و اتساع نفوذها.

¹فون زودن، المرجع السابق، ص81.

الباب الثالث : أشهر المدن السومرية والإغريقية وطبيعة الأنظمة السياسية السائدة فيها .

الفصل الثاني : مرينة أثينا وتطور أنظمة الحكم فيها .

1- مرينة أثينا :

أ- أصل التسمية .

ب- الموقع الجغرافي .

ج- الخصائص الطبيعية لمرينة أثينا .

و- تاريخ المنطقة (نشأة أثينا وتوحيد إقليم اتينا)

2) طبيعة النظام الأثيني (تطور أنظمة الحكم من حوالي القرن 8 ق.م إلى القرن 4 ق.م)

أ- النظام الملكي :

أ-1، المهام الملكية .

أ-2، المؤسسات السياسية في النظام الملكي .

1- مجلس الشيوخ (الاريوجوس) .

2- الجمعية العامة (مجلس العامة) (الاكليزيا) .

أ-3) نهاية الحكم الملكي .

ب- النظام الأرستقراطي :

1- نظام الاراخنة :

أ- الملك (باسيدوس) (Basilaus) .

ب- الحاكم (أوبيندوس) (Archon éponymos) .

ج- القائد (بوليمارخوس) (Archon polemarchos) .

2- مجلس الشيوخ .

3- النتائج المترتبة على النظام الأرستقراطي في أثينا :

أ) على الوضع الاجتماعي .

ب) على الوضع الاقتصادي .

ج) على الوضع السياسي :

1- ثورة كيلون (632 ق.م / 631 ق.م) .

2- قوانين وراكون سنة 621 ق.م

ج- النظام الأوليغارشي (الأوليغارشي) :

1- أسباب قيام النظام الأوليغارشي .

2- ظروف وصول وصولون إلى السلطة .

3- التشريعات الأئينية في عهد وصولون :

أ- (القوانين السياسية والقضائية .

ب- (القوانين الاقتصادية .

ج- (القوانين الاجتماعية .

و 1- حكم الطغاة (561ق.م - 510ق.م) وظروف وصول بيزستراتوس إلى الحكم :

1- سياسته .

2- خلفائه في الحكم .

و 1- النظام الديمقراطي :

1- (القوانين الأئينية في عهد كليستينس :

أ- (القضاء على عصابة القرابة وإعارة تشكيل الروابط القبلية .

ب- (زيادة أعضاء مجلس الشورى إلى خمسمائة عضو .

ج- (حفاظ على عضوية الجمعية الشعبية (اللاكليزيا) .

و 1- حصر المناصب العليا على أساس الثروة .

و 1- قانون النفي السياسي .

2- حصر برلكليس وظروف وصوله إلى الحكم (461-429ق.م) .

ارتبطت نشأة المدينة باستقرار الإنسان ، وعكس نموها وتطور أسلوبه في العيش وطريقته في الحياة وعلاقته بالآخرين ، فكانت مرآة عاكسة لأوضاعه وقدراته كما كانت المتحف الحي لتراثه وتجاريه، وهذا ما يجعل المدينة من خلال وظيفتها ونشاطها تتجاوز كونها مجالا عمرانيا وبيئة اجتماعية وموقعا للاستقرار والنشاط الاجتماعي لتصبح كائنا اجتماعيا حيا متفاعلا ومظهرا حضاريا معبرا تتحكم فيه شروط المكان، وتؤثر فيها أحداث الزمان وتصوغها قدرات الإنسان ، تنشأ وتنمو وتتطور إذا توافرت لها عوامل البقاء ومتطلبات الاستمرار .

ومن هنا سوف نحاول تسليط الضوء على نماذج معينة من المدن الإغريقية ، والتي جسدت فعليا نظام الدولة المدينة منذ القرن 8 ق.م وساهمت في بروزه وتطوره بطريقة مباشرة من خلال التطرق إلى كيفية نشأتها التاريخية وأهم خصائصها الطبيعية قبل التفصيل أكثر في طبيعة الأنظمة السياسية السائدة فيها ؟

I- نماذج عن أشهر المدن الإغريقية : من أهم المدن الإغريقية التي ميزت الجغرافية اليونانية ، والتي ساهمت بدفع عجلة التطور والتقدم السياسي والاقتصادي وتحقيق الزيادة في الحوض الشرقي للبحر المتوسط وبالتحديد المنطقة الإيجية من خلال الحملات العسكرية التي قادتها من أجل حماية أسوارها وحدودها ، واستطاعت أن تمد نفوذها خارج اليونان ألا وهي :

1- مدينة أثينا : قبل الحديث على أنظمة الحكم والوضع السياسي السائد فيها ، سنحاول الإشارة في بداية

الأمر إلى :

أ / - أصل التسمية : أصل لفظ أثينا (Athéna) غامض ، ويعتقد أنه يعود إلى ما قبل العصور الإغريقية ، بمعنى أن الآلهة أثينا التي فرضت اسمها على اسم المدينة وفرضت حمايتها على أرض المدينة وسكانها، ليست إغريقية الأصل¹ ، ويعتقد أيضا أن يكون اسم الربة أثينا ذات أصل ليدي (نسبة إلى منطقة ليديا) ، ومن المحتمل أن يكون لفظا مركبا يتكون من المقطع ati ويعني أم واسم الربة الليدية هاناهاانا (Hannahanna) الذي يختصر في أماكن كثيرة في منطقة ليديا إلى أنا (Ana)² .

كما كشفت بعض الحفريات في منطقة كنوسوس في العصر الموكيني عن نص نقش عليه عبارة A-ta-na-po-ti-ni-ja يرجع تاريخه إلى أواخر العصر الموكيني ، وعلى الرغم من أن اغلب الدارسين يقترحون ترجمة عبارة (Athana Potaniya) بعبارة أثينا الأم غير أنها قد تعني بدورها في رأي الآخرين (Potnia of At(h) ana)

¹ Nilson (m.p) , a history of greek religion , trad par : F.J.Fielden oxford , 1920 , p 26-

² عبد المعطي الشعراوي ، أثينا ... المدينة والأسطورة ، مجلة عالم الفكر ، ع2 ، مج 38 ، الكويت ، 2009 ، ص ص 262.

سيدة أثينا ، وعلى الرغم من ذلك فقد يرفض بعض الدارسين الاعتقاد في وجود علاقة بين مدينة أثينا ونص كنوسوس ، ويعتبرون ذلك شيئاً غير مؤكد ، ومن الملاحظ أن العبارة (A-ta-no-dja-wa-ja) الموجود أيضاً في نص كنوسوس قد تعني أثينا المقدسة التي تجيد الغزل والحرف اليدوية¹.

في حين تذكر الدراسات التاريخية أن قدماء الإغريق كانوا يفسرون اسم الربة أثينا ، ويعتقدون أنه مشتق من اللفظ (a(OCOVO/a) والذي شرحه الإغريق العقلانيون المتأخرون على أنه مركب من كلمتين : (OCO/O) والتي تعني إله و (VOU /O) تعني عقل ، وبالتالي عند الجمع نتحصل على عبارة (عقل الإله) أو الحكمة المقدسة².

ولكن تبقى مسألة تحديد أصل التسمية من المسائل المستعصية ، والتي لا تزال محل جدل بين المؤرخين فضلاً عن ذلك يبقى جدل كبير حول تسمية المدينة : هل سميت المدينة على اسم الآلهة أثينا أم سميت هذه الأخيرة على اسم المدينة ؟

ومهما يكن الأمر فإن الروايات القديمة والحديثة على حد سواء تربط بين مدينة أثينا من جهة والربة أثينا والإله بوسيدون من جهة أخرى ، فالإله بوسيدون منح المدينة مجرى مائياً وهو رمز القوة البحرية ، في حين الآلهة أثينا منحت للمدينة شجرة الزيتون ، وهي رمز السلام والرخاء ، وهكذا كانت مدينة أثينا دائماً تتمتع بالقوة البحرية وتتميز بحب السلام والرخاء³.

وهكذا ارتبط تاريخ مدينة أثينا بأساطير الربة أثينا ، وأصبح من الصعب معرفة أيهما أسبق وأقدم : المدينة أم الآلهة ؟

إن كل ما لدينا حتى الآن يبقى مجرد بعض الفرضيات والروايات التاريخية ، فرضيات متجانسة أحياناً ومتنافرة أحياناً أخرى ، ومتألفة أحياناً ومتناقضة أحياناً أخرى ، حيث استطاع الدارسون على مدى الأجيال المتعاقبة أن يصوغوا شيئاً عن جغرافية مدينة أثينا وتاريخها ، وعن الحياة الاجتماعية والسياسية للأثينيين ، عن العادات والتقاليد التي سادت بينهم ، لقد استطاعوا أن يرسموا صورة تكاد تكون كاملة عن العلاقة بين مدينة أثينا والإلهة

Thomas Palaima , appendix one , linear B sources in Trzaskoma and others editors of anthology of classical myth¹ primary sources in translation , Hackett, 2004, p444.

²عبد المعطي الشعراوي ، المرجع السابق ، ص 263.

Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p221

3

أثينا ، كما أن هذه التسمية تتجاوز الحدود الجغرافية لهذه المدينة لتشمل شبه جزيرة أتيكا التي ضمت أثينا والضواحي والقرى والموانئ الصغيرة التي تحيط بها وتتخذ منها مركزا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، كذلك فإنها بهذه الحدود لم تكن مجرد مدينة أو منطقة ضمن عدد آخر من المدن أو المناطق التي تشكل في مجموعها دولة تضمها جميعا ، بل كانت على الرغم من صغر حجمها دولة قائمة بذاتها أو دويلة مدينة .

ب/- الموقع الجغرافي : تعتبر أثينا من أقدم واعرق دويلات المدن الإغريقية ، فقد كانت ملاحظها التاريخية انعكاسا كليا لتاريخ الإغريقي السياسي والاقتصادي والاجتماعي والحضاري ، حيث تقع في شبه جزيرة أتيكا (Attique) أي أرض السواحل¹ ، وبالتحديد في وسط شبه جزيرة اليونان ، وبعد نجاحها في فرض زعامتها على هذا الإقليم تدريجيا منذ العصر الميكيني شملت المقاطعة كلها ، وهي عبارة عن هضبة مثلثة يبلغ مساحتها حوالي ألف ميل مربع مما يجعلها أكبر مدينة في بلاد اليونان ، حيث يحد إقليم أتيكا من الشرق خليج مارثون (Marathon) ، وبحر يوبويا ، ومن الغرب ساحل فاليرون² .

وبذلك تمتد أثينا من الخليج الساروني (Saronic Golf) نحو الداخل في وسط سهل كيفيسيا (Kephisia) وهو واد خصيب محاط بالأشجار ، يحده شرقا جبل هيميتوس (Hymettos) ، ويحده شمالا جبل بنتيليكوس (Pentelikos) ، وقد اشتهرت أثينا بتشيد المعابد والأبنية العامة ومنازل الطبقة الحاكمة والمترفة وامتد عمرانها حتى السفوح ، فتشكلت المدينة ذات السور وفي وسطها ساحة تدعى ساحة أجورا (الأغورا) والتي تمثل موقعا مركزيا في حياة الأثينيين من جهة ، ومن جهة أخرى مركز تخطيط المدينة ولشوارعها الرئيسية والتي تتعرج ضمن الأحياء الممتدة خارجها ، بعدما كانت الاكروبوليس تسيطر على المدينة (Polis) وأصبحت ملحقة بالمدينة فقط ، وفي الأكروبول شيد معبد البارثينون (Parthenon)* الذي تظهر روعة البناء³ .

1 Jean Kinney Willialm , op-cit , p26.

2 سيد أحمد علي الناصري ، الإغريق ...، المرجع السابق ، ص 185.

*معبد البارثينون : يعتبر من أهم المعابد الإغريقية دقة في التصميم والزخرفة على النموذج الدوري ، ولقد أعيد بناؤه عام 532-447 ق.م من قبل المعماريين أكتينوس (Actinos) وكالليقراتيس (Callicrates) وبإشراف النحات فيداس (Phidas) ، وقد أقيم المعبد للإلهة أثينا وعلى هضبة الاكروبوليس ، ويتكون بناؤه من الناحية الداخلية على قاعدتين : الأولى تسمى ناوس (Naos) وهي بيت الآلهة والثانية صغيرة وهي أربعة أعمدة أيونية تحمل السقف ، ويعتبر معبد البارثينون محرابا للاماكن المقدسة للآلهة أثينا (آلهة الحكمة والقوة و السلام) .. ، وأنظر : قبيلة فارس المالكي ، تاريخ العمارة عبر العصور ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2011 ، ص 58 ، 11 ، op-cit , Pierre Lavedan .

3 نفسه ، ص 56.



الملحق رقم 39: يوضح معبد البارثينون المتواجد في مدينة أثينا -الأكثر شهرة بين جميع المعابد اليونانية -¹

ومما تجدر الإشارة إليه أن مدينة أثينا لم تضم المدينة فقط ، وإنما اشتملت على أتيكا بأسرها بعد تمكنها تدريجياً من إخضاع كل المدن الصغيرة لتجعل منها جزءاً من الدولة ، ولم تكتمل هذه العملية حتى القرن 8 ق.م. عندما ضمت مقاطعة أليوسيس (Eleusis) إلى المدينة الدولة² ، وأصبح كل سكان أتيكا مواطنين في الدولة المدينة الأثينية ، وأصبحت أثينا المركز الديني والسياسي للدولة اليونانية وبلغت مساحتها حوالي ألف ميل مربع³.

ج/ -الخصائص الطبيعية لمدينة أثينا : استطاعت أثينا أن تستفيد من الطبيعة الجغرافية لإقليمها لأقصى حد ، فإقليم أتيكا بحكم موقعه يتجه شرقاً إلى بحر إيجه ، ويوجد على ساحله الغربي ميناءان طبيعيان هما : فاليرون، بيرايوس (Piraeus) ، ونظراً إلى وقوعهما على الساحل الغربي لشبه جزيرة أتيكا ، حيث كان الميناءان يتمتعان بحماية طبيعية من العواصف العنيفة الآتية من ناحية الشمال والشمال الشرقي في فصلي الخريف والشتاء.

كما ينتشر في بحر إيجه في اتجاه الشرق عدد كبير من الجزر الصغيرة والمتوسطة التي تكاد تكون جسراً يصل بين الميناءين ومنطقة أيونيا على الساحل آسيا الغربي⁴ ، أما من الناحية التضاريسية فيذكر الباحث عاصم أحمد حسين أن مقاطعة أتيكا تنقسم إلى ثلاث أقاليم وهي :

¹ Paul Bernabeo , op-cit , p 121.

² Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p 227.

³ روبرت ، ج ، ليمان ، المرجع السابق ، ص ص 25، 26.

⁴ مصطفى العبادي ، اقتصاديات أثينا ، المرجع السابق ، ص 196.

1- الإقليم الجبلي : تكثر فيه السلاسل الجبلية التي لعبت دورا هاما في تاريخها الحضاري مثل : كيتيرون (Cithaeron) على الحدود بين أثينا وبيوتيا ، وجبل بارينس (Parnes) وجبال بنتاليكوس (Pentalicus) وجبل لوريون (Laurion) ، وهناك بعض التلال من أهمها : تل اريس (Ares) الذي كان يجتمع فوقه مجلس الأريوباجوس ، وتل البتكس الذي يجتمع فوقه مجلس الشعب .

2- السهول : من أهمها سهل ماراثون ، سهل كيفوس ، ويلاحظ أن الأراضي المزروعة في أثينا تمثل سدس الأراضي الأتيكية وتوجد بها زراعة بعض المحاصيل خاصة الحبوب ، الزيتون ، الكروم .

3- الأقاليم الساحلية : أتيكا شبه جزيرة وسواحلها طويلة وفقيرة لا يوجد إلى جوارها أراضي زراعية ، حيث اعتاد سكان الساحل على الملاحة وصيد الأسماك¹ ، و قد سمح قربها للبحر بأن تكون مركزا تجاريا ، و نقطة بداية و استقبال للأفكار الجديدة و تبادل الثقافات² .

ويتمتع إقليم أتيكا بمناخ البحر المتوسط المعتدل والمنتظم عادة ، فمواسم رياحه منتظمة وخصوصا في فصل الصيف حين تهب الرياح الشمالية اللطيفة التي عرفت باسم الرياح الإتيسية (Etesian) فكانت رياحا مواتية تدفع سفنهم من اليونان إلى كريت وإلى مصر ومنها تعود مرورا بسواحل سورية وقبرص ثم بمحاذاة ساحل آسيا الصغرى الجنوبي إلى اليونان .

ومن ناحية البر تنفصل عن إقليم بيوتيا (Beotia) من ناحية الشمال بسلسلة من الجبال متوسطة الارتفاع ولكن يسهل اختراقها ، ومن ناحية الغرب نجد جزيرة ايچينا في خليج سارونيك ، وتكاد تصل أتيكا بشبه جزيرة البولوبونيز في جنوب اليونان ، والتي تقع فيها دولة اسبرطة العدو التقليدي لأثينا .

أما من حيث الثروة الطبيعية ، فلم تكن وفيرة ولكنها كافية لحياة عدد محدد من السكان ، فهناك مساحات من الوديان الخصيبة نسبيا ممتدة بين سلاسل الجبال والتلال ، وكان أشدها خصوبة وادي إليوسيس (Eleusis) أما بالنسبة للتربة فهي ممتازة في معظم أرجاءها لزراعة أشجار الزيتون والكروم بوفرة تكفي الاستهلاك المحلي وتدهم جزءا كبيرا من التجارة الخارجية عن طريق تصدير كميات كبيرة من الزيتون والخمور الممتازة .

¹ عاصم أحمد حسين ، المرجع السابق ، ص 154 .

²

وهناك مساحات اقل تصلح لزراعة الغلال من قمح وشعير ، ولكنها لا تكفي الاستهلاك المحلي ، ومن ثم الاعتماد على الاستيراد وتنمو على الجبال الأعشاب وأشجار الأخشاب التي كانت تمد السكان بمادة طبيعية مكنتهم من صناعة الفن وركوب البحر .

وفيما يتعلق بالمعادن فقد وجدت فيها مناجم معدني الفضة والرصاص ، ولكن لم يوجد الحديد والنحاس ، كذلك وجدت طبقات من الطمي أمدتهم بمادة ممتازة لصناعة الفخار الجيد ، كما أمدتهم الجبال القريبة بأنواع ممتازة من أحجار الرخام والحجر الجيري الذي استخدموه في إقامة المباني والمنشآت الرائعة التي اشتهرت بها أثينا¹ ، وقد ساعدت هذه الظروف الطبيعية إقليم اتيكيا على تحقيق الوحدة السياسية تحت زعامة أثينا ، التي أصبحت عاصمة ومقرا للإدارة والحكم ، ولكن الروايات التاريخية تنسب الوحدة السياسية إلى الشخصية الأسطورية وهو الملك ثيسوس* - كما ذكرت سابقا - الذي يرجعونه إلى نحو ما قبل القرن 13 ق.م ، في حين البعض ترجع أن الوحدة السياسية في أثينا تحققت تدريجيا في حدود القرن 8 ق.م للإقليم بأسره ، وأصبحت بذلك أهم قوة سياسية بين مجموعة المدن الأيونية ومنتزعة العنصر الأيوني ، وفي نفس الوقت القوة المنافسة لدولة اسبرطة التي تزعمت الدورين الذين تركزوا في شبه جزيرة البلوبونيز بسبب امتلاكها أقوى أسطول حربي في اليونان² ، وفي هذا الصدد يقول ثوكوديدس : "إن عظمة مدينتنا تجذب غلاة العالم كله إلى مرفئنا ، حتى أصبحت ثمار البلاد الأخرى من مواد الترف المألوفة للأثيني كثمار بلده نفسه"³.

د/- تاريخ المنطقة (نشأة أثينا وتوحيد إقليم اتيكيا) : يبدأ تاريخ مدينة أثينا منذ العصر الحجري الحديث ، لم تكن المدينة سوى قلعة مرتفعة تقع فوق هضبة الأكروبوليس منذ حوالي الألف الثالثة قبل الميلاد ، واعتبرت قلعة

¹ - Rostovtzeff , M , Greece , trad par : Russian by J.D Duff and édité by Bickerman , Oxford , press , 1963 , p 81, Hammond , op-cit , p 1-17.

*ثيسوس : نشأ ثيسوس ابن ايجيوس في رعاية أمه أثيرا ، وعندما شب عن الطوق علمه الكنتور خيرون الصيد وأخذ يمارس الرياضة البدنية حتى قيل أنه مبتكر رياضة المصارعة ، وكان شجاعا تصدى للقضاء على كل المخاطر التي تعرض لها ، وبلغ ثيسوس مدينة أثينا حيث يحكم والده ايجيوس ، ولم يكن أحدهما يعرف الآخر ، فظن ايجيوس أن القادم هو البطل المحارب الذي تنبأ العرافون بقدمه يوما فتحركت الخشية في نفسه وأقام له مأدبة على أن تقدم له زوجته ميديا شرابا ساما ، ولكن عند جلوس ايجيوس إلى المائدة تعرف على سيف ثيسوس وعرف بأنه ابنه ، فأعلنه خليفة على عرشه ونصبه ملكا ، وبعد وفاة والده ايجيوس ارتقى على عرش أثينا ومضى يستحدث إصلاحات هامة مثل : ضم القبائل 12 المستقلة في اتيكيا إلى أثينا وتأسيس الحكم الأيوني في أزمير ...، أنظر : روبرت ، ج ، ليمان ، المرجع السابق ، ص 25.

² Ibid , pp81-82.

³ ابتهاج عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 79.

الأكروبوليس موقعا دفاعيا طبيعيا يمكن من يسيطر عليه أن يفرض سلطانه على السهول المحيطة ، وظلت مجرد مدينة صغيرة وأقل شأنًا من أرجوس وموكيناى¹ .

ومنذ عصور سحيقة كان نهر كيفيسوس (Kephisos) يجري وسط المدينة ، حيث أحيطت بالأسوار من كل الجهات ولم تكن المسافة المحاطة بالأسوار تزيد عن كيلومترين فقط من الشرق إلى الغرب بينما أقل بقليل بين الشمال والجنوب ، وكانت الأكروبوليس تتوسط المدينة ، بينما في شمال الأكروبوليس يقع الأجورا (Agora) وهو المركز التجاري والاجتماعي للمدينة ، وبلغت مساحته نحو 400 متر مربع ، وفي الطرف الغربي للمدينة كان يقع تل بنوكس (Pnyx) حيث كان مقر الجمعية العمومية التي تجمع سكان المدينة للتبادل التجاري أو تبادل الرأي² .

وطبقا للتقاليد القديمة فإن احد ملوك أثينا يدعى ثيسوس بسط حكمه على كل القرى المختلفة حول أثينا وينشئ بذلك مملكة واحدة بعد دمج سكانها مع بعضهم البعض ، ودافع عن مملكته ضد كل المعتدين ومن أهمهم الأمازونيات³ ، ونظرا لظروفها الجغرافية وفقرها من الناحية الاقتصادية لم تعان كثيرا من الغزو الدوري بحكم أن إقليم اتيكيا كان محصنا من الشمال الغربي بسلسلة جبال كثيرون ، فضلا على الروحية الوطيدة التي تربط مدينة أثينا بالإلهة الحامية أثينا وراعيتهما ، بالإضافة إلى ذلك أصبحت تحتل مكانة الصدارة منذ فجر التاريخ ومركزا قويا من مراكز الحضارة الموكينية أثناء الغزو الدوري (1200 ق.م) ، حيث لم تتعرض للغزو ولم يهجرها أهلها كما حدث للمدن الإغريقية الأخرى كموكيناى ومدينة بيلوس ، لذلك كان الأثينيون يؤكدون دائما أن الدماء التي تجري في عروقهم دماء أيونية خالصة وليس فيها أي عنصر دوري، كما أنها شكلت نقطة الرحيل بالنسبة للعديد من المهاجرين الفارين من الغزو الدوري ، إذ ساعدتهم في الاستقرار في الجزر أو في آسيا الصغرى ، وهذا ما يفسر العلاقات الوثيقة التي احتفظت بها المدينة مع المدن الأيونية بآسيا الصغرى⁴ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن مدينة أثينا منذ بداية عصر الحديد كانت مركزا متقدما للحضارة من خلال صناعاتها وتجارها ، حيث كان الفخار الأثيني على درجة عالية من الجودة ويصدر إلى أماكن بعيدة تصل إلى

¹ عبد المعطي الشعراوي ، المرجع السابق ، ص 259.

² روبرت ، ج ، ليتمان ، المرجع السابق ، ص 25 ، محمد الخطيب ، الفكر الإغريقي ، المرجع السابق ، ص 280.

³ بيير ديفانبيه ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 41.

⁴ عبد المعطي الشعراوي ، المرجع السابق ، ص 260.

ديلفي ، ايثاكا ، تساليا ، وساحل آسيا الصغرى ، فضلا على أنها مركزا لظهور أولى الأنظمة السياسية بداية من النظام الملكي إلى النظام الديمقراطي ، وسوف نحاول التفصيل أكثر في العنصر القادم .

أما من حيث بداية التكوين الاجتماعي في مدينة أثينا ، فتشير الدراسات والأبحاث التاريخية أن المجتمع الأثيني البدائي تكون نحو 100 أسرة وتعيش منعزلة بعضها عن بعض ولا تعرف فيما بينها أي روابط دينية وسياسية ، فلكل منها منطقتها وكثيرا ما كان يحارب بعضها بعضا بحكم أنها كانت منفصلة الواحدة عن الأخرى إلى حد أن الزواج لم يكن يسمح به دائما ، وأكبر هذه الأسرات أسرة كيكرويس* وأعضاء هذه الأسرة يسكنون صخرة الأكروبوليس التي وجدت عليها مدينة أثينا ، و آلهتهم الخاصة الإلهة أثينا .

ولكن الحاجات الاجتماعية والعواطف الدينية قربت بين هذه الأسرات وبدأت تتحد تدريجيا في مجموعات صغيرة ، وبمرور الزمن اختزلت هذه الأسر المائة إلى نحو 12 اتحادا ، وتنسب الأساطير الإغريقية إلى الملك كيكرويس عملية التوحيد والتغيير الذي انتقل به شعب أتيكا من حالة الأسرة الأبوية إلى حالة أكثر اتساعا وهي حالة الاتحاد ولم يكن كيكرويس يحكم سوى اتحادا واحدا من مجموع الاتحادات 12 ، وكانت الإحدى عشر الأخرى مستقلة تماما ، وكان لكل واحدة منها إلهها ومذبحها وناها المقدسة ورئيسها¹ .

واختلفت الآراء حول توحيد هذه الأسرات القديمة ، فهناك من يرجع هذا الاتحاد إلى السبب الاختياري تفرضه الحاجات الاجتماعية أو الدينية بحكم أن الرابط الديني كان أقوى روابط عملية التوحيد بين الأسر اليونانية التي تجمعت لتكوين اتحاد أو مدينة ما ، أن توقد نارا مقدسة وان تتخذ ديانة مشتركة ، في حين تفرضه أحيانا أخرى قوة عليا من جانب قبيلة أو إرادة قوية من جانب ملك إحدى الأسرات² .

ولكن مع مرور الزمن أصبحت مجموعة كيكرويس تدريجيا على أهمية أكبر من باقي المجموعات أو الاتحادات وكان من نتيجتها أن خضعت الاتحادات الأخرى لهذه المجموعة ، ولكن مع تحفظ واحد وهو احتفاظ كل اتحاد

* كيكرويس أو سيكرويس أو سكريس : اختلفت الروايات حول أصله ، نسبه البعض إلى مصر وأنه جاء من سايس حوالي 1533 ق.م ، وهو أحد أحفاد أيون ، ورواية أخرى تذكر أنه من الحكماء المصريين طرد من وطنه بسبب حرب أهلية التي قامت في منتصف القرن 16 ق.م ، جاء بعض أصحابه إلى أتيكا ، أسس 12 قبيلة منها أثينا وعلمهم كيفية غرس أشجار الزيتون وبذر الحبوب و حراثة الأرض ، وتذكر الأساطير اليونانية أن الملك سكرويس أسس بمساعدة الإلهة أثينا عند هضبة الاكروبوليس مدينة جديدة أطلق عليها اسم الآلهة ...، أنظر : جورج ديمتري ، تاريخ اليونان ، ط 1 ، بيروت ، 1876 ، ص 5 ، علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 67 .

¹ Pausanias ,T I , II , V , 6 , 3 .

² فوستيل دي كولانج ، المرجع السابق ، ص 167 .

بكهنته ومعبوده الوراثي¹ إلى أن تطورت عبادة أثينا الإلهة الخاصة بمجموعة كيكرويس تدريجيا وانتهت بان اتخذت من اسمها السيادة على الاتحادات الإحدى عشر الأخرى .

وفي هذه الأثناء ظهر ثيسوس (Theseus)² نحو منتصف القرن 13 ق.م وهو حفيد كيكرويس الذين استطاع جمع المجموعات 12 في مدينة وكتلة سياسية واحدة ، واعتبر جميع السكان مواطنين أثينيين ، وتسمى هذه الوحدة تحت اسم (سينويكيزموس) (Synoikismos) أي الحوار المدني³ .

والواقع أن ثيسوس قد نجح في توحيد هذه المدن ، وأن تتخذ في إقليم أتيكا كلها عبادة مشتركة هي عبادة الآلهة⁴ ، بحيث اشترك كل إقليم بالقيام باحتفال الباناثينايا (Panathenees) بعدما كان لكل قرية نارها المقدسة وبيت نارها بريتانينون (Prytanees) ، وبانتشار عبادة أثينا في القرى المجاورة أصبح من السهل توحيدها جميعا تحت رعاية هذه الآلهة (أثينا) وأصبح بيت نار أثينا هو المركز الديني لكل أتيكا .

وبالرغم من تحقيق الوحدة الأثينية ووجود حكومة المدينة المركزية ، احتفظت كل قرية أو اتحاد عبادتها القديمة لكنها اتخذت جميعا عبادة مشتركة ، أما من الناحية السياسية احتفظت كل واحدة برؤسائها وقضاها وحققها في الاجتماع⁵ ، ولكن بعد توحيد أتيكا وإخضاع كل المدن الصغيرة والقبائل 12 المستقلة ، أصبحت أثينا المركز الديني والسياسي للدولة ، حيث كانت تعقد الاجتماعات ، أين يجتمع جميع الناس لممارسة حقهم في التصويت ، فضلا على أنها مركزا تجاريا مزدهرا خاصة بعد امتداد أسوار المدينة في حدود القرن 5 ق.م لتضم ميناء بيريه (Piraeus) والذي يقع على بعد 3 أميال من الأكروبوليس تقريبا ، وبالتالي ربط المدينة بالبحر مباشرة⁶ .

وهو ما زاد من ثقة الأثينيين بأن لهم كل المؤهلات التي تمكنهم من إدارة مدينتهم ودولتهم ، وأصبحوا على استعداد تام للتكيف والتطور عند حدوث أي مشاكل التي تتطلب في العادة حلولا معينة ، فكان النجاح

Pasaunias , TI, (l'Attique) , V,

Pasaunias , TI, (l'Attique) , III , 3 .

¹

²

³ خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 383.

Pasaunias , TI, (l'Attique) , III , 3.

⁴

⁵ خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 383-384.

⁶ روبرت ، ج ، ليتمان ، المرجع السابق ، ص 26.

حليفهم المرة تلو الأخرى ، والنجاح يولد الثقة في النفس ويحمل للمد على المزيد من الإقدام والاعتزاز ، فلم يطل الوقت حتى أخذ الأثينيين يشعرون بأن مصالحهم الخاصة هي مصالح دولتهم¹ .

وخلاصة القول أن هذا الإتحاد السياسي ل12 إتحادا في أتيكا هو الذي مهد طريق العظمة الأثينية ، أولى الأعمال السياسية التي قام بها الأثينيون الذين كانوا بدورهم على عبقرية فطرية في شؤون الحكم والسياسة خاصة وأنهم كانوا يميلون بصفة عامة إلى معالجة المشاكل الاجتماعية بالطرق السلمية والتخلي بالعقل والفكر معا فألفوا بذلك كتلة متماسكة من البشر تمتاز بالانسجام المعنوي وتميل إلى التسامح وحسن المعاشرة وتعمل على تقدم الحضارة.

وعلى هذا الأساس اعتبرت أثينا من أشهر دويلات المدن اليونانية على الإطلاق حيث لعبت دورا بارزا في تطور بلاد اليونان وجسدت من خلالها ارقى الأنظمة السياسية بداية من النظام الملكي إلى غاية الحكم الشعبي (الديمقراطي) ، وتحقق ذلك من خلال عدد من الخطوات الحثيثة نحو تجسيد المبدأ الديمقراطي منذ القرن 6 ق.م ، وما إن حل منتصف القرن 5 ق.م إلا ووصلت هذه الأخيرة على قمة النضج خاصة في عهد بركليز .

وقد ساهمت بعض العوامل والمؤهلات الطبيعية في تحقيقها التميز الحضاري في العالم القديم وفي مقدمتها موقع المدينة في شبه جزيرة اتيكا ، لا سيما وأن تضاريسها تجمع بين عناصر الجبل والسهل والساحل ، بحيث ضمت أتيكا أثينا والأراضي والضواحي والقرى الصغيرة التي تحيط بأثينا ، وبالتالي كانت مركزا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا لكل اتيكا ، وفي هذا الصدد ركز أرسطو على ضرورة وحدة المكان ، فالأرض يجب أن تكون واسعة بحيث توفر الاكتفاء الذاتي للمدينة وتتيح للسكان حياة تنعم بوقت الفراغ غير متطرف ، كما يجب أن يكون موقعها متوسطا بين البر والبحر وان تكون على اتصال بكل أجزاء المقاطعة بحيث يمكن إرسال المساعدات الحربية ويسهل نقل المحاصيل الزراعية إليها .

2- طبيعة النظام الأثيني (تطور أنظمة الحكم في أثينا (القرن 8 ق.م إلى غاية نهاية القرن 4 ق.م) :

شهدت أثينا تطورا كبيرا في أنظمة الحكم منذ نهاية القرن 12 ق.م ، والتي كان لها دورا فعالا في تجسيد نظام الدولة المدينة الإغريقية ومؤسساتها السياسية ، خاصة بعد تعزيزه بجملة من الإصلاحات والتشريعات السياسية والاقتصادية .. الخ من طرف مجموعة من المصلحين السياسيين أبرزهم أرخون صولون ، وكما قال ك، موسىه : "إن

¹الكسندر تشالز روبنصن ، أثينا في عهد بركليس ، تر: أنيس فريجة ، مؤسسة فرنكلين للنشر والتوزيع ، نيويورك ، 1966 ، ص 18

عظمة اليونان القديمة تعود لكونها اخترعت السياسة أكثر مما تعود لمعبد البارثنون أو لفنون الأدب المأساوي"، وسوف نحاول تسليط الضوء على هذه الأنظمة السياسية بالتدرج وأولها نجد :

أ) النظام الملكي : تذكر الدراسات التاريخية أن السلطة السياسية في أثينا كانت مستمدة من الديانة مثلها مثل بلاد سومر أين تطورت الحياة السياسية فيها من دولة المعبد إلى دولة القصر ، واستطاع الملك السومري أن ينفصل بالتدرج من تسلط الكهنة ، ولكنه في الأمور الدينية بقي مرتبطا بالمعبد ، ونفس الوضعية نلاحظها في بلاد الإغريق حيث استمدت أثينا سلطتها السياسية من الديانة أو من عبادة الموقد والأسلاف ، فالديانة هي التي أوجدت الملك ، وهي التي أوجدت رئيس الأسرة في المنزل ، لذلك لم يكن الملوك بحاجة للقوة المادية أي للجيش والسلاح لفرض عروشهم بالقوة ، لأن العقائد الدينية هي التي تعاضدهم وتساندهم ، ولهذا قدسوها وصانوها¹ .

في بداية الملكية كان الملك " Bassileus " يتولى حكمه مدى الحياة ويتمتع بجميع الصلاحيات² ، لكن في منتصف القرن 8 ق.م عدلت مدة حكمه إلى عشر سنوات ثم إلى سنة واحدة فقط في بداية القرن 7 ق.م في ظل تزايد نفوذ الطبقة الأرستقراطية (ملاك الأراضي الزراعية) ، ليصبح فيما بعد واحدا من مجلس الاراخنة العشرة الذين يجري انتخابهم كل سنة ، ولا يؤدي سوى المهام الدينية³ .

أثبتت الأساطير الدينية أن ملوك أثينا حكموا بمساعدة الآلهة ، وهنا يبرز دور الدين في الحياة السياسية وفي مساعدة الملوك للوصول إلى سدة الحكم مثل : مساعدة الآلهة أثينا الملك سيكروبس (cecropus)⁴ أحد أحفاد أيون بتأسيس مدينة جديدة عند هضبة الأكروبوليس ، وأطلق عليها اسم (مدينة أثينا)⁵ .

وعلى هذا الأساس كان الملك يقوم بتلاوة الأدعية الدينية وتقديم القرابين ، وأن يجلب للمدينة حماية الآلهة ورضاها ، وبالتالي لم يكن باستطاعة أعدائه التفكير في الاستغناء عنه بغية الحفاظ على سلامة المدينة واستقرارها ، ولذلك لم يمسوا سلطته في مراحل الأولى ، فخضعوا له طوعا أو كرها لسلطانه أو لأسباب أخرى جعلتهم ينتخبونه رئيسا عليهم مثل اعتقادهم بانحدار ملوكهم من سلالة الآلهة وإلهامها⁶ ، وبذلك يشير هوميروس في

¹ أرسطو ، السياسات ، المصدر السابق ، 2 ، 3 ، 8 ، 9 ، 1285 .

² Eric D .Nelson , Susan K , Allard Nelson , op-cit . p 117.

³ أندري إجمار ، المرجع السابق ، ص 329.

⁴ - Pausanias , TI, (l'Attique), II, 6.

⁵ سيد أحمد علي الناصري ، الإغريق ... ، المرجع السابق ، ص 91.

⁶ محمد الخطيب ، الفكر الإغريقي ، المرجع السابق ، ص 284.

إلياذته إلى الحوار الذي دار بين هيكتور وأجاممنون فقال هكتور : " لا تخاطبني يا سليل زفس " ¹ ، وهذا ما جعل أفراد الرعية يحيطون الملك بالتقديس، حيث يقول أرسطو في هذا الصدد : " كان للملوك في الأزمنة الغابرة سلطة مطلقة في السلم والحرب ، لكن بعضهم تنحى عن السلطة من تلقاء نفسه ، وانتزعت عنوة من الآخرين .. " ² .

ونظرا لمكانته الدينية والسياسية أطلق على الملك في مدينة أثينا عدة ألقاب وتسميات أبرزها : اسم بازيلوس (Bassileus) ، ويلقبه هوميروس براعي الشعب أي الحاكم الأكبر والأول الذي يجب على الناس طاعته دون اعتراض لأنه يمتلك حقوقه الملكية ، فالملك هو الذي يمثل المدينة أمام الآلهة ومركزه الأكروبوليس ، ويقف على قمة الهرم السياسي الأثيني ، وله عدة وظائف دينية ، سياسية ، قضائية رفقة مجموعة من رؤساء القبائل الذين يشاركونه في تسيير أمور البلاد ³ ، بالإضافة إلى أنه يحمل العصا الملكية أو الصولجان الذهبي ذو المسامير الذهبية الذي يبرق في يدي أجاممنون — له قصة تضيفي عليه الجلال والاحترام- ، صنعه حسب معتقداتهم الإله هيفاتسيوس ومنحه زوس إلى هرميس ثم منحه هذا الأخير إلى أسرة بيلويس بعد أن اختارها الإله زوس بحكمة وقداسة إلهية، وفي احد مجالس مجلس الشيوخ الأثيني قال أحد الحاضرين : " أي اجاممنون الذائع الصيت إن كل ملك الرجال ، ستكون الهدف الأول والأخير لهذه الخطبة ، فأنت ملك لشعوب عديدة وقد منحك زوس الصولجان والحكمة الإلهية لكي تقرر مصائرنا ، فأنت أحق من الجميع بإبداء الرأي وبالاستماع لكي تنفذ الرأي الذي يصدر عن روح تعبر عن المصلحة العامة ، وأنت الذي تملك الفصل فيما يجب تقريره " ⁴ .

كما يرتدي الملك أيضا في أثينا الملابس القرمزية ويحتل مركز الصدارة في الاحتفالات ويسير على رأس المواكب واليه تقدم الكؤوس مترعة بالأحجار الكريمة تشريفا له ، ويجتمع الملك بضيوفه في قصره المسمى باسم البريتينييه وموقده هو الموقد العام الذي يجتمع حوله رؤساء العشائر لكي يحضروا تقديم القرابين والطقوس الدينية التي تسبق المداولات العامة أو استقبال عظماء الضيوف ⁵ ، بينما النبلاء يكونون أرستقراطية عسكرية تقوم بأعباء الدفاع عن المدينة في أوقات الحرب وتنعم بالرخاء في أوقات السلم ⁶ .

¹ هوميروس ، الإلياذة ، المصدر السابق ، ص 107 .

² أرسطو ، السياسات ، المصدر السابق ، 2،3،9،10 ، 1285 ب .

³ ج ، كيتو ، المرجع السابق ، ص 64 .

⁴ جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 75 ، 80 .

⁵ نفسه ، ص 74 .

⁶ ج ، كيتو ، المرجع السابق ، ص 64 .

وتشير الدراسات التاريخية أن النظام الملكي في بلاد الإغريق قام على مبدأ الملكية الوراثية أو مبدأ التوريث في الحكم¹ حيث خلف الملك سكرويس (Cecropus) -مؤسس مدينة أثينا- أبناءه وأحفاده الذين تعاقبوا على الحكم ، وذكرت الأساطير القديمة قائمة بأسمائهم البالغين عددهم حوالي 30 ملكا ، غير أن هذه القائمة مشوشة وفيها كثير من الخلط والاضطراب ، فهي تخلط الآلهة المحليين والأبطال والأجانب وحتى في الأسماء الحقيقية ، كما أنها لا تميز بين الملوك الذين انتقل الحكم إليهم بالوراثة ، والذين كانوا يتمتعون بالسلطة المطلقة ، وبين الملوك المنتخبين الذين اقتصرتهم مهامهم على الشؤون الدينية ، لذلك نجد الأخبار عن هؤلاء الملوك وحوادثهم ليس لها قيمة تاريخية ولا يجوز الاعتماد عليها² .

وحسب هذه القائمة حكم مدينة أثينا عدة ملوك من ذرية سكرويس إلى أرثخيوس (Erechteus) رابع ملك ذكر في القائمة ، ومن بين أحفاد سكرويس أيضا ثيسوس (Theuseus) الذي حقق الوحدة الشاملة لجميع القبائل 12 ووحدها في إقليم اتিকা من خلال إلغاء سلطة الممالك الصغيرة ، فتم في عهده تحقيق الوحدة آخر حلقة من حلقات الوحدة حيث يذكر ثوكيديديس : " أن ثيسوس حل جميع المجالس والحكومات للمختلفة في اتিকা ووحده السكان في مدين أثينا وأقام مجلسا واحدا"³ ، وفي سبيل تحقيق هذه الوحدة الأثينية صادف ثيسوس مقاومة عنيفة من قبل الذين ألمهم هذا التغيير ، ويأتي على رأس هؤلاء رؤساء الأسر ورؤساء العشائر والقبائل الذين كانت لهم السلطة العليا في أسرهم وعشائرتهم وقبائلهم بمقتضى هذا الحق الوراثي ، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل .

ولكن على الرغم من ذلك فقد حافظوا على الأقل بكل ما استطاعوا المحافظة عليه من سلطتهم القديمة ، وما تبقى لهم من هذه السلطة المحلية ، لأن ثيسوس لم يستطيع تدمير سلطاتهم المحلية ، وفي هذا الصدد يقول بلوتارخوس : " أن ثيسوس حاول أن يدمر بيوت النار المحلية لدى كل أسرة ، فلا عجب أن يكون الشعور الديني قد ثار عليه ، وليس من المستطاع أن نقول كم من نضال عاناه ، وكم من ثورة أخذها بالحصانة أو بالقوة ، أما الموثوق منه فهو أنه غلب على أمره في النهاية ، وطرد من أثينا ، ومات من المنفى "⁴ ، وهناك إشارة من الشاعر هوميروس في مصدره الأوديسة إلى عدة أسماء للملوك ، ومن بينهم الملك "المينوس الذي تحدث عن نفسه هناك اثنا عشر ملكا يحكمون الشعب و أنا الثالث عشر بينهم " ، وهو ما يدل على أن الملكية الوراثية تدعمت من

1- Eric D .Nelson , Susan K , Allard Nelson , op-cit . p 57 .

2 علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 69.

3 عبد الحميد رجب ، المرجع السابق ، ص ص 121-122.

4 بلوتارخوس ، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق ، تر: جرجيس فتح الله ، مج 1 ، الدار العربية للموسوعات ، 2010 ، ص ص 49-50.

طرف كبار زعماء العشائر¹، الذين كونوا مجلسا خاصا بهم عندما يخطئ وينحاز عن القانون يقوم المواطنون بانتخاب عشرة قضاة، وإلى جانبه أيضا مجلس المستشارين لمساعدته في تصريف أمور الحكم².

وآخر ملوك الفترة المبكرة في أثينا يدعى كدروس (كودروس) ، وحسب الأساطير القديمة أن الآلهة بشرت الدوريين بالانتصار على أهل اتيكيا بشرط عدم قتل ملك الأثينيين ، فلما علم كدروس بذلك تنكر بزري فلاح فقير وتقدم نحو معسكر الدوريين، أين تحرش بأحد الجنود الدوريين الذي أثار غضبه ، فما كان من ذلك الجندي إلا أن قتله ، ولما عرف الدوريون بمقتل الملك يؤسوا من نجاح حملتهم وارتدوا على أعقابهم ، فأعجب الأثينيون بإخلاص ملكهم وقرروا بعد ذلك إلغاء النظام الملكي بحجة انه لا يوجد من هو جدير بان يخلفه نظرا لإخلاصه ، وجعلوا ابنه ميدون أول الاراخنة (الحكام) في النظام الجديد³.

على الرغم من هذه الرواية، إلا أننا لا يمكن الاطمئنان إلى صحة أحداثها ، بل نستدل منها بان انتقال السلطة من الملوك إلى النبلاء الارستقراطيين لم يكن نتيجة ثورة بل تم بصورة سلمية ، حيث بدأ الحكم الملكي يتلاشى تدريجيا تحت ضغط الطبقة الارستقراطية التي كانت تشارك في بادئ الأمر الملوك في الحكم ، فأخذت بذلك صلاحيات الملك تتقلص⁴.

أ-1- المهام الملكية : تذكر المصادر التاريخية أن نشأة مدينة أثينا وظهورها كان من نتاج جهد الملوك الذين وضعوا اللبنة الأولى لنظمها وقوانينها ، حيث يعود لهم الفضل في اتخاذ الكثير من الإجراءات والخطوات التي أدت إلى تكوين مدينة أثينا خاصة في فترات الاضطراب والفوضى ، وهذه الظروف ساعدتهم على التمسك بمقالد الحكم والسلطة العسكرية ، وبالتالي يتولى الملك العديد من الوظائف والصلاحيات التي تميزه عن غيره من الأثينيين ولعل أبرزها :

1-منصب الملك : أي الحاكم الأعلى للمدينة الذي يدير شؤون المدينة بأكملها ، والإشراف على الشؤون السياسية و الإدارية والاقتصادية⁵ ، وقيادة الجيش للدفاع عن مدينتهم والأرض التي نزلوا ضد الاعتداءات الخارجية

¹ محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 121.

² سيد أحمد علي الناصري ، الاغريق ،...، المرجع السابق ، ص 91.

³ محمد السيد محمد عبد الغني ، السياسة الأثينية في القرن الخامس قبل الميلاد بين الازدهار والانكسار ، مجلة عالم الفكر ، ع2، مج 38 ، الكويت

2009، ص 136، فوزي مكاوي ، المرجع السابق ، ص 94.

⁴ محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص ص 214-215.

⁵ فوزي مكاوي ، المرجع السابق ، ص 94.

بالإضافة إلى السهر على إقرار الأمن والسلام من خلال رعاية العدالة والمساواة خاصة بعد الاستقرار في حوالي القرنين 10 و9 ق.م ، وما ترتب عنه من تزايد أعداد السكان حول القلعة ، وما نجم عن ذلك من تعقد سبل الحياة ونشوب الخلافات والمنازعات بين الأفراد ، فكان على الملك التدخل للفصل فيما شجر بينهم وإقرار العدالة مما أدى إلى ازدياد نفوذهم¹ ، حيث يقول أرسطو : " بالإمكان جعل الملكية في رتبة الأرسقراطية لأن أساسها الاستحقاق ، تعلق الأمر بالقيمة الشخصية للفرد أو بقيمة عائلته أو بالخدمات المقدمة أو بكل الصفات معا ، بالإضافة إليها قدرة فعل الخير"² .

-بالإضافة إلى استقبال عظماء الضيوف وتمثيل المدينة في المحافل السياسية بكلمات الحق فهو يسبب سعادة أو شقاء شعبه ، وفي الصدد يقول هوميروس: " عندما يقيم ملك يخشى الآلهة ولا يسموا إليه عيب ميزان العدل ، تخصب الأرض السوداء بالقمح والشعير وتثقل الفواكه الأشجار ، وتنتج الأغنام الحملان باستمرار ويغص البحر بالسماك .. كل شيء يزدهر عندما يحسن الملوك ويصبح الشعب سعيدا"³ .

2-منصب الوظائف الدينية : نظرا للقدسية الدينية التي يتمتع بها الملك في أثينا وتفضيله من قبل الإله زيوس أصبح لهم الحق في تمثيل المدينة أمام مجمع الآلهة ، و في كافة المناسبات الدينية والسياسية باعتبارهم يملك السلطة والقوة ، ويستطيع الاتصال بالآلهة نيابة عن الجميع ، وأن يحصل على نعمها ويدراً غضبها على البشرية فهو واسطة البشر عند الآلهة ، وممثل الآلهة بين البشر ، ويتسلمه الصولجان يتسلم أسرار الآلهة⁴ ، بالإضافة إلى أنه كان بمثابة الكاهن الأكبر للمدينة يتولى مهمة الإشراف على القصور والمعابد ويشرف على المسائل الدينية مثل: تأدية طقوس العبادة لإله أو لآلهة المدينة وحمايتها ، و تقديم القرابين والأضاحي مثل: سكب الماء المقدس والشعير المقدس .. الخ⁵ .

-القيام ببعض الأعياد الدينية والإشراف عليها مثل : أعياد ديونيسوس أي أعياد المعاصر ، وهي موكب ديني ومباراة فالموكب ينظمه الملك ومعاونوه معا ، وأما المباراة يشرف على إعدادها الملك وحده ، كما يشرف على تنظيم جميع مباريات المشاعل والتعهد بتقديم الذبائح المتوارثة عن الأجداد كلها⁶ .

¹ إبراهيم عبد العزيز الجندي ، المرجع السابق ، ص282.

² مصطفى مولاي رشيد ، فن الطغيان في بلاد اليونان (مقتطفات من تأليف أرسطو) ، ط1، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2012 ، ص27.

³ جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 75.

⁴ سالم يونس عبد الكريم سالم ، المرجع السابق ، ص ص 8-9.

⁵ Hammond , op-cit , p140 .

⁶ جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 75.

3-منصب قاضي القضاة والقائد الأعلى: أي الحكم في الدعاوي المرفوعة له ، وله السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ، ففي كثير من الأحيان يعود إلى العرف والعادات للفصل في القضايا فيبرز بعضهم القسم لإنجاز هذه المهمة ، والبعض الآخر لا يبرز ، وقسم منهم كان يقوم ببسط يدهم بالصولجان¹ ، ولم يكن له سلطة إصدار الإعدام وتنفيذه إلا في أوقات الحرب ، كما له الحق في إعلان الحرب والسلم وإبرام المعاهدات² فأجائون كان يصير على التفرغ في المحافل ، ولكنه في وقت الإغارة على الأعداء ، كان من صلاحياته الحكم بالإعدام ، ولذلك يقول : "من أحده بعيدا عن ساحة الوغى فلن يقوى على الهرب من الضواري والجوارح لان الموت في يدي"³ .

- يعتبر الملك الرئيس الأكبر والقائد الأعلى للحملات العسكرية ، يجمع أعوانه ومرافقيه من القادة العسكريين داخل خيمة مجلس الحرب بهدف إبداء آرائهم ، ولكنه هو الذي يفصل في الأخير بالقرار الحسن ، بالإضافة إلى الترتيب للمعارك العسكرية ، وتعيين لكل وحدة عسكرية مكانها ، واختيار لكل فرقة عسكرية رؤساءها ، وكي ينفذ أوامره وقراراته يلجأ إلى الإعلان عنها في أجورا المعسكر ، وله حق الحياة أو الموت على الجميع .

- عقد الاتفاقيات الرسمية واستقبال الرسل والسفراء الذين يرسلون إلى معسكره أو إلى المدينة ويستمع إلى عروضهم ويدلي إليهم بجوابه⁴ ، وقبل الإقدام على أي عمل لابد عليه من استشارة رؤساء العشائر الأخرى على الرغم من تأييد الآلهة لقراراته إلا انه يدعو جميع المواطنين المتمتعين بالحقوق المدنية إلى الاجتماع في ساحة الاجورا ، حيث تعرض عليهم القضايا للمناقشة ، ولا يصدر أي قرار إلا بعد التفكير والمناقشة لان مصالح الشعب تؤخذ دائما بعين الاعتبار قبل إصدار أي قرار⁵ ، بالإضافة إلى النظر في بعض الأمور الدنيوية خاصة فيما يتعلق بجوانب الحياة الاجتماعية كأموال الإرث والأيتام والزواج والطلاق .. الخ⁶ .

- الإشراف على دعاوي الإثم العمومية التي ترفع إليه ، ودعوى المطالبة بكهنوت ، وانتهاك حرمة الآلهة ومقدسات البلاد ، والفصل للآسر والكهنة في جميع خصوماتهم بشأن الأقداس أو الامتيازات الدينية بالإضافة إلى الإشراف على دعاوي التي تخص القتل والإعلان عن مقتريها بالحرمان عن الحقوق المدنية ، فضلا عن دعاوي أخرى تخص

¹ أرسطو ، السياسات ، المصدر السابق ، 7 ، 10 / 1285 ب .

² عاصم احمد حسين ، المرجع السابق ، ص 155 .

³ أرسطو ، السياسات ، المصدر السابق ، 2 ، 10 ، 1285 أ .

⁴ جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 75 .

⁵ علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 70 ، محمد الخطيب ، الفكر الإغريقي ، المرجع السابق ، ص 284-285 .

⁶ -

الجمادات وعلى سائر الحيوانات .. الخ¹ ، حيث يسعى الملك دائما أن يكون حاميا ومانعا لئلا أن يصير أصحاب الثروات ضحايا لإجراء تعسفي ، والشعب من معاناة أي إهانة² .

أ-2- المؤسسات السياسية في النظام الملكي : يساعد الملك في مدينة أثينا عدة مؤسسات سياسية لتسيير أمور مدينته والسهر على نظامها واستقرارها ، ولعل في مقدمتها نجد :

1- مجلس الشيوخ : اتخذ هذا المجلس العديد من التسميات مثل: مجلس الأروبايوس (Areopagus) ، واشتق هذا الاسم من هضبة أريس (Ares) التي تقع غرب الأكروبوليس، أين كانت تعقد اجتماعاته للنظر في القضايا الجنائية ، بالإضافة إلى تمييزه عن باقي المجالس السياسية الأخرى التي تأسست فيما بعد³ ، كما أطلق عليه العديد من التسميات الأخرى مثل: مجلس الشورى أو الشيوخ، أو كبار الأعيان ، أو مجلس البولي (Bule) أو (Boule) ، مجلس المستشارين ، رجال الاجورا ، شيوخ الشعب .. الخ⁴ .

يضم هذا المجلس كبار الأعيان ورؤساء العشائر المتقدمين في السن أو كبار الموظفين في الدولة ، وهم الطبقة الارستقراطية الذين يحيطون دائما بالملك ، يزاولون مهامهم مدى الحياة وحسب المصادر يتم انتخابهم بطريقة غريبة نوعا ما ، حيث انه إذا خلا مكان في المجلس كان يطلب إلى من يتقدمون للملئ هان يمروا صامتين واحدا بعد الآخر أمام الجمعية فمن صوت له بأعلى الأصوات وأطولها أعلن انتخابه ، ثم يعرض المنتخبون على مجلس الشعب " الأبلأ"⁵ ، يتناولون طعامهم معا في مكان يسمى بقبة القصر ويتقاضون معاشهم من الدولة⁶ .

ازدادت أهميته أكثر في عهد الحكم الارستقراطي حيث أصبح الدعامة الحقيقية لسلطة البلاد نظرا للوظائف التي أوكلت إليه والصلاحيات التي تمتع بها ، إذ يجتمع أعضائه كل يوم إلا أيام العطلة ، ومن أبرز المهام التي يتولاها هذا المجلس مايلي :

¹ أرسطو ، دستور الأثينيين ، تع : الأب أوغسطينس بربارة ، ط2، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، ص ص 146-147 .

² مولاي رشيد ، المرجع السابق ، ص 27 .

³ فوزي مكاي ، المرجع السابق ، ص 95 .

⁴ جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 79 ، ليلي عبد القادر علي الغناني ، المرجع السابق ، ص 148 .

⁵ ول ديورانت ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 182 .

⁶ جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 79 .

-عرض قرارات الملك المتخذة في أمور البلاد عليه بغية مناقشتها والتشاور فيها والإشراف على شؤون المدينة من الناحية الداخلية والخارجية مثل : إرسال البعثات الدبلوماسية إلى الخارج ¹ .

-يخول للمجلس سلطة تغيير الملك وتبديله باتفاق كلي ، كما لهم الحق الاقتراح في منح الأمير إقطاعا ، ولهم دور يقومون به في العلاقات الخارجية حيث يتم استدعائهم من قبل الملك للحضور معه في استقبال الضيوف خاصة ما إذا كان الضيف مميّزا عن طريق تقديم الهدايا والهبات ، و أن يعيده إلى وطنه فوق إحدى السفن الدولة ² .

-الإشراف على شؤون مجلس العامة الأحرار ³ .

- الإشراف على تنظيم لوائح القضايا التي يجب على المجلس تداولها ، ومناقشتها وجدول أعماله اليومي ومقر جلساته مثل: الإشراف على الدعاوي المرفوعة إليه مثل بعض دعاوي القتل حيث كانوا يلقون من فوق صخرة الأكروبوليس المحكوم عليهم بالإعدام ⁴ ، ودعاوي الجرح التي تخص دعاوي العقاقير والتسميم ، حيث إذا أعطى شخص ما دواء وقتل به يعاقب ، بالإضافة إلى دعاوي الحرائق .

-الإشراف على تنظيم الدورات الرئيسية لمحافل الأمة التي تناقش فيها أمور البلاد على أن يكون التصويت علني ⁵ .

-الإشراف على خزانة الدولة ومساعدة الملك في تقطيع الذبائح والقرابين ⁶ ، وتنفيذ بعض القرارات في حق سكان المدينة مثل : تجنيد البحارة وجمع النفقات ... الخ ⁷ .

وتشير الدراسات التاريخية إلى أن مجلس الشيوخ تتغير وظائفه بحكم الظروف التي تعيشها مدينة أثينا خاصة ما إذا اقتربت بفترات السلم والحرب حيث يتغير دورهم في ميدان القتال ويتحول إلى مجلس الحرب ويتدخلون في قيادة العمليات العسكرية وتسير الجيوش الأثينية، ويساهمون في إتمام المعاهدات بحلف اليمين ، وفي غياب الملك يمارس مجلس الشيوخ اختصاصات ومهام أخرى قضائية (قضاة) بحكم أنهم منحوا سر القوانين الإلهية مثل الملك وباستطاعتهم أن يطبقوا كأعضاء في مجلس الشيوخ تلك الحكمة في كل المناسبات ما دامت تلك الحكمة تعتبر

¹ أرسطو ، دستور الأثينيين ، المصدر السابق ، ص 115 .

² جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 81 .

³ أرسطو ، دستور الأثينيين ، المصدر السابق ، ص 115 .

⁴ فوزي مكاي ، المرجع السابق ، ص 59 .

⁵ أرسطو ، دستور الأثينيين ، المصدر السابق ، ص 147 .

⁶ عاصم احمد حسين ، المرجع السابق ، ص 156 .

⁷ جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 81 .

كقرار من قرارات زيوس ، وبالتالي اعتبر المجلس بمثابة محكمة العدل العليا التي ترفع إليها كل القضايا والحوادث المهمة التي تخص أمور العامة بهدف تحقيق مبادئ الحكمة والعدالة بين الأسر ، وبهذا فان وظيفتهم القانونية تكمن في :

-الحكم بالحق والعدالة بين الناس حيث كل فرد يحتفظ بحريته في الدفاع عن نفسه ، وعن ماله حتى يصدر الحكم في حقه .

-تهدئة الحواظر وإقامة السلام بفضل إحدى تلك الحكم التي تعلموها عن آباؤهم والتي تنطق بالحكمة الإلهية في لغة البشر ، وكان مركزهم في البداية ساحة الأجورا أين يحتشد الجمهور ، وتعلن فيها الأحكام الأكثر استقامة ، لكن مع تقدم المدينة ونمو الحياة الاقتصادية في بلاد الإغريق ، زاد من عدد الخصومات التي تعرض على الشيوخ ، فأصبحت الجلسات تعقد من الصباح إلى المساء ، ويقبضون الأمانات التي يودعها المتخاصمون ويحضرون ولائم الصلح .. الخ¹

ولكن مع مرور الوقت تجمعت في أيدي هذا المجلس مهام الوصاية على القوانين والإشراف على انتخاب المرشحين ، وبمرور الوقت صار مجلس الأريوباجوس صاحب السلطة الحقيقية في أثينا خاصة خلال الحكم الارستقراطي² .

2-الجمعية العامة (مجلس العامة) : كان هذا المجلس يضم كل طبقات المجتمع الأثيني إلا أن دوره السياسي لم يكن واضحاً مثل مجلس الشيوخ³ ، يعرف هذا المجلس باسم الجمعية الشعبية (الإكليزيا) وهي تتكون من المواطنين الأثينيين الأحرار الذين بلغوا سن العشرين سنة ، وبذلك فهي تضم كل طبقات المجتمع الأثيني والذين يمثلون جنودها في نفس الوقت ، ولهذا لم يكن لهذا المجلس أية سلطات خاصة منها السياسية ، ولكنه يجتمع بمجرد الاستماع لقرارات الملك بعد مشورة مجلس الشيوخ ، وقد جرت العادة أن يجتمع أعضاء هذه الجمعية عشر مرات

¹ جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص ص 81-82.

² فوزي مكاي ، المرجع السابق ، ص 95.

³ ابراهيم عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 83.

في السنة و تؤجل جلساتها عند خسوف القمر أو كسوف الشمس أو أثناء الزلازل وهبوب العواصف لأنها إشارة على غضب الآلهة¹، والانتساب لعضوية الجمعية العمومية كان يتم وفق شروط معينة منها :

- أن لا يكون الشخص مدينا للمدينة وان يتمتع بأخلاق فاضلة .

- أن لا يكون مالكا لعقار ووفيا بالتزاماته إزاء المدينة .

- أن لا يكون فارا من أي معركة حربية² .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الملك الأثيني يحتاج إلى أن يعلن عن قراراته المتخذة للشعب وان يعرفوا موقفه منها ، فإلى جانب رأي مجلس الشيوخ كان يوجد رأي الشعب أي رأي العامة الذين يلتقي بهم في ساحة الاجورا (مركز جميع مواطني المدينة وجميع محاربي الميدان) خاصة فيما يتعلق بالقرارات المصيرية المتعلقة بالبلاد مثل :إعلان الحرب أو عقد هدنة لأنهم يشكلون مجلس الجنود العسكري ، فكان لزاما عليهم أن يستمعوا للقرارات التي يتخذها الملك بعد استشارة مجلس الشيوخ ليقنعوا بها رغم أنهم لا يمتلكون حق المعارضة³ ، وفي هذا الصدد يرجع هوميروس في مصدره الأوديسة أن سبب الفوضى والمشاكل الداخلية التي حلت في مقاطعة اتيكيا سببه يرجع إلى غياب الملك أوديسيوس (أوليس)* عن المدينة حوالي عشرين سنة-بعد رجوعه من حرب طروادة- فلم يكن في الجزيرة اجورا ولا أي ندوة تناقش فيها أمور البلاد⁴ ، ومن مهام هذا المجلس ما يلي :

- التصويت على القوانين والمراسيم عن طريق رفع الأيدي⁵ .

-التشاور في المسائل والكوارث العامة التي تتعرض لها المدينة مثل : قضية الطاعون ، الخلاف بين الرؤساء ..الخ.

¹ نور الدين حاروش ، تاريخ الفكر السياسي ، ط1 ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2004 ، ص 35 ، ممدوح درويش مصطفى ، إبراهيم السايح ، مقدمة في تاريخ الحضارة اليونانية والرومانية "تاريخ اليونان" ، ج1 ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، 1999 ، ص 13 .
² عادل خليفة ، الفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى ، ط1 ، دار المنهل اللبناني للنشر والتوزيع ، بيروت ، 2001 ، ص 44 .
³ سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 91 .

*أوديسيوس (اوليس) : ملك أسطوري في مملكة ايثكا أو اتيكيا ، زوجته بينلوب وابنه يدعى تيليماخوس .. اشتهر بمغامراته في البحر ضد اله البحر بوسيدون بعد عودته من حرب طروادة والتي دامت حوالي عشر سنوات ، ويعود له الفضل في حيلة الحصان الخشي الذي بواسطته استطاع الإغريق إلحاق الهزيمة بالطرواديين واقتحام مدينتهم ، وبعد هذه الحرب ظل في البحر لمدة عشر سنوات وهو يصارع غضب الآلهة حتى ظن أهل مملكته انه مات ولن يعود استأنوا بسلطته وأمواله وطمعوا في عرشه وزوجته الوفية له ...، أنظر: , Alexis Pierre, histoire de la littérature grecque , l'hacho, paris , p236.

⁴ هوميروس ، الأوديسة ، المصدر السابق ، ص ص 7-8 ، جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 83 .

⁵ نور الدين حاروش ، المرجع السابق ، ص 35 .

-الإعلان عن الأنباء التي تأتي من الجيش في ساحة القتال ، ويقترحون فتح باب المفاوضات في الصلح ، وفي أجورا الجيش كانوا يتناقشون حول إطلاق سراح المسجونين والأسرى ، ويتباحثون في استمرار القتال أو التمهقر ، ويفحصون العروض التي يقدمها العدو .

-الإعلان عن المكافآت التي تمنح لمن يؤدون خدمات عامة للبلاد¹

أ-3/ نهاية الحكم الملكي : مع نهاية القرن الثامن قبل الميلاد قارت الملكية على نهايتها في مدينة أثينا لعدة أسباب ولعل أهمها ما يلي :

-انتهت الملكية بعد مقتل أحد ملوكها المسمى باسم كودروس الذي ضحى بنفسه من أجل إنقاذ وطنه من الخطر الدوري ، وبعد هذه الحادثة لم يجد الأثينيون من يستحق الجلوس على العرش الملكي فألغوا نظام الحكم الملكي تماما²، غير أنه لا يمكن الاعتماد على هذه الأسطورة في كيفية الانتقال من النظام الملكي إلى الأرستقراطي ، لأن كيفية الانتقال جاءت تدريجيا وبتأثير من الطبقة النبيلة الأرستقراطية التي شاركت الملوك في الحكم ، حيث كانوا من قبل أعضاء في مجلس استشاري للملك ولهم خبرة في تصريف الأمور فضلا عن تمتعهم بالمنزلة الرفيعة في أعين المواطنين العاديين من جراء شرف منزلتهم وثروتهم وثقافتهم³.

-تعرض الملكية للتدهور المستمر إثر صراعها المتكرر مع الطبقة الأرستقراطية، فبعد تشجيع الملوك لأرباب الأسر القوية على الانتقال للعيش بجوار مقرهم بمدف مراقبتهم والاطلاع على أنشطتهم، وبذلك زادت سلطتهم وقوتهم بأن جعلوا الإدارة أكثر قدرة وكفاية إلا أنهم على المدى البعيد خسروا مقاعدهم الملكية على أيديهم⁴، وانتهى هذا الصراع بتقليص نفوذ الملوك والحد من صلاحياتهم على حساب الأرستقراطيين⁵ الذين استطاعوا تحقيق السيطرة التامة على المجتمع الأثيني نظرا لسيطرتهم على مساحات واسعة من الأراضي الزراعية والرعية⁶، بالإضافة إلى أنهم يشكلون طبقة الفرسان ، وتم ذلك في هدوء وسلام بإخضاع الملك لرقابتهم وإشرافهم*، وسحبوا منه سلطة قيادة الجيش وأسندوها إلى احدهم يدعى البوليمارخوس (Archon Polemarchos)، كما نزعوا منه

¹ جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 84.

² بكري حسن صبحي ، المرجع السابق ، ص 49.

³ محمد الخطيب ، المرجع السابق ، ص 285.

⁴ إبراهيم عبد العزيز الجندي ، المرجع السابق ، ص 283

⁵ -

Eric D .Nelson , Susan K , Allard Nelson , op-cit , p117.

- Jean Kinney Williams , op-cit , p27.

السلطة الإدارية وأسندوها إلى واحد آخر عرف باسم الارخون اوبنيموس (Archon eponymos)، وكانت صلاحياتهم لمدى الحياة في بداية الأمر ثم قلصت إلى عشر سنوات في منتصف القرن 8 ق.م ، وأخيرا اقتصر على عام واحد منذ أوائل القرن 7 ق.م¹ .

- دور المحجرات البشرية داخل وخارج بلاد الإغريق وتأثيرها على البنية الاجتماعية للمجتمع الأثيني ، حيث أدت لحدوث تغيير اجتماعي واندماج المجتمعات المتفرقة في مجتمع واحد لغايات سياسية ، ففي أثينا شهدت تغيرا في نظامها السياسي وتطور كبير في بنيتها الاجتماعية متزامنة مع نهاية الملكية مما أفقدها وجودها واستمرارها كنظام² .

- تسليم الناس بأن السلطة العامة لم تعد لصيقة بمنصب الملك ، وحتى القوة الضخمة التي كان الملك يستمدها من قيادته للجيش أصبحت في خطر، ودوره الإقطاعي بدأ بالتراجع ولهذا حدث نوع من التمرد ومحاولة الإطاحة به مثل: محاولة الإطاحة بملك جزيرة كريت " ايدومينييه" من قبل إحدى رؤساء العشائر الذي رفض الانطواء تحت لوائه ، فقام بحملة إلى جوار الجيش النظامي ، فقتل ابن الملك بهدف حرمانه من الغنائم والإتاوات³ .

- استبدال نمط الحكم الوراثي في أثينا في القرن 8 ق.م بنظام الانتخاب ، حيث يتم اختيار الملك من بين أفراد الأسرة الملكية الارستقراطية مع تحديد مدة بقائه في الحكم على أن لا يتجاوز عشر سنوات مع تقليص مهمة الملك وحصرها في المهام الدينية ، وبالتالي كانت الملكية تتلفظ بأنفاسها الأخيرة في أثينا لتسيطر عليها الطبقة الارستقراطية⁴ .

- أدت أخطاء الملوك وخطرستهم واستبدادهم إلى ثورات عنيفة وتدهور في الأوضاع الداخلية للمدن اليونانية أو اعتلاء ولي العهد الحكم وهو صغير السن في بعض المدن الإغريقية إلى تشجيع النبلاء على إلغاء الملكية⁵ .

*سحبت الطبقة الارستقراطية صلاحيات الملك رويدا رويدا إلا أن أصبح الصراع واضحا بين الملكية والارستقراطية ، حيث أصبح الملك حاكما في أثينا

وكورنثيا وكاهنا في افسوس وميليتوس وناكسوس ..، أنظر: Hammond ,op-cit, p 142

¹ فوزي مكاي ، المرجع السابق ، ص 94 .

² لطفي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص 106 .

³ جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 91 .

⁴ ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص 162 .

⁵ إبراهيم عبد العزيز الجندي ، المرجع السابق ، ص 283 .

*الحكم الارستقراطي : اشتق هذا اللفظ من المصطلح اليوناني "ارستوي" أي حكم النبلاء القديمة ، أو حكومة الصفوة من رجال الفضيلة والفكر عند الفلاسفة اللاحقين ..، أنظر : جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 101 .

وخلاصة القول أن الملكية لم تتحطم بالقوة ، ولكنها أصبحت بيد الأرستقراطيين بعد محاولات الملوك الكثيرة لتقوية نفوذهم وسلطاتهم لدرجة الميل إلى الاستبداد بالحكم متجاهلين مؤسسات الحكم الأخرى من مجالس استشارية وجمعيات شعبية مما أدى إلى معارضة كبيرة من طرف مجالس المستشارين الذين عارضوا قوانينه ، وفي اغلب الأحيان أجبروا الملوك على الاعتدال في حكمهم وسياستهم والتعهد باحترام شعوبهم المتمثلة في مجالسهم ومجتمعاتهم وتحديد سلطاتهم تحديدا صارما لدرجة تجريدهم منها بحيث يبقى الملك بالاسم فقط مثل : اسيرطة ، تساليا .. الخ ،

ب) النظام الارستقراطي (من القرن 7 ق.م إلى نهاية القرن 5/6 ق.م) : شهدت أئينا عقب انتهاء الملكية في حدود القرن 8 ق.م قيام نظام الحكم الارستقراطي* أو حكم الصفوة من الأشراف¹ والنبلاء من ذوي النسب العريق من كبار ملاك الأراضي² والضيعات الشاسعة والخصبة³ الذين أخذوا على عاتقهم مهمة الإطاحة بالملكية والحد من السلطات الممنوحة للملك ، وجعلها بيد الارستقراطيين زعماء العشائر⁴ .

والجدير بالذكر أن الحكام الارستقراطيين كانوا يرجعون أصولهم إلى الآلهة ، ويتمتعون بنبالة الدم مثل : أسرة فيلايس التي تفتخر بعودتها إلى أصل موغل في القدم ، فيزعم أحد أفرادها المسمى "هيبوكلايس" الذي كان ارخونا عام 555/556 ق.م أن جده الاثني عشر كان البطل "أياس" ، وهكذا تكونت أرستقراطية مهجنة ، حيث احتفظ الأصل والأرض بمكانتهما ، وأصبح سلم القيم الاجتماعية يقوم على الثروة مهما كان مصدرها ، وكى يصبح للفرد الحق في مناصب الحكم يجب أن يكون على استعداد لأن يقدم الضحايا الفاخرة في احتفال توليته ، وأن يقيم للشعب الولائم والأعياد ، ويزين المدينة بالمعابد والتماثيل ، وبالتالي أخذت الارستقراطية تنقلب إلى بلوطقراطية أي "حكومة المال"⁵ ، بينما في نظر أرسطو فإن ترتيب النبلاء يأتي حسب اعتبارات معينة مثل : الثروة ، نبل النسب ، الاستحقاق ، التربية وامتيازات أخرى أساسها قيم أخرى مثل : القيمة التي يقدمونها لمجتمعهم من فضل وخدمة وعطاء⁶ ، وفي هذا الصدد يقول أرسطو : "الذين كانوا يرجعون بأنسابهم إلى الآلهة

¹ محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 136 .

² Xenophon , Gouvernement des Athéniens , trad par : Eugène Talbot , librairie de la Hachette et G , Paris , 1859 , I , 3 , 4

³ عبد السلام التايب ، تاريخ دولة مدينة : أئينا بين القرنين 8 و4 ق.م ، ط1 ، طباعة ونشر سوس ، المغرب ، 2016 ، ص 15 .

⁴ Hammond , op-cit , p140 .

⁵ جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص ص 98 ، 101 .

⁶ أرسطو ، السياسات ، المصدر السابق ، 71 ، 4 ، 25 ، 1291 ب .

والأبطال والأمراء ويفاخرون بالمجد الذي انتقل إليهم جيلا بعد جيل ، وهم الذين يملكون الأراضي الواسعة الغنية، ويملكون الخيل والأسلحة اللازمة وكونوا طبقة أرستقراطية قوية¹ .

ونظرا لهذه الامتيازات اعتبر النبلاء أنفسهم الوحيدين القادرين على تسيير أمور المدينة² ، وأن تتركز جميع السلطات بأيديهم بسبب الخبرة التي يمتلكونها منذ العهد الملكي في أمور الحكم والإدارة والشؤون القانونية ،بالإضافة إلى تباهيهم بأصلهم النبيل حتى أنهم يتعالون على أفراد الطبقات الأخرى خاصة الذين ليس لديهم أرض³ .

إن الانتقال من النظام الملكي إلى النظام الأرستقراطي يمثل انتقالا من وضع كانت فيه السلطة مركزة في يد شخص واحد إلى نظام أصبحت فيه السلطة في يد جماعة من الناس هم أصحاب الأراضي ،أي من نظام فردي إلى نظام جماعي له دستوره وقوانينه حيث أصبحت الطبقة الأرستقراطية هي المسيطرة على زمام الحكم في أثينا⁴ .

هذا التغيير السياسي في نظام الحكم الأثيني في بداية القرن 7 ق.م لم يؤدي إلى حدوث تغيرات دستورية ، وذلك لأن منصب الملك لم يبلغ تماما وإنما اقتصر التغيير المحدث على توزيع سلطاته على عدد من الحكام وهم الأراخنة* ،وبذلك فقد الملك معناه الحقيقي وأصبح يطلق على احد الوظائف الحكومية التي ينتخب صاحبها لمدة سنة واحدة مثله مثل غيره من الموظفين⁵ إلا سلطته الكهنوتية من أجل سلامة المدينة ، فهو القادر بمقتضى الحق الموروث على أن يجلب للمدينة حماية الآلهة⁶ ، ولهذا اكتفوا بأن ينتزعوا منه السلطة السياسية ، وفي هذه الوضعية أصبح الملك كاهنا فقط لا غير⁷ ، وعلى هذا الأساس أصبحت حكومة أثينا بداية من القرن 7 ق.م تقوم على ثلاث رؤساء يعرفون باسم (الأراخنة) .

¹ نفسه ، 3 ، 9 ، 8 ، 1285 ب .

² Hammond , op-cit , p140.

³ Eric D .Nelson , Susan K , Allard Nelson , op-cit . p 57.

⁴ حسين السيخ ، المرجع السابق ، ص 29.

* الأراخنة : انحصر هذا النظام في البداية على ثلاث وظائف فقط ، لكنه ومع تطور الوضع في أثينا ازداد عددهم وأصبح تسعة ، واختص هؤلاء الأراخنة باسم ايرونوسوس ، ويجلس الأرخون في مكان يسمى البروتينيون (مركز رئاسة مجلس الشورى) ، ويجتمع فيه القائمون بمراقبة الأعمال مع الرؤساء الرسميين...،أنظر: أرسطو، نظام الأثينيين ، المصدر السابق ، ص ص 24، 45.

⁵عاصم أحمد حسين ، المرجع السابق ، ص 156، محمد الخطيب ، الفكر الإغريقي ..، المرجع السابق ، ص ص 285-286.

⁶تحليل سارة ، المرجع السابق ، ص 396

⁷ Eric D .Nelson , Susan K , Allard Nelson , op-cit , p117

أ/- نظام الاراخنة : تميز هذا النظام بتقسيم الوظائف بين :

1-الملك أو باسيلوس (Basileus)¹ : يتولى رئاسة الاحتفالات والمهرجانات الدينية للدولة والحكم في المنازعات بين القبائل والكهنة في قضايا القتل أي صلاحيات دينية (الكهانة) باعتباره ممثل المدينة اتجاه الآلهة، بالإضافة إلى الإشراف على القصور والمعابد² ، وكان الملك يقيم في مكان ما يسمى بوكيليون* على مقربة من البروتينيون(مركز رئاسة مجلس الشيوخ).

2-الحاكم أو أبنيميوس (Archon eponymos)³ : هو رئيس الجهاز التنفيذي والإداري ، يتولى القضايا المدنية وينظر في أمور الزواج والإرث والأيتام ، كما يترأس الحفلات في الأعياد .

3-القائد أو بوليمارخوس (Archon Polemarchos)⁴: يتولى إدارة الجيش⁴ والنظر في قضايا الأجانب القاطنين بأثينا فكان يمثل السلطة العسكرية والقضائية من قضاة وحراس المدينة ، وقد استحدث هذا المنصب لأن بعض الملوك أظهروا ضعفا في الحروب⁵ ، وكان يجلس في مركز القيادة الحربية (الأبيلوكيون)⁶ .

ويعتقد أن منصب الأرخون نشأ لأول مرة في عهد ميذن ابن كدروس ، غير أن البعض يعتقد أنه استحدث في عهد "اكستيس" (Extis) الذي ينتمي إلى سلالة كدروس⁷ ، واشترط على من يعين أرخونا يقسم قسم شرف المهنة عند بداية ولايته أن يقوم يقسم قسم شرف المهنة وأن يقوم بعمله كما كان يقوم به سلفه وأن يتقنه بشكل صحيح ووفقا للقانون تمتع كل أرخون بسلطات مختلفة حسب درجته⁸ بعد أن يتم انتخابه مدى الحياة في بداية الأمر ، لكنه أصبح فيما بعد ينتخب لمدة عشر سنوات في منتصف القرن السابع قبل الميلاد أي في حوالي 752ق.م وابتداء من سنة 683ق.م أصبح ينتخب لمدة سنة واحدة⁹ .

1- Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , pp227, 327

2 أرسطو ، دستور الأثينيين ، المصدر السابق ، ص 49.

*البوكيليون : هو مقر الراعي ، لان الملك يعتبر نفسه راعيا لشعبه...،انظر:جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص102.

3 Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , pp227 , 327.

4 Eric D .Nelson , Susan K , Allard Nelson , op-cit . p118.

5 محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 216.

6 طه حسين ، نظام الأثينيين ، ط1، دار المعارف ، مصر ، 1921، ص ص 24-25.

7 - Felton (c) , Grèce ancient and modern , V1 , 4éd , library university of California , Bostan , 1987 , p 74

8 أرسطو ، دستور الأثينيين ، المصدر السابق ، ص 49.

9 Felton (c),op-cit , p 74 , Eric D .Nelson , Susan K , Allard Nelson , op-cit . p118.

وإلى جانب الأراخنة الثلاث استحدث مجلس مكون من ستة أراخنة (قضاة) في حوالي سنة 683ق.م يعرف باسم مجلس التيسموثيتاي (Smothetai) أو هيئة المشرعين (دار الشرع) ينتخبون لسنة واحدة¹، ثم أصبح اختيار هؤلاء الأراخنة التسعة منذ سنة 487ق.م يتم بواسطة القرعة ، وذلك بعد أن تكون كل قبيلة قد اختارت بالقرعة بداية عشرة مواطنين يمثلونها².

يعتبر هذا المجلس بمثابة الهيئة الاستشارية أو التنفيذية ولا تتجمع إلا بدعوة من الملك، إلا أن العرف والرأي العام كانا يقضيان أن يستشار هذا المجلس في كثير من الأمور، ويلاحظ من السلطات الممنوحة له أنه ساهم في إضعاف سلطة الملك بسبب قصر مدة توليه الحكم خاصة مع ازدياد أهميتهم بالرجوع إليهم واستشارة رئيس المجلس الذي يعتبر أمره واجب التنفيذ³، ومن وظائف هذه الهيئة القضائية مايلي :

-الإشراف على شؤون القضاء ماعدا القضايا المتعلقة بجرم القتل وإعادة القوانين وفحصها، وتسجيل أحكام القرارات ذات الصفة القانونية وحفظها حتى يتمكن الرجوع إليها⁴.

-تحمل مسؤولية القانون والعدالة والإقامة بالمهام القانونية والإدارية وتطبيقها⁵.

(ب) مجلس الشيوخ: بعد انقضاء مدة عمل الحكام الأراخنة يصبحون بصورة آلية أعضاء في مجلس الشيوخ لمدة الحياة⁶، وقد كان له مكانة كبيرة في زمن النظام الملكي ، ولكنه ازدادت أهميته في عهد الحكم الارستقراطي وأصبح النبلاء الدعامة الحقيقية لسلطة البلاد مقارنة بالعهد الملكي ، وكان أعضاءه ينتخبون من الطبقة الارستقراطية الغنية مدى الحياة⁷ ، مهامه كالآتي :

-انتخاب الرؤساء الثلاث وتعيين الموظفين (انتخاب الأراخنة) والموظفين .

-السهر على حفظ القوانين وإدارة شؤون الدولة.

¹ عاصم أحمد حسين ، المرجع السابق ، ص 156، أرسطو ، دستور الأثينيين ، المصدر السابق ، ص ص 151-152.

² عمر عبد الحي ، المرجع السابق ، ص 49.

³ ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص 171.

⁴ عاصم أحمد حسين ، المرجع السابق ، ص 156.

⁵ أرسطو ، دستور الأثينيين ، المصدر السابق ، ص ص 151-152.

⁶ - Eric D .Nelson , Susan K , Allard Nelson , op-cit . p118 .

⁷ خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 398.

- معاقبة المخالفين للقانون وتغريمهم ، أي كانت بمثابة محكمة جنائية مهمتها النظر في قضايا القتل .

- كان له السلطة المطلقة والعليا للإشراف على مصالح الدولة ¹ .

وكان إلى جانب مجلس الشيوخ موظفين ثانويين مهمتهم الإشراف على خزانة الدولة ، ومساعدة الملك على تقطيع الذبائح والقرابين ² ، أما فيما يخص الجمعية العامة فلم يكن لها شأن سياسي كبير خلال هذا العهد ³ .

وخلاصة القول أن بوادر إلغاء الملكية ظهرت منذ تعيين الأراخنة كنواب للملك ومساعدين له خاصة بعدما القي على عاتقهم مهمة القيام ببعض أعمال الملك ، وبذلك بدأت صلاحياته تتناقض وتتلاشى ، وتوكل لموظفين آخرين بالإضافة إلى تقليص مدة حكمه من مدى الحياة إلى عشر سنوات إلى عام واحد ، وأحيانا كان الملك يلجع بالقوة أما النبلاء فغالبا ما ينتخبون من بينهم بعض الضباط ليدبروا شؤون الحكومة التي أمر إدارتها منوطا بالملك نفسه خاصة بعد أن عينوا معه اراخونا حاكما يدير أمور المدينة وقائدا عسكريا مهمته الأمور العسكرية فضلا عن ازدياد الصلاحيات الممنوحة لمجلس التيسموثيتاي (مجلس القضاة) الذي أصبحت أوامره واجبة للتنفيذ أي تجريده تدريجيا من صلاحياته ومهامه .

وفي بداية الأمر تمتعت الارستقراطية بمقالد الأمور في أثينا في جميع المواقع بما في ذلك الإشراف على القوانين التي كان أمرها يناط بمجلس من هؤلاء النبلاء على أن التسلط الذي اتسم به حكم هذه الطبقة، وانحرافها الظاهر نحو خدمة أهوائها ومصالح أفرادها أدى إلى سخط متزايد بين صفوف العامة الذي سوف ينفجر ضمن ثورات شعبية ⁴ .

ج)- النتائج المترتبة عن النظام الأرستقراطي في أثينا : لعل من أهم الخلفيات التي نتجت عن تسلط النبلاء الأرستقراطيين على زمام الأمور في أثينا هو تدهور في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ، والتي سوف تؤثر بدورها في ظهور عدة انتفاضات شعبية لتتحول إلى تمردات عسكرية سنة 632 ق.م بقيادة كيلون ، ولكن في البداية سوف نسلط الضوء على الوضع الاجتماعي الذي وصلت إليه أثينا نهاية القرن السابع قبل الميلاد .

¹ طه حسين ، المرجع السابق ، ص 48 .

² عاصم أحمد حسين ، المرجع السابق ، ص 156 .

³ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 90 .

⁴ لطفني عبد الوهاب يحي ، الحياة الاجتماعية في أثينا القديمة ، مجلة عالم الفكر ، ع 2 ، مج 38 ، الكويت ، 2009 ، ص 114 .

1/- على الوضع الاجتماعي : إن التسلط الكبير الذي اتسم به حكم الطبقة الأرستقراطية في أثينا في حوالي القرن السابع قبل الميلاد ، وانحرافها المتزايد غي مجال القضاء لخدمة أهواءها ومصالح أفرادها على حساب الطبقات الأخرى وخاصة الطبقة العامة والفقراء المعدومين ، وما ساعدهم في ذلك عدم وجود قوانين مكتوبة أو تفسير واضح للقوانين والأعراف القائمة بل كانت القوانين تفسر لمصلحتهم الشخصية ، فازدادت بذلك امتيازاتهم بينما ازداد العامة فقرا وتدهورا¹ وفي هذا الصدد يقول أفلاطون : " في ذلك العصر المبكر ، لم تكن القوانين المكتوبة معروفة ، وكان الناس يمارسون حياتهم بناء على ما هو مألوف ، ووفق العرف المتوارث من أسلافهم ، ومعرفة القانون -بمعنى المبادئ التقليدية العامة التي على أساسها تصدر الأحكام في المنازعات أو ما خالف المؤلف أو تقدر الجزاءات وفق السوابق المماثلة - كانت امتيازاً واحتكاراً للارستقراطية ، فالإدارة كلها كانت بأيدي أفراد من طبقة غيرة من الأسر النبيلة والغنية ، يمارسون مسؤولياتهم على نحو لا يكادون يجيدون عنه ، وهو أن يحقق مصالحهم الشخصية ، ومصالح طبقتهم"² .

و نتيجة لذلك أخذ الارستقراطيون يتعاملون مع المواطنين الأثينيين على أساس طبقي ، ومن هنا نشأت المفارقة الطبقيّة الأكثر قوة بين النبلاء وغيرهم ، حيث كان السلم الطبقي للمجتمع الأثيني خلال هذه الفترة يتكون من أربعة طبقات وهي :

1/ الطبقة الأرستقراطية (النبلاء والأشراف) (eupatridas) : تتمتع هذه الطبقة بحقوق المواطنة الكاملة السياسية والمدنية ، حيث كان لهم حق الترشح في المجالس التشريعية ، وحق الانتخاب وتولي المناصب والوظائف العليا في الدولة وقيادة الجيش ، هذا إلى جانب الحقوق المدنية المتمثلة في حق الامتلاك والعمل وحق الزواج . الخ . و بقيت هذه الطبقة متأثرة بالحكم عصورا طويلة ، وتتمركز في سلطتها كل قواعد العرف والعادة ، وتفسر القانون كما تريده وتخضع كل أوامر الدولة لمصلحتها لأنه لم تكن هناك حتى هذه الفترة قوانين مكتوبة ثابتة ، بالمقابل وجب على جميع أفراد الطبقة الدنيا الذين هم ليسوا من الأسر النبيلة أن يكونوا مضطرين دوما إلى الخضوع للأحكام المرتجلة والبعيدة عادة عن حقوق الإنصاف والرحمة³ .

¹ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 50 .

² مصطفى العبادي ، اقتصاديات أثينا ، المرجع السابق ، ص 208 .

³ خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 399 .

2/ طبقة المزارعين (ceagoi) : هي الطبقة الثانية في المجتمع الأثيني ، والتي تمتلك قطع صغيرة من الأرض ، تمتلك ببعض الحقوق السياسية والمدنية مثل : حق الانتخاب وليس لها حق الترشح وتولي بعض المناصب مثل مراكز القيادة في الجيش وبعض الوظائف الحساسة في الدولة .

3/ طبقة الحرفيون الصناع (demorgoi) : هم أصحاب المهن الذين يشتغلون في الصناعة والتجارة والملاحة على حسابهم الخاص ، يتمتع أفرادها بالحقوق المدنية ويحرمون نسبياً من مجمل الحقوق السياسية، باستثناء حق الانتخاب الذي كان قد سحب منهم في فترات مختلفة، وكانت تحدد لهم نسبة في الأملاك الخاص¹ .

إن أفراد هذه الطبقات الثلاث كانوا يعتبرون من المواطنين رغم الاختلاف الكبير في حالتهم الاقتصادية، فبالرغم من استئثار الطبقة الأرستقراطية بالوظائف الحكومية لوحدها، إلا أنه كان يحق لجميع المواطنين الأثينيين الاشتراك في الجمعية العامة (ekklesia)² .

4/ طبقة العمال أو المزارعين الأجراء (Thètes) : هي الطبقة التي تأتي في نهاية السلم الطبقي الاجتماعي لأثينا، وهم أحرار لكنهم لا يتمتعون بحقوق المواطنة السياسية الاجتماعية³ ، ماعدا حق العمل في مزارع الملاك نظير سدس المحصول، وكانت تعرف هذه الطبقة حسب أرسطو باسم "الأتباع" أو " أصحاب السدس" أو "السدسيون" لأنهم كانوا يزرعون حقول الأغنياء مقابل حصولهم على سدس ما تنتجه الأرض من محصول ، وكانت الأرض كافة في أيدي فئة قليلة ، وإذا ما اخفق الفقراء في دفع إيجارهم كانوا هم وأولادهم عرضة للاحتجاز والرهن ، وبالتالي كان جسد المدين ضمان هذه الفئة⁴ .

إضافة إلى هذه الطبقات نجد **طبقة العبيد (الوضعاء أو الموالين أو الخدم)** الذين كانوا يمثلون ثلث عدد سكان أثينا، ولم يكن لهم أي حق في المجتمع الأثيني، إذ كانوا محرومين من كل وسائل الحياة الكريمة و الحقوق السياسية مثل حق الترشح للانتخاب و المشاركة في أنشطة المحاكم وتولي الوظائف العامة في المجتمع،

¹ عاصم أحمد حسين ، المرجع السابق، ص ص 157 - 158 .

²

³ علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 71 .

⁴ أرسطو ، دستور الأثينيين ، المصدر السابق ، ص 22 .

وعلى الرغم من ذلك فقد كان النشاط الاقتصادي في أثينا يقوم على ناتج جهدهم، ولم يكن المجتمع يستطيع أن يقوم بنفسه من دونهم¹.

هذا وقد شهدت أثينا خلال القرن السابع ق. م تدهورا كبيرا في الأوضاع الاجتماعية، حيث فقد الكثير الفقراء أراضيهم بعد عجزهم عن تسديد ديونهم وأصبحوا عبيدا لدى دائنيهم هم وزوجاتهم وأولادهم، وغالبا ما يتم بيعهم في الأسواق كالرقيق²، أو يعملون في منازل أسيادهم كخدم أو يشتغلون كأقنان في الأرض³ أو في أعمال الملاحه والتجديف ، وكذلك في أعمال المحاجر والمناجم التي زاد استغلالها مع زيادة الحاجة إلى استخراج معدن الفضة خاصة من منجم لوريون "Laurion"⁴ ، فاستحوذت بذلك الطبقة الارستقراطية على ملكيات عقارية كبيرة، واحتكرت الأراضي الخصبة وسخروا العبيد في خدمة أراضيهم الزراعية، وأصبحت بذلك الأرض في يد فئة قليلة من الناس⁵.

لم يكن النظام الارستقراطي موجهها لصالح كل المجتمع الأثيني، فقد كان من الطبيعي أن تستغل الطبقة الارستقراطية الحاكمة والمكونة من كبار الملاك المزارعين كل ما يمكن استغلاله لصالحها، فكانت علاقتها مع الطبقات الأخرى في توتر مستمر، وما زاد من حدة هذا التوتر الظروف الاقتصادية المتدهورة بالتحول التدريجي من الاقتصاد الزراعي الخالص إلى الاعتماد على التجارة ، و اتساع النشاط البحري وظهور النقود⁶.

2- على الوضع الاقتصادي : تأثر الوضع الاقتصادي الأثيني كثيرا بتدهور الأوضاع الاجتماعية والسياسية منذ القرن الثامن قبل الميلاد حيث كان سكانها يعتمدون في معيشتهم على الزراعة بالدرجة الأولى وعلى صيد الأسماك في المناطق الساحلية، ولكن بعد ازدياد عدد السكان وسيطرة الارستقراطيين على أراضيهم، اضطر الكثير منهم إلى اقتحام البحر للبحث عن موارد جديدة للعيش، وكان اليونانيون في هذا الوقت يتعلمون من الفينيقيين فن الملاحة و إنشاء السفن وأساليب التجارة، فلم يمض وقت طويل حتى صار اليونانيون يصنعون سفن أعظم وأسرع بكثير

¹ فضل الله محمد سلطح، الفكر السياسي الغربي النشأة والتطور، ط 1 ، دار الوفاء للطباعة و النشر والتوزيع، الإسكندرية، 2008 ، ص 97.

² Paul Bernabeo , ancient Greece – an illustrated history , marchallcavendish corporation , malasia , 2011 , p 61.

³ Dormansteele (j), Bri .H .G .REA .PR.G.HIS , barnes , & company, new York and Chicago , 1853 , p 103.

⁴ مصطفى العبادي ، اقتصاديات أثينا ، المرجع السابق ، ص 206.

⁵ - Jean Kinney Williams , op-cit , p27.

⁶ حسن الشيخ ، المرجع السابق ، ص 81 .

من السفن الفينيقية، وكذلك امتازت الأواني الخزفية اليونانية بالتمازج بين دقة التصنيع وبراعة التزيين وجمال الصور¹.

أن اهتمام الأثينيين بالملاحة والتجارة أدى إلى زيادة الاهتمام بالصادرات لذلك نراهم يهتمون بشكل كبير بزراعة الزيتون وكروم العنب من أجل إنتاج الخمر والزيوت لتصديرها، أدى هذا إلى الاهتمام بالصناعة الخزفية من خلال انتشار الفخار الاتيكي في ركاب تجارة أثينا ، متمثلة في مجموعة كبيرة من الأمفورات عرفت باسم "امفورات SOS" نسبة إلى الزخرفة أو الرموز التي رسمت على عنق كثير منها ، وهي أوعية كبيرة الحجم يكسو بدنها لون داكن به حزوز أعلى الكتف ، يغلب عليها البساطة وعدم الإتقان ، شاع استخدامها منذ القرن 8 ق.م إلى القرن 6 ق.م ، وقد عثر على بقاياها في عدد كبير من المواقع حول البحر المتوسط وما وراءه مثل: كريت ، قبرص ، ايطاليا ، اسبانيا..الخ² ، ومن التطورات الاقتصادية الهامة التي شهدتها أثينا صك العملة*³ ، التي ساهمت بشكل كبير في انتعاش التجارة والهجرة و الاستيطان، ونظرا لأن النقود سهلت الجمع والتخزين أكثر من مواد الملكية الزراعية والحيوانية والطبيعية الأخرى، وهذا ما سمح للتجار باكتساب ثراء فاحش، وبمرور الزمن زاد الغني غنا والفقير فقرا وأصبحت هناك هوة كبيرة تفصل بين الأغنياء والفقراء⁴.

وبهذا ظهرت فئة جديدة من بين طبقات النبلاء وهي طبقة القلة الغنية ، وقد أسهم ذلك في تقسيم السكان اجتماعيا حسب ثرواتهم وأموالهم⁵ ، الأمر الذي أدى إلى تحطيم النظام القبلي أمام النظام الجديد ، فلا يمكن للنظام القبلي أن ينافس النظام النقدي ، فتحطم بذلك صغار الملاك في اتيكا وتفككت الروابط القبلية التي كانت تحميهم ، بذلك تمكن التجار من السيطرة على جانب أساسي من موارد الإنتاج، وبالتالي جمعتهم المصالح المشتركة التي جعلتهم يرون أن اشتراكهم مع الارستقراطيين في الحقوق السياسية هو أمر طبيعي، وذلك من منطلق أن اقتصادهم قوي إلا أن مطالب طبقة هذه الصاعدة (التجار) لم تحض بعين الاعتبار من طرف

¹ محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 220.

² مصطفى العبادي ، اقتصاديات أثينا ، المرجع السابق ، ص 205.

* كان اختراع العملة لأول مرة في منطقة ليديا في آسيا الصغرى في منتصف القرن 8 ق.م ، حيث صنعوا نقودهم من البلاتين الغالي والنادر ، وسرعان ما تلقف جيرانهم تجار المدن الأيونية الاختراع الجديد ، وكذلك الجديد ، وكذلك بعض المدن التجارية داخل بلاد اليونان مثل: جزيرة إيجينا وكورنثة وأثينا الذين صنعوا نقودهم من معدن الفضة ذي القيمة المناسبة ، والذي وجدت مناجمها في أقاليمهم ...، أنظر: نفسه، ص 206.

³ علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 71.

⁴ سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 193 .

الارستقراطيين¹، فحاولت طبقة التجار الوصول إلى الحكم السياسي مستخدمة طبقة العمال في ذلك، وبدأ التجار والعمال يظهرون كعامل حاسم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية خلال هذه الفترة التي ازدهرت فيها التجارة².

3- على الوضع السياسي : إن التغيرات الاجتماعية وما رافقتها من تغيرات اقتصادية أدت إلى شيوع جوهر الفوضى و الاضطرابات في المجتمع الأثيني، فقد أدى عدم استجابة الارستقراطيين لظروف المجتمع وحاجته للتغيير إلى ازدياد سخط الفقراء، وهو ما أدى للتمرد والثورة على حكم الارستقراطيين، وبدأت إرهابات هذا التمرد في نهاية القرن السابع ق. م بانقلاب عسكري قاده شخص يدعى "كيلون" " kylon".

أ / ثورة كيلون سنة 632ق.م / 631ق.م: شهدت السنوات الأخيرة من القرن السابع ق. م أول محاولة لإقامة حكم الطغاة في أثينا، وكان ذلك على يد شخص يدعى "كيلون" (kylon)³، وهو شاب ارستقراطي -أول طاغية طموح للحكم -تحصل على جائزة في الألعاب الأولمبية وهذا ما أكسبه نوعاً من الشهرة⁴، وتزوج من ابنة طاغية ميغارا ثياجنيس (théagenes) الذي وعده بالمساعدة، ويقال أنه استشار العرافين في معبد دلفي قبل القيام بالثورة، أجابوه بأنه يجب عليه الهجوم مع أنصاره على هضبة الأكروبول⁵ واحتلالها أيام العيد، وقد اعتقد كيلون أن المقصود بالعيد هي الحفلات الاولمبية التي كان قد قرب موعدها في حين أن العرافين أرادوا حسب دعواهم فيما بعد عيداً آخر يخرج فيه السكان إلى خارج أثينا.

فجمع كيلون حوله بعض الساخطين والمنشقين وبعض أنصاره ودعم قوته بقوة عسكرية من صهره الميغاري، واستطاع احتلال الأكروبول في أثينا وتحصن فيه هو وأنصاره⁶، وقد استاء سكان أثينا من هذه المحاولة لفرض الحكم الفردي بمساعدة قوة أجنبية، فاجتمع الفلاحون والعمال بقيادة ميحاكليس* زعيم أسرة الكيمونيد

¹ حسن الشيخ، المرجع السابق، ص 82.

² حزعل الماجدي، المعتقدات الإغريقية، ط 1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2004، ص 54.

³ مفيد رائف العابد، المرجع السابق، ص 89.

⁴ Jon .D.Mikalson , Herodotus and Religion in the Persian wars , published on February 2012, p18, Eric D .Nelson , Susan K .Allard -Nelson , op-cit , p120.

⁵ Thucydide , I , CXXVI

⁶ محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص 223.

*ميحاكليس: هو أرخون أثينا ينتمي لأسرة الكيمونيد، تمكن من إحباط مؤامرة كيلون وفتك بمدبرها وكان هذا سبب أبعاده عن الحكم ونفيه، وقد كان من ألد خصوم بزيستراتوس لكنه في عام 560ق.م عاد وصاهره وزوجه ابنته، ورجعت بذلك أسرته إلى أثينا بعد النفي... انظر : أرسطو، دستور الأثينيين، المصدر السابق، ص 21.

(الكيمون)* وحاصروا كيلون وأتباعه إلى أن نفذ منهم القوات، إلا أن كيلون تكمن من الفرار ولم يجد أتباعه الذين ظلوا محاصرين سبيل للنجاة سوى التوسل للإله منيرفا لتحميهم من بطش ميحاكليس الذي طلبهم للمحاكمة لكي يبعدهم عن المحاماة بتمثال الإله منيرفا إلا أن أتباع كيلون لم يقبلوا بالمحاكمة لخوفهم على حياتهم فأشار عليهم ميحاكليس بأن يعلقوا خيطا بتمثال الآلهة منيرفا وبمسكونه بأيديهم ويحضرون للمحاكمة، ففعلوا ذلك وعندما دنوا من مذبح الآلهة الجحيم، انقطع الخيط فاستدل ميحاكليس أن انقطاع الخيط دلالة على رفض الإله منيرفا حمايتهم، فقام بتطويقهم ونفذ فيهم حكم الإعدام، ولم ينحوا منهم سوى البعض بشفاعة نساء الأراخنة¹ .

بالرغم من أن الارستقراطيين تمكنوا من إخماد الثورة والقضاء عليها، إلا أن حركة كيلون كانت لها آثار ونتائج سيئة على أثينا، حيث أعلنت أثينا الحرب على مدينة ميغارا لمساعدتها الطاغية كيلون في ثورته² ، وقد ألحقت هذه الحرب أضرار كبيرة بمدينة أثينا، وأدى هذا إلى استيلاء من الجماهير على أسرة الكيمونيد (الكيمون) التي لم يراعي زعيمها حرمة الآلهة ، وأنه تعدى قوانين الآلهة ضد اللاجئيين بإراقة دمائهم بدم بارد، واعتبروا ذلك انتقاما من الآلهة وتجنيسا لمخاريبها، فانفجرت موجة الغضب و السخط ضد أسرة الكيمونيد وقفة رجل واحد، وأصدروا حكما بنفي الأسرة لكن أفراد هذه الأسرة ظلوا يتآمرون ويتملقون كهنة دلفي لكي يعودوا إلى الحكم في أثينا³ .

إن هذه المشاكل والاضطرابات التي حدثت في أثينا: ثورة كيلون، الحرب ضد ميغارا، الاستيلاء الشعبي من حكم أسرة الكيمونيد ، كانت سببا في اشتداد المنازعات بين الأحزاب والطبقات المختلفة، فكثر حوادث الاعتداء والقتل مما أدى إلى وجود قوانين تضبط الأمور وتحول دون سفك الدماء⁴ بسبب ضعف المشرعين النبلاء وتحاولهم وعجزهم عن القيام بالإصلاح اللازم، أصبحت الأوضاع في أثينا تهدد بحرب أهلية نتيجة سخط كل

* أسرة الكيمونيد : تعتبر المسؤولة عن قتل أتباع كيلون الذين استسلموا ، فطردت من المدينة عام 632 ق.م ، لكن هذه الأسرة عادت إلى أثينا في القرن السادس ق.م و بقيت مشهورة خلال القرنين 6 و 5 ق.م مثل ما كنت مشهورة في القرن السابع ق.م ، وأشهر حكام أثينا الذين ينتمون إلى هذه الأسرة هم كليستينس وبركليس وكيباديس ... ، أنظر : فوزي مكاوي ، المرجع السابق ، ص 96 .

¹ جورج ديبري ، المرجع السابق ، ص 44 .

² عاصم احمد حسين ، المرجع السابق ، ص 158 – 159 .

³ علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 72 .

⁴ علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 73 .

الطبقات، فصار من اللازم إبعاد شبح الحرب بسن قانون وإصلاح جذري في نظام القضاة فعهد الأثينيون سنة 621 ق.م إلى أحد الأشراف يدعى "دراكون" (Dracon) بصياغة قانون وتدوينه¹.

ب / قوانين دراكون سنة 621 ق.م : نظرا لما اشتهر به المشرع دراكون من عقل وحزم ومعرفة واسعة بالشرائع وعلى الأخص المسائل المتعلقة بالتقاليد والحقوق العائلية، عيّنه الأرسقراطيين أرخونا على أثينا عام 621 ق.م، ومنحوه سلطات استثنائية لمراجعة الدستور والقانون وقد اقتصر عمله في الأساس على تنظيم القوانين التي سبق للمشرعين جمعها والتي كانت مقتبسة من العادات والتقاليد، حيث قام دراكون بتحويلها وتنسيقها وتوحيدها².

كانت قوانينه مسطرة على أسطوانات خشبية موضوعة أمام القصر الملكي، تدور حول محاور من حديد ليطلع عليها كل مار في الطريق³، وقد اتسمت قوانينه بالقسوة لأنها جعلت عقوبة أي جريمة تافهة القتل، وبرر دراكون قسوة قوانينه بقوله: "... إن الجرائم الصغيرة تستحق القتل، أما الكبيرة فليس عندي عقاب أشد من القتل"⁴، وهذا ما دفع بشاعر أثينا ديماديس (384 ق.م - 320 ق.م) إلى وصفها أنها كتبت بالدم وليس بالحبر⁵.

إن الهدف الأساسي الذي كان يسمو إليه دراكون من خلال قوانينه هو تدوين القوانين في وثيقة مكتوبة وواضحة لمنع احتكار الأشراف لها وحتى يعرفها كل الناس، كما كان يهدف إلى إشراك الشعب في السلطة إلى جانب الطبقة الأرسقراطية، بهدف تحقيق المساواة بين الناس ومقاومة الاندفاع في أخذ الثأر، وترسيخ مبدأ العقوبة الاجتماعية من خلال تحويل الجرائم الخاصة إلى جرائم عامة، فألغى حق الانتقام الفردي والثأر وجعل توقيع العقوبة من سلطات الدولة، فأصبح الفصل في النزاع وتوقيع العقوبة من اختصاص السلطة العامة⁶.

إن أهم تأثير أحدثته قوانين دراكون في المجتمع الأثيني هو إضعاف العصبية العائلية حيث ميزت بين الأقارب في درجة مطالبهم بالحقوق إلى درجات، فالأب أولا ثم أبناء العم و أبناء العممة الذين يشكلون نواة

Jean Kinny Williams, op-cit, p31.

1

² محمد كامل عياد، المرجع السابق، ص 191.

³ محمود فهمي، المرجع السابق، ص 46.

4

Dorman Steele (j), op -cit , p 103

Sarah. (b)pomeroy and all , op-cit , p 113 .

5

⁶ أحمد إبراهيم حسن، فلسفة وتاريخ النظم الاجتماعية والقانونية، دار أبو العزم للطباعة، مصر، 2003، ص ص 190-191.

السلسلة، فصار كل فرد في الأسرة يشعر بقيمته الشخصية وحقه في الاستقلال بالرأي، كما أسهمت هذه القوانين نوعاً ما في إضعاف الطبقية، فالقوانين واحدة للجميع ولا تميز بين الطبقات¹.

وقد منحت الجنسية لكل مواطن يقدر على تسليح نفسه للحرب، كما أعطت الطبقات الدنيا حقوقاً أمام القانون بدلاً من الحرمان والتجاهل التي عانت منه خلال عهود سابقة، فكانت بذلك خطوة نحو الاعتراف بهم²، وأصبحت الجرائم تعالج على أساس أنها اعتداء على المجتمع بذاته وليس مجرد اغتصاب للآلهة، وهكذا يبرز دور القانون كأداة للتعامل داخل المجتمع الأثيني لأول مرة، وجعلت هذه القوانين العلاقة بين الطبقة المحكومة والدولة تحكمها وتضبطها قوانين تبين الحقوق وتوضح الحدود³.

لكن بالرغم من أن قوانين دراكون كانت خطوة كبيرة نحو الإصلاح، إلا أنها لم تكن كافية لإزالة مظاهر الاضطراب وحالة الفوضى، لأنها تناولت جانباً من جوانب السلوك الاجتماعي، ولم تمس صلب النظام الاقتصادي والاجتماعي، فقد كانت الأسرات الكبيرة لا تزال تتمتع بنفوذ عظيم وتحاول باستمرار زيادة رقعة المساحة التي تملكها و إثماء ثرواتها بشتى الوسائل، فأخذت تغتصب الأراضي الأميرية وأملاك المعابد وتسيطر على الجيش وإدارة الحكومة والمحاكم ، بينما ظلت الطبقات الفقيرة تزداد بؤساً وتتأكد باستمرار بأن تلك القوانين لم تعد تجدي نفعاً، فأخذت تبحث عن احتمال القيام بثورة دموية لتغيير الأوضاع وانتزاع الحقوق وتقسيم الأراضي والثورة بالتساوي بين الجميع، فتبادلت بذلك الطبقات الفقيرة والنبلاء الاتهامات والشكوك والتهديدات وأخذت كل طبقة تستعد لمواجهة الموقف بطريقتها الخاصة وفقاً لمبادئها، فصار الموقف يهدد بانفجار بين لحظة وأخرى، وأصبحت الحاجة ماسة إلى من ينتزع فتيل الفتنة⁴.

فالتجأ سنة 594 ق.م ممثلو الطبقات الوسطى إلى صولون ودعوته للترشح إلى منصب الحاكم في أثينا ومنحه سلطة مطلقة لإخماد نار صراع الطبقات ووضع دستور جديد للبلاد، وإعادة استقرار الدولة فوافقت الطبقة العامة و الارستقراطية على هذا الاختيار وعين صولون بذلك حاكماً على أثينا⁵.

¹ علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 74.

² سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 196 .

³ لظفي عبد الوهاب يحي ، الحياة الاجتماعية في أثينا القديمة ، المرجع السابق ، ص 115.

⁴ علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 74 .

⁵ أبتهال عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 70.

من خلال ما تم ذكره يتبين لنا أن انتقال نظام الحكم من الملكي إلى الأرستقراطي صاحبه تطورات كبيرة ، فبعد وصول الأرستقراطيين للحكم واستبدادهم بالعامه ، أخذت الأوضاع الاجتماعية في أثينا تتدهور و أضحت أثينا مقبلة على حرب أهلية ، وقد حاول كيلون في حضم هذه الظروف الوصول للحكم لكن محاولته باءت بالفشل ، لتعم بعد ذلك موجة الفوضى والاضطرابات ، فاختر دراكون لحل هذه الأزمة فقام بسن جملة من التشريعات التي يمكن اعتبارها خطوة كبيرة نحو الإصلاح ، إلا أنها لم تتمكن من إزالة مظاهر الفوضى والاضطراب لتشتعل نار الفتنة بين العامة والارستقراطيين وأصبحت الحاجة ماسة لمن يطفئها فأتجهت أنظار الأثينيين إلى صولون الذي اعتبر المخلص لأثينا وسوف نحاول التفصيل أكثر في العنصر القادم .

بالرغم من المساوىء والسلبيات التي أحققها الأرستقراطيين بالفقراء في أثينا، إلا أن الحكم الارستقراطي عموما كانت له بعض الايجابيات على المدينة سواء من الناحية القانونية أو الاقتصادية ولعل أهمها ما يلي :

- من سمات العهد الارستقراطي انه شهد وضع أسس الدولة الأثينية وكذلك شروط تولى الوظائف ومدة توليها مع توزيع الصلاحيات وتحديدتها كل حسب وظيفته وتشريع القوانين وتقنينها وفقا للأعراف والتقاليد التي سارت عليها الجماعات الإغريقية الأولى¹ ، وبذلك لم يعد مصير الأثينيين رهنا لأهواء وأمزجة الحكام والقضاة الذين أصبحوا مقيدين بأسس وقواعد تشريعية وانتقل الحكم بالتدرج من مبدأ الاحتكام بالسيف والأعراف إلى مبدأ الاحتكام بالقانون ، وبهذه الوضعية مهد النظام الارستقراطي لظهور طبقة المشرعين والقضاة في المراحل الأخيرة لحكمهم ونشرها بين العامة بهدف توطيد العلاقة بين السلطة وعامه الشعب .

- من أهم النتائج المترتبة عن الوضع الجديد هو تحطيم قاعدة عدم التجزئة ، التي خلقت قوة الأسر العتيقة من قبل واختفى حق البكورة الذي كان شرط من شروط وحدتها ، وانتقلت قسمة الميراث إلى القسمة المتساوية بين الأخوة بعد أن كان ينص على عدم قسمته وحصرها في الابن البكر ، وتمت هذه العملية تدريجيا وتجلت بدايته الأولى في أن يكون الأب -رب الأسرة- حرا في إعطاء أبنائه الصغار نصيبا معيناً من الميراث أو أن تكون القسمة متساوية بين الأبناء ، ولكنه سوف يتعزز أكثر مع تشريعات صولون (سوف نشير إلى العنصر بالتفصيل)² .

-أحدث النظام الارستقراطي تغييرات اقتصادية خلال القرنين السابع والسادس قبل الميلاد خاصة من الناحية التجارية حيث ازدادت حركة التبادل التجاري وتدفقت الأموال وظهرت المهن وطبقات جديدة كطبقة التجار

¹ سيد احمد علي الناصري ، الاغريق ...، المرجع السابق ، ص 124 .

² خليل سارة ، المرجع السابق ، ص ص 407-408 .

النشطة وطبقة أرباب الصناعات المكونة من التجار والصناع التي أخذت تنافس طبقة النبلاء القديمة من ملاك الأراضي ، وبالتالي اتسعت مساحة المدن التجارية وازداد عدد سكانها .

-تمخض عن حالة التفكك والصراع ظهور طبقتين الأولى : (الطبقة البرجوازية من التجار) هي (الأقلية الاوليغاركية) وهم أولئك الذين اشتغلوا بالتجارة البحرية ، ويسعى أفرادها لتبوء مكانة اجتماعية عن طريق اكتساب الثروة التي أصبحت فيما بعد الشرط الأول والأساسي لتولي السلطة السياسية في أثينا ، أما الطبقة الثانية هي (طبقة أرباب الصناعات وأصحاب رؤوس الأموال (الأثرياء) الذين طوروا أموالهم من استثمار رؤوس أموالهم في مشاريع تجارية وصناعية بسبب امتلاكهم لقطعان الماشية والأراضي الزراعية مما نشط حركة التبادل التجاري عن طريق التعامل بالعملات بدل المقايضة وتحويل منتجاتهم إلى سلع تجارية¹ ، فالمواد المستوردة للبلاد من الخارج خفضت من قيمة محاصيلهم ومصنوعاتهم في حين أن السلع المصنعة التي كانوا مضطرين لشراؤها كانت تحدد عوامل خارجة عن سيطرتهم وبخاصة مع تزايد قيمتها على مرّ السنين لدرجة ترحيب الأهالي بالحرب ، لذلك نظروا إليها على أنها المنقذ الوحيد لوضعيتهم في البلاد من خلال كسب أراضي جديدة وتوفير الغذاء وتخليص البلاد من الحساسية المتواجدة بين الطبقتين² .

-ازدياد الانتشار الإغريقي بزيادة عدد المستوطنات الإغريقية الجديدة على سواحل البحر الأسود وسواحل البحر المتوسط وتدعيم تواجد الإغريقيين في مناطق أخرى ، حيث وصل عدد المستوطنات إلى نحو ثلاثين مدينة جديدة فيما بين سنة (730-680 ق.م) مثل كنوقراطيس "Naucratis" في غرب الدلتا بمصر، ومدينة قورينة " Cyrenae" في برقة ، ومدينة مرسيليا "Marssilia" في جنوب فرنسا حاليا ، وقد اختيرت مواقعهم بعناية فائقة بهدف خدمة أغراض التجارة اليونانية ومتطلبات السوق المحلية والخارجية ، وفي مقدمتها استيراد القمح والغلّال التي تفتقر إليها اليونان³ و تصدير فائض منتجاتهم مثل: كروم العنب (الخمر والنبيد) والزيتون (الزيت) .. الخ ، ومن هنا انفتحت أبواب أثينا على الأسواق الواسعة⁴ .

-تضاعف حجم التجارة العالمية في أيدي اليونانيين ، كما صاحب نمو هذه التجارة نمو كبير في بعض الصناعات ، ومن أهمها زيادة هائلة في صناعة السفن وتطورها لتبلي احتياجات التجارة ، وهكذا نمت فئة ملاك السفن

¹ ابتهال عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 83 .

² ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص 178 .

³ مصطفى العبادي ، اقتصاديات أثينا ، المرجع السابق ، ص 208 .

⁴ خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 406 .

وصناعها الذين زادوا من الأثرياء الجدد عددا وقوة ، بالإضافة إلى نمو الصناعة ، وفي هذا الصدد يقول ثيوكوديدس : " مع زيادة استقرار الأحوال في اليونان ، وزيادة الحرص على اقتناء المال... زاد حجم الإيراد العام ، ومعها راحت صناعة السفن ، كما اتجهوا أكثر وأكثر إلى ركوب البحر"¹ ، وقد نتج عن ذلك ظهور ما يمكن أن يسمى "رأس المال" ، حيث عرفت المدن الإغريقية وخاصة أثينا ظاهرة تخزين الثروة المالية من عام إلى عام ، وأحيانا أخرى يتعداه إلى أعوام كثيرة من دون أن يخشى الفرد الأثني من التلف أو المرض والآفات ، حيث أصبح لكل مدينة إغريقية نقد مستقل يحمل شعارها الخاص ، وبالتالي التحول من الاقتصاد الطبيعي القائم على ما تنتجه الأرض إلى اقتصاد المال القائم على التجارة والصناعة وما تحتزنه من النقود المعدنية أو التحول الاقتصادي من الاقتصاد العيني إلى الاقتصاد النقدي² .

- أدى ظهور مبدأ العلاقات النقدية السلعية إلى تطور في الصناعة والحرف والتجارة ، بالإضافة إلى تطور أكثر فأكثر في ظهور عمليات تقسيم العمل بين الزراعة والصناعة ، وتقسيم العمل ضمن نطاق الحرفة الواحدة ، بموجب هذه التطورات انقسم الأثنيون حسب أعمالهم إلى جماعات ثابتة نسبيا لكل منها جملة من المصالح المشتركة الجديدة التي لم يكن لها مكان داخل التنظيم العشائري السابق ، وبدأ نمو العبيد وازدياد نسبتهم داخل المزارع والمصانع والموانئ ، ومن هنا برز مقوم اقتصادي آخر جديد والمتمثل في النظام العبودي³ .

وصفوة القول أن النظام الأرستقراطي كانت له إيجابيات على أثينا اقتصاديا ، ولكن سياسيا واجتماعيا أثر سلبا عليها مثل : مشكلة الحكم بين الأشراف الأرستقراطيين والأثرياء الجدد من غير الأشراف كادت أن تدخل المدينة في حرب أهلية داخلية وخلق هوة واسعة بين الطبقات الاجتماعية ، إلى أن جاء المشرع صولون (594ق.م-572ق.م) وجعل معيار الاختيار لشغل الوظائف العليا في الدولة بمهدف الحد من الصراعات السياسية بين الأرستقراطيين والتجار الأثرياء هو الثروة وما يمتلكونه من مداخيل اقتصادية ، من دون أن يكون أصحاب الثروة بالضرورة من الأشراف وذوي العرق النبيل ، وبالتالي القضاء على كل الفوارق القائمة على أساس النسب والشرف والأصل ، وهو ما يدخل ضمن نطاق النظام الاوليغارشي والذي سوف يتجسد فعليا بعد انتخاب صولون أرخونا لأثينا ، وقبل ذلك ما المقصود بالحكم الاوليغياكي (الاوليغارشي) ؟* وما هي أهم مميزاته؟.

Thucydides , I , 13.

¹

² مصطفى العبادي ، اقتصاديات أثينا ، المرجع السابق ، ص 208.

³ تحليل سارة ، المرجع السابق ، ص 406.

ج)الحكم الاوليغارشي (الاوليجاركي) (القرن 6ق.م -5ق.م) : مع مطلع القرن السادس قبل الميلاد تشكل نظام سياسي جديد في مدينة أثينا يعرف باسم النظام الاوليجاركي (نظام الأقلية)¹ وهو نظام سياسي اقتصادي ناشئ عن مدى تطور نظم الحكم الارستقراطية وبخاصة الناحية الاقتصادية أو كنتيجة من نتائج تطور النظام الارستقراطي واتجاه المجتمع الأثيني من الاقتصاد الطبيعي إلى الاقتصاد النقدي (المالي)² ويضم هذا النظام الطبقة المتكونة من تحالف الطبقة التجارية (الأثرياء الجدد) مع أفراد الطبقة الارستقراطية القديمة "ملاك الأراضي" بسبب ترابط المصالح بين الفئتين³.

وسمي النظام الاوليجاركي بحكم الأقلية لأن فئة قليلة من الأثرياء من الأشراف أو غيرهم أصبحت تتحكم في أمور البلاد خاصة بعد سن صولون قوانينه السياسية ، وهكذا تحول نظام الحكم في أثينا مع مطلع القرن 6ق.م من نظام الحكم الارستقراطي يتحكم فيه الأشراف إلى نظام حكم الأقلية يتحكم فيه الأثرياء سواء كانوا أشرافا أو غير ذلك ، وبذلك انكسر احتكار الأرستقراطيين الأشراف لمناصب السلطة العليا في أثينا ، وكذلك لمجلس الأريوباجوس (مجلس الشيوخ) الذي أصبح يضم كل أصحاب المناصب العليا السابقين (الأشراف وغير الأشراف)، بالإضافة إلى التعديلات فيما يخص الجمعية الشعبية⁴ ، وأبرز ما يميز نظام الحكم في الحكومة الأوليجاركية ميزتان وهما :

-تركز السلطة في يد المجالس الحاكمة ، و اقتصرت عضويته على المتمتعين بعراقة الأصل أو وفرة الثروة بحسب نوع الطبقة الحاكمة .

*النظام الاوليجاركي (الاوليجارشي) "Oligarchie" : معنى أوليغ "Olig" أي الأقلية وأرشي "Archie" أي حكم ، وترادف الاوليجارشي (حكم الأقلية) ، أما في الاصطلاح السياسي : تعني حصر السلطة في القلة سواء أكانت أقلية عسكرية أو دينية أو غيرها ، ويقصد بها أيضا حكم القلة من الأغنياء والتجار أما الفقراء فلا نصيب لهم فيها ...، أنظر: محمد إسماعيل فضل الله ، تطور الفكر السياسي الغربي، مكتبة بستان المعرفة ، الإسكندرية ، 2005، ص 6، المصطفى مولاي رشيد ، المرجع السابق ، 30.

¹ Xenophon , gouvernement des Athéniens , II , 13.

² ليلي عبد القادر على الغناي ، المرجع السابق ، ص 187.

³ Jean Kinney Williams , op-cit , p 27.

⁴ محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 138.

- جعل التمتع بالحقوق السياسية حكرا على عدد محدود من الأفراد الذين تتوفر فيهم بعض الشروط الخاصة المتعلقة بالثروة، أما أهل الطبقات الأخرى فيتاح لهم أن يساهموا في السياسة عندما يحصلون على الدخل الذي يقتضيه الشرع¹.

لعل ما يؤخذ على نظام الحكم الاليجاركي هو اعتماده على أفراد معينين لتولي الحكم مع تهميش دور بقية الطبقات الأخرى مثل: طبقة الجند والحرفيين التي اعتبرت من العناصر البشرية المحركة لهذا النظام مما أدى إلى سخط هذه الأخيرة نتيجة عدم مراعاة الأقلية الحاكمة إلا لمصالحها التجارية وحقوقها خاصة وأنها بدأت تنسب نسبتها إلى الأبطال أو الآلهة بهدف خلق الشرعية الدينية في نفوس المحكومين ، وفي الوقت ذاته كان من شأنه أن يضمن لهم حكما فرديا استبداديا لا يستند إلى أساس شرعي ، ويعتمد على القوة المادية والعسكرية -أصحاب السفن-، فأصبح حكمها شديد الوطأة على الشعب الذي دفعه الظلم والتهميش إلى الرغبة بالإطاحة بهذا النظام ، وفي هذا الصدد يقول أرسطو مايلي: "هي حكومة الأغنياء والأعيان ويصنفها ضمن الحكومات الفاسدة"²، وفي الوقت نفسه انتقد أفلاطون في جمهوريته حكم الأقلية الاليجاركية بقوله: "عدم انضباط الاليجاريين في السعي إلى تحقيق مآربهم في الثراء إلى أقصى ما يمكنهم ، فمن الواضح أن حب المال وضبط النفس صفتان لا تجتمعان في أي مجتمع"³.

1- أسباب قيام النظام الاليجارشي : ظهر هذا النظام السياسي نتيجة للأوضاع السياسية والاقتصادية السابقة التي ميزت أثينا في حدود نهاية القرن 7 ق.م جراء استئثار الارستقراطيين بالحكم ، بالإضافة إلى أسباب أخرى أدت إلى قيامه ولعل أهمها مايلي:

-توجه أنظار الطبقة الدنيا إلى تكوين سلطة بشرية محضة في أصلها وطبيعتها ، وأخذت تبحث عن حكومة جديدة تقوم على تنظيمها وقيادتها ، وقد ساعدها على ذلك زيادة أعدادها مع مرور الوقت بالإضافة إلى التطور الاقتصادي الذي حدث على مدى قرنين من الزمان⁴ ، فازدهار التجارة وتكوين المستعمرات وسياسة الانفتاح على البحار ، كل ذلك أوجد أمام الطبقة الدنيا متنفسا ومجالا للحركة والهجرة ، والاتصال مع الحضارات الشرقية

¹ محمد الخطيب ، الفكر الإغريقي ، المرجع السابق ، ص ص 288-289.

² أرسطو ، السياسات ، المصدر السابق ، ص ص 264، 269.

³ مصطفى العبادي ، اقتصاديات أثينا ، المرجع السابق ، ص 208.

⁴ خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 411.

خاصة وأنها تطل على بحر إيجه وتنتشر في البحر المتوسط على شكل جزر بحرية¹ ، فبعد أن كان العمل في أراضي الطبقة الارستقراطية هو الوسيلة الوحيدة الموجودة أمامهم لكسب عيشهم ، أصبح النشاط التجاري البحري يؤمن لها فرصة المساومة الاجتماعية والاقتصادية بينها وبين الطبقة الارستقراطية القديمة، وبالتالي أمام هذا الوضع الجديد برزت طبقة اجتماعية جديدة تعرف بطبقة التجار الأثرياء أو القوة البحرية التي خرجت من قلب الطبقة الدنيا .

-شعور الطبقة التجارية الصاعدة بالقيمة الشخصية أمام الارستقراطيين ، حيث تجلت فيها الروح الحكيمة وأفكار المساواة والإصلاح والتغيير ، فأحست هذه النخبة بضرورة قيادة باقي أفراد الطبقة الدنيا وأخذت تسعى إلى تأمين مصالحها المتزايدة عن طريق السعي بجميع الوسائل إلى المشاركة في الحكم بطريق أو بأخرى ، بالمقابل وجدت الطبقة الدنيا في صميم هذه النخبة عناصر لحكومة تحسن قيادتها وتنظيمها ، وتساعدتها في مكافحة امتيازات النبلاء والتخلص من حكمهم الإقطاعي.

-التوسع في القوة العسكرية الأثينية بداية من القرن 7 ق.م ، فبعدها كان أفراد الطبقة الارستقراطية يسيطرون على القوة العسكرية في البلاد حيث كانت الفروسية السلاح النبيل عند الارستقراطيين ، فالحروب في هذه الفترة كانت محدودة بقدر الحجم المحدود للمصالح الاقتصادية ، ولم تتعدى حدود الغارات المتبادلة بين المدن الإغريقية فقط ، وكانت قوة الارستقراطيين تكمن في قوة فرسانهم الذين يملكون الخيول اللازمة لهذه الغارات ، وفي نفس الوقت يتابعون بهم أعمالهم في مزارعهم وممتلكاتهم ، ولكن مع التطور الاقتصادي في بداية القرن 6 ق.م واتساع الثروات الزراعية والعقارية ، والثروات المنقولة وغير المنقولة ، وازدياد السكان وتطور المدن توسعت المصالح الاقتصادية والعسكرية في نفس الوقت ، وانبثقت قوة عسكرية جديدة هي قوة المشاة العسكرية التي كان أساس قوامها أفراد الطبقة الدنيا التي أخذت تحتل الصفوف الأولى في هذه القوة الجديدة ، إضافة إلى التوسع في الأسطول البحري الذي كان أساسه أيضا أفراد الطبقة الدنيا ، لذلك أصبح مصير معظم المدن الإغريقية عامة وأثينا خاصة في قبضة الطبقة الدنيا -تجاريا وعسكريا- التي بدأت تتحكم تدريجيا في زمام الأوضاع الاجتماعية والسياسية² .

Xenophon , gouvernement des Athéniens , II , 13.

¹ خليل سارة ، المرجع السابق ، ص ص 412-413.
²

2-ظروف وصول صولون إلى السلطة:

نظرا لكون قوانين دراكون كما ذكرنا سابقا لم تتناول سوى جانبا محمدا من مشاكل المجتمع الأثيني، فقد انعكس ذلك بشكل واضح على الأوضاع المزرية التي آلت إليها الطبقة العامة، حيث أنها وصلت إلى درجة بالغة من السوء فقد وقع كثير من أفراد هذه الطبقة تحت طائلة الديون، و انتزعت من كانت له أملاك للوفاء بديونهم نحو دائئهم لأفراد الطبقة الأرستقراطية، وبيع بعضهم ممن لم تكن لهم أراضي في أسواق الرقيق عبيد¹.

كل هذه الظروف أدت إلى سحق الطبقة العامة لأن حالة الفقراء ازدادت سوءا يوما بعد يوم بينما كان الأرستقراطيون يتحكمون في زمام الحكم و الجيش و سخروا المحاكم في خدمة مصالحهم الشخصية²، ونظرا للتهميش و الحرمان الذي عان منه الفقراء، أخذوا يفكرون بالقيام بثورة لاسترجاع حقوقهم و المطالبة بإلغاء الديون و إعادة توزيع الأراضي متهمين بذلك الارستقراطيين الأغنياء بالغش و عدم الاعتدال و هذا ما زاد من شدة تأزم الأوضاع في أثينا أكثر فأكثر³، حيث اشتد الصراع بين الأحزاب السياسية، فكان أنصار حزب الجبل يريدون إقامة حكومة شعبية بينما كان أنصار حزب السهل يفضلون قيام حكومة أوليجاركية جماعية أما حزب الساحل و الذي كان أتباعه خليط من كلا الحزبين يحول دون انتصار أحدهما على الآخر⁴، وفي خضم هذه الظروف التجأ الأثينيون إلى صولون باعتباره الشخص الأنسب لتخليص أثينا من هذه الأزمة ووضع حد لهذا الخلاف، نظرا لماضيه الناصع و بلاغته النادرة و قوة شخصيته وبراعته في مجال السياسة و لقدرته على التوفيق بين المثل العليا وبين ضروريات الحياة الاجتماعية الواقعية عرضت عليه الطبقة الوسطى الترشح لمنصب الحاكم و منحتة السلطات المطلقة في سبيل إنهاء الحرب الأهلية⁵.

لكن صولون في بداية الأمر تردد في تؤولي هذا المنصب لحوفه من عدم قدرته على التوفيق بين طرفي الصراع، إلا أنه في نهاية المطاف قبل بتولي المنصب، وعين أرخونا على أثينا في بداية القرن 6ق.م خلفا للأرخون

1 Halmarcovitz , op-cit , p 35 .

2 ول ديورانت ، المرجع السابق ، ص ص 208 – 209 .

3 C . Robinson ,hellasashort history of ancient greece , pantheon books , company Cambridge ,m.assachaiassetts , 1948 , p 47.

4 - مصطفى النشار ، المرجع السابق ، ص 19 .

5 محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 229 .



الملحق رقم 40 : صورة تمثل شخصية صولون -أحد أهم رجال المدينة الأثينية في القرن 6 ق.م¹ .

(فيلومبروتوس) أي في حوالي 594 ق.م²، وبمجرد تعيينه منحت له سلطة مطلقة لإخماد نار الصراع بين الطبقات ، ووضع قوانين جديدة للبلاد وقد رضي به الأغنياء لأنهم اعتبروه واحدا منهم ووافق عليه الفقراء لأنه نزيه و أملوا الخير على يديه في استرجاع حقوقهم³ ، والأب الروحي والمؤسس الحقيقي للديمقراطية⁴ .

وقد أشيع عنه قبل انتخابه قوله: " أنه لن تقوم حرب لما تكون الأمور متوازنة " ، هذا ما أَرْضَى كلا الطرفين فالأغنياء فسروا المساواة التي ناد بها بإعطاء كل فرد حقه، أما الأغنياء فقد فسروها بأنها تحقيق العدالة بين الجميع، هذا ما زاد من إصرار رؤساء القوم على ضرورة تولي صولون لمقاليده الحكم ، ضف إلى ذلك رغبة الكثير من العامة في أن يحكمهم رجل عادل ونزيه ينظر لأوضاعهم و ظروفهم بحكمة ، و يرى البعض أن صولون تلقى هذه النبوءة من كهنة دلفي "خذ المقعد الوسط، وكن مرشد السفينة فكثير من أهل أثينا هم إلى جانبك " .

في حين البعض يرى أن أفراد طبقة الفرسان هم الذين كانوا يَلْحُون على صولون بأن يسلك هذا السبيل ، فالأجراء حسبه كانوا راضين إلى حد ما ، لأن نظام الاسترقاق بالدين كان قد الغي ، كما أن العامة و الأغنياء كانوا قد حصلوا على نصيب في الحكم باعتبارهم من أفراد طبقة 500 مكيال* أو من طبقة الفرسان ، أما الحرفيين الذين كانوا أقل ثراء من طبقة الفرسان فكانت مكاسبهم هي الأدنى .

Paul Bernabeo , op-cit , p61.

Claude Mossé , Comment s'élabore un mythe politique :Solon," père fondateur "de la démocratie athénienne , Cambridge University Press, 2018, p425 , Charles Gates , op-cit , p229.

Ortimerlinforth Ivanm , Solon the Athenian , university of California press , Berkeley , 1919, p 53 .

Claude Mossé, op-cit .p425.

*المكيال : يسمى باليونانية ميديمينوس (medimnos) وهو مكيال السوائل أو الجوامد لتقدير ربع إنتاج الأرض مثل: الزيتون ، القمح ..، انظر :

محمود إبراهيم السعدني ، المرجع السابق ، ص 184.

لكن بالرغم من هذا الإلحاح إلا أننا نجد بأن صولون كان يقابل هذا الطلب بالرفض حيث نجده يقول : " صحيح أن الحكم المطلق قطعة جميلة ، ولكن لا يوجد فيه مكان للنزول " ، ويقول أيضا : " لا شك أن صولون من الحالمين السذج فعندما تحبوه الآلهة بالنعم ، تراه يرفضها بمحض اختياره . عندما تكون الشبكة ملئا بالسماك و يراها مفرطة في الثقل ، يأبى أن يرفعها جنبنا منه وقلة عقل ، لو أي اهتبلت تلك الفرصة في الغنى و الحكم كنت طاغية لأثينا يوما واحدا لأعطيت جلدي للسلخ ، وتركت بيتي يضمحل و يموت " ¹ .

هكذا استطاع صولون استمالة جميع الأطراف، حيث أنه لم يكن ليّن في حكمه ولم يرضخ لأي طبقة في سن شرائعه كما أنه لم يعتمد إلى صياغة نموذج حكم جديد أو إعادة تشكيله، لكنه طبق أفضل ما لديه و استخدم القوة و العقل في إقناعهم ، حيث نجده يقول : " القوة و العدل يعملان معا " ² .

يذكر الباحث صوفي حسن إلى أن صولون سن تشريعاته بهدف تحقيق المساواة و القضاء على امتيازات الطبقات و إعادة السلام و الاستقرار لأثينا ، فضلا عن القضاء على تحكّم الأقوياء في الضعفاء حيث سنّ جملة من القوانين السياسية و الاجتماعية و القضائية و الاقتصادية التي تميزت من حيث الشكل بأنها صدرت في ثوب ديمقراطي ، لأن صولون لم يصدر قوانينه باسم الآلهة، بل باسم الشعب الأثيني، فجاءت قوانينه منفصلة عن الدين فهو ليس وحيا صادرا إليه من الآلهة بل من صنع العقل البشري يستهدف إقرار النظام و تحقيق المساواة .

أما من حيث المضمون فقد تميزت قوانينه بعدم اشتغالها على القواعد القانونية فالكثير منها و خاصة المعاملات التجارية ترك أمرها للعرف ، حيث وجدت مجموعة من القواعد المستقرة الواضحة، و من ناحية أخرى أخذ قوانين صولون الكثير من القواعد العرفية السابقة بعد أن أدخل عليها صولون التعديلات التي تلائم الإصلاح الاجتماعي ، كما تأثرت قوانينه بالقوانين الفرعونية ³ ، و يذكر الباحث جورج سارتون في كتابه تاريخ العلم إلى أن صولون درس شرائع الفراعنة المصريين أمثال: نخاو* ، أمازيس* عندما زار مصر و أدخل بعضا منها بعد عودته

¹ روبرت ج . ليتمان ، المرجع السابق ، ص ص 118 – 119 .

² بلوتارك ، المصدر السابق ، ص 223 .

³ صوفي حسن أبو طالب ، تاريخ النظم القانونية و الاجتماعية ، دار النهضة ، القاهرة ، 1972 ، ص 140 .

* نخاو (نكاو) : ثاني ملوك الأسرة السادسة و العشرون ، حكم ما بين (609 ق.م – 594 ق.م) قاد حملة سنة 608 ق.م على فينيقيا تمكن من السيطرة عليها بأكملها بعد هزيمة و مقتل يوشع ملك يهوذا ، ولكن سيطرته لم تدم طويلا إذ ما لبث ان هزم جيشه على يد الملك البابلي بختنصر عام 605 ق.م و اضطر إلى الانسحاب منها و الاهتمام بأموره ، حيث أعاد حفر قناة تصل بين نهر النيل و البحر الأحمر ، لكن مشروعه توقف بناءا عل

إلى أثينا في قانونه الجديد¹ .

وخلاصة القول أن اختيار الأثينيين لصولون كحاكم من أجل إخراج أثينا من هذه الأزمة، راجع لمعرفته الواسعة وحكمته و نزاهته و ماضيه الناصع، حيث تأمل العامة الخير على يديه، كما اعتبره الأرستقراطيون واحد منهم ، فانتخب بذلك أرخونا على أثينا سنة 594 ق.م، و سن مجموعة من التشريعات التي حاول من خلالها حل الأزمة و تحقيق المساواة .

3-التشريعات الأثينية في عهد صولون : بعد وصول صولون للحكم ، حاول إصلاح الوضع السائد في أثينا من خلال سنّ مجموعة من القوانين ، والتي تتمثل في :

أ)-القوانين السياسية والقضائية: أدرك صولون خطورة الموقف الذي آل إليه المجتمع الأثيني، من جراء تسلط الأرستقراطيين و احتكارهم لمقاليد الحكم، و هذا ما أثار سخط العامة و أخذوا يطالبون بتحقيق العدالة و المساواة الاجتماعية في مختلف الجوانب لإخراج أثينا من هذه الأزمة، فمن الناحية السياسية قام صولون بسن جملة من القوانين تمثلت في :

- إقرار مبدأ المساواة بين كافة أفراد الطبقات و إشراك الشعب في الحكم، حيث ربط في تشريعاته بين الثروة بوجه عام وبين الحقوق السياسية ليصبح مقدار الدخل السنوي للفرد - بصرف النظر عن مصدر هذا الدخل سواء كان من الأرض أو من التجارة - هو الأساس الذي يقوم عليه درجة تمتعه بهذه الحقوق .

بفضل هذا التشريع الذي ربطه بأي مصدر من مصادر الدخل أصبح في إمكان الطبقة التجارية الصاعدة أن تشارك في الحكم و المناصب التنفيذية للدولة و الجهاز الإداري كل حسب ثروته إلى جانب أفراد الطبقة

نبوءة معبد بوتو بعد أن مات مئة و عشرين ألف مصري أثناء الحفر وهي القناة التي أتمها فيما بعد داريوس الأول ... ، أنظر سمير أديب ، موسوعة الحضارة المصرية القديمة ، ط1 ، دار العربي ، العراق ، 2000 ، ص 838 .

** أمازيس (أحمس الثاني) : خامس ملوك الأسرة السادسة و العشرون اختاره الملك أبريس قائدا للجيش ، وما لبث أن بايعه الجيش ملكا على مصر وقد صادفته صعوبات في بداية حكمه بسبب وجود فرق الجند المرتزقة من الإغريق و الليبيين ن حيث حاول أن يوفق بين هذه العناصر وقد استطاع أن يحمي عرشه من الأخطار الخارجية بعد ظهور دولة فارس القوية و امتداد أطماعها نحو مصر فتحالف مع جميع أعداء فارس ، و استطاع أثناء حكمه الطويل لمصر الذي دام 43 عاما ان يؤمن حدودها من الغرب و الشرق و أن يقضي عل عوامل الثورة في البلاد و جعل مصر تنعم بعصر مزدهر و أن تنال حضا وافرا من الثراء و الاستقرار ... ، أنظر سمير أديب ، المرجع السابق ، ص 49 .

¹ جورج سارتون ، المرجع السابق ، ص 382 .

الأرستقراطية القديمة¹، فكان كل من يملك أكبر قدر من الثروة له الحق في شغل المناصب العليا في الدولة ومن يملك أقل يتولى مناصب ذات مكانة أقل².

- إحلال الملكية محل المولد والنسب كمؤهل وحيد للتمتع بالحقوق السياسية ، وجعل من طبقة النبلاء بالمولد أعلى الطبقات الاجتماعية جميعا ، ولكنها لم تحتكر الامتيازات والحقوق السياسية ، وذلك منذ أن عمد صولون على الحيلولة دون إعطاء الفرصة لطبقة معينة لاحتكار السلطة على الدولة ، واعتمد على فكرته التي تنادي بالتدرج في الثروة قصد تحديد درجة الحقوق والواجبات السياسية لكل فرد ، وأهم هذه الواجبات جميعا هي الخدمة في الجيش حيث يتولى النبلاء والفرسان والفلاحين خدمة الفروسية أو في فرق المشاة الثقيلة بينما تعمل طبقة الرعاة والمعدومين في الفرق الخفيفة التسليح أو في الأسطول ، أما حق انتخاب الأرخون فقد ظل حكرا على الارستقراطيين دون بقية الطبقات³.

-أبقى على رأس الدولة مجلس الأريوباجوس (Areopagus) بعد أن جرده من بعض ما كان له من صلاحيات، ففي السابق تمتع هذا المجلس بنفوذ واضح على مجلس الشعب ذلك لان الأعمال المقدمة لمجلس الشعب كانت تناقش ويوافق عليها مجلس الشيوخ أولا قبل عرضها على مجلس الشعب⁴، وهذا بعد أن أصبح مفتوح الأبواب لجميع أفراد الطبقة الأولى (أصحاب الخمسمائة مكيال)، ولكنه ظل مع ذلك صاحب السلطة العليا و المهيمن على سلوك الناس و موظفي الدولة⁵، حيث أوكل إليه مهمة حماية القانون و مراقبة النظام وجعل له سلطة و نفوذ أوسع، فهو من يراقب أعضاء مجلس المدينة و يعاقب المخالفين ويجمع الغرامات و يؤديها إلى خزينة الدولة ، ومهمة الحفاظ على القوانين والتقاليد ، فمنح صولون لمجلس الاريوباجوس أيضا صلاحية الانتقام ضد كل من يحاول تقويض الدستور والتشريعات العامة مع مراقبة جميع القوانين⁶.

اقتصرت عضويته على أفراد الطبقات الثلاث الأولى (النبلاء ، الفرسان ، الفلاحين) وجعلها مقتصرة على من يستطيع أكبر قدر من الثروة والمال الذي يؤهله للانتماء إلى الطبقات العليا من المجتمع ، وبذلك فتحت الأبواب

1 لطفي عبد الوهاب يحي ،اليونان ، المرجع السابق ، ص 127 .

2 علي عبد المعطي محمد ، المرجع السابق ، ص 27 .

3 ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص ص 193-194.

4-

Claude Mossé , op-cit , p426.

5 فيان موفق النعيمي و ياسر عبد الجواد ، المرجع السابق ، ص 27 .

6 أرسطو ، الدستور الأثيني ، المصدر السابق ، ص 2 .

أمام الكثيرين للانضمام لهذا المجلس بعد تحسن ظروفهم مباشرة بالرغم من حرمان الطبقة الرابعة (المعدومين) من حق عضوية المجلس ، وبذلك أصبح للأثرياء الجدد مكانة كبيرة في مجلس الشيوخ¹.

-إحياء الجمعية العامة الإكليزيا (ekklesia) أو مجلس الشعب وعهد إليه بمهمة انتقاء الحكام الذين كانوا ينتخبون في السابق من قبل مجلس الأريوباجوس، وجعل جميع الموظفين في الدولة مسؤولين أمام هذا المجلس الذي يستطيع معاقبتهم ، كما يحق له محاسبة الحكام و القادة عند انتهاء مدة عملهم ضمن ما يعرف باسم المراجعة السنوية ، كما يستطيع حرمانهم من عضوية مجلس الأريوباجوس².

وقد منح صولون لأصحاب الطبقة الرابعة(الرعاة والمعدومين) حق العضوية في الجمعية العامة ، و حق الحضور في جلساتها المنعقدة للموافقة على القوانين الصادرة أو انتخاب الحكام، فأصبح لهم بهذا الامتياز حق التصويت في انتخاب الحكام أمام مجلس الشعب ، وكذلك الحكم على أعمالهم وتصرفاتهم عند نهاية السنة، وبهذا الشكل مارست الطبقة الفقيرة سلطة الحقيقية على موظفي الدولة³.

لكن ما ذهب إليه في هذا الطرح مبالغ فيه لأن الجمعية العامة كانت موجودة منذ العهد الملكي وتظم كل المواطنين الأثنيين الأحرار، وقد شهدت خلال العهد الأرستقراطي تطورات كثيرة بسبب تسلط الارستقراطيين و احتكارهم لمناصب العضوية في الجمعية العامة، لأنهم فرضوا ضغوطات على أفراد الطبقة الرابعة أثرت في اشتراكهم وحضورهم في جلسات الجمعية .

هذا يعني أن أفراد الطبقة الرابعة كانت تنقصهم الممارسة الفعلية خلال العهد الأرستقراطي، لكن قوانين صولون حررت أفراد هذه الطبقة و منحتهم الحقوق السياسية و حرمت استبعاد الأشخاص مقابل الوفاء بدين ومن ثم أمنت أفراد هذه الطبقة على حقوقهم كآدميين وهي الحرية التي يجب أن تتوفر قبل التفكير في أي حق من الحقوق على الصعيد السياسي⁴، وبهذا الامتياز كسر صولون احتكار الارستقراطيين النبلاء للمناصب العليا ، وفي هذا الصدد يقول أرسطو بأن صولون نقل السلطة من النبلاء إلى العامة⁵.

Claude Mossé , op-cit , p427.

¹

² علي عكاشة و آخرون ، المرجع السابق ، ص 73 .

³ أرسطو ، الدستور الأثيني ، المصدر السابق ، ص37.

⁴ - لظفي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص ص 128 - 129 .

⁵ أرسطو ، الدستور الأثيني ، المصدر السابق ، ص ص 24.

- إنشاء إلى جانب هذا المجلس محكمة الأريوباجوس أو المحكمة الشعبية أو مجلس المحلفين أو مجلس القضاء (محكمة الهيئية-heliaea) تتكون من كافة المواطنين بما فيهم أفراد الطبقة الرابعة، أو الذين تجاوز سنهم ثلاثين عاما بما في ذلك طبقة الفقراء ، وعلى كل عضو أداء يمين القسم قبل بدء مهامه بعدما يتم اختيارهم عن طريق الاقتراع والتقييد به ، ومن اختصاصهم النظر في المسائل الرئيسية ، وحق إعادة استئناف الأحكام ضد بعض القضايا الصادرة من طرف الاراخنة ، بالإضافة إلى مراقبة أخلاق الأمة، والإشراف أيضا على السلطات التنفيذية و مراقبة أعمال كبار الموظفين ، و الإشراف على أعمال القضاة وله أن يبدي رأيه بعد مجلسي الأريوباجوس و مجلس الأربعمئة¹.

ولكن من الأرجح أن مثل هذه الحقوق الواسعة التي تحلت بها المحاكم الشعبية جاءت نتيجة تطورات طويلة وربما كان الأقرب إلى الصواب في هذا الصدد أن نفترض أن دور هذه المحاكم عندما ابتدأت في عهد صولون كان ينحصر الرجوع إليها لاستئناف أية أحكام يتجاوز فيها أعضاء الهيئة التنفيذية حدود السلطات المخولة لهم وهو دور يشكل البداية الأولى للسلطة القضائية الكبيرة التي أصبح يتمتع بها المواطنون الأثينيون عندما وصل المجتمع الأثيني إلى آخر مراحل تطوره².

كما أقام إلى جانب المجالس السابقة مجلسا آخر يعرف باسم مجلس الأربعمئة أو مجلس البولي الذي يتكون من أربعمئة عضو، وقد كان يتم انتقاء مئة عضو من كل قبيلة من القبائل الأثينية الأربعة، وكانت عضوية هذا المجلس قاصرة على أفراد الطبقات الثلاث الأولى (النبلاء ، الفرسان ، الفلاحين) فقط ، وبذلك حدد صولون سلطة القبائل وتأثيرها حيث كانت أثينا قبل إصلاحاته تحت تأثير وإدارة القبائل وبطونها ، ومن أهم صلاحياته تشمل: - تحضير مشاريع القوانين التي تطرح على الجمعية العامة وإجراء الانتخابات ، ومناقشة الأمور العامة قبل عرضها على مجلس الشعب³.

1 محمود فهمي ، المرجع السابق ، ص 48 .

2 لطفي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص ص 129 - 130 .

3 نفسه ، ص 127 .

والجدير بالذكر أن هذا المجلس أصبح بمثابة الهيئة التنظيمية لها وزنها في إدارة شؤون البلاد ، و نواة مجلس الأريوباجوس نفس الوقت ، وازدادت أهميته بعد اعتزال صولون الحكم باكتسابه سلطات مهمة تجعله في الواقع هيئة مستقلة عن الدولة¹ .

- أحدث مبدأ الاقتراع لاختيار موظفي الحكومة، لكن بعد أن وفق بينه و بين انتخاب سابق تقوم به القبيلة، كانت كل قبيلة تختار من بين أفرادها عشرة لانتخاب من يشغل منصب الأرخون، بعدها يكون الاقتراع بين هؤلاء العشرة الذين ينتمون إلى الطبقة الأولى (أصحاب الخمسمائة مكيال) التي قرر أن يتم انتخاب منها التسعة الذين يقومون بعمل الأرخون وقد جرت العادة قديما أن يدعوهم مجلس الأريوباجوس أمامه للامتحان ولا يخلي بينهم و بين مناصبهم إلا إذا ظهرت له كفايتهم² .

- أقر صولون ما كانت عليه الحال من قبل فظلت المدينة مقسمة إل ثلاث تريتوس*، أو إلى إثني عشر نواكرار** لكل منها رئيس يعرف باسم النواكراروس الذي ظل مكلفا بجباية الضرائب و القيام بالنفقات³ .

- أما من الناحية القضائية سن صولون مجموعة من القوانين الدستورية بهدف تنظيم المجتمع الأثيني ، حيث أول عمل قام به في هذا المجال هو :

- إلغاء قوانين دراكون التعسفية لأنه أدرك أن قوانين دراكون كانت قاسية أكثر مما ينبغي فألغاها كلياً إلا تلك التي تتعلق بجرائم قتل المواطنين ، لاتفاقه معه في بشاعة هذا الجرم، وبالتالي فرض عقوبة الإعدام على كل من يرتكب هذه الجريمة⁴ ، حتى قيل أن دراكون سئل ذات مرة ، لماذا أكثر من عقوبة الإعدام ، فرّد قائلاً: " لأن بعض الجرائم الصغيرة يستحق مرتكبيها الإعدام ، أما الجرائم الكبرى فلم أجد لها جزاء أشد"⁵ .

1 سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 200 .

2 طه حسين ، المرجع السابق ، ص 57 .

* تريتوس: قسم إداري من أقسام القبيلة ويختلف المؤرخين في أن صولون قد أحدثه أو أبقى عليه وكان الغرض منه جمع الجنود وجباية الضرائب .

**نواكرار: قسم إداري من أقسام التريتوس قبل عهد صولون أو في عصره أنشأ لنفس الغرض الذي أنشأ له التريتوس ...، أنظر : طه حسين ، المرجع السابق ، ص 58 .

3 نفسه .

4 سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 197 .

5 مصطفى العبادي ، اقتصاديات أثينا ، المرجع السابق ، ص 210 .

- أصدر قانونا ينص على أنه في حالة قيام ثورة لا بد أن ينظم كل فرد في المدينة إلى أحد الحزبين ويحمل معه السلاح، وإذا لم يفعل ذلك ووقف موقفا سلبيا سيتعرض للحرمان من حقوق المواطنة¹، من خلال هذا يظهر لنا أنه أراد بث روح المسؤولية في نفوس المواطنين وذلك من خلال إجبارهم على الانخياز فوراً إلى أحد طرفي الصراع، لا الابتعاد عن مواطن الخطر و الاهتمام بشؤونهم الخاصة، كما ربط الجهاز القضائي بالطبقة الغنية².

- سن قانونا يقضي بأنه يجب على كل من يطالب بميراث يتوجب عليه إيداع تأمين قدره عشر قيمة الميراث، ولا يرد له إذا رفض طلبه، وأجاز إعلان النّمّام بالحضور أمام المحكمة فإذا لم يحصل على خمس الأصوات تبرئه أمكن الحكم عليه بعقاب جسماني له أن يتخلص منه إذا نفي من البلد قبل النطق بالحكم، وأنه على كل من يريد تقديم شكوى ضد كل من اعتدى على طفل أو امرأة أن يودع تأميناً لدى المحكمة وأن يقسم بأغلظ الإيمان وستنزل عليه أكبر اللعنات إذا كان في دعواه كذبا.

- اصدر قانونا نص فيه بأنه على كل من يريد تقديم شكوى ضد كل من يغتصب امرأة يلزم عليه تزوجها أو يحكم عليه بالإعدام، وأن الزانيات يجرمن من خدمة الآلهة وأوكل أمر عقابهن إلى أزواجهن وجعل عقوبة الإعدام جزاء كل قاضي يرى في حالة سكر³.

يذكر أرسطو فيما يخص قوانين صولون أن البعض اعتقد بأنه صاغ قوانينه بشكل غامض عن تعمد، حتى يكون الشعب سيد الفصل في الأمور⁴، من خلال حصره للقوانين القضائية على المبادئ العامة بصورة تساعد المواطنين على الرجوع إلى الجمعية العامة عند حدوث أي اختلاف في تفسير القوانين و كيفية تطبيقها على الحالات الخاصة و بذلك يصبح الشعب هو المصدر الحقيقي للقوانين.

هكذا حقق صولون المعادلة الصعبة فأبقى مكان الأغنياء من الحقوق التي اكتسبها بفعل الزمن و قوة ثروتهم عملاً بشهادة هيسود الذي مضى عليه أكثر من قرون قبل عهد صولون بأن المجد يسير خلف الثروة، كما رفع الظلم و القهر عن جموع الشعب الأثيني الفقير و حرر إرادتهم و رفع معنوياتهم و أشركهم لأول مرة في جلسات الجمعية العامة (ekklesia)، فضلا عن مشاركتهم كمحلفين في المحاكم من دون أجر⁵، كما فرض

¹ محمود السيد ، المرجع السابق ، ص 59 .

² بلوتارك ، المصدر السابق ، ص 228 .

³ محمود فهمي ، المرجع السابق ، ص ص 49 - 50 .

⁴ أرسطو ، الدستور الأثيني ، المصدر السابق ، ص 38 .

⁵ محمود إبراهيم السعدني ، المرجع السابق ، ص 186 .

صولون في سبيل تدعيم قوانينه عقوبات على المخالفات تتصف بشيء من الشدة و لكنها أرحم من تلك التي فرضها دراكون، ولكي يطلع عليها الجميع كتبها على ألواح متحركة و علقها في مقر المحاكم¹.

ب-القوانين الاقتصادية : أدرك صولون بفضل تجاربه الشخصية و خبرته العملية، أن جميع الإصلاحات سواء الاجتماعية أو السياسية أو القضائية لا فائدة منها إن لم يرافقها إصلاح اقتصادي، وفي الحقيقة ليس في استطاعته المحافظة على التوازن و السلام بين الطبقات إن لم تكثر الثروة العامة و توزع بأكثر ما يمكن من العدل بين مختلف الطبقات و يطمئن الجميع بضمان مصالحهم المادية ، وللوصول إل هذه الغاية اتخذ سلسلة من التدابير التي من شأنها أن تدفع المواطنين إل العمل و الزيادة في الإنتاج، وكان أول عمل قام به في الجانب الاقتصادي هو:

-إلغاء الرهون العقارية و الديون القائمة سواء كانت للأفراد أو للدولة وهذا القانون يعرف باسم سيسكاثيا (seisachtheia)* ،أو قانون رفع الأعباء وهكذا حرر أراضي أثينا من جميع الرهون ، ومن جميع مطالب الدائنين التي تمس حرية المواطنين الشخصية، وكان صولون سياسيا محنكا فلما قام عامة الناس بالمطالبة بتقسيم الأراضي التي في حوزة النبلاء قسمة جديدة رفض تلبية طلبهم ولكنه حدد مساحة الأراضي التي يحق للنيل اقتنائها، ولو قام بتقسيم الأرض من جديد لأشعل نار الحرب الأهلية داخل أثينا².

- منع تصدير القمح خارج أتيكا و جعل التصدير وقفا على زيت الزيتون و المصنوعات حتى ينزل ثمنه و يضمن للفقراء خبزهم لأنه كان يعلم أن إنتاج إقليم أتيكا من القمح لا يكاد يكفي سكانه خصوصا بعد أن كان التجار الأثينيون يتاجرون فيه و يصدرونه للمدن المجاورة الأخرى وغيرها من البلدان، ثم يستوردونه مرة أخرى إلى أثينا لبيع بأسعار باهظة وهكذا وجدوا في ذلك موردا للكسب السريع³.

- عمل على تحريم الربح الفاحش، وتحديد سعر الفائدة و حل المشاكل الزراعية وذلك بتحرير الأرض من القيود التي كانت تمنع انتقالها من داخل نطاق الأسرة، وحدد مساحة الأراضي الزراعية التي يجوز لكل فرد الإشراف على

¹ محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 235 .

* سيسكاثيا : كلمة إغريقية تعني رفع الأعباء وهي قانون يقضي بإلغاء مبدأ الاستدانة بضمان الشخص المدين وتحرير العبيد الذين استعبدوا بسبب الدين وإلغاء قيود الرهن الواقعة على صغار الملاك الذين فقدوا أرضهم بسبب تلك الديون ... ، أنظر : عاصم أحمد حسين ، المرجع السابق، ص 161.

² محمود شاكر ، المرجع السابق ، ص 283 .

³ سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 197 - 198 .

امتلاكها، مما ترتب عليه قيام ملكيات متوسطة و صغيرة واستطاعت بذلك الطبقات المحرومة من الفلاحين امتلاك الأراضي و تحسنت حالة الفلاحين الاقتصادية في الريف مما أدى إلى نمو طبقة صغار الملاك في القرى¹.

- تنظيم عملية غرس الأشجار، حيث سن قانون يقضي بأن كل من أراد أن يغرس شجرة عليه أن يبعد موضعها خمسة أقدام عن حدود حقل جاره على الأقل، وإذا كانت الشجرة المغروسة شجرة تين أو زيتون يجب أن لا تقل المسافة بين كل شجرة و أخرى عن تسعة أقدام لأن جذورهما تتشابك فيما بينها وأنه يجب أن لا يغرس هذان النوعان من الأشجار بالقرب من نوع آخر، لأنهما سيؤثران على هذا النوع ويمتصان غذائه فيهلك بذلك، وأنه يجب على كل من يحفر حفرة أو ساقية عليه أن يبعدها عن أرض جاره ونفس الأمر ينطبق على تربية النحل حيث حدد مسافة تقدر ب ثلاث مئة قدم عن جاره.

- نظرا لقلة الأنهار و الينابيع و البحيرات في أتيكا اضطر الناس إل استخدام الآبار التي كانوا هم من تولوا حفرها، فقرر سن قانونا يسمح باستغلال مياه الآبار العمومية، و وضع جوائز كبيرة لمن يقتل الذئب التي كانت تفتك بالقطعان، فكان كل من يصطاد ذئبا يحصل على خمس دراهمات، و من يأتي بجروه ينال دراهما واحدة، كما حدد قيمة الثور بخمسة دراهمات و قيمة الخروف بدراهما واحدة، و حدد قيمة الجائزة التي ينالها الفائز في الألعاب الأولمبية ب خمسمائة دراهما².

- في سبيل إنعاش الاقتصاد في أثينا و تطوير الصناعة عمد صولون إلى اجتذاب الحرفين من خارج بلاد أتيكا وتشجيعهم على الاستقرار من خلال منحهم حق المواطنة³، وشجع الصناع وألزم كل والد أن يعلم ابنه حرفة أو تجارة حتى لا يشب عاطلا، وكان يهدف من هذا إلى تطوير الصناعات الأثينية مثل الأواني الفخارية التي أخذت طريقها نحو الأسواق الخارجية و كانت هذه بداية لصناعة اشتهرت بها أثينا فيما بعد⁴.

¹ أحمد إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص 193 .

² بلوتارك مج 1 ، المصدر السابق ، ص ص 232 - 233 .

³ Jeremy Mcinerney , ancient Greek civilization ,T 1 , the teaching company , pnsylvania , 1998 , p 32 .

⁴ سيد احمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 198 .

- استبدل النظام النقدي الذي كان يستخدم في أثينا، حيث بدل نظام إيجينا (aegina) و أقر مكانه نظام أوبويا (euboea)، وخفض قيمة العملة حيث جعل 73 دراخما قديمة تساوي 100 دراخما جديدة وبذلك خفض قيمة ديون الفقراء بنسبة 27% وقد حقق بذلك هدفان هما¹:

أولاً: أنه أصبح في إمكان أتিকা الاتجار مع المدن التجارية الغنية أمثال أرتيريا و خالكيس و التعامل في أسواق أيونيا الغنية .

ثانياً: أنه كان في تخفيض وزن العملة تخفيض لديون القائمة بطريقة تلقائية لأن هذه الديون القديمة سددت بالعملية الجديدة الخفيفة الوزن التي مكنت معظم المواطنين من تسديد ديونهم للدولة² .

- أبقى صولون المكاييل التي أوجدها فيدون، لكنه زادها بمقدار جزء من اثني عشر جزءاً فكان المكيال الذي وضعه صولون يساوي 52 لتراً، بخلاف المكيال الذي وضعه فيدون الذي كان يساوي 48 لتراً فقط³ .

- قسم المجتمع إلى أربع طبقات مثلما أشرنا سابقاً حسب الثروة، وقد كانت امتيازات أفراد هذه الطبقات وواجباتهم و الضرائب المفروضة عليهم متناسبة مع مقدار دخلهم فكان أفراد الطبقة الأولى (pentakosiomedimnoi) يدفعون مقدار 12 بالمئة من الضرائب، أما أفراد الطبقة الثانية (hippeis) فقد كانوا يدفعون 10 بالمئة حين كان أفراد الطبقة الثالثة (zeugitai) كانوا يدفعون 5 بالمئة ، أما أفراد الطبقة الرابعة (thetai) فقد كانوا لا يدفعون أية ضريبة مباشرة .

وإذا لاحظنا أن صولون قد بدل نظام المكاييل و الموازين و خفض بذلك مقدار المحصول المقرر لأفراد الطبقة الأولى من 363,7 إلى 257,6 هيكتولتر ولطبقة الثانية من 218,22 إلى 155,11 هيكتولتر و لطبقة الثالثة من 145,48 إلى 103,44 هيكتولتر، يتبين لنا مدى ازدياد عدد الأفراد الذين يحق لهم الاشتراك في الحكم، ولم تمضي مدة طويلة حتى استغنى صولون عن تقدير الثروة حسب المحصول الزراعي فصار يعتبر من الطبقة

¹ Gardner , history of ancient coinage 700 – 300 J.c , oxford at the clarendon press , oxford , united states Percy of America , 1918 , p 144

² عاصم أحمد حسين ، المرجع السابق ، ص 162 .

³ محمود فهمي ، تاريخ اليونان ، تق: محمد زينهم عزب ، مكتبة الغد ، الجيزة ، 1999 ، ص 49 .

الأولى كل من بلغ دخله السنوي 500 دراخما بدلا من 500 مكيال و من الطبقة الثانية 300 دراخما بدلا من 300 مكيال ... إلخ¹.

ج-القوانين الاجتماعية : بعد اعتلاء صولون للحكم في أثينا سنة 594 ق.م، سعى إلى تحسين الأوضاع الاجتماعية و تنظيمها من خلال سن جملة من القوانين التي مست مختلف جوانب الحياة اليومية للأثينيين وكانت أولى قوانينه تنص على إلغاء نظام عبودية المدين، حيث كان عاجز المدين و عدم قدرته على تسديد ديونه من أهم أسباب الرق، كما حرم الإكراه البدني فمنع التنفيذ على جسم المدين بسبب عجزه عن الوفاء بدينه وذلك بيعه أو قتله، فأصبحت بذلك ذمة الشخص هي الضمان لديونه و ليس جسمه²، كما سمح للمنفقين بالعودة إلى أثينا بعد أن تم نفيهم لأسباب سياسية أوفروا من وطأة العبودية بعد عجزهم عن تسديد ما ترتب عنهم من ديون³.

وفي هذا الشأن يقول صولون حسب ما ذكره أرسطو : " من جهتي، أي هدف من الأهداف التي من أجلها ضمنت شمل الشعب ، انقطعت عن السعي قبل تحقيقه، ستشهد على ذلك أطيب شهادة، أمام محكمة الزمن أم الاولمبيين الجلييلة، أرضنا الغبراء، تلك الأرض المستعبدة من قبل والحرة الآن، التي انتزعت من جناتها الأوتاد المغروسة في جهات كثيرة، وأعدت إلى أثينا الوطن الذي أسسته الآلهة أناس كثيرين بيع بعضهم ظلما و بعضهم بحق و هاجر غيرهم و قد اضطرتهم الفاقة، فلم يعودوا يتقنون لغة الآتكي، إذ قد تاهوا في أمصار كثيرة وحررت في ضمن البلاد جماعة قاست ذل العبودية وما انفكت ترتعد أمام نزوات أسيادها"⁴، وبعدها عمد صولون إلى تقسيم المجتمع الأثيني إلى أربع طبقات وذلك حسب الثروة وليس حسب الانتماء وهي:

الطبقة الأولى : الأغنياء (pentakosiomedimnoi) : هم أصحاب الخمسمائة مكيال، وقد خصهم صولون بأحقية تولي المناصب العليا في الدولة وذلك لقدرتهم على الإنفاق و العطاء، دون انتظار المقابل، بل سعيا وراء الشرف و المجد المعنوي فكان الأراخنة وقادة الجيش ورؤساء المصالح ينتخبون من أفراد هذه الطبقة⁵.

الطبقة الثانية : الفرسان (hippeis): لا يقل دخل أفراد هذه الطبقة عن ثلاثمائة مكيال، على أساس أن هذا الدخل هو الحد الأدنى الذي يمكن صاحبه من الخدمة في التعبئة العسكرية في كتائب الفرسان، في ذلك الوقت

¹ محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 233 .

² أحمد إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ص 192 .

³

Poul Bernabeo , op – cit , p 80 .

⁴ - أرسطو ، الدستور الأثيني ، المصدر السابق ، ص 41 .

⁵ - محمود إبراهيم السعدني ، المرجع السابق ، ص 184 .

الذي لم تكن فيه الدولة تنفق على قواتها الضاربة، وإنما كان على كل مواطن أن يقوم بتسليح نفسه و الإنفاق على معداته في ميدان القتال .

الطبقة الثالثة : أصحاب النير (zeugitai): كان دخل أفرادها لا يقل عن مئتي مكيال في السنة، وقد سماها الأثينيون بهذا الاسم على أساس أن الأرض التي تنتج هذا القدر من الدخل يلزم لفلاحتها زوج من الماشية يتم شدتها إلى المحراث بنير خشبي (zeugos) الذي يوضع بشكل مستعرض على رقبتيهما ليوثقا فيه¹.

الطبقة الرابعة : المعدمون أو الأتباع (thetai): هم الفقراء الأثينيون الذين لا يملكون شيء وبالتالي لا يقدر على تولي أي منصب، فحاء حرمانهم تبعا لفقرتهم والأفضل أن نعتبر ذلك تخفيفا عن كاهلهم طالما أن كل وظائف الدولة آنذاك كانت شرفية غير مأجورة برواتب بل تفرض على أصحابها أعباء مالية كبيرة لا طاقة للفقراء بتسديدها².

والجدير بالذكر أن أفراد الطبقة الأولى والثانية كانوا يتمتعون بكل حقوق المواطنة، وكان على أصحابها التزامات غاية في الأهمية فالطبقة الأولى (الملتزمون تجاه الدولة) كان عليها أن تبني سفنا ، و أن تقيم الاحتفالات في مختلف المناسبات على نفقتها الخاصة، والطبقة الثانية كان أفرادها يخدمون كفرسان في الجيش، أما الطبقة الثالثة فكانت محدودة الحقوق وغير مسموح لأفرادها بالولوج إلى مجلس الأريوباجوس ولا أن ينتخبوا كحكام، لكنهم خدموا في الجيش كمشاة ثقيلة التسليح، أما الطبقة الرابعة فيتمتع أفرادها بحق انتخاب أعضاء مجلس الأريوباجوس ولكن لم يسمح لهم بالترشح لعضويته، وكانوا يخدمون في الجيش كمحاربين بأسلحة خفيفة³.

لم يحجم صولون عن التشريع في ميدان الأخلاق و الآداب العامة، فقد كان يعد الإصرار على البطالة جريمة ولم يكن يسمح للرجل الذي يعيش عيشة الدعارة و الفجور أن يتقدم إلى الجمعية العامة بطلب، و جعل البغاء قانونيا و فرض على البغاة ضريبة وأنشأ هيكلًا لهذه الأغراض، فتغنى به رجل من معاصريه يدعى (لاكي - lacky) قائلا : " مرحبا بك يا صولون لقد ابتعت المومسات لخير المدينة ولوقاية أخلاق المدينة الغاصة بالشبان الأشداء، ولولا تشريعك الحكيم لضايق هؤلاء الشبان فضليات النساء و نشروا في المدينة الفساد و الاضطراب"⁴.

¹ - لطفي عبد الوهاب يحي ، اليونان ، المرجع السابق ، ص 126 .

² - محمد إبراهيم السعدني ، المرجع السابق ، ص 185 .

³ محمد إبراهيم بكر ، حضارة وتاريخ الإغريق ، المرجع السابق ، ص ص 105 - 106 .

⁴ ول ديورانت ، المرجع السابق ، ص 216 .

- أصدر قانونا أباح فيه قتل الزاني في حالة ما إذا مسك متلبسا بجرمه، لكن في حالة ما إذا أجبر الرجل الحر على الزنا فيتوجب عليه أن يدفع مئة دراهما، وإذا أغوى المرأة على نفسها فعليه أن يدفع عشرين دراهما هذا إن لم تكن من العاهرات اللواتي يعين عرضهن علانية، وإن كانت منهن فلا حرج عند صولون في ذلك¹.

- حدد صولون بائنات العرائس لرغبته في أن يكون الباعث على الزواج هو الحب المتبادل بين الزوجين و الرغبة في النسل و تربية الأولاد، حيث فرض هذا القانون على العروس أن لا تجلب معها أكثر من ثلاث فساتين²، ومنح لكلا الزوجين حقوق مدنية، كما أباح الطلاق في حالتي الفقر و الزنا فإذا كان المطلق رجلا فيتوجب عليه أن يرد لزوجته مهرها، أما إذا كانت امرأة فعليها ، ترفع أمرها إلى المجالس لتنظر فيه³.

يذكر بلوتارك بأن صولون سن قانونا غريب بالنسبة إليه وهو الذي يسمح للمرأة التي تملك الثروة بأن تتخذ أقرب شخص لها زوجا و عشيرا لها في حالة ما إذا لم يقيم زوجها بمعاشرتها، وقد مدح الكثير من الأثنيين هذا القانون لأنهم اعتبروه ردعا لأولئك العاجزين عن أداء واجباتهم الزوجية، ويسعون للزواج من النساء الثريات معا في ثروتهم مستخدمين في ذلك ذريعة القانون ليخرقوا سنن الطبيعة لأن الواجب يقضي إما أن يمتنعوا عن هذا الزواج أو يعيشوا حياة زوجية بائسة ويعانوا العار من جراء طمعهم، بالإضافة إلى هذا نجد بأن هذا القانون اشترط أن يكون خليلها من المقربين لزوجها حتى يظل نسب الأسرة محافظا على أصله لذلك استحسّن الناس هذا القانون .

من قوانينه المتعلقة بالزواج أيضا نجد قانون يقضي بأن يوضع الزوجان في غرفة مغلقة الباب حتى يتناولان معا ثمرة السفرجل، و قانونا آخر ينص على ضرورة معاشرته الرجل لزوجته الغنية ثلاث مرات في الشهر على الأقل ، فهذا يعبر عن حقوقها عليه ، و دليل على حب الزوج لها⁴، وقد طلب منه الأثينيون أن يسن قانونا يضيق به على العازيين ، لكنه لم يجذ هذا الطلب ، وقال في تبرير عدم إجابته أن : " الزوجة عبء ثقيل الحمل"⁵.

¹ بلوتارك ، المصدر السابق ، ص 232 .

² ول ديورانت ، المرجع السابق ، ص 216 .

³ محمود فهمي ، المرجع السابق ، ص 49 .

⁴ بلوتارك ، مج 1 ، المصدر السابق ، ص 229.

⁵ ول ديورانت ، المرجع السابق ، 216 .

- سن قانونا خاصا بالنساء هدف من خلاله إلى تنظيم أفراحهم و حدادهم، فلم يسمح للمرأة أثناء خروجها من منزلها أن تلبس أكثر من ثلاث قطع من الثياب ومنعها أن تحمل أكثر من سلة، كما حرم على النساء الخروج في الليل إلا في عربة تحتوي على مشعل في مقدمتها¹.

- منع أقارب الميت من ضرب صدورهن، كما منع الندب في جنازة من لا يقربهم و أبطل عادة التضحية بثور على قبر الميت، ولم يسمح بأن تدفن مع الميت أكثر من ثلاث ثياب، ومنع زيارة القبور إلا من كان له صلة بالفقيد أو أثناء مراسيم الدفن، كما منح المراقبات حق إصدار الأحكام على كل من تسرف في حدادها و تظهر حزنا كبيرا على الميت².

- أصدر قرارا نهى فيه عن الإساءة لسمعة الموتى التنديد بهم، لأنه رأى من العدل احترام ذكرى من فارقوا الحياة، كما نهى عن اغتياح أي شخص في الهياكل و المحاكم و الجمعيات و المسارح، وقد جعل عقوبة ذلك دفع غرامة مالية قدرها خمسة دراهمات تدفع ثلاثة منها للمعتدى عليه و اثنان منها للخزينة العمومية³.

- نهى عن البذخ و الإسراف لأنه أدرك بأن الأغنياء ينفقون بترف في مناسباتهم مثل الشعائر الجنائزية وحفلات الزواج و غيرها من المناسبات و حدد مبلغا معيننا كحد أقصى ينفق على هذه المظاهر الاجتماعية حتى لا يثير بذخ الأغنياء حقد الفقراء الذين يدفعهم إلى الثورة⁴.

- اهتم بمنع تجميع الأرض في يد شخص واحد، ووسع حق الإرث و فرض تقسيم الأرض بين الأولاد و ألغى العادات المتبعة التي كانت تفرض على الفتاة الوارثة الزواج من أدنى قريب لوالدها، أعطى الأولاد غير الشرعيين حق الإرث إذا لم يكن للأب أولاد شرعيين، كما حد من السلطة الأبوية على الأولاد فحرم على الآباء قتل أولادهم بعد بلوغهم سن معينة، كما منعهم من بيع بناتهم أو طرد أبنائهم إلا في الحالات الخطيرة جدا⁵، فكان الولد يبقى في بيت أبويه اللذان يتوليان أمر تربيته حتى يبلغ سن السادسة عشر سنة، ثم يسلم للحكومة التي تدخله في المدارس العمومية لتربيته تربية عسكرية و تخوله جميع الحقوق المدنية⁶، كما حث المواطنين على تعليم

C. felton , op – cit , p 89.

1

2 بلوتارك ، مج1، المصدر السابق ، ص 231 .

3 مصطفى النشار ، المرجع السابق ، ص 21 .

4 سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 198 .

5 علي عكاشة و آخرون ، المرجع السابق ، ص 76 .

6 محمود فهمي ، المرجع السابق ، ص 48 .

أبنائهم حرفة ما، فسن قانون يعفي الولد من المسؤولية تجاه والده المسن إذا كان الأب م يعلم ابنه حرفة في صغره¹.

- أعى الأبناء الغير شرعيين من إعالة آبائهم طالما أن آبائهم لا يرغبون في الزواج ويميلون إلى غير زوجاتهم بهدف إشباع رغباتهم الجنسية، وليس لتكوين أسرة فحرمهم صولون بذلك من حقهم في السلطة على أبنائهم الذين اعتبر وجودهم عارا².

- فرض على الرجل أن يقسم تركته على أبنائه في حياته و أن يوصي بها لمن يشاء بعد موته، إذا لم يكن له أولاد، وهذا القانون كان أمرا جديدا حيث كانت تركة الشخص الذي لم يكن له أولاد تؤول إلى القبيلة من قبل³، وقد لاقى هذا القانون ثناء كبيرا من قبل الأثينيين، فقبل عهد صولون لم يكن باستطاعة أي أحد أن يوصي بثروته لأن ثروته هي ميراث مؤكد لأسرته، إلا أن صولون أباح لمن لم ينجب أبناء بأن يهب ثروته لمن يشاء مفضلا بذلك الصداقة على القرابة ومبدأ الاختيار على الإكراه، وخول للإنسان حرية التصرف بماله دون أن يضع عليه أي قيود، و أبطل وصية الإنسان المحتضر والشخص الذي يكون تحت تأثير شدة المرض أو السحر أو الإكراه أو الإغراء لأنه لا يوجد فرق بين الإكراه و الإغراء بالنسبة له لأن كلا الأمرين يجدان من حرية العقل.

- اعتبر أن من علامات سوء التربية و الانحلال الخلقي عدم قدرة الإنسان ضبط عواطفه وهذا ما يصعب على الإنسان امتلاك نفسه والتحكم فيها، وأن من واجب القانون الحد من هذه التصرفات و معاقبة البعض ليعتبر بهم الكثير فيصلح أمرهم و قرر معاقبة كل من يتردد على الملاعب بكثرة لأنه مفرط في استمتاعه، كما عاقب المنقطع عنها لأنه اعتبر ذلك استخفافا بالدولة⁴.

- أصدر قانونا يخول للعبد المهان عند سيده الحق في المطالبة ببيعه أملا في الحصول على الراحة عند غيره، و فرض على الحكومة تربية أبناء المواطنين الذين يقتلون في الحرب و تعليمهم على نفقتها الخاصة، وقد اعتبر الأثينيون هذا القانون مصدرا لبسالتهم أجيالا طويلة⁵.

¹ فوزي مكاي، المرجع السابق، ص 98 .

² بلوتارك، المصدر السابق، ص ص 231 - 232 .

³ فوزي مكاي، المرجع السابق، ص 98.

⁴ بلوتارك، المصدر السابق، ص ص 230 - 234 .

⁵ ول ديورانت، المرجع السابق، ص 217 .

ساهمت قوانين صولون إلى في ازدهار أثينا وتطورها في مختلف الجوانب، فبفضلها برزت أثينا كإحدى أعظم مدن العالم القديم، حيث ساهمت هذه القوانين في إخماد فتيل الحرب الأهلية التي كانت أثينا مقبلة عليها ولو بشكل مؤقت، نتيجة تسلط الأرستقراطيين سياسيا واقتصاديا واستبدادهم على الطبقة العامة، إذ يرجع الفضل في تشريعاته إلى تحرير الفلاحين من العبودية والاسترقاق، وبذلك نشأت في أثينا طبقة من المزارعين يملك كل منهم الأرض التي يفلحها، ومن هؤلاء المزارعين كانت يتألف جنود أثينا التي كانت تتميز بالشجاعة في صد الغزاة والتي استطاعت أن تحافظ على استقلالها وحريتها مدة أجيال طويلة، لأن أحسن جندي هو الفلاح الذي يدافع عن أرضه، ويمكننا أن نعرف مدى توزيع الأراضي بين السكان من الإحصاء الذي أجري بعد حروب البولوبونيز* عندما اقترح بعضهم اقتصار حق الانتخاب فقط على المواطنين الذين يملكون أرضا، فقد تبين أنه لم يكن في أثينا كلها سوى خمسة آلاف مواطن يتوفر فيهم هذا الشرط¹.

بفضل تشريعاته الاقتصادية أيضا تحررت الصناعة والتجارة من القيود السياسية التي كانت مفروضة عليهما ومن العوائل المالية، ونتيجة لهذا التطور أصبحت أثينا تتربع على عرش التجارة في البحر المتوسط²، بالإضافة إلى بعد إصداره لقانون ضرورة تعليم كل أب لابنه حرفة معينة ساهم في تطور الصناعات الحرفية خاصة الخزفية منها، حيث أخذ الأثينيون بفضل مهارتهم وذوقهم يبتكرون هذا النوع من الحرف، كما لاقت منتوجاتهم رواجاً كبيراً في مختلف أنحاء البحر المتوسط³.

أما من الناحية السياسية استطاع صولون أن يخطو خطوات ثابتة نحو الديمقراطية، حيث ربط الامتيازات السياسية بوضع اجتماعي معين، ونظراً لوجود أغنياء باهظي الثراء في المجتمع الأثيني، وضع صولون الكثير من الامتيازات السياسية في أيدي اللذين يملكون الكثير، وحق أي مواطن في المطالبة بالتعويض عن الضرر الذي لحق به ولكن بإعطائه السلطات للذين لا يملكون، وهي سلطات كما رأينا ليست هينة حتى أن الأثينيين لم ينسوا له ذلك عندما حققوا نظامهم الذين عرفوه باسم الديمقراطية وذلك إبان القرن الخامس قبل الميلاد، فوصفوه بأنه أبو

* حروب البولوبونيز: هي حروب قامت بين أثينا و اسبرطة ما بين (431 ق.م - 404 ق.م) كان وراءها أسباب سياسية واقتصادية عميقة، وللمزيد أكثر ينظر الفصل الثاني من الباب الرابع .

¹ كامل عيد، المرجع السابق ، ص 236 .

² فيان موفق النعمي وياسر عبد الجواد المشهداني ، المرجع السابق ، ص 30 .

³ د . كيتو ، المرجع السابق ، ص 129 .

الديمقراطية ومؤسسها الأول¹، كما تعتبر تشريعاته القضائية الحد الفاصل بين حكم المراسيم المتغيرة الارتجالية التي لا عداد بينها وبين بداية حكم الشرائع المدونة الدائمة، ولما سأله سائل متى تكون الدولة حسنة النظام ثابتة البنيان؟ أجابه صولون قائلاً: " حين يطيع المحكومين الحاكم ويطيع الحاكم القوانين "².

وبالرغم من محاولة صولون تجسيد مبدأ الديمقراطية وتحقيق المساواة إلا انه لاقى الانتقادات اللاذعة من قبل سكان أئينا خاصة من قبل الارستقراطيين، حيث أخذوا يوجهون اللوم ويلقون الأسئلة عليه بسبب قوانينه، فحقد عليه الأغنياء بسبب إسقاط الديون³، فاتهمه بعض الناس بأنه قد تغاضى عن العمل واستفاد منه، لكن التحقيق الذي أجري فيما بعد بيّن أن صولون هو الدائن الأكبر وأنه خسر بسبب هذا القانون أموالاً طائلة⁴، كما شرع كلا من الحزبين (حزب السهل والساحل) يغير من خططه بالقياس إلى ما كان ينتظر منهم صولون، فهم رأوا أن قوانينه لم تحقق لهم ما كانوا يرجونه، فقد أنقص من امتيازاتهم وحدثت من نفوذهم، و سمحت قوانينه بإشراك الطبقة العامة في الحكم ومنحهم الحقوق السياسية وأجلستهم فوق منصة القضاء، ومن جهة أخرى سخط عليه العامة لأنه لم يعد تقسيم الأراضي تقسماً عادلاً، وعجز عن فرض المساواة التامة والعدالة بين كل المواطنين الأئينيين مثلما فعل ليكورجوس في دولته⁵.

وقد ألزمه الغضب الشعبي الدفاع عن نفسه فنجده يقول رداً على منتقديه: "... لقد أعطيت الشعب من السلطة ما يكفيه، دون أن أنزع عنه شيئاً من كرامته أو أن أضيف إليها شيئاً⁶، أما الذين يملكون القوة وكانت ثروتهم تعرضهم للحسد، فقد حضرت عليهم أيضاً كل إسراف، لقد وقفت أمام الحزبين موقفاً مشرفاً ولم أسمح لأحد الحزبين أن يتفوق ظلماً"⁷، كما رد على الذين أرادوا تقسيم الأراضي حسب ما ذكره أرسطو قائلاً: "...لقد أقبلوا إلي السلب تجودهم بمال وساع، وقد حسب كل منهم أنه سيلقى رزقا وافرا، وإني مع توددي سأبدي قلبا غاية في القسوة، وبعد خابت ظنونهم امتعضوا مني، وهم الآن ينظرون جميعهم إلي شرا، نظرهم إلى أحد الأعداء إلا أنهم غير محقين، إذ قد أنجزت بعون الله ما قلته لهم ولم أسع عبثا في بقية الأمور ولا يطيب لي أن

¹ - سيد أحمد علي الناصري، المرجع السابق، ص ص 200 - 201, p425, Claude Mossé, op-cit.

² ول ديورانت، المرجع السابق، ص 218.

³ محمود السيد، المرجع السابق، ص 60.

⁴ ول ديورانت، المرجع السابق، ص 211.

⁵ محمود السيد، المرجع السابق، ص 60.

⁶ جوستاف جلوتر، المرجع السابق، ص 167.

⁷ محمود إبراهيم السعدني، المرجع السابق، ص 187.

أنفذ أمرا بعنف الطغاة، ولا أن ينال الصالحون نصيبا في أرض وطنهم الخصبة يساوي نصيب الصالحين¹، وهكذا أبجز صولون المهمة التي ألقيت على عاتقه، و حدد فترة سريانها بعشر أو مئة سنة إن احترمها الشعب الأثيني ، لكن بمجرد أن رحل عن أثينا اتخذت اتجاهها مخالفا تماما ،وتأجل التطور نحو الديمقراطية قرابة قرن من الزمن تقريبا بعدما مرت بحقبة تعرف بعصر الطغاة ، فما هي الأسباب والظروف التي أدت إلى قيام هذا النظام ؟.

د/ -حكم الطغاة* [561ق.م- 510ق.م] وظروف وصول بيزستراتوس إلى الحكم : في ظروف هذا الانقسام الطبقي والصراع الحزبي ، وتضارب المصالح ، وجدت ثلاثة تكتلات سياسية وتركزت جغرافيا في ثلاثة أقاليم طبيعية وعرفت بمواقع تجمعها وفق تصوير أرسطو في مصدره "دستور الأثينيين" على النحو الآتي:

1- حزب السهل : يمثل كبار ملاك الأراضي الزراعية والأثرياء الأوليغاركيين ، ويتزعمه ليكورغوس - كان خطيبا أثينيا بليغا - ويدعو إلى حكم الأقلية .

2- حزب الساحل (الشاطي) : محافظ معتدل ، ويغلب عليه رجال الأعمال (الملاحين والتجار وأصحاب السفن) ، ويتزعمه ميحاكليس من أسرة الكيميون التي تمتعت بموقع مؤثر وقوي في إقليم أتيكا ، إضافة إلى احتواءها على عدد من الأتباع بالمدينة .

3- حزب الجبل : ظهر هذا الحزب في البداية من إقليم "دياكريا" (Diacrie) شمال شرق أتيكا ، و يشمل المزارعين الفقراء والرعاة أو العامة، ويتزعمه بيزستراتوس، هذا الأخير الذي فتح الباب للانضمام على كل الغاضبين على الواقع الاجتماعي والاقتصادي مهما تباينت انتمائهم الجغرافية².

انحاز بيزستراتوس إلى حزب الجبل الذي يشكل أغلبية عددية على الرغم من كونه من الأشراف ، وذلك بحكم جوار أرض أبيه بأراضي الفقراء في المنطقة الجبلية شرق أتيكا³ ، فاستغل حالة السخط السائد، وأن يستولي

¹ أرسطو ، الدستور الأثيني ، المصدر السابق ، ص 40.

* حكم الطغاة : يقابل هذا المصطلح عند الإغريق (Tyran) ظهر لأول مرة في أواسط القرن الخامس قبل الميلاد، ويتميز بطابعه غير المشروع (لقب غير رسمي) ،جسد هذا المنصب في أثينا لأول مرة من قبل بيزستراتوس مستغلا الأوضاع المزرية التي وصلت إليها أثينا بعد اعتزال صولون الحكم وتضارب مصالح الطبقتين (الأثرياء والفقراء) ، وأصل التسمية فيه اختلاف بين من أرجعها إلى الأصول الشرقية ، وأما جاءت من ليديا وأول من وصف بها هو ملكها جيحيس ، في حين البعض يرجعها إلى الأصول الهندوأوروبية ، بينما هناك من يرى أن أصل الكلمة لا يوحى إلى نظام سياسي معين بقدر ما هو دلالة على اسم لمنصب سياسي أشتهر صاحبه بالقوة والاستبداد، أنظر : ليلي عبد القادر علي الغناني ، المرجع السابق ، ص ص 214-215، المصطفى مولاي رشيد ، المرجع السابق ، ص 85.

² عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 21.

³ تحليل سارة ، المرجع السابق ، ص 436.

على الحكم بالقوة ، ويعين نفسه طاغية ، وأعلن نفسه حاميا لأهالي الجبال¹ ، وقد برز بيزستراتوس على الساحة السياسية الأثينية في عام 565 ق.م² حين أحرز انتصارا على الميجاريين بصفته الارخون المكلف بالشؤون العسكرية ، واحتل أكبر موانئهم المتمثل في ميناء نيزايا (Nisaia)³ .

وفي عام 561 ق.م ، زعم بيزستراتوس بأن خصومه السياسيون قد اعتدوا عليه بالهراوات بعدما جرح نفسه بالجراح* ، وأنه أفلت منهم بحياته بعد المعركة ، مما جعل أنصاره الشعبين يعينون له حراسا شخصيين مسلحين ويرافقونه أينما ذهب ، ووقع التنفيذ في الحال حيث حصل على أزيد من 300 حارس شخصي -مسلحين بالعصي-⁴ ، فاستغل هذا الأخير حراسه في الاستيلاء على الاكروبوليس وتنصيب نفسه طاغية بالقوة على أثينا ، لكن خصومه السياسيين من زعماء حزب السهل و حزب الساحل لم يتركوه في هذا الوضع ، وسرعان ما طردوه إلى المنفى ، وفي أثناء وجوده في المنفى تحالف مع زعيم حزب الساحل -ميجاكليس- وعقد صفقة سياسية معه عن طريق زواج بيزستراتوس من ابنته نظير أن يسمح له بالعودة إلى الحكم كطاغية على أثينا ، ودبر لعودته خدعة بأن تشبهت سيدة بالإلهة أثينا وعادت معه في العربة على أنها الإلهة أثينا تعيد بيزستراتوس إلى الحكم ، فلما رآها الأثينيون صدقوا ذلك ، وأعادوه إلى العرش .

ولكن بعد عودة بيزستراتوس إلى أثينا لم يف بوعده مع ميجاكليس حين رفض أن يكون له ذرية من ابنته بصفقتها تنتمي لعائلة آل الكيمايون الملعونة التي قامت بقتل أعوان كيلون سنة 632 ق.م أمام المذبح المقدس ، ونتيجة لهذا الوضع قام ميجاكليس بطرد بيزستراتوس من جديد إلى المنفى، وأرغم على الفرار إلى إتريريا (Etrérie)، حتى عام 550 ق.م ، حيث عاد إلى أثينا مرة أخرى ظافرا منتصرا على خصومه السياسيين بقوة السلاح -مساعدة الثيبين (Thébains) وليغداميس الناكسوسي (Lygdamis de Naxos) وبعض

Eric D .Nelson , Susan K , Allard -Nelson , op-cit ,pp 118, 161.

Hal Marcovitz , op-cit , p 33.

¹

²

³ محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 139.

*عارض صولون طلب بيزستراتوس بالحصول على الحرس معبرا انه أكثر حكمة من البعض ،وأشد شجاعة من البعض الآخر ،حيث أكثر حكمة من الذين لم ينتهبوا أنه كان يطمح للطغيانية والسلطة ،وأشد شجاعة من أولئك الذين كانوا على علم بذلك والتزموا الصمت ، وبما أن كلامه لم يقنع الشعب ،قام بتعليق أسلحته أمام الباب وقال بصوت عال:أنه أغاث وطنه قدر المستطاع ودعا الآخرين إلى التصرف بالمثل،...أنظر:المصطفى مولاي رشيد، المرجع السابق ، ص 73.

⁴ عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 23.

الفرسان حاكمي إتريريا - ، وقضى على المقاومة الضعيفة التي واجهته ، وظل يحكم فيها كطاغية إلى أن وافته الموت سنة 528ق.م /527ق.م بسبب المرض ، ودام حكمه مدة 18 سنة¹ .

1/ - سياسته : اشتهر بيزستراتوس بأنه باشر حكم الدولة بأسلوب يغلب عليه الاعتدال ، وأنه كان أكثر دستورية من كونه طاغية* ، حيث توخى العدل وأنعش أحوال أثينا وعمل على ازدهارها على مختلف الأصعدة ، من خلال حرصه على استتباب الأمن في الداخل ، والمحافظة على تجنب أثينا للوقوع في الحروب مع القوى الخارجية² مستعينا بقوة الجنود المرتزقة ، والتخلص من خصومه السياسيين وعلى رأسهم أسرة آل الكيميون³ ، حتى أصبح الجميع يخشى بأسه ، فقيل انه ذات يوم استدعي للمثول أمام مجلس الشيوخ في جريمة قتل أتهم بشأنها ، لم يمتنع عن الحضور للدفاع نفسه ، ولكن الشخص الذي اتهمه غاب ولم يحضر خوفا من مواجهته⁴ ، وحرص على تطبيق قوانين صولون وفق ما يتماشى مع ظروف البلاد ، وأن يستكمل ما شرع فيه ، حيث دعم سياسته الخارجية بالدخول في تحالفات سياسية بارعة مع جيرانه ذات الأهمية التجارية على طريق الملاحة إلى البحر الأسود ، وهو أحد أهم مصادر القمح للإغريق ، وكذلك مع مدينة كورنثة إلى جنوب أثينا في اليونان باعتبارها أهم منفذ إلى أسواق غرب البحر المتوسط⁵ ، وأرسل مستوطنين أثينيين لإقامة مستوطنات أثينية شمال بحر إيجه وعند مداخل البحر الأسود ، كذلك حاول توثيق علاقة أثينا بالمدن الأيونية في بحر إيجه لتطوير التجارة الخارجية أكثر ، كما فرض الضرائب على أملاك المواطنين (ضريبة عقارية) وعائلاتها تستخدم في تزويد فقراء المواطنين بإمكانات تجنبهم هموم القروض والديون ، وتمكن المزارعين الفقراء من تطوير وتحسين أراضيهم ، كما أقام من أموال الضرائب مباني ومنشآت عامة كثيرة عادت بالفائدة على جموع المواطنين وزينت شوارع المدينة⁶ ، وتوزيع الممتلكات المصادرة بين أنصاره الفقراء ، وبذلك أرضاهم من دون أن ينفذ ما كانوا يطالبون به من إعادة توزيع الأرض بين جميع

¹ محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 139 ، المصطفى مولاي رشيد ، المرجع السابق ، ص 74 .
*الطاغية في رأي أفلاطون يبدأ بداية شعبية ، إذ يختاره الشعب على أنه نصيره وحاميه ، وهو في البداية يبذل الوعود للناس ويوزع عليهم الابتسامات والمنح ، ويجند الشعراء لخدمة أغراضه ، ويجعلهم يطوفون البلاد ، فيجمعون الجماهير ، ويستأجرون أصحاب الأصوات الرخيمة المقنعة ، ولكنه حين يخفق في إرضاء مطالبهم يتجه إلى إشعال الحروب الواحدة تلو الأخرى حتى يشعر الشعب بأنه بحاجة إلى قائد ...، أنظر: أفلاطون ، الجمهورية ، المرجع السابق، ص 116 .

² مصفى العبادي ، اقتصاديات أثينا ، المرجع السابق ، ص 217 ، خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 438 .
³ Eric D .Nelson , Susan K , Allard -Nelson , op-cit ,p161 .

⁴ أرسطو ، الدستور الأثيني ، المصدر السابق ، ص 50

⁵ مصفى العبادي ، اقتصاديات أثينا ، المرجع السابق ، ص 217 .

⁶ محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 140 ، عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 26 .

المواطنين وتشجيعهم على الزراعة خاصة منها زراعة العنب والزيتون لما يترتب عليه من فوائد اقتصادية لأثينا¹ ، وفي هذا الصدد يقول أرسطو أنه أعان الفقراء منهم بالمال ليتمكنوا من استصلاح واستثمار ما منحهم من أراضي ، وأنه حقق بذلك عدة أهداف ، من خلال إبعادهم عن المدينة وإسكانهم في الريف حيث الأرض التي منحها لهم ، بالإضافة إلى إشغالهم بالزراعة بعيدا من السياسة ومشاكلها وفرض عليهم الضرائب السنوية التي تقدر بنسبة عشر المحصول كل سنة² ، و توفير العمل للمواطنين العاطلين عن العمل وتحسين صورة المدينة³ .

وذات مرة كان بيزستراتوس مارا في الريف للتفتيش ، فشهد رجلا يكدح في فلاحه قطعة من أرض وعرة ، أكثرها حجارة في جبل هيماتوس ، فسأله بيزستراتوس كم يجني من هذه الأرض الوعرة ، فأجابه الرجل بكل صراحة : " لا أجني سوى الاسواء والحسرات ، وبعد ذلك عليّ أن أؤدي إلى بيزستراتوس عشر هذه الاسواء والحسرات " ، فأعجب بيزستراتوس بصراحته واجتهاده وأعفاه من الضريبة مباشرة ، وسميت أرضه بالقطعة المعفاة من الضريبة ، أو الحقل المعفى من الضريبة⁴ .

ولتلبية متطلبات السوق الخارجي قام بيزستراتوس بإصدار وحدة مالية قيمتها أربع دراخمت على أساس وحدة الدراخمة التي كان قد أصدرها صولون ، كما استثمر كل المصادر المتوفرة داخل اتيكا وخارجها من مناجم الفضة ، الفخار ، وأشجار الخشب الصالحة لبناء الأساطيل الملاحية بهدف تطوير النشاط التجاري الأثيني في الخارج ، وفتح أسواق جديدة خارج أثينا⁵ .

وفي عهده ازدهرت تجارة أثينا الخارجية وأخذت تنافس أهم المدن التجارية مثل: كورنثة ، وازدادت زيادة هائلة ووصل النبيذ والزيت والفخار الأثيني إلى جميع البلدان المجاورة (مناطق البحر الأسود، مدن أيونيا ، قبرص ، غرب البحر المتوسط... الخ) ، خاصة بعد إصداره للوحدة المالية الجديدة التي قيمتها أربع دراخمت⁶ ، وشجع الأدب والفنون بجميع أشكالهما⁷ ، إذ وجهت الدعوة إلى كل الأدباء والفنانين و الشعراء مثل: سيمونيديس من جزيرة كيوس ، وأناكريون من جزيرة تيوس لزيارة أثينا ، كما احتفل سنويا وعلى نطاق واسع بالأعياد الدينية الكبرى

¹ Eric D .Nelson , Susan K , Allard –Nelson , op-cit ,p119.

² أرسطو ، الدستور الأثيني ، المرجع السابق ، ص ص 50-51.

³ Eric D .Nelson , Susan K , Allard –Nelson , op-cit ,p119

⁴ أرسطو ، الدستور الأثيني ، المرجع السابق ، ص ص 50-51.

⁵ مصطفى العبادي ، اقتصاديات أثينا ، المرجع السابق ، ص 217.

⁶ Hammond , op-cit ,p 180.

⁷ Mossé Claude , la tyrannie dans la Grèce antique , paris , 1970 ,p879

مثل: أعياد الإلهة أثينا (باناثينايا) ¹ ، وينسب إليه فضل إدخال احتفالات الأعياد الديونيسية الكبرى في أثينا عام 534 ق.م ، وتشجيع عبادة الربة ديمتر في إليوسيس من ضواحي أثينا ، وأضيفت إليها السباقات والمنافسات الرياضية والموسيقية والشعرية ² ، واستجابة لوحي الهي قام بتطهير جزيرة ديلوس التي تعتبر المقر الديني لعبادة الإله أبوللو بالنسبة إلى الأيونيين ، بهدف كسب مكانة دينية راقية في نفوس الأيونيين ، وراعيا للرابطة الدينية الأيونية التي كان مركزها مدينة ديلوس ³ ، وبالتالي أعطى أهمية كبيرة للمناسبات والأعياد وأيام العطل الرسمية من أجل خلق الهوية الأثينية ⁴ ، بالإضافة إلى اهتمامه بتجميع كتابات وملاحم هوميروس التي كانت متناثرة وشفهية في نسخ كتابية وقراءة أجزاء منها على الملأ في الاحتفالات الأثينية على يد الشعراء الجوالين ⁵ .

وصفوة القول أن سياسة بيزستراتوس في أثينا دفعته إلى أن تحتل المقام الأول بين المدن الإغريقية اقتصاديا وعمرانيا وثقافيا ، من خلال العمل على عدم تركز الثروة في أيدي الأقلية خاصة التجار منهم ، مدركا أهمية وحساسية التفاوت الكبير في الثروة، وأنها هي السبب الذي كاد أن يدخل أثينا في حرب أهلية بين الطبقة الغنية والفقيرة ، ولذلك أخذ يشرك أكبر عدد ممكن من المواطنين في الأعمال الاقتصادية خاصة منها استغلال الريف الأثيني في محاصيل زراعية هامة مثل العنب والزيتون وتصديرها في الأسواق الخارجية المتواجدة بالبحر الإيجي والبحر الأسود وغرب البحر المتوسط بدليل اكتشاف الجرار الفخارية الاتيكية المستغلة في حفظ الزيوت في ليبيا واريتيريا.. الخ ، ويجب الاعتراف أيضا انه قد نجح أكثر من صولون في التوفيق بين مختلفات الطبقات والأحزاب سواء أكان ذلك بفضل سياسته الاقتصادية أم بسبب استخدام سلطته الدكتاتورية ، كما نجح في استقرار الأوضاع السياسية في أثينا وأن يدب الأمن بين مدنها ، وفي هذا الصدد يقول ثيكودديدس : " أن أول ما يشغل عقل الطاغية هو التمكين لسلطانه وسلامته الشخصية ، وإعلاء شأن أسرته لذلك كان الأمن هو المبدأ الأساسي لهذا النوع من الحكم " ⁶ .

2/- خلفاءه في الحكم : بعد وفاة بيزستراتوس سنة 527 ق.م ، خلفه في الحكم ابنه "هيباس" و"هيبارخوس"

⁷ وحكما معا في ظل رفض العائلات الأثينية القوية ذلك ، وغضبها من مسألة وراثتها الحكم ، مع العلم أنهما

¹ محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص140.

² Mossé Claude, la tyrannie dans la Grèce antique, op-cit ,p879.

³ Hammond , op-cit , p 180.

⁴ Eric D .Nelson , Susan K , Allard –Nelson , op-cit ,p119.

⁵ محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص140.

⁶ Thucydides , I , 17.

⁷ Hal Marcovitz , op-cit , p 33.

رفضاً حكم أبيهما من قبل وبالتالي لم يكن مخلولاً للسلطة ، على الرغم من أنهما سارا على دربه وانتهجا نهجه بمواصلة التنمية الثقافية والاقتصادية للمدينة لم يكونا بنفس جاذبيته وحسن سياسته ومهارته ، حيث قام هيبياس بتزويج ابنته أرخيدوكي من طاغية مدينة لامباسكوس (شمال غرب آسيا الصغرى) والتي كانت تحت السيطرة الفارسية بغية توطيد العلاقات أكثر مع الفرس وحماية مصالحهم التجارية في آسيا الصغرى¹، وحافظ على حكمه ما بين 13 إلى 18 سنة بسبب النظام الأمني القديم، وإتباعه خطط والده في السياسة الداخلية والخارجية ، كذلك استمر في تنشيط الحركة الأدبية والفكرية والفنية ، كما عادت غالبية العائلات الارستقراطية من المنفى إلى أثينا ، ولم تتردد في التعبير عن رغبتها في الحصول على الوظائف السياسية ، بينما افتقد هيبارخوس للشعبية بين الأثينيين بسبب انشغاله بالملذات وتبذير الأموال²، بالإضافة إلى غروره وعجرفته خاصة بعد الحادثة التي وقعت سنة 514 ق.م بإهانة شقيقة أحد الشبان الأثينيين ، والذي يدعى "هارموديوس" ومنعها من حضور أعياد الإله أثينا (باناثينايا) ، فاعتبر أحيائها هذه الحادثة إهانة لعائلته وأعلن أن ينتقم ويتخلص منهما فنجح في اغتيال هيبارخوس سنة 514 ق.م (اغتيال سياسي) ، ولكنه فشل في قتل هيبياس³ .

ومنذ ذلك الحين أصبح هيبياس حاكماً شكاكاً ومنتقداً لكل شيء حيث سيطرت عليه الهواجس فيما يحيط به ويخشى المؤامرات في كل مكان ، فلجأ إلى إكثار الجواسيس ونفي خصومه السياسيين وأعدم غيرهم⁴ ، وساءت علاقاته الخارجية فتجدد النزاع مع جزيرة إيجينا واسيطرة ، بالرغم من الصداقة التي كانت تربط إسبرطة بطغاة أثينا في عهد بيزستراتوس وأولاده⁵ .

وتشير الدراسات التاريخية أن سبب الإطاحة بهيبياس راجع إلى ثأر أفراد أسرة الكمايون منه وأبرزهم كليستينيس* ، وأن الفرصة كانت مواتية للخلاص من الحكم الفردي الدكتاتوري ، حيث قامت تجمع الجيوش وتآهب للهجوم على أثينا بعدما استمالوا بالرشوة العرافين المتواجدين بمعبد الإله أبو للون ، حتى صار كلما جاء

¹ محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 141 .

² خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 441 ، عبد السلام التائب ، المرجع السابق ، ص 27 .

³ محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 141 .

⁴ Hal Marcovitz , op-cit , p33 .

⁵ محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 141 .

*كليستينيس : ممثل الارستقراطيين و أسرة آل الكيميونيد التي تم لعنها من قبل بسبب إعدام أتباع كيلون ، وممثل الشعب في نفس الوقت ، تولى السلطة سنة 508 / 507 ق.م ، أي بعد سنتين من الإطاحة بحكم بيزستراتوس ، عارض أنصار حكم الطغاة والارستقراطيين الذين أرادوا عودة حكم الاوليجاركي إلى أثينا ،...، أنظر: بيير ديفانييه وآخرون ، معجم الحضارة اليونانية القديمة ، تر: أحمد عبد الباسط حسن ، مرا: فايز يوسف محمد ، ج2 ، 1، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2014 ، ص 186 .

الاسبرطيون يطلبون المشورة لا يجيبونه إلا بضرورة إنقاذ أثينا قبل كل شيء¹ ، كما اتفق كل من ايزاكوراس* وكليستينس مع القوات الاسبرطية بضرورة نفي هيبياس وإبعاده عن الحكم بسبب التقارب بين هيبياس والفرس (المصاهرة السياسية) ، وتعهد الارستقراطيين بإدخال أثينا في الحلف البولوبونيز ، ونتيجة لذلك تغير موقف اسبرطة -في عهد ملكها كليومين- من حليف إلى عدو، وساعدت الأثينيين الراضين لحكم الطغاة بطرد هيبياس ونفيه في محاولتين 511ق.م و510ق.م ، فاضطر إلى الفرار باتجاه الفرس-بلاط الملك الفارسي داريوس الأول- مستعظفا إياهم على إرجاعه إلى الحكم مرة ثانية ، وبرحيل هيبياس من أثينا سنة 510ق.م سقط حكم الطغاة نهائيا².

ولكن بمجرد أن انتخب ايزاكوراس أرخونا على أثينا سنة 508ق.م بدأ باستعادة السيطرة على المدينة كلها وسحب الجنسية الأثينية من أولئك الذين تلقوها خلال فترة حكم صولون وبيستراتوس واستبعاد من كانوا من نسل أجنبي، ولكنه سرعان ما وجد نفسه يواجه شخصية أخرى تدعى كليستينس وتترجم الموقف الشعبي الراض لهذا الأسلوب³، وعاد نظام الحكم إلى سابق عهده قبل فترة الطغاة، أي عادت تشريعات صولون من جديد، ولكن في بوتقة نظام آخر يعرف باسم النظام الديمقراطي ، فما المقصود بهذا النظام؟ و ما هي أهم مؤثراته؟.

4-النظام الديمقراطي** وأثره في تطوير الدولة المدينة الإغريقية : يعتبر كليستينس هو المؤسس الحقيقي

للديمقراطية في أثينا بعدما وقف في صفه الشعب رغم معارضة اسبرطة ذلك ، ويرجع سبب تحمس الأثينيين إلى تنصيبه أرخونا على أثينا سنة 507ق.م إلى ما وعدهم بإصلاحات سياسية جذرية تصب في مصلحة أغلبية

¹أرسطو ، الدستور الأثيني ، المصدر السابق ، ص ص 56-57.

²

Hal Marcovitz , op-cit , pp33-34.

*هناك تداخل في المعلومات حول مصير أثينا بعد نفي هيبياس ، واشتداد الصراع من جديد بين ايزاكوراس (صديق ملك اسبرطة كليومين) وكليستينس (ممثل الارستقراطيين وال كيميون بالتحديد) وممثل الشعب ،فاختلفت مصالح الاثينين ، فحسب رواية أرسطو أن ايزاكوراس بسبب خوفه من الدعم الشعبي لكليستينس دعا صديقه ملك اسبرطة للتدخل ، فاحتل هذا الأخير الاكروبوليس وطرد كليستينس ومؤيديه منه ، مما أدى إلى انتفاضة الشعب الأثيني الذي حاصر الاكروبوليس لمدة يومين ، وأجبر كل من ايزاكوراس وكليومين من الاستسلام ، وبعد هذه الحادثة تمكن كليستينس من العودة من جديد إلى أثينا والاستيلاء على الحكم سنة 507ق.م ، وأن ينال الفوز في انتخابات الجمعية العامة ، وينال تأييد الشعب له...،أنظر: عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص ص 28-29.

³

Eric D .Nelson , Susan K , Allard -Nelson , op-cit , p 161.

**الحكم الديمقراطي " Démocrateia " :ارتبط هذا الحكم عند الإغريق بمصطلح "الديموس" ومعناه الشعب، أي اشتقت من " Demos " بمعنى الشعب و " crateia " بمعنى السلطة أو الحكم ، هو نظام سياسي ظهر في بداية القرن 5ق.م ، يقصد به إشراك الشعب (جميع المواطنين) في الحكم (المناصب السياسية) ، والتعبير عن آرائهم بكل حرية بعد ثورتهم المتعددة مع الارستقراطيين والأثرياء وسوء الاوضاع في أثينا ...،أنظر: Xenophon , gouvernement des Athéniens , I , 5,6 , Eric D .Nelson , Susan K , Allard -Nelson , op-cit , p p58, 152.

الشعب -مستكملا بذلك دستور صولون "الديموقراطي" أي القائم على الثروة، وليس على النسب كما أسلفنا ذلك- ، بهدف القضاء على كل بوادر عودة الحكم الفردي مرة أخرى للمدينة، وعدم تكرار عوامل الصراع الحزبي والسياسي .

1- القوانين الأثينية في عهد كليستينس : بدأ كليستينس العمل بهذا الدستور سنة 502/503 ق.م ، و الذي تضمن قوانين سياسية واقتصادية واجتماعية، ولعل من أبرزها مايلي :

أ/ - القضاء على عصبية القرابة وإعادة تشكيل الروابط القبلية : إعادة تقسيم المجتمع الأثيني إلى قبائل من نوع جديد تقوم على أساس مكاني لتصبح قاعدة للتنظيم الإداري وللحقوق السياسية بدلا من التقسيم القديم الذي كان يقوم على أساس رابطة القرابة أو الدم أو الثروة ، فأعاد تقسيم أثينا إلى عشرة قبائل¹ أساس كل منها هو المكان بعد أن كانت أربعة قبائل وبطون تقوم على رابطة الدم ، وقسم كل قبيلة منها إلى ثلاثة أقسام موزعة بين أقسام أتيكا الطبيعية (الساحل، السهل، الجبل) ، ويقسم كل من هذه الثلاثة إلى عدد من الأحياء يدعى كل منها ديموس موزعة بالتساوي بواقع عشرة أحياء في كل منطقة ، والمجموع ثلاثين حيا " Demos " ، وتعد عضويته الأساس للمواطنة وللحقوق السياسية ، كما جعل هذه الأحياء أساسا للتنظيم الإداري ، وهكذا قضى على أسباب التناحر بين حزب الساحل (التجار) وحزب السهل (أصحاب الأرض) وحزب الجبل (الرعاة والفقراء)² ، ويعتقد أن هذا القانون مستوحى من إصلاحات جده الطاغية كليستين -حاكم مدينة سيكيون- الذي هدف إلى إذلال الطبقة الارستقراطية التقليدية وكسر قواعد القوة الاجتماعية والاقتصادية ، ومع ذلك فإن إجراء طاغية سيكيون أصبح لدى حفيده إعادة بناء ممنهج ، وإعادة تشكيل جديد للمجال الوطني ، وبعد هذه العملية أصبح المواطن الأثيني لا يعرف باسم والديه ، ولكن باسم أحد الأحياء (Demos) التي ينتسب إليها³ ، من خلال إقصاء الارستقراطية الأثينية وإلغاء التقاليد القديمة أي صلة القرابة والدم واستبدله بنمط آخر قائم على أساس الموقع الجغرافي والإداري ، وتفكيك القسمة القديمة المبنية على قاعدة الدم والقرابة وجعل مكانها قسمة مبنية على الفوارق المحلية ، فمزق شمل العشائر النبيلة إلى أقليات صغيرة ، فكان هذا سدا حائلا بينهم حتى لا يتمكنوا من

¹ P.Léveque ,P.Vidale-Naquet , Clithène l'athène in l'antiquité classique ,T33,Paris,p 40.

² بلوتارك ، المصدر السابق ، ص ص 131-132.

³ عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 30.

العمل وبذلك كسر شوكتهم ، وتحطيم احتكار النسب العريق أو الثروة للحكم ، وبالتالي اتم العمل الوحدوي الذي كان قد شرع فيه بيزستراتوس وصولون وخلق ما يسمى ب"ممدينة الأمة السياسية"¹ .

ويمثل كل قبيلة من القبائل العشر الجديدة خمسون عضوا في مجلس البولي "Boulé" ، وكان اختيار هؤلاء الخمسين من كل قبيلة عن طريق القرعة سنويا ، على أن يكونوا من المواطنين الأحرار الذكور البالغين ثلاثين سنة فما أكثر ، وعلى أن ينال المواطن هذا الشرف أكثر من مرتين على مدى حياته ، وتتناوب هذه القبائل العشر رئاسة المجلس على مدار العام ، حيث تتأسس كل قبيلة لمدة 36 يوما تقريبا بصورة متساوية ومن الصلاحيات التي تمارسها هذه القبائل داخل المجلس هو وضع جداول أعمال الجمعية الشعبية ، ومتابعة ومراقبة أنشطة وأداء كبار شاغلي المناصب ، والقيام ببعض المهام الإدارية سواء من خلال جلساته أو اللجان المنبثقة عنها² .

وبهذه الطريقة ألغى كليستينس المصالح القبلية القديمة القائمة على رابطة القرى والدم والتحيزات العائلية الضيقة ، وألزم الجميع بالعمل لمصلحة الوطن ككل ، وليس لمصلحة العشيرة والقرى ، كما أنه وسع رابطة المواطنة حين منح تلك المواطنة لكثيرين من المقيمين الأحرار من غير الأئينيين ، وكذلك للعتقاء (من تحرروا من الرق) بهدف حل المشكلة التي وقع فيها المجتمع الأئيني بعد انتخاب ايزاكوراس ارخونا عليهم سنة 508 ق.م وسحب المواطنة منهم ، كما أن النظام الذي منح صلاحيات كبيرة لعموم الشعب بغض النظر عن أنسابهم أو ثروتهم في اتخاذ القرارات المصيرية للدولة من خلال الجمعية الشعبية (الاكليزيا) ومجلس الخمسمائة بهدف إرساء قواعد التوازن والمساواة بين القبائل الجديدة في الحقوق والواجبات³ ، ويصف هيرودوت تحول الأئينيين من حكم الطغاة إلى الديمقراطية بهذه العبارة : " هكذا ازداد الأئينيون قوة ، فمن الجلي أن الحرية شيء رائع ، ليس في أمر واحد فقط ولكن في كل شيء ، فما داموا تحت نير الطغاة لن يكونوا أفضل حالا عند القتال من الدول المجاورة لهم ، ولكن ما إن تخلصوا حكم الطغاة ، أصبحوا أفضل الجند على الإطلاق"⁴ .

ب/ - زيادة أعضاء مجلس الشورى إلى خمسمائة عضو : بناء على الرابطة المكانية الجديدة التي حلت محل رابطة الدم القديمة أعيد تنظيم مجلس الشورى (المجلس الاستشاري) الذي ظهر في تشريعات صولون ، فبعد أن كان مجلس الشورى مكونا من 400 عضوا ، مئة من كل قبيلة أئينية على أساس رابطة الدم أعيد تنظيمه من

P.Léveque ,P.Vidale-Naquet , op-cit , pp541-542.

¹ محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 143 .

² مصطفى العبادي ، اقتصاديات أئينا ، المرجع السابق ، ص 221 .

³ نفسه ، 222 .

جديد ليصبح مكونا من 500 عضوا من كل قبيلة مكانية جديدة - طبقة 500 معيار وطبقة الفرسان-، فأصبح بذلك ممثلا للمجتمع الأثيني ككل وليس ممثلا للروابط الأسرية القديمة¹، وقد احتاط كليستينس من حصر أعضائه على 500 عضو فقط ، وسنهم الذي لا يقل عن الثلاثين سنة عكس الجمعية الشعبية التي فتحت أبوابها على جميع المواطنين بهدف الاستفادة من خبرتهم وحنكتهم في إعداد جدول أعمال محكما ومنضبطا بما سيعرض على الجمعية الشعبية من أمور، حتى لا يترك أمور الدولة بين أيدي العامة بلا ضابط ولا رابط مما قد يؤدي إلى فوضى تشريعية²، وهكذا أصبحت بالفعل المؤسسة الرئيسية في ديمقراطية أثينا، فهي التي تهيأ اجتماعات الجمعية الشعبية (الاكليزيا) وتحضر جدول أعمالها وتسجل المراسيم ، كما أصبحت بعد إصلاحات ايفيانتييس (426ق.م) تقوم بدور الهيئة العليا للقضاء ، ولكن وبالتدريج بدأ مجلس الشورى تنقص جدارته بالمهمة التي انيطت له والصلاحيات التي منحت له خاصة أثناء الحروب الميدية³ .

ج/ -الحفاظ على عضوية الجمعية الشعبية (الاكليزيا) : ظلت الجمعية متاحة لجميع المواطنين الأحرار الذكور فوق سن الثامنة عشر ، ولهم جميع حقوق المناقشة والتصويت ، ووضع قرارات الجمعية موضع التنفيذ ، وكانت هذه الجمعية تعقد أربعين مرة في السنة في دوراتها العادية على تل بنيكس " Pnyx " في أثينا غرب الاكروليس ، مع السماح بانعقاد دورات استثنائية عند الضرورة ، وكان يرأس اجتماعات هذه الجمعية رئيس مجلس الشورى(البولي) أو مجلس الخمسمائة الجديد الذي كان يختار بالقرعة ، وتصويتهم على القرارات تتم عن طريق رفع الأيدي، ومن مهام هذه الجمعية هي اتخاذ أخطر القرارات وأهمها سواء فيما يتعلق بالمراسيم المتصلة بجميع جوانب الحكم مثل : الشؤون الخارجية (الميزانية ،العمليات العسكرية والبحرية ، اختيار القادة العسكرية ، تزويد الدولة بإمدادات الحبوب) ، كما كانت هذه الجمعية تقوم بدور المحكمة القضائية العليا في الجرائم العامة الكبرى التي تهدد أمن وسلامة الدولة ، وكانت مناقشة مثل تلك الأمور والوصول إلى القرارات يتوجب وضع جدول الأعمال المعد سلفا من جانب مجلس الخمسمائة ، ولم تكن يسمح لأي عضو (مواطن) بإضافة أي موضوع غير تلك الموضوعات المدرجة سلفا بهدف تجنب أي قرارات مفاجئة وغير مدروسة⁴ .

Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p227.

¹ محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 144.

² جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 171.

³ محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص ص 143-144.

د/- حصر المناصب العليا على أساس الثروة : حافظ كليستينس على بعض قوانين النظام القديم من خلال جعل المناصب العليا (الأراخنة الحكام والمشرفين على خزانة الدولة .. الخ) حكرا على الأثرياء فقط- أصحاب الطبقة الأولى والثانية- ممن يجوزون نصابا أو دخلا ماليا أو عينيا ، وهو نفس الأمر على سنه صولون في بداية القرن 6 ق.م وجعل الأثرياء في المناصب العليا ، ويهدف كليستينس من وراء هذا القانون هو أن تلك المناصب الشرفية التنفيذية كانت تستلزم أناسا من الأثرياء لا ينشغلون عن مهامهم بالبحث عن لقمة العيش وأعباء الحياة المادية¹ .

و/ - قانون النفي السياسي : يطلق عليه باليونانية اسم " Ostrakismos " أو " الاوستراكوفوريا " * بسبب كتابة اسم الشخص المزعوم نفيه على شقفة من الفخار " Ostrakon " ، و بموجب هذا القانون أصبح الأثينيون يستطيعون خلال دورات محددة من دورات مجلس الشعب أن يصوتوا على نفي أي زعيم سياسي يرون فيه خطرا على الديمقراطية وعلى أمن وسلامة البلاد ، بشرط أن يدلي ستة آلاف شخص على الأقل من المجتمعين بأصواتهم حتى يصبح النظر في أمر مسألة النفي قانونيا ، وتكون مدة نفي الشخص الذي توافق أغلبية الأصوات على نفيه هي عشر سنوات² ، ولكن دون أن تسقط عليه المواطنة الأثينية ودون أن تصادر أمواله ، والحالة الأولى التي فرضت عليها قانون النفي السياسي كانت في عام 487 ق.م على أحد أقارب الطاغية هيبياس والمسمى بـ "هيباركوس" ، ليطبق فيما بعد على حالات أخرى على مدى القرن 5 ق.م ويعتقد أن آخر حالة طبق عليها هذا القانون كان في سنة 417 ق.م³ ، ولهذا شكل قانون النفي السياسي فيما بعد سلاحا مخيفا بين أيدي الشعب الأثينيين في حق كل شخص مشبوه فيه ويشك في نزاهته ووطنيته⁴ .

وصفوة القول أن ملامح النظام الديمقراطي أرسى قواعده الحقيقية بظهور المصلح الشهير كليستينس الذي يعد رائد ومؤسس للفكر الديمقراطي الأثيني الذي خلق لها الظروف المواتية التي ستسمح بميلادها ، حيث ظلت إصلاحاته هي الأساس الذي تركز عليه الديمقراطية الأثينية طوال القرن 5 ق.م مع بعض التعديلات غير الجوهرية من حين لآخر، فليس هناك مجال للحديث عن الدستور وتفصيلاته فهو الذي أدخل مراسيم للتاريخ السياسي

1 Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p227.

* الاوستراكوفوريا :هي شكل من أشكال التصويت التي من خلالها يسجل كل أثيني على قطعة فخارية اسم من يلزم إبعاده ونفيه عن أثينا لفترة معينة...، أنظر: عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 33.

² ابتهاج عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 74.

³ محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 145.

⁴ عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 33.

والدستوري لأئينا وحقق للشعب الأئيني لأول مرة المساواة في الحقوق والواجبات-المساواة أمام القانون- ، والمشاركة في كل الهيئات السياسية ، وفي ممارسة السلطة.

وسرعان ما أثبتت الديمقراطية الأئينية شجاعتها وبثت روح الحماسة والانتماء الشديد للوطن خاصة بعد بروز نجم كليستينس على حساب عدوه ايزاكوراس (صديق ملك اسبرطة كليومين) ، الذي حاول أن يطيح به من جديد وينصب نفسه مكانه ، فاستجاب كليومين لطلب ايزاكوراس وأتى معه إلى أئينا على رأس فرقة صغيرة ، فتمكن من الدخول إليها ونفى منها 700 أسرة أئينية وفرّ معهم كليستينس ، لكن العامة تشبثوا ببذور الديمقراطية والحرية عن طريق مقاومة عنيفة ضد ايزاكوراس ، وملك اسبرطة كليومين اللذين حوصرا فوق الاكروبوليس لمدة يومين ، لكن في اليوم الثالث استسلم كليومين وايزاكوراس سنة 506 ق.م وتخليا عن أصحابهما مقابل المرور الآمن نحو اسبرطة¹ .

وعلى الرغم من أن كليستينس لم يظهر في المصادر بعد 507 ق.م بصورة واضحة ، حيث يعتقد أنه توفي بعد ذلك ، لكن من الواضح أن الأئينيين قد كرموه وعرفوا قدره إذ يروي أنه دفن في جنازة مهيبية في الكيرمايكوس التي أصبحت مدفنا عاما لأئينا في الجزء الشمالي الغربي من الأكروبول² .

و/ عصر بيركليس وظروف وصوله إلى الحكم [461 ق.م / 429 ق.م]: تمتع بيركليس* بتأثير قوي بفضل شخصيته وحدة ذكائه حيث كان مبدعا في احتواء الأغلبية التي يقودها بالطرق الشرعية دون التملق إلى الجماهير الشعبية ، حتى أنه شبه في شبابه بشخصية بيستراتوس شباها كبيرا من حيث صوته و ملامحه وتركيبته البدنية، وبفضل سلطته وقوة شخصيته كان يحي ثقة الأئينيين خاصة أثناء الحروب البولوبونيزية ، وخير دليل على ذلك ما

¹ تحليل سارة ، المرجع السابق ، ص 488.

² محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 146.

*بيركليس: أكبر رجال الدولة أئينا من أسرة ارستقراطية ابن كزانتيبوس زعيم الشعب الأئيني من أسرة الكيمونيد من جهة أمه أغاريسني الشهيرة والتي اتهمت أثناء معركة ماراثون بإرادتها فتح أبواب أئينا للفرس ، وخاله هو كليستينس ، تلقى تربيته على يد أناغزاغور وتعلم الموسيقى على يد دامون والأدب على يد فيثاغورس ، عاصر سقراط ، سوفوكليس ، والنحات فيدياس ، وفي عام 480 ق.م انتصر الفرس على الإغريق في الشمال وتقدموا صوب أئينا ، فأمر ثيموستكليس بإخلاء المدينة فكان بيركليس أحد اللاجئين إلى جزيرة سيلاميس وعمره وقتئذ 14 سنة ، وفي عام 472 ق.م اختير في وظيفة خوراجوس ليشرف على تنفيذ مسرحية ايسخولوس الفرس ، وهكذا بدأ تاريخ الرجل يلمع ويبرز أكثر، وفي فترة حكمه ازدادت أئينا تطورا وازدهارا وأعطى دفعا قويا للتجارة البحرية ...، أنظر: Christopher Fagg, François Carlier , op-cit , p26. ، بيير ديفانييه، ج 1 ، المرجع السابق ، ص 297.

قاله ثوكوديديس حوله : " لقد قال بيركليس إن أثينا سوف تنتصر في الحروب البولوبونيزية إذا ما انتظرت الفرصة الملائمة واعتنت بقوتها البحرية ، و إذا ما تجنبنا محاولة توسع إمبراطورتها وهي في حالة حرب ، وإذا لم تغامر بعمل يعرض المدينة للخطر"¹ .



الملحق رقم 41 : صورة لشخصية بيركليس²

لقبه الشعراء الأثينيون بالعديد من الألقاب مثل: أولمبيوس أو جوبتر أو المبارك أو ذي الرأس الأكبر أو لقب كيفالكيرتس أو جامع الرؤوس - كان رأس بيركليس لفرط ضخامته يبدو وكأنه جامع الغيوم ، وهي صفة من صفات جوبتر-³ ، ومن أهم الظروف التي وصل عن طريقها بيركليس إلى الحكم :

- الاضطرابات السياسية والعسكرية التي شهدتها اسبرطة بسبب تسريح جيوشها زيادة على الأضرار الطبيعية التي وصلت إليها بعد الزلزال العنيف في عام (463-462 ق.م) ، و استنجد طبقة المستبعدين (الهيلوت) بالأثينيين ، ولكن الحزب الديمقراطي رفض الموافقة على هذا الطلب ، ووجد كيمون في طلب اسبرطة الفرصة سانحة للبرهنة على منافع التعاون بين أكبر مدينتين إغريقيتين ، فاستمال الأثينيين بقوله: " ألا يسمحوا أن تسير بلاد اليونان عرجاء كسيحة أو أن تحرم مدينتهم (أثينا) من رفيق الدرب " ، وكان على رأس الحزب الديمقراطي الزعيم إفيالتيس (Ephialtes) الذي قال : "إنه يجب أن نترك اسبرطة ليتمرغ أنفها في التراب حتى لا تعود إلى مناوئة مشاريع أثينا" ، ومع هذا استطاع كيمون بن ملتياديس أن يحصل على موافقة مجلس الشعب وأن يذهب على رأس حملة

¹ بلوتارك ، مج 1 ، المصدر السابق ، ص ص 253-254.

Sarah .B. Pomery and all , op-cit , p 204 .

² بلوتارك ، مج 1 ، المصدر السابق ، ص ص 253-254.

عسكرية أثينية قواها 400 رجل لنجدة اسبرطة ، ولكن لسوء ظن الإسبرطيين لم يأتينوا الأثينيين ، مما جعل كيمون بن ملتياديس ومرافقيه يرجعون إلى أثينا ساخطين ناقمين¹ .

-العداء الكبير بين بيركليس وكيمون وسعي كل طرف على إغراء عامة الشعب بسخائهما وكرم عطائهما ، حيث حاول كيمون إصلاح ما فسد بينه وبين الفقراء بإطعام الأثينيين يوميا وتقديم الملابس للشيخوخة ، وإزاحة كل الحواجز من حدائقه حتى يتيح لمن يريد جني أنواع الفواكه الموجودة ، بالمقابل تمكن بيركليس من إرشاد الأغلبية الشعبية بفضل مداخليل الخزينة العامة ، ورفع من رواتب القضاة والإعانات والعطايا المقدمة للعامة والتي سخرها ضد مؤسسة الاريوباجوس²، وفي هذا الصدد يقول أرسطو : "إن المؤسسة التي أنشأها بيركليس آلية لمنافسة كيمون"³ .

- انتهاز خصوم كيمون السياسيين -ممثل الحزب الارستقراطي- وفي مقدمتهم زعيم الحزب الديمقراطي إفيالتيس وصديقه بركليس فرصة فشل الحملة الأثينية واتهامه بفشله وتضخيمهم حجم الإهانة التي ألحقت بالكرامة الأثينية⁴ ، حيث كان بيركليس يطمح إلى السلطة مستغلا في ذلك قوته التي تسمح له بالتأثير فضلا على مساندة صديقه إفيالتيس لقراراته التي من أبرزها نفي كيمون سنة 461ق.م لمدة عشر أعوام وفقا لقانون النفي السياسي، وحمل كل من إفيالتيس و بركليس الجمعية العامة على إصدار قرار توافق بمقتضاه على إلغاء ما تبقى من صلاحيات الارستقراطيين من خلال الحد من صلاحيات الاريوباجوس السياسية والقضائية وجعلها لمجلس البولي والاكليزيا ولم يترك له سوى السلطة الدينية⁵، الأمر الذي أدى إلى نغم أنصار كيمون واغتياله فيما بعد، ولكن بعد هذا الإجراء انتقلت الزعامة إلى ممثل الديمقراطية آنذاك بركليس سنة 461ق.م / 429ق.م وتراوحت مدة حكمه ثلاثين عاما⁶ .

- تشكيل حلف ديلوس سنة 478 / 476ق.م بين المدن اليونانية الواقعة بمنطقة آسيا الصغرى وعلى بحر إيجه⁷ ، وتزعمه أثينا ، هذه الأخيرة التي أصبحت بفضل هذا الحلف إمبراطورية قوية تنافس اسبرطة خاصة في عهد

¹ تحليل سارة ، المرجع السابق ، ص 487.

² عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 46.

³ أرسطو ، الدستور الأثيني ، المصدر السابق ، ص 74.

⁴ نفسه ، ص ص 72-73.

⁵ Xenophone , Hellenica " On Greek poetry , philosophy , history and religion " , trad par : Evelyn Abbott , M.A.L.L.D , second édition , Longmans , Green and Co , London , 1898 , pp 4-5.

⁶ عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 46.

⁷ David Saks , En .A . G . W , faits on fils , New York , 1995 ,p105.

بيركليس في الفترة الممتدة من 461ق.م / 429ق.م حيث أصبحت معظم المدن اليونانية المنضمة إليه بمنزلة ولايات أثينية تتمتع بحكم ذاتي محكوم بضوابط أثينية ، فازدادت مخاوف اسرطة الأمر الذي أدى إلى نشوب الحروب البولوبونيزية عام 431ق.م¹.

وفي ظل هذه الأوضاع تمكن بيركليس من الوصول للحكم ، واكتسابه مكانة كبيرة لدى الأثينيين لدرجة أنهم استمروا في انتخابه لمدة ثلاثين عاما كزعيم ملهم لهم وقائد في نفس الوقت خاصة ما تعرضت إليه أثينا أثناء وبعد الصراع الفارسي الإغريقي واهم مخلفاته خاصة من ناحية الأحلاف السياسية (ديلوس والبولوبونيز) والهزات التي تعرضت لها بعد انفصال بعض المدن اليونانية عنها ، وسوف نحاول الإشارة إلى سياسته الخارجية وأهم النقاط المتعلقة بها في العناصر القادمة ، ونكتفي بالسياسة الداخلية التي اتبعها بركليس في نشر ديمقراطيته ولعل أبرزها مايلي :

-اهتمامه بإحياء النهضة الأثينية الكبرى من خلال تطوير الفن والعمارة والأدب والفكر وكافة مجالات الحياة الاجتماعية في الفترة ما بين نهاية الحروب الفارسية وبداية الحروب البولوبونيزية ، وبرز مثال على ذلك إعادة بناء وترميم الكروبولوليس الذي كان في حالة خراب منذ تدميره من طرف الفرس في عام 480ق.م² ، فضلا على ذكر ثوكيديدس بأنه كان دائم الاختلاط بأهل الفكر والثقافة من معاصريه من أمثال : فيدياس ، أناكساجوراس ، سوفوكليس وهيرودوت.. الخ ، و من كثرة تشييده للمباني العامة والمعابد والهياكل أصبحت أثينا مدرسة بلاد الإغريق و محط أنظار وإعجاب الأجانب واستنكار أعدائه الذين انتقدوه كثيرا بقولهم : "إن بلاد الإغريق لها كل الحق في أن تسخط وتستنكر هذا العمل وتعتبره اهانة غير محتملة ، وتعد نفسها ضحية تحكّم وطغيان عندما ترى أموال الخزينة التي شاركت في جمعها بدافع الضرورة الملجئة لسد نفقات الحرب، تبذر تبذيرا وتصرف بشكل لا مبرر له طلاء مدينتنا وتجميلها وتزيينها بالتماثيل والمعابد التي كلفت ألف تالنت كالمراة المزهوة بنفسها حين أثقلت بالجواهر"³ ، ويعتقد أن هذه الإجراءات التي قام بها بركليس جلبت له الانتقادات والتهامات من طرف أعدائه الذين اتهموه بالإسراف وعاتبوه على انه يتصرف كدكتاتور عليهم⁴ ، بالإضافة إلى انه ضيق الخناق على أعضاء

¹ محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص168.

² Christopher Fagg, François Carlier , op-cit , p26

³ بلوتارك ، مج 1، المصدر السابق ، ص 264.

⁴ - Christopher Fagg, François Carlier , op-cit , p26.

حزب ديولوس حيث أصبح سلوك أثينا اتجاه حلفائها بيروقراطيا لان سياسته جاءت من اجل تحقيق الرخاء للأثينيين على حساب المدن الأخرى¹ .

-تشجيع بيركليس مواطني أثينا على ممارسة حقوقهم السياسية ولتفعيل دورهم أمر بصرف مكافأة رمزية لهم عن حضورهم جلسات المحاكم كمحلفين تحت غطاء مؤسسة سياسية تعرف في عهده باسم الميستوفوري " Misthophorie" *، ونتيجة لهذا القانون ازدادت نسبة مساهمة الديموس في الحياة السياسية²، وفي نفس الوقت ازدادت شعبيته بين الأثينيين لدرجة أن عندما هاجم أحد زعماء النظام الارستقراطي ويدعى ثوكيديديس بن ميليسياس وهو أحد أقارب كيمون ، واتهامه بالإنفاق الكبير لأموال حلف ديولوس في أعمال الفن والبناء والعمارة ، قرر الأثينيون في الجمعية الشعبية إصدار قرار بنفيه نفيًا سياسيا عام 443ق.م³ .

وعلى هذا الأساس فان بيركليس جعل نظام المحلفين نظاما ديمقراطيا تاما ، وذلك لأنه أصبح في متناول أفقر الناس أن ينتظم في سلك المحلفين ، الذين كان غالبيتهم من كبار السن المتقاعدین محولين بإدارة العدالة بعد الاستماع إلى عرض القضايا والحكم عن طريق الاقتراع السري ، فجاء اقتراح بيركليس بان تدفع لهم أجور بمنزلة نوع من رواتب التقاعد لسن الشيخوخة، وتضييق الخناق على أعضاء حزب ديولوس⁴ .

-في عام 451ق.م أمر الجمعية الشعبية (الاكليزيا) بإصدار قانون يقصر المواطنة الأثينية على من ولد من أبوين أثينيين بغية تعزيز النسل الأثيني، وتعميق انتماء الأثينيين لوطنهم وإدراكهم لقيمة هويتهم واستعدادهم للتضحية بكل غال من أجله ، ويظهر ذلك خاصة بانتصار المواطنين الأثينيين على القوات الكورنثية بالرغم من استغلال هذه الأخيرة تواجد القوات الأثينية بمصر بهدف محاربة الفرس ، ولهذا أطلق بيركليس العنان للشعب أكثر من أي وقت وجعل سياسته خادمة له ، فبذل الجهود المستمرة لإرضائه بإقامة المهرجانات العامة أو الاحتفالات الدينية أو الولائم... الخ ، بهدف إدخال السعادة والبهجة في حياتهم.

¹ احمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 259.

* الميستوفوري: هي المؤسسة المالية التي كانت تدبر أمور الموظفين العموميين من خلال تقلم الرواتب ، وهي إحدى الخصائص الأساسية التي تميز بها النظام الديمقراطي .

² بيير ديفانبيه ، ج1، المرجع السابق ، ص 297.

³ محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص ص 171-172.

- مارس بيركليس دورا رائدا في نشر مستوطنات أثينية خارج حدود بلاد اليونان أو على تخومها البعيدة بسبب السياسة المتبعة في ذلك حيث عمد إلى إرسال كل سنة ستين سفينة إلى البحر مشحونة بالمواطنين الذين تدفع لهم الدولة اجر ثمانية أشهر ليتعلموا فنون الملاحة ويتدربوا على خدمة السفن ، إذ أرسل ألف مواطن إلى جزر الخيرسونيز ، ونصف هذا العدد إلى جزيرة آندروس¹ ، ولكن أشهرها مستوطنة "ثوري" في جنوب إيطاليا التي أسست عام 443ق.م ومستوطنة "امفيبوليس" في جنوب تراقيا على نهر ستريمون في سنة 437ق.م ، وبذلك بدأ النفوذ الأثيني ينتشر أكثر فأكثر في أصقاع بعيدة وجعل لأثينا دورا في الاستيطان الخارجي لم تمارسه من قبل ، وتخليص المدينة من العاطلين الفضوليين وتشغيلهم خارج أثينا ، زيادة عن ذلك إخافة حلفائهم وصددهم عن محاولة الانتفاض أو إجراء أي تغيير² .

- دفع أجور من الأموال العامة لمن ينخرطون في سلك الخدمة العسكرية ، وتخصيص أبولتين من أموال الدولة من كل عام لكل مواطن من مواطنيها يؤديها اجر لدخوله لمشاهدة ما يعرض من المسرحيات والألعاب في الأعياد العامة ، حتى لا تبقى هذه المسرحيات والألعاب ترفا تختص به الطبقات العليا والوسطى ، ويهدف بيركليس جراء ذلك إلى رفع مستوى الفكري والعقلي للمواطنين جميعا ، مع توسيع القاعدة الشعبية للحكم (منصب الارخون) ، ويتمثل ذلك في منح الطبقة الثالثة (الذين يتراوح دخلهم السنوي 200 و300 معيار) حق الترشح لمناصب الاراخنة التسعة ، بعد أن كان مقتصرا فقط على الطبقتين الأولى والثانية بهدف خلق نوع من التوازن والمساواة بين الطبقات ، مع حصر حق الانتخاب على المواطنين الذين يشنون مواظنتهم الأثينية من ناحية الأب والأم ، مع إلغاء نظام الترشيح وتعويضه بالقرعة³ .

وفي الأخير سوف نحاول وضع جدول مقارنة بين أهم القوانين المشرعة في مدينة أثينا في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد من خلال تسليط الضوء على :

أولا : في المجال السياسي :

6	5	4	3	2	1	
بركليس (-461)	كليستينس (-507ق.م- ؟)	بيزستراتوس (-561)	صولون (-594)	دراكون (621ق.م)	كيلون (-632)	المشرعون

¹ بلوتارك ، مج 1 ، المصدر السابق ، ص ص 363-364.

² محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص ص 171-172.

³ خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 488.

429ق.م)		510ق.م)	571ق.م)		631ق.م)	
من أسرة الكيمايون (ارستقراطية)	من أسرة الكيمايون (ارستقراطية)	من أسرة ارستقراطية	من أسرة ارستقراطية (التجار)	من أسرة ارستقراطية	من أسرة نبيلة (غنية)	النسب
ديمقراطي	ديمقراطي	فردى مطلق (حكم الطغاة)	ديمقراطي	ارستقراطي	فردى مطلق (حكم الطغاة)	- نظام الحكم
ارخون (قائد عسكري)	ارخون	حاكم عسكري	ارخون	ارخون	حاكم عسكري	- الحاكم
مجلس البولي	مجلس الاريوباجوس	الحزب الحاكم (حزب الجبل)	مجلس الاريوباجوس	مجلس المشرعين الستة (الاريوباجوس)	جماعة ارستقراطية عسكرية	الهيئة الحاكمة
بالانتخاب والاقتراع	بالانتخاب والاقتراع	بالقوة المسلحة (الانقلاب)	بالانتخاب والاقتراع	بالانتخاب ثم الاختيار	بالقوة المسلحة	كيفية الوصول للحكم
خمسة عشرة سنة	سنة واحدة	حاكم مطلق	_____	عشر سنوات	حاكم مطلق	مدة الحكم
على أساس الاقتراع بين مختلف الطبقات	على أساس رابطة المكان (الإقامة)	على أساس رابطة الدم طبقا لدستور صولون	على أساس رابطة الدم	تم الاعتماد على الثروة كمقياس للحكم	_____	أساس الحكم
_____	أبقى على مجلس الشيوخ ووسّع من دائرته بالسماح لغير الارستقراطيين بالانضمام إليه	احتفظ بعناصر دستور صولون	أبقى على مجلس الاريوباجوس وحافظ على نظام الاراخنة	الحكومة والمجلس التشريعي	جرّد مجلس الشيوخ من صلاحياته	المجالس التشريعية
أبقى على الأسس الدستورية التي وضعها أسلافه	عدّل مجلس الأربعمائة بجعله مجلس الخمسمائة	_____	استحدث مجلس الأربعمائة	_____	_____	_____
وسع دائرة نفوذ المواطنين	_____	_____	أبقى على الاكليزيا و	أسس الجمعية الشعبية التي	_____	_____

المختارين في المجلس التنفيذي			زاد عدد أعضائها وأنشأ مجلس البولي	تضم كل مواطني أثينا		
على أساس الكفاءة الشخصية لشغل الوظائف الإدارية	على أساس المواطنة والحقوق السياسية	على أساس الاختيار الشخصي	على أساس الانتخاب بالقرعة حسب كفاءات الموظفين مع حرص صولون على أن لا تقع القرعة على من ليسوا أهلًا لها	عن طريق الانتخاب من بين أفراد الطبقة الأرستقراطية	_____	-اختيار المواطنين

ب- في المجال الاقتصادي :

_____	_____	سك عملة جديدة للبلاد لتوفير المال اللازم للأعمال الاقتصادية	استبدال العملة الأيونية بالعملة الإيجية	استعمل نظام النقود بدلا من المقايضة	_____	في مجال سك العملة
حرص على تهيئة فرص العمل للعاطلين في مجال البناء وصناعة السفن	جعل كل قبيلة من قبائل مدينة أثينا تشكل قطاعا زراعيا وصناعيا وتجاريا	اهتم بتنظيم الزراعة وتوزيع أراضي النبلاء الزراعية على الفلاحين	حث المواطنين على تعليم أبنائهم حرفا و سن قانونا يعفى الابن من مسؤوليته تجاه والده في حال عدم تعليمه حرفه .	_____	_____	في مجال تعليم الحرف
أنشأ دورا للصناعة واهتم ببناء الموانئ	_____	اهتم بالتجارة والتصدير .	وسع نطاق التعامل والتبادل التجاريين وحرّم	_____	_____	في مجال الاستيراد والتصدير

حتى تدفقت البضائع على شواطئ أئينا من كل مكان.			تصدير القمح خارج أئينا.			
--	--	--	----------------------------	--	--	--

ج/ في المجال الاجتماعي :

حق المواطنة	_____	منح حق المواطنة لكل من قدم السلاح.	اعتمد على فكرة التدرج في الثورة قصد تحديد درجة الحقوق والواجبات .	_____	منح الجنسية الأثينية للأحرار المقيمين في ايتيكا .	قصر نطاق الجنسية الأثينية إلا من كان من أبوين أئيينين .
تقسيم طبقات المجتمع	_____	_____	على أساس المولد (الأصل)	_____	على أساس المكان (الإقامة)	منح المساواة للجميع أمام القانون.

د/ في المجال القضائي :

إنشاء المحاكم	_____	إنشاء محكمتين الأولى للنظر في حوادث القتل والثانية للنظر في القضايا السياسية والاجتماعية	أسس مجلس الهيليايا	_____	أسس مجلس الشعب ليعرض المشاريع على نفس المجلس	أنشأ المحاكم الشعبية لحماية القانون والدستور تأكيدا لتحسيد الديمقراطية
حقوق المواطنين	_____	سمح لفئة جديدة من الأغنياء بتولي منصب الارخون.	حرر الفرد اقتصاديا واجتماعيا لممارسة حقوقه السياسية (قانون رفع الأعباء) ، مع حرصه على الموازنة بين	_____	أعطى سلطات قوية للمواطن العادي الذي أصبح محلغا في المحاكم وجعل المواطنة مقتصرة على المواطن الأثيني دون النساء والعبيد	أقر حق أي مواطن في الاعتراض على أي مشروع يتعارض مع التشريعات القائمة .

	والحرفيين		طبقات المجتمع لتوفير الاستقرار السياسي			
قوانين العفو و النفسي	عاجلت قوانينه جرائم القتل كاستبدال مبدأ الانتقام الشخصي بالعقوبة الجماعية ، وفي الوقت ذاته لم يسلب الأسرة حقوقها في حال اتفاق أقارب المجني عليه بالدية والصلح دون تدخل الدولة	_____	سمح بعودة المنفيين وإصدار قانون العفو العام .	_____	أقر قانون النفسي "أوسترا كزوم" لمدة عشر سنوات	استمر في العمل بقانون كليستينس الخاص بالنفسي
إلغاء الديون	سَنّ قانون يحق فيه للدائن في حال عجزه عن الوفاء بدينه	_____	ألغى ديون الأفراد والدولة	_____	واصل العمل بدستور صولون فألغى ديون الأفراد مع تقديم منح مالية للعمل في أراضي النبلاء بالريف أو المدينة .	_____

1 -بتصرف من الطالبة واعتمادا على :

أرسطو ، دستور الأثينيين ، المصدر السابق ، ص ص 77-78، ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص ص 371-372 ، محمد السيد
1 محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص ص 144-145.

وبعد التطرق إلى مدينة أثينا وطبيعة الحكم فيها من خلال الإشارة إلى أهم الأنظمة السياسية التي ميزتها منذ القرن الثامن قبل الميلاد إلى غاية القرن الثالث قبل الميلاد بعد سقوط النظام الديمقراطي من قبل احد قادة الاسكندر الذي يدعى أنتيباتروس (Antipatros) الذي احتلها سنة 322ق.م وفرض على الأثينيين دستورا اوليغارشيا ، سوف نحاول الإشارة إلى مدينة يونانية أخرى كانت لها الصيت الكبير داخل وخارج بلاد الإغريق ، واستطاعت أن تفرض نفسها بين الإمبراطوريات المجاورة ألا وهي مدينة اسبرطة ، ومن هنا سوف نطرح التساؤل الأتي : أين تقع اسبرطة ؟ وكيف تميز دورها التاريخي بين باقي المدن اليونانية الأخرى خاصة في ظل وجود دويلة أخرى أكثر منافسة لها والمتمثلة في مدينة أثينا ؟ .

الباب الثالث : أشهر المدن السومرية والإغريقية وطبيعة الأنظمة السياسية السائدة فيها .
 الفصل الثالث : مدنية اسبرطة وتطور أنظمة الحكم فيها .

1-مدنية إسبرطة (Sparta) :

أ /-أصل التسمية .

ب /-الموقع الجغرافي .

2-النشأة التاريخية لمدنية اسبرطة :

أ-سياسة الانعزال .

ب-سياسة التفرج الطبيعي لزيادة السكان .

ج-السياسة العسكرية المتبعة .

3-التقسيم الاجتماعي لاسبرطة :

أ-طبقة السادة (الرويين أو الاسبرطيون) (Spartiates).

ب-طبقة البري أويلي (الجيران المحيطين) (Preoiki) أو البريوكوي (Periokoi) أو الأحرار.

ج- طبقة الأرقاء أو المستعبدين أو الهيلوتيون (Helots) أو الاقتان .

4)طبيعة النظام الاسبرطي :

1-الملكية الزوجية .

2مجلس الجيروسية أو مجلس الشيوخ (Gerousia) .

3-مجلس العامة أو مجلس الشعب (مجلس الأبللا) (Appela) .

4هيئة المشرفين أو مجلس الخمسة أو مجلس الرقباء (Ephores) .

⊗مقارنة بين المدن السومرية والإغريقية وطبيعة أنظمة الحكم بين الطرفين .

تشكل اسبرطة إحدى أهم المدن الإغريقية ، نظرا للدور السياسي والعسكري في العالم القديم عامة وبلاد اليونان بصفة خاصة ، فضلا عن المميزات الجغرافية التي حظيت بها ، و التركيبة البشرية لسكانها ، حيث اتبعوا نظاما خاصا بهم ،مكنها من الانفراد على باقي الدويلات المدن الأخرى، ولهذا سوف نحاول تسليط الضوء على هذه المدينة من الناحية الجغرافية والعسكرية ، ودورها في قيام ما يعرف بالحروب البولوبونيزية التي مست بلاد الإغريق ككل ، وأثرت في تراجع العلاقات الإغريقية مع مدن الجوار ؟ ومن هنا نطرح الإشكالية التالية : أين تقع هذه المدينة ؟ وما هو الدور الذي احتلته في اليونان في خضم وجود مدينة منافسة لها (أثينا)؟ وما هي أهم المؤسسات السياسية التي تشكل منها نظام الحكم الاسبرطي ؟ .

1-مدينة اسبرطة (Sparta):

أ /- أصل التسمية : تعد مدينة اسبرطة من المدن الإغريقية العريقة التي تميزت بأسلوبها الخاص سواء من الناحية الاجتماعية أو السياسية ، حيث عرفت هذه المدينة قديما باسم لاكونيا (Laconia) أو لاكيدايمون (Lacedaemon) واسبارتي (Sparte) ، وقد استخدم هوميروس مصطلح لاكيدايمون* للإشارة إلى الملك مينلاوس زوج هيليني (هيلينا) التي حدثت بسببها حرب طروادة ، حيث ذكر أن لاكونيا كانت تضم اثني عشر عشيرة مختلفة وخضعت كلها للملك الأسطوري مينلاوس ، وكان سكان اسبرطة القديمة يؤلفون واحدة من تلك العشائر الأصلية¹.

أما فيما يتعلق بتسمية إسبارتي فتطلق على الطبقة المميزة من سكان المدينة والذين عرفوا في فترات متأخرة باسم (الاسبراتيائيس) ، وقد اعتبرت اسبرطة أكبر مدينة دولة يونانية من حيث الحجم إلى جانب أثينا ، وارتبطت نشأتها بقدوم الغزوات الدورية 1110/1150 ق.م التي اجتاحت بلاد اليونان² من الشمال واستقروا في البولوبونيز عند نهاية العصر البرونزي وبداية العصور المظلمة، بعدما قاومتهم قرية صغيرة تسمى أميكلاي (Amyclae)

* وفقا للأساطير اليونانية ، مؤسس اسبرطة هو لاكديمون ابن الإله زيوس والإلهة تاجيت ، Lacedaemon تزوج اسبرطة و شرف زوجته بإعطاء اسمها

على المدينة (اسبرطة هي ابنة Eurotas [أوروتاس] اله البحر في اليونان و الذي يحمل اسمه...،أنظر: Hal Marcovitz , op-cit , p34

¹محمد إبراهيم بكر ، حضارة الإغريق ..، المرجع السابق ، ص96 .

²Eric D . Nelson , Susan K.Allard- Nelson ,op-cit ,p153.

الحصينة مدة طويلة ، ولكنهم اضطروا إلى النزول في مكان يبعد عنها بأربعة أميال ، وهناك أسسوا مدينة اسبرطة ، وذلك بإدماج أربعة قرى تقع في وسط السهل على الضفة الغربية من نهر يوروتاس¹ .

وقد زاد عدد هذه القرى إلى خمس بعد إدماج أميكلاي (Amyclae)* ، حيث اتحدت هذه القرى الخمس في شكل مدينة واحدة ، وكان سكانها جماعات من العنصر الآخي ، وحين تعرضت بلاد اليونان للغزوات الدورية وصلت جماعات منهم إلى مقاطعة لاكونيا وسيطروا عليها وأطلقوا على أنفسهم اللاكيداييمونيين² أو اللاكونيين³ ، ويؤكد ثوكيديدس في هذا الصدد بقوله : " إن اسبرطة ليست سوى مجموعة من القرى ، اجتمع بعضها إلى بعض على النهج الهيليني القديم " .

لا يبدو أن موقع اسبرطة قد استوطن قبل القرن 9 ق.م ، ولكن المناطق المجاورة قدمت آثارا هامة تعود للحضارة الكريتية -الموكينية ، وكانت أموكلاي تقع على بعد أميال قليلة إلى الجنوب ، وبالقرب منها المقابر الدائرية لفافيو (Vapheio) ، والتي تقع في إقليم لاكونيا الذي تقع فيه اسبرطة ، ويرجع إلى القرن 15 ق.م وعثر في هذا الموقع الأثري على خناجر قيمة بأصل مغطاة بقشرة وكاسين ذهبيين ، احدهما مزين بمنظر صيد الثيران البرية ، والآخر بمنظر ترويضها⁴ .

وبذلك فإن مصطلح اسبرطة يقصد به المشتتة بسبب اجتماع خمس قرى كبيرة اتصل بعضها بالآخر وتم ذلك في القرن الثامن قبل الميلاد ، واعتبارا من هذه الفترة لم يعد اسم اسبرطة يطلق كبديل عن لاكيداييمون بمعنى الإقليم وإنما أصبح يقتصر على المدينة وحدها⁵ .

وعندما قام الدورون في القرن 12 ق.م بغزو البولوبونيز توغلوا داخل المناطق الجبلية المحيطة ، ويعتقد أن مدينة اسبرطة القديمة تعرضت للتدمير أثناء الغزو الدوري ، أما المدينة التي حملت الاسم فيما بعد والتي قامت على نهر يوروتاس وكشفت عنها الحفائر الأثرية فيما بعد ، وبذلك فإن الظهور الفعلي لاسبرطة كان في حدود القرن 9 ق.م نتيجة اتحاد عشيرتين إحدهما دورية والأخرى آخية ، وسوف تظهر ملامحه أكثر في التمثيل السياسي لاسبرطة من

¹ خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 341 .

*عدد القبائل القديمة المؤسسة لاسبرطة خمسة وهي كالأتي : بافيولي (Pamphyloi) ، هيليس (Hylleis) ، ديمانس (Dymanes) ، الاوباي (Obai) ، أميكلاي (Amyklai)...، أنظر: خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 341 .

Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p116.

Eric D . Nelson , Susan K.Allard- Nelson ,op-cit ,p152.

⁴ بيير ديفانييه وآخرون ، ج 1 ، المرجع السابق ، ص 103 .

⁵ خليل سارة ، المرجع السابق ، ص ص 341-342 .

خلال الملكية المزدوجة ، والسياسة الاستبدادية التي انتهجتها ضد المناطق المحاذية لنهر يوروتاس مثل : كتوريا (Kynuria) في الشرق في حدود القرن 6 ق.م ، ومسينيا (Messenia) الغنية في الغرب في حدود القرن 7/8 ق.م¹ .

وبعد هذه الحادثة أصبح اسم اسبرطة يبعث الرعب في نفوس مواطني المدن الأخرى ، إذ كان الاسبرطي يبدو في الحرب نموذجاً للقوة العارية المتوحشة ، ولم يكن لذلك كله من هدف إلا إذلال المدن الأخرى وفرض سيطرتها على منطقة البولوبونيز .

ب/ -الموقع الجغرافي : تقع اسبرطة في الجنوب الشرقي لشبه جزيرة البولوبونيز في منطقة سهلية تسمى لاكونيا (Laconia)² على نهر يوروتاس (Eurotas) الذي يتوسطها بين سلسلة جبل تاجيتوس (Taygetus) ومرتفعات اركاديا وترويه عدة جداول مائية تنساب من هذا الجبل³ ، ويحد اسبرطة من جهة الشرق سلسلة جبال بارنون (Parnon) ، ومن الغرب قمم جبل تاجيتوس المغطاة بالجليد ، ويعتمد رخاؤه على بساتين الزيتون والفاكهة وخصوبة حقوله والأعشاب التي تنمو على منحدرات الجبال⁴ .

وقد اتصلت اسبرطة بالعالم الخارجي عبر مينائها جوثيون (Gythion) الذي يبعد عنها حوالي 40 كم⁵ ، ومع بقية بلاد الإغريق عن طريق ممر يصلها بأركاديا ، في حين ترجع عزلتها الداخلية إلى الظروف الجغرافية أكثر منه إلى نمط الحياة الصارم الذي فرضته قوانينها على مواطنيها⁶ ، حيث بدأت في فرض نفسها كدولة عن طريق سياستها التوسعية بغزو مسينيا (Messenia) والاندفاع نحو الشمال والشرق باتجاه إقليم أرجوليس* وأركاديا لتدخل في صراعات كثيرة معهما على مدى تاريخها ، وتصبح أكبر قوة رئيسية في منطقة البولوبونيز⁷ .

¹ Pierre Roussel , la Grèce et l'orient des guerres Médiqes à la conquête romaine , Paris , 1928, p 44 .

² Jean Kinney Willialm , op-cit , p25 , Charles Gates , op-cit , p228.

³ Pausanias , TIII (Laconie), I.

⁴ بيير ديفانيه وآخرون ، ج1 ، المرجع السابق ، ص103.

⁵ Eric D . Nelson , Susan K.Allard- Nelson , op-cit , p 152.

⁶ بيير ديفانيه وآخرون ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 103.

*أرجوليس (ارغوليس) : اشتق اسمها من اسم المدينة ارجوس ، اشتهرت هذه المنطقة بأساطيرها وثقافتها ، ويعتقد أنها مسقط رأس هيلين ...، أنظر: Eric

D . Nelson , Susan K.Allard- Nelson , op-cit , p 92.

⁷ Léveque Pierre, l' aventure grecque , librairie Arnaud colin , Paris , 1964 , pp327, 405, Ephraim David , And revolution (404-243 B.C) , Internal problems and their Impact on Contemporary Greek conxiuousness , Arno Press , NewYork , 1981, p89.

ويعتبر إقليم اسبرطة من أنحصب الأقاليم في بلاد اليونان وأوفرها إنتاجا من الناحية الزراعية ، حيث شكلت الزراعة الطابع الغالب على الاقتصاد الإسبرطي ، وفي نفس الوقت أثرت على الشخصية الإسبرطية من خلال ميلها على المحافظة والتمسك بالنظم القديمة وعدم الجرأة في التغير¹ .

كما استطاعت محاصيل هذا السهل أن تكفي حاجيات عدد كبير من السكان ، ولذلك لم تعاني لاكونيا من مشكلة عدم الاكتفاء الذاتي أو مشكلة الجوع التي دفعت ببعض السكان في غيرها من الأقاليم إلى العمل بالتجارة أو الهجرة لإنشاء المستعمرات أو الإقدام على مغامرات سياسية خطيرة ، ومن ناحية أخرى تعد لاكونيا من أكثر أقاليم بلاد الإغريق انعزالا بسبب ابتعادها مسافة طويلة عن وسط بلاد الإغريق² ، وسيطرت على أهم الأراضي الزراعية ، وبالتالي قسم الإسبرطيون أراضيهم إلى نوعين :

1-الأراضي الأميرية : تقع هذه الأراضي الزراعية حول مدينة اسبرطة مباشرة ، وقسمت إلى حصص متساوية ووزعت على الأسر الإسبرطية ، ثم أضيفت إليها أراضي ميسينيا التي نالت كل أسرة حصة منها ، ولا يجوز لهذه الأسرة التصرف فيها (يبيعها أو تقسيمها) لأنها من ملك الدولة الاسبرطية ، بحيث تمنحها لرئيس الأسرة ليعيش من محصولها هو وأسرته ، وعندما يموت الأب تنتقل الأرض بالوراثة إلى الابن البكر ، وفي حالة عدم ترك الأولاد لوراثة تعود الأرض مباشرة لممتلكات الدولة .

وكان صاحب الأرض لا يقيم فيها بل يعيش فيها عدد من العبيد الذين توزعهم الدولة وتفرض عليهم تقديم إلى صاحب الأرض مقدارا معينا ثابتا من الفواكه أو الحبوب أو الزيت .

2-الأراضي الدائرة : تقع حول الأراضي الأميرية أو المحيطة بمدينة اسبرطة ، وتشكل هذه الأراضي الزراعية حاجزا طبيعيا يحمي اسبرطة من الشعوب المجاورة ، حيث كان الاسبرطي الثري يستطيع شراء هذه الأراضي بقدر ما يريد ثم يبيعها أو يورثها لأبنائه ، وقد كانت الملكية في هذه الأراضي فردية خاصة ويمكن تقسيمها وانتقالها وبيعها³ .

¹ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 94 .

² خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 340 .

³ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 96 .

* سبق وأن ذكرنا أن مؤسس اسبرطة هو لأكديمون ابن الإله زيوس والإلهة تاجيت ، Lacedaemon تزوج اسبرطة و شرف زوجته بإعطاء اسمها على

المدينة (اسبرطة هي ابنة Eurotas [أوروتاس] اله البحر في اليونان و الذي يحمل اسمه...، أنظر: Hal Marcovitz , op-cit , p34 .

2- النشأة التاريخية لمدينة اسبرطة : كما سبق وأن أشرنا في العنصر السابق بعد اجتياح الدوريين لمقاطعة لاكونيا ، وسيطروا عليها في حدود 1110/1150 ق.م¹ أطلقوا على أنفسهم تسمية اللاكيدايمونيون ، وبالتدريج نشأت في وسط هذه المنطقة مدينة اسبرطة .

وبعد استقرار هذه القبائل في اسبرطة شكلوا كتلة متماسكة ، ولم يندمجوا مع بقية القبائل الأخرى أو مع من تبقى من السكان الأصليين ، حيث فضل الاسبرطيون أن يظلوا محافظين على تماسكهم كطبقة حاكمة تسيطر على المقيمين في منطقة لاكونيا من خلال احتفاظهم بكافة الحقوق السياسية .

وقد نتج عن هذه الظروف التاريخية أن أصبح الاسبرطيون أقلية حاكمة وسط محيط من السكان المعادين والساحطين عليهم سواء داخل البلاد أو خارجها، وأتبعوا نظاما اجتماعيا وسياسيا خاصا بالاسبرطيين بهدف المحافظة على تماسكهم وسيطرتهم وسط هذه الأغلبية المعادية ، ومن أهم الإستراتيجيات المتبعة من قبلهم نجد :

أ/ - سياسة الانعزال² : اتبعت اسبرطة سياسة خاصة تختلف عن سائر المدن الأيونية الأخرى التي كانت تميل إلى سياسة الانفتاح على العالم وتخضع للمؤثرات الخارجية وتظهر نشاطا كبيرا في الأعمال التجارية والصناعية ، في حين كانت اسبرطة تنطوي على نفسها ، وتنعزل عن غيرها وتمنع كل تجدد وتسعى إلى المحافظة على الأوضاع السائدة ، وتتحكم في رقاب المواطنين بحيث لم تدع لهم فرصة الانطلاق والابتكار والخلق في مجالات الأدب والفن والثقافة عامة³ ، على نقيض من ذلك نجد الحياة الأدبية في أثينا متطورة أين كان الفلاسفة والعلماء الأيونيين يكتشفون طرقا وإبداعات جديدة ، مسترشدين بقدرتهم الفردية على استخدام العقل.

في حين الاسبرطيين يسيرون طبقا لآرائهم ونظراتهم التقليدية الجامدة إلى الأمور ، فهذان النمطين من الأسلوب (الأيوني والإسبرطي) يمثلان فكرتين متعارضتين عن الحياة (الانفتاح والانعزال) ، الفكرة الفردية والفكرة الجماعية ، ويرجع المؤرخون سبب اعتزاز اسبرطة بهذه السياسة وانعزالها عن المجتمعات الخارجية هو شعورهم القوي بأنهم مجتمع وثيق الارتباط ببعضه ببعض ، وأنهم جماعة دورية عظيمة التنظيم تشعر أنها هي التي تقرر ما تريد ، إذ لم يكونوا أفرادا يريدون أن يتكيفوا بين أنفسهم وبين نظام موجود من أنظمة الحياة ، بل كانوا مجتمعاً قد جاء ومعه نظامه الخاص الذي صمم على أن يحتفظ به⁴ .

Hal Marcovitz , op-cit , p 34.

Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p 167 .

Charles Gates , op-cit , p 228.

ج. هـ. كيتو ، المرجع السابق ، ص 114.

ب/ - سياسة التفريغ الطبيعي لزيادة عدد السكان : عبرت المدن الأيونية عن هذه السياسة بإرسال جاليات كثيرة إلى خارج بلاد الإغريق للاستيطان وإنشاء المستعمرات خاصة في آسيا الصغرى - كما سبق وأن ذكرنا في العناصر السابقة - بينما اسبرطة مارست هذه السياسة ولكن بشكل قليل جدا ولم تهتم بإنشاء وتوسيع مستعمراتها وعالجت حاجتها الملحة إلى الأراضي الزراعية عن طريق البر واعتبرته الحل الأمثل ، وذلك بالغزو والاستيلاء على أراضي الغير بالقوة¹ ، على نقيض المدن الأيونية التي وجدت البحر مخرجا طبيعيا لضيق عدد السكان ، وفي هذا الصدد يقول ثوكوديديس : " إن اسبرطة لا تشغل من مساحة منطقة البولوبونيز سوى الخمسين ، لكنها لا تزعم بلاد البولوبونيز بأكملها فحسب ، بل إن نفوذها يمتد إلى الكثير من الحلفاء خارج حدودها أيضا " ².

ومن هنا دخلت اسبرطة في حربين مريرتين كما سبق وان ذكرت مع مدينة ميسينيا خلال القرنين 8 و7 ق.م أي الحملة الأولى كانت في حدود [740-720 ق.م] والحملة الثانية كانت في حدود [685-668 ق.م] بغرض الاستيلاء على سهل ميسينيا الملقب باسم الأرض المباركة بسبب خصوبة تربته وجودته ، لذلك أصبح الاحتفاظ به مبدءا أساسيا لدى الاسبرطيين ، ونتيجة لهذه السيطرة الاسبرطية ، تحول سكان ميسينيا إلى أقنان دولة أو عبيد لدى الاسبرطيين (Helotai) أو (Helots) ³.



الملحق رقم 42: مخلفات مدينة ميسينا اليونانية التي غزتها اسبرطة في حدود القرن 8 ق.م. ⁴

1 Mike Paine ,op-cit , pp 91-92.

2 Thycydide , I, XXXV, p25 .

3 Jean Kinney William , op-cit , pp 25-26.

4 Paul Bernabeo op-cit , p 54.

وفي نفس الوقت أصبح الاسبرطيون أكثر استعدادا للحرب و في حالة حذر مستمر من الرقيق الذين كانوا هدفهم الأول هو التمرد والثورة واستغلال فترات خروجهم للحملات العسكرية، مما جعل الاسبرطيين يلجأون إلى تبني طريقة عسكرية في الحياة للتحكم في الرقيق ، فضلا عن التحالف مع حلفائهم بتقديم مساعدتهم عندما يثور الرقيق¹، وفي هذا الصدد يقول باوسنياس مايلي :

"... إلى ملكنا ، Theopompos، صديق الآلهة.

-بفضله أخذنا ميسينيا الغنية.

-ميسينيا جيدة للحرث ، جيدة للزرع.

-حاربوا من أجلها 19 سنة كاملة بدون توقف و بقلب شجاع.

-آباء آباءنا حاملوا الرماح.

-وفي العشرين ، تركوا حقولهم الغنية.

-الميسينيون هربوا من جبال Ithome العظيم² .

ج / -السياسة العسكرية المتبعة : إتباع نظام تربوي خاص في اسبرطة منذ الولادة ، ومبني أساسا على النزعة العسكرية³ ، فلا مكان للمشوهين أو ضعاف الأجسام أو المرضى ، إذ يقضى عليهم منذ ولادتهم عن طريق رميهم من أعلى الجبل أو رميهم في النهر ، وحين يبلغ الطفل سن السابعة يؤخذ من أسرته لينخرط في فرقة الأولاد العسكرية -مدرسة عسكرية-⁴ ، وعليه أن يتحمل القسوة ولا مجال لإظهار الألم أو الجبن ، وأن يعيشوا حياة صعبة ومنضبطة-سياسة التقشف-، فضلا عن إمكانية العيش وتناول الطعام ذو النوعية الرديئة ويشمل خصوصا "المرق الأسود" الشهير، والنوم في الشكنات العسكرية ، ولا فرق في التدريبات العسكرية الشاقة بين الفتيان والفتيات بغرض تنشئة رجال أشداء ونساء أقوياء الأجسام كي يجلبوا نسلا قويا ومستعدا دائما للحرب⁵ ، وخلف هذه السياسة شكلت اسبرطة رموزها الأخلاقية المتمثلة في : "أن تكون جيدا هو أن تكون قويا و شجاعا ، الموت في

Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p116, Mike Paine ,op-cit ,p p92-93.

ibid , p171.

Xenophon, Anabasis , trad par : William Rainey Harper , James Wallace , T 7 , American book company , NewYork , 1893,56 , p23.

Mike Paine ,op-cit , p94 .

Christopher Fagg , François Carlier , op-cit , p24, Charles Gates , op-cit , p 228.

المعركة هو قمة الشرف و السعادة ، أن تعيش منهزما فهو عار، حتى أم الجندي بصعوبة تصفح عنه وفقا المقولة الشهيرة عندهم "عد مع درعك أو عد عليه" هي جملة الوداع للأم الاسبرطية لولدها الجندي"¹.

كما يشير الباحث ماثوان ديلون أن الاسبرطيين يبنون شخصيتهم العسكرية على أسس موسيقية وأناشيد عسكرية التي تنسب إلى الشاعر تورتاوس (Tyrtæus)^{*} ، ورقصات فنية متميزة تبعث للنفس الحماسة والاندفاع على القتال، يحفظونها على ظهر قلب، وجعلوها عرفا مقدسا في حملاتهم ، فضلا على أن الجبناء أو المنهزمين في المعارك يتعرضون للنفي الاجتماعي خارج اسبرطة دون محاكمة ، ويرتدون عباءة ببقع ملونة ولحيتهم محلقة ، ومحرّمون من الزواج ، ولا يمكنهم أن يشغلوا مناصب عليا².

إن هذا النظام العسكري الصارم لم يقض فقط على جميع المواهب العقلية ، وإنما كل شيء فيه يخالف حقيقة مظهره³ ، حيث اعتبر نظام دقيق صارم وطاعة مطلقة للقانون يستوي أمامها الكبير والصغير ، إذ كانت الكلمة الأولى والأخيرة لمجلس الجيش وأبرز نموذج عن هذه الوضعية الملك أجيسي لما رجع من الحرب مع أثينا طلب إن يأتيه الطعام في منزله مع زوجته لأول مرة ، فرفض مجلس الشيوخ وقرر مجلس المراقبين أن يدفع الملك غرامة ، وفي هذا الصدد يقول أرسطو: " إن الدول العسكرية تصلح للبقاء طالما كانت في حرب بينما تسير إلى الدمار بمجرد أن تنتهي من غزواتها ، إن السلام يتسبب في أن يفقد معدنها في صلابته..."⁴.

وبالتالي فإن اسبرطة كانت في حالة استنفار دائم حتى تواجه أعدائها في الداخل والخارج معا ، ولذلك كانت أشبه بمعسكر ضخم متأهب دائما للقتال ، ولا يمكن للاسبرطي أن يعمل من اجل لقمة العيش ، فهو مخصص فقط للجيش والدولة، فأخضعت كل النظم التربوية والاجتماعية والاقتصادية لمقتضيات الحرب⁵.

3/ -التقسيم الاجتماعي لاسبرطة : كما سبق وأن أسلفت الذكر أن القبائل الدورية احتلت في أواخر القرن 12 ق.م إقليم لاكونيا الواقعة على السهل المنبسط الذي تحميه التلال الطبيعية من جميع جوانبه ، فاسترق الدوريون أهل البلاد وفرضوا نظاما ملكيا أروستقراطيا قائما على ثلاث طبقات ، كما انه ثمة مفارقات أخرى نلاحظها في

1 Hal Marcovitz , op-cit , p11.

*تورتايوس (Tyrtæus): هو أحد شعراء القرن السابع قبل الميلاد ، ينتمي إلى قرية أفيدناي (Aphidnae) ، عاش في اسبرطة ومن أكثر أعماله شهرة هي الأغاني العسكرية ، وهي نوع من أناشيد النصر يغنيها الجنود وهم يحاربون العدو ، وتعتبر في نفس الوقت المحرض الأول على الحروب ...،أنظر: بيير ديفانييه وآخرون ،ج1، المرجع السابق ، ص 355.

2 Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p p174-175.

3 Xenophon, Anabasis ,57 ,23.

4 Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p167.

5 Christopher Fagg , François Carlier , op-cit , p22.

المجتمع الاسبرطي ، وهي أن السلم الطبقي فيها قد بني على أسس سياسية وليس على أسس اقتصادية لامتلاك الثروات مثل باقي المجتمعات القديمة ، ولا يستند على أي فروق عرقية بين الغزاة والسكان الأصليين ، وعلى هذا الأساس قسم المجتمع الاسبرطي إلى :

أ/ -طبقة السادة الدوريين أو الإسبرطيون الخالص (Spartiates) ¹ : وعرفت هذه الطبقة باسم الهومويين "homoioi" أي المواطن التام ² ، وهم الأفراد المتساويين في الحقوق من حيث تولي وظائف الدولة باعتبارهم مواطنين كاملي الأهلية ³ ، و شكلت الطبقة المهيمنة على كل شيء في اسبرطة بالرغم من قلة عددها نسبة إلى مجمل عدد السكان ، حيث قدر عدد الأفراد المواطنين الذين ينتمون إلى هذه الطبقة في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد بنحو 32000 شخص، وتمتع أفراد هذه الطبقة بكثير من الامتيازات على حساب الطبقتين الأخيرتين ⁴ .

وتضم هذه الطبقة سلالة الدوريون الأوائل الذين احتفظوا بدمائهم النقية ، وانصرف أفراد هذه الفئة إلى التدريب العسكري* ، وحظر عليهم ممارسة أي عمل آخر ، وتحقيقا لهذه الهدف كان هناك نظام تدريب خاص

نسبه الإسبرطيون إلى شخصية أسطورية اسمها ليكوجوس (Lycurgys)** ، وكان هذا النظام يهدف في شقه الاجتماعي إلى تنشئة الإسبرطيين تنشئة اجتماعية خشنة تجعل من المجتمع الاسبرطي مجتمعا عسكريا في المقام الأول

Xenophon, Anabasis , 54, p22

Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p116 .

1

2

³ بيير ديفانييه وآخرون ، ج1، المرجع السابق ، ص 104.

⁴ عمر عبد الحي ، المرجع السابق ، ص ص 42-43.

*أخذت اسبرطة أبناءها بنظام مادي حديدي صارم من المولد حتى المات بهدف إقامة جيش اسبرطي قوي مستعد دائما للحروب ، ولا يقدمون ولائهم إلا للدولة ، ويبدأ تدريبهم العسكري منذ سن السابعة في معسكرات خاصة بهدف تعويدهم على حياة الشاقة والطاعة وغرس روح التفاني في سبيل الدولة وكان التعليم الأولي ينقسم إلى مرحلتين : -المرحلة الأولى : من السابعة حتى سن 12 ، المرحلة الثانية : حتى سن 20 أين يتلقى فيها أشعار هوميروس والحكم والأمثال، وقد أيد أرسطو هذا النظام ووصفه بالديمقراطي بسبب أن التعليم الأطفال [أولاد الأغنياء يأتون بنفس الطريقة مثل أولاد الفقراء، و يتعلمون بنفس أسلوب أولاد الفقراء] ، [لهذا لا يوجد فرق في أن تكون غني أو فقير... الخ ، أنظر : رجب سلامة عمران ، المرجع السابق ، ص 100 ، Hal Marcovitz , op-cit , p 11.

** ليكوجوس: يعتبر من أهم الشخصيات المثيرة للجدل هل هي شخصية خيالية أسطورية تخيلها الإغريق لتفسير وجود عدد من الابتكارات والنظم التي تبقى مجهولة أم قد تكون شخصية حقيقية؟ ، حيث يعتقد انه ظهر في منتصف القرن السادس أو الخامس قبل الميلاد ، ويصعب على المؤرخين من تحديد هويته ما إذا كان لها أو إنسانا ، وتضاربت الروايات حول تحديد أصله ما إذا كان هو نفسه ملكا أم وصيا أم عما لأحد الملوك؟ ، وطبقا لبعض الروايات فان الكاهنة اليوثيا علمته الكتابة التي نقلها إلى الإسبرطيين ليسيطروا على دولتهم ، وطبقا لآخرين فانه وجد ما يستوحيه في كريت ، وذهب إلى ديلفي لاستشارة الإله أبولو ومصادفته على القانون الذي احضره من رحلته إلى الجزيرة العظيمة، و عند دخوله الضريح ، الكاهنة مباشرة تحدثت معه كما يلي : " أنت جئت ليكوجورغوس إلى معبدي الفخم ، عزيز زوس وكل الذين لديهم منازل في أوليمبوس، أنا في شك إما أعلنك اله أو بشر، لكن أتمنى أنك اله "، ومن أهم أعماله التي اشتهر بها تكمن النظم أو في مجموعة العادات والشعائر (أعمال سحرية تقريبا ، ترجع من القرن الحادي عشر إلى القرن الثامن قبل الميلاد) ، حيث دعا إلى ضرورة التعامل مع هذه القوانين أو الإصلاحات احد القادة المشرفين (الإفوزرات) الذي يدعى خيلون بعد الحرب ضد تيجيا وانقسام اسبرطة نتيجة الصراعات الداخلية ...، بيير ديفانييه وآخرون ، ج2، المرجع السابق ، ص ص 215-216،

وتشكيل جيشا قائما ومستعدا للقتال في أي لحظة لقمع أي تمرد يقوم به السكان المحيطون أو العبيد ، وبمقتضى هذا النظام فإن الأطفال الذين يولدون في عائلات اسبرطية سواء أكانوا ذكورا أو إناثا كانوا يخضعون لإشراف الدولة من لحظة ولادتهم¹ .

وأما مصدر معيشتهم مرتبط بقطعة ارض (Kleros) أي الأراضي الأميرية ، منحتها لهم الدولة وعليها مجموعة من العبيد أو الأقنان الذين يقومون بخدمة سيدهم وقت السلم والحرب ، ويمدونه بمقدار من الغلة من المفترض أن يكفيه هو وأسرته ، كما كان الإقطاع ملكا خاصا للاسبرطي ، لكنه في نفس الوقت هو ملك خاص بالدولة يحظر التصرف فيه بالبيع أو حتى التقسيم ، وعند وفاة الاسبرطي يؤول إلى أكبر أبنائه² .

ب / - طبقة البرى أويكي (الجيران المحيطين) (Preoiki) أو البريكوي (Perioekoi) أو الأحرار³ :

تعني هذه الكلمة اليونانية المقيمين على هامش المدينة الواقع ، يتمتع أصحابها بحقوق اقل من الطبقات الأخرى ، أي المواطنين من الدرجة الثانية⁴ ، ويقفون في مرحلة وسط بين الاسبرطيين الخالص والهيلوتس ، واعتبر أفراد هذه الفئة أحرارا يعيشون في لاكونيا ومسينيا في مجتمعات بلدية صغيرة ، ويمارسون حقوقهم السياسية والمدنية داخل هذه المجتمعات⁵ ، غير أنهم كانوا خاضعين لاسبرطة في الشؤون الخارجية ، ولا يحق لهم الزواج من أفراد طبقة السادة الحاكمين ، وقدر عددهم حوالي 120000 شخص⁶ .

وقد استغل أفراد هذه الطبقة في جميع الأعمال الاقتصادية التي كانت محرمة على السادة الاسبرطيين مثل : التجارة ، الصناعة .. الخ ، وكونوا منها ثروات عظيمة ، وقد كانوا ملزمين بأداء الخدمة العسكرية في صفوف المشاة ذوي العتاد الثقيل أثناء طلبهم من طرف الدولة ، بالإضافة إلى تأديتهم للضرائب المفروضة عليهم⁷ .

وعرفت أيضا هذه الفئة في الجيوش الإغريقية باسم الهوبليت (Hoplites) ، ولا تتمتع بأي حق من الحقوق السياسية ، ولا يجوز لهم الزواج مع أفراد الطبقة الحاكمة ، وسكنت في الأراضي الزراعية (الأراضي المحيطة أو

¹ Xenophon , gouvernement des Lacédémoniens , trad par : Eugène Talbot , T 1, librairie de le Hachette , 1859 , II, 3,4.

² عمر عبد الحي ، المرجع السابق ، ص 43.

³ Xenophon , Anabasis, 54 , p22.

⁴ Chales Gates , op-cit , p228.

⁵ رجب سلامة عمران ، المرجع السابق ، ص 102.

⁶ Lèveque Pierre , op-cit , p173.

⁷ Chales Gates , op-cit , p228.

الدائرة) و التي تؤلف حاجزا يحمي اسبرطة من أي غزو خارجي ، حيث كانت الملكية في هذه الأراضي فردية خاصة ويمكن تقسيمها وانتقالها وبيعها ¹ .

ج/ -طبقة الأرقاء أو المستعبدين أو الهيلوتيون² (Helots) أو الأبقان³ : وهي طبقة الهيلوتس أي الأبقان ، ويبلغ عددهم 224000 شخص ، وتأتي هذه الفئة في نهاية السلم الطبقي للمجتمع الاسبرطي ، حيث يقول المؤرخ سترابون أن كلمة (هيلوت) مشتقة من هيلوس ، وهو اسم أول مدينة فرض الاسبرطيون على أهلها العبودية⁴ وعلى هذا الأساس فإن مصدر هذه الطبقة هم السكان الأصليون الذين خضعوا للدورين خاصة بعد سقوط مسينيا والهبوط بأغلب سكانها إلى مرتبة الرقيق بعد أن فقدوا حريتهم الشخصية⁵ ، وقامت الدولة بتوزيعهم على المواطنين الاسبرطيين للعمل في إقطاعياتهم الزراعية (الأراضي الأميرية) ، والقيام بالخدمات المنزلية مقابل نصف المحصول أو في المناجم التي تنتج الأسلحة المعدنية (السيوف ، الدروع)⁶ ، ولهذا فإن أفرادها كانت ملكا للدولة وليس للأفراد ، وقد شكلوا أغلبية ساحقة في اسبرطة مما نتج عنه حدوث ثورة العبيد سنة 460 ق.م واستمرت لمدة عشرين عاما، و قد ازداد عددهم زيادة كبيرة عقب إخضاع مسينيا في أواخر القرن 8 ق.م⁷ .

ويشير أرسطو بعد تزايد عددهم في اسبرطة أصبحوا يشكلون خطورة كبيرة على الاسبرطيين القليلي العدد حيث يقول : " ... أن يكونوا على أهبة الاستعداد دائما ، لأن الهيلوتس أعداء لهم يتربصون بهم الدوائر ... ويحكي أنهم على عهد ملوكهم الأوائل كانوا يشركون الأجانب بالجنسية ، كي لا يبتلوا بقله السكان ..."⁸ .

ونتيجة لهذه الوضعية تميزت معاملة الاسبرطيين لهذه الفئة بالقسوة والتعسف رغم العقود التي كانوا يبرموها معهم عند استسلامهم للرق ، إضافة إلى أن قوانينها لم تكن لهم تضمن لهم أية حماية حيث كانت تسمح للشبان

¹ خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 345.

Xenophon , Anabasis ,54 , p22.

Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p116 .

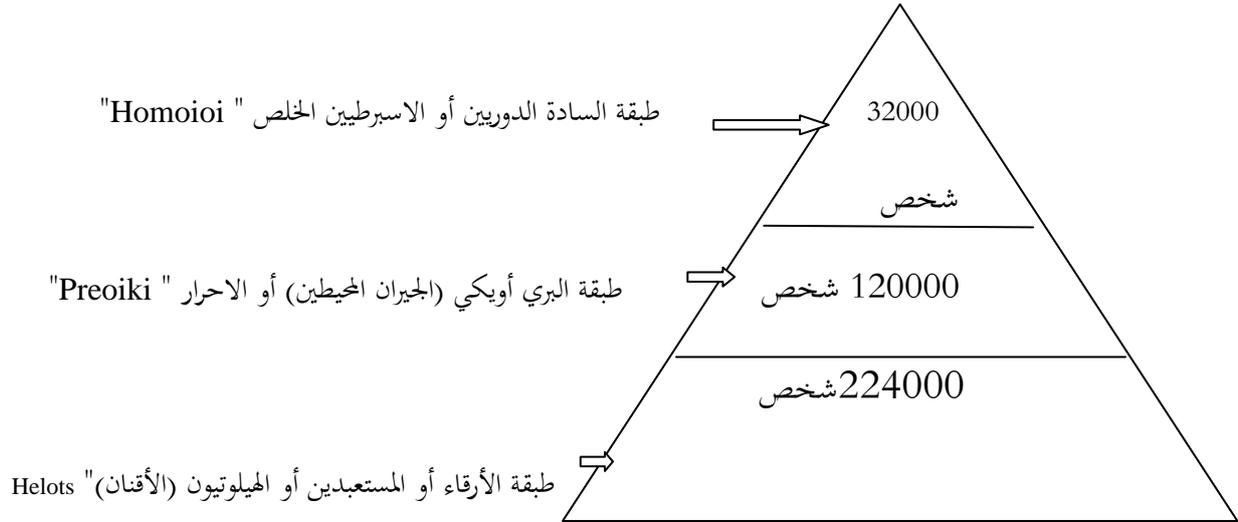
⁴ خليل سارة ، المرجع السابق ، ص ص 344-345.

Mike Paine , op-cit , p92.

Hal Marcovitz , op-cit , p12, Chales Gates , op-cit , p228.

Christopher Fagg , François Carlier , op-cit , p24, Jean Kinney Williams , op-cit , p27.

⁸ أرسطو ، السياسات ، المصدر السابق ، 2، 6 ، 12.



الملحق رقم 43 : الطبقات الاجتماعية في اسبرطة في النصف الثاني من القرن 5 ق.م .-بتصرف من الطالبة -

الاسبرطيين قتلهم من اجل التدريب على القتال من جهة ، ومن جهة أخرى حتى لا يتكاثر عددهم فيصبحوا خطرا على الدولة من ناحية تحقيق الاكتفاء الذاتي¹ ، ولذلك وضعتهم الدولة تحت رقابة صارمة وأنشئ لأجل هذا الغرض نظام عرف باسم كريبتيا (Krypteia) وهو يشبه إلى حد ما نظام الشرطة السرية² .

إن هذا التباين الكبير في النسبة بين الطبقات السكانية في اسبرطة خاصة بين طبقة الأسياد والطبقات الأخرى هو الذي جعل السادة الاسبرطيين يحملون دائما السلاح استعدادا إما لقمع الثورات في الداخل أو للدخول في حروب جديدة مع الخارج وبذلك تحول السادة الاسبرطيين إلى طبقة ذات نزعة عسكرية لا عمل لها إلا للتدريب على حمل السلاح والدخول في الحروب المتتالية³ ، واستأثروا بالمهام العسكرية في معظم أوقاتهم ، وتركوا العناية بممتلكاتهم للفلاحين الصغار والعيبد (Helots)⁴ .

4/ - طبيعة النظام الاسبرطي : عرفت اسبرطة نظام حكم متداخل يجمع بين النظام الديمقراطي والنظام الملكي

بحكم طبيعة الاسبرطيين الدوريين ، حيث تشكل نظامهم السياسي من أربعة أقسام وهي :

أ - الملكية المزدوجة : تقوم على أساس ملكان يحكمان معا وهما متساويان في كل شيء⁵ ، ولكل واحد منهما

¹ تحليل سارة ، المرجع السابق ، ص 346

²

Mike Paine , op-cit , p92.

³ عمر عبد الحفي ، المرجع السابق ، ص 43.

⁴

Léveque Pierre , op-cit , pp 172-173 , Christopher Fagg , François Carlier , op-cit , p22

Jean Kinney Williams , op-cit , p26, Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p116, 177 .

⁵

حق الاعتراض على ما يصدره الآخر ، وكل واحد منهما يمثل قبيلته الدورية*¹ ، وقد احتفظت اسبرطة بالنظام الملكي الوراثي حتى بعد أن بلغت آخر مراحل تطورها ، وتقلصت سلطات الملك إلى حد كبير ولكنه لم يلغى نهائياً عكس أثينا التي غيرت أنظمة الحكم فيها ، ولعل السبب يعود إلى :

أ) الصفة الغريبة التي لازمت النظام الملكي في اسبرطة وجعلتها مختلفة عن غيرها من المدن اليونانية من البداية ، بدليل وجود ملكين على رأس الدولة بدلاً من ملك واحد مثل أثينا² ، والسبب وراء وجود الملكية المزوجة " السلالة الثنائية " في اسبرطة دون غيرها يعود إلى :

* وجود قبيلتين دوريتين رئيسيتين - قبيلة الآجيدين (Agidae) وقبيلة اليوريونتين (Eiropontidear) -³ ، وهما اللذين قاموا بتأسيس مدينة اسبرطة نتيجة اتحادهما شريطة أن تكون على رأس المدينة ملك من كل منهما .

* وضع حداً للمناقشات وفض النزاع بين الأسرتين ، فكانت الملكية مقسمة بينهما يتوارثها كل ملك من أسرته الخاصة به حذراً من حدوث أي صراع ، ولا يمكن لأي ملك أن يباشر صلاحياته إلا بوجود الملك الآخر ، كما أنه لا يعتبر ملكاً إلا بحضور الطرف الآخر .

ب) الذي قلص السلطة الملكية في اسبرطة هو التطور الطبيعي في بلاد اليونان بشكل عام ، والذي شهد ازدياد قوة الطبقات الأرستقراطية التي زحفت بالتدرج على سلطات الملك وصلاحياته ، وبالتالي بدأت تتقلص سلطات الملك في الصلاحيات العسكرية والقضائية والدينية⁴ .

وبمضي الوقت تطورت الأنظمة السياسية في اسبرطة بحيث عند قيام حالة حرب في البلاد يقوم احد الملكان بقيادة الجيوش وفي إدارة العمليات الحربية ، ويبقى الآخر في المدينة ، ولهما الحق في إعلان الحرب على أي مدينة يريدان السيطرة عليها ، وفي هذا الصدد يقول أكسينوفون : " انه من حق الملك قيادة الجيش أينما ترسله المدينة"⁵ ، فضلاً على ذلك تمتع الملكين بصلاحيات دينية والمتمثلة في احتفاظهم بكل النفوذ الديني ، فكان كل منهما كاهناً أكبر ، يقدمان الأضاحي والقرايين للإلهين زيوس وأبوللو ، فضلاً عن حضورهما الاحتفالات والمآدب والأعياد

*ثروي الأسطورة أن مؤسس مدينة اسبرطة هو الملك الاسبرطي أرسطوديمي (Aristodeme) بن اريستوماخوسوخ وحلفه على العرش أبناءه التوأمان يورستينيس (Eurysthenes) وبروكليس .

¹ محمود السيد ، المرجع السابق ، ص 51

² أبتهال عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 77 .

Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , pp116, 177 .

⁴ أبتهال عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 77 .

Xenophone , Hellenica , 23, 25.

الدينية، كما كان يترأس الهيئة القضائية والتشريعية التي ارتبطت برباط وثيق مع الوظائف الدينية ، كما انحصرت وظيفتهم القضائية فيما يتعلق بقضايا الإرث والزواج والتبني للمحافظة على وحدة الأسرة الاسبرطية ، وتعيين من يرغبون من المواطنين الممثلين لهم في الدول الأجنبية ، يمتلكان أيضا إقطاعات خاصة في أراضي البريوكي ما جعلهم أكثر الطبقات الاسبرطية ثراء وذلك لان هذه الأراضي تعود بمردودات كبيرة على الملوك¹ ، لكن قيدت سلطاتهما بعدما كانت مطلقة ثم خصص القضاء لمجلس الشيوخ بعدما كانت من صلاحيات الملك ، ثم ازداد نفوذ مجلس الشيوخ مرة بعد أخرى ، وبدأت تسحب صلاحياته منه .

وبالرغم من الاضطرابات الداخلية التي كانت تعيشها اسبرطة إلا أنها حافظت على النظام الملكي حتى بعد أن سقطت هذه النظام في المدن اليونانية الأخرى بسبب الصفة المزدوجة التي كان فيها كل ملك اسبرطي² ، حيث كان كل واحد منهما رقبيا على الآخر ومن ثمة مقيدا لسلطاته ، الأمر الذي منع من حدوث السيطرة المستبدة التي تؤدي عادة إلى العمل على التخلص الكامل من النظام الفردي الملكي ، حتى إلى أن أصبح سلطة اسمية فقط منذ القرن السادس قبل الميلاد في ظل وجود الارستقراطية التي كانت تسعى لتستأثر بالسلطة³ .

2-مجلس الجيروسيا* أو مجلس الشيوخ (Gerousia): يتكون من ثلاثين شيخا من الأسر الارستقراطية (الاوليجاركية) ممن بلغوا الستين من عمرهم بما فيهم الملكان بحكم منصبهما ، ويشترط فيهما الفضيلة ومكارم الأخلاق(الطيبة ، الحكمة ، الذكاء) ، وتستمر عضويتها مدى الحياة ، ويتم انتخابهم من مجلس العامة عن طريق رفع الأصوات عاليا(الصياح) في حالة الموافقة من المجلس أو الصمت في حالة الرفض⁴ ، ويعتبر هذا المجلس صاحب السلطة الحقيقية في اسبرطة والهيئة الاستشارية للملكين ، من مهامه (صلاحياته) :

- كان لهذا المجلس حق الاعتراض على القرارات الملكية ومحكمة الملوك ، كما أن هذا المجلس هو الذي يقرر المواد التي تعرض على مجلس العامة لمناقشتها ، كما أن الصفة استشارية المنوطة لهم قد منحتهم نفوذا كبيرا في المسائل السياسية .

¹ ليلي عبد القادر علي الغناني ، المرجع السابق ، ص 145 .

² Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p 178.

³ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 103 .

*الجيروسية : تعني الشيخوخة عند الإغريق .

⁴ Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , pp 177-178.

- كان المجلس بمثابة محكمة العدل العليا التي تهتم بالحوادث المهمة بالاستناد إلى القوانين الاسبرطية التي كانت عرفية وغير مكتوبة ، فيحق لهم الفصل في هيئة المحكمة المكلفة بالقضايا الجنائية التي تتعلق بالقتل أو النفي ، أو الحكم بالإعدام حكما قاطعا لا رجعة فيه حتى ضد الملكين ، فضلا عن ترأس لجنة المجلس فلا يتم وضع اتهام في المجلس لأحد ما بدون مبادرة منهم¹ ، وكان له الحق في النظر في شؤون السياسة الخارجية² .

- يحق لمجلس الشيوخ تعديل قرارات مجلس العامة (الشعب) إذا كانت غير صائبة ، على الرغم من أنه يحق نظريا لكل مواطن اسبرطي بلغ الستين ويملك أرضا في لاكونيا أو قام بالخدمة العسكرية إن يرشح نفسه للانتخابات أسوة بالمواطنين ولعلمهم قدموا خدماتهم للجيش ويحظون بدعوات حضور المآدب العامة ويمثلون بذلك أقلية اوليجاركية في الدستور الاسبرطي ، وذلك ما يمكن تسميته شروط الترشيح للحصول على حق الانتخاب³ .

3-مجلس العامة أو مجلس الشعب (مجلس الابلا) (Apella): يتكون هذا المجلس من المواطنين الأحرار الذكور الكاملين الأهلية الذين قضوا فترة التدريب العسكري بحكم القانون وممن بلغوا سن الثلاثين الذين تم اختيارهم من بين كل سكان اسبرطة⁴ ، يجتمع هذا المجلس مرة كل شهر بدعوة يوجهها الملكان ، وأحيانا أخرى يستدعون للاجتماع متى دعت الحاجة لذلك ، لكن فيما بعد أصبحت الدعوة توجه من هيئة المشرفين (الافورز)⁵ ، ويعرض عليه ما يناقش في مجلس الجيروزيا ، ولكن ليس له الحق في مناقشة موضوع أقره مجلس الجيروزيا ، وفي نفس الوقت كان يسمح بعرض الأمور الخطيرة الشأن مثل : إعلان الحرب أو إقرار السلم⁶ ، ولم يمنح لهذا المجلس تقديم اقتراحاته أمام الهيئات السياسية الأخرى ، ولكنهم كانوا يعبرون عن آرائهم عن طريق الاستحسان أو الاستنكار ، وفي الحالات ذات الأهمية الخاصة كانوا يقترحون على الطريقة القديمة بان يتوجه الموافقون نحو اليمين ، بينما يتوجه المعارضون نحو اليسار⁷ ، ومن صلاحياته ما يلي :

-انتخاب أعضاء مجلس الشيوخ (الجيروسية) وهيئة المشرفين ، وأعضاء الجهاز التنفيذي .

¹ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص 149.

²ابتهال عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 84.

³محمد كامل عياد ، المرجع السابق ، ص 182.

⁴ابتهال عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 84 ، ول ، ديورانت ، ج5، المرجع السابق ، ص 150.

⁵ Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p169 .

⁶محمود السيد ، المرجع السابق ، ص 52.

⁷فؤاد إبراهيم بكر ، قراءات في حضارة الإغريق ، المرجع السابق ، ص 99.

-تقرير المسائل الخاصة بالحرب والسلام والسياسة الخارجية (عقد المحالفات)، وحسم المشكل المتعلقة بوراثنة العرش، ومن يكون له حق اعتلاء العرش¹.

- كما انحصرت قرارات المجلس في قضايا الحكم من نزاعات أو خلافات ، كذلك مسائل الترشيح لعضوية مجلس الشيوخ أو الانضمام لهيئة المشرفين رغم أن الجمعية لا تصوت على المشاريع المقدمة من جانب المشرفين والمناقشة من قبل مجلس الشيوخ .

4-هيئة المشرفين أو مجلس الخمسة أو مجلس الرقباء (الافورز(Ephores) أو مجلس القضاة: تتكون

هذه الهيئة من خمسة أفراد² الذين يمثلون أحياء اسبرطة الخمسة أو مرتبطا بعدد القرى الخمس التي قامت اسبرطة نتيجة لاتحادهما، ينتخبهم مجلس الابلا (مجلس العامة) لمدة عام واحد ، ويحق لكل اسبرطي انتخابهم ووجدت وظيفتهم قبل وضع دستور ليكورغوس³ ، حيث تبقى نشأة هذه المؤسسة السياسية غير واضحة ويعتقد أنها استخدمت في القرن الثامن قبل الميلاد ، بينما هناك من يرى أنها استخدمت في القرن السادس قبل الميلاد، وذلك للقيام ببعض الأعمال الملكية، وتحصلوا على سلطات واسعة حتى أصبحت مساوية لسلطة الملكين لدرجة وصفهم بأنهم حكام البلاد الحقيقيين والحراس للدستور الاسبرطي⁴.

يعتقد أن هذا المجلس تزامن ظهوره مع ظروف الصراع الذي حدث بين طبقتي الأغنياء الاسبرطيين وطبقة العامة ، حيث شهدت اسبرطة أثناءها ظروفًا عصيبة في النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد نتيجة هذه الثورة الاجتماعية عندما واجهت ثورة الهيلوتس (العبيد) بإقليم مسينا ، وشكلت هذه الأوضاع انعكاسا في تنصيب موظفين يمثلون الطبقة العامة مهمتهم مراقبة السلطة التنفيذية وتحديد سلطة الملكين لدرجة توجيه التهم ضد الملك وسجنه وحتى محاكمته، فكانوا مصدر هيبة وخشية الملوك ، حيث تذكر المصادر الأثرية بأنه في النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد أن احد الملوك كان يستقبلهم واقفاً⁵.

ونتيجة الخلافات التي حدثت بين الملكين وعامة الشعب ما بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد أن أخذت سلطة المراقبين في الازدياد فأصبحوا ممثلين للشعب وأكثر رقابة للملوك ، يتبادلون القسم شهريا بالطاعة

¹ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 105.

² Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p 179.

³ ول ديورانت ، ج5، المرجع السابق ، ص 151-152.

⁴ ليلي عبد القادر علي الغنائي ، المرجع السابق ، ص 153.

⁵ احمد حسين عاصم ، المرجع السابق ، ص 149 ، ابتهاج عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 78 .

واحترام القانون ، حيث يقسم الملك نيابة عن نفسه أن يرفع القوانين ويقسم الافاورة نيابة عن المدينة أن يصونوا السلطة الملكية كاملة غير منقوصة طالما أن الملك لا يخلف في قسمه¹ ، وكما سبق ذكره أن مهمتهم في البداية مساعدة الملوك في الإشراف على القضايا المدنية في هذه القرى ، لتتطور إلى صلاحيات سياسية أخرى ، وفي مقدمتها تكمن في :

- حماية الشعب من بطش الأشراف وكبار الموظفين ومراقبة أحوال السوق ، كما كان من مهامهم أيضا مراقبة سلوك الحكام في وقت السلم والحرب عن طريق مرافقة كل ملك اثنان منهما ، وكانوا يراقبون الخارجين على القانون ومحاسبتهم قانونا² .

- الفصل في الخلافات التي تحدث في بعض الأحيان بين الملكين ، ولهم الحق في شكوى أو تقديم الملكين للمحاكمة أمام مجلس الشيوخ ، مع تمتعهم بحق إيقاف أو رفع قرار للملكين سبق اتخاذه .

- كان لهما الحق في استدعاء كل من البرلمان أو مجلس الشعب (Apella) ومجلس الشيوخ (Gerusia) .

- الإشراف على الأعمال الإدارية تحت مراقبة مجلس الشيوخ ، كما كان لهم حق المراقبة والإشراف على الشؤون السياسية والمالية³ .

- كان لهما الحق في رئاسة المحاكم القضائية في حالات معينة ومراقبة تصرفات المواطنين الاسبرطيين خاصة الهيلوت ، حيث أول عمل تقوم به هذه الهيئة هو إصدار بيان إلى الاسبرطيين يقولون فيه: " اخلقوا شواربكم وأطيعوا القوانين " ، فضلا عن الفصل في بعض المسائل القضائية مثل : الحكم بالإعدام دون محاكمة كما كان لهم الحق في الإشراف على الهيلوت ويحق قتلهم لمنعهم من التمرد على الدولة⁴ .

- حرص المراقبون بواسطة سلطاتهم القضائية على المحافظة على النظام الاجتماعي في دولة اسبرطة ، فقد جرت العادة أن يقوموا بتسليح بعض الشبان الاسبرطيين كشرطة سرية عرفت باسم كريبتيا (Krypteia) مهمتها التحسس على الناس ومن حقهم أن يقتلوا سرا من يشتبه في أمره .

¹ رجب عبد الحميد الاثرم ، المرجع السابق ، ص 116 .

² محمود السيد ، المرجع السابق ، ص 52 .

³ عبد العزيز جندي ، المرجع السابق ، ص 116 .

⁴ فؤاد إبراهيم بكر ، قراءات في حضارة الإغريق ، المرجع السابق ، ص 100 .

-الإشراف على تعليم الصغار وضبط سلوكهم ، وسلوك الموظفين الذين يصنفون حسب سلوكهم الأخلاقي وأوضاعهم القانونية¹ .

*وقد أشاد أرسطو كثيرا بهذا النظام حيث يشرك جميع فئات الشعب في الحياة السياسية بالرغم من انه اخذ الطابع العسكري في مجمله ، ففي الحقيقة أخذت اسبرطة من الديمقراطية مظهرها وشكلها لا جوهرها ، ومن الدكتاتورية حقيقتها وجوهرها من اجل التفرغ الكامل للحروب² ، وفي هذا الصدد يذكر احد الباحثين : "أنها لم تكن دولة ديمقراطية ولم تعرف من الديمقراطية شيئا" .

وخلاصة القول أن المؤسسات السياسية الاسبرطية أدت الغرض المنوطة لها ، وبخاصة الفترة الأولى لظهور اسبرطة وحق تماسك المجتمع الاسبرطي وتجلت مظاهر التماسك والوحدة خلال فترة الأزمات والحروب التي خاضتها اسبرطة مع جيرانها في شبه جزيرة البولوبونيز (431ق.م -404ق.م) لتنفرد بالهيمنة على المنطقة ، ولكن اختلفت وجهات نظر الإغريقين للدستور الاسبرطي ، حيث كان لكل واحد موقفه ورأيه اتجاه هذه الهياكل السياسية ، وأبرزهم أفلاطون الذي أعجب به وأشاد بنظامه عندما قدم تصورا للدولة المثالية ، فرأى أن أفضل الحكومات هي التي تحترم القوانين ، وفي حياة الاستقرار والهدوء السياسيين اللذين عما المدينة بينما عمت الفوضى والاضطرابات بعض المدن الإغريقية .

لكن هناك من انتقد هذا الدستور واعتبره أنه أقيم على أساس عدم المساواة والتفاوت الطبقي ، بالإضافة إلى أنه كان اوليجاركية ، و يمثل حكم القلة من حيث جوهره وتتجسد مظاهر الاوليغاركية في النزاعات والخلافات بين هيئة الافورز والملكين ، خاصة إذا تمتع احدهما بشخصية قوية ، فحياة الهدوء والاستقرار اللتين نعمت بهما اسبرطة لفترات طويلة من تاريخها ترجع إلى أهمية مشاعر الطاعة والنظام والحرص على احترام العادات لدرجة وجهت معها الانتقادات للنظام الاسبرطي ، فتمكنت من النهوض من نمط الحياة الراكدة إلى حياة الانبعاث والحركة في منطقة البولوبونيز ، ووضعت قوانين خاصة بها واحتوت في نفس الوقت على عناصر وعادات غريبة عن عادات المدن الإغريقية الأصلية بحكم أصولهم الدورية .

كما انتقد أرسطو الملكية الاسبرطية واعتبرها أنها نوع من الملكيات المقيدة ، وتسمى ملكية اسبرطة بالقيادة الأبدية الوراثية ، وبشكل عام يرى أن نظام الملكية أسوأ أنواع الحكومات من حيث أسلوبه في الحياة السياسية ،

¹ عمر عبد الحفي ، المرجع السابق ، ص 54.

² أرسطو ، السياسات ، المصدر السابق ، ص 193.

وفي الحياة العامة وذلك من حيث المنهج الذي انتهجته اسبرطة كأسلوب لحياتها والمتمثل في إصرار طبقة السادة الاسبرطيين الأحرار على الهيمنة والتحكم في حياة طبقة العبيد¹ ، والتصنيف التقليدي ، وهو ما شكل تحديا للدورين ، فضلا على ذلك نجد المؤرخ بوليبيوس الذي وصفه بأنه لا يوجد له مثل في الاحتفاظ بالوجود وبالاكتفاء الذاتي لكن هذا النظام غير مؤهل للنجاح في إقامة علاقات خارجية وفي بناء إمبراطورية مترامية الأطراف² ، كما امتدت الانتقادات للدستور الاسبرطي لتشمل الملك الاسبرطي الذي لم يكن ينظر للأوضاع بعين الارتياح ، إذ حاول الخروج عن السياسة الثابتة للخارجية الاسبرطية حتى وصفها بعضهم بأنها عدو لكل ما هو جديد و متطور ، فعندما طلب احد المفكرين من ليكورغوس أن ينشئ دولة ديمقراطية ، أجابه بقوله : " ابدأ أيها الصديق بإنشائها في أسرتك" ، كذلك الحال مع أي فرد من أفراد المجتمع الاسبرطي ، إذ حاول الخروج عن القاعدة المألوفة لاسبرطة بإظهار قدراته ومواهبه وحالت هذه السياسة دون أن تتبوأ اسبرطة لمكانة مرموقة بين المدن الإغريقية مقابل تحقيق أمنها واستقرارها الداخليين³ .

وصفوة القول أن غياب الوحدة بين المدن اليونانية وشيوع الروح الفردية احدث تضاربا في المصالح بين سكانها في مختلف دويلات المدن ، وبما أن الطبيعة الجغرافية والتضاريس الوعرة والجبال التي قسمت البلاد وأعاقت الاتصال وسهلت من ظهور العزلة السياسية بين أقاليم البلاد المختلفة ، ونشأ نتيجة لذلك نظام الدويلات المدن ، حيث عرفت من خلاله بعض المدن نظاما سياسيا واحدا كاسبرطة وبعضها الآخر عرفت أنظمة سياسية متعددة كأثينا كما تداخلت الأنظمة السياسية فيما بينها ، وأصبحت كل مدينة تعتمد على نفسها اعتمادا ذاتيا من الناحية الاقتصادية ، كما تمسكت كل مدينة باستقلالها السياسي وحريتها ، إذ أن العوائق الطبيعية الجغرافية وقفت حائلا دون قيام وحدة سياسية شاملة بل جعلتها مدنا متفرقة متصارعة ومتنافسة فيما بينها خلال فترة تاريخية طويلة .

¹ أرسطو ، السياسات ، المصدر السابق ، 6 ، 19 ، 1309/ب ، 1310/أ .

² دي بوج ، المرجع السابق ، ص 152 .

³ ول ، ديورانج ، ج5 ، المرجع السابق ، ص 152 .

*مقارنة بين الأنظمة السياسية في كل من سومر وبلاد الإغريق : مما تقدم يتضح أن الدويلات المدن السومرية والإغريقية و الأنظمة السياسية السائدة فيها تحمل العديد من أوجه التشابه والاختلاف ولعل أبرزها يكمن في :

1-أوجه التشابه :

-عرفت الدويلات المدن السومرية منها أو الإغريقية فترات متباعدة تتراوح بين الازدهار التطور أحيانا وفترات من الضعف والانهيار ، كل هذه الظروف أثرت في نظام الدولة المدينة من مرحلة النشأة و التطور في بلاد سومر إلى مرحلة السقوط والزوال نهائيا في بلاد الإغريق في حدود نهاية القرن الرابع وبداية القرن الثالث قبل الميلاد ، وعلى سبيل المثال نموذج عن دويلة سومرية مثل مدينة أور ، هذه الأخيرة التي لقبتم بالمدينة البحرية نظرا لنشاطها و رواجها الاقتصادي فضلا عن تطورها السياسي والديني ، ووعي شعوبها بأهمية نظام الدولة المدينة حتى أصبحت أكبر عاصمة السياسية في الشرق الأدنى القديم مما جعلها قبلة لكل الشعوب داخليا أو خارجيا ، ولكن في ظل تزايد الأخطار الخارجية ومنافسة المدن السومرية الأخرى حول الزعامة السياسية ، انهارت وانتقلت السيادة إلى مدينة أخرى سومرية ألا وهي مدينة الوركاء ، ولكن هذه المنافسات الداخلية والصراع حول السلطة أدى لا محالة إلى تخلخل نظام الدولة المدينة في الشرق بعد أن عمّر حوالي خمسة قرون ونصف¹ ، ونفس الشيء ينطبق على المدن الإغريقية ، وأبرز نموذج مدينة أثينا التي عرفت حقبة رائعة في القرن الخامس قبل الميلاد ، حيث كانت المدينة الأكثر غنى وثراء وأكثر قوة والوطن الأم لأعظم الفنانين والمشرعين ورجال الدولة ، وازداد الأمر أكثر تطورا و شهرة بين المدن اليونانية بعد الحروب الميديّة ، حيث عرفت فترة جد لامعة وغالبا ما تسمى بالعصر الذهبي لليونان الذي استمر تقريبا ستين عاما فقط خاصة بعدما عرفت النظام الديمقراطي وتعززت بشخصية بركليس ، وهو ما يعني أن كل المواطنين يستطيعون المشاركة في حكومة المدينة انطلاقا من أن مجد المدينة وقوتها ليست في أيدي أقلية ولكن توضح من طرف الشعب بأكمله ، لكن هذا التطور والازدهار لم يدم في ظل المنافسة السياسية بين المدن الإغريقية (اسبرطة ، طيبة) ، فضلا عن استمرار خطر الفرس الذين لجأوا إلى سياسة فرق تسد بين اليونانيين عن طريق عقد التحالفات ونشر الفتن الداخلية².

-أثبت نظام الدولة المدينة عند السومريين مدى تطور ووعي الفكر السياسي الإنساني سواء عند السومريين في حدود 2800ق.م خاصة بعد نزول الملكية (الملكية) من السماء بعد أن ظلت قابضة فيها وتمارس من قبل الآلهة ،

¹ طه باقر ، تاريخ العراق القديم ، ج2، المرجع السابق ، ص 138، عامر سليمان ، العلاقات الخارجية ، حضارة العراق ، ج 1، بغداد ، 1985، ص 109.

Christopher Fagg , Froncois Carlier , op-cit , p25.

وشارات الملوكية موضوعة عند ذكة عرش الإله "أنو" والمتمثلة في (التاج الملكي ، الصولجان ، العصا)، ثم نزلت على الأرض¹ ، بعدما خلق الإنسان ليعبد الآلهة على الأرض و ينوب عنها في إدارة شؤون البشر على الأرض ، اعتبر السومريون الإله "أنو" النموذج الأول لكل الحكام ، فهو الملك والحاكم الأقدم ، ومالك الشارات التي ترمز إلى جوهر الملك كالصولجان والتاج ورباط الرأس وعصا الراعي² ، ولكن بعد نزول الملكية لأول مرة وقبل حادثة الطوفان كانت في مدينة أريدو (ابوشهرين) ، ولكن بعد حادثة الطوفان نزلت من جديد في مدينة كيش وتوالى على الحكم ثلاثة وعشرون سلالة ثم انتقلت إلى المدن السومرية الأخرى³ ، عبر ما يعرف بالتفويض الإلهي ، فالإله في نظر الإنسان السومري يعتبر سيد المدينة الحقيقي ، لذلك كان الملك لا يقوم بأي نشاط مهما كانت طبيعته إلا بعد استشارة الإله⁴ ، ولذلك استمر النظام الملكي كنظام حكم لدى السومريين ، ولم يتجرأ أي ملك على تغييره بالرغم من الديمقراطية التي كانت تعرفها مجالسها السياسية ومن جنسهم الواحد أي لم ينصهر معهم أفراد أجنب ، ولذلك نوعا ما لم يعرف نظام الدولة المدينة نجاحا فائقا كما شهدته بلاد الإغريق ، هذا الأخير الذي اثبت نجاحا منفردا وقدرة فذة على التطور والرقي الحضاري بسرعة ملحوظة ، فلم يقتنع اليونانيون عامة بالاستمرار في الحياة في ظل نظام سياسي واحد ، حيث كانت لديهم الجرأة على خوض تجربة نظمهم السياسية على نحو لم نر له مثيلا في العالم القديم ، فعلى الرغم من أن تكويناتهم الاجتماعية قامت أصلا على النظام البدائي القبلي ، فأتمهم سرعان ما تجاوزوا القبيلة إلى النظام الملكي وعرفوا الوحدة السياسية في ظل النظام الملكي الذي كان مألوفاً في النظم السابقة⁵ .

ولكن بعد فشل النظام الملكي في مواجهة غزوات الدورين ، تمكنت العائلات الارستقراطية من أن تتخلص من سلطة الملك ، وأن تقيم نظاما جديدا يستأثرون فيه بالسلطة مكان الملك والذي يعرف بالنظام الارستقراطي ، معتمدين في ذلك على النسب العريق أو النبيل وعلى قيمة ما يقدمونه لمجتمعهم من فضل وخدمة وعطاء ، ولكن الوضع الاجتماعي المتدهور انعكس فيما بعد على الأثنيين وأجبرهم على ركوب البحر وتنشيط تجارتهم أكثر مع الفينيقيين والمصريين حيث انتشروا على سواحل البحر الغربي لآسيا الصغرى وجنوب ايطاليا وصقلية ، وبسبب ما حققته الطبقة الجديدة من ثروة اقتصادية خاصة بعد صك العملة واستبدال العملات بدل المقايضة إلى ظهور طبقة جديدة تنافس الارستقراطيين خاصة في نهاية القرن السابع قبل الميلاد تعرف باسم الطبقة الاولياغارشية (البرجوازية)

¹هنري فرانكفورت ، المرجع السابق ، ص 69.

²توركليد جاكوبسين ، المرجع السابق ، ص 162.

Jean Claude Palanas , op-cit , p81.

⁴جورج سعد ، المرجع السابق ، ص 16 ، عبد المنعم أبو بكر وآخرون ، المرجع السابق ، ص 298

⁵محمد كامل عباد ، المرجع السابق ، ص 212.

التي تعتمد ثروتها على رؤوس الأموال ، ونظرا لزيادة مصالحها على حساب الارستقراطيين أصبحت تزامها على الحكم ، وبالتالي بدأت تتجرّد الارستقراطية من سلطاتها المطلقة وتؤول باتجاه الاوليغاركيين (التجار) ، تحت نظام يعرف بالنظام الاليغارشي (حكم الأقلية) ، لكن مع استئثار التجار بالسلطة وأصبح المجتمع الأثيني أكثر عبودية لدى هذه الفئة ، أدى إلى ظهور صراع بين حزب الساحل (التجار) وحزب الجبل (الفقراء) ، وكادت أثينا أن تعرف حربا أهلية من جديد ، لكن مع بداية القرن الخامس ظهر نظام آخر يعرف بالنظام الديمقراطي (حكم الشعب) مع شخصية بركليس¹ ، والتي أصبحت فيها أثينا قبلة للكثير من الأجانب الذين حلوا زوارا عليها بهدف حضور المهرجانات التي تنظم هناك ، فضلا عن مدى التطور والازدهار السياسي والاقتصادي الذي حققته آنذاك².

- تذكر الدراسات التاريخية أن السلطة السياسية في بلاد الإغريق كانت مستمدة من الديانة مثلها مثل بلاد سومر ، فضلا عن مساعدة الآلهة للملوك من اجل وصولهم إلى سدة الحكم مثل : مساعدة الإله نجرسو الملك اياناتوم للوصول إلى الحكم ، و مساعدة الإلهة أثينا الملك سكرويس أيضا ، ومن ثمة تطورت الحياة السياسية فيها من دولة المعبد إلى دولة القصر ، واستطاع الملك السومري أن ينفصل بالتدريج من تسلط الكهنة ، ولكنه في الأمور الدينية بقي مرتبطا بالمعبد³ ، ونفس الوضعية نلاحظها في بلاد الإغريق حيث استمدت أثينا سلطتها السياسية من الديانة أو من عبادة الموقد والأسلاف ، فالديانة هي التي أوجدت الملك ، وهي التي أوجدت رئيس الأسرة في المنزل ، لذلك لم يكن الملوك بحاجة للقوة المادية أي للجيش والسلاح لفرض عروشهم بالقوة ، لأن العقائد الدينية هي التي تعاضدهم وتساندهم ، ولهذا قدسوها وصانوها⁴.

- شهدت كل من الدويلات المدن السومرية أو الإغريقية مع بداية تاريخهم السياسي قيام نظام الحكم الملكي بشكل مختلف في كل مدينة عن الأخرى ، فلكل نظام مدينة معينة عناصره المكونة له ، فضلا على الأعضاء المكونين له ، ولكل عضو وظيفته حسب موقعه ، وهذا الأمر يرجع إلى طبيعة السكان القاطنين في كل مدينة فضلا على تأثير المعتقدات الدينية فيهم ، فعند دراسة النظام الملكي عند السومريين نجد أن توزيع السلطة وتسييرها انحصر

¹مصطفى العبادي ، المرجع السابق ، ص 204.

²فوزي مكاي ، المرجع السابق ، ص 160.

³سامي سعيد الأحمد ، المرجع السابق ، ص 122 ، عبد الوهاب حميد رشيد ، المرجع السابق ، ص 212.

⁴خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 309.

بين ثلاثة أعضاء أساسيين والمتمثلين في (الملك ، مجلس الشيوخ ، مجلس الأحرار أو مجلس العموم النواب)¹ ، دون أن لا ننسى مبدأ التوريث أو الملكية الوراثية (ولي العهد)² ، مع وجود في بعض الأحيان الملك البديل عند السومريين الذي قدرت مدة حكمه بمائة يوم يقلد خلالها جميع صلاحيات وواجبات الملك كأدائه بعض الشعائر الدينية ، أو الطقوس بهدف حماية الملك الحقيقي الذي أصبحت حياته ، وأمن وسلامة بلاده مهددة بالخطر ، أو تظهر علامات سماوية أو أرضية يفهمها الكهان وقراء الطالع على أنها تنذر بالشؤم³ ، ونفس الشيء ينطبق في مدينة أثينا التي انحصرت السلطة فيها بين ثلاثة أعضاء حكموا مدى الحياة والمتمثلة في (الملك " Basileus " ، الارخون " Archon " ، القائد " Polemarchus " ، ويساعده مجلس الاريوباجوس (مجلس الشيوخ ، الجمعية العمومية)⁴ ، لكن الأمر يختلف في اسبرطة التي عرفت الملكية المزوجة (الملكية الثنائية) ، مجلس الجيروسية (مجلس الشيوخ) ، مجلس العامة (الابلا) ، هيئة المشرفين (الأفورز) ، لكن مع ازدياد نفوذ وصلاحيات مجلس الشيوخ سواء عند السومريين أو بلاد الإغريق ، حيث أصبح الملك السومري خاضعا في أعماله واتخاذ قراراته لمراقبة مجلس الشيوخ (مجلس الكبار) ، بينما في أثينا أصبح الملك يخضع لمراقبة مجلس الاريوباجوس (الشيوخ) ، بينما في اسبرطة أصبح الملكين خاضعين لمراقبة مجلس الجيروسية والهيئة المشرفين (الافورز)⁵ .

-تمتع الملوك منذ القدم سواء الملوك السومريين أو الإغريق بمهام ووظائف دينية وأخرى دنيوية مثل قيادة الجيوش وإدارة العمليات الحربية ولهما حق إعلان الحرب على مدينة يريدون السيطرة عليها ، فكان لهم سلطة مطلقة في ميدان الحرب ويمتد سلطانهما إلى حياة الأفراد والتحكم فيها ، حيث منحتهم الملكية امتيازات كثيرة ومركز الشرف في جميع الاحتفالات والمآدب و الأعياد الدينية ، وتقديم الأضاحي والقرابين نيابة عن الشعب للآلهة ، لكن قيدت سلطاتهما بعدما كانت مطلقة بعد ازدياد نفوذ مجلس الشيوخ وتعاضم مكانة الارستقراطيين الذين استأثروا بالسلطة فيما بعد ، كما يتشابه الطرفين في مسألة الهيئة الرسمية التي يظهر بها الملوك أمام المجالس السياسية ، والتي تمثل شارات الملكية وتبرز في : الملابس القرمزية ، التاج ورباط الرأس ، العصا الملكية (الصولجان الذهبي ذو المسامير) .

¹ طه باقر ، مقدمة في تاريخ ... ، ج2، المرجع السابق ، ص51 ، عبد الحميد زايد ، المرجع السابق ، ص164 .

² محمد بيومي مهران ، ج1 ، المرجع السابق ، ص59 .

³ طه باقر ، مقدمة في تاريخ ... ، ج2، المرجع السابق ، ص62 ، أحمد أمين سليم ، ج2 ، المرجع السابق ، ص199 .

⁴ سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص329 ، أرسطو ، دستور الأثيني ، المصدر السابق ، ص ص 49-50 .

⁵ أرسطو ، السياسات ، المصدر السابق ، ص93 ، أحمد عاصم حسين ، المرجع السابق ، ص149 .

-أطلق على الملوك سواء السومريين أو الإغريق العديد من الألقاب الملكية التي تطورت منذ أقدم العصور بتطور نظام الحكم و اتساعه والاتجاه نحو المركزية ، وقد عبرت هذه الألقاب عن وضعية صاحبها من قوة أو ضعف ، فضلا عن انجازاته التي برز فيها، حيث أطلق على الملك السومري العديد من الألقاب والتسميات مثل : اين ، انسي أو باتيزي ، لوكال/ لوجال ، لوكال كالاما (ملك البلاد) ، ونفس الأمر ينطبق على ملوك أثينا الذين أطلقت عليهم عدة ألقاب وان كانت قليلة مقارنة بالسومريين مثل: بازيلوس (Bassileus) ، أرخون ، راعي الشعب ، الحاكم الأكبر.

*أوجه الاختلاف :

-ترتكز المدينة السومرية أساسا على الزاقورة التي اعتبرت بيت الآلهة ومركز الملك في تأديته للطقوس الدينية من اجل حماية المدينة من أي خطر ، على أن في المناطق المرتفعة وتحيط بها الأبنية السكنائية ، ومن بينها القصور والمنازل وجميع مرافق الحياة¹ ، بينما تختلف الوضعية في المدينة الإغريقية والتي تركز أساسا على ما يعرف بالاكروبوليس (الهضبة الصخرية) ، والذي يتوسط هو الأخر المدينة ، أين يقوم الملك بواجباته الدينية أمام الآلهة في معبد البارثينون فضلا على وجود مركز آخر يعرف بالاجورا (السوق)² .

-نجد أن هناك فارق في طريقة انتماء الملوك للمجالس السياسية ، فالملك السومري لا ينتمي لأي مجلس سياسي وإنما كان على رأس الدولة المدينة السومرية يحكم حكما فرديا أو توتوقراطيا (فرديا) ، فهو محاربا الأول وكاهنها الأعلى وفي يده مختلف السلطات السياسية³ ، بينما الملوك الإغريق تختلف وضعيتهم بالنسبة للمؤسسات السياسية ، فمثلا الملك الأثيني عضو في مجلس الاراخنة وتقلصت مدة حكمه من حكم دائم مدى الحياة حتى وصلت لسنة واحدة عن طريق الانتخاب ، كما أن سلطاته قد أصبحت في يد المشرعين ، فظهرت محدودية صلاحياته رغم الامتيازات التي تحصل عليها ، كما أن الملكية في أثينا قللت من قيمة وأهمية النسب (الشرف) والأصل كشرط للمشاركة في الحكم وأعطت الأولوية للثروة ثم للتربية والتعليم⁴ ، أما في اسبرطة فكان الملكان عضوان في مجلس الشيوخ (الجيروسية) يحكمان مدى الحياة في آن واحد ، واستمر فيها النظام الملكي حتى عندما بلغت أقصى مراحل تطورها وفي هذا الصدد يقول أرسطو أن النظام الملكي لا يزول بسبب عوامل خارجية لذا فهو طويل الأمد ، كما أن

¹ سامي ربحانا، المرجع السابق، ص 68-69 ، محمد بيومي مهران، المرجع السابق، ص 95.

² أندري إمار ، ابو جوانيه ، المرجع السابق ، ص 324، أحمد محمود صبحي ، المرجع السابق ، ص 43 .

³ Samuel Noah Kramer , the sumérian , op-cit , p72.

⁴ ليلى عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص 147.

للملكية في اسبرطة نفوذها الكبير نظرا لاستناد ملوكها على الاحترام التقليدي الذي يرفعهم لمصاف الآلهة ، أما تعيينهما فكانت يتم عن طريق النسب والأصل¹.

-استمر نظام الملكية عند السومريين بالرغم من محاولات بعض الملوك بالتغيير وإيجاد إصلاحات جديدة ، لكن التأثير الديني فيهم كان واضحا من خلال أعمالهم السياسية والعسكرية² ، على عكس الملكية الإغريقية كانت تتدهور أحيانا بين القوة والضعف وتستمر في حال تركيز السلطات كلها في يد الملك (السياسية ، العسكرية... الخ) ولكن لن تستمر كثيرا في أثينا لتفسح المجال أمام طبقة اجتماعية أخرى ثرية والتي تعرف بالطبقة الأروستقراطية ، هذه الأخيرة التي استطاعت التي تقلب الأمور لصالحها وتعلن عن قيام الحكم الأروستقراطي³ ، في حين استمر في بعض المدن الإغريقية الأخرى مثل : مدن أرجوس ، جزيرة ثيرا ، فضلا في اسبرطة استمرت فيها الملكية ولكنها ضعفت فيما بعد ، وتقلصت صلاحيات الملك في ظل نمو وتطور طبقة اجتماعية هي الأخرى تعرف بالأروستقراطيين فضلا عن تداعيات الملكية المزدوجة وخلفياتها فيما بعد على الحكم⁴.

-تكمن أوجه الاختلاف أيضا في المؤسسات السياسية التي تساعد الملك في تسيير شؤون البلاد وفي تحقيق بذور الديمقراطية سواء عند السومريين أو بلاد الإغريق فضلا عن اختلاف بعض المهام المنوطة لكل مجلس سياسي ، وحتى في التسميات التي أطلقت عليهم ، حيث يتكون البرلمان السومري بعد الملك من مجلس الشيوخ (الأعيان) ينتخبون لمدة الحياة والذي برزت بوارده الأولى لأول مرة في مدينة الوركاء وفي عهد جلجامش ، يتمتع بصلاحيات كبيرة ويناقش العديد من القضايا مع الملوك السومريين⁵ ، أما المؤسسة الأخرى تكمن في مجلس الأحرار (دائرة الشعب) والذي يتألف من المواطنين القادرين على حمل السلاح أي الشباب (القادة العسكريين) ، واعتبر بمثابة الجمعية العامة ويقوم بإرشاده مجلس الشيوخ ، واعتبر بمثابة برلمان حرب ولا سلطة كبيرة تضاهي مجلس الشيوخ خاصة في أثناء الحروب⁶ ، فضلا عن الوزارات الفرعية الأخرى⁷ ، بينما عند الإغريقين توجد مؤسسات سياسية أخرى وتختلف حتى في التسميات مثل: مجلس الشيوخ عند الأثينيين يعرف باسم (مجلس المستشارين أو مجلس الأريوباجوس)⁸ ،

¹أرسطو ، السياسات ، المصدر السابق ، ص 288.

²عبد الرضا الطعان ، المرجع السابق ، ص 370، ايلاف سعد علي البصري ، المرجع السابق ، ص 172.

³Hammond , op-cit , p 140.

⁴لطفني عبد الوهاب يحي ، اليونان ، المرجع السابق ، ص 143، 140.

⁵جماعة من علماء الآثار السوفيات ، المرجع السابق ، ص 278.

⁶صامويل نوح كزيمر، من ألواح سومر، المرجع السابق ، ص 82، عبد الحميد زايد، المرجع السابق ، ص 164.

⁷محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص 72.

⁸فوزي مكاي ، المرجع السابق ، ص 95.

بينما عند الاسبرطيين يعرف باسم مجلس الجيروسية ، وكلاهما يناقشان كافة الأمور قبل عرضها على مجلس الابلا الاسبرطي (العامة) ومجلس البولي الأثيني (العامة) ولهما الحق في اعتراض قرارات الجمعية العمومية وإلغائها ، في حين تنفرد اسبرطة بمجلس الافورز (الهيئة الاستشارية) الذي يملك حق الرقابة¹.

-اتسمت كل مدينة سواء عند السومريين أو الإغريقين بخاصية معينة وهذا راجع إلى طبيعة المنطقة في حد ذاتها ، والشعوب التي استوطنتها ، حيث اختلفت مدينة إريدو كثيرا عن مدينة أور البحرية نظرا لطابعها الديني الذي انفردت به على بقية المدن السومرية الأخرى ، ونزول الملكية لأول مرة فيها ، فاشتهرت ببنائها العمارة الدينية عل حساب العمارة الدنيوية، مما جعلها أكثر المدن قدسية واحتراما² ، في حين مدينة أور اتسمت بطابعها السياسي و الاقتصادي (التجاري) نظرا لاحتوائها على أهم ميناء بحري يشهد التصدير والاستيراد بين الحضارات القديمة ، و طبيعة السلالات الملكية التي تسلمت زمام تسيير الأمور³ ، ونفس الأمر يتعلق بمدينة لجش السومرية ، التي اتسمت بطابعها العسكري وبعملياتها الحربية ، نظرا للنزعة العسكرية المتبعة من قبل الملوك ، والموقع الاستراتيجي الهام الذي تحتله بين باقي المدن السومرية⁴ ، بينما المدن الإغريقية ولعل في مقدمتها مدينة اسبرطة التي اختلفت كثيرا عن مدينة أثينا ، وتباينت معها في العديد من المجالات سواء من ناحية التركيبة السياسية ، الدستور الخاص وطبيعة الأنظمة ، الخصائص الطبيعية ، المجتمع ، الاقتصاد ، الثقافة .. الخ ، وبالتالي لكل دولة مدينة إغريقية خصوصيتها الطبيعية وتقاليدها السياسية والاجتماعية ، وهذا ما جعلها عرضة للمنافسات الداخلية والتي تحولت فيما بعد إلى حروب طاحنة أودت بانتهيار الدولة المدينة على يد قوى خارجية⁵.

-أصبحت المدن السومرية أحد أهم أشكال النظام الاجتماعي ، وبخاصة مع بقاء التقسيمات القديمة في سومر وانحياز الجماعات المحلية المشتركة في العبادات الدينية ، بينما سقوط ديمقراطية أثينا كان بسبب حل السلطة الحكومية التي تولد عنه تفكك الاتحادات الإقليمية في أثينا بشكل كبير بفعل عملية التطور نفسها ، والتغيرات السياسية التي عاشتها بعض المدن الإغريقية خلال الفترة الممتدة من القرن 8 ق.م وحتى القرن 5 ق.م ، وتمثلت في تعدد النظم السياسية وتطوراتها في بعض المدن ، وهذا ما يؤكد أرسطو بقوله : "إن التغير أصاب نظام أثينا منذ

¹أبتهال عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، 84 ، ول ، ديورانت ، ج5، المرجع السابق ، ص 150.

²عبد الرزاق الحسيني، المرجع السابق، ص 85 ، فاضل عبد الواحد علي، المرجع السابق، ص70.

³غلين دانيال ، المرجع السابق ، ص 80 ، ديكانوف ي.م وآخرون، المرجع السابق ، ص 193.

⁴ George Roux , la mésopotamie , op-cit , p91 .

⁵ عمر عبد الحي ، المرجع السابق ، ص 54.

إسقاط حكم أسرة الكيمون إلى قيام النظام الديمقراطي¹ ، وبالتالي شهدت أثينا تغيرات جذرية خاصة فيما يتعلق بحرية المواطن ، هذه التغيرات أدت لتعددية شكل النظام السياسي ، وإلى الدخول في الصراعات التي شهدتها مدينة أثينا من أجل إيجاد نظام ديمقراطي ورفض أية سلطة تفرض على الشعب وهو أمر ولا شك يتوقف على حسن تقدير الشعب ونضج أفراد² .

-نتج عن تعدد الأنظمة السياسية عند اليونانيين خاصة مدينة أثينا منها ، بالإضافة إلى الصراعات القائمة بين طبقتي الأغنياء والفقراء عن مدى شدة الترابط بين المواطن ومدينته التي استمد وجوده منها لكونه عضوا فيها ، هذه العضوية انعكست لحد كبير على الفكر السياسي الذي اتخذ من مجتمع دولة المدينة محورا لدراسة تلك الظاهرة السياسية ، في حين لم يتطرق إلى محاولة معالجة مشكلة انعدام الوحدة النظامية بين طوائف المجتمع اليوناني³ ، عكس السومريين الذين حافظوا على نظام واحد ، وتخلله بعض الإصلاحات فقط ، ولهذا لم تبرز فكرة الترابط الوثيق بين الفرد ومدينته مثلما كان سائدا عند اليونانيين .

ويرجع الباحثون أن سبب التغير السياسي الذي شهدته الدولة المدينة اليونانية إلى الجماعة السياسية التي أرادت السيطرة على السلطة والثروة ، وهذا ما يؤكد عليه أرسطو الذي أرجع أن الصراع يدور على الثروة ووسيلة ذلك السلطة السياسية صاحبة السيادة في الدولة ، فمتى استخدمت السلطة لغاية جمع الثروة -مهما بلغ عدد أفراد هذه الطبقة الحاكمة- فإن نظامها يكون فاسدا ، أما إذا استخدمت الثروة لخدمة الصالح العام فإن الحكومة تكون صالحة ، وبناء على ذلك فإن أرسطو حاول التوفيق بين الثروة والسلطة : "فالدستور صالح بالضرورة سيجعل أعضاء السلطة يتحكمون لمنفعتهم الخاصة سواء أكانت منفعة الأقلية أم منفعة السواد ، فالدستور ينحرف عن غرضه لأن أحد الأمرين لازم إما أن يكون أعضاء الجماعة ليسوا مواطنين حقا ، وإما أن يكونوا مواطنين ، وفي الحالتين ينبغي أن يكون لهم نصيبهم من الفائدة"⁴ .

¹ أرسطو ، دستور الأثيني ، المرجع السابق ، ص 45.

² ليلي عبد القادر علي الغناني ، المرجع السابق ، ص 255.

³ جان جاك شوفالبييه ، المرجع السابق ، ص 15.

⁴ أرسطو ، السياسات ، المصدر السابق ، ص 5.

الباب الرابع :

انهيار نظام الرولة المرمية في كل من سومر وبلاد
الإغريق (الأسباب والنتائج المترتبة عنها).

الفصل الأول :

طبيعة العلاقات بين المرم السومرية وتأثيرها على انهيار الرولة المرمية " الصراع بين مرمينتي
أوما ولجش أنموذجا " (2450ق.م - 2357ق.م).

الفصل الثاني :

طبيعة العلاقات الداخلية بين المرم الإغريقية وتأثيرها في انهيار الرولة المرمية " حروب
البولوبونيز أنموذجا 431ق.م / 404ق.م " .

الباب الرابع : انهيار نظام الدولة المدينية في كل من سومر وبللو والإغريق (الأسباب والنتائج المترتبة عنها).

الفصل الأول : طبيعة العلاقات بين المدن السورية وتأثيرها على انهيار الدولة المدينية - الصراع بين مدينتي أوما ولجش (أموخا -

2450 ق.م - 2357 ق.م).

1- الصراع بين مدينتي أوما ولجش (2450 ق.م - 2357 ق.م).

(أ) أطراف الصراع :

أ-1 مدينة لجش :

1- أصل التسمية .

2- الموقع الجغرافي والفلكي

أ-2 مدينة أوما :

1- أصل التسمية .

2- الموقع الجغرافي

2- الخلفيات التاريخية المؤوية لظهور الصراع :

(أ) الأسباب الغير المباشرة .

(ب) الأسباب المباشرة (الحقيقية) .

3- مراحل الصراع :

أ) المرحلة الأولى (2450 ق.م - 2395 ق.م).

ب) المرحلة الثانية (2395 ق.م - 2357 ق.م).

1- إصلاحات اوروكاجينا .

2- بنود الإصلاحات .

3- ظهور لوكال زاجيري ونهاية الصراع بين لجش وأوما .

4- نتائج الصراع وتأثيره في انهيار الدولة المدينية السورية .

5- ظهور العاصمة أكاو وإخضاع الرويلات السورية .

1- أسباب الصراع بين الطرفين .

2- مجريات الصراع (الحرب) .

3- نتائج الصراع .

قطع السومريون أكثر من خمسة قرون غابت فيها الوحدة السياسية الكاملة عن آفاقهم، ولم تجمع بين مدتهم محالفات بريئة طويلة الأمد في غير القليل النادر بغية تحقيق منافع ذاتية في أغلب الأحيان مثل: صداقة بعض حكام كيش الأقدمين لمعاصريهم حكام مدينة لجش لفترة من الزمن، وإن ظلت اليد العليا لحكام كيش في هذه الصداقة، ولم تتطوع أي دويلة إلى تحقيق وحدة وطنية ثابتة تستهدف الصالح العام السومري إلا في عهود متأخرة نسبياً، على الرغم من أن أهلها كانوا يحسون تلقائياً بوحدة جنسهم "جنس أصحاب الرؤوس السود" ووحدة الأرض "كالاما" التي عاشوا عليها، وبتقارب أفكارهم الدينية .

ونظراً لتقارب حدود هذه الدويلات ، كانت الحروب السمة البارزة بينهم إلى غاية ظهور الأكاديين 2370 ق.م ، حيث لم تتمتع بالأمن والاستقرار لفترات طويلة بسبب سعي كل دويلة للاستيلاء على أكبر جزء من الأراضي الزراعية، واعتبر قرار إعلان الحرب قراراً إلهياً، ويتخذ عادة صيغة الأمر الإلهي المعبر عن الإرادة الإلهية ، ففي كل مرة تعلن فيها الحرب لا بد أن يكون هناك أمر إلهي بهذا الخصوص ، حيث جاء في نص سومري : "إينشاكوشانا حاكم سومر، ملك البلاد عندما أمرته الآلهة ، أعلن الحرب على كيش"¹ ، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نطرح الإشكالية الآتية : إلى أي مدى أثرت هذه الصراعات الداخلية في انهيار الدولة المدينة السومرية ؟ وما هي الظروف التي عايشتها سومر خلال عصر فجر السلالات ؟ وما هي أهم الأسباب المؤدية إلى ظهور الصراع بين مدينتي أوما ولجش ؟ .

1- الصراع بين مدينتي أوما ولجش [2450 ق.م - 2357 ق.م] : هو ذلك الصراع القائم في القسم

الجنوبي من بلاد الرافدين في عصر فجر السلالات بين المدينتين المتجاورتين أوما ولجش بعد وصول الملك أياناتوم للحكم في سنة 2400 ق.م، وإعلانه للحرب على مدينة أوما ، وقد تميز هذا النزاع بالشدة والاستمرارية ، كما تميز بكثرة عقد المعاهدات السياسية، و التي نقضت في كثير من الأحيان² ، واستمر إلى غاية ظهور ملك أوما لوكال زاجيري وهزيمته لملك لجش أوروكاجينا سنة 2357 ق.م بعد صراع طويل بين المدينتين دام تقريباً قرناً من الزمن ، حيث سيطر على جميع المدن التابعة للملك أوروكاجينا ما عدا مدينة جرسو (كرسو) التي تحصن فيها الملك أوروكاجينا³ .

¹ عبد الرضا الطعان، المرجع السابق، ص 536.

² طه باقر ، مقدمة في تاريخ، ج 1، المرجع السابق ، ص 317.

³ علي شحيلات ، عبد العزيز الياس الحمداني ، المرجع السابق ، ص 82.

أ) أطراف الصراع : شملت هذا الحرب كل من مدينة :

أ-1/ مدينة لجش : تعد لجش من المدن السومرية القديمة والموغلة في القدم، إذ تشير الدلائل الأثرية إلى أنها قد سكنت فيها أقدم الأقسام التي سكنت في بلاد الرافدين ، وهي الأقسام السومرية في حدود 3000 ق.م من العصر السومري القديم ، حيث جاءت هذه الأقسام كما سبق وأن أسلفت الذكر على شكل موجة كبيرة انتشرت في بلاد سومر ومنها دويلة لجش، إذ قامت فوق بقايا من دور العبيد إذ كشفت التنقيبات الأثرية عن وجود فخار فيها يعود إلى دور العبيد¹.

1- أصل التسمية : يرجع المؤرخون أصل تسميتها إلى العصور المبكرة ، حيث كتب اسمها في النصوص المسمارية بالمقاطع الآتية: (شار - بور - لا - كي) (Sir-bur-la-ki)² ، إذ وضعت العلامة (Ki) للدلالة على أسماء الأماكن والمدن، وتتكون لفظة لجش (Lagas) من أكثر من مقطع واحد ، مثل المقطع (ل - شار - بور - لا) ويرجح أن معناه (طائر الغراب)³ ، ويحتمل أن يكون رمزا للجماعة أو القبيلة، كما وردت تسمية أخرى على لجش وهي (أورو - كوگك) (Uru-ku-og) أي (المدينة المقدسة)⁴ ، كما كتب اسم لجش عند بعض المختصين باسم لكاشو (Lagashu)⁵ .

والجدير بالذكر أن معظم أسماء المدن القديمة في بلاد سومر تحمل أسماء غير سومرية⁶ مثل :اسم لجش (شار - بو - لا- كي) وأور (UR) وأوروك (Uruk) الوركاء إذ ترجع إلى الموروث اللغوي الذي تركه الفراتيون الأوائل⁷*

¹ سامي سعيد الأحمد، السومريون وتراثهم الحضاري، المرجع السابق ، ص124 ، عامر سليمان، القانون في العراق القديم، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد ، 1987 ، ص145.

² كوركيس عواد، "آثار العراق في نظر الكتاب العرب الأقدمين"، مجلة سومر ، ج1، م 15، دائرة الآثار والتراث، بغداد، 1949 ، ص78، Leonard W.King , Litt.D.F.S.A , op-cit , p17.

³ Sollberge, E. Le, System Verbal Dans les Inscription, "Royals" Presargoniques de Lagaš, Geneve, 1952, pp 16, 72 .

⁴ دروثي مكاي، المرجع السابق ، ص92.

⁵ طه باقر، مقدمة في تاريخ ، ج1، المرجع السابق، ص ص 75-76.

⁶ هاري ساكز، المرجع السابق ، ص 51.

* الفراتيون : أطلق على السكان الأوائل الذين سكنوا في بلاد الرافدين تسمية الفراتيون الأوائل (Proto- Euphrateans) ، بحكم ظهورهم على أولى المراكز الحضارية التي أنشأت في المنطقة والتي وجدت على أطراف نهر الفرات ، و أن السومريين ليس هم أول من استوطن جنوب بلاد الرافدين، بل هناك أقوام نزحوا من الشمال ، وأسسوا مدعهم على نهر الفرات وشكلوا أغلب سكان النصف السفلي من جنوب العراق ،وقد اعتمد أصحاب هذه النظرية على مبدأين أساسيين هما :

،وعلى الأغلب فإن تسمية بعض المدن قد تتفق مع رمز طقس معين يعود إلى طوطم قديم، وقد أطلق أحد الباحثين الألمان على عصر فجر السلالات اصطلاح (عصر لجش) نسبة إلى دويلة لجش السومرية الشهيرة¹. وبالرغم من الدور البارز الذي لعبته هذه السلالة على مسرح الأحداث، فإنها ولسبب غير معروف لم تذكر في قائمة الملوك السومرية، ويرجع المؤرخون سبب ذلك إلى عدم اعتراف كهنة معبد (انليل) في (نفر) بحكام لجش، حيث كانت السلطة مستمدة من هذا الإله عن طريق التفويض الإلهي، وهي نظرية أصل الحكم في بلاد الرافدين في جميع أدوارها التاريخية وهو شرط لإضفاء الشرعية إلى أي سلالة سومرية²، في حين البعض أرجعه إلى كون (اوتوجيكال Uotojekal) لم يحتل بعد لجش عند كتابة الإثبات³.

كما علّل البعض الآخر من المختصين أن كتبة لجش في مطلع العصر البابلي القديم وهو زمن (ايسن Isin) الذي صدرت فيه آخر نسخة من إثبات الملوك كانوا قد امتنعوا من تزويد كتبة الإثبات بالمعلومات الخاصة بأسماء حكام لجش، أو بسبب اعتبارات سياسية⁴، أو أن حكام لجش لم يكونوا حكاما على بلاد سومر، وعدم إطلاق حكام لجش على أنفسهم لقب (لوكال Lugal)⁵.

ومما تجدر الإشارة إليه تمّ إغفال إثبات الملوك السومرية لبعض السلالات المهمة، فضلا عن المبالغة في تقدير سنين الحكم لبعض الملوك إذ نسبت سنوات حكم أسطورية لبعض الملوك، كما أن الكتبة دونوا كثيرا من

-الاعتقاد بوجود انقطاع حضاري ما بين دور العبيد و العصر الشبيه بالكتابي الذي يمتد من 2800-3300 ق.م إذ تميز العصر الشبيه بالكتابي بمستجدات حضارية تختلف عن المنجزات الحضارية لدور العبيد، ويتمثل الاختلاف في نوع الفخار وصناعة الأختام وفي بناء المعابد التي أصبحت منذ دور الوركاء القديم تبنى على مصطبة ثم ظهور الرقورات وبما أن السومريين حسب رأيهم وفدوا إلى جنوب القطر في دور الوركاء، فهذا يعني أن سكان العبيد ليسوا سومريين، بالإضافة إلى وجود بعض المفردات اللغوية وأسماء بعض المستوطنات في المصادر المسماة لا تمت بصلة إلى اللغتين السومرية و الاكدية، بحيث تكشف هذه المفردات عن مستويات متطورة في جوانب حياتهم، وهذا الاستنتاج الذي توصل إليه " سبايزر" في عام 1930م والذي أحصى حوالي 25 كلمة اعتقد أنها دخيلة، واعتبرت نظريته دليلا على وجود أقوام سبقوا السومريين تاريخيا في السهل الرسوبي من خلال ما الإرث اللغوي الممثل بأسماء المدن وبعض الحرف والمهن مثل : انكار (Eangar) فلاح، ابن (Apin) محراث، نبار (Nimbar) نخل، دمكار (Damgar) تاجر، ...، أنظر: فارس عجيل حاسم الخالدي، السومريون وحقيقة الفراتيين الأوائل، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ذي قار، مج 5، ع 2، 2015، ص ص 89-90، عبد المنعم المحجوب، ما قبل اللغة، الجذور السومرية نشأة اللغة العربية واللغات الافرواسيوية، ط 1، تانيت، 2008، ص ص 76-77.

⁷ سامي سعيد الأحمد، العراق القديم، المرجع السابق، ص 231، Leonard W.King, Litt.D.F.S.A, op-cit, p18،

¹ Genuoillacv, H., Fouilles de Telloh, T 1, Paris, 1934, p 70.

² عبد الحكيم النون، المرجع السابق، ص 54، قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص ص 127-128.

³ . 3, 1, Donald Kagan, Problems in Ancient History the Ancient near East and Greece, V1, London, 1975, pp 1

⁴ طه باقر، مقدمة في تاريخ....، ج 1، المرجع السابق، ص 313.

⁵ سامي سعيد الأحمد، العراق القديم، المرجع السابق، ص ص 261-296.

السلالات على أنها متعاقبة في حين أنها كانت متعاصرة¹، ويؤيد ذلك أن دولة لجش كانت تحكم معظم بلاد سومر، وفي نفس الوقت تعاصر سلالة أوروك الثانية وسلالة أدب وسلالة أور الثانية، وهذا ما أثبتته النصوص المسماة من خلال التنقيبات الأثرية التي أثبتت قيام سلالة قوية في لجش²، من خلال الكشف على 5000 لوحا مكتوبا فيها عن الملوك، وأهم الأحداث التي تخص الاقتصاد والأحداث التاريخية والدين، وعلى معظم نشاطات وفعاليات السومريين في الألف الثالثة قبل الميلاد³.

2-الموقع الجغرافي و الفلكي : تقع هذه الدولة ضمن محافظة ذي القار حاليا ، وعلى بعد بحوالي

16/15 كيلومتر إلى الشمال الشرقي من بلدة الشطرة في الناصرية⁴، أما فلكيا فتقع على خط عرض 32 ودرجة حرارة 35° صيفا، و12° شتاءا ومن الصعوبة تحديد الحدود للرقعة الجغرافية لدولة لجش وذلك لأن الحدود في العصور القديمة تخضع للتغير المستمر بحسب تغيير موازين القوى السياسية الخارجية من جهة، وقوتها وضعفها في الداخل من جهة أخرى، فتجاورها من جهة الشمال أوما (Umma)، ومن جهة الجنوب الغربي الوركاء (Uruk)، أما من جهة الشرق فتجاورها عيلام (Elam)⁵.

وما تجدر الإشارة إليه أن هناك اختلاف كبير بين المختصين في تقديرهم لمساحة هذه المدينة، فهناك من يرى أن مساحتها تقدر حسب نسبة الأراضي الصالحة للزراعة للمملوكة للمعبد وعليه تكون مساحة دولة لجش نحو (366 كم²)⁶، أما البعض فيرجع أن المساحة الواقعية لدولة لجش تقدر بنحو (3000 كم²) في عصر سلالة لجش الأولى بعد أن فقدت أكثر من 50% من أراضيها في نهاية حكم أوروكاجينا⁷، وقد تألفت من عدة مدن وقرى وأراضي زراعية تشمل منطقتي الشطرة و الغراف مثل :

(أ)- تلو " Tello - Girsu " : كانت تسمى (كرسو) أو (جرسو) وتعرف باسم آخر هو (سزارا)، ومن اسم هذه المدينة اشتق اسم الإله الخاص لمدينة لجش -الإله نجرسو- وهو ابن الإله إنليل، و اليد الضاربة له، شعاره

¹ فرج بسمه جي، المرجع السابق، ص24.

² أحمد سوسة، تاريخ حضارة وادي الرافدين، ج1، ص46.

³ قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، صص127-128.

⁴ Leonard W.King , Litt.D.F.S.A , op-cit , p17.

⁵ رجاء كاظم عجيل العكلي، سلالة لجش الأولى (2550-2370 ق.م) والثانية (2250 ق.م-2114 ق.م)، دراسة لنيل شهادة الماجستير في

التاريخ القديم، تحت إشراف الأستاذ أحمد مالك الفتیان، بغداد، 2006، صص8-9.

⁶ طه باقر، مقدمة في تاريخ...، ج1، المرجع السابق، ص371.

⁷ جين بوترو وآخرون، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، تر: عامر سليمان، مديرية الكتب للطباعة والنشر، بغداد، 1986، صص87-88.

نسر برأس أسد¹ ، وقد أجري في هذا الموقع العديد من التنقيبات الأثرية ، تحت إشراف الباحث سارزيك " Sarzec " ما بين سنتي 1877م/1900م ، حيث استمر فيه لبضعة أشهر فقط ، ثم تواصلت الأبحاث من قبل المنقب غاستون كروس " Gaston Cros " ، أطلالها في منطقة واسعة أبعادها (3x4) كيلومتر بالقرب من شط الغراف ، وعلى بعد نحو 16 كيلومتر شمال شرقي الشطرة² .

(ب)- سرغل " Serarai " : تسمى (نينيا) ، بقايا آثارها تبعد نحو 48 كيلومتر جنوب شرقي مدينة تلو ، وكانت مركزا لعبادة الإلهة نانشة ، وقد عثر في هذا الموقع على العديد من النقوش (النصوص الملكية) القديمة للملوك مثل: اناناتوم " Eannatum " ، اناناتوم الأول " Enannatum I " ... الخ³

(ج)- أللهة أو الهباء " Al-Hiba " : تقع شرق بلدة الشطرة بنحو 45 كيلومتر ، ويعتقد أنها تمثل موضع مدينة لجش القديمة وفقا للألواح المدونة والمكتشفة في تلول هذه المدينة ، والتي سميت باسمها الدولة المدينة⁴ ، وجد فيها المنقبون أمثال كولدواي " Koldcwey " في عام 1887م العديد من الرقم الطينية المكتوبة باللغة السومرية بالإضافة إلى القبور والمنازل السكنية⁵ ، وهذه المدن القديمة تنتمي إلى سلالة لجش الأولى ، وتمتد على خط استيطاني واحد تقريبا من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ، والتي تقع جميعها على مجرى نهر قديم كان يروي أراضيها ما بين نهرَي الدجلة والفرات⁶ .

وقد ساعد موقعها الاستراتيجي في تكوينها السياسي والاقتصادي، وفي زيادة شهرتها بين الدويلات السومرية، ففي حدود الألف الثالث ق.م كان نهر الدجلة يمر بهذه المدينة القديمة أو بالقرب منها باتجاه شط الغراف في طريقه إلى الخليج العربي، فضلا على أنها كانت تتوسط إقليما خصبا جدا تتخلله قنوات الري التي تأخذ مياهها من شط الغراف ، وهي قناة تربط بين نهرَي الدجلة والفرات ، وقد ضمت هذه القناة وقناة أخرى تسمى (كوآدنا) محاصيل وافرة وتجارة نهرية مزدهرة⁷ ، مما كانت سببا في استفادتها من الممرات المائية فازدهرت تجارتها

¹تقي الدباغ، الفكر الديني القلم ، المرجع السابق ، ص23.

Leonard W.King , Litt.D.F.S.A , op-cit , p17.

Ibid , p 21.

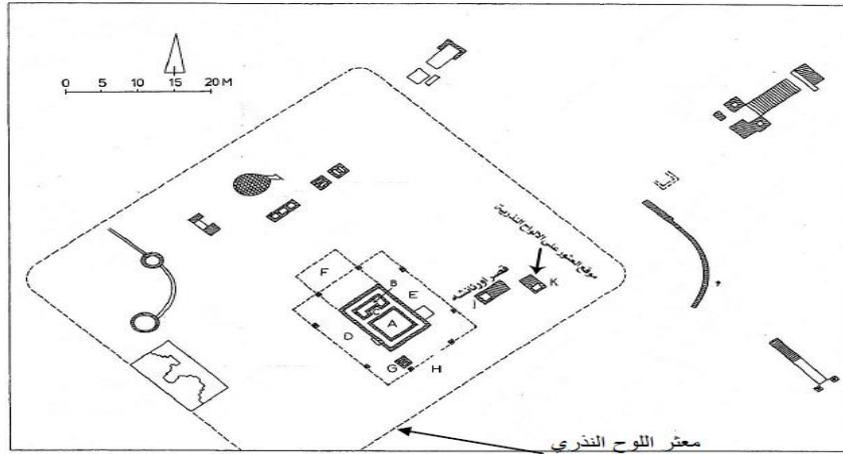
⁴طه باقر، مقدمة في تاريخ ... ج1، المرجع السابق، ص12 .

Leonard W.King , Litt.D.F.S.A , op-cit , p 20.

⁶علي شحيلات ، عبد العزيز الياس الحمداني ، المرجع السابق ، ص 65.

⁷هاري ساكز ، المرجع السابق ، ص ص 63-64.

النهرية، الأمر الذي انعكس في زيادة الاستقرار الاقتصادي، و في رفاهية المدينة ونشوء سلالة حاكمة فيها حكمت لستة أجيال تقريبا¹، إذ يعزى ازدهار دولة لجش إلى كونها ميناء نهرى مثل مدينة أور².



الملحق رقم 44 : يمثل مخطط يوضح مدينة لجش القديمة.³

2-1) مدينة أوما "Umma" : تعد هذه المدينة من أقدم المدن السومرية التي شيدت على نهر الفرات في حدود أواخر الألف الرابعة وبداية الألف الثالثة قبل الميلاد ، حيث تجاوزت تسميتها إطار المدينة إلى إطار الدولة أو المقاطعة ، إذ أطلق اسمها على جميع المناطق التي خضعت لسيطرتها في عصر فجر السلالات ، وقد بقي اسمها يطلق على هذه المناطق حتى بعد أن فقدت استقلالها وخضعت للملك شاروكين ، ومن هنا سوف نحاول التطرق إلى اشتقاق هذه التسمية ، مع تحديد الموقع الجغرافي للمدينة التي استطاعت أن تفرض نفسها في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين .

1-أصل التسمية : بدأ اسم أوما بالظهور بشكل واسع في حدود منتصف الألف الثالث قبل الميلاد تقريبا ، وبالتحديد في الوثائق المسماوية المكتشفة في موقع تلو "Tello - Girsu" القديم -الذي سبق ذكره- ، وذلك في معرض تناول تلك النصوص للنزاع القائم آنذاك بين أوما ولجش ، حيث ورد اسم أوما بصيغ مختلفة : (Umma Diri=Kissa) و (Kusuki) و (Umma/ Ummi / Umme /Ummen) وبالصيغة المسماوية (GIS-UH ki) وأيضا بالصيغة (GIS.U ki) اللتان قد تعنيان السمك اللامع أو أرض السمك اللامع⁴ ، وفي نص معجمي يعود إلى العصر البابلي الحديث ورد قراءة اسم المدينة بالشكل التالي (GIS-UH2 KI=Umma ki) ، في حين يرى احد الباحثين أن الصيغة (SAR 2 x DIS) كانت

¹عامر سليمان واحمد مالك الفتيان، المرجع السابق ، ص78.

²هاري ساكر، المرجع السابق ، ص63.

³هالة عبد الكريم سليمان كرموش الراوي ، المرجع السابق ، ص 138.

⁴Lambert ;W.G. Lambert , the names of Umma author (s) : V 49 , N1 , 1990, pp75-80.

تستخدم كمرادف لكلمة اوما (GIS.KUSU2.KI) ، بدليل أن التعبير (lugal/ ensi-SAR 2xDIS) كان يستعمل للإشارة إلى حكام اوما في عصر فجر السلالات¹ .

أما الباحثون المحدثون فيفضلون كتابة (Umma) بالصيغة العربية (أما) ، وهو رأي وجيه جدا ، إلا أن البعض الآخر فضلوا الصيغة الأخرى (أوما) لأنها تتقارب مع الصيغة الانجليزية للاسم².

2-الموقع الجغرافي : تقع مدينة أوما على الجانب الأيمن من شط الغراف الحالي في الجهة الشمالية الغربية من مدينة الشطرة ، والتي ظهرت فيها سلالة أوما والتي تعرف أطلالها اليوم (تل جوخه) الواقعة على نحو 50 كم شمال غربي مدينة لجش (تلو)³ ، يحدها من الشمال منطقة تلول جدر في محافظة القادسية ، والتي يعتقد أنها كانت جزءا من حدودها في بعض الأحيان ، ومن الجنوب منطقة الوركاء في محافظة السماوة ، ومن الغرب منطقة آداب ، ومن الشرق مدينة كرسو ، وتنتشر على مساحة هذه المنطقة أطلال العشرات من البلدات التي كانت تؤلف الإطار الإداري لأوما في ذروة ازدهارها⁴ ، إلهها الخاص هو "شارا"⁵.

والجدير بالذكر أن مدينة أوما هي الأخرى من الدويلات السومرية التي لم ترد سلالاتها في جداول الملوك لأسباب غير واضحة ، حكم فيها ستة ملوك في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد ، ومن أشهر ملوكها أوش ، أوكش والد الملك لوكال زاغيري⁶، الذي أصبح ملكا على سومر في حدود 2375 ق.م ، بيسط سيادته على لجش وأوروك وكيش حتى البحر المتوسط، ودامت مملكته 25 عاما إلى غاية انهزامه على يد سرجون الأكادي⁷.

وبالنظر إلى امتداد حدود دويلة أوما ، اكتشفت العديد من المواقع الأثرية التي استطاعت أن تزيل الغموض عن تاريخ هذه المنطقة ، ولعل أبرزها ما يلي :

¹ Haider A.Urebi , Um al -Aqarib 1999-2000 : excavation an Early sumerian city , kukuthikan , Jaban , 2008 , p 95.

² باسم محمد حبيب ، أوما من عصر فجر السلالات السومرية حتى نهاية العصر البابلي القديم "3000-1595 ق.م" ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم ، تحت إشراف الأستاذ الدكتور: سعد عبود ستمار ، جامعة واسط / بغداد ، 2011 ، ص 6.

³ Gadd , C , J, the cities of babylonia, Cambridge , V1, 1962, I, p27, Leonard W.King , Litt.D.F.S.A , op-cit , p21.

⁴ Stenkeller Pioter , city and countrysibe in third muillenniuw southern bablonia,Haruard University , pp 188- 189 .

⁵ عبد الحكيم الذنون ، المرجع السابق ، ص 54.

⁶ علي شحيلات ، عبد العزيز الياس الحمداني ، المرجع السابق ، ص 77.

⁷ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص 208.

أ) موقع أم العقارب : يقع موقع أم العقارب في منطقة شبه صحراوية تملؤها الكثبان الرملية ، تقدر مساحتها بحوالي (4x4 كم)¹ ، وهي قريبة من الموقع الآخر (موقع جوخة) ، حيث لا تتعدى المسافة بينهما 6 كيلومترات ، أما من حيث تسميتها فيعتقد أن سبب تسميتها بهذا الاسم راجع إلى كثرة تواجد العقارب في هذه المناطق ، وهو أمر تؤكد روايات السكان المحليين القاطنين بالقرب من الموقع والذي ينتمي معظمه إلى عشيرة (بني ركاب) . وعلى الرغم من تعاقب البعثات الأثرية ، إلا أنه لم يتم لحد الآن العثور على أي إشارة لاسم الموقع القديم بالنصوص التي عثر عليها في موقع أم العقارب، إلا أن هناك رأياً قدمه كل من بيترز (Peters) ووارد (Ward) أشارا فيه إلى أن الموقع كان مكاناً دينياً مقدساً بالنظر لكثرة ما فيه من قبور ، لذلك بقي الاسم مجهولاً لهذا السبب² .

إلا أن هذا الرأي تنكره الشواهد الأثرية التي أبانت عن تنوع في المرافق التي يضمها الموقع (قصر ، معبد ، .. الخ) ما يرجح بأن الموقع يمثل أطلال إحدى المدن القديمة أو لعلها مدينة أوما ذاتها بدليل العثور على نصوص تعود إلى عصر فجر السلالات ، وبالتحديد الطور الثالث منه ، وأبرزه النص الذي يشير إلى الحاكم أورلوما ، ونص آخر يتعلق بالأحداث التاريخية التي حدثت أثناء الصراع بين أوما ولجش³ .

وفي ظل هذه الإشكالية حول أصل هذا الموقع : هل هو يمثل أطلال مدينة أوما القديمة أم لا ؟ . تشير الدراسات التاريخية والأبحاث الأثرية أن وراء اختيار عاصمة جديدة في ظل عدم وجود ما يؤكد تعرض العاصمة القديمة لأي تخريب أو دمار ، إلى أن يكون السبب راجع إلى أحد العوامل الطبيعية كتغير مجرى النهر أو تعرض المدينة لفيضان وما شابه ذلك .

أو قد يكون السبب وراء ذلك هو وقوع موقع أم العقارب تحت سيطرة لجش في إحدى الحملات الحربية التي شنتها لجش على دويلة أوما ، مما دفع حاكم أوما آنذاك إلى اختيار عاصمة جديدة حتى يجنب دويلته الوقوع مرة أخرى تحت سيطرة لجش⁴ .

ويرجع غموض تاريخ المنطقة إلى تأخر إجراء التنقيبات الأثرية في مواقعها من طرف المنقبين ، وما شحت ما قدمته من معلومات عنها ، إذ أننا حتى الآن لم نتوصل إلا إلى النزر اليسير من المعلومات التي تسلط الضوء على أهم المحطات التاريخية التي عايشتها هذه الدويلة المدينة .

¹ حولة معارج خليل سالم ، مدن على نهر الايتورونكال في عهود السيطرة الأجنبية للبلاد من 539ق.م - 638م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم ، كلية الآداب ، بغداد ، 2007 ، ص 207.

² حولة معارج خليل سالم ، المرجع السابق ، ص 206.

³ Haider A .Urebi , op-cit , p 95.

⁴ Haider A .Urebi , op-cit, pp 49-55.

(ب) موقع جوخة: إن الاسم المحلي الذي أطلقه السكان المحليون على هذا الموقع هو اسم (يوخة أو جوخة)¹ ، انطلاقاً من خلفيتهم الثقافية ، والذي ربما عنوا به الشيء المبعثر الذي ربما أطلق لاعتقاد السكان بأنها منطقة تعرضت لغضب الهي مما أدى إلى تدميرها وتبعثر مكوناتها ، إذ بقي هذا الاعتقاد قائماً لعهود طويلة ، لكن من المحتمل أن يكون الاسم مأخوذاً من اللفظ السومري الذي يقرأ ببيئة (GIS-UH2 KI) .

يبعد هذا الموقع بحوالي 21 كم إلى الغرب من مدينة الرفاعي الحالية (شمال محافظة ذي قار) ، وعلى بعد 365 كم إلى الجنوب من بغداد و 50 كم عن الموقع الأثري (تلو) الذي يضم أطلال مدينة جرسو السومرية ، وتقدر مساحته بحوالي (7x7 كم) ، ويضم عدة تلول أبرزها التل الرئيسي الذي يقع في الجزء الشمالي من الموقع ، ويمتد بشكل طولي باتجاه الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، إذ يبلغ طوله بحدود 1000 م وعرضه 500 م ، ويقدر ارتفاع أعلى نقطة فيه بحدود 15 م فوق مستوى الأرض المجاورة ، وفي ناحية الشرق والجنوب الشرقي من الموقع تمتد منطقة واسعة تمتاز بالانخفاض ، تعلوها سلسلة من الكتلان الرملية المتحركة وبارتفاعات تتراوح من 5-10 م² . وقد نال هذا الموقع اهتمام الباحث أنريه بارو الذي زارها في شتاء سنة 1902 م ، ولاحظ آثار مبنى كبير مربع الشكل ، يبلغ طوله حوالي سبعة أمتار في شمال التلال الرئيسية ، و في تلة صغيرة أخرى تنتشر العديد من القطع الطينية ذات الشكل المربع ، أما البعثة الألمانية اكتشفت في الجزء الجنوبي آثار مسكن قديم غرفه مستطيلة الشكل ، ونقش مصنوع من حجر الديورنت يعتقد انه يعود للشخصيات القديمة التي عاشت في هذا الموقع³ .

(ج) موقع شميت: مصطلح شميت محلي ، حيث أطلق على الموقع الذي يضم بين ثناياه واحدة من المدن التي كان يعتقد أنها كانت تتبع سياسياً وإدارياً دويلة أوما ، وهو حالياً يقع ضمن الحدود الإدارية لناحية الفجر التابعة لمحافظة ذي القار ، وعلى بعد حوالي 43 كم إلى الجنوب الشرقي منها، ويتم الوصول إليه بواسطة طريق ترابي صعب من الطريق العام الذي يربط ناحية الفجر بناحية آل بدير بمسافة تتراوح حوالي 20 كم .

يمتد الموقع الذي تبلغ أبعاده حوالي 990 x 720 م على سلسلة من التلال التي تتفاوت في امتدادها وارتفاعها ، حيث يعتبر التل الشمالي المحاذي للمصب العام أوسعها وأكثرها ارتفاعاً ، ويبدو من مساحة الموقع انه كان يشكل مدينة مهمة يحكمها حاكم (إنسي) ربما لتمتعها بمنزلة دينية أو لأهميتها السياسية⁴ .

¹ Leonard W.King , Litt.D.F.S.A,op-cit , p21.

² نواله أحمد المتولي ، جوخة (أوما) نتائج تنقيبات الموسمين الأولى والثاني 1999-2000 ، مجلة سومر ، مج 54 ، بغداد ، 2009 ، ص ص 53-54.

³ Leonard W.King , Litt.D.F.S.A,op-cit , p23.

⁴ خولة معارج خليل ، المرجع السابق ، ص 196.

ونظرا لحجم الموقع وقربه من بعض المناطق الريفية ، وشهرته بالزراعة والرعي وبالخرف الصناعية ، فقد لفت إليه أنظار المدن المجاورة ، حيث تعرض للكثير من الانتهاكات لحدوده طالت الكثير من أجزائه ، الأمر الذي سبب ضررا للكثير من آثارها ومخلفاتها ، مما صعب المهمة على الباحثين والمختصين .

2- الخلفيات التاريخية المؤدية لظهور الصراع : يرجع الباحثون أن السبب الحقيقي لظهور الصراع بين أما ولجش تتخلله العديد من الدوافع الغير المباشرة ، والتي زادت من إصرار ملوك لجش على إعلان الحرب عليها متحججين بسبب نقض حاكم أما للمعاهدة المبرمة بينهما وتعديه للحدود التي جسدت في مسلة ملك كيش ميسيليم ، ولهذا سوف نحاول الإشارة إلى الأسباب الخفية (الغير المباشرة) لهذه الحرب التي دامت أكثر من قرن :

أ) الأسباب الغير مباشرة :

- وقوع مدينة أما في وسط بلاد سومر وتمتعها بالتربة السهلية الخصبة ، مما جعلها واحدة من أهم المناطق الزراعية خاصة منها زراعة الحبوب ، فضلا على كونها من أهم مناطق الرعي في سومر ، وقربها في نفس الوقت من مصادر المياه ، على نقيض لجش التي كانت تحتاج إلى هذه المصادر لسقي أراضيها وسكانها¹.

-تحكم مدينة أما في الطرق البرية القادمة من المدن السومرية الأخرى المحيطة بها ، مما أكسبها أهمية تجارية لكونها معبرا للطرق التجارية البرية².

-أدى الموقع (إشرافها على الأنهار ، الأهور) الذي تتحكم به دورا مهما في اكتسابها أهمية تجارية نهرية نتيجة استخدام تجارها للقنوات المائية، والأنهار لنقل البضائع من مكان إلى آخر ، أو إيصالها إلى البحر بدليل ما ورد في النصوص المسمارية التي ذكرت الكثير من عمليات تحميل وتفريغ السفن والمراكب ، حيث أشير في أحد النصوص -العمود الثاني :- "18عاملا وليوم واحد يحملون وجبة غذائية من أما لرصيف الميناء " ، بينما في العمود الرابع من نفس النص فيذكر : " خمسة عمال وليومين يسحبون قاربا من أما الى حقل أيلوكال ، وليوم واحد ينقلون الشعير ويحملون الشعير إلى القارب ، وليومين يسحبون القارب من حقل أيلوكال إلى فم القناة " ، ومن قطع الفخار التي يحتمل أن تكون نماذج لحرفة صناعة القوارب النهرية ، القوارب الفخارية ذات النهايات المدببة... الخ³.

-قيام نظام الملكية في بلاد الرافدين على أساس ديني، وأن العلاقة بين الملك والإله الحامي تتمثل في انتصار الحاكم في الحرب يعزز دور الآلهة ومنزلتهم ورضائهم عن مدينته، وربما كانت أحد المبررات الرئيسية لظهور النزاعات

¹ ستروف. ف. ف ، اقتصاد الدولة في سومر القديمة ، العراق القديم ، تر: سليم طه التكريتي ، ط2، بغداد ، 1986 ، ص 122.

² دياكوف ، بيوع الأراضي في العصر السابق لحكم سرجون (شاروكين) ، العراق القديم ، تر : سليم طه التكريتي ، ط2، بغداد ، 1986 ، ص 509.

³ محمد صبري عبد الرحيم ، التنقيبات في موقع شميت موسمي 2001-2002، مجلة سومر ، مج 52، 2004 ، ص 211.

والصراعات بين المدن السومرية ، والتي استمرت بصورة متصاعدة في مراحل لاحقة من حضارة وادي الرافدين سواء أكان هذا الصراع بهدف توسيع أرض الإله الحامي من خلال التوسعات العسكرية ، ولاشك أن كل عمل عسكري يحتاج إلى فكر ومعتقد قوي يستطيع أن يعطي للمقاتل طاقة معنوية وزخم قتالي عالي، ولهذا نجد فكرة الإله الحامي استغلت من طرف الملوك كمحصلة نهائية لتوسعاتهم العسكرية¹.

-المنافسة والتناحر بين المدن وأنظمتها السياسية القائمة بهدف الاستحواذ على الأراضي الزراعية، وطرق التجارة الموصلة إلى المواد الأولية، ومن هنا صار النظام الإلهي المقدس أقل استقراراً في بلاد الرافدين بسبب كثرة الحروب والنزاعات على الموارد المحدودة خاصة وأن تزايد السكان السريع يجعل من عملية توزيع الموارد المحدودة تلك ليس بالأمر الهين حتى أصبح يطلق عليها حرب أهلية مستديمة بين المدن الصغيرة².

ب) الأسباب المباشرة (الحقيقية) :

-الحدود المتقاربة بين دولتي أوما ولجش أو ما يعرف بخط الحدود المشترك بينهما ، ورغبة كل طرف بالاستحواذ على أراضي الجوار، مما أدى إلى تفاقم النزاع من اجل توحيد هذه الدويلات ، وقد ذكرت مسألة التحكيم بين الطرفين في أخبار الملك أنتيمينا (2430-2400 ق.م) الذي أوجز هذا الصراع ابتداء من ترسيم الحدود بين الدولتين من قبل ملك كيش ميسيليم (Mesilim)* ، هذا الأخير الذي جعل الأراضي الزراعية الخصبة القريبة من القناة المائية (كوآدينا)** أو بمعنى -حافة عدن- ضمن حدود دولة لجش ، الأمر الذي أثار حفيظة دولة أوما، ولم ترض عنه ورفضت الخضوع لهذا التحكيم³.

¹ عبد الوهاب حميد رشيد، المرجع السابق، ص 105.

² سامي ريجانا، المرجع السابق ، ص 41.

*الملك ميسيليم: يقرأ اسمه أيضا باسم (ميساليم) ، و هو أحد الملوك الذين اشتهروا في الدور الثاني من عصر فجر السلالات ، ملك كيش وسيد بلاد سومر، يعتقد أن اسمه من الأصول الجزرية، لم يرد ذكر اسمه في إثبات الملوك وان زمنه يقع في عصر فجر السلالات الثاني، لقب نفسه بملك كيش ، وبلقب الابن المحبوب للآلهة نخرسك ، كما لقب بلقب لوكال، وقد كان ميسيليم مسيطرا على جميع أرجاء القطر، إذ عثر على عدد من أدواته والتي تحمل نقوشا كتابية في مدينة (آدب)، (الدير) ، (لجش) .. الخ، يعتقد أنه حكم قبل جيل أو جيلين من مجيء اورنانشه وتأسيس سلالة لجش الأولى وبسبب العلاقة الودية بين الملك ميسيليم و لجش وبأمر من الإله انليل وتحت رعاية الإله ساتران- اله تسوية الخصومات -، قام ميسيليم بالوساطة وحل النزاعات الحدودية.. أنظر: أحمد سوسة ، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين ، المرجع السابق ، ص ص 116- ، 117 ،

Gorden , E, T, Mesilim and Mesanpedda are they identical , Basor , 1953, pp 27, 30.

** كوآدينا / جوادنا (Gu-Edina) : ذكرت في اللغة السومرية باسم Gu-edin-na ، والتي تعني حافة السهل أو حد السهل، وهذا الإقليم كانت تتقاسمه كل من أوما ولجش، ويقع على الجانب الأيسر منه في لجش على مسافة حوالي 20 كم ، بينما الجانب الأيمن منه يقع في أوما.. أنظر: صامويل نوح كيريم، المصدر السابق، ص ص 93، 100 ، عبد الله عبد الكريم، المرجع السابق، ص 72.

³ علي شحيلات ، عبد العزيز الياس الحمداني ، المرجع السابق ، ص 70.

- النزاع على توزيع مياه الريّ والسقي ، ومحاولة الاستفادة من مياه القناة المشترك بينهما المسمى (كوآدينا Gu-Edina) ، حيث كانت مدينة أوما تقع في أعالي مصادر المياه لكنتا الدولتين¹ ، مما جعلها تتدخل في أمور تجهيز لجش بالمياه ، وكان ذلك سببا لنشوء النزاع بين المدينتين في عدة مناسبات² .

-رغبة كل منهما في توسيع نطاق سيطرتهما ، وتنشيط موارد التجارة الخارجية ، حيث برزت أهداف وطموحات الملك أياناتوم -حاكم لجش- في فرض سلطته على البلاد الغنية بالثروات الاقتصادية ، وقد سار على دربه خلفائه (أناناتوم الاول وأنتيميئا) ، ونفس الأمر ينطبق على ملوك أوما³ .

وعلى هذا الأساس يمكننا القول أن سبب الأزمة بين الطرفين اقتصادي وسياسي في آن واحد ، وكان العامل الاقتصادي هو السبب الرئيسي في هذه الأزمة ، وإن تبلور على شكل أزمة حدودية بين المدن السومرية ، وكثيرا ما كانت الحدود المشتركة سببا في خلق الأزمات السياسية التي لا طالما تتطور إلى صراع ما بين الحضارات .

3-مراحل الحرب : من أهم المصادر التاريخية التي ذكرت النزاع الطويل بين المدينتين المتجاورتين لجش و أوما السجل الإداري المدون على لوح من الحجر يوثق الأراضي الزراعية التي اشتراها أقدم ملك في سلالة لجش الأولى والذي يسمى الملك اينخيكال(En.he.gal) ، والتي تقدر بنحو (3820 منا)* من النحاس وفيما عدا ذلك لا يعرف عن خلفائه شيء⁴ ، بالإضافة إلى ذلك اعتبرت وثيقة النزاع بين دولتي أوما ولجش المدونة من قبل الملك أنتيميئا (2430ق.م-2400ق.م) أقدم وثيقة صراع في تاريخ البشرية ، حيث بدأت أحداث هذا النزاع قبل عهد الملك أنتيميئا بما لا يقل عن ثلاثة أجيال ، يوم اتفق حاكمي الدولتين المتنازعتين على تسوية النزاع فيما بينهما ، وتثبيت الحدود عن طريق تحكيم ملك كيش ميسيليم (Mesilim) بصفته إما حاكما بين دولتين أو أن هاتين الدولتين تابعتين له⁵ ، مع أن اسمه لم يرد في معظم القوائم الملكية، فإن شخصيته كانت مهمة ولها دور التاريخي في حياة المدن السومرية⁶ .

¹ برهان الدين دلوو، المرجع السابق، ص213.

² هاري ساكز ، المرجع السابق ، ص 64.

³ دياكوف ، ظهور الدولة الاستبدادية في العراق القديم "دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية ، تر: سليم طه التكريتي ، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1986 ، ص 289.

* المن: يساوي المن الواحد(505 غم) في الوزن الحالي.

⁴ Gadd , C , J , op-cit , p 26, Hallo, William, W and Simpson , William Kelly , . The Ancient Near East a history, op.cit p. 51.

⁵ علي شحيلات ، عبد العزيز الياس الحمداني ، المرجع السابق ، ص 72.

⁶ Fougères Gustave ,les premiers civilisations ,librairie Félix Alcon ,Paris , 1938,pp 82, 83 .

والجدير بالذكر أن المصادر المادية والنصوص التاريخية أكدت عن وجود هذه الشخصية ودورها في مدينة كيش من خلال العثور على رأس دبوس من الحجر عليه كتابة تشير إلى أنه قدّم هدية من "ميسيليم ملك كيش"، كما ورد في نص آخر أن "ميسيليم ملك كيش باني معبد نينجرسو"¹، وسيوضح دوره أكثر في رسم الحدود السياسية بين مدينتي لجش وأوما بسبب صلته الوثيقة بمدينة لجش، والتي شجعتة على أن يقوم بتقديم الهدايا إلى إلهها نينجرسو، حيث استطاع ميسيليم أن يقنع الطرفين بتقرير السلم بأمر من آلهته ستران - آلهة تسوية النزاعات والخصومات - بعدما أوحى إليها الإله إنليل نفسه²، وفي هذا الصدد ورد في أحد النصوص القديمة: "أن ميسيليم بأمر من آلهته ستران، قاس (مد جبل القياس)، وفي ذلك المكان أقام حجرة"³.

قام ميسيليم بمسح الأرض الزراعية المتنازع عليها، وأقام مسلات حجرية في مواقع معينة نقشت بكتابات عينت الحدود لكل من المدينتين، كما قام بإقطاع قطعة من الأرض، واعتبرها منطقة حياد بين الطرفين لا تعود ملكيتها لأي طرف، وقد اقتطعت هذه الأرض من المدينة المهزومة أوما، فكان في هذا الحل محاباة لمدينة لجش على حساب مدينة أوما⁴، وبعد تثبيت الحدود، أقام الملك ميسيليم عند خط الحدود مسلة أو أنصبا بخلد هذا التحكيم على مسلة، واعتبر هذا التحكيم أقدم معاهدة صلح دولية بتحكيم طرف ثالث، وفي نفس الوقت بينت هذه الوثيقة أولى الجهود البشرية المعروفة في تنظيم العلاقات الدولية وضبطها فيما بينها، لكن هذا الصراع تجدد من جديد بنقض المعاهدة المبرمة بين الطرفين عن طريق ملك أوما "أوش" أو "كش"، وعلى هذا الأساس يمكن أن نقسم الصراع إلى مرحلتين من خلال تسليط الضوء على أهم الأحداث التاريخية:

أ) المرحلة الأولى [2395-2450 ق.م]: تبدأ هذه المرحلة من خلال إعلان ملك لجش أياناتوم [2450-

2435 ق.م]* الحرب على مدينة أوما بسبب نقض أوش بنود المعاهدة، وتستمر إلى غاية وفاة الملك أنتيمينا (2395-2425 ق.م)، حيث اتسمت هذه المرحلة بإزالة ملك أوما - أوش - نصب ميسيليم، والتنكر

¹ عبد الكريم عبد الله، المرجع السابق، ص72.

² عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص598.

³ عبد الله عبد الكريم، المرجع السابق، ص72.

⁴ علي فاضل عبد الواحد، المرجع السابق، ص82.

* أياناتوم (2450 ق.م -) : ابن أكورجال وحفيد أورنانشة، وهو رجل حرب وذاعت شهرته العسكرية بعد سيطرته على العديد من مدن المنطقة الجنوبية من بلاد الرافدين كأور و الوركاء وكيش... الخ، ثم دخل في صراعه المشهور مع مدينة أوما المجاورة له، حيث ذكرت النصوص السومرية أنه قام بإفتاء ربه في حربه ضد أوما، وزار معبده واستلقى فيه على وجهه طالبا وحيه، فتمثل له نينجرسو في رؤياه، ووقف عند رأسه، ووعدته بأن يؤيده وينصره في حربه...، أنظر: ديكانوف، ي، م، وآخرون، المرجع السابق، ص208، عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص599، Jane.R.Maintosh, op-cit , p74.

لشروط المعاهدة بعدم تجاوز الجزء الأيسر من قناة كوادينا ، فقام بغزو حقول لجش¹ ، وفي هذا الصدد يصف النص السومري بقوله :

" (إنليل) ملك الأقطار جميعها ، والد الآلهة كلها ، حدد حدود (نجرسو) و(شارا)

بكلمته الثابتة ، وقام (ميسيليم ملك (كيش) بتحديد أبعادها وفقا

لكلمة (ساتران) وأقام مسلة هناك ، ولكن (أوش)،

انسي (أوما) انتهك حرمة كل من قرار الآلهة ، والعهد (الذي

تعهد به كرجل لرجل) ، واقتلع مسلتها (أي مسلة الحدود) ، ودخل سهل لجش²"

وهناك نص آخر يصف هجوم مدينة أوما على مدينة لجش :

"قام انسي مدينة اوما ، بأمر إلهه ، بالهجوم على كوايدنا ، وبابتلاع

الأرض المروية والحقل الأثير لدى نجرسو فخلع نصب الحجر ودخل سهل لجش³."

وفي تلك الفترة كان حاكم مدينة لجش -أياناتوم- يتمتع بمطلق الصلاحية ، وظهرت في ألقابه إشارة إلى قرابة الملك بالآلهة (أياناتوم إنسي لجش، وقد دعاه الإله إنليل، وهب القوة له الإله نينجرسو والمختار من قبل إله نانشة، وأرضع بالحليب المقدس من إله نينجور سانج، ولقبه بالأسماء الطيبة، الإله إنانا ووهب العقل له الإله إنكي والمحبوب للإله دوموزي، خادم إله حيندور سانج والصديق المحب للإله لوكال أوربا)، ويعتقد أن هذه الآلهة السومرية عامة مثل: إنليل ونينجورسانج أو آلهة مدن خاصة⁴، ومن أجل إتمام سيطرته على بلاد سومر لقب نفسه بـ(ملك كيش) الذي يرمز إلى اتساع السلطة السياسية* ، وبذلك كان أول ملك سومري حمل هذا اللقب¹.

¹ برهان الدين دلوو، المرجع السابق، ص213.

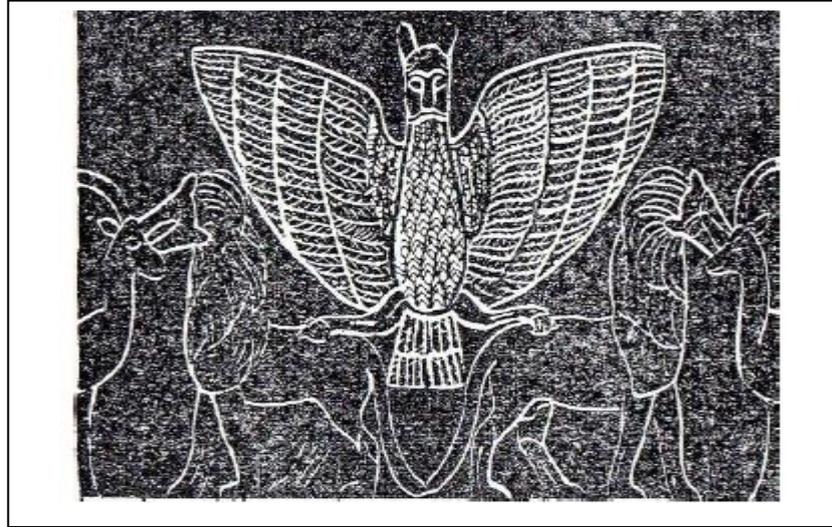
² Samuel Noah Kramer , the Sumériens , op-cit , pp 449-450.

³ George Roux , the ancient Iraq , op-cit , p 195.

⁴ ديكانوف ي.م وآخرون، المرجع السابق، ص209.

* اتخذت لجش من (الأسد والنسر) شعارا لها ورمزا لقوتها فقد صور هذا الشعار على المنحوتات الحجرية على هيئة نسر برأس أسد باسطة جناحيه ، وقد عرف هذا النسر بـ(الطائر المقدس) للإله نجرسو ، ويسمى بالسومرية بـ (أم - دوغود) (Im-dugud) ، أن الغرض من اتخاذ هذا الشكل كشعار لجش هو لإظهار القوة في بلاد سومر بسبب كثرة الحروب بين المدن السومرية في عصر فجر السلالات .

ويعد الإناء الفضي الشهير العائد إلى انميننا المنقوش بصورة نسر باسطة جناحيه من الأدلة المادية التي تؤيد أن شعار لجش كان يرمز للقوة، إذ صور النسر برأس أسد وهذا النسر له جناحان و يظهر نجرسو وهو يحمل الصولجان على كتفه وييده مروحة يدوية وهو جالس على كرسي وتحت أسدان



الملحق رقم 45: شعار مدينة لجش في الحروب -رمز القوة والجبروت².

قرر أياناتوم -حاكم لجش- إعلان الحرب على ملك أوما -أوش-، حيث جهز لذلك الفرق الثقيلة المؤلفة من حملة الرماح والتي يحميها حملة التروس، إضافة إلى القوات المدنية التي تشكلت من جميع مواطني لجش ، ويبدو أن المعركة مع أوما كانت عنيفة، إذ ذكرت الوثائق الرسمية أن عدد القتلى الذين تركوا فوق ميدان المعركة 3600 قتيل، مما أدى إلى تراجع جنود أوما وتحصنهم بالمدينة، غير أن أياناتوم أصّر على مواصلة القتال، فطاردهم بجيشه ووصل حتى أسوار المدينة واقتحمها ، ودمر المدينة، ويعتقد أن حاكم أوما -أوش- قتل في هذه المعركة، فاضطرت أوما إلى الاستسلام ، و في هذا الصدد يقول النص الرسمي أن جثث أوما تركت طعاما للطيور الكاسرة ،على حين جمعت جثث جند لجش واحتفل بدفنها في عشرين موضعا من السهل احتفالا جنائزيا كبيرا³، وفرضت عليها الضريبة التي تقدر ب300 ألف لكوت من الشعير لصالح معبد الإله نينجرسو والإله نانشة وتعديل الحدود لصالح لجش، وإجبار خصومه على مبايعته⁴.

كما عقد معاهدة جديدة مع حاكم أوما الجديد ايناكلي "Enaklli" بإعادة النصب القديم إلى مكانه وحفر رجاله خندقا كبيرا على طول الحدود ، وإرجاع الحدود السابقة ومعها الأنصاب القديمة ومسلّة الملك ميسيليم

متقابلان...، أنظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ ..، ج1، المرجع السابق، ص 272، نجيب ميخائيل إبراهيم، مصر والشرق الأدنى، المرجع السابق ، ص215 ، ملرش، ايج-أي-ايل ، المرجع السابق، ص43.

Hallo William W , op-cit , p 42.

1

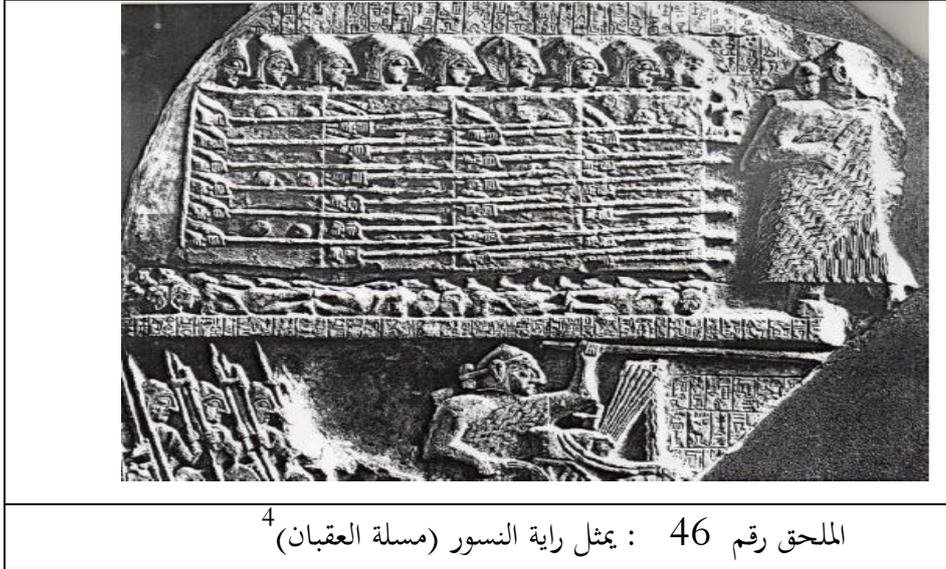
² ايج ، ايل ، ملرش ، المرجع السابق ، ص 44.

³ عبد المنعم أبو بكر وآخرون، المرجع السابق، ص271.

⁴ ديكانوف ي.م وآخرون، المرجع السابق، ص209.

القديمة ، وأقام بجانبها الملك أياناتوم مسلة جديدة خلد فيها انتصاره ، وبنوا على جانبه عدة معابد صغيرة و مزارات لمعبوداتهم ، لتشكّل ردعا لسكان أوما ، كما سمح لهم باستغلال جزء من الأراضي الحدودية بشرط أداء الضرائب عليها ، وذكرت نصوصه أن رجاله قاموا بحفر قناة مائية* كبيرة ، امتدت من النهر إلى خزان متسع كبير عند مدينة لجش يستوعب 3600 لور - مین - لو أي حوالي 4800 لتر من الماء¹ .

وقد اقسام الطرفان على عدم نكث العهد على يد سبعة آلهة رئيسية، وفي كل مرة يتردد في المعاهدة الدعاء التالي: إذا نقض العدو كلمته فسوف يصطاده الإله بشبكته من أجل تحطيمه² ، وتوجت هذه الحملة العسكرية بأمر أياناتوم بتخليد انتصاره على لوحة تعرف باسم "نصب العقبان**"، ورسم فيها أرض المعركة تتخللها جثث الأعداء، وتمزقها العقبان الوحشية، ومن هنا جاءت تسمية اللوحة بنصب العقبان أو مسلة النصور " Stèle des "vautours"³ .



الملحق رقم 46 : يمثل راية النصور (مسلة العقبان)⁴

* كان اسم القناة المائية "هومادمشا" أو "خومادمشا"، ويعتقد أنها القناة الحالية التي تنفرع من الدجلة عند قنطرة كوت وتنحدر جنوبا نحو تلو (لجش)، وتسمى شط الحي...، أنظر: أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص 59 .

² أنطون مورتكات، المرجع السابق، ص 60, p136, André Parrot, op-cit .

** مسلة العقبان : هي عبارة عن نصب تذكاري منقوش، وتعتبر من أجمل المنحوتات في الفن السومري و بمحتوياتها التاريخية واللغوية والدينية ، ويبلغ طوله 1,5م وسمكه 11سم ، وهو من الحجر الكلسي ، وذو رأس محذب منحوت بإتقان ويغطي كافة جوانبه صور وكتابات النصب نقشت ضمن أسطر أفقية ، ودونت الكتابة المنقوشة على النصب انتصار لجش على حنود أوما ومعاهدة الصلح التي فرضت عليهم ، ونقشت مناظر هذه اللوحة على وجهيها ، وبقيت منها ست قطع... أنظر : أحمد سوسة ، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء المشاريع ...، المرجع السابق ، ص 389-390 ، أنطون مورتكات ، المرجع السابق ، ص 59 .

³ Goerge Roux, la mésopotamie, op-cit, pp91,136, Fougère Gustave, op-cit, pp 82,84.

Andre Parrot , sumer , op-cit , p 135.

4

ومما تجدر الإشارة أن هذه اللوحة تعتبر من المصادر الهامة في التعبير عن نظام الجيش، وأسلحته في بلاد سومر، وعن بعض عقائد مجتمعتها، حيث قسّم الوجه الأمامي للوحة إلى حقلين خصصا للإله الذي مثل على هيئة رجل جبار على الجذع ذو لحية طويلة وشعر ملفوف على شكل ضفيرة كثيفة خلف الرقبة، ويمسك بيده اليسرى شبكة ويتخبط فيها الأعداء كالسمك ويحمل باليد اليمنى دبوس يضرب به رأس أحد الأعداء الذي يمد رأسه خارج الشبكة، أما عقدة هذه الشبكة فتحمل إمدوكود (النسر ذو رأس الأسد) الذي يمثل رمز الموت، بينما قسمت اللوحات الثلاثة الأخرى إلى أربعة حقول تضم مشاهد عن فن القتال وطقوس الدفن، حيث صور أياناتوم وهو مرتدي التنورة ذات الخصلات المصنوعة من صوف الغنم، ومعظفا من الفرو وخوذة واقية للرقبة، كما يحمل في اليد اليمنى عصا معوجة، ويتبعه فوج من مشاة المهاجمة ذوي الخوذ والمعززين بالرماح والتروس المستطيلة الشكل، وهي تطأ رؤوس الأعداء الصرعى بأقدامها، وأمام وفوق المنتصرين جثث الأعداء التي اقتطعتها العقبان، وطارت بها حائمة فوقها ومحلقة في السماء¹.

وفي الحقل الثاني يمتطي أياناتوم بنفسه عربة حربية يتقدم رأس محاربيه المسلحين بالرماح والفؤوس، وفي هذه المرة يمسك العصا المعقوفة بيميناه، بينما يقذف الرمح على العدو بيسراه، في حين جسدت مشاهد الحقل الثالث طقوس دفن الموتى الشهداء، بتكديس الجثث بعناية فوق بعضها البعض، ويقوم الرجال بنقل التراب في سلال يحملونها على رؤوسهم ليفرغونها فوق الموتى، وأمام المدفن الجماعي يستلقي ثور للتضحية على ظهره مربوطا على وتدين ومعدا للذبح وفوقه أغناما مهياة لنفس الوضع، بينما لم يبق من صور الحقل الرابع والأخير أي أثر².

وفي هذا الصدد يشير النص السومري التالي الى الانتصار الذي حققه أياناتوم على أوما واستيلائه على حقل كوادينا ب:

(أي - اناتم، لقد فتح (أوما) وملاً مدافنهم العشرين ،

وأعاد الى (نجرسو ، حقله المحبوب (كوآدينا)

وفي نص آخر يذكر :

(... (أي-اناتم) وضع شبكة - (شوشكال) العائدة للإله (انليل) فوق رجل ،

(اوما وأقسم (رجل اوما) له (أي لأي-اناتم) ، (وهذا هو قسم رجل

أوما ل(أي-اناتم) : (لحياة انليل) ، ملك السماء والأرض سآكل

¹ أنطون مرتكات ، المرجع السابق ، ص ص 60-61.

² Harmut Schmokel ,op-cit,p 273, Fougère Gustave, op-cit, pp82,88, Paul Garelli ,op-cit ,pp 74,76. .

من حقول (نجرسو) إلى حد (كارو)* واحدا (فقط) ، وسأدعي (كحق
لي) بالمنطقة الممتدة إلى السدة القديمة (فقط) ، ولكن سوف لا انتهك
إلى ابد الأبدين حرمة حدود (نجرسو) قط ، كما لا أتجاوز على سدوده
وقنواته (التي تكون الحدود) كما لن اقتلع مسلاته (...).¹

ولقد دفع هذا الانتصار أياناتوم إلى استئناف القتال مع عدد من دويلات السومرية مثل: مدينة كيش وأور
وأوروك وآداب... الخ ، وتبعاً للنقوش التي عثر عليها، فقد شدد السيطرة على أور نظراً لأهميتها الاقتصادية
والتجارية ، ويعتقد أنه في نهاية حكمه هزم مدينة أكشاك ، وقتل ملكها "زوزو" وفتح مدينة نفر (نيبور) حينما
تقدم نحو الجنوب ، ولكنه يبقى افتراضاً وليس مؤكداً، وهكذا توج ملكاً على سومر² ، وفي هذا الصدد يشير النص
الآتي إلى توسعات أياناتوم وإنجازاته ب:

(أي-انام) فتح (عيلام) الجبل الشامخ وملاً تلال مدافنهم
....لقد قهر حاكم (اوروا) وفتح (الوركاء) وفتح (كي-اوتو)
وأحال (اوروا) إلى أرض خربة (و) قتل حاكمها ، وانزل الدمار في ميشيمه ، وهدم (اوروا) .
مع (أي-انام) الذي أعلن اسمه (نجرسو) تحاربت الأقطار
الأجنبية ، وفي السنة التي هب فيها ملك (أكشاك) للحرب ، سد
(أي-انام) الذي أعلن اسمه (نجرسو) ضربة ل (زوزو) ملك
(أكشاك) ... وقضى عليه ...
(أي-انام) انسي لجش ضرب (كيش) و(أكشاك) و (ماري) ...³

ولكن هذا الانتصار لم يدم طويلاً بعد وفاة الملك أياناتوم، إذ سرعان ما قامت أغلب المدن السومرية، وفي
مقدمتهم مدينة أوما بزعامة حاكمها -أورلوما "Urlluma" ابن الملك اينكالي -الذي خرج يطلب الثأر،
بهدف استعادة الأموال التي أخذها اهمل جش بموجب التسوية السابقة ، والتي لم يعترف بها أهل أوما ، واعتبروها
تسوية ظالمة فرضها أياناتوم بقوة السلاح، لذا آن الأوان لاستعادة الكرامة المهذورة والحق المفقود ، واستغل في

* الكور : وحدة قياس للسعة أو الأحجام يساوي نحو 300 لتر .

1 Samuel Noah Kramer , the Sumériens , op-cit , p445.

2 ديكانوف ي.م وآخرون ، المرجع السابق ، ص209 ، عبد الحميد زايد ، المرجع السابق ، ص38.

3 Samuel Noah Kramer , the Sumériens , op-cit , pp 443-444.

ذلك انشغال الحاكم الجديد "أياناتوم الأول" الذي حكم في حوالي [2424-2405 ق.م] بالأعمال الداخلية خاصة منها العمرانية¹، حيث قام بنقض المعاهدة المبرمة بين الطرفين في السابق لعدة أسباب من بينها :
- حصول أورلوما على دعم عسكري من أقطار أجنبية ضد مدينة لجش ، ويعتقد أن تكون هذه الإمدادات العسكرية قدمت من ملوك مدينة ماري* ، حيث قام أورلوما بإشراك قوات من المرتزقة كان قد استأجرها من قبل واستخدمها في حربه ضد مدينة لجش² .

- استغلال وفاة الملك الذي ذاع صيته في المجال العسكري أياناتوم ، وانشغال ابن أخيه أياناتوم الأول بالأعمال الداخلية (العمرانية)³ .

وعلى هذا الأساس قام بتحطيم المسلة المقامة على الحدود منذ سنوات ، وتدمير دور العبادة القائمة في ضواحي مدينة لجش ، ورفض دفع ضريبة الحدود، وسيطر على مياه القنوات التي تمر بمدينة لجش⁴ ، وفي هذا الصدد يقول النص : "أورلوما اقتلع من الماء (قناة الحدود) المسلات واحرقها وهدم مزارات الآلهة المكرسة ... وحصل على عون من الأقطار الأجنبية وأخيرا عبر قناة حدود نجرسو بسبب تلك الأعمال دخل أناناتوم في حرب معه"⁵ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن أياناتوم الأول حاول التصدي لهذه الحرب ، لكن و بسبب كبر سنّه لم يستطع صد جموع أوما على حد قول خليفته "أنتيمينا" "Entemena" 2395-2425 ق.م* ، هذا الأخير سار على

¹ عبد المنعم أبو بكر وآخرون، المرجع السابق، ص 271.

*مدينة ماري (تل حريري) : تحتل موقعا هاما في حوض الفرات الأوسط، وأهم مركز لتجمع العناصر السامية الغربية في وادي الفرات ، كما حظيت بأهمية سياسية منذ أقدم العصور خاصة ضمن عصر الأسرات السومرية المبكرة (2800-2370 ق.م)، إذ وردت في قائمة الملوك السومرية كاحدى المدن التي كانت مقرا للملكية بالبلاط ، وكشف فيها عن ستة معابد لمعبوداتها المحلية (عشتار، داجان) فضلا عن الكتابات النذرية المكتوبة باللغات السامية ، وقطع من اللازورد على شكل مغزل ، وعلى 20 ألف رقيم فخاري ، ومن أشهر ملوكها الساميين : ايكون-شمش ، إيبول-إيل، إيل-شو....، أنظر: محمد عبد اللطيف محمد علي ، سجلات ماري وما تلقيه من أضواء على التاريخ السياسي لمملكة ماري من حوالي 1850-1760 ق.م، الإسكندرية ، 1985 ، ص ص 10-11.

² سعدون عبد الهادي الأمير ، الأزمات السياسية الداخلية في العراق القديم (3000-539 ق.م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم ، تحت إشراف الأستاذ طالب منعم حبيب الشمري ، جامعة واسط ، 2005 ، ص 28.

³ Samuel Noah Kramer , the Sumériens , op-cit , pp 450-451.

⁴ عبد الحميد زايد، المرجع السابق، ص ص 41-42.

⁵ Samuel Noah Kramer , the Sumériens , op-cit , pp 450-451.

* حكم حوالي ثلاثين عاما (2425 ق.م-2395 ق.م) ، تذكر لنا الكتابات التاريخية انه عاصر حاكم مدينة "أدب" المسمى (لوكال اينميدو) و(لوكال كنيشه دودو) ملك أور، لقبه بعض المؤرخين بـ (المؤرخ الأول)، إذ أن النص الذي جاء في عهده ، والذي دون تاريخ الصراع بين لجش و أوما قد ثبت انه أول محاولة لكتابة التاريخ، حيث سجل فيه المعارك العسكرية التي وقعت بين المدينتين حول المياه والأراضي الزراعية...، أنظر: فاضل عبد الواحد

نفس خطى الملك السابق في الحرب وبسط النفوذ، وتروي الأساطير السومرية والنقوش القديمة التي عثر عليها في نيبور أن يد الإله إنليل اختارته من بين 3600 رجل¹، حيث تؤكد الوثائق النذرية المكتوبة على آجرة مشوية أو على المزهية الفضية التي حفظت في معبد نينجرسو، ورد فيها: "إلى نينجرسو محارب إنليل قدم إنتمينا إنزي لجش صفي قلب نانشي، كبير إنزي نينجرسو ابن أياناتوم إنزي لجش، الذي أحبه ملكه نينجرسو قدم مزهية من الفضة الخالصة.... ولأجل حياته قدمها إلى نينجرسو... في ذلك الوقت كان دودو كاهن نينجرسو"².

وقد استطاعت الوثيقة التاريخية للملك أنتيمينا أن تبين نهاية حاكم مدينة أوما " اورلوما " والهزيمة النكراء الذي لحقت به من خلال :

"أوقع به (أنتيمينا) بن (ان -انام) المحبوب الهزيمة ، عندئذ هرب

(اورلوما (على حين) قام (أنتيمينا) بذبح (جنود أوما) بعد أن

لاحقهم إلى داخل (أوما) نفسها (أضف إلى ذلك) إنه قام بالقضاء

(؟) على قواته (أي قوات أورلوما) المختارة (المؤلفة من) ستين جنديا ..."³ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك اختلاف بين المؤرخين حول نتائج هذه المعركة* ، حيث رافق ملك أوما الكاهن "إيلي" " ILI"***-رئيس كهنة زابلام "Zabalam" -في هذه المعركة ،وتقدم بالجيش نحو لجش ، أثبت فيها عن حنكته ومقدرته العسكرية حين نجح في الدخول لمعظم مناطق لجش ، وكاد النصر ان يكون حليفه لولا تلقي مدينة لجش المساعدة من حاكم الوركاء لوكال كينيشيدودو (lugal kinishedudu)⁴ ، مما أجبرت فيما

علي ، وسليمان ، عامر، عادات وتقاليد الشعوب القديمة، (الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، 1979، ص ص 120-121، فوزي رشيد ،

اوروكاجينا، المرجع السابق ، ص23

¹ديكانوف ي.م وآخرون ،المرجع السابق ،ص211.

²انطون مورتكات ،المرجع السابق ،ص62.

³

Samuel Noah Kramer , the Sumériens , op-cit , p451.

*تشير الأدلة المادية إلى سيطرة لجش على موقع أم العقارب ، حيث عثر فيها على أثر فيه إشارة إلى أمير من لجش يسمى (me-an-nez-si) ، ويعتقد انه يعود للملك أنتيمينا ، وقد ورد نفس الاسم على تمثال لأبيه أياناتوم الأول -معروض حاليا في المتحف العراقي - ، فضلا على ذلك عثر أيضا نقش دون بأمر من حاكم لجش لتكريس إنشاء معبد في أم العقارب ، وقد يكون لأحد آلهة لجش ، زيادة على ذلك عثر على نص صغير ذكر فيه

الكاهن دودو (dudu) الذي كان في تلك الفترة كبير كهنة معبد نينجرسو في لجش ...،أنظر: Haider A. Urebi , op-cit,p 94

***إيلي : هو ابن اخ الحاكم أورلوما ، إذ تشير أحد النصوص المسمارية بقولها: " إلى الإله ... إلى الملك ... ابن أي أندانو حفيد ان كال بني له معبدا" ، كان رئيسا لمعبد زابلام Zabalam التي تمثلها اليوم خرائب ابيخ ، والواقعة شمالي مدينة أوما ، ونظرا لرئاسته للمعبد سمحت له بأن تكون لديه السلطة الإدارية في المدينة ، وفي أثناء الحرب مع لجش ، عينه أورلوما قائدا لأحد أجنحة الجيش ، لكنه انسحب بجيشه بعد انهزام الجناح الآخر الذي كان يقوده اورلوما ، ويعتقد أن سبب انسحابه مرتبطا بصفقة سياسية مع أنتيمينا لكي يساعده في استلام عرش اوما ، وبالفعل أصبح حاكما عليها بعد هزيمة أورلوما..، أنظر: عبد الكريم عبد الله ،المرجع السابق ،ص74.

⁴ طه باقر ، مقدمة في تاريخ...، ج1 ، المرجع السابق ، ص 320.

بعد أورلوما على الفرار إلى أوما ، وبالتحديد إلى موقع عرف باسم "جانا-أوجيجا" "Gana-Uggegga" ، هذا الانسحاب عزز مكانة الكاهن "إيلي" ، وبالمقابل لا يعرف مصير أورلوما هل توفي أثناء المعركة أو بعدها مباشرة ، حيث اختفى من مسرح الأحداث فاسحا المجال للكاهن إيلي لتقلد الحكم ، فمجرد رجوعه إلى أوما عيّن حاكما عليها وزوج ابنه - كاش كيدو - من ابنة الملك أورلوما (برا أيروم) ¹.

وتذكر الدراسات التاريخية أن سبب نشوب الصراع مرة أخرى بين مدينتي لجش وأوما في هذه المرحلة إلى: - جدول المياه الذي يفصل بين المدينتين ، حيث خاطب أئتمينا حاكم أوما -إيلي- يخبره أن الجدول الفاصل بين المدينتين هو الحدود الأصلية بينهما، غير أن "إيلي" أجابه بأن هذه الحدود غير صحيحة، وأنه يجب أن تصل حدود أوما إلى معبد (أنتاسورا) خارج أسوار لجش ، و بأن جميع سهل (كوآدينا) يعود إليه ² . - في حين يجبرنا نقش آخر أن سكان أوما لم يدفعوا الجزية التي وعدوا بها أئتمينا وكسروا حجر الحدود ، ومنعوا المياه عن خندق الحدود ، واستطاعوا التوغل إلى مسافات بعيدة داخل أراضي لجش ³.

والجدير بالذكر أن الصراع انتهى بطريقة سلمية ، حيث تمكن الطرفان من تسوية الأمور بينهما عن طريق طرف ثالث يحتمل أن يكون احد الحكام من غير السومريين إلى الشمال من بلاد سومر ، وبموجب التسوية الجديدة حافظت لجش على الحدود القديمة ، ولكن لم يرد في التسوية الجديدة أي شيء عن الضريبة التي كانت مفروضة سابقا ، كما قام ائتمينا في هذه المرة بحفر نهر كبير يأخذ مياهه من نهر الدجلة ليضمن موارد المياه لدولة لجش دون الاعتماد على النهر القديم المتنازع عليه ، ويعتقد أن النهر الجديد هو أصل نهر الغراف الحالي ⁴ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن فترة حكمه تميزت بين الصراع و الصداقة مع المدن السومرية مثل: مدينة آداب التي صاحب فيها حاكمها (لوكال -آن-مندو) "Lugal-Anne-Mundu" ، إذ تبادل معه الهدايا بسبب وجود صداقة قديمة بين البلدين .

كما تعايش أيضا مع المقاطعات الشرقية بصداقة وحسن الجوار، حيث تحالف مع ملك مدينة أوروك (الوركاء) الذي يدعى (أن شاكوش أنا) وأطلق عليه لقب اين لوكال أو لقب لوكال كيش وكذا مع ملك مدينة أور ⁵

¹ صمويل نوح كيرمر ، من ألواح سومر ، المصدر السابق ، ص 97.

² عبد الحميد زايد ، المرجع السابق ، ص 42 ، ديكانوف ي.م وآخرون ، المرجع السابق ، ص 211.

³ صمويل نوح كيرمر ، من ألواح سومر ، المرجع السابق ، ص 98.

⁴ طه باقر ، مقدمة في تاريخ، ج 1 ، المرجع السابق ، ص 320.

⁵ ديكانوف ي.م وآخرون ، المرجع السابق ، ص 212.

(ب) المرحلة الثانية [2357-2395ق.م] : تبدأ هذه المرحلة من عهد الملك أناناتوم الثاني* -ابن الملك

أنتيمينا- إلى غاية نهاية حكم أوروكاجينا على يد لوكال زاجيري سنة ، اتسمت هذه المرحلة بظهور بوادر الضعف على البلاط الملكي في لجش خاصة بعد وفاة الملك أنتيمينا ، وخلفه في الحكم حكام ضعفاء أولهم ابنه أناناتوم

الثاني الذي أعقبه حاکمان آخران لم يدم حكمهما فترة طويلة هما (آينيتارزي)** و(لوغال آندا)***¹.

و الجدير بالذكر أن أخبار سلالة لجش الأولى تنقطع ، واقتصرت فقط على الأخبار الاقتصادية والتجارية والدينية ، حيث عادت سلطة المعبد من جديد ببروز شخصيات دينية مثل :-دودو -الكاهن الأعلى لنيجرسو و أنتارزي الذين شاركوا الحكام حكمهم إن لم يكن قد طغوا على نفوذهم فعلاً².

وحسب الدراسات التاريخية أن العلاقات بين لجش واوما في عهد لوغال آندا الذي حكم في حوالي [2355-2370ق.م] كانت طيبة وغير متوترة بدليل أن جماعات من سكان اوما قد سكنوا لجش وتمتعوا بالحقوق المدنية والدينية الكاملة³، لكن أدت أعمال هذا الأخير إلى استياء الجماهير الشعبية خاصة طبقة المحاربين وقيامها بثورة شعبية تحت زعامة أوروكاجينا (أور-أنمكينا) ، هذا الأخير الذي كان يتباهى بأنه وهب شعبه

* أناناتوم الثاني / ايا ناتوم الثاني : هو ابن انتيمينا ، حكم مدة عشر سنوات (2385-2395ق.م) ، تقلد الحكم بطريقة سلمية عن طريق مبدأ الوراثة بين الأب والابن ، حيث يذكر النص السومري : "انتيمينا -ابنه المحبوب ايناتم" ،... أنظر: Nicola Lanri and others , Preforming Death, 2 ed, USA(Chicago), press , 2008, p195.

** آينيتارزي : جاء بعد حكم اياناتوم الثاني ، ينتمي إلى طبقة الكهنة ، حكم مدة عشر سنوات ، أي من 2385ق.م -2375ق.م ، ولا نعلم بالضبط علاقته بالملك الذي قبله ، ولا آلية التداول التي وصل من خلالها إلى الحكم ،... أنظر : طه باقر، مقدمة في تاريخ ... ، ج 1 ، المرجع السابق ، ص 320.

***لوغال آندا : هو ابن الكاهن الأعلى أنتارزي الذي خلف الكاهن دودو ، وتلقب بلقب الإنسي ، حكم حوالي عشر سنوات من (2375-2365ق.م) وزوجته برانامترا "Barnam tarra" التي حظيت بمكانة اجتماعية بارزة، إذ كانت تدير شؤون المعابد في لجش، كما أشار الحاكم أوروكاجينا (أوروانمكينا) في كتاباته إلى ما تملكه زوجة (لوكال بندا) هي وأولادها من حقوق ، وتذكر المصادر الكتابية أنها تبادلت الهدايا مع زوجة حاكم مدينة (ادب)، وذكر أوروانمكينا أنها عاشت سنتين في عهده، فضلاً على أنه بدأت تتركز شخصية واحدة وظيفية الملك والكاهن الأعلى ، حيث تعدى على حقوق المشاعيات لمصلحة الأقوياء وفرض الضرائب غير الشرعية لحسابه وحساب الكهنة ، وطلبوا رسوماً باهظة لدفن الموتى ،...، أنظر:ديكانوف ي.م وآخرون المرجع السابق، صص 219، 212 ، عبد الرضا الطعان، المرجع السابق، ص 171.

¹ علي شحيلات ، عبد العزيز الياس الحمداني ، المرجع السابق ، ص 73.

² ل.ديلابورت ، المرجع السابق ، صص 29-30.

³ سامي سعيد الأحمد ، السومريون ، المرجع السابق ، ص 14.

**** أوروكاجينا [2357-2365ق.م] : ينتمي إلى طبقة الكهنة ، وبالرغم من قصر فترة حكمه التي لم تدم إلا ثمانية أعوام أو سبع سنوات ، إلا أنه لقب نفسه بلقب لوكال ، فضلاً على أن طريقة انتقال الحكم إليه فيه اختلاف ، فهناك من يرجعه أنه كان عن طريق انقلاب عسكري من خلال

الحرية والعدالة الاجتماعية التي فقدت في عهد أسلافه¹، حيث استطاع تحرير المواطنين من استغلال المتسلطين ومن الكهنة المستبدين ، ولأول مرة ظهرت كلمة "تحرير الإنسان"، اشتهر بإصلاحاته الاجتماعية في هذه المدينة² لكن السؤال المطروح : ما هو الهدف من وراء سنّ مثل هذه القوانين ؟ وفي هذه الفترة بالتحديد ؟ وما هو محتواها؟

1- إصلاحات أوروكاجينا : تعتبر هذه الإصلاحات من أهم الأعمال التي شهدتها بلاد سومر في عصر فجر

السلالات ، حيث أسرع أوروكاجينا إلى تطبيقها وتغيير الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كانت تعيشها لجش حتى لا يترك الفرصة لمدينة اوما التي كانت تتحين الفترة المناسبة للهجوم عليها، من خلال القضاء على الظلم الاجتماعي الذي كان يمارسه الكهنة والحكام ضد العامة والفقراء ، فضلا على التمايز الطبقي والفساد الإداري ، و من أهم الأسباب التي أدت بأوروكاجينا إلى سن هذه الإصلاحات إلى :

-الأزمات الاقتصادية التي حلت بالبلاد ، ومحاوله الحكام زيادة أنواع وكميات الضرائب المفروضة على المواطنين بهدف جمع الأموال اللازمة وإنفاقها على حياة البذخ والإسراف التي اعتادوها في عهد انتصاراتهم العسكرية ، وتدفق الأموال عليهم³ .

-مخاربة ابتزاز الكهنة الذين دأبوا على اضطهاد الناس وسيطروا على أملاك المعبد.

-سوء الإدارة في الحكم .

-استغلال الموظفين لأبناء الشعب قد بلغ ذروته ، بحيث أصبح الناس في وضع نفسي سيء الذي لا يساعدهم في البذل والعطاء أو ممارسة أعمالهم الاعتيادية .

انه الملك كان ينتمي إلى طبقة الكهنة ، ولكن الكهنة استمروا في ابتزاز ثروات الشعب ، ومعهم الحكام الذين استفادوا كثيرا من سلطتهم ، لذلك قام هذا الأخير بانقلاب عسكري بعد حصوله على تأييد ورضى طبقة المحاربين الذين سعوا إلى تطبيق العدالة ، في حين البعض يرجعونه عن طريق الثورة الشعبية ، حيث وصل أوروكاجينا حسب المصادر التاريخية إلى الحكم في وسط حالة تدمر سائدة من قبل جمهور الناس ، وأن هذه الفئة وجدت فيه القائد الذي يخلصها من أوضاعها المزرية وظروفها السيئة ، في حين البعض يعتبرون وصوله إلى السلطة كان عن طريق الانتخاب أو الاختيار الإلهي ، حيث أشار في كتاباته التاريخية إلى أن الإله -ننجرسو- اله مدينة لجش قد اختاره من بين 3600 رجلا من بين المرشحين للحكم ، وفي هذا الصدد يقول أوروكاجينا : "من أجل نينجرسو جندي إنليل المحارب بنى أوروكاجينا ملك لجش قصر تيراش ، وبنى لها انتسورا نوبني معبد بورساج ، وبنى معبد ننورها ، بنى لها مالور المدينة المقدسة ، ومن أجل نانشي حفر القناة التي تجري إلى نانشي ، فقاتها المحبوبة التي جعل أحواضها مثل عرض البحار ، بنى سور جيرسو (وسط مدينة لجش) منذ الأزمان القديمة ومنذ البداية في ذلك الحين سكن البحارة على سفنهم والرعاة بين الحمير والرعاة بين الأغنام ، وسكن صيادو السمك عند وكال كهنة باشيشو ...حجوب...وضحى رعاة الغنم بالمال بدلا من النعجة البيضاء التي افتقرت إليها قطعانهم"...، أنظر: طه باقر ،

مقدمة في تاريخ، ج1، المرجع السابق ، ص 321، أنطون مورتكات ، المرجع السابق ، ص64

¹ برهان الدين دلوو ، المرجع السابق ، ص215، ول ديورانت ، المرجع السابق 17.

² عمر صبحي عبد الحي ، المرجع السابق ، ص150.

³ عامر سليمان وأحمد مالك الفتیان ، المرجع السابق ، ص 79.

- حالة البؤس التي حلت بطبقة العمال والصناع ، وأصبحوا يستجدون الطعام ويأكلون فضلات الطعام التي ترمى على أبواب المدينة ، في حين أن مخازن الحكام وبيوتهم وأملاك حاشيتهم كانت تفيض بالخيرات .
- كثرة فرض الضرائب على السكان¹ .

- تعاضم سلطة الكهنة منذ وفاة أياناتوم الأول ، وبداية الصراع فيما بين الملوك والكهنة ، وممارسة الكهنة الظلم الاقتصادي والاجتماعي على الفقراء واليتامى والأرامل.

2- بنود الإصلاحات : تضمنت هذه الإصلاحات جملة من البنود ، ولعل أبرزها مايلي :

- تخفيف الضرائب المفروضة على عامة الناس سواء التي كانت تذهب إلى الحكام وموظفيه وحاشيته ، أم الرسوم الباهضة التي فرضها الكهنة في حوادث الأحوال الشخصية ، وفي مقدمتها الزواج ، الطلاق ، دفن الموتى ، كما أعفى أصحاب الأغنام الذين يجزون أصواف أغنامهم تحت إشراف القصر من دفع الأجور الإضافية ، واكتفى بأخذ الصوف فقط ، لأن صناعة الأنسجة عموماً كانت بيد الدولة .

- تحديد استحواذ الحكام على أملاك المعابد .

- تحديد سلطات الطبقة الحاكمة التي كان الملك على رأسها² .

- معالجة الجرائم وتنظيم العقوبات الخاصة بها ، والقضاء على الفساد الإداري عن طريق طرد كل الموظفين الذين كانوا يشرعون على السفن والحمير والأغنام ، وطرده كذلك جباة الضرائب الخاصة بصيد الأسماك ، كما سمح للموظفين الصغار العاملين على خدمة أجهزة الدولة للحصول على الحملان التي كانت تقدم من قبلهم قرايين للآلهة

- أجبر الكهنة للعمل على جمع محصول الشعير ووزنه ، كما أجبر قوات الحاكم الذين استولوا من قبل على محصول الشعير على دفع ضريبة إلى القصر بخصوص المواد الأخرى غير الشعير³ .

- فرض عقوبة الرجم على المرأة التي تتزوج بأكثر من زوج (الزنا) .

- حرية البيع والشراء ، وعدم الإكراه على البيع ، وعدم قطع الأشجار وأخذ ثمارها دون موافقة أصحابها .

- العفو العام عن المسجونين والموقوفين بسبب ديونهم السابقة أو بسبب استحقاق ضرائب القصر عليهم .

- إبطال الضريبة التي كان قد فرضها الحكام على الرجل الذي يطلق امرأته .

- فرض عقوبة الرجم على السارق .

¹علي شحيلات ،عبد العزيز الياس الحمداني ، المرجع السابق ، ص75.

²هاري ساكنز ، المرجع السابق ، ص 67.

³فوزي رشيد ، اروكاجينا ، المرجع السابق ، ص ص 15-16.

- عزل الموكلين بالملاحين ومنع الاستيلاء على قواربهم .

- حرم على رئيس الرعاة الاستحواذ على قطعان الرعاة التي تعود ملكيتها إلى عامة الناس¹ .

- منع أعمال السخرة التي كانت تفرض على الفقراء والضعفاء، وحتى العميان منهم من جانب وكلاء الحكام الذين بلغت بهم القسوة إلا أنهم كانوا لا يجهزونهم بما يحتاجون إليه من قوت أو طعام .

ومما تجدر الإشارة إليه أن إصلاحات أورو كاجينا (أورو انمكينا) تمثل أقدم محاولات الحكام والملوك نحو إصلاح الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، وتنظيم العلاقات التي تربط أفراد المجتمع، ومنع الاستغلال وسوء استخدام الوظيفة في مدينة لجش، لكن في سنة حكمه الأخيرة، وأمام ازدياد قوة أوما بزعامة ملكها لوكال زاجيري [2334-2359 ق.م]، و تراجع قوته وتقلص نفوذه أمام زحف لوكال زاجيري بجيشه، اتخذ لنفسه لقب (ملك جرسو/ كرسو)، كما أن إصلاحاته لم يعطى لها الوقت الكافي لتؤتى بثمارها في استتباب الأمن والاستقرار، كما أنها لاقت مقاومة و معارضة من جانب الطبقات الثرية والكهنة، وأحدثت خللا كبيرا داخل لجش مما استغله حاكم أوما زاجيري للتدخل² .

3- ظهور لوكال زاجيري* ونهاية الصراع بين لجش وأوما : أنهى لوكال زاجيري / زاكيري الصراع الطويل بين

مدينتي أوما ولجش، والذي استمر تقريبا قرنا من الزمن، حيث سيطر على جميع المدن التابعة للملك أورو كاجينا ما عدا مدينة جرسو (كرسو) التي تحصن فيها الملك أورو كاجينا³ .

والجدير بالذكر أن سبب هذه الحرب تعود إلى المبادئ السياسية، وارتباط لوكال زاجيري و أورو كاجينا مع نبلاء كهنة المعابد، فضلا عن الاضطرابات الداخلية التي سادت لجش في أواخر عهده، واتسم هذا الصراع بالشدّة والاستمرارية، بعدما أظهر لوكال زاجيري عن قوته العسكرية وحنكته السياسية في اتخاذ القرارات المناسبة،

¹ طه باقر، مقدمة في تاريخ...، ج1، المرجع السابق، ص 322..

² عبد الرضا الطعان، المرجع السابق، ص ص 94-95.

* لوكال زاجيري / زاكيري: هو آخر حكام مدينة أوما، ومؤسس سلالة الوركاء الثالثة، حكم نحو 25 سنة، كان ينتمي إلى طبقة الكهنة، حيث كان أبوه (أواوا) والقراءة السابقة له (بوبو) كاهن الإلهة (نيسابا)، وهو على الأرجح يعود لأصول جزرية (أكديّة)، عمل لوكال زاكيري مع والده في منصب الكهنوتية، ولكن قابليته العسكرية مكنته لاحقا من تبوأ مركز الحكم في دويلة أوما، ولكي يضيف على نفسه هالة من القدسية والتبجيل على حكمه ادعى في إحدى نصوصه انه المولود من الإلهة نيسابا، والذي أعجب به الإله أوتو، وأنه مقرب من الآلهة العظام الذين تفضلوا عليه بالقوة والحكمة والاسم المبجل بين الأسماء، وفي نص آخر منقوش على إناء مكرس للإله إنليل: "إن الإله انليل، ملك كل الأقطار، أعطى لأمره المحبوب لوكال زاجيري، ملكية البلاد ووجهه إليه أعين الناس (سكان البلاد) من الشرق إلى الغرب (من شروق الشمس إلى غروب الشمس)..."، اتخذ لنفسه العديد من الألقاب الملكية ذات الطابع الديني والكهنوتي مثل: لقب ملك الوركاء، ملك الأقاليم، ملك سومر ملك الجهات الأربع، حكم تحت إمرته 50 حاكما، لذا يسمى عصره (عصر بدء الإمبراطوريات)...، أنظر: قيس حاتم هاني الجنابي، المرجع السابق، ص 128، طه باقر، مقدمة في تاريخ...، ج1، المرجع السابق، ص 111، هاري ساكرز، المرجع السابق، ص 67.

³ علي شحيلات، عبد العزيز الياس الحمداني، المرجع السابق، ص 82.

وبراعة في فنون الحرب ، حيث جهز جيشاً منظماً واتجه به نحو مدن لجش التي أسقطها الواحدة تلو الأخرى ، وعمل فيها بالسيف وأضرم فيها النار وأحرق ونهب مبانيها ، وحطم كل ما وقع تحت يديه من المعابد والتماثيل والمسكن ، وذبح القاطنين بها على الطرقات¹ .

وهناك اختلاف بين المؤرخين حول مصير الملك اوروكاجينا بعد نهاية المعركة ، حيث يرى البعض انه تمكن من النجاة بحياته ، في حين البعض يعتقد انه قتل فيها² ، كما أنه خلف نصاً طويلاً يمثل رثاء ما حلّ بمدينة لجش ومعابدها وأهلها ، و ما حلّ ببقية المدن الأخرى ، وينزل اللعنات الإلهية في نفس الوقت على أعمال لوكال زاجيري ، وما اقترفه من قتل وحرق وتدمير ، حيث جاء في النص :

"لقد أشعل رجل أوما النار في أيكسورا ، وأشعل النار في الأنتاسورا ، ونهب معدنه الثمين وحجره اللازوردي الثمين ، لقد استولى على قصر تيراش ، ووضع يديه على الأنبروندا ، لقد استولى على مزار أورما ، عرش انليل ، وعلى عرش أوتو ، لقد استولى على أحوش ، ونهب معدنه الثمين وحجره اللازوردي الثمين ، لقد وضع يديه على الأيبابار ، ونهب معدنه الثمين ، وحجره الأزوردي الثمين ... " ، ثم في نهاية النص يتوجه بالدعاء إلى آلهة لوكال زاكيري عسى أن توقع العقوبة عليه جراء لاعتداءاته على المدينة جاء فيه : (لان رجل أوما دمر آجر لجش ، فإنه قد ارتكب إثماً بحق الإله نجرسو ، إنه (أي الإله نجرسو) سيقطع اليدين اللتين تطاولتا عليه ، إنه ليس ذنب أوروأنمكينا ملك كرسو ، عسى أن تجعله نيسابا إلهة لوكال زاكيري ، إنسي أوما يتحمل مسؤولية هذه الآثام جميعها)³ .

وفي موقف آخر يصور أحد كتبة لجش هذا المشهد على لسان ملكه ، عقب ذلك بقوله: "أذى رجال أوما لجش فأثموا في حق نينجرسو " وتوعدّ القصاص العادل فتنبأ لهم بأنهم سوف يفقدون بأسهم ويبرر بأنه ما من ذنب جناه ربه أو ملكه، ملك جيسو، ولكن الذنب كله ذنب زاجيري ومعه آلهته نيدابا أو نيسابا فوق عنقها⁴ .

ولما كان رثاء المدن والسلالات من بين المواضيع الأدبية الشائعة ، فقد رثى الشاعر السومري "دانجردامو"

مدينة لجش بقصيدة من أقدم القصائد المعروفة ، حيث يقول فيها:

-واسفاه ؟ إن نفسي لتذوب حسرة على المدينة والكنوز .

-واسفاه ؟ إن نفسي لتذوب حسرة على مدينتي جرسو(لجش) وعلى الكنوز .

¹ طه باقر ، مقدمة في تاريخ... ، ج1 ، المرجع السابق ، ص323.

² سامي سعيد الأحمد ، السومريون ، المرجع السابق ، ص 15.

³ Sauel Noah Kramer , the sumériens , op-cit , p463.

⁴ عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص603.

- إن الأطفال في جرسو المقدسة لفي بؤس شديد.

- لقد استقر الغازي في الضريح الأفخم .

- وجاء بالملكة المعظمة من معبدها .

- أي سيدة مدينتي المقفرة الموحشة متى تعودين؟¹

ومن أهم الأسباب التي ساعدت لوكال زاجيري على تحقيق الانتصار على مدينة لجش ترجع إلى :

- القوة العسكرية التي تمتع بها الملك لوكال زاجيري ، حيث اثبت نجاحه في تولي مقاليد الحكم في أوما على الرغم

من أصوله الكهنوتية ، فضلا على أن النجاح في السيطرة على لجش يتطلب كفاءة عسكرية وذكاء ميدانا .

- الأوضاع الداخلية لدويلة لجش ، إذ أن الإصلاحات التي قام بها اوروكاجينا لاقت مقاومة من الطبقات المتنفذة ،

هذه الأخيرة كانت تتمتع بامتيازات كثيرة ، فأحدثت الفوضى وعدم الاستقرار² .

ومما تجدر الإشارة إليه انه طوال مدة حكم لوكال زاجيري الطويلة والتي قدرت بحوالي 25 سنة اتبع سياسة

الفتوحات العسكرية³ ، مما أدى إلى توتر العلاقات السياسية والعسكرية بين أوما وبقية المدن السومرية بسبب

السياسة التي انتهجها في توحيد البلاد تحت سلطانه، حيث قام بتجهيز جيشه وقيادته بنفسه باتجاه مدينة كيش

للسيطرة على شبكة القنوات الشمالية من بلاد سومر ، ويذكر في نقوشه أن الإله إنليل وهبه المنطقة من البحر

الأسفل بمحاذاة الدجلة والفرات حتى البحر الأعلى ، وأن الطريق من الدجلة إلى الخليج قد اعترضها مدينة لجش

، ولم تذكر نقوش لوكال زاجيري حروبه مع أي مدينة على الفرات ليس فقط شمال كيش ، وإنما على القنوات أيضا

في الجزء الشمالي من جنوب بلاد النهرين⁴ .

كما قام باحتلال مدينة أور و أوروك (الوركاء) وأسس فيها سلالة الوركاء الثالثة⁵ ، ونقل مركز نشاطه إليها لمكانتها

الحضارية والعقائدية القديمة، واعتبر نفسه ملكا على سومر "لوكال كالاما" أو "ملك الأقاليم" مدعيا أن أرباب

سومر رعته ورددت اسمه ونصبته في هياكلهم حاكما للبلاد كلها، وأنه إله أوروك الأكبر⁶ .

¹ سامي ريجانا، المرجع السابق، ص 66.

² هاري ساكر ، المرجع السابق ، ص 67.

³ Benjamin w. porter and Alexis T.Boutin , op-cit ,p68.

⁴ ديكانوف ي.م وآخرون ، المرجع السابق ، ص 224.

⁵ Benjamin w. porter and Alexis T.Boutin , op-cit ,p68.

⁶ ل.ديلابورت ، المرجع السابق ، ص 19.

ثم سيطر على مدينة نيبور (نفر) وآداب وأريديو ولارسا وجميع المدن الواقعة في أسفل الفرات، وأجبر سكانها باعتراف بسلطانه، وبذلك حقق انتصارا سياسيا وعسكريا لمدينة أوما، ومنذ هذه اللحظة أصبح يسمى لوكال أوروك ولوكال البلاد¹.

وفي هذا الصدد كتب أحد رجاله على لسانه أنه: "عندما عهد إنليل رب الدنيا بملكية هذه الأرض إلى لوكال زاكيري، أقدم العدالة على الأرض وغلب بأسه البلاد من مشرق الشمس إلى مغربها وفرض الجزية على أهلها، وحققت السيادة لإنليل حينئذ من البحر الأسفل (الخليج العربي) الدجلة والفرات إلى البحر الأعلى (البحر المتوسط أو بحر قزوين)، وأسفرت أحوال البلاد في سلام، وسقيت ماء الأرض بماء السعادة، وجميع معابد سومر² وبالفعل استطاع هذا الملك بعد تحطيم لجش من مواصلة الحرب والقتال حتى وصل الخليج الفارسي في الجنوب، واستمر في غاراته نحو الشمال حتى وصل سوريا، وتدل آثاره أنه كان يلتمس من الآلهة أن تمنحه في كرم جند مثل عشب الحقل في كثرته وألا تغير حظه السعيد بقوله: "أدام (الإله) عمري أمد الحياة، ونشر السلام على الأرض، وأزاد الجنود (أو الناس) بعدد حشائش الأرض"³، ويشير النص التالي إلى المناطق التي وصل إليها: "عندما وهبه إنليل ملك البلدان.... ووجه إليه أنظار الأمة وجعل

كل فرد من حيث تشرق الشمس إلى حيثما تغيب، يستسلم له

بعد هذا ضم إليه كل شخص من البحر الأسفل وعلى امتداد

دجلة والفرات حتى البحر الأعلى... ولم يبق له منافس.... وكل

الحكام والأمراء انحنوا أمامه"⁴.

و على هذا الأساس استطاع أن يخضع لحكمه المنطقة الممتدة من البحر المتوسط إلى الخليج العربي محاولا بذلك تأسيس إمبراطورية واسعة أو إقامة دولة القطر الواحد، ونقل عاصمته إلى مدينة الوركاء، واعتبر نفسه ملكا على سومر، لكنها لم تعمر طويلا بسبب قضاء سرجون الأكادي عليه سنة 2370 ق.م، ليبدأ عصر جديد في

¹ ديكانونف ي.م وآخرون، المرجع السابق، ص225، حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص13.

² عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص604.

³ عبد المنعم أبو بكر وآخرون، المرجع السابق، ص272.

⁴ سعدون عبد الهادي الأمير، المرجع السابق، ص34.

تاريخ وحضارة بلاد ما بين النهرين عرف باسم العصر الأكادي ،فانتقلت السلطة السياسية من السومريين إلى الأكاديين الساميين،وظهرت دولة القطر الواحد.

ومما تقدم يمكننا القول أن لوكال زاجيري يعد أول من أسس مملكة موحدة في بلاد الرافدين ، وأرسى دعائم الوحدة السياسية والحضارية لبلاد الرافدين عن طريق دمج دويلات المدن السومرية في كيان سياسي موحد ، وإقامة دولة القطر الواحد ، وبذلك فإن عصره يعد بمثابة الطليعة الأولى لظهور الدولة المركزية التي أرسى أسسها ودعائمها فيما بعد الملك سرجون الأكادي .

4-نتائج الصراع وتأثيره في انهيار الدولة المدنية السومرية : من أهم النتائج المترتبة عن الصراع الذي كان بين

مدينتي أوما ولجش ما يلي :

-القضاء على نظام الدولة المدنية السومرية ، وعن حالة الانقسام والتفكك الذي كان سائدا بين المدن السومرية ، حيث بمجرد أن اعتلى لوكال زاجيري الحكم تبنى فكرة الوحدة الوطنية في بلاد سومر ، من خلال بسط سيطرته على العديد من المدن السومرية ، وتلقيب نفسه ب لوكال كالاما (ملك الأقاليم أو البلاد) ¹.

-توج هذا الصراع بظهور لأول مرة في بلاد سومر إصلاحات اجتماعية واقتصادية من قبل الحاكم أوروكا جينا .

-كانت نهاية الملك لوكال زاجيري على يد ملك قوي آخر هو الملك الأكادي سرجون (شاروكين) مؤسس السلالة الاكدية (2370-2112 ق.م) ، هذا الأخير الذي تمكن من تجهيز جيش قاده من مدينة كيش في حملة عسكرية ضد لوكال زاكيري ، وما كان منه إلا الانسحاب بجيشه من مدينة الوركاء ، وحصل على مساعدة من خمسين أميرا ، قدموا من مقاطعات متعددة ، إلا أن سرجون الاكدي وجيشه تمكنوا من إيقاع خسائر كبيرة فيهم ، ويذكر في نص له كيف انه تمكن من أسر لوكال زاجيري واقتاده أسيرا مكبلا وأجلسه ذليلا عند بوابة الإله انليل في مدينة نفر ، ليلعنه كل من يدخل إليه ، وبذلك أنهى سرجون الاكدي حكم لوكال زاجيري ، وأنهى معه عصر فجر السلالات ، لتبدأ مرحلة جديدة من تاريخ بلاد الرافدين أطلق عليه العصر الاكدي الذي أرسى دعائم على نظام القطر الواحد ².

¹ سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، المرجع السابق ، ص20

² فوزي رشيد ، سرجون الاكدي (أول إمبراطور في العالم) ، دار ثقافة الأطفال ، بغداد ، 1990 ، ص30 ، Benjamin w.porter and Alexis ، T.Boutin , op-cit , pp68-69.

- تأثرت الأنشطة الاقتصادية للمدن السومرية كثيرا بالأوضاع المتدهورة التي اتسمت بها العلاقات بين أوما ولجش خاصة من جانب تأمين طرق مواصلاتها، والسيطرة على مواد الخام التي افتقرت إليها، وبالرغم من قلة المصادر والمراجع التي تتحدث عن طبيعة العلاقات الاقتصادية مقارنة بالعلاقات السياسية والعسكرية، إلا أن هناك إشارات تاريخية تؤكد مدى شهرة التجارة خاصة الداخلية منها والخارجية، حيث اشتهرت دويلة لجش بتجارة الأسماك الطرية والجحافة المملحة، بينما مدينة أوما تشتهر بإنتاج الدهون العضوية، وتصدر أعدادا كبيرة من الأغنام والماعز¹.

- مما تقدم يتضح لنا أن العلاقة بين دولتي لجش وأوما كانت علاقة عدائية تتخللها الحروب والنزاعات المستمرة والتي كان لها الأثر السلبي على اقتصاد دولة لجش، فقد أشارت النصوص الاقتصادية التي دونت في زمن الحاكم أنتيمينا أن كمية الحنطة المزروعة قد تقلصت إلى (سدس) محصول الحبوب، بسبب ارتفاع نسبة الملوحة بشكل سريع اثر على زراعة الحنطة، وان سبب هذه الزيادة في الملوحة من زمن انتيمينا هي النزاعات المستمرة بين دولتي لجش وأوما وتحكم أوما بمجرى المياه المتفرع من نهر الفرات، وعدم تمكن دولة لجش من السيطرة على المنطقة الحدودية بما فيها قناة المياه إلا لمدة مؤقتة، كما لم تتمكن لجش من منع أوما من وضع العراقيين أمام القنوات الفرعية التي كانت تسقي الحقول الزراعية، مما اضطر انتيمينا إلى شق قناة من نهر دجلة حتى المنطقة الحدودية لإيصال المياه للأراضي الزراعية².

ومن الأمور التي يجدر الإشارة لها أن هذه العلاقة المتوترة والحروب المستمرة لها آثار قاسية على سكان لجش، حيث تجاوز حكام لجش على حقوق المواطنين الشخصية، وفرضوا أقصى الضرائب لغرض تجهيز الجيش بالسلاح، كذلك اضطر حكام لجش إلى الاستيلاء على أملاك المعبد من دون أن يواجهوا مقاومة كبيرة، وقد استمرت هذه السياسة حتى في أوقات السلم، إذ أثبتت هذه السياسة أنها ذات منافع كبيرة للحكام وكبار الكهنة، في حين المواطنين يلقون في السجن في حالة عدم دفع الضرائب أو يتهموا بجريمة معينة³.

5- ظهور العاصمة أكاد وإخضاع الدويلات السومرية :

إن الانتصار الكبير الذي حققه لوكال زاجيري لم يدم طويلا بعد مدة دامت حوالي 25 سنة، حيث ظهر على مسرح الأحداث التاريخية رجل شاب لا يتجاوز العشرين عاما يدعى سرجون (شاروكين) الأكادي

¹ عامر سليمان وأحمد مالك الفتیان، المرجع السابق، ص 86، سامي ربحانا، المرجع السابق، ص 76.

² فوزي رشيد، الملك حمورابي مجدد وحدة البلاد، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، 1991، ص 22.

³ عامر سليمان، المرجع السابق، ص 143.

(Sharru-kin) (2279-2334ق.م) * الذي استطاع أن يقضي على الملك لوكال زاجيري ، وينتزع منه السلطة والزعامة¹ ، إذ ذكرت بعض الإشارات التي تدل على وجود معركة ضارية حدثت بين الملكين ، هذه المعارك كانت على شكل حملات متكررة وبمحدود أربعة وثلاثين حملة قام بها سرجون انتهت بانتصار هذا الأخير وجلب لوكال زاكيزي أسيراً كما سبق ذكره أمام معبد الإله إنليل².

وتختلف الدراسات التاريخية حول طريقة وصول سرجون الأكادي إلى الحكم هل بطريقة شرعية؟ أم عن طريق القوة والصرع؟.

أ/- الطريقة السلمية (الشرعية) : في هذا الصدد يشير الباحث علي فاضل أن سلالة كيش الرابعة استمرت في الحكم بعد أورزابا**، حيث كان سرجون الأكادي أثناءها مجرد مناوئ للسلطة الحاكمة ، وأنه لم يتمكن من إسقاط هذه السلالة³ ، وأن الذي قضى عليها كان لوكال زاجيري انطلاقاً من القوائم الملكية التي ذكرت سلالة الوركاء الثالثة مباشرة بعد سلالة كيش الرابعة في حكم بلاد سومر⁴ ، وليس السلالة الاكادية التي أسسها سرجون

* سرجون الأكادي : اسمه الحقيقي شاروكين ، وهذه التسمية في اللغة الاكادية تعني الملك الشرعي ، الثابت ، أو الصادق ، أعلن سرجون الأكادي نفسه ملكاً في ظروف غامضة ، ففي إحدى الروايات تنسبه إلى أب بدوي وأم منذورة للمعبد وتشير هذه الروايات أن أمه وضعت في سلة من الخلفاء ورمته ليطفوا في النهر وقد حمله بستاني وتناه ، نص آخر يذكر أنه : (كانت أمي ، حائفة كما لم أعرف أبي، عشق أخوة أبي التلال ، مدينتي هي أزوبيرانو الكائنة على شاطئ الفرات ، حملت أمي الحائفة بي ، وبالسر ولدتني فوضعتني في سلة من الأصل ، وبالقار ختمت غطائي، ومن ثم رميتني) أي أمي) في النهر ، الذي لم يغمرني فحملني النهر وأخذني ، إلى العراف آكي (Akki) ، فأخذني العراف آكي ابناً له ، وجعلني العراف آكي بستانيا عنده) ، في حين بعض المصادر تذكر أنه استغل تدهور الأوضاع السياسية التي كانت تعيشها المدن السومرية بسبب حروب لوكال زاجيري ، وانشغال هذا الأخير مجرّوبه مع المدن الجنوبية ، إذ ذكرت جداول إثبات الملوك السومرية : "كان أبوه بستانيا ، وصار ساقياً للملك أورزابا -ملك كيش -" ، ربه أحد مدراء الحقل الملكي ، ويعتقد أنه قاد ثورة ضد ملكه ربما في أعقابها هزم ملكه أورزابا ودمر قوة كيش ، وأعطى الحرية إلى شعب كيش ثم استقر في أكاد واتخذ لنفسه لقب ملك سومر وأكاد، وحكم حوالي 56 سنة...، أنظر: عبد الكريم عبد الله ، ألقاب حكام السلالات ، مجلة كلية الآداب ، بغداد ، 1978 ، ص 245، طه باقر ، مقدمة في تاريخ... ، ج 1، المرجع السابق ، ص 296.

¹ سعد عبود سمار ، باسم محمد حبيب طالب ، الأحوال السياسية لأوما من العصر الاكادي حتى نهاية سلالة أور الثالثة ، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ، ع 36، العراق ، 2011 ، ص 43.

² بوتيرو جين وآخرون ، الشرق الأدنى والحضارات المبكرة ، تر: عمار سليمان ، الموصل ، 1985 ، ص 112.

** أورزابا : هو الملك الثاني في السلالة الرابعة لمدينة كيش ، يعتقد أنه كان ناحت أحجاراً ، وليس من أسرة ملكية أو حاكمة ، فضلاً على أنه تم خلعه من طرف الملك لوكال زاكيزي ، أما فيما يخص الحكام الخمسة الذين جاءوا بعده ، فمن المحتمل أنهم حكموا تحت نفوذ لوكال زاكيزي ، ومن بعده سرجون الأكادي...، أنظر: هاري ساكرز ، عظمة بابل ، المرجع السابق ، ص 64 ، Benjamin w.porter and Alexis T.Boutin , op-cit , p67.

³ علي فاضل عبد الواحد ، الاكديون ، المصدر السابق ، ص 191.

Benjamin w.porter and Alexis T.Boutin , op-cit , p69.

الأكادي¹، وأن الساميين قد تسللوا ببطء فقط إلى داخل العراق ، ولم ينتبه إليهم حكام السومريين بدليل وجود بعض الأسماء والكلمات السامية منثورة في الألواح السومرية الراقية تعود إلى أواسط الألف الثالثة قبل الميلاد ، ولكن فيما بعد توصل الساميون* إلى بسط نفوذهم على المدن السومرية ومن بينها مدينة كيش التي كانت من ابرز مجال سلطاتهم ، وامتدت سيادتهم حتى تمكنوا من أن يغيروا مسار الأحداث².

في حين أن هناك رواية أخرى تذكر أن سرجون الأكادي نال رضا الإله مردوخ الذي غضب على ملك سلالة كيش الرابعة اورزبابا لأنه أهمل شعائر معبد الإله مردوخ المسمى (ايساكيلا) (E- sag-ila) في بابل³ ، وعلى هذا الأساس جعله مردوخ سيدا للبلاد وللعالم بدلا من اورزبابا، أي عن طريق الاختيار الإلهي ، حيث وهب لسرجون السلطة ودفعه إلى منصب الملوكية ، لكن هذه الفرضية تتعارض مع النص الذي أورده سرجون من قبل حول قصة ولادته ، التي تنوه أن الإلهة عشتار هي من اختارته للحكم وليس الإله مردوخ ، حيث يقول :

- وبينما كنت بستانيا

- وهبني عشتار حبها

¹ طه باقر ، مقدمة في تاريخ...، ج1، المرجع السابق ، ص 363.

* حاولت المصادر التاريخية إثبات من كان أقدم الأقوام استيطاناً في جنوبي العراق القديم السومريون أم الجزيريون؟ ، انطلاقاً من المخلفات الحضارية التي وجدت ببلاد الرافدين خاصة في مجال الكتابة منها ، نجد أن اللغة السومرية هي أقدم لغة دونت في حضارة العراق القديم ، حيث تعود إلى العصر الشبيه بالكثافي في حدود 3500 ق.م، ولهذا يمكننا القول أن السومريين هم من أقدم الأقوام استيطاناً في الجزء الجنوبي للعراق القديم ، حيث نزحوا إليه من المناطق الشمالية ، بعد أن اكتمل تكوينه فسي حدود 5000 ق.م ، وفي الوقت نفسه تعرض هذا الجزء إلى هجرات من المناطق الجنوبية والغربية من قبل القبائل الجزرية (السامية) ، وقد حصلت هذه الهجرة نحو الألف الخامس قبل الميلاد ، وهنا يجب التفريق بين مجموعتي الأقوام الجزرية في العراق القديم :

- المجموعة الأولى : هي التي هاجرت قبل العصور التاريخية، والتي استوطنت في العراق القديم ، في بواديه والهضبة الغربية المجاورة لمراكز العمران والحضارة، وصاروا زراعاً أو رعاة شبه مستقرين ، وربما في هذه المجموعة قبائل جزرية انصهرت مع السومريين، إلى درجة تولى الحكم احدهم ، و ذكرته جدول إثبات الملوك السومري وهو (الولم) ، في إحدى المدن السومرية وهي (ايزيدو).

- المجموعة الثانية : هي الهجرات الكبرى التي قدمت إلى العراق القديم ، التي استولت على مراكز الحكم فيه ، كالهجرات الأكادية والامورية .

والجدير بالذكر أن هناك نوع من الصراع السياسي والعسكري بين السومريين والجزيريين ، و انه موجود بشكل معين مع المجموعة الثانية ، أما المجموعة الأولى فيحكم الجوار والانصهار الثقافي ذابت الفوارق بين العرقين ، مع عدم إنكار وجود صراع بينهما في بداية احتكاكهما في عصور قبل التاريخ، لكن لم تصلنا أخباره لعدم وجود التدوين...، أنظر: احمد سوسه، الساميون والسومريون ، المرجع السابق ، ص84، طه باقر، مقدمة في تاريخ...، ج1، المرجع السابق ، ص69.

² عزمي سكر ، المرجع السابق ، ص 56.

³ طه باقر ، مقدمة في تاريخ...، ج1 ، المرجع السابق ، ص 363 .

-ومارست الملكية¹.

وهنالك نص مسماري يظهر كيفية اعتلاء سرجون على العرش جاء فيه :

-وجعلني الساقى أكي بستانياً عنده

-وعندما كنت بستانياً منحنتي عشتار حبها

-فاضطلعت بمهمة الملوكية خمسة وخمسين سنة

-لقد أسست وحكمت ذوي الرؤوس السود

-وقهرت الجبال الشاهقة بفؤوس قاطعة من البرونز

-تسلقت القمم العليا

-وعبرت القمم السفلى

-وطوفت حول بلدان البحر ثلاث مرات

-فأي كان الملك من بعدي

-فعسى أيسوس ويحكم ذوي الرؤوس السود²

ومما سبق ذكره نستنتج أن غرض سرجون الأكادي من هذه الرواية هي كسب عطف الناس إليه ، وكي يقنعهم بحب الآلهة له ومدى تقدير حاله ، حتى يضمني على حكمه الشرعية الدينية ، ويصبح سيّدا للبلاد ، وبهذا قد نال عطف وحب ورعاية الآلهة عشتار فضلاً عن أنه قد نال محبة الآلهة (مردوخ)³.

ب/ -الطريقة العسكرية : يمكننا القول أن تداول السلطة وانتقالها كان عن طريق تمرد سرجون على الملك ، بل انه استقل عن تبعيته لتلك السلالة فقط ، وبالتالي نشأة هذه الأزمة ترجع بالدرجة الأولى إلى التنافس على السلطة السياسية ، والتي انتهت بانفصال سرجون الأكادي عن سلطة أورزابا في كيش وتأسيسه سلالة جديدة

George Roux , the ancient Iraq , op-cit , pp208- 209.

B , Kiensat , A battle for susa, The Gulf in the Ancient Near East” , SMSB_ 1987 , p25 .

بوتيرو جين وآخرون ، المرجع السابق ، ص 113 .

في مدينة أكد ، وهو الاسم الذي أطلقه هذا الأخير على سلالته ، وعلى اللغة التي كان يتحدث بها ، وقد أصبحت هذه السلالة على درجة كبيرة من القوة ، حيث أخذت تتنافس على زعامة البلاد ، وكان الخصم آنذاك هو الملك لوكال زاجيري الذي قام بفرض نوع من الوحدة المركزية بقضائه على الدويلات السومرية¹.

1/ أسباب الصراع بين الطرفين : مع قلة المعلومات حول بداية التاريخ السياسي لسرجون الأكدي الذي يعتقد أنه استقل عن حكم ملك كيش ، اتجه إلى تقوية نفوذه و اتساع حكمه من خلال مهاجمة آشور ومناطق مدينة كركوك الحالية وأربيل ثم ضرب الكوتيين* ، في منطقة جبال زاغروس توجه بعدها جنوباً عن طريق شرق دجلة حتى الأهوار حيث أخذ في محاربة لوكال زاجيري ، ولعل من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور الصراع :

-التضارب الكبير في المصالح بين الأكاديين والسومريين حول التوسع في استغلال مياه نهر الفرات ، هذا الأخير أدى إلى توتر العلاقات بين الطرفين ووضع حد لدور العزلة والمسالمة الذي كان قائماً بين دويلات المدن السومرية وبين الأكاديين².

-المهجمة والاستبداد الذي مارسه لوكال زاجيري في المدن السومرية ، ومن بينها مدينة كيش التي سوف تنهض وتنشر هيمنتها عن طريق أحد أمرائها والذي يدعى سرجون الأكدي في حوالي 2350ق.م / 2331ق.م³.

-طموحات سرجون الأكدي إلى توحيد جميع المدن السومرية والأكادية في دولة مركزية واحدة ، وإلى اتخاذ التدابير اللازمة للقضاء على أي تمرد أو عصيان أو ثورة ضد الحكومة المركزية ، إضافة إلى ضمان أمن وسلامة الطرق الموصلة إلى مصادر المواد الخام ، بالإضافة إلى الوصول إلى أقاليم وبلدان الخليج العربي ، ومن ثم التوجه إلى الجهات الأخرى ، هذا الأمر أدى اصطدامه مع توسعات لوكال زاجيري⁴.

¹ طه باقر ، مقدمة في تاريخ... ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 362 . 363.

*الكوتيون : هم اقوام من جبال زاغروس المتاخمة لحدود العراق الشرقية مع إيران ، ولا يعرف على وجه التأكيد هل هم من الأقوام الهندوأوروبية أم لا؟ ، وكانوا يجاورون شعب جبلي آخر اسمه (اللؤلؤبو) الذين استقروا جنوب منطقة شهرزور ، ولم يخلف الكوتيون واثق مدونة بلغتهم ولا بأصلهم ، فلا يعرف على لغتهم شيء سوى أسماء ملوكهم الواردة في القوائم الملكية ، تمكنوا من دحر مدينة الوركاء ، ونقل الملكية اليهم...، أنظر : طه باقر ، مقدمة في تاريخ... ، ج1 ، المرجع السابق ، ص 375.

² بوتيرو جين وآخرون ، المرجع السابق ، ص 111.

³ عزمي سكر ، المرجع السابق ، ص 55.

⁴ عبد القادر محمد ، الساميون في العصور القديمة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1968 ، ص 70.

- كان في تنازع حكام المدن السومرية فرصة لدخول الساميين ، حيث تذرع سرجون الأكادي بحجة المعاملة السيئة التي لقيها رسله في قصر لوكال زاجيري ، فشنّ الحرب ضده وضد المدن السومرية الأخرى¹.

2- مجريات الصراع (الحرب) : بعد الذرائع التي تحجج بها سرجون الأكادي قام بالهجوم على العاصمة - الوركاء -، وتهدم أسوارها ومراكزها الأساسية في ظل غياب ملكها لوكال زاجيري الذي كان منشغلاً بحروبه مع المناطق الجنوبية ، لكن المدافعين عنها أجبروا على الفرار وتركها فارغة أمام الجيوش الأكدية ، غير أنهم بعد حصولهم على المساعدات العسكرية من طرف خمسين أميراً من المدن الأخرى دخلوا في صراع من جديد مع سرجون الأكادي ، هذا الأخير وبفضل حنكته العسكرية تمكن من إلحاق الهزيمة من جديد بقوات الوركاء² ، واقتياد ملكها أسيراً إلى أبواب مدينة نمر ، والقضاء على الحكام التابعين له³ ، وفي هذا الصدد يشير النص التالي إلى نهاية وسقوط مدينة الوركاء بقوله :

"(سرجون) ملك أكد ، (مشكيم) (اينانا) ، ملك كيش كاهن

ال(جود) للإله آن ، ملك البلاد ، انسي (انليل) العظيم ، هدم

مدينة (الوركاء) وأطاح بسورها ، لقد حارب الوركاء وانزل

بهم الهزيمة ، وحارب (لوكال - زاجيري) ملك الوركاء وأسرهم

وجاء به مطوق العنق إلى بوابة (انليل) " ⁴.

وفي نص آخر يقول :

"سرجون ملك العقاد . . . ملك العالم . . . انتصر على أوروك في

معركة، غزا خمسين حاكم (لوكال زاجيري) مع صولجان [الإلهي]

ودمرت مدينة أوروك ، علاوة على ذلك ، ألقى

القبض على لوكال زاجيري ، ملك أوروك في المعركة

¹ انطوان مورتكارت ، المرجع السابق ، ص 78.

² Hallo, William, W and Simpson , William Kelly , The Ancient Near East a history, op.cit , p 57.

³ فوزي رشيد ، سرجون الأكادي ، المرجع السابق ، ص 30.

⁴ Samuel Noah Kramer , the sumériens , op-cit , p466.

وجاء به مطوقاً إلى بوابة الإله إنليل (Enlil) ¹.

إن ظهور العنصر الجزري (السامي) * كعنصر قيادي في بلاد الرافدين كان يعد نقطة تحول مهمة على جميع المستويات ، أهمها ظهور أول دولة مركزية في التاريخ ، بحكم أن حاكم أكد (سرجون) تمتع بمؤهلات قيادية وعسكرية هامة ، بالإضافة إلى ذلك التسلح الجيد لجيشه مثل: القوس، الرمح، الفأس، الخربة... الخ، والتكتيك الحربي الذي اتبعه رفقة فرقه العسكرية مثل : طريقة القتال الانفرادي "كل رجل يقابل رجلاً آخرًا بدلاً من نظام الكراديس" الذي كان مستخدماً في عصر فجر السلالات ² ، مكنته فيما بعد من السيطرة على العديد من المدن السومرية الواحدة تلو الأخرى ، فضلاً على أقاليم أخرى ماراً على المدن المخاذية لنهر الفرات حتى استطاع الوصول إلى الخليج العربي ، ففي هذا الصدد تشير النصوص السومرية أنه بعد احتلاله مدينة أور جنوب بلاد سومر ، قام بمهاجمة مقاطعة أي نمار التي تمتد من لجش إلى سواحل الخليج العربي، أي أنه تمكن من الوصول حتى البحر الأسفل (الخليج العربي) ، حيث غسل سلاحه هو وجنده في مياهه ، في حين يرى بعض المؤرخين أنه كان عبارة عن طقس ديني بمناسبة الانتصار فقط ، وفي هذا الصدد يذكر النص التالي:

"(سرجون) ملك (أكد) حارب رجال (أور) وانزل بهم

الهزيمة ، وخرّب مدينتهم وهدم أسوارها ، وضرب (أي-ننمار)

وهدم أسوارها ، وأنزل الدمار بأرضها الممتدة من

(لجش) إلى البحر ، وغسل أسلحته بالبحر ، لقد حارب رجال

Benjamin w.porter and Alexis T.Boutin ,op-cit , p69.

1

*العنصر الجزري (السامي): أطلق هذا المصطلح على الأقوام التي جاءت من شبه الجزيرة العربية لاسيما المناطق الغربية لبلاد الرافدين مثل : بوادي العراق الغربية والأطراف الشمالية للجزيرة العربية (بلاد الشام) ، ومن تلك المناطق هاجرت إلى المناطق الأكثر خصوبة ، وملائمة للعيش مثل وادي الرافدين وسوريا وفلسطين ولبنان ، أما عن تسمية هذه الأقوام ب(الساميين) فهي تنسب إلى سام بن نوح، و أطلقه لأول مرة الباحث النمساوي (اوغست فردريك شلوتزر) في مقالة عن الكلدانيين عام 1781، حيث قال فيها : " من البحر المتوسط إلى الفرات ، ومن ارض الرافدين حتى بلاد العرب ، سادت كما هو معروف لغة واحدة ، ولهذا كان السوريون والبابليون والعربون والعرب شعباً واحداً ، وكان الفينيقيون (الحاميون) أيضا يتكلمون هذه اللغة التي أود أن اسميها اللغة السامية " ، اقتبس هذا الأخير من العهد القديم والذي يتحدث عن انساب سام بن نوح، وأطلق تلك التسمية على الأقوام التي استقرت في سوريا وفلسطين والعراق منذ أقدم الأزمنة وعلى لغاتها المتشابهة ، ثم استخدم المصطلح ليشمل الأقوام العربية الشمالية والأقوام الاكدية والبابلية والأشورية والكنعانية... الخ ،...، أنظر: عبد الكريم عبد الله ، المرجع السابق ، ص 62 ، سبتينو موسكاتي ، المرجع السابق ، ص 239 ، عامر سليمان ، احمد مالك الفتیان ، المرجع السابق ، ص 98 .

²انطوان مورتيكارت ، المرجع السابق ، ص 78.

(أوما) وانزل بهم الهزيمة ، وضرب مدينتهم وهدم أسوارها "1.

وعند رجوعه من الجنوب هاجم أوما ، لجش... الخ ، كما توجه بجيوشه بعد ذلك باتجاه غابات الأرز وجبال الأمانوس واستطاع من السيطرة على أوغاريت* ، ماري (تل الحريري) شمالاً ، وواصل تقدمه حتى وصل إلى مدينة أبلا (تل مارديخ)** وصولاً إلى البحر المتوسط² ، وفي هذا الصدد يشير النص السومري التالي إلى التوسعات التي حققها: "ظفر في أربع وثلاثين حملة ، وجرّد كل المدن من السلاح حتى ساحل البحر ، سرجون الملك ، سجد في صلاة إلى الآلهة داجان في توتل (هيت الحالية) وأعطاه المنطقة العليا - ماري (تل الحريري) ، يارموتي ، و أبلا EbLa ، حتى غابة السدر (الأرز) جبال الضفة ، الإله إنليل لم يسمح لأي شخص يعترض سرجون)³ .

ونتيجة لهذا الانتصار على المدن السومرية، تشجع سرجون أكثر على مواصلة توسعته العسكرية وزيادة رقعة مملكته الجغرافية ، من خلال إتباع اتجاهين : الأول باتجاه الغرب ، والثاني باتجاه المناطق الجبلية الشرقية والشمالية الشرقية⁴ ، وأصبح يلقب نفسه بملك البلاد ، كما أطلق على نفسه لقب ملك الجهات الأربعة (Sar.kibart-Erbit im) ولقب بملك الكون (Sar.kissati)⁵ .

1 Samuel Noah Kramer , the sumériens , op-cit , p466 .

* أوغاريت (رأس شمرا) : بنيت في منتصف الألف السابع قبل الميلاد على الشاطئ السوري ، ثم تطورت وتوسعت خلال العصور من تجمع سكاني بسيط إلى مدينة واسعة ، وأصبحت من أهم المدن البحرية التجارية لاحتوائها على ميناء يصلها بالعالم الخارجي ، حيث أصبحت تشكل مركزاً للعلاقات الدولية التي تربط بلاد الشام مع الممالك الكبرى لكونها مطلة على البحر المتوسط، فهي تربط مصر ببلاد الشام كذلك تربط الدويلات السورية بدويلات الشاطئ أو الفينيقي ...، أنظر: فريد جحا ، مكانة اوغاريت بين المدن في تاريخ الإنسانية ، مجلة الموقف الأدبي ، ع103 ، سوريا ، 1979 ، ص ص 22-23.

** مدينة إبلا (Ebla): تقع في تل مردوخ الواقع على بعد 55 كم جنوب شرقي حلب ، احتوت على أرشيف ملكي ضخم يتألف من 16 ألف رقيم وألواح طينية، وتؤرخ بالنصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، واعتبرت أقدم مملكة عامرة عرفتها سوريا، هذه الأخيرة التي استطاعت مد نفوذها وربط علاقات سياسية واقتصادية متينة مع العديد من مدن بلاد الرافدين وممالكها خاصة وأنها كانت مركزاً حضارياً متقدماً له إنجازاته الحضارية المتميزة، واستطاعت النصوص المكتشفة فيها من قبل البعثة الإيطالية ما بين سنتي 1964م وبين سنتي 1974م/1976م على كشف مظاهر الحياة في بلاد النهرين، والتي تجسدت في العلاقات الحضارية والثقافية خاصة مع مناطق الجنوب أين كانت تقوم الحضارة السومرية، فتبنى سكانها نظام الكتابة المسمارية لتدوين وثائقهم وسجلاتهم منذ بداية الألف الثالثة قبل الميلاد، ومن ثمة نقل أخبارهم إلى مملكة إبلا، أين احتوت على أكبر مكتبة في الشرق القديم وفي نفس الوقت أرشيف لحفظ النصوص المسمارية عن ما يزيد ألفي لوح مسماري...، أنظر: عيد مرعي، المرجع السابق، ص10، نائل حنون، المرجع السابق، ص104، Paolo Matthiae , Nicolo Marchetti , Ebla and its landscape « early State formation in the ancient Near East , left Coast press , California , 2013 , p35.

² سامي سعيد الأحمد ، العراق القديم ، المرجع السابق ، ص ص 20-21، عزمي سكر ، المرجع السابق ، ص 142.

³ B , Kiensat, op-cit , p37.

⁴ Hallo, William, W and Simpson , William Kelly , The Ancient Near East a history, op.cit , p 56.

⁵ Fletcher , Banister , A history of Architecture on comparative methode , London 1963 , pp 6-7 .

2- نتائج الصراع : أفرز انتصار سرجون الأكادي على المدن السومرية العديد من النتائج ولع أبرزها ما يلي :

- بعد الحروب الطاحنة بين الطرفين ، ظهرت مدينة أكد* كعاصمة لبلاد سومر وأكد ، وقضي بذلك على عصر فجر السلالات وممهدة في نفس الوقت لظهور عهد جديد يعرف بعهد المملكة الموحدة ، فبداية العصر الأكادي شهد على نشوء أقدم الإمبراطوريات في العالم القديم ، والتي ضمت معظم أرجاء الشرق الأدنى القديم¹ ، حيث استفاد حاكمها من التجربة التي سبقته في توحيد المدن السومرية ، وماجاورها من أقاليم أخرى من خلال تهدم أسوار المدن السومرية التي قام بفتحها من قبل ، وذلك خوفا من تمرد هذه المدن عليه من جديد ، والتي كانت تعارض فكرة التوحيد والتلاحم وتفضل الانفصال والانقسام² .

- تمكن الأكاديون من الإمساك بزمام السلطة السياسية لأول مرة ، واستمروا في تطوير حضارة بلاد الرافدين دون أن يدمروا ما أنتجه السومريون بظهور مفاهيم سياسية واجتماعية جديدة ، وبالتالي لم يقفوا عائقا أمام تطور مدينة العراقيين القدامى ، وبهذا الانتصار انتهى عصر فجر السلالات ليبدأ عصر جديد أطلق عليه العصر الأكادي ظهرت فيه عناصر ومقومات حضارية جديدة³ .

- يمثل حكم سرجون الأكادي بداية صعود العنصر الجزري للسلطة في العراق القديم بشكل مستقل ، وبداية انحسار العنصر السومري في الحكم، حيث استطاع الأكاديون أن يضيفوا على هذا التأثير الحضاري وجهاً سياسياً لعموم تلك المناطق التي امتدت إليها فتوحاتهم العسكرية ، كما أن الأكاديين استطاعوا الوصول إلى أعلى درجات الرقي الحضاري والتطور ، بعد تحولهم من رعاة إلى تجار محترفين بفضل حاكمهم سرجون الأكادي (2371-2316 ق.م)⁴ .

- بهدف الحفاظ على حكمه ، وضع أتباعه حكاما على تلك المدن ، وأخذ الرهائن من الأسر الحاكمة المحلية إلى عاصمته أكد ، فكان أن أدى ذلك إلى فقدان تلك المدن السومرية لطابعها القديم وتحولها إلى مجرد أقاليم تابعة

*مدينة أكاد: تعتبر أول مدينة سامية ظهرت في بلاد الرافدين ، تسمى بالأكادية "أكد" أو "أكادو" "Kadu" ، وفي السومرية "أجاد" أو "أجادة" "Agade" وهو الاسم القديم للمدينة ، تزعمها سرجون الأكادي (2371-2316 ق.م) في الجزء الشمالي بعد قضائه على قوة السومريين بالجنوب ، امتازت هذه الدولة بأنها قد نشأت من صنع سلالة واحدة ، باعتبار أن الملوك الذين حكموها خلف أحدهم الآخر بشكل مباشر من الأب إلى الابن لفترة القرن والنصف ، وهي دلالة واضحة على الاستقرار الداخلي للبلاد...، أنظر: Halo, William, W and Simpson, William Kelly , The Ancient Near East a history, op.cit , p57.

Benjamin w.porter and Alexis T.Boutin ,op-cit , p69.

² علي فاضل عبد الواحد ، الأكاديون ، المرجع السابق ، ص 194.

André Parrot , op-cit , p 222.

H , Frankfort, The Birth of Civilization , op-cit , p75 .

للدولة الجديدة ، وهو أمر لم تألفه البلاد من قبل ، مما دفعها إلى القيام بثورات ضده ومن بينها مدينة أوما التي استغلت كبر سنّ الملك الذي تجاوز في تلك الفترة النصف قرن ، وأعلنت الحرب ضده ، الأمر الذي دفع هذا الأخير إلى ضرب كل الثائرين بكل قسوة ومتقرباً في نفس الوقت بأسراهم إلى راعيته الإلهة عشتار (إنانا) .

- توحيد دويلات المدن السومرية في دولة مركزية واحدة في البلاد¹ بهدف تنظيم شؤون الريّ والإدارة والتجارة الخارجية ، والحفاظ على طرق المواصلات التجارية الهامة ، ونقل توسعته حتى البحر المتوسط ، وفرض حمايته على المرفأى السورية ، إذ يعتقد انه وصل حتى جزيرة قبرص ، وبالتالي جعل من عاصمته أكاد مدينة بحرية تتصل فيها سفن الخليج الفارسي بالقوافل العائدة من الداخل ، بالإضافة إلى الوصول إلى مصادر المواد الخام ، فضلا عن أهمية الوحدة في الوقوف بوجه الأخطار الخارجية وخصوصا من المناطق الجبلية في شرق وشمال العراق التي كانت تهدد أرض العراق القديم بغزواتها المتكررة² .

- حكم سرجون الأكادي حوالي 56 سنة ، واستطاع من إدخال العديد من مظاهر الحضارة والتغيير في بلاد الرافدين ، وفي نهاية حكمه حدثت ثورات عدة قام بها الثوار*، حيث حاصروا مدينة أكد العاصمة ، ولكنه تمكن من القضاء على الثورة ، وبقيت الثورات نشطة في عهده ، إلى أن انتهى حكمه دون أن يضع حداً نهائياً لها³ ، حيث عادت من جديد في عهد أحفاده بظهور ائتلاف (اتحاد) جديد بين المدن السومرية (اوما ، الوركاء ، أدب، لجش) وتزعّمه مدينة أور ، إذ ورد ذلك في قصيدة الرثاء التي قامت بتأليفها شقيقة الملك (انخيدو أنا)** بعد أن فشلت في التخفيف من غضب أحيها بصفتها الكاهنة العليا لمعبد الإله (ننار)⁴ .

وصفوة القول أن مدينة لجش استطاعت بملوكها الحرييين الأقوياء السيطرة على بعض الدويلات السومرية المجاورة ، ونتيجة لذلك فقد دخلت بصراع قوي مع مدينة اوما (جوحة) الواقعة إلى شمالها ، وقد استمر النزاع

¹ Godd , state of Babylonien under the dynasty of Agade , V 1 , II , Cambridge , 1971, pp 240-241 .

² عبد الرضا الطعان ، المرجع السابق ، ص ص 285 ، 295 ، عزمي سكر ، المرجع السابق ، ص 142 .

* إن من أهم الاضطرابات التي كانت تحدث في زمن سرجون الأكادي كان سببها الارستقراطية المحلية السومرية ، التي لا تزال قادرة على إثارة الصراع ونشر الفتن بوجه الحكم الأكادي ، بصفتها لا تزال تتمتع بقدر كبير من النفوذ الاجتماعي والمهيمنة السياسية مثل ما شهدته مدينة اوما ، والضرر الذي لحق بها من جراء رد فعل السلطة الاكديّة ...، أنظر: سعد عبود سمار ، باسم محمد حبيب طالب ، الأحوال السياسية لاوما، المرجع السابق، ص44.

³ ل . ديلاپورت ، المرجع السابق ، ص 34 .

** أنخيدونا أنا (En - he - du - an - na) : أصل هذا الاسم سومري ، أطلقه الملك سرجون الاكدي على ابنته ، ومعنى اسمها : الكاهنة العظمى الجديدة بالإله أنو .

⁴ طه باقر ، مقدمة في تاريخ، ج1، المرجع السابق ، ص399.

بينهما أجيالا وكان من أهم أسبابه السيطرة على الأراضي الخصبة، ومصادر الإرواء الواقعة بين الدويلتين، وبقي الصراع بين الدويلتين سجالاتاً حتى تدخل في حسمه احد الحكام المعاصرين كطرف ثالث وهو الملك (ميسيلم) حاكم دويلة كيش، حيث قام بدور الوسيط بين الدويلتين وعقد صلحاً بينهما وقد ثبتت معاهدته الصلح على مسلات من الحجر وضعت على الحدود بين الدويلتين، وهي تعد أقدم معاهدة صلح دوليه حتى الآن، كما استطاع الملك (اينانتم) تخليد انتصاراته على مدينه اوما على مسلة من الحجر عرفت (بمسلة النسور أو العقبان). لكن لم يستمر ازدهار لجش وقوة أمرائها العسكريين، وانتصاراتهم على المناطق المجاورة، حيث بدأ الضعف يدب فيها من الداخل بسبب الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، وسوء تصرف الحكام والكهنة فعمّ الارتباك وقامت ثورة في البلاد، وتمكنت من الإطاحة بالسلالة الحاكمة، مما أدى إلى انتقال الحكم إلى شخص آخر عرف باسم (اورو انمكينا) الذي اشتهر بإصلاحاته الاجتماعية والاقتصادية، لاسيما وانه كان من طبقة رجال الدين، وقد حكم البلاد مدة ثمانية أعوام، لكن إصلاحاته لم تدم طويلا ولم تتح لها الفرصة للإعلان عن ثمارها بسبب ظهور في اوما العدو التقليدي لدويلة لجش، حاكم قوي عرف بشجاعته وقوته العسكرية وهو الملك (لوكال زاكيزي) الذي أطاح بمدينة لجش وقضى عليها نهائياً؛ وقد امتاز بطموحاته الواسعة في توحيد البلاد وضم دويلات المدن السومرية تحت سلطته، واستطاع من تنفيذه متخذاً من مدينة الوركاء عاصمة له، و انطلق منها نحو المدن الأخرى مثل: كيش ونقّر (نيبور)، وهو أول من تلقب بلقب (ملك بلاد سومر) وهو لقب يدل على الوحدة السياسية التي أنجزها بين دويلات المدن السومرية، لكن هذه الوحدة لم تستمر لفترة طويلة بسبب ظهور شخصية سامية تعرف باسم سرجون الاكادي.

هذا الأخير الذي اعتبرته المصادر التاريخية انه المنشئ الأول لمصطلح الإمبراطورية في بلاد ما بين النهرين وتطبيقه في ارض الواقع بعد مشروع التوحيد الذي رفعه من قبل لوكال زاكيزي، حيث نجح في عهده من إقامة أول نظام إمبراطوري حقيقي، عن طريق إبقاء الملوك السومريين تابعين له، ويدفعون له مكوس الحبوب، البقر، الخيول، الأغنام... الخ، إلا أنهم احتفظوا بسلطتهم المحلية، بينما في بلاد عيلام التي تم فتحها لتضمن لأكاد حيازة مناجم الفضة و الديورنت، وعلى الأخص مراقبة طريق القوافل التجارية، حيث حجز تحت إمرته 32 اميرا كأتباع تحت سلطته.

الباب الرابع : انهيار نظام الرولة المرمية في كل من سومر وبلاد الإغريق (الأسباب والنتائج المترتبة عنها) .
 الفصل الثاني : طبيعة العلاقات الداخلية بين المدن الإغريقية وتأثيرها في انهيار الرولة المرمية - حروب البولويونيز أموجا
 431 ق.م / 404 ق.م .

- حروب البولويونيز (431 ق.م - 404 ق.م) I

1) أسباب قيام الصراع (اضطراب المصالح التوسعية الأثينية بالمصالح الاسبرطية):

أ) الأسباب الغير مباشرة .

ب) الأسباب المباشرة (الحقيقية) .

2- مراحل الحرب :

أ) الحرب البولويونيزية الأولى (431 ق.م - 421 ق.م .

ب) الحرب البولويونيزية الثانية (415 ق.م - 413 ق.م) .

ج) الحرب البولويونيزية الثالثة (412 ق.م - 404 ق.م) .

3- النتائج المترتبة عن حروب البولويونيز وتأثيرها في انهيار الرولة المرمية الإغريقية (404-431 ق.م) :

أ) نتائج الصراع على بلاد الإغريق .

ب) أثر الصراع على نظام الرولة المرمية الإغريقية .

4- تدهور وانهيار نظام الرولة المرمية في القرن الرابع قبل الميلاد:

أ) زعامة اسبرطة (401 ق.م - 371 ق.م) (ص 528)

ب) زعامة طيبة (371 ق.م - 362 ق.م) .

ج) الاتحاد الأثيني (378 ق.م - 338 ق.م) :

1 / أوضاع أثينا قبيل ظهور الاتحاد الأثيني .

2 / تكوين التحالف الكونفدرالي (الاتحاد الأثيني) .

3 / المراحل التاريخية للحلف الجري:

أ) الفترة الأولى الممتدة (378-371 ق.م) .

ب) الفترة الثانية الممتدة (371-358 ق.م) .

ج) الفترة الثالثة الممتدة (358-338 ق.م) .

4 / الأسباب المؤدية لانهيار الاتحاد الأثيني .

5- ظهور مقدونيا وإخضاع الرويلات الإغريقية .

⊗ مقارنة حول كيفية انهيار الرولة المرمية في سومر وبلاد الإغريق .

بعد نهاية الصراع الفارسي الإغريقي (490 ق.م / 479 ق.م) على بلاد اليونان ظهرت قوتين رئيسيتين تطمح في زعامته ، حيث نالت أثينا ولاء معظم المدن الإيجية وحققت إنجازات كثيرة وعاشت مرحلة من الازدهار والتوسع خاصة في عهد بيركليس ووصلت إلى درجة عالية من القوة والعظمة على الرغم من عراقيل منافستها مدينة اسبرطة ، والانتكاسات التي تعرضت لها ، كل ذلك تجلّى في مواقف وردود أفعال انتقامية ضد البعض من زعماء أثينا كما حدث في الكيد من ثيموستوكليس الذي غرر بهم في مواقف عدة ، لكن عندما وصل بيركليس إلى الحكم وتبنيه الفكر الديمقراطي المعادي صراحة لسياسات اسبرطة والمتشكك في نواياها ، كشفت هذه الأخيرة عن مكنونات نواياها الحقيقية ضد سياسة أثينا وبدأت تتحرك فعليا لإحباط توسعاتها وطموحاتها في بلاد اليونان، ومن هنا يجدر بنا الإشارة إلى ماهية هذه الحروب الداخلية التي نشبت بين المدن الإغريقية؟ والتي اعتبرها المؤرخون بمثابة الحروب الأهلية بين أهم وأقوى المدن اليونانية - أثينا واسبرطة- لتشمل فيما بعد بقية المدن الأخرى المتحالفة معها ضمن ما يعرف بالأحلاف السياسية؟ وهل فعلا هذه الحروب هي من النتائج المترتبة عن احتياح الفرس -الصراع الفارسي الإغريقي -لأراضيها وإعلان أثينا في البداية مسؤولية الدفاع عن المدن الأيونية الواقعة في آسيا الصغرى ، لتلتحق فيما بعد اسبرطة وتكتشف مدى قوة أثينا والأهمية الكبرى التي تحتلها لدى باقي اليونانيين ؟ ، إلى أي مدى أثرت هذه الحروب في انهيار الدولة المدينة الإغريقية وتزعزعه كنظام سياسي بعد أن شمل أكثر من 4 قرون في بلاد اليونان؟.

من أهم المصادر الكلاسيكية التي تحدثت عن الحروب البولوبونيزية والأحداث التي صارت بين اسبرطة وأثينا وبالتحديد المؤرخ ثوكيديديس* الذي عاصر هذه الأحداث وشاهدها ، بل وشارك فيها كأحد القادة الأثينيين ، لا سيّما أن موضوعيته ومنهجيته الصارمة في كتابة التاريخ بصورة حقيقية كانت واضحة بالرغم من انه لم يصل بالحديث إلى نهاية الأحداث وكتابة خاتمها بل وصل بالأحداث وتحليلها حتى عام 411 ق.م ، وأكبر دليل على ذلك حديثه عن إخفاقه في إنقاذ مدينة أمفيبوليس -شمال شرق بلاد اليونان في إقليم تراقيا- من هجوم القائد الاسبرطي براسيداس في عام 424 ق.م ، وبسبب هذه الإخفاق تم إبعاده ونفيه عن أثينا مدة 20 عاما حتى انتهاء الحرب ، ونظرا لان ثوكيديديس كان من عائلة ثرية تمتلك مناجم الفضة في إقليم تراقيا لم يعان الفقر في نفيه وإنما

* ثوكوديديس: ولد حوالي 480 ق.م وتوفي في حوالي 395 ق.م، وهو ابن اولرس وكبر مؤرخي اليونان ، من أسرة شريفة ثرية، تزعم حزب الأعيان ، وقاد حملة بحرية على الاسبرطيين الذين كانوا تحت إمرة افرسيذس ويحاصرون مدينة امفيبوليس -إحدى مستعمرات أثينا- ، وبعد انهزامه في صد الخطر عن المدينة نفي خارج أثينا سنة 422/423 ق.م ،....، أنظر: أرسطو ، دستور الأثيني ، المصدر السابق ، ص 77.

استغله في السفر و الترحال في بلاد اليونان وخارجها للحصول على معلومات وثيقة عن موضوعه ، والى النظر إلى مواقع الأحداث بصورة مجردة وشاملة ، توفي في حوالي 400 ق.م¹ .

فضلا عن المؤرخ اكسونوفون* الذي حكم عليه بالنفي خارج أثينا لأنه حارب إلى جانب الاسبرطيين في حرب كورنثة (Corinthe)، وقد تمكن من العودة إلى وطنه وتمتع بكامل حقوقه الوطنية بعد تحرير مرسوم العفو من طرف ابولوس سنة 369 ق.م ، واستطاع بفضل أسلوبه التاريخي صياغة الأحداث التي جرت في حروب البولونيز خاصة النتائج المترتبة عنها ، وذلك بتزويدنا بإشارات في كتابه حملة العشرة آلاف على بلاد فارس (أناباسيس) (Anabassis) أو حملة الصعود ، و كتابه هيلينيكا أو التاريخ الهيليني (Hellenica)^{2**} ، وأيضا النصوص التي دونت في كتيب يحمل عنوان الإيرادات " les revenus " من خلال الإجراءات التي يمكن لأثينا بأن تتخذها للخروج من الأزمة الاقتصادية بعد حروب البولوبونيز ، والاعتماد على مداخلها ومواردها الخاصة مثل : الموارد الطبيعية ، موارد الأرض ، الموارد البحرية ، ورفض بالمقابل الاستحواذ واستغلال موارد الحلفاء ، مقتنعا بان هذا السلوك سيكون حلا لفقر أغلبية الأثينيين ونهاية لحذر جميع الإغريق واحتراسهم من أثينا³.

وبما أن الربع الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد يعد الفترة الأكثر غنى وتنوع في تاريخ الفكر الأثيني ، هذا الفكر الذي خلف لنا العديد من الشهادات حول أحداث الحروب البولوبونيز ، وأهمها المسرح الكوميدي لأريستوفان الذي قدم لنا العديد من المسرحيات الكوميديّة والهزلية بهدف زرع فكرة السلم مشيرا إلى انه تكفي إرادة بسيطة وشيء من التعقل لتناسي الأحقاد القديمة في سبيل تحقيق المصالحة الوطنية وإخماد الأحقاد التي لا طالما

1 Thycydide , I , 1,2.

*اكسونوفون : مؤرخ أثيني ولد عام 430 ق.م-353 ق.م ، كان ميسور الحال تتلمذ على يد سقراط وخدم في سلاح الفرسان ، ثم اشترك في حملة العشرة آلاف على بلاد فارس للجنود المرتزقة التي كانت في ربيع 401 ق.م من اجل مساعدة قورش الأصغر في اعتلاء العرش ، وانتهت الحملة بالفشل ومقتل قورش ولقي معظم القادة الإغريقين مصرعهم في معركة كيناكسا (Cunaxa) شمال بابل ، وأسندت له قيادة الحملة أثناء عودتها وسط جبال آسيا الصغرى إلى ميناء طرابيزون ، وهو من المعجبين بأسبرطة وبأنظمتها وهو ما أدى به إلى نفيه خارج أثينا وقضي معظم حياته بين اسبرطة وكورنثة، ولكن بعد صدور قرار العفو عنه سنة 369 ق.م أعاد أسرته إلى أثينا ، توفي بكورنثة، له العديد من المؤلفات والنصوص التاريخية ...،أنظر: كريم مناصر، المرجع السابق ، ص 31.

**هيلينيكا : هي السجل المعاصر الوحيد للفترة ما بين 411 ق.م -362 ق.م ، أي من تاريخ نفي ثكوديديس من اليونان والى غاية معركة مانتينيا عام 362 ق.م ، كتبت في كورنثة في سنة 362 ق.م ، ويشمل جزأين متميزين ومنفصلين ، حيث يتناول الجزء الأول الأحداث التاريخية التي توقف عندها المؤرخ ثيكوديديس أي سنة 411 ق.م ، ويسرد التاريخ حتى سقوط الثلاثين ، بينما الجزء الثاني يتناول الفترة الممتدة من 401 ق.م -362 ق.م ويسرد تاريخ الاسبرطيين وزعامة طيبة لبلاد الإغريق...،أنظر: ابتهاج عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 278.

2 Xenophone , Hellica , I , 1.

3 Xenophone , les revenus , texte établi et trad par : Eugène Talbot , librairie de la Hachette , Paris , 1985 , I , 1.

رُوج لها أشخاص معينين خدمة لمصالحهم الذاتية ، والتي سمحت لنا بالتعرف على تفاعل وردود فعل الرأي العام الأثيني اتجاه وقائع هذه الحرب ، ونتائجها خاصة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية مثل : مسرحيته الشهيرة الداعية للسلم ونبذ الحرب الموسومة باسم ليسيستراتا (Lysistrata) التي عرضت سنة 411 ق.م وتزامنت مع حرب البولوبونيز الثانية ، حيث أصبح الوضع متأزما في أثينا بعد كارثة صقلية وتراجع عنها حلفائها¹ ، فضلا عن مسرحية بلوتوس " Ploutus" التي تعرض من خلالها إلى مشكلة فقر الفلاحين وبؤسهم جراء نهاية حروب البولوبونيز وتدمير مزارعهم وممتلكاتهم، وأيضا في مسرحية الجمعية النسائية "l'assemblée des femmes"² التي عرضت سنة 392 ق.م ، والتي من خلالها تصور الكاتب نساء أثينا وقد أضناهن الفشل المتكرر من طرف أزواجهن ، فقررن التحكم في جميع أشكال السلطة ، فأصدرن مرسوما قررن فيه أن تكون جميع الثروات والأموال ملكا مشاعا بين كل سكان المدينة ، موظفا في ذلك العديد من الشخصيات³ .

I-حروب البولوبونيز (431 ق.م -404 ق.م): يعتبر المؤرخون هذه الحروب بمثابة الحرب الأهلية بين المدن الإغريقية حدثت بين حوالي 431 ق.م إلى 404 ق.م ، أطرافها اسبرطة وأثينا والمدن المتحالفة معها ضمن ما يعرف بالأحلاف السياسية ، حيث تزعمت أثينا حلف ديلوس الذي تم تأسيسه في سنة 478 ق.م في جزيرة ديلوس ، بينما اسبرطة تزعمت حلف البولوبونيز بعد نهاية الصراع الفارسي الإغريقي 490 ق.م/479 ق.م* .

يقول ثوكيديدس عنها بأنها كانت حربا عظيمة ، وشكلت أكبر قلق واضطراب ألم بتاريخ الإغريق ، وفي جزء كبير من العالم غير اليوناني ، وأنها تستحق الكتابة عنها نظرا لقوة الطرفين واستعدادهما الفائق لها ، كما أن بقية العالم اليوناني وهو ملتزم تجاه هذا الطرف أو ذاك ، بل وحتى أولئك الذين لم يكونوا قد ارتبطوا بالأمر ارتباطا مباشرا كانوا يتدبرون أمرهم بشأن المواقف التي سيتخذونها لاحقا⁴ .

¹ Aristophane , Théâtre complet I (les Acharniens , les cavaliers , les nuées , les guêpes , la paix) , trad par :M.J.Alfonsi , Garnier Flammarion , 1966, pp103-105.

² Aristophane , l'assemblée des femmes , trad par : Marc -Jean Alfonsi , Garnier -Flammarion , Paris , 1966 , pp 2-3.

³ عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص ص 67 ، 114 .

*الصراع الفارسي الإغريقي 490 ق.م/479 ق.م: من أهم المصادر الكلاسيكية التي تناولت هذه الحقبة التاريخية من تاريخ الإغريق وتحديدًا مصدرى هيروdotus وأكسينوفون (زينفون) في كتابه حملة العشرة آلاف فارس ، حيث تناول هيروdotus في جزئه الخامس من تاريخه سبب هذه الحرب المتمثلة في ثورة الأيونية بقيادة طاغيتها أرسنجوراس، وتسليمه حكم مدينة ميليتوس وسلطانها إلى مواطنيه ومساعدته بقية المدن الأيونية على الإطاحة بطغاتها، وخشية من انتقام الفرس منه ومن مدينة مليتوس على ما قام به من خطوة جريئة ، اتجه إلى اسبرطة محاولا كسب تأييد ملكها كليومين ، لكنه أبدى التحفظ بالرغم من محاولات الإقناع التي بادر بها حاكم ميليتوس ، وأوقفه ليختصر كلامه بقوله : " غادر اسبرطة قبل الغروب" ، فغادر اسبرطة متجها إلى أثينا ، والتي كانت أكثر استجابة منها، حيث تحدث في مجلس الشعب عن خيرات آسيا وكنوزها ، و أن الدكتاتور هيبياس الذي نفي من أثينا منذ عشر سنوات ، يطمع

و بعد نهاية الحروب الفارسية على اليونان سنة 479 ق.م ، تم تعزيز وحماية حدود أثينا بالحدار القوي ، وربطه بميناء بيرايوس - الطريق المسور- بهدف عدم السماح لأي عدو بتجويع المدينة ، حيث نجحت أثينا بإدخال الطعام عن طريق الشحنات القادمة إلى الميناء الذي كان محميا من قبل القوة البحرية ومصدر قوتها¹ .

ونظرا لتضارب المصالح بين مدينة أثينا واسبرطة واختلاف سياسة حكمهما وفي طبيعة تكوينيهما البشري (تعدد القبائل) اندلعت الحرب في عام 431 ق.م ، حيث تفوقت أثينا في أسطولها وقوتها البحرية ، في حين تفوقت اسبرطة في قواتها البرية من المشاة الثقيلة ، ولذلك ارتكزت خطة أثينا على عدم الدخول في معركة برية ضد اسبرطة مع الاحتماء خلف أسوار مدينة أثينا والأسوار الكبرى التي كانت تحمي ميناءها بيرايوس وفاليريون من هجمات اسبرطة وحلف البولوبونيز البرية ، كما حرصت أثينا على الحفاظ على أسطولها البحري بهدف الوقوف في وجه اسبرطة وحلفائها² ، كل ذلك بإيعاز من الزعيم بيركليس ، إذ وصلت أثينا في عهده إلى درجة كبيرة من التطور السياسي والاقتصادي من خلال أخذه زمام المبادرة في تشكيل السياسة الأثينية طوال العقد الذي اختار فيه الأثينيون الدخول في حرب مع الإمبراطورية الفارسية وخوض غمار الحروب البولوبونيزية بعد ذلك³ ، بالإضافة إلى ذلك عمل قبل الحرب على جعل أثينا مدينة لا تقهر من خلال دعوة كل الرجال إلى الالتحاق بالأسطول الذي

للعودة إلى الحكم بواسطة مساعدة الفرس له ، فقرر مجلس الشعب مساعدة الأيونيين مباشرة ، فقررت أثينا إرسال 20 سفينة ، بينما أرسلت اريتريا 5 سفن ، وقد علق هيرودوت على ذلك بقوله: " إن هذه السفن كانت بداية الشرور للإغريق والبرابرة" ، وعندما أعلنت الثورة في ميليتوس ظلت المدن الأخرى هادئة مدة من الزمن ، بينما الفرس قاموا بضرب حصار على ميليتوس ، لكن عند وصول الثوار قاموا بحركة جريئة حيث هاجموا العاصمة سرديس - عاصمة الحكم الفارسي - وحرق معاينها ليرغموا الجيش الفارسي على فك الحصار على ميليتوس ، وفي 497 ق.م أرسل داريوس قواته لاستعادة السيطرة على مدينة هيليسبونت لكنه نصب له كمين من قبل الكاريين في بيداسوس وتم تدميرها ، وأدرك الأيونيون الخطر المهدد بهم فاجتمعوا في معبد بوسيدون وقرروا مقاتلة الفرس في البر ومفاجئتهم في البحر المكون من السفن الفينيقية والمصرية والقبرصية وبلغ عددها حوالي 600 سفينة ، و قد نشبت المعركة عند جزيرة لادي 494 ق.م ، و بفشل الأسطول اليوناني فشلت كل المقاومات وشرذ شعبها بعد حرق ميليتوس نفسها ودمرو معاينها ، وفي سنة 493 ق.م دمرت بقية المدن الأيونية عدا ساموس ، وقاموا بمجزرة بين شبابها وبناتها وبالرغم من هذا الانتصار لم ينس داريوس مطلقا الدور الذي قدمته كل من أثينا وإريتريا في الثورة الأيونية ، ولذلك توعد بالانتقام منهما وإعلان حملة تآديبية عليهما وتوالت العمليات العسكرية إلى غاية إعلان البداية الحقيقية للصراع الفارسي الإغريقي ، والتي انقسمت إلى عدة مواقع تاريخية كبرى وفي مقدمتها: موقعة ماريثون 490 ق.م ، موقعة ثيرموبيلاي وسيلاميس 480 ق.م ، موقعة بلاتاي 479 ق.م...، أنظر: زينفون ، حملة العشرة آلاف " الحملة على فارس " ، تر: يعقوب افرام منصور، بغداد ، 1965 ، ص ص 36-37

Homasj -Scenkemicz , ancien greece , Achaean league , dorian , invasion of greece , V1 , press incaaelena , California , 2007 , p473 , Philip de Sousa Waldemar Heckel , Lioyd Liewellyn Zones , the greeks at war from Athens to Alexander , oprey publissing oxford , U .S.A , 2004 , p 25.

1 Jean Kinney Williams , op-cit , pp 42-43.

2 محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 176.

3 Sarah .B .Pomeroy et all , op-cit , pp 42-43.

كان غرضه منه الحفاظ على الإمبراطورية واستيراد المواد الغذائية الضرورية¹، وعلى الجانب الآخر كانت اسبرطة تحاول بكل الطرق توريط أثينا وجزّها إلى موقعة برّية حاسمة تضمن النصر فيها من خلال تفوقها البري ومساندة أعضاء حلف البولوبونيز الذي تتولى قيادته .

تشير الدراسات التاريخية أن السنوات الأولى من فترة حكم بركليس والممتدة من (460ق.م-446ق.م) يطلق عليها اسم الحرب الباردة بين المدينتين ، والتي كادت أن تتحول إلى حرب ساخنة بسبب التحرشات الاسبرطية المناوئة لأثينا لولا تمكن كيمون بعد عودته من المنفى من إبرام الصلح بين الطرفين في عام 451ق.م لمدة خمس سنوات ، وحين أوشكت مدة الصلح على الانتهاء في عام 446ق.م كادت اسبرطة أن تعلن الحرب على أثينا لولا هزيمتها في موقعة كورونيا في عام 447ق.م وتحليلها على سيادتها عن إقليم بيوتيا ، فضلا عن تدخل بركليس في الوقت المناسب في عام 446ق.م لإبرام صلح الأعوام الثلاثين بين أثينا واسبرطة ، و إرضاء غرورها وأعاد إليها مركزها القديم في زعامة بلاد اليونان خاصة بعد انسحاب أثينا من بعض مناطق نفوذها².

أصبح هذا العداء ناتجا عن مدى تراكم الأحقاد ، وكذا التعارض الكبير القائم بين نظامين متضادين لدولة المدينة ، خاصة وان اسبرطة أصبحت بالنسبة إلى لخصوم الديمقراطية الأثينية النموذج المتكامل الذي يمكنهم الاحتذاء به³، وعلى هذا الأساس يمكننا تقسيم حروب البولوبونيز والتي امتدت على مدى سبعة وعشرين عاما أي من (431ق.م -404ق.م)⁴ إلى ثلاث مراحل رئيسية ، وهي كالآتي :

1-المرحلة الأولى (431ق.م -421ق.م) : المعروفة باسم الحرب الارخميدية نسبة إلى الملك الاسبرطي أرخيداموس الذي دأب على غزو إقليم اتيكيا كل صيف بقواته البرية⁵.

2-المرحلة الثانية (415ق.م -413ق.م) : المعروفة بصلح نيكياس ، والتي تبدأ بمعاهدة تفاوض عليها الاسبرطيين وأجزها القائد والسياسي الأثيني نيكياس ، وتنتهي بهزيمة أثينا في سيراكوزا على الساحل الشرقي من صقلية في العام 413ق.م .

¹ تشارلز الكسندر روبنسن ، المرجع السابق ، ص ص 184-185.

² محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 173.

³ عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 63.

⁴ Thucydide , I , 2.

⁵ Claude Mossé , armée et cité grecque (a propos Thucydide , VII, 77-4-5), in revue des études anciennes, créativecommons , T 65 , 1963, N :3-4 , p290.

3-المرحلة الثالثة (412ق.م-404ق.م): تعرف باسم الحرب الأيونية لان معظم أحداثها ومواقعها تمت بالقرب من ساحل آسيا الصغرى¹.

ولكن السؤال المطروح عن ماهية الاستراتيجية المتبعة لكلا الطرفين في هذا الصراع ، ولماذا شددت أثينا على الاتهام الكبير الذي وجهته اسبرطة في سنة 430ق.م.؟

على العموم فإن السياسات العسكرية المتبعة من قبل أثينا واسبرطة مختلفة بحكم الاتجاه السياسي الذي يحكم البلاد، فعلى المستوى الدبلوماسي أثينا كانت تحاول استقطاب حلفاء اسبرطة منها ، فعلى المستوى العسكري من الممكن أن تستعمل مناوشات أو غارات سريعة بجيشها لتشجيع التصعيد العسكري ضد الاسبرطيين ، أو استخدام أسطولها البحري في العمليات العسكرية ، وفي حصار السفن التجارية التابعة للأعداء (كورنثة ، اسبرطة) ،فضلا على إلقاء الخطب السياسية بين أوساطها الشعبية لبث الحماس وروح التفاني في العمليات العسكرية ، كما لا ننسى أنه بعد المد والجزر الذي شهدته الحملة الأولى اضطرت أثينا إلى نقل خزائن حلف ديلوس من جزيرة ديلوس إلى العاصمة الأثينية ، بينما اسبرطة اعتمدت على طريقتها الخاصة في الحرب عن طريق استخدامها أسلوب المبادلات العدوانية في أوقات الضعف الأثيني ، كما أن سياستها اتجاه أثينا لم تكن متماثلة كما يتضح من رغبة اسبرطة في نقض سلام الثلاثين عام المبرم مع بركليس بالرغم من رغبة اسبرطة في تحطيم أثينا ، إلا أنها لم تفكر أبدا في إصدار قرار بالهجوم عليها إلا إذا كانت هناك فرصة جيدة لإحراز النصر².

1)أسباب قيام الصراع (اصطدام المصالح التوسعية الأثينية بالمصالح الاسبرطية): نشبت الحرب بين قوتين إغريقيتين لطالما اتسمت الواحدة للأخرى بالعداء تحت محاولة كل منها فرض السيطرة وتزعم بلاد الإغريق ، في ظلّ تباين الخلفيات المؤدية لهذا الصراع الذي كانت نتائجه وخيمته على بلاد الإغريق بصفة عامة ،وعلى المدينتين بصفة خاصة، ففي البداية سوف نحاول تسليط الضوء على الدوافع الغير المباشرة لظهور هذا النزاع ، وكيف ساهمت ولو بطريقة غير مباشرة في تصعيد هذا الصراع من خلال :

أ- الأسباب الغير مباشرة : تباينت هذه الأسباب بين :

1/ الأسباب الاجتماعية: تمكن العوامل الاجتماعية المؤدية لهذا الصراع إلى :

¹ C.E.Robinson , a short history of ancient greece , pantheon book ,NewYork , 1948, p 106.

² محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 173.

- اختلاف التركيبة البشرية لكل من اسبرطة وأثينا ، حيث كان الاسبرطيون ينتمون إلى الجنس الدوري ، ويسمون باللاكديمونيون يعيشون العزلة في تجارهم وفي أساليب معيشتهم الحضارية ، وكانت نظرتهم إلى الحياة ضيقة الآفاق ، ويميلون إلى الحكم الملكي ، ويرغبون في التوجه في النظام الموجه في شؤون الحكم ، وفي الحياة العادية ، وكانوا على رأس الرابطة التي تعرف بالجامعة البولوبونيزية ويتزعمون حلف البولوبونيز* ، أما الأثينيون فكانوا ينتمون إلى الفرع الأيوني الإغريقي ، ديمقراطيين وثوريين بمعنى حبهم للتغيير والتبديل، تزعموا بلاد الإغريق حضاريا وفكريا إلى جانب كونهم إمبراطورية ذات سيادة على البحر¹ ، وفي هذا الصدد يقول ثيكوديديس على لسان ممثل مدينة كورنثة لدى اسبرطة بقوله : "إن الأثينيين مجددون سريعو الإدراك والتنفيذ لأي ابتكار بينما انتم أيها الاسبرطيون محافظون تضعون كل همكم في الاحتفاظ بما معكم"² .

2/ - الأسباب السياسية : أدت الظروف السياسية غداة اندلاع الصراع بين أثينا واسبرطة إلى توتر العلاقات السياسية بين الطرفين ، والذي تجسد ضمن ما يعرف بالحروب البولوبونيزية ، ولعل أهمها ما يلي :

-أدى تطور وازدهار مدينة أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد من كل الجوانب -مدرسة بلاد الإغريق كلها- ، أن أوجد مبررا لاعداءها بكرهيتها والنقم عليها ، حيث تعد سياسة بركليس الاستعمارية التوسعية وإجباره الخضوع لسلطانه ، وفتح أثينا أبوابها لكل ما هو جديد ،ضمن أسباب وقوع هذه الحروب ، وقد اعتبرت اسبرطة هذه السياسة تهديدا مباشرا لها ولسياستها المحافظة، فتوكيديديس يرى انه "كان اطراد نمو أثينا إلى حد إفزاع اسبرطة وهدد كيائها"³ .

- كان الكورنثيون يرون من الأثينيين الخصم الأول⁴ ، وهذا ما أثبتته وقائع المؤتمر الذي انعقد في اسبرطة ، حيث عبر عن ذلك كورنتوس في خطابه قائلاً: "إنكم لم تتوقفوا لخطة لتفكروا في طبيعة هؤلاء الأثينيين الذين عليكم أن

* حلف البولوبونيز: حلف سياسي وعسكري منافس لمدينة أثينا ، ظهر كقوة عسكرية برية في منطقة البولوبونيز، تزعمه اسبرطة باعتبارها قوة أساسية ومحركة في السياسة اليونانية خاصة بعد دخولها ومشاركتها في الصراع الفارسي الإغريقي (490-479 ق.م)، حيث انضمت إليه غالبية مدن البولوبونيز الواقعة شمالي غرب اليونان خاصة بعد إخضاعها لكل من ايليس (Elis) وسيكون (Sikyon) وكورنثة (Korinthos)، ميجارا...، أنظر: لطفلي عبد الوهاب ، اليونان ، المرجع السابق ، ص 148.

¹ تشارلز ألكسندر روبنصن ، المرجع السابق ، ص 184.

² Thycydide , I

³ Christopher Fagg , Francois Carler , op-cit , p26.

⁴ Mike Paine ,op-cit , p97.

تجاربهم يوماً ، وأي صنف من الناس هم عليه ، و لم تلاحظوا أنهم يختلفون عنا اختلافاً كلياً أنهم ثوريون سريعون في تصور الأشياء"¹ .

-حدوث خلاف بين مدينة كورنثة وإحدى مستوطناتها القديمة الواقعة في شمال غرب بلاد اليونان وهي جزيرة

كوركيرا (كورفو) القريبة من ساحل إيبيروس غرب اليونان ، وكان سبب الخلاف هو تمرد مدينة إبيدامنوس* على مستوطنة كوركيرا عام 435 ق.م، هذه الأخيرة التي طلبت العون من الوطن الأم - كورنثة- في القضاء على تمرد إبيدامنوس ، وحتى عام 433 ق.م لم تصل أي معونات من كورنثة إلى كوركيرا ، واضطرت هذه الأخيرة إلى طلب العون من جديد من أثينا التي استجابت فوراً لنجدة كوركيرا ، هذا الموقف أدى إلى اندلاع الصراع بين السفن الأثينية القادمة لنجدة كوركيرا والسفن الكورنثية التي أرسلت لمساعدة مدينة إبيدامنوس نكاية بكوركيرا التي لجأت إلى أثينا بدلا منها، ولكن المعركة لم تكن حاسمة لمصلحة أي من الطرفين وإنما كانت بمثابة إيذاناً بإسراع الحرب بين أثينا واسبرطة² .

-السياسة الإستراتيجية المتبعة من طرف كل من أثينا واسبرطة ، والمتمثلة في سياسة عقد الأحلاف أو التكتلات بين الدويلات المدن الإغريقية كحلف ديلوس* وحلف البولوبونيز، ومحاولة كل حلف فرض سيطرته على الآخر، وتحقيق مبدأ الوحدة والتوازن بين أعضاء الحلف الواحد ، فمثلاً : تعرض حلف ديلوس للعديد من الثورات الانفصالية من قبل دول الأعضاء بعد إبعاد الخطر الفارسي نهائياً عن المدن اليونانية كمدنية ناكسوس (Naxos) التي حاولت الانفصال على حلف ديلوس وان لا تستمر فيه كعضو ، فرفضت أثينا طلبها واعتبرت أن الحلف هو

¹ تشارلز ألكسندر روبنسن ، المرجع السابق ، ص 184.

*مستوطنة إبيدامنوس : هي إحدى المستوطنات التي أقامتها كوركيرا على الساحل الألباني حالياً ، تمردت عليها سنة 435 ق.م...، أنظر: محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 174.

² محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 174، جرجي ديمتري ، المرجع السابق ، ص 100.

**حلف ديلوس أو الاتحاد الديلوسي (The Delian league): كما سبق ذكره هو حلف سياسي عسكري بزعامة أثينا ، تأسس سنة 477/478 ق.م في جزيرة ديلوس التي تم أصبحت مقراً له بعدما اقترحه ثلاث جزر يونانية كبرى (خيوس، ساموس، لسبوس) على أثينا بصورة غير رسمية ، ويعود الفضل في تأسيسه إلى القائد الأثيني أريستيديس ، بينما الأب الروحي له فهو القائد ثيموستكليس ، يضم هذا الحلف أعداداً من المدن والجزر اليونانية التي بلغ عددها سنة 425 ق.م أكثر من 400 عضو بهدف إبعاد الخطر الفارسي على بحر إيجه والانتقام منه وإيقاف أي هجوم جديد على بلاد

اليونان...، أنظر: Hal Marcovitz , op-cit , p55, Antone Powell , Athens and Sparta « constructing greek Political and Social history from 478B.C , third édition , Routledge , London , p5.

وبفضل هذه الإستراتيجية تحول الحلف إلى إمبراطورية ، ونقل مركزه من جزيرة ديلوس إلى أثينا ، أي من جزيرة صغيرة يذهب الناس إليها للأغراض الدينية إلى المدينة التي كان يسر الناس للذهاب إليها ، هذا الأمر أزعج اسبرطة التي اعتبره تهديدا عليها وعلى حلفها البولوبونيزي ، والتي سعت بدورها للحفاظ على استقراره وزيادة عدد أعضائه¹.

-عقد أثينا تحالفات سياسية مع مدينتي أرجوس وتساليا -عدوتا اسبرطة - ، وكانت هذه الخطوة بمثابة تأكيد نوايا أثينا التوسعية ضد اسبرطة².

-اختلاف نظام الحكم السياسي القائم في المدينتين ، فأثينا كانت تناصر الديمقراطية وهي المسيطرة على إمبراطورية واسعة - السيادة على بحر ايجة والجزر الشرقية الواقعة فيه داخليا وخارجيا - ، بينما اسبرطة تناصر الاوليجاركية وتنادي بحق المصير وتوازن القوى .

ويمكننا القول أن الصراع الإقليمي قد وضع النظم السياسية في محل التجزئة وكان سببا في إبراز مزايا وعيوب كل نظام ، فالتيار الديمقراطي جعل أثينا تتحول من قوة بحرية تجارية إلى قوة بحرية عسكرية تنافس أقوى المدن اليونانية وأبرزهم اسبرطة .

-تدهور العلاقات أكثر بين أثينا وكورنثة بسبب تمرد مدينة بوتيدي (Potidée) * على أثينا في عام 432 ق.م ، هذه الأخيرة التي قامت بمحاصرتها واحتجاز بعض الزائرين الكورنثيين بداخلها³ ، وقد استمر هذا الصراع تقريبا ثلاثة عقود ، و استخدم فيه ثلاث أنواع من الخطط العسكرية : المواجهة العسكرية ، الدعاية السياسية ، التخريب الاقتصادي ، وقد طلب أهل هذه المستعمرة المساعدة من كوركيرا لكنها رفضت ، فطلبت المساعدة مرة أخرى من كورنثة ، هذه الأخيرة قامت بإرسال النجدة ، حاولت كوركيرا إيقافها ب40 سفينة بحرية ، نجحت من خلالها إعادة الولاة المطرودين من بوتيدي إلى أماكنهم ، لكن في سنة 435 ق.م أرسلت كورنثة مجموعة أخرى حوالي

1 Antone Powell ,op-cit , p 6-7.

2 أبتهال عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 131.

*مستوطنة بوتيدي : هي مستوطنة كورنثية قديمة في شمال بحر ايجة ، أصبحت احد أعضاء حلف ديلوس الذي تنزعمه أثينا، لكنها تمردت عليها فيما بعد وتحالفت مع كورنثة وحليفها اسبرطة ...،أنظر: محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 174

3 Thycydide , I, LXVI , LXVIII , p42-43, Matthew Dillon , Lynda Garland , ancient greece « social and historical documents from Archaic times to the death of Socrates 800-339 B. C , second édition , Routledge , London , 2000 , p283.

110 سفينة ، وقد دارت معركة بينهما وانضمت فيها أثينا للدفاع عن كوركيلا مما أدى إلى انسحاب كورنثة من جديد .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الذريعة التي اتخذتها اسبرطة لإعلان الحرب على أثينا هي إجبار أهالي مستعمرة بوتيدي بالاتجاه إلى أسوار مدينتهم وإبرام الوعد الذي يقتضي بطرد الحكام الكورنثيين من عندهم ، فاتجهت هذه الأخيرة مستنعدة باسبرطة وكورنثة للوقوف إلى جانبها¹ ، وعلى الرغم من مساعدة الكورنثيين في هذه الواقعة إلا أن أثينا تمكنت من تحقيق الانتصار وفتح بوتيدي سنة 432 ق.م ، كما أنها استطاعت أن تنتهك استقلالية جزيرة إيجينا² .

3/ - الأسباب الاقتصادية : من أهم العوامل الاقتصادية المؤدية لتوتر العلاقات الداخلية بين المدن الإغريقية ، والتي تحولت فيما بعد إلى حرب كبرى بزعامة كل من اسبرطة وأثينا ما يلي :

- تحول اهتمامات الأثينيين وتجارهم من الجهة الإيجية الشرقية إلى الجهة الغربية ، حيث كان الأثينيون يودون الحصول على بعض المواد الأولية بدون وساطة الكورنثيين ، وتصدير فائض منتوجاتها في الأسواق الغربية مثل أسواق إيطاليا وصقلية في ظل شهرة جودة بعض منتوجاتها مثل:الأواني الأثينية الفخارية كانت تصل إلى سواحل بحري الأيوني والادرياتيكي ، وكان تجار أجانب ايونيين وفوسيون ينقلون هذه الخزفيات دون أن تتمكن السفن التجارية الأثينية المغامرة في البحار الغربية ، هذه الاستراتيجيات الاقتصادية أدت إلى ازدياد المنافسة التجارية بين بعض دويلات المدن الإغريقية ، وإلى احتكار الأثينيين للسلع والواردات ، ما جعل اسبرطة تتوتر من هذا الازدهار التجاري ومن شكاوي حلفائها ، وبلغت حدا فاصلا عندما خطت أثينا ثلاث خطوات خلال عامي 433-432 ق.م بمحالفتها كوركيلا ومحاصرة بوتيدي .

- رغبة أثينا في مراقبة الطرق المؤدية إلى مستعمراتها الغربية المتواجدة في جنوب إيطاليا بهدف حماية مصالحها في تلك المناطق ، والسيطرة على البحر بصفة نهائية خاصة بعدما أصبحت تمتلك أسطولا بحريا قويا من جهة ، ومن جهة أخرى تتزعم حلفا سياسيا يدعى ديلوس يسعى دوما إلى عقد التحالفات مع مدن الغرب مثل : ليطيوم، وريجيوم ، فأفزع اسبرطة وحلفائها بالحلف البولويونيزي بإقامة أثينا مستعمرات لجنودها في المناطق الاستراتيجية ، وفي هذا

Thycydide , I , LXXXV , CXXXIX , pp56, 90.

1
2 جورج ديمتري ، المرجع السابق ، ص 100.

الصدد يقول بيركليس: "إذا كنا نقطن إحدى الجزر ، فمن من الشعوب سيكون في مأمن أكثر منا؟ لذا علينا أن نقرب أقصى ما يمكن من هذه الوضعية ، فنتخلى عن بوادينا وعن منازلنا للحفاظ على البحر وعلى مدينتنا"¹.

- سياسة أثينا التوسعية ومركزها التجاري المرموق الذي وصلت إليه نتيجة الرخاء الاقتصادي وتطور عملتها الفضية التجارية -قوة بحرية- التي تمّ تداولها في أسواق البحر المتوسط ، حيث يشير ثوكيديديس أن قوة أثينا أخذت في النمو والازدهار منذ أن دحرت الفرس في موقعة مارثون سنة 490 ق.م ، وسيلاميس سنة 480 ق.م ، وإخلاء الفينيقيون الساحة أمامهم بعد هزيمتهم في البحر المتوسط² ، إذ تسلمت مقاليد الزعامة على المدن اليونانية الشرقية تقديرا لما بذلته في سبيل الذود عن حرية الإغريق، هذه الزعامة فتحت الآفاق أمام بيركليس الذي أصبح يطمح للتوسع أكثر والانفتاح على العالم القديم ، وأوضحه لمواطنيه في عام 431 ق.م قائلا: "وأشير إلى نقطة أخرى يبدو أنكم لم تنتبهوا إليها ، وهي عظمة سيطرتكم ، لا تظنوا أن الأمر يتعلق بمسألة واحدة هي العبودية أو الحرية ، بل يتعلق بضياح الإمبراطورية وبالضغائن والأحقاد التي يثيرها توليكم قيادة العالم الإغريقي"³.

كما أن اسبرطة لها مصالحها التوسعية في السيطرة التامة على منطقة البولوبونيز خاصة بعدما قامت بتزعم حلف البولوبونيز المكون من دول المدن الإغريقية في شبه جزيرة البولوبونيز ، وإدارة شؤونه السياسية والعسكرية ، لكن اسبرطة كانت عكس أثينا قوة برّية تقوم على قاعدة اقتصادية زراعية قوامها ملكية الأرض ، معنى ذلك أن مصالحها تتعارض أساسا مع مصالح الطبقات التجارية والصناعية وبخاصة المدن الخاضعة لها والمكونة للحلف البولوبونيزي ، فقد كانت تخشى هذه الزعامة من امتداد النفوذ الأثيني الديمقراطي، ومن تشجيع أثينا للفئات ذات الاتجاه الديمقراطي ، وعلى ذلك فإن زعامة اسبرطة لحلفائها تقوم أساسا على السيطرة العسكرية⁴.

-ازدهار أثينا على حساب حليفاتها ونمت فيها كل أوجه الحياة فان اسبرطة حافظت على نظامها السابق الذي يتسم بالتقشف ، ولم يتمكن اقتصادها الزراعي من مقارعة اقتصاد أثينا الذي يعتمد على التجارة والصناعة وموارد المدن الحليفة ، فظلت اسبرطة مدينة فقيرة بالقياس مع أثينا ، حيث ظلت عملتها تصنع من الحديد ولم تتمكن أبدا من إصدار عملة من الفضة مثلما فعلت أثينا ، ورغم أنها نجحت في قيادة الأساطيل الإغريقية ضد الفرس إلا أن

¹ عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 62.

Thycydide , I, LXXIII , p47.

Thycydide , II, CXXXIX , p90.

⁴ ليلى عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص 297-298.

ذلك لم يشفع بان تكون القوة الاقتصادية الأولى لاعتمادها نظاما إقطاعيا يميل نحو الملكية الجماعية والحد من ملكية الفرد¹ .

-التنافس التجاري الكبير زاد من حدة الصراع بين أثينا وبعض المدن اليونانية مثل: كورنثه ، ايجينا ، ميجارا ، سيكيون في شمالي شبه جزيرة البولوبونيز ، والتي كانت تعتمد في نشاطها التجاري على المياه الغربية التي تقع بين غرب بلاد اليونان من جهة ، وبين ايطاليا وجزيرة صقلية من جهة أخرى إلى إشعال شرارة بين اسبرطة وأثينا ، على الرغم من أن اسبرطة لم يكن لها مصالح تجارية في الغرب إلا أنها كانت تخاف من توسع النفوذ الأثيني ، هذا الأخير الذي أدرك أنه لا يستطيع فرض سيطرته على شبه جزيرة اليونان إلا بعد فرض سيطرته على البحار وعلى المستعمرات اليونانية المنتشرة في جنوب ايطاليا وفي صقلية² .

-نمو نفوذ الأثينيين وتخوف اسبرطة من أن هذا سيؤثر عليها ، حيث أدركوا أن الأثينيين أكثر قوة مما كانوا عليه في سنة 479 ق.م ، ففي خلال عشر سنوات المؤدية لاندلاع الحرب هيمنت أثينا تقريبا على بلاد الإغريق وأصبحت أكثر اندفاعا³ .

ب/ -السبب المباشر (الحقيقي) : إصدار أثينا القرار التأديبي ضد ميجارا⁴ ، والذي عرف باسم مرسوم ميجارا بسبب اختلافهما حول الحدود المشتركة بينهما ، حيث استطاع بيركليس من إقناع الجمعية الشعبية بإصدار قرار الحظر على الميجاريين ، ويمنعهم من دخول جميع الموانئ التي تسيطر عليها أثينا ، وإغلاق جميع الأسواق في وجه التجار الميجاريين ، فضلا عن ذلك معرفة بيركليس أن الحرب قادمة لا محالة ، فرأى أن يقرب موعدها ، فسارع واتخذ قرارا عدائيا ضد مدينة ميجارا -إحدى الحلفاء المنظمين للحلف الاسبرطي -⁵ .

ويعتبر هذا القرار بمثابة حكم الإعدام على أهل المدينة بسبب كثرة سكانها وقلة مواردها الاقتصادية ، واعتمادها على التجارة في جلب غذائها ، ما أدى إلى تعرضها إلى مجاعة كبيرة وتدهور في أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية ، ما جعل اسبرطة تتحمل مسؤولية الدفاع على ميجارا وان لا تدعها في هذا الوضع المزري، وعندئذ اجتمع أعضاء الحلف البولوبونيزي وقرروا رسميا إعلان الحرب ضد أثينا سنة 431 ق.م خاصة بعدما رفضت أثينا إنهاء حصار مدينة

¹أبتهال عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 132.

² لطفي عبد الوهاب يحي ، اليونان ، المرجع السابق ، ص 181.

Matthew Dillon , Lynda Garland ,op-cit , p 281.

Mike Paine ,op-cit , pp96 -97

⁵ سيد احمد علي الناصري ، الإغريق ، المرجع السابق ، ص 323.

بوتيدي ، وتحرير جزيرة إيجينا ، وعدم نفي عائلة آل الكمايون* التي حلت اللعنة عليها منذ واقعة كيلون قبل نحو قرنين من الزمن ، ومنها بركليس الذي ينحدر منها ، ولم تتنازل عن إلغاء المرسوم الذي اتهم فيه الميجاريون بزراعة الأراضي المقدسة وانتهاكهم حدودهم وبإخفاء العبيد الهاربين¹ .

2/ -مراحل الحرب : اختلفت الدراسات التاريخية حول قضية مسؤولية بركليس في اندلاع الحرب البولوبونيزية وتحريضه الأثينيين على خوضها، ما دامت هذه الحرب كانت في الحقيقة تدخل في منطق سياسته ، وحتى ديمقراطية أثينا كان مصيرها مرتبطا بالحفاظ على الإمبراطورية ، وبالتالي فإن أي تهديد ضد الإمبراطورية كان يمثل خطرا مباشرا ضد النظام نفسه² .

وعلى الرغم من أن الاسبرطيين كان مدعومين من طرف الكورنثيين إلا أنهم كانوا في البداية مترددين في أن يتورطوا في حرب مجهولة العواقب، أو ربما تخدم نتائجها مصالح كورنثة أكثر من مصالح اسبرطة ، حيث يصور لنا ثوكيديديس النقاش و الحوار المتعدد بين الاسبرطيين والممثلين الكورنثيين في الجمعية العمومية الاسبرطية، إذ اتهم الكورنثيين بعدم حماسة وجدية الاسبرطيين أمام المناورات الأثينيين ، حيث خاطبهم قائلين: " فانتم المسؤولون على تقوية عن هذه الحالة ، لأنكم تركتم الأثينيين يعملون على تقوية مدينتهم بعد الحروب الميدية ، كما منحتم لهم الفرصة لتحسين مدينتهم بالأسوار الضخمة"³ .

وفي موقف آخر اتهم الكورنثيين الاسبرطيين بأنهم لا يبحثون عن المجد واعتراف الجميع بتحريرهم بلاد الإغريق بسبب حرمانهم للدول التي استعبدها الأثينيون وحلفائكم الأوفياء من نعمة الحرية ، لان المسؤول الحقيقي ليس من يفرض الاستعباد على الآخرين ، لكن أيضا بإمكانه منع هذا الألم .

ونتيجة لهذا الوضع حاول الأثينيون تبرير موقفهم أمام الاسبرطيين عن طريق ممثلوهم الذين كانوا حاضرين في نقاشات الجمعية الشعبية ، بفضل دورهم السامي الذي لعبوه في الماضي زمن الحروب الميدية ، وأيضاً من اجل حث الاسبرطيين على اختيار أسلوب المفاوضات بدل اختيار مسلك الحرب ، حيث يقول ثيوكوديديس: " عليكم تقييم الخسائر التي ستجنيونها قبل الاندفاع في الحرب ، ولا يمكننا من الآن التنبؤ لصالح من سننتهي هذه الحرب ، فما

*كما سبق ذكره من قبل أن أسرة آل الكمايون (الكميونيد) حاولت أن تنفرد بالسلطة في أثينا عن طريق ميغاطوكليس أثناء مؤامرة كيلون الذي أراد أن ينفرد بالسلطة كدكتاتور ، عن طريق خرق حرمة الإلهة أثينا و تدنيس مقامها ، وكانت نتيجة هذا التصرف هو محاكمة أفراد عائلة الكمايون ونفيها خارج أثينا...، أنظر: عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 65 .

1 Matthew Dillon , Lynda Garland , op-cit , p284.

2 Mike Paine , op-cit , p97.

3 Thucydide ,I ,XCIII , XCVII , pp60-63.

علينا إلا حل خلافاتنا وديا حسب اتفاقاتنا ، وإلا نستدعي آهتنا التي ستضمن القسم الذي سنؤديه ، لأن ما يهمننا هو رد عدوان غاشم معتدي...¹

وفي نهاية المطاف تمكن أحد القضاة يدعى ستينيليداس (Sthénelaidas) من إقناع ملك اسبرطة ارخيداموس (Archidamos) بقرار إعلان الحرب على أثينا ، هذا القرار نال موافقة الحلفاء والمصادقة عليه ، فأعلنوا الحرب عليها سنة 431 ق.م ، بعدما تذرعو بالحجج السابقة الذكر، وأبرزها مرسوم ميچارا الذي يقضي بجرمان الميچاريين من النشاط التجاري ، و انقسمت الحروب البولوبونيزية إلى :

أ/ الحرب البولوبونيزية الأولى (431 ق.م-421 ق.م) : يعتبر ربيع 431 ق.م تاريخ اندلاع الأعمال العدائية

بين أثينا واسبرطة في وقت واحد تقريبا و تقسيم بلاد اليونان إلى معسكرين مسلحين، وهي بمثابة أزمة تهم أثينا وتزعزع توازنها² ، حيث انقسم موقفهم بين الرفض والتأييد للحرب ، وأن يكون مرسوم ميچارا حاجزا أمام تحقيق السلام، فطالبوا بضرورة إبطاله .

لكن بركليس بفضل حنكته تقدم إلى المنصة وخاطب الأثينيين بمايلي: "من رأيي أيها الأثينيون لا يجب الخضوع للبولوبونيزيين مذكرهم بتفوقهم الواضح في حالة قيام الحرب ، وبالخصوص إذا قبلت أثينا إستراتيجيته الحربية والمبنية على أساس : نقل الحرب إلى البحار والتخلي عن الدفاع عن إقليم أتيكا بكامله ، والحفاظ فقط على المدينة وميناءها، فضلا على أن الحرب لا مفر منها وأنا لن ننجوا منها ، وكلما بادرنا بإثارة فتيلها كلما قللنا من خسائرها أمام خصومنا ، كما علينا أن نعلم بان اكبر المخاطر ستتيح لنا تحقيق أعظم الأجداد ، هكذا استطاع أسلافنا ، وان لم تكن لديهم نفس قوتنا ، فقد استطاعوا رد خطر الفرس ، ليس عن طريق الحظ والقوة ، لكن بفضل ذكائهم وجرأتهم ، كما تمكنوا من تطوير إمبراطوريتهم وبلوغها السمعة التي ترونها عليها اليوم ، فلا يجب أن نكون اقل مستوى منهم ، علينا إذن إبعاد خطر أعدائنا بكل ما رزقنا من قوة ، كما علينا أن نبذل كل ما في وسعنا لنترك لأبنائنا قوة لا تقل عن تلك التي ورثناها عن أجدادنا"³ ، وهكذا اتخذ قرار الحرب التي ستدوم أزيد من ربع قرن ، و انقسم الصراع إلى عدة مراحل وعدم توصل أطرافها إلى نتائج حاسمة ، فمن ناحية اسبرطة فإنها بدأت الحرب باجتياح سهل أتيكا⁴ ، وأول مكان وصلت إليه اسبرطة وحلفائها في أتيكا وتحصنت فيه للاعتداء على أثينا يسمى اوينو-الذي يقع على الحدود بين أتيكا ويوبويه- ، ثم عاثت فسادا في سهل أتيكا صيفا ، واستمر هذا

1 Thucydide ,I , LXXXVI , LXXXVII , pp56-57.

2 C.E.Robinson , op-cit , p 106.

3 Thucydide ,II , 59 , 64.

4 Violine Vanoyeke , les grandes heures de la Grèce antique , librairie académique Perim , paris , 1992 , p 152.

الوضع قرابة 6 سنوات لجرّ أثينا إلى معركة برية فاصلة ، ولم تستطع أثينا أن تفعل شيئاً لإيقافهم ، وكل ما كانوا يفعلونه هو نقل السكان وجميع مستلزماتهم من الأثاث والماشية إلى مدينة أثينا نفسها بهدف حمايتهم خلف أسوارها المنيعة ، ومنهم من انتقل إلى جزيرة يوبويا (Eubée) ، وبعض الجزر المجاورة¹ ، وفقاً لخطة بركليس الذي اقترح على الأثينيين البقاء خلف الأسوار² ، وجعل المدن الخاضعة للسيطرة الأثينية أن تدفع حصتها السنوية للأسطول الأثيني ، وان تستخدم هذا الأسطول في حماية إمدادات القمح الخارجية المستوردة للمدينة التي تعاني من حصار اسبرطة ، وفي نفس الوقت الإغارة على سواحل العدو والاستيلاء على بعض الجزر القريبة من البرّ وجعلها كقواعد للانطلاق منها ، ومواصلة الضغط على اسبرطة وحلفائها³ .

وبهذه السياسة استطاعت أثينا أن تستنزف قدرات اسبرطة وان ترهقها وتجبرها على التراجع في نهاية المطاف من دون أن تخوض معركة حاسمة ، لكن ما حدث في عام 430 ق.م نتيجة إصابتها بأزمة خلفت لها خسائر بشرية كبيرة بسبب حشد السكان داخل الأسوار ، مما أدى إلى انتشار الأمراض لا سيّما وباء الطاعون* ، حيث مات آلاف من الناس ومنهم بركليس سنة 429 ق.م ، وفي هذا الصدد يقول ثيكوديديس مايلي : " لقد ماتوا مثل الذباب ، أجساد الموتى تراكت الواحد فوق الآخر ، وأما المخلوقات النصف ميتة يمكن رؤيتها مرعوبة في الشوارع أو مجتمعة حول النافورة رغبة منها في الماء ، الكنائس امتلأت بأجساد السكان الذين ماتوا بداخلها ، العديد من السكان يفتقرون للوسائل الضرورية للدفن لأن عدد الوفيات كثر في عائلاتهم ، اتخذوا طريقة مخزية للدفن ، أولاً يأتون بالخرقة التي أعدها غيرهم و يضعون أمواتها عليها ثم يشعلونها"⁴ ، وموت بركليس خسرت أثينا الحاكم الحكيم ، ولم تعرف بعده قائدا بمستواه وحماسته⁵ .

1/ -مصير الحرب البولوبونيزية الأولى بعد وفاة قائدها بركليس: كان مصير هذه الحرب لا سيّما على

مدينة أثينا التي تضررت كثيرا بتعرضها للوباء المدمر وفقدان أهم قائد سياسي محنك - بركليس - الرجل الوحيد الذي استطاع أن يجمع الأثينيين على كلمة واحدة ، ما يلي :

¹ محمد فؤاد إبراهيم ، المعرفة ، مج 5 ، مؤسسة خليفة للطباعة ، لبنان ، 1983 ، ص ص 72-73.

² Mike Paine , op-cit , p97.

³ Christopher Fagg , François Carler , op-cit , p26.

* تصور ثيكوديديس الوضعية التي وصلت إليها أثينا بعد الهجرة الداخلية بعد أن دامت هذه الوضعية 6 سنوات ، حيث ينتقل السكان في فترة الصيف من القرى والبوداي إلى المدينة ، وبعد انتهاء الهجوم الصيفي يعودون إلى قراهم المخربة ، وفي المدينة هناك من يجد ملاذاً عند أصدقائهم أو أقاربهم ، أما غالبيتهم فقد قطنوا في الأحياء المهجورة ، وفي المعابد وأضرحة الأبطال أو داخل قصبات الأسوار ، مما أدى إلى سهولة انتشار الوباء ... ، انظر: عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 68.

⁴ Mike Paine , op-cit , pp98 -99 .

⁵ Christopher Fagg , François Carler , op-cit , p26.

- بالرغم من تدمير الاسرطيين وحلفائهم المزارع الأثينية وزرع الملح والذعر في نفوس سكان اتيككا على مدى الست سنوات الماضية ، فان أثينا حققت في هذه المرحلة عددا من الانجازات بفضل أسطولها البحري وإغارته المستمرة على الجزر القريبة من البر .

- نتيجة الوباء الذي تعرضت له أثينا سنة 430 ق.م وفقدانها تقريبا ربع سكانها ، تحلى الأثينيون عن القيم والمبادئ الأخلاقية التي نشأوا عليها مثل: الأعراف والعادات المرتبطة بمقابر الأموات ، حيث يموت الأغنياء بدون سابق إنذار أما الفقراء فكانوا يفتنون بفضل أموال و ثروات الأموات ، فلم يعد الناس يبحثون إلا على المنفعة والسعادة السريعة ما دامت الثروات والحياة عابرتين ، فلم احد يخاف من عقاب الآلهة ، أو من بطش قوة القوانين الوضعية ، كما لم يعد الإنسان يفرق بين الإيمان والإلحاد منذ أن أصبح الموت وهو يحصد الأرواح دون تمييز¹.

- تحقيق أثينا العديد من الانتصارات على المدن المناهضة للوجود الأثيني مثل: إجبار جزيرة بوتيدي -المستوطنة الكورنتية- على الاستسلام والخضوع لأثينا في سنة 430 ق.م ، وسحق تمرد جزيرة ليسبوس على حلف ديلوس في 427/428 ق.م ، وانتصار قائدها ديموستينيس في عام 426 ق.م على قوات البولوبونيز في امفيلوخيا شمال غرب اليونان ، ولكن الانجاز الحقيقي لأثينا يتمثل في الاستيلاء على مدينة بيلوس الواقعة على الساحل الغربي لميسينيا في شبه جزيرة البولوبونيز سنة 425 ق.م ، وأسر حوالي 420 من القوات المشاة الثقيلة الاسرطية في جزيرة أسفاكتيريا المقابلة لبيلوس ، وبهذا الانتصار تمكنت أثينا من تشكيل قاعدة أمامية في قلب أراضي العدو ، وإجبار اسرطة على تقديم عروضاً أولية تنم على نيتها في الصلح والسلام².

- بموت بركليس سنة 429 ق.م ، برز على الساحة السياسية الأثينية شخصيتين تميزتا بالنفوذ وتأثيرهما السياسي على المجتمع الأثيني ، ففي البداية ظهر كليون (Cleon) * ، تميز بقسوته وتطرفه ، استطاع أن يحقق الانتصارات

¹ عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 69.

² محمد السيد محمد عبد الغني ، المرجع السابق ، ص 178.

*كليون : أول السياسيين الذين تولوا الزعامة السياسة في أثينا بعد موت بركليس ، واستلم أمورها في أصعب مرحلة تاريخية عاشتها أثينا ، وهو ابن دباغ جلود ثري من أثينا وديمقراطي متطرف ، لقبه المسرحي اريستوفان في مسرحيته "السلام" بلقب "مدقات الحرب" هو وشخصية براسيداس ، حيث شنّ هجوما متطرفا على سياسة بركليس في عامي 430/431 ق.م ، تميز بقسوته وتطرفه وعنفه مع الأعداء مادام ذلك يعود عليه بالمجد والقوة والثروة على الأثينيين وعليه شخصيا ، وأرجعت المصادر التاريخية عنف لغته إلى تدني سياسته التي أثرت كثيرا على خطبه السياسية على عامة الناس ، وأثناء صراع أثينا مع الموليتيين (Mytileneans) عندما ثاروا في عام 428 ق.م ، طالب بعقوبة الموت لهم جميعا ، وعندما حدثت أزمة مالية اقترح فرض ضريبة خاصة على الدخل ، شارك في عدة حملات ، وفي عام 425 ق.م أسر نحو 400 اسرطي ، مات في 421 ق.م أثناء محاصرته لامفيبوليس ...، أنظر: محمد السيد محمد عبد الغني، المرجع السابق ، ص 178 ، بيير ديفانيه وآخرون ، ج2 ، المرجع السابق ، ص 188 ، 189.

على جزيرة لسبوس وإسفاكتيريا كما سبق وان أسلفنا الذكر¹، وإصدار في حق لسبوس قرار من الاكليزيا بإعدام كل رجالها المتمردين على أثينا في سنة 427 ق.م، وبيع النساء والأطفال كعبيد، ولكن هذا القرار الغي بعد يوم واحد من صدوره لقسوته².

ومما تجدر الإشارة إليه أن بفضل هذا الانتصار حقق كلون شعبية كبيرة بين عوام الأثينيين، لا سيما بعد أن رفع مكافأة حضور جلسات المحلفين في المحاكم الأثينية من 2 إلى 3 أوبول، ورفضه كل محاولات الاسبرطيين للصلح سنة 425 ق.م، وفي هذه الأثناء أنقذ القائد الاسبرطي براسيداس "Brasidas" مدينة ميحارا من قبضة الأثينيين، واستمال إلى جانبه مدن تراقيا الواقعة شمال شرق اليونان، ثم استولى بالقوة على مدينة أخرى في سنة 422 ق.م تعرف باسم امفيبوليس، فلما وصلت أنباء السيطرة الاسبرطية على هذه المدينة لكيلون، قرر قيادة الحملة بنفسه لاستعادتها من الاسبرطيين، لكنه انهزم وقتل فيها، وجرح براسيداس جراحا خطيرة مات على إثرها³.

-أما الشخصية الثانية التي كان دورا سياسيا بعد وفاة بيركليس، والمتمثلة في نيكياس "Nikias" *، الذي استطاع إبرام الصلح مع الاسبرطيين سنة 421 ق.م بعد فشل كيلون في استرجاع مدينة امفيبوليس ووفاته على إثرها، يعرف باسم "صلح نيكياس"، والذي اعتبر نصرا لأثينا التي ظلت محتفظة بإمبراطوريتها البحرية، في حين انقسم حلفاء اسبرطة البولوبونيزي على أنفسهم، حيث رفضت كل من كورنثة و بويوتيا التوقيع على الصلح⁴.

-الإطاحة بصلح نيكياس الذي لم يعمر طويلا بين المدينتين بسبب ظهور على الساحة الأثينية شخصية تشبعت بأفكار بركليس ألا وهو القائد الكياديس "Alcibiades" **، تمكن من إغراء بعض المدن البولوبونيزية المخاذية مثل: ارجوس، إيليس، مانتينيا إلى التحالف معها مستغلا في ذلك حالة التفكك والفرار الذي كانت يعيشه

1 Thucydide ,II, I, II, pp1-2.

2 Mike Paine , op-cit , p99.

3 Thucydide ,II ,VI, VII , p4-5.

* نيكياس : قائد أثيني تزعم حزب الأعيان، كان من أغنى أثينا، يمتلك عددا كبيرا من العبيد من أرباب الحرف الصناعية، إضافة إلى انه سياسي معارض لأفكار وطموحات كلون، اتسم بالاعتدال والوسطية، لا يجذ النزعة التوسعية للديمقراطيين، ونظرا لاستقامته وسلوكياته الفاضلة نال إعجاب العقلاء من معاصريه أمثال ثوكيديديس، كان يميل للسلام مع اسبرطة ورفض سياسة كيلون المناذية للحرب، أحرز بعض الانتصارات على الاسبرطيين وانتزع منهم جزيرة كثيرا الواقعة إلى الجنوب الشرقي من جزيرتهم ...، أنظر: أرسطو، دستور الأثينيين، المصدر السابق، ص 77.

4 Thucydide ,II , XLV, XLVI , pp33-34.

** الكياديس: كان نبيلًا، ذكيا وغنيا، ينحدر من جهة أمه من عائلة آل الكمايون، أما من جهة والده فكانت له علاقة قرابة بالزعيم بركليس الذي كان وصيا عليه بعد وفاة والده، كان احد أتباع ومريدي الفيلسوف سقراط، عيّن في سن مبكرة على تولي مسؤولية قبيلته في عام 420 ق.م (عمره لا يتجاوز الثلاثين)، وأصبح زعيما للديمقراطيين المتطرفين فيما بعد، كان طموحا للوصول إلى المقعد الأول في مجلس الاكليزيا، حيث ساهم في إسقاط حكم نيكياس وتحويل الصلح المبرم مع اسبرطة إلى حبر على ورق...، أنظر: بلوتارك، مج 1، المصدر السابق، ص ص 431-433.

حلف البولوبونيز، حيث هاجمت مدن التحالف مدينة ايبيداوروس الواقعة في شمال شرق البولوبونيز ، ثم تقدمت غربا وجنوبا نحو مدينة تيجيا ، مما جعلت اسبرطة تتحرك لمهاجمة هذا التحالف وإلحاق هزيمة كبرى في موقعة مانتييا في حوالي 418 ق.م ، وجعل أرجوس تنسحب من هذا التحالف والعودة إلى عزلتها من جديد.

لكن الكبياديس لم يتوقف على نزعته الهجومية ويرى أن الحرب خير وسيلة لتدعيم مركزه ، ولذا اقنع الأثينيين سنة 416 ق.م بتجهيز حملة عسكرية ضد جزيرة ميلوس / ميتيلين (Mytilène) - الواقعة جنوب شرق البولوبونيز- التي وقفت على الحياد طوال هذه المدة ، وقد جهز الأثينيون حوالي 30 سفينة من سفنهم و1200 جندي من المشاة كحامل السلاح و300 من رماة القوس إلى جانب 20 آخرين من رماة الخيالة¹ .

وبعد المفاوضات مع جزيرة ميلوس ، لم يصل الطرفين إلى حل يرضي كلاهما عن الحرب إلا أن الأمر كان عديم الجدوى حيث أن الأثينيين كانوا عازمين على الحرب خاصة بعد أن لجأوا إلى إقامة سور حول المدينة وتعيين الجنود لحراسة السور ، ورغم تمكن أهل ميلوس من الإغارة على السور عدة مرات إلا أن الأثينيين استطاعوا أن يخضعوا هذه المدينة في النهاية² ، وبعد تدميرها عن آخرها ، توجهت أنظاره إلى مناطق أخرى معلنا بذلك على المرحلة الثانية تعرف بالحملة الصقلية في عام 415 ق.م.

ب) الحرب البولوبونيزية الثانية (415 ق.م - 412 ق.م) : توجهت أنظار أثينا في هذه المرحلة إلى احتلال

الغرب وبالتحديد جزيرة صقلية تحت زعامة الكبياديس، الذي حث الأثينيين إلى القيام بحملة بحرية إلى صقلية لكبح قوة مدينة سركوزة* المتنامية من جهة³ ، ومن جهة أخرى السيطرة على جزيرة صقلية وفرض هيبتنا على البحر المتوسط بكامله⁴ ، وفي هذا الصدد يقول الكبياديس : "علينا الاعتراف بان الوسيلة المثلى لمضاعفة قوتنا هي الذهاب للقتال هناك، أي توجيه حملة للقضاء على عجرفة البيلوبونيزيين ، وسنحصل بالتأكيد على هذه النتيجة إذا ما اندفعنا بكل ما نملك من قوة باتجاه صقلية ، وأمام اختياريين هما: إما أن نضعف من قوتنا هناك فنحتل مركز الزعامة على بلاد

¹ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص ص 35-36.

² نشارلز الكسندر روبنسن ، المرجع السابق ، ص ص 211 ، 236.

* سركوزة : هي من أشهر المستوطنات الكورثية في شرق جزيرة صقلية ، نافست ميچارا على أنها ثاني أقدم مستوطنة إغريقية في صقلية بعد ناكسوس ، وأصبحت عاصمة كل اليونان الغربية ، وحسب ثوكيديدس أن أركياس الكورثي استعمر سيراكوزة بعد عام واحد من تأسيس مستوطنة ناكسوس ، وأنها كانت مرتبطة بالساحل في عهده ، حيث بنيت المدينة الداخلية ثم بعد ذلك بنيت المدينة الجديدة على ارض القارة ، والتي كانت محاطة بالأسوار وأصبحت كثيفة بالسكان ، وفي ظل تضارب المصادر التاريخية حول تاريخ تأسيسها فإنه يعتقد أنها تأسست في سنة 756 ق.م حسب الجدول الزمني

لثوكيديدس ...، أنظر: Thycydide, I, VI, , pp 13,3,2

Mike Plaine , op-cit ,pp 100-101

Christopher Fagg , François Carler , op-cit , p26.

اليونان برمتها ، أو نتسبب في أضرار جسيمة لسكان سركوزة ، وهذا لوحده كافيا ليجعلنا نحقق مكاسب جمّة هناك¹ .

وعلى الرغم من تعرض الكبياديس للاتهامات أثناء الإعداد للحملة من طرف خصومه السياسيين بأنه انتهك حرمة الآلهة والتجديف في حق الأسرار الاليوسية الخاصة بعبادة الإله ديميتير -ربة الأرض والحصاد- فإنه قد سمح له بالاشتراك في قيادة الحملة على صقلية إلى جانب نيكياس ولاماخوس ، على أن يستدعي للتحقيق والرد على الاتهامات في بعد² .

انطلقت الحملة في صيف 415 ق.م ، وعند وصول الأسطول الأثيني إلى صقلية لم يجد الترحيب المتوقع من جانب عدد من المدن اليونانية المناوئة لسركوزة ، وبالتالي أهدر نيكياس -المتردد في تنفيذ العمليات العسكرية- وقته في التجوال حول شواطئ صقلية في محاولة منه لاكتساب حلفاء ضد سيراكوزة³ ومعارضة لاماخوس بضرورة مهاجمتها مباشرة ومداهمتها واجتياحها ، لكن هذا الأخير قتل أثناء مقاومته للسيراكوزيين الصامدين ، أما الكبياديس لما سمع استدعائه للتحقيق في أمره وفي حق الاتهامات الموجهة إليه ، فرّ إلى اسبرطة مباشرة ، والتي استقبلته استقبالا حافلا بموجب اللجوء السياسي بعدما أكدّ لهم بأنه سيعوض لهم بخدماته المقبلة عن كل الأذى الذي لحقهم منه عندما كان عدوا لهم⁴ .

أ/ -مصير الحرب البولويونيزية الثانية بعد فرار الكبياديس إلى اسبرطة: حسب المصادر التاريخية يعتبر حدث فرار القائد الكبياديس إلى اسبرطة بعد الحكم عليه غيايبا بالإعدام من أهم المحطات التاريخية التي عادت على أثينا سلبا بوجه عام ، وعلى الحملة الصقلية بوجه خاص من خلال :

-تقديم الكبياديس معلومات قيّمة لاسبرطة أضرت ضررا بالغا بمصالح وطنه أثينا داخليا وخارجيا ، حيث أوعز إلى ملك الاسبرطيين أجيس في سنة 413 ق.م بضرورة التوغل في إقليم أتিকা و القيام بالتحصن في تل ديكيليا/ (ديسلي) (Décelie) الذي يبعد بحوالي اثني عشر ميلا إلى الشمال من أثينا ، وإقامة حامية هناك ، وبالتالي إجبار المزارعين الأثينيين القريبين من السهل بالانسحاب بصفة دائمة داخل أسوار أثينا، أدى هذا الوضع إلى تخريب البوادي القريبة منه بواسطة الميليشيات العسكرية ، وإحداث أضرار جسيمة بالأثينيين ، حيث وجدوا أنفسهم

Thucydide, VI , 18.

¹ بلوتارك ، مج1 ، المصدر السابق ، ص 447.

² Claude Mossé , armée et cité grecque op-cit , p290.

³ Mike Plaine , op-cit , p 102.

⁴

محرومين من حقولهم ومزارعهم ، إضافة إلى فرار أزيد من 20 ألف من العبيد أغلبهم من الحرفيين ، كما أبيدت جميع قطعان الماشية في ظل المخازن المأون الشبه الفارغة بسبب حروبهم في صقلية واتيكا¹.

- حث الكبياديس الاسبرطيين على إرسال قائدهم البحري جيليبوس (Gylipus) لمواجهة الأسطول الأثيني بقيادة لاماخوس ونيكياس في البحر-صقلية- ، وتقدم المساندة لمدينة سيراكوزة ، و أدى هذا القرار إلى نشر الذعر والهلع في أوساط الأثينيين الذين سارعوا في تعزيز الحملة بقيادة ديموستينيس ، لكن على الرغم من ذلك انتهت الحملة في عام 412/413 ق.م. ب هزيمة كبيرة للأسطول والجيش الأثينيين قرب نهر اسيناروس "Asinaros" ، وإرهاق الميزانية الأثينية ، واستسلام نيكياس وديموستينيس وإعدامهما ، كما استسلم سبعة آلاف ممن تبقوا على قيد الحياة من الأثينيين اليائسين الذين استغلوا فيما بعد للعمل في محاجر عميقة غير مغطاة خارج سرקوزة ، فقد تم حبسهم في مجموعات كبرى في حفر عميقة بدون حماية، يعانون من حر الشمس وانعدام الهواء ، كما تغيرت درجة الحرارة في ليالي الخريف الباردة ، مما تسبب في انتشار الأمراض وتكدس الجثث².

- وتشير الدراسات التاريخية أن هذه الوضعية لم تستمر لفترة طويلة في صقلية وبالتحديد خلال الفترة الممتدة من 415 ق.م - 413 ق.م ، حيث تحول الوضع إلى كارثة بسبب تحطم أسطولها أمام سرقوزة وفقدان معظم جيشها ، وتكتلت ضدها مجموعة من الدويلات المدن الإغريقية بقيادة اسبرطة التي دعت حلفاء أثينا إلى التحلي عنها ووعدتها بالاستقلال ، وبهذه الذريعة تجدد الصراع من جديد بين الطرفين³.

(ج) الحرب البولوبونيزية الثالثة (412 ق.م-404 ق.م): بدأت هذه الحرب بإعلان المستعمرات تمردا على أثينا وإياعاز من الكبياديس على حساب وطنه ، حيث ذهب إلى أيونيا الممتدة على الساحل الغربي لآسيا الصغرى في عام 412 ق.م ، ومعه أسطول اسبرطي صغير ، وأعلن الثورة في البداية من مدينة خيوس (Chios) ثم امتدت على نطاق واسع لتشمل ليسبوس ، سيزيكوس⁴ .

ونتيجة للظروف المأساوية التي كان يعيشها الأسطول الأثيني في صقلية وفقدانه جزء كبير من سفنه، اضطر الأثينيون إلى اتخاذ قرار تخصيص كل موارد المدينة لإعادة بناء وتجهيز أسطول جديد عن طريق استعمال حوالي ألف

¹ بلوتارك ، مج 1، المصدر السابق ، ص 452.

² محمد السيد محمد عبد الغني، المرجع السابق ، ص 180-181 ، عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 81-83.

³ وهيب أبي فاضل ، الموسوعة الكبرى لتاريخ الشعوب وحضارتها ، المرجع السابق ، ص 117.

⁴ John Gillies .LL.D, the history of ancient greece , (Its colonies and conquests) , V 4 , the sixth-
édition , printed for T.Cadelle and W.Davies in the Strand ,London , 1820 , p9.

تالنت كانت موجودة في خزائن معبد الآلهة أثينا*، وبالمقابل قررت اسبرطة التحالف مع الفرس الطامحين لاسترجاع ممتلكاتها على الساحل الأيوني غرب آسيا الصغرى ، والثأر من أثينا بعد هزيمتها ضمن ما يعرف بالحروب الفارسية¹ ، وعلى هذا الأساس قدم الملك الفارسي كورش الثاني الدعم المادي لاسبرطة لتجديد أسطولها البحري شريطة أن تسلم الساحل الأيوني للفرس ، فوافقت اسبرطة على هذا الشرط، وفي نفس الوقت أشاعت بأن الفرس لن يتعرضوا لمصالح أثينا إذا رجعت إلى النظام الاولييجاركي -حكم الأقلية- ، والذي كانت تنادي به الفرس ، هذا النظام كانت أثينا قد تخلت عنه منذ القرن السادس قبل الميلاد² .



الملحق رقم 48 : لوحة مزهية تصور سفينة حربية أثناء الحروب البولوبونيز.³

لكن أثينا حتى يفشل التحالف الاسبرطي الفارسي وتتقرب من الملك الفارسي وترضي في نفس الوقت اسبرطة ، بغية أن تتقدم مستقبلا بشروط الصلح والسلام ، إذ رأى الزعماء الارستقراطيين أن الملك الفارسي قد يدعم أثينا إذا ما كانت على رأسها حكومة أقلية يتفاوض ويتعامل معها بدلا من أن يتعامل مع الديمقراطيين⁴ ، وهكذا تكونت في أثينا في عام 411 ق.م حكومة أقلية سميت ب "حكم الأربعمائة الاولييجاركية " بإلغاء الديمقراطية

*الرصيد السري من الغطاء النقدي الذي كان القانون الأثيني يحظر الاقتراب منه ويعاقب من يقدم على ذلك بالإعدام ، وفي هذه الظروف الحالكة كان لابد من فتح الرصيد السري المقدر بألف تالنت لبناء أسطول جديد ...، أنظر: محمد السيد محمد عبد الغني، المرجع السابق ، ص 182.

1 John Gillies .LL.D, op-cit , p8 .

2 سيد احمد علي الناصري ، الإغريق ، المرجع السابق ، ص ص302.

3 Paul Bernabeo , op-cit , p 141.

4 محمد السيد محمد عبد الغني، المرجع السابق ، ص ص 183-184.

وإقامة النظام الأوليغاركسي¹ ، وصاحب هذا الاقتراح هو يثوذرس الانفلسي الذي يقول في نصه: " ينتخب الشعب ، عدا المستشارين العشرة الحاليين ، عشرين آخرين يتجاوزون الأربعين من سنهم ، فيحلف هؤلاء أن يتقدموا بخير المقترحات لصالح الدولة ، ثم يعرضون منها ما يتفق وسلامة الأمة ، ويتاح لكل من يشاء من المواطنين الآخرين أن يتقدم بمثل هذه المقترحات ، كي يختار الشعب الأصلح من كل ذلك"² .

وبمجرد أن طبق هذا النظام بدأ الأوليغارشيون بنشر الرعب في أوساط الأثينيين حيث سجنوا ونفوا كل من عارض سلطتهم من النشيطين السياسيين الديمقراطيين، وتصفية الخطباء والمعارضين لحكمهم مثل الخطيب أندروكليس (Androclés) حتى أصبح لا يجرؤ أحد على التعبير عن رأيه ، ولم يعد بإمكان الشعب الحركة أو التعبير عن مواقفه بسبب الخوف ، بل يشعر بالسعادة إذا لم يتعرض للاعتداء³، لكنه سرعان ما فشل هذا النظام لتحل محله الديمقراطية من جديد في عام 409 ق.م ، لأن أهدافها لم تتحقق في ظل تمسك كل من اسبرطة و الفرس بمصالحهم في بحر إيجه⁴ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الكبياديس بدأت علاقته تسوء مع الاسبرطيين خاصة بعد اكتشافه علاقته مع زوجة الملك الاسبرطي اجيس ، وهو ما اجبره على الفرار إلى الفرس⁵ ، واكتشف من خلال مفاوضاته مع نائب ملكها الساتراب تيسافيرن " Satrape Tissapherne " أن الفرس لم يؤيدوا لا أهداف أثينا ولا اسبرطة وإنما يعينهم مصالحهم في آسيا الصغرى ، لذلك استغل الكبياديس هذا الوضع للعودة من جديد إلى أثينا ، حيث اتصل بالبحارة الأثينيين المتمردين المتمركزين -الموالين للحكم الديمقراطي- في جزيرة ساموس* وأقنعهم بالبقاء في ساموس وانتخابه بوصفه واحدا من قادة الأسطول⁶ ، وفتح أمامهم أبواب الأمل بالنسبة للمستقبل، ونجح احدهم يدعى بيزاندروس حين عودته إلى أثينا في إقناع الشعب بضرورة قبول الكبياديس وبإدخال تعديلات مؤقتة على النظام

Mike Plaine , op-cit , p 103.

¹ أرسطو ، دستور الأثينيين ، المصدر السابق ، ص 80.

² Thycydide, VIII , 66.

³ محمد السيد محمد عبد الغني، المرجع السابق ، ص ص 183-184.

⁴ Mike Plaine , op-cit , p 103.

⁵ *كان الديمقراطيون المتواجدين بجزيرة ساموس تحت مراقبة القضاة الاحترابيين مثل: ليون (Léon) ، ديوميديون (Déomedon) ، طراسيبول (Thrasybule) ، طراسيلوس (Thrasyllus) ، حيث فشل هؤلاء محاولة الأوليغارشيين الصاموسيين لقلب النظام الديمقراطي في ساموس بإقالة قادة الأوليغارشيين الموالين وانتخاب قادة عسكريين الذين رفعوا شعار "لا يجب أن نفقد قوتنا بدعوى أن المدينة قطعت صلاحها بنا ، ما دامت الأقلية هي التي انفصلت عن الأغلبية ، لان الأغلبية هي التي ما تزال تدير الشؤون الأساسية" .

⁶ John Gillies .LL.D , op-cit , pp12-13.

الديمقراطي¹، وفي هذا الصدد يقول ثيكوديديس بأن الخوف كان مصدره أن جماعة البحارين الأثينيين قد لا تقبل قيام النظام الاستقراطي، فينظمون بالتالي حركة هدفها القضاء على المتآمرين وطردهم².

وأمام تردد اسبرطة في تدعيم حكومة الأريعمائة في أثينا، تحرك الديمقراطيون الأثينيون وأطاحوا بسرعة هذا النظام وأعادوا النظام السابق واستدعوا الكبياديس للعودة إلى أثينا بصفة رسمية³، ولكن حين حاول الأسطول الاسبرطي المتمركز في بحر إيجه التحرك شمالا لغلغق مضيق الدردنيل انتصر عليهم الأسطول الأثيني المتمركز في ساموس في معركة رهيبة في سنة 411 ق.م، وبذلك استعادت أثينا زمام المبادرة من جديد.

أ/ - مصير الحرب بعد عودة الكبياديس لأثينا سنة 407 ق.م: توقع الإسبرطيون من الأثينيين بعد نكبتهم في صقلية أن يخسروا سيادتهم على البحار حالا، و أن تحل الهزيمة في كل مكان بعد فترة قصيرة، إلا أن عودة الكبياديس من المنفى وتولية القيادة أحدث تغييرا في الوضع ورفع الأثينيين إلى درجة التكافؤ مع خصومهم في البحر، فذب القلق في نفوس اللاكديمونيين ودعوا إلى المزيد من التفاني والحماسة والعمل إلى المعركة ضد الأثينيين، بالمقابل اتبع الكبياديس خطة جديدة بعد عودته لأثينا مرة أخرى وانتخابه قاضيا عاما للبر والبحر ومنحه صلاحيات مطلقة سنة 407 ق.م مع صديقه تراسيبول*، بغية إنقاذ أثينا من الوضع المتدهور الذي كانت تعيشه جراء التحالف الفارسي الاسبرطي، هذه الأخيرة التي كانت تنوي غلق مضيق الدردنيل لقطع إمدادات القمح من البحر الأسود عن أثينا وتجويعها، فأبرز الإجراءات التي اتخذها القائد الكبياديس مايلي:

- حث الأثينيين على الاهتمام بالبر وتثبيت مصالحهم فيه، حيث ظلّ يذكر الشبان بالقسم الذي أدوه في معبد أجرولوس (Agraulos) ويقضي أن يعتبر حقول القمح والشعير والخمر والزيتون حدودا لاتيكا، وهو كناية عن حقهم بملكية كل الأراضي الزراعية المثمرة⁴.

¹ عبد السلام التايب، المرجع السابق، ص 86.

Thycydide, VIII, 72.

Mike Plaine, op-cit, p 103.

* بناء على مرسوم عودة الكبياديس من المنفى والذي اقترحه كرتياس-ابن عم أفلاطون- سنة 411 ق.م بعدما أطاح بحكم الطغاة في أثينا، اصدر قرارا يقضي بعودته إلى أثينا ومنحه صلاحيات مطلقة، بالإضافة إلى إعادة أملاكه المصادرة إليه، وأوعزوا إلى الكاهن الأعلى بضرورة حلّ اللعان المقدس الذي نطقوا بموجب الحكم الصادر عليه وتبرئته منه، ومن ثم استقبال من طرف جمهور الأثينيين استقبالا حارا يليق بشخصه، حيث وصف لنا بلوتارك في هذا السياق وصفا عن هذه العودة قائلا: " فعند عودته لم ينزل الكبياديس من سفينته قبل رؤية أصدقائه الأوفياء، وأقاربه في الميناء، كان ذلك اليوم بالنسبة لهؤلاء يوم عيد مهللين له ومرحبن به، ولما كان الكبياديس يمشي على الأرض، لم يعر الأثينيون أي اهتمام لبقية القادة العسكريين المرافقين له، بل كان اهتمامهم وشوقهم كان مركزا عليه، يحضنونه ويقبلونه ويلقون عليه تيجانا من الورود، مرحبين بوجوده من جديد...". أنظر: بلوتارك، مج 1، المصدر السابق، ص ص 463-464.

⁴ بلوتارك، مج 1، المصدر السابق، ص 444.

-تقديم التبريرات عن الاتهامات التي سبق ووجهت إليه منذ ثمان سنوات خلت، كما كان حريصا على التعبير عن إيمانه وتقواه إليه بالإلهتين الضامنتين لقوة المدينة وحياتها، فقدم كل الضمانات على استمرار تنظيم المواكب الدينية القديمة نحو مدينة "إليوسيس" (Eléosis) ، والتي منذ احتلال الاسبرطيين لموقع ديسيلي أصبحت تلك المواكب تستعمل عن طريق البحر¹ ، وذلك بمرافقتها شخصا عن طريق البرّ وحماية هذه المواكب من العدو ، فإذا بقي آجيس -ملك اسبرطة- في موضعه ولم يتعرض له فسيكون هذا إضعاف لسمعته وصيته ، وإذا كان العكس فان الكيباديس له شرف خوض حرب مقدسة في سبيل الآلهة ودفاعا عن قدس الأقداس ، وبالتالي استطاع الكيباديس أن يمارس وظيفة الكاهن الأعظم والقائد العسكري في وقت واحد من خلال وضع آلهة عسكرية على رؤوس التلال ، واخذ معه الكهنة والرهبان ووضعهم في وسط جنوده وقادته بنظام دقيق ، ولم يجرؤ العدو على القيام بأي عمل ضده حتى وصل المدينة بأمان ، حتى اعتقد الأثينيين بان قيادته تجعل جيوشهم منيعة عن العدو ولا يمكن قهرها².

-محاولة فصل تحالف الفرس عن اسبرطة دون التقريب بينه وبين أثينا التي كان يهيمن عليها الديمقراطيون المتشددون ثم إغراء الأثينيين بإمكانية حصولهم على مساندة الساتراب تيسافيرن شريطة تأسيسهم حكومة اوليغارشية ، واستغلال فرصة الانقسام الحاصل بين البولوبونيزيين وبين حلفائهم للإجهاش عليهم جميعا .

-إعادة الكيباديس قوة المواقع العسكرية الأثينية المطللة على مضيقي الدردنيل والبوسفور والبحر الأسود ، حيث كان يرغب في الدخول إلى أثينا متوجا بأجماد الانتصارات الكبيرة التي حققها ، حيث كان مقتنع بضرورة التحرك السريع ما دامت البحرية الحربية الاسبرطية تمثل تهديدا لاستقرار أثينا.

-تقديم الدعم العسكري والمالي للأسطول الأثيني وقيادته سنة 410 ق.م على رأس 100 قطعة حربية ضد الأسطول الاسبرطي الجديد المتمركز في بحر إيجه وتحطيمه نهائيا ، وقتل قائده ميندروس ، وبعث الهلع والخوف من جديد في أوساط الاسبرطيين حتى أن قائده أرسل برسالة يائسة إلى وطنه يقول فيها: " لقد فقدنا السفن، وقتل ميندروس ، والرجال يتضورون جوعا...ولا ادري ماذا افعل" ، وبهذا الانتصار أعاد الكيباديس لأثينا الانتصارات التي كانت تحققها من قبل.

¹ Ephraim David , Sparta between empire and revolution (404-423 B.C) internal problems and their impact on contemporary greek conscioumes , arno press , New York , 1981,pp 7-8.

² بلوتارك ، مج1، المصدر السابق ، ص 465.

- محاولة استرجاع حلفائها الذين تمردوا عليها من قبل في ظل الإغراءات التي كانت تمنح لهم في كل مرة من قبل اسبرطة¹ ، وتجنيد كل المواطنين القادرين على حمل السلاح بمن فيهم العبيد الذين وعدهم الأثينيون بمنحهم حريتهم . لكن بفعل الدعم المادي الذي تلقته اسبرطة من الملك الفارسي كورش الثاني ، تمكنت من العودة من جديد وتحقيق انتصارها على الأسطول الأثيني بفضل القائد ليساندر*² الذي استغل غياب الكبياديس في مهمة استرجاع الأموال من اجل دفع رواتب بحارته ، هذه الإمدادات المالية جعلت الأسطول الاسبرطي يتفوق على الأسطول الأثيني في العدد والعتاد ، مما اضطرر أئينا إلى بذل قصارى جهدها في صهر تماثيلها الذهبية لتعويض نقص الأموال حيث تمكنت من بناء 110 سفن جديدة ، ووعدت بمنح الحرية لأي عبد يستطيع المشاركة كمجندف في الأسطول ، وحققت بذلك أئينا انتصارا باهرا على الأسطول الاسبرطي في عام 406 ق.م في موقعة تعرف بموقعة أرجينوساي (آرغنوسه) البحرية**³ .

وتوالى الانتصارات الأثينية باستعادة جزيرة ثاسوس ، سليمبيريا (Selympria) ، خاليكدون (Chalcedon) ، وقامت بتأمين سواحل البحر الأسود ، أبحر الكبياديس في خريف 407 ق.م من أئينا باتجاه الشرق ليرابط عند رأس نوتيوم، وأمام الخسائر التي منيت بها إسبرطة في هذه الواقعة البحرية ، قام الفرس بتدعيمهم من جديد بكل إمكانياتهم المادية ومكنوها من بناء أسطول جديد ، وأعادوا ليساندر إلى قيادته بل وجعلوه مسؤولا عن الولايات الغربية للفرس، لكن تمكن ليوساندر من مناوشة القائد المناوب لكبياديس وجره إلى مصيدة بحرية بالقرب من موقع نوسيون (Notion) ، ومن ثم إلى هزيمة كبرى في مطلع عام 406 ق.م ، ولما وصلت الأنباء إلى أئينا أعلنت عزل الكبياديس لأن أعدائه أثاروا الشبهات حوله ، وإقالة جميع القضاة الحريين الذين وكلت إليهم مسؤولية هذه المهمة وتعيين في مناصبهم قضاة عسكريين جدد ، أما الكبياديس فقد فضل عدم العودة إلى أئينا ولجأ

¹ محمد السيد محمد عبد الغني، المرجع السابق ، ص ص 183-184

* ليساندر: ابن أرسطو قليطس (Aristoclitus) ، ينحدر من أسرة فقيرة ولا من صلب الملوك ، إلا أنه من نسل الهيراقليين ، نشأ نشأة الفقر وظهر من الطاعة و تقاليد بلاده والانصياع إلى قوانينها بشكل لم يفعله احد ، امتاز بالرجولة والترفع عن الملاذ كلها ، غرس في نفسه منذ الصغر حب الطموح والتهافت إلى الجد ، عين قائدا عسكريا على الجيوش الاسبرطية ...، أنظر: بلوتارك، مج2، المصدر السابق ، ص 861.

² Ephraim David , op-cit , pp 7-8.

** أرجينوساي : هي إحدى الجزر القريبة من مضيق الدردنيل بين جزيرة ليسبوس واليابسة المقابلة ، وحدثت فيها أكبر موقعة بحرية بين أئينا واسبرطة سنة 406 ق.م ، انتهت بانتصار أئينا على اسبرطة وتدمير أسطولها البحري وقتل قائدها وحوكموا القادة الذين انتصروا في هذه الموقعة لأنهم أهلوا دفن موتاهم من الحلفاء والأثينيين ، فقصي على ستة أعضاء منهم بالموت ، وعارض سقراط-احد أعضاء مجلس الشورى- آنذاك هذا الحكم الجائر...، أنظر: أرسطو، دستور الأثينيين ، المصدر السابق ، ص 90.

³ سيد احمد علي الناصري ، الإغريق ، المرجع السابق ، ص ص 302-303.

إلى إحدى أملاكه المحصنة في جزيرة كيرسونيز (Chérsonèse)، حيث ظلّ فيها إلى أن توفي بها وهناك من يعتقد أنه اغتيل بها عام 404 ق.م.¹

وخلاصة القول أن أثينا قبل نهايتها خاضت معركتين حققت فيهما نوع من الانتصار ، وهي معركة ارجينوساي ، أما الثانية وهي موقعة ايجوسبوتاي " Aegospotami " * فكانت فيها نهايتها وهي لم تكن أشبه بمعركة بل فازت فيها حنكة طرف على طرف آخر² ، حيث أبحر قائد الأسطول الاسبرطي ليوساندر عام 405 ق.م باتجاه لمباسوكوس واستولى عليها ، عندها سارع الأسطول الأثيني على عجلة لنجدة هذه المنطقة الساحلية الوعرة حيث رسي الأسطول الأثيني بقيادة كونون، وظل يتحرش بالأسطول الفارسي الاسبرطي لكن بدون جدوى ، حتى تمكن الاسبرطيون من الاستيلاء على 171 سفينة أثينية وإلقاء القبض على 3000 أثيني ، ويعد عام 404 ق.م هو تاريخ هزيمة أثينا وعودتها خائبة إلى بلادها بالرغم من تحذير الكبياديس بان الموقع مكشوف أمام الاسبرطيين³ .

لما وصلت إحدى السفن إلى ميناء أثينا ناقلة خبر النكبة ، عمت الفوضى والاضطراب في صفوف المواطنين ، حيث عمّ الخبر في كل أرجاء المدينة منطلقا من ميناء بيرايوس ، فلم ينم احد في هذه الليلة لان السكان كانوا يكون على المصير الذي ينتظرهم ، وفي الغد اجتمعت الجمعية العامة التي قررت إقفال جميع الموانئ باستعمال الحواجز ما عدا ميناء واحد، وجعل الأسوار قادرة على استعادة دورها في الحراسة ورصد الحدود في حال ما إذا تعرضت المدينة للحصار والغزو⁴ .

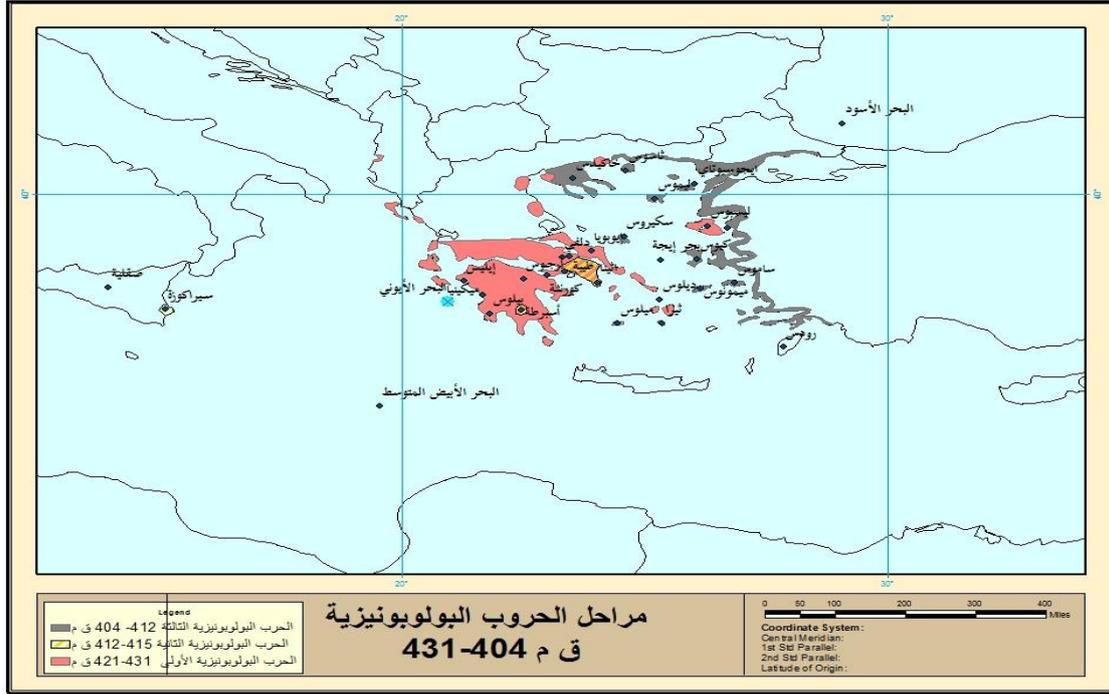
¹ ليلي عبد القادر علي الغناني ، المرجع السابق ، ص ص 301-302.

* موقعة ايجوسبوتاي (معركة نهر الماعز): هي مدينة ونهر في شبه جزيرة خرونسس من أعمال تراقيا الجنوبية ، بين مدينة كليليس إلى الشمال ومدينة سستس إلى الجنوب ، والمعركة وقعت سنة 405 ق.م ، والنهر يصب في مضيق الدردنيل ...، أنظر: أرسطو، دستور الأثيني ، المصدر السابق ، ص 91.

² Mike Plaine , op-cit , p 104.

³ سيد احمد علي الناصري ، الإغريق ، المرجع السابق ، ص ص 302-303.

⁴ Ephraim David , op-cit , p15.



-بتصرف من الطالبة ، واعتمادا على ¹:

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعد الهزيمة التي تعرضت إليها الأسطول الأثيني ، قام القائد الاسبرطي ليساندر بتخليص كل مدن الدردنيل من الحاميات العسكرية الأثينية المقيمة بها ، ثم توجه مباشرة إلى أثينا رفقة القوات العسكرية الاسبرطية التابعة لقيادة القائد بوزانياس (Pausanias) لمساندة قوات أجيس ودعمها ، وبهذه الطريقة أصبحت أثينا محاصرة من الجهة البرية والبحرية، كما حاولت اسبرطة بعد ذلك السيطرة على المدن اليونانية الأخرى وتكوين الإمبراطورية الاسبرطية ، حيث أرسلت إلى هذه المدن خاصة تلك التي تقع في آسيا الصغرى حكاما اسبرطيين تميزوا بالشدة والصرامة ، مما جعل هذه المدن تذكر بكثير من الأسى أيام السيطرة الأثينية وتتحسر عليها بسبب الاتفاق الذي عقده اسبرطة مع الإمبراطورية الفارسية لهزيمة أثينا كان يقضي بإعادة المدن اليونانية الآسيوية إلى الحكم الفارسي ، الأمر الذي اغضب اليونانيين وأثارهم ضد اسبرطة وأدى ذلك إلى العديد من المصادمات بين هذه المدن وبين اسبرطة ².

Thomas .R.Martin , op-cit , p 20.

1

² محمد السيد محمد عبد الغني، المرجع السابق ، ص ص 183-184

3/ النتائج المترتبة عن حروب البولوبونيز وتأثيرها في انهيار نظام الدولة المدينة (431 ق.م - 404 ق.م) :

أ) نتائج الصراع على بلاد الإغريق : قبل الحديث عن أهم الآثار المترتبة لهذه الحرب ، لابد علينا من تسليط الضوء على الأسباب التي كانت وراء هزيمة أثينا أمام اسبرطة وحلفائها والدواعي المؤدية لذلك ، بالرغم من حصانتها ومناعة أسوارها وحنكة الكبياديس ، ويعود هذا الأمر إلى :

-يرجع سبب هزيمة أثينا إلى إهمال الأثينيين أنفسهم وليس لضعف قوتهم ، فإرسالهم للسفن والرجال في حملة بحرية دون إبقاء سفن تتولى مسؤولية الدفاع ، بالإضافة إلى وجود خلافات ونزاعات داخلية بين طبقتي النبلاء والعامّة من اجل السلطة وضعف القيادة الأثينية ، اثر كبير في اخيار الروح القتالية للأثينيين ، وانتشار الاستهتار واللامبالاة ، كما ساهم في هزيمة أثينا دقة التخطيط العسكري والعمليات الاسبرطية .

-مخالفة أوامر ونصائح بركليس بعد مماته ، حيث يذهب ثيكوديديس للقول بان بركليس خاطب الأثينيين قائلاً انه ماذا ركنوا إلى الراحة وقنعوا بالعناية ببحريتهم دون محاولة توسيع رقعة إمبراطوريتهم في أثناء الحرب ودون تعريض حياة الإمبراطورية للخطر فإنهم سينتصرون ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك ، بل بالعكس قاموا بمشاريع شخصية لإشباع مطامعهم وشهواتهم الخاصة و أهملوا إدارة شؤون الشعب .

- سياسة التوسعات التي اتبعتها أثينا من قبل أرهقت خزينتها وأهكت جيوشها ، بالإضافة إلى تفشي الأوبئة والأمراض كالطاعون الذي قضى على ما يقارب ثلث سكانها ، وكانت هذه فرصة جيدة انتهزها أعداؤها باستغلالهم الضعف الأثيني ، وهذه السياسة كانت إستراتيجية إغريقية منتشرة ففي سنة 428 ق.م ألح متحدثون من ليسبوس على اسبرطة وحلفائها بالقيام بمجهودات اكبر في البر فلدركم فرصة لم تحلموا بها من قبل الأمراض والضعف الأثيني ولسفنه المتحطمة أو المشغولة بمحاصرتنا ، لذلك لانظن أنهم سوف يستطيعون صد هجومكم هذه المرة¹ .

-تأكد الفرس بعد نهاية الحروب الفارسية الإغريقية سنة 479 ق.م انه ليس بإمكانهم مجارة الجانب اليوناني عسكريا لان ذلك يؤدي إلى زرع الهمّة في نفوسهم ، فهم يتحدون لمواجهة العدو ، لكن التجأ إلى وسيلة اقل خسائر وأوفر جهد ، وهي التدخل في السياسة الداخلية لأهم المدن اليونانية كاسبرطة وأثينا وإثارة الفتن والخلافات بينهما ، واخذ

¹ ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص ص 301-302.

بالسياسة ما لم يؤخذ بالقوة¹ ، وبهذه السياسة نجح الفرس على المدى البعيد من إذكاء نار الفتنة بين المدن الإغريقية ، وتطبيق سياسة فرق تسد² ، وفرض الاتفاق بالقوة على أثينا خاصة بعد نجاحها في تزعم حلف ديلوس ، لكن بعد سياسته التسلطية اتجاه سكانها حيال ممتلكاتهم بتوزيعها على رعايا الأثينيين وعدم إعطاءهم حق المواطنة الأثينية ، وحرمانهم من الحقوق السياسية ، بحيث انحصرت الديمقراطية فقط في المواطنين الأثينيين ، وبالتالي نظر أعضاء حلف ديلوس الأثيني إلى أعضاء الحلف المنافس البولوبونيز -حلف اسبرطة- بأنهم أحسن وضعاً منهم لذلك اخذوا قراراً بالتمرد والخروج عن حلفهم ، والانضمام إلى اسبرطة أحياناً أو التزام الحياد أحياناً أخرى ، وهذا يدل على مدى سوء الأوضاع الداخلية بالنسبة لمواطني أثينا³ .

-اختلاف السياسة المتبعة من قبل القادة العسكريين الأثينيين وتباين مصالحهم اتجاه اسبرطة ، فمثلاً هناك القائد المعتدل نيكياس الداعي إلى الصلح والهدنة مع اسبرطة سنة 421 ق.م ، بينما القائد الكبياديس المتشدد كان أكثر اندفاعاً للحرب ومعادياً لاسبرطة ، حيث تشبع بأفكار بركليس الداعية بالحفاظ على مقومات الإمبراطورية الأثينية ، وقد تخللت فترة حكمه العديد من الانتهاكات والحوادث كموقعة مانتينا ومذبحة ميلوس وحملة صقلية ، والتي كانت بمثابة الحادثة الكبرى لتراجع قوة الأثينيين ، حيث دمر الأسطول الذي قام بالحملة تماماً وقتل واسترقاق معظم من شاركوا في هذه الحملة من جنود أو قادة ، وهكذا بدأت نهاية أثينا تقترب ، فلم يعد لديها المال لتقاوم أعدائها أو تجديد بناء أسطولها من جديد لدرجة أنها اضطرت إلى استخدام مخزون الذهب المتواجد بمعبد أثينا و صهر التماثيل الذهبية بغية صناعة الأسلحة أو النقود ، ولم يعد لها القدر الكافي من البحارة أو المحاربين الأكفاء ، ورغم هذه الظروف فقد ظلت تقاوم حتى النهاية⁴ .

-تعرض أثينا أثناء مقاومتها لأعدائها البولوبونيزيين خلال العشر السنوات الأخيرة من الحرب إلى العديد من الهزات الداخلية والخارجية كاستيلاء الأوليجاركيين المتطرفين على الحكم وقيام مجلس الأربعمائة بقيادة ثيرامنس ، ثم عودة الديمقراطيين مرة أخرى والقضاء على كل المناهضين لهذا الحكم ، وفي هذا الصدد يذكر أرسطو ما يلي : "فقد تم توافق على عقد اتفاقية سلام مع الأثينيين ، شريطة تفعيل العمل بدستور أجدادهم في ظروف كان فيها الديمقراطيون يطمحون في الحفاظ على الديمقراطية ، لكن النبلاء المنفيون العائدون إلى وطنهم بعد عقد السلم ،

¹ ه.ج. كيتو ، المرجع السابق ، ص 149.

² آرنولد توينبي ، تاريخ الحضارة الهلينية ، المرجع السابق ، ص 184.

³ Antone Powell , op_-cit , pp 13-14.

⁴ حسين الشيخ ، المرجع السابق ، ص ص 45-46.

كانوا يرغبون في إحياء النظام الاوليغارشي ، أما الذين لا ينتسبون إلى أية فئة ولا يشعرون بأية عقدة نقص أمام أي مواطن ، فهؤلاء كانوا يطمحون بدون جدوى إلى العودة إلى دستور الأسلاف، و لكن بما أن ليساندر كان منحازا إلى جانب مساندي الاوليغارشية ، فإن الشعب كان مضطرا لقبول المرسوم الذي حرره دراكونتيد آفيدنا (Dracontides D'Aphidna)¹ .

-التحالف بين الفرس والإسبرطيين وتقديمها الدعم المادي والعسكري لتجديد الأسطول الاسبرطي في ظل عدم استغلال الأثينيين هذه الفرصة ورفضهم طلب اسبرطة الصلح مرتين .

-الحنكة العسكرية التي تميز بها القادة العسكريين الاسبرطيين وأبرزهم القائد ليساندر الذي برهن على مدى ذكائه ومراوغته للأسطول الأثيني ، حيث استدرجه سنة 405/404 ق.م في مضيق الهلسبونت إلى غاية الشاطئ وتدميره نهائيا دون مقاومة تذكر في موقعة حسمت الحروب البولويونيزية كلها وهي موقعة ايجوسبوتامي .

وبطبيعة الحال فإن هذه الحروب التي دامت سبع وعشرين سنة قد أفرزت نتائج قاسية على أثينا خاصة من الناحية الداخلية شملت تدمير الأسوار وتفكيك الإمبراطورية ، وتقديم قطع الأسطول الحربي للعدو الذي أقام بشكل دائم فوق أراضي المدينة² ، على نقيض اسبرطة التي تعززت مكانتها أكثر بين أوساط اليونانيين وأصبحت تتزعم العالم اليوناني ، ومن هنا فإن أهم النتائج المترتبة عنها والتي أثرت بدورها في انهيار وسقوط الدولة المدينة الإغريقية مايلي:

-تأثرت أثينا كثيرا من الناحية الاقتصادية بسبب ارتفاع التكاليف الباهظة التي تتطلبها الحروب ، بالإضافة إلى محاولات اسبرطة المستمرة بإتلاف أراضيها ومحاصيلها ، إذ أجهدت مواردها الاقتصادية وحالت دون وصول المواد المستوردة لها في ظل الحصار الخانق لها من قبل الأسطول الاسبرطي المتواجد في مينائها بيرايوس وإصرار ليساندر على عدم تقدم سفن القمح القادمة من موانئ البحر الأسود لميناء أثينا ، وإقامته فيها معسكره ، و بالمقابل ازدادت رغبة كل من كورنثة وطيبة في تدميرها نهائيا وقتل جميع رجالها وبيع نسائها وأطفالها في الأسواق ، لكن ليساندر كان موضوعيا ورفض ذلك وفضل أن تبقى أثينا ضعيفة أفضل بكثير من تدميرها تماما لكي تظل عنصر توازن بين كورنثة وطيبة ، بالإضافة إلى أن اسبرطة لم تنس أن أثينا أنقذت بلاد الإغريق من الخطر الفارسي يوما ما لذلك لم يسمحوا للمدن الأخرى بتدميرها نهائيا، في حين يرى بعض الدارسين أن اسبرطة كانت تهدف من وراء

¹ أرسطو ، دستور الأثينيين ، المصدر السابق ، ص ص 91-92.

² Claude Mossé , Pierre Salmon , la fin de la démocratie athénienne « l'antiquité classique » , T 32, créative commons , 1963 , p20

هذه الإجراءات إلى استيعاب أثينا وجعلها رأس حربة للقوة الاسبرطية في وسط بلاد اليونان ضد مخططات طيبة التي كانت تحلم بجعل إقليم بيوتيا وحدة جغرافية تتحكم فيه كما تتحكم أثينا في إقليم اتيكيا واسبرطة في إقليم لاكونيا¹. لكن المؤرخ روستفتريف له وجهة نظر أخرى ويعتبر أنه يجب التحلي تماما عن التفسير الاقتصادي لانحطاط العالم القديم ، فالسبب الاقتصادي لم يكن سببا يؤدي للانحطاط إذ تعزى هذه الظاهرة كعوامل أكثر شمولاً تمثلت في فشل الإدارة وخراب الطبقة المتوسطة² ، فحسب رأيه فإنه بالرغم من النتائج السلبية للحرب على الحياة الاقتصادية فقد وجد تشجيع مستمر من اجل مواصلة الكسب المادي ، والمحافظة على المكاسب وبخاصة على طبقتي التجار والحرفيين ، وهم الأكثر استفادة في هذه الحرب لأنهم كانوا ينقلون بضائعهم مع الجيش والأسطول ، ووجدت الطبقة المعتمدة مجالاً للعمل في خدمة الأسطول لذلك تبنت أفكاراً مؤيدة للطبقة التجارية لاستمرار الحرب مع تبنيها لفكرة التوسع ، لذلك لم يتحدث عن فكرة إحلال السلام إلا المفكرين الذين أدركوا عواقب الحرب وكذلك ملاك الأراضي الزراعية والعاملون بها ، لأن المزارع هجرت بسبب نقص الأيدي العاملة ، واستخدم المزارعون كجنود عاملة في الجيش الأثيني ، وتدهورت أحوال المزارع بسبب الخراب الذي لحق بحقول اتيكيا خاصة مع قلة المحاصيل ، فاضطرت أثينا للاعتماد على ما يجلبه الأسطول من محاصيل وخصوصاً القمح من الخارج ، فحملها وإدخالها داخل أسوار أثينا يتطلب منها الكثير من النفقات حيث صرفت أكثر من 100000 دراهماً ، فضلاً عن تدهور البنية التحتية من تدمير الطرقات ، المباني السكنية³.

- خلفت هذه الحروب خسائر بشرية ومادية فادحة سواء نتيجة المعارك أو الوباء أو في صقلية، كما بلغت تكاليف الأموال العامة خلال ثمانية أعوام الأولى من 433-426 ق.م ما يقارب خمسة آلاف تالنت فضلاً على مصاريف بناء السفن وغيرها من الزيادات⁴ ، حيث يقدم لنا توكيديديس صورة المصائب التي لحقت بالمجتمع الأثيني والخسائر المادية والمعنوية بقوله: "قلّ الدخل وزادت النفقات واحتل نظام المدفوعات"⁵.

- حدوث أزمات اقتصادية واجتماعية في مدينة أثينا مع بداية القرن الرابع قبل الميلاد ، حيث كانت سنوات صعبة بامتياز بالنسبة للفلاح الأثيني الذي حرّبت أرضه ودمرت من طرف الجيوش الاسبرطية ، وقد أدت هذه الشدائد إلى بعض التصرفات غير المعتادة مثل التحلي عن الأراضي وشيوع المضاربات ، كما أدت إلى تردّي أوضاع بعض الناس

¹ سيد أحمد علي الناصري ، الإغريق ، المرجع السابق ، ص 362.

Rostohzeff , M, op-cit , p302.

² ليلى عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص 311.

³ حسين الشيخ ، المرجع السابق ، ص ص 47-48.

⁴ سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 333.

الذين اضطروا إلى اكتراء قطع أرضية زراعية من كبار الملاكين لإعادة زراعتها والعيش من خيراتها، فضلا عن سكان المدينة الذين عانوا الأمرين ، إذ انتهى عهد الرواتب والإعانات التي كان يعيش منها عدد كبير منهم .

- بعد نهاية الحرب بدأت الأنشطة الحرفية تتراجع وتدهور ، حيث أقفلت أبواب ورشات صناعة السفن و ورشات البحرية ، كما أصبحت الصناعات المنجمية تستغل بطريقة مؤقتة ، لتزداد الأوضاع تعقيدا بعد فرار أزيد من عشرين ألف من العبيد الحرفيين لما احتل الاسبرطيون سهل ديسيلي ، وهكذا أصبحت مسألة ضمان الخبز اليومي الانشغال المركزي للأثينيين¹ .

- اختلال ميزانية أثينا بسبب التكاليف الباهضة للحرب التي فتحت عليها من عدة جهات ، لذلك عمدت إلى فرض ضرائب جديدة على المدن الإيجية ، ومع استمرار الحرب بين أثينا واسبرطة عمدت أثينا في عهد بركليس إلى تبني سياسة تقوم على الرد على أعدائها بقواتها البحرية للتضييق على دول البولوبونيز ، والهدف منها إصابة تجارتهم والسيطرة على البحر الغربي.

- انتشار الانحلال الأخلاقي بين الأثينيين في أعقاب الوباء الذي شهدته الحرب البولوبونيزية الأولى، حيث اختفى احترام الآلهة والتمسك بالعبادات التقليدية ، هذا بالإضافة إلى الوضع السياسي غير المستقر للدويلات التابعة لأثينا والتي كانت تتحين الفرص للاستقلال عنها ، مما شتت القوة الأثينية التي تعد لموجهة للبولوبونيزيين وحدهم وإنما أيضا ضد حلفاء أثينا أنفسهم² .

- من أهم النتائج التي أفرزتها حروب البولوبونيز ليس على أثينا فقط ولكن على معظم المدن الإغريقية خلال العقود الأولى للقرن الرابع قبل الميلاد هو زيادة عدد الجنود المرتزقة وفسح المجال بالتدريج لهم ، والسبب في ذلك يعود إلى حالة الفقر التي نجمت عن نهاية حروب البولوبونيزية ، والتي ألفت في الأسواق بكتل بشرية مستعدة لتقديم خدماتها لمن يدفع أكثر، كما أن اللجوء إلى المرتزقة سمح بالتعويض بهم عن التجهيز الثقيل للفرسان والمشاة ، كما اعتبرت أنها فرق سهلة التوجيه وطبعة³ ، بعدما احترفت تقديم هذه الخدمات الحربية من قبل ، ولذلك كثر عدد الجنود المرتزقة العاملين في الجيش المصري والفارسي ، وجيش آسيا الصغرى ، ولعل أشهرهم المؤرخ اكسنوفون الذي عرض سنة

Claude Mossé , Pierre Salmon , op-cit , pp 327-328.

1

2 حسين الشيخ ، المرجع السابق ، ص ص 47-48.

3 عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 123.

400 ق.م تقديم مساعداته لقورش الأصغر في عزل أخيه عن العرش ، وبالفعل قدم قورش برفقة 10000 آلاف جندي مرتزق من الإغريق و بقيادة اكسنوفون إلى آسيا الصغرى ثم إلى بابل ، والحقوا هزيمة بجيش أخيه¹ .

- فقدان أثينا لأهم قاعدة عسكرية لأسطولها البحري والمتمثلة في جزيرة ساموس على يد القائد الاسبرطي لوساندر سنة 404 ق.م .

وجزاء هذه الظروف القاسية التي عانى منها الأثينيون من قلة المواد الغذائية والجوع ، أرسلت أثينا مبعوثها ثيرمينس* للمفاوضات مع اسبرطة ، والتي دامت مدة ثلاثة أشهر ، حيث قبلت أثينا بشروط اسبرطة القاسية والمتمثلة في:

- أن تقتصر السيادة الأثينية على إقليم اتيكيا وجزيرة سيلاميس فقط ، وأن تنازل عن كل ممتلكاتها أي عن كل مستعمراتها .

- أن يعلن الأثينيون اعترافهم بزعماء اسبرطة لبلاد اليونان كلها² .

- الانضمام إلى التحالف الاسبرطي وأن تصبح حليفها مقابل الحفاظ على أمنها وسلامتها .
- تدمير الأسواق الكبرى ، وإزالة التحصينات الدفاعية كالجدارين الطويلين والأسوار ، وكذلك إزالة حصون بيرايوس .

- استسلام الأسطول الأثيني ومصادرة كل القطع الحربية عدا 12 سفينة من نوع الترايوم ، وإعادة المنفيين السياسيين من الاوليغاركيين الأثينيين إلى وطنهم³ .

- أن يكون للأثينيين نفس الأصدقاء والأعداء الاسبرطيين ، وأيضا عليهم إتباعهم في البر وفي البحر⁴ .
وحسب الكتابات التاريخية يتضح أن قرار العقوبة المفروض على أثينا قد وقع فقط من طرف اسبرطة دون الاستماع إلى مطالب حليفيتها كورنثة وطيبة ، وذلك ليس تقديرا لموقف أثينا الدفاعي عن بلاد الإغريق أمام الفرس

¹ زينفون ، حملة العشرة آلاف فارس ، المصدر السابق ، ص ص 5، 21.

*ثيرمينس: ولد في جزيرة كيئس التي لا يفصل بينها وبين إقليم اتيكيا إلا جزيرة مستطيلة صغيرة هي جزيرة هلينا أو هيليني ، كان خطيبا موهوبا وذا ثقافة واسعة ، وقد عمل على قلب الحكم سنة 411 ق.م ، وغدا فيما بعد احد الطغاة الثلاثين وأتممه أكرئيس بالخيانة العظمى بعد الانشقاقات التي حدثت في أوساط حكومة الثلاثين ، ففضي عليه بان يشرب الشكران ، وذلك قبل سقراط بثلاث سنين عام 403 ق.م، أنظر: أرسطو ، دستور الأثيني ، المرجع السابق ، ص ص 77-78.

² حسين الشيخ ، المرجع السابق ، ص 47.

³ تشارلز الكسندر روينسن ، المرجع السابق ، ص 346.

⁴ عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 99.

(490 ق.م - 479 ق.م) بل الأرجح أن ذلك خدمة لمصالحها السياسية والاقتصادية ، ويتضح ذلك من الشروط المتعلقة بتنازل أثينا عن ممتلكاتها في بلاد الإغريق وجعلها تقتصر فقط على إقليم اتيكيا وجزيرة سيلاميس فضلا عن تدمير أسواقها التجارية و مينائها البحري بيرايوس، والعدول عن أية أهداف سياسية بإصدارها قرارا ينص على أن تصبح أثينا حليفة اسبرطة من اجل الاستفادة خبرتها السياسية في أسلوب المفاوضات والتعاملات الدبلوماسية ، والحد من أسطولها القوي وتحديده باثني عشر قطعة بحرية فقط ، بالإضافة إلى إتباع أثينا قيادة اسبرطة برّيا وبحريا وأن تحدد أصدقائها وأتباعها ، وبالتالي إخضاعها نهائيا لاسبرطة وان لا يصبح لها أي دور أمامها .

* بعد الاستسلام المهين لأثينا عين ليساندر في أثينا مجلسا يحكم المدينة والذي سوف يطلق عليه الأثينيون فيما بعد اسم الطغاة الثلاثين أو حكومة الثلاثين تدين بالولاء المطلق لاسبرطة ولقائدها ليساندر ، إذ يتألف من 30 عضو من الطبقة الغنية الاوليجاركية ، غايتهم صياغة دستور جديد لأثينا ، لكن عمليا كان همهم مركزا حول إمكانية استبدال المجلس الحاكم القائم بهيئة جديدة مؤلفة من أشخاص يكون لهم الولاء والطاعة ، وكذلك حتى يقيموا في أثينا نظاما مبنيا على التخويف ، وتميزت فترة حكمهم الممتدة من (404-403 ق.م) بالرعب والقهر، إذ اعتمدوا في ذلك على حامية عسكرية اسبرطية ، وأظهروا لقائد الجيش الاسبرطي في اتيكيا كالبيوس خضوعهم التام، وبفعل هذه السياسة قاموا باغتيال 1500 من خصومهم الشخصيين ، وتصفية كل من تميزوا بمولدهم أو بثروتهم أو بشهرتهم أو مصادرة ثرواتهم ، هذا الأمر أدى بمعارضة كبيرة من قبل أنصار الديمقراطية الذين تمكنوا من الإطاحة بهم¹ بقيادة تراسيبول الذي كان و منذ سنة 411 ق.م احد قادة ثورة الجنود الأثينيين في صاموس ، ثم التجأ إلى مدينة طيبة منذ وصول الاوليجارشيين إلى الحكم بأثينا ، والتحق به هناك عدد من رفقاءه المخلصين ، وبعد تصفية ثيرامنس التحق باتيكيا والإقامة في حصن يسمى فيلي (Phylè) خلال 403/404 ق.م، وارتفع عدد مؤيديه إلى حوالي 700 فرد ، ونجحوا في زرع الفوضى في صفوف حكومة الثلاثين وكشف نيتهم في الهيمنة على المدينة، وبعد سيطرته على قلب مدينة أثينا وهو ميناء بيرايوس فتح الباب أمام عودة الديمقراطية من جديد² ، وفي هذا الصدد يذكر اكسنوفون بان تراسيبول نجح في دعوة الأثينيين إلى تجنب كل عمل ثوري ، والى تطبيق القوانين القديمة، وبتسريح أعضاء الجمعية العامة مؤكدا بأن لا بعدالة هذه الحكومة ولا بجرأتها كانت أقوى من كتلة الفقراء³ .

¹ محمد السيد محمد عبد الغني، المرجع السابق ، ص 185.

² عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 105.

³

ب) أثر الصراع على نظام الدولة المدنية الإغريقية : بقبول أثينا لهذه الشروط القاسية انتهت الحروب البولوبونيزية والتي كانت فيها نهاية للإمبراطورية الأثينية، إذ دفعت نتيجة غرورها وطموحها الزائد وحبها للمدينة سرعة القضاء عليها ، وهذا ما أكده ثوكوديديس بقوله : "أن تنامي قوة أثينا اجبر اسبرطة على دخول في الحرب البولوبونيزية"¹ ، حيث يلاحظ أن الأوضاع الداخلية للمدن الإغريقية عقب مرحلة الصراع الأثيني الاسبرطي كانت تسودها حالة تفكك سياسي وانقسام بين الحلفاء اليونانيين خاصة كورنثة وطيبة اللتين تم تهميشهما من طرف اسبرطة ، وبالمقابل المدن اليونانية الآسيوية بدأت تعاني من التواجد الفارسي بها وأصبحت تتحسر على التواجد الأثيني السابق .

جمل القول أن هذه الأوضاع التي مرت بها بلاد الإغريق بشكل عام وأثينا بشكل خاص في القرن الرابع قبل الميلاد ، قد تركت آثارها على نظام الدولة المدنية ، وتجسد هذا الأثر في تكريس استمراريته هذا النظام أم لا ؟ وكيف انعكس على مختلف أوجه الحياة الاقتصادية والفكرية والاجتماعية ؟.

من خلال هذا الطرح البسيط نستنتج أن أهم الآثار المترتبة على نظام الدولة المدنية مايلي :

-تحولت الحرب البولوبونيزية بالتدريج من حرب عسكرية إلى حرب سياسية أيديولوجية ، أي صراع بين أيديولوجيتين : من جهة أثينا التي تحولت إلى محور اهتمام كل الكتل الشعبية من كل بلاد الإغريق ، ومن جهة أخرى أصبحت اسبرطة التي كانت تدعم الأنظمة الاوليغارشية ، وبالتالي دمرت الحرب العالم اليوناني دون أن تنجو منه أية مدينة يونانية مع تزايد توسيع مسرح العمليات العسكرية وتوجه أنظار أثينا باتجاه الغرب (صقلية) على عكس الاسبرطيين ارسوا سفنهم الحربية نحو الشواطئ الشرقية والشمالية للبحر الإيبي مهددة المراكز القديمة التابعة لأثينا، وبالتالي تأثرت نظام الدولة المدنية فيما بعد كثيرا بهذا الاختلاف الإيديولوجي المتغير وفقا لتغير مصالح وأهداف المعسكرين وفي ظل تواصل الصراع واستمراريته .

-اعتراف أثينا في نهاية المطاف بزعامة اسبرطة وبقبول شروطها التعسفية، وهكذا أثبتت الحرب التي استمرت سبعة وعشرين سنة بين أقوى المدن اليونانية مدى الروح الانفصالية في الإغريق ، وأنه أقوى من الشعور بالوحدة ، حتى ولو أجبرهم ذلك بالاتصال بالقوى الخارجية مثل الفرس (المجال الدولي)² .

-تركت الحرب بنتائجها الانتقامية التي ظهرت واضحة على نظام الدولة المدنية ، فظهر وبشكل واضح أن الباعث على وحدة بلاد الإغريق لم يظهر لدى أي مدينة ، ولم يكن لأي منها ميل نحو زعامة مدينة أخرى عليها ، ذلك

1 Matthew Dillon , Lynda Garland , op-cit , p 282.

2 احمد محمود صبحي ، في فلسفة الحضارة "الحضارة الإغريقية " ، المرجع السابق ، ص 77.

لان روح الانقسام وحب المدينة كان لا يزال مسيطرا وشاملا متغلبا على بواغث الوحدة ، لذلك كان الانقسام الدائم نتيجة للتطور السياسي ولتكرار الحروب في بلاد الإغريق حتى آل ذلك إلى مجيء سلطة من الخارج لكي تخضع اليونان تحت سيطرتها ألا وهي مقدونيا¹ .

-أدت الحروب البولوبونيزية إلى تفكك دويلات المدن الإغريقية بخروجها من الأحلاف التي كانت تجمعها ، فمثلا مدينة ايليس ظلت مستقلة ، وانقسمت جميع المدن الإغريقية ولأول مرة في التاريخ لقسمين متصارعين ، بل إن نتائج هذه المرحلة امتدت لتشمل أطرافا أخرى ، حيث انقسمت المدن الإغريقية سياسيا إلى حزب ديمقراطي وحزب أقلية اوليجاركية ، كما سبقت الإشارة إليه- ، وكانت اسبرطة دائما تؤيد حزب الأقلية في البلاد التي لم تكن لتستطيع أن تفرض عليها حكم الأقلية ، أما أثينا فكانت دائما تناصر الديمقراطية ، فكان انتصار حزب الأقلية في دولة ديمقراطية أو على حزب ديمقراطي سيتولى فيها من الحكم من الأحزاب الأخرى ، يقترن بالضرورة بانتقال هذه الدول من حلف إلى حلف آخر² .

وبناء على ذلك كانت الخلافات الداخلية في شتى المدن تنذر بان تكون عاملا من عوامل التفكك فقد أقصيت اسبرطة عن أولمبيا ورفض السماح للملك أجيس بتقديم الأضاحي الدينية في أولمبيا كتقديم قرابين الشكر والصلوات ، فضلا عن انفصال يوبويا ، واسترجاع طيبة سطوتها ، وانفصال ميجارا ، كورنثة ، ونتيجة لذلك انكشفت حدود اتিকা البرية كلها وأصبحت مهددة للغزو ، فمثلا حملة أثينا على صقلية فشلت لكن نتيجتها النهائية هي إدخال مدينة سيجيا مع أثينا في حرب صقلية ، فأصبحت هدفا لهجوم تأديبي من مدينة ميلينوس الإغريقية ، كذلك أدت بعض المدن الإغريقية إلى وقوعها تحت السيطرة الخارجية الفارسية منها أو المقدونية، حيث يقول اكسينوفون في قوله: " سلّمت المدن الإغريقية في آسيا الصغرى إلى الملك الفارسي ، فالمستفيد من وضع كهذا هو الإمبراطورية الفارسية في حين لم يكن الإغريق في وضع يستطيعون فيه الاتحاد مجددا"³ .

-اهتزاز في بعض الفترات نظام الدولة المدينة خاصة في أثينا بظهور بوادر حروب داخلية بين أوساط الشعب الأثيني ، وكثرة المعارضة في أوساط السياسيين المتطرفين للسلم أو لمواصلة الحرب ، كل هذه الظروف استغلها أعداء النظام الديمقراطي للقضاء عليه وإقامة النظام الاوليغارشي، حيث اهتز النظام الديمقراطي مرتين متتاليتين ، وكاد أن ينسف من الأساس خلال سنتي (411ق.م و 405ق.م) ، فمن جهة كانت هناك كتلة سياسية بقيادة نيكياس الذي

¹ جيمس هنري براستيد ، المرجع السابق ، ص 411.

² ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص 307.

³ اكسينوفون ، حملة العشرة آلاف فارس ، المصدر السابق ، ص 18.

اكتسب سمعة طيبة بين الأثينيين ، استثمر معظم ثروته في مناجم الفضة مما مكنه من التحكم في عدد من الأتباع خاصة هؤلاء الذين يقطنون في البوادي المنادين برغبتهم بالتمسك بمعاهدة السلام لأنهم عانوا كثيرا من الحرب، لكن من جهة أخرى هناك كتلة أخرى بقيادة الشاب المتحمس للحرب الكبياديس ، والذي استطاع أن يكون في فترة وجيزة أن يكون من بين الشخصيات الكبرى التي كانت لها جاذبية خاصة في وسط الديموس الحضري الذي كان حاضرا في قلب المؤسسات التي تتخذ القرارات الأساسية للدولة ومستعدين دوما للحروب بهدف بسط الهيمنة الضرورية لسير الديمقراطية الأثينية، فالحرب إذن هي حرب بين أشخاص متعارضين في المواقف ، مما زاد في حدة الحروب الأهلية و إصرار جمهور الأثينيين بضرورة إجراء تعديل دستوري يجرد الديموس من سيادته¹.

-رأت المدن الإغريقية الفشل المتتالي لديمقراطية أثينا التي كانت خاتمتها كارثة سركوزة ، والتي جعلت المجتمع ينتقد المؤسسات الديمقراطية باستثناء الغرباء والناشطين للديمقراطية والمنحدرين من الطبقات النبيلة والوسطى ، وهؤلاء جرى تقسيمهم لمجموعتين :

(أ) المجموعة الأولى: كانت تسعى لتأسيس تشكيل وسط هذه الجماعة ، ولم تكن منظمة داخل النوادي السياسية ، وهي أكبر المجموعتين.

(ب) المجموعة الثانية: تمثل القادة الاوليغاركيين الذين كان بعضهم جاهزا لفرض اوليغاركية ضيقة بالعنف وبالتعاون مع العدو وهؤلاء سيطروا على النوادي السياسية التي وجدت كمنظمات سرّية.

وانفقت المجموعتين على كرههما للديمقراطية ، وانتقادها للنظام من حيث سعيه إلى السيطرة على المدن الأخرى، وذلك بإتباعه مبدأ مفاده أن القوة هي الحق دون النظر لمصالح الدول والشعوب الأخرى، وأدى هذا إلى إدخالها في حروب في حروب متلاحقة لدرجة اتهامها بان ما قدمته من إبداعات تم على حساب الآخرين، وأن هذه الحرب ناتجة عن الهيمنة التي كانت أثينا ترغب في بسطها على العالم الإغريقي، بمشاركة الديموس الطموح لهذه الهيمنة الضرورية لسير الديمقراطية ، فكانت التهم الملفقة ضد محيط بركليس تشهد على هذه الوضعية ، حيث نشر في سنة 431 ق.م مقالة كلها هجو وانتقاد لدستور الدولة القائمة ، إذ وصف فيها بأنه نظام يخدم الأشرار ومصالحهم ، وأنه نظام مرن بالنسبة للعبيد ، لكنه مرعب بالنسبة للأخيار أي الأشخاص الذين يتحلون بالنيات الحسنة والرافضين لسيادة الديموس ، وكان الاوليغارشيون ينتظرون الفرصة المواتية لقلب النظام وتطبيع العلاقات مع اسبرطة والتصرف

¹ عبد السلام النايب ، المرجع السابق ، ص ص 77-84.

بجذر لأن حب النظام الديمقراطي كان قد ترسخ في أوساط الديموس الأثيني ، فكان عليهم استمالة مجموع الملاكين المتوسطين والصغار الذين دمرت أملاكهم بسبب الحرب الذين كانوا خائفين على السياسة العدوانية الأثينية في بلاد اليونان ، وما جنته من فشل ذريع ، حتى ذهب بعض الدارسين إلى القول : "أن هذه النظرية القومية هي التي أوصلت أثينا بعد الحروب المتلاحقة إلى الدمار والانهيار"¹.

-شكلت ديمقراطية أثينا و بدعم الغالبية العظمى من السكان مرحلة مهمة في التقدم والتطور الحضاري وتحقيق النصر للحلف الاسبرطي من جهة أخرى ،لذلك رأى المجلس باقتراح من القائد ليساندر بضرورة قبول فكرة التغيير في الدستور ، وأصدر توجيهاته للنوادي السياسية لإقرار خططهم باتخاذ الخطوات الأولية لقلب الديمقراطية² ، ولأجل ذلك تعاونوا مع الفرس الذين وعدوهم بأنهم سيرفعون أيديهم عن المصالح الأثينية في آسيا الصغرى إذا ما قام نظام أوليجاركي بدلا من النظام الديمقراطي³ .

وبعد إن ازدادت قوة الاسبرطيين بتحالفهم مع الفرس اضطروا إلى استبدال الحكم الشعبي وإقامة حكم الأربعمائة⁴ ، بتطبيق مخططهم القاضي بقلب النظام الديمقراطي في أثينا والمدن المتحالفة معها واستبداله بالنظام الاوليغارشي، كما اتخذت الجماعات الاوليغارشية في أثينا عدة إجراءات لتعزيز مكانتها بين أوساط الأثينيين المرهقين من الحرب ، والتصرف لصالحها من خلال إعدام قادتها كما تم القضاء رسميا على الحرس الدستوري للديمقراطية ، وتصفية الخطباء الذين كان لهم أكثر تأثيرا في نفوس الأثينيين وأبرزهم أندروكليس (Androclès)، وقتل بعض الديمقراطيين النشيطين سياسيا ، بالإضافة إلى سجن ونفي كل من عارض سلطتهم ،وعزل القضاة وتشكيل بدله مجلسا مكونا من أربعمائة عضو مرخص لهم إدارة الدولة بكل السلطات⁵ ، وفي هذا الصدد أوحى لنا اكسنوفون بقوله: "فقد أدى الظلم السافر وكثرة الإعدامات إلى اجتماع المواطنين للتساؤل عن مصير دستور المدينة ، وان لم يتم حصر عدد المواطنين المشاركين في تدبير شؤون الدولة ، فإن النظام الاوليغارشي لن يتمكن من الاستمرار"⁶ .

ونتيجة لهذه الظروف انتشر الرعب بين أوساط الأثينيين الذين لم يعودوا قادرين على الحركة أو التعبير عن مواقفهم بسبب الخوف ، بل أصبحوا يشعرون بالسعادة إذا لم يتعرضوا للاعتداء، لكن سرعان ما دب الخلاف بين

¹ عمر عبد الحفي ، المرجع السابق ، ص 64.

² Hammond , N, G , L , a history of greek , op-cit , p404.

³ ه.ج. كيتو ، المرجع السابق ، ص 149.

⁴ أرسطو ، دستور الأثينيين ، المصدر السابق ، ص 77.

⁵ Hammond , N, G , L , a history of greek , op-cit , p405.

⁶ Xénophon , Hellénica , II , 17.

الأوليغاركيين أنفسهم ، وكان للديمقراطية الأثينية أنصارها وأبرزهم قائد البحرية بيزاندروس ، حيث أعلن الأسطول الأثيني ولاءه للديمقراطية ومطالبته المتكررة بعودة النظام الديمقراطي ، وأعلن عن مدى سخطه وعدم قبوله لحكم الطبقة الاوليغارشية ، حتى أنه تدخل من قاعدته العسكرية في جزيرة ساموس بإعادته ، وذلك لان الأسطول الأثيني ارتبط بالديمقراطية الأثينية وبخاصة أن مدينة أثينا أصبحت الآن مقسمة إلى دولتين -تسيطر الأربعمائة على العاصمة والديمقراطية على الأسطول الرئيسي-¹ .

وفي ظل هذه الظروف* حاولت أثينا منع حدوث حرب أهلية بين طبقاتها الاجتماعية وبزعامة تيارين : التيار الأوليغاركي بزعامة اسبرطة متواجد في العاصمة ، والتيار الديمقراطي بزعامة البحارة الأثينيون القابعين في جزيرة ساموس ، لكن ومع تجدد الصراع بين الطرفين أتضح للسكان الأثينيون عدم جدوى الحكم الاوليغاركي في الوقوف أمام الأزمات الخارجية ، كما أدرك الحكام تلك الحقيقة ، فقدموا لهم مهلة زمنية تقارب أربعة أشهر ليتنحى عن الحكم ، ثم تولت حكومة انتقالية مؤقتة للعودة للنظام الديمقراطي بعدما دارت معركة بين أثينا وبين حكومة الثلاثين الاوليغاركية وسقط فيها كل من كريتياس وتيرامين ونظامهما ، وبعد ذلك عقد الأثينيون اجتماعا شعبيا يهدف إلى صياغة دستور جديد ، حيث أعلنوا فيه سقوط الحكم الاوليغارشي وحلّ مجلس الأربعمائة وعودة النظام الديمقراطي في شكل حكومة الخمسمائة ، يتم اختيار أعضاؤها عن طريق القرعة بصورة أكثر اعتدالا من المفهوم القديم بالرغم من بقاء امتيازات المواطنة مغلقة على خمسة آلاف مواطن فقط هم تعداد أعضاء الاكليزيا ، لأنهم الوحيدون القادرون على تسليح أنفسهم في الحرب ، ويوفرون المؤن والعتاد على نفقاتهم² ، بالإضافة إلى ذلك تم إلغاء مؤسسة منح الرواتب ، وتعديل شروط الولوج منصب القضاء ، حيث تمّ بالإجماع إلى تعيين قضاة جدد يدعون بالنوموتيت (Nomothètes)** ، إلى جانب إجراءات أخرى³ .

-نتيجة الحروب البولويونيزية فقدت بلاد الإغريق العلامات البارزة والمميزة للعقلية الإغريقية مثل الثقة المتناهية في حضارتهم ، والتي جاءت في بعض الأحيان على حساب نظرهم للشعوب الأخرى ، بالإضافة إلى أنها أضعفت

¹عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 86.

* بعد عزل حكومة الثلاثين الاوليغاركية وسقط فيها نيكياس وثيرامنس لجأوا إلى اسبرطة طالبين مساعدتها ، ولكن قائد اسبرطة باوسنياس كان على غير وفاق مع ليساندر ، وانتهى الأمر بعقد معاهدة بين أثينا وباوسانياس اعترف فيها بعودة الديمقراطية و عزل كل من مجلس العشرة ومجلس الثلاثين...،أنظر: سيد احمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 362.

² ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص ص 305-306.

**النوموتيت : هم قضاة يعينون بشكل استثنائي لمراجعة القوانين ، ومنذ القرن الرابع قبل الميلاد أصبحت مؤسسة نوموتيت دائمة.

³عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص ص 87، 91.

فيهم روح الشجاعة والإقدام لدرجة جعلتهم يعتقدون بأنه لا يوجد شيء يصعب تحقيقه ، وأنتحت حروب البولوبونيز وجهة النظر السائدة فيما مضى وفحواها أنهم أصحاب رسالة فكرية ذات أهداف تربوية وتنقيفية بين كل البشر .

-ومن أهم النتائج الاجتماعية التي خلفتها هذه الحروب ، والتي تزامنت مع حركة التوسع بالمدن الإغريقية ومناطق أخرى كفسارس ومصر ، حيث شهدت حدوث الانصهار الاجتماعي بين الإغريق وغيرهم من الشعوب ، أي حدوث تمازج واختلاط جماعات وشعوب مختلفة تحمل ثقافات وأفكار متغايرة عن بعضها ، وبالتالي بدأت الأمور تسير بشكل متغاير لأن فكرة الانصهار بين اليونانيين وغير اليونانيين كانت قد انطلقت وكانت الفكرة تتضمن المساواة البشرية وتمثال الطبيعة البشرية في كل مكان ، وأن الفرد بشكل مستقل عن كل مواطن له قيمة خاصة انطلاقاً فقط من صفته كوحدة متميزة وسط الكل الإنساني ، لقد تفجرت المدينة التي كبرت على الصعيد الفكري لتصل إلى حدود العالم ، أما الفردية فترافقت مع العمومية وهي الفكرة التي كان يسعى لتحقيقها الاسكندر بنفسه¹

-أثبتت الحروب البولوبونيزية على مدى التطور الفكري وبخاصة الحياة السياسية من حيث أنها أوجدت دوافع للتفكير والبحث ، وساعدت على الحوار والمناقشة اللذين كانا باعثا على ظهور المدارس الفكرية ، هذه الأخيرة التي كانت تبحث عن ما هو الدستور الأفضل ، فسمحت لنفسها بانتقاد مفتوح للنظام وللمسؤولين الذي يوجهونه ، ومن أشهر تلك المدارس "الأكاديمية الأفلاطونية*" ، كما لا يجب أن نغفل على العلاقة بين الطبقة العامة والمواطنين الأحرار في المساواة في الحقوق والواجبات ، وتحديد سلوكهم القانوني ووصولهم للقرارات عن طريق المناقشة لا الفرض ، أي تهميش دور الفرد في المدينة التي أصبحت هدفا للسياسة والفلاسفة دون التفكير في مجتمعات سياسية كبرى .

4/ -تدهور وانهيار نظام الدولة المدينة في القرن الرابع قبل الميلاد:

يعتبر القرن الرابع قبل الميلاد في بلاد اليونان بمثابة عصر الفوضى أو عصر الانحدار والتفكك السياسي بسبب صراع المدن اليونانية في سبيل الزعامة أو السيطرة على بلاد اليونان ، وقد تمّ في هذا الصدد عدد من المحاولات ، ولكنها بدلا من أن تؤدي إلى توحيد المدن الوطنية على مستوى وطني يشمل كل بلاد اليونان انتهت بتكريس أو تأكيد النزعة الانفصالية التي لا يتخطى في ظلّها مفهوم الحرية أو مفهوم الولاء لدى المواطن اليوناني ، وفي مقدمة هذه المحاولات رغبة اسبرطة الغير متناهية في ضم أكبر عدد ممكن من المدن اليونانية في حوالي سنة

¹ أرنولد توينبي ، تاريخ الحضارة الهيلينية ، المرجع السابق ، ص 433 .

*الأكاديمية الأفلاطونية : هي مركز رجال السياسة والفكر ، والتي كان يتم فيها تعظيم وتبجيل ذكرى روح الرجل الأول الذي وضع الإشكال السياسي بمفردات ومدلولات جديدة ، وهو الفيلسوف سقراط...، أنظر: عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 108 .

404 ق.م بعدما أتمكتها الحرب البولوبونيزية وأثقلت كاهلها وتراجع قوة أثينا ، حيث عاد وضع التجزئة والانقسام إلى بلاد اليونان واخذ أعضاء البولوبونيز يتضحرون من فرض سيطرة اسبرطة عليهم ، وتمردت مقاطعة بيوتيا وعلى رأسها مدينة طيبة ضد السيادة الاسبرطية ، ولكن هذه المحاولات منيت بالفشل بسبب نجاح أثينا في استرداد جزء من سيطرتها السياسية من جديد سنة 371 ق.م ، فضلا عن اندلاع الثورات الشعبية الداخلية في معظم المدن اليونانية وازدياد طبقة العبيد وتناقص عدد الأحرار المنوطة بهم فقط مهمة الحروب والدفاع ، عدا عن فتور الروح الوطنية وضعف الروح القومية الكفيلة بتشكيل وحدة قومية تشمل كل دول المدن اليونانية¹ ، ونتيجة لهذه الظروف السياسية المتدهورة لجأت بعض المدن إلى الاستعانة بأطراف خارجية للتدخل كالفرس بهدف مصالحها على حساب مصلحة اليونان بصفة عامة ، فادى ذلك إلى تجدد النزاع وزيادة في التفكك والانقسام والى هزيمتها النهائية على يد مقدونيا ، هذه الأخيرة التي كانت تنمو وتتطور بصفة كبيرة خاصة بعد تسلم زمام الأمور الملك فيليب الثاني² ، وقد تزعم بلاد الإغريق مباشرة بعد انهيار أثينا سنة 404 ق.م مايلي :

زعامة اسبرطة (404 ق.م-371 ق.م) : بعد انتصار اسبرطة على أثينا سنة 404 ق.م ، بدأت بإحكام سيطرتها على كل المدن الإغريقية التي كانت ضمن الإمبراطورية الأثينية من قبل إلى جانب المدن التي تحالفت معها في حربها مع أثينا بهدف إقامة إمبراطورية خاصة بها ، حيث ألزمتها بدفع جزية سنوية وقبول حامية اسبرطية تتواجد بها³ ، وعلى رأس كل حامية أمر اسبرطي كما شرعت في إسقاط الحكومات الديمقراطية وتعويضها بالحكومات الرجعية الاوليغاركية ، لضمان بقاء الحكومات الموالية لها⁴ ، بالرغم من معارضة كل من مدينتي كورنثة وطيبة اللتين عارضتا سياستها وشرعتا في إثارة العقبات والفتن الداخلية بهدف الوقوف في وجه أهداف اسبرطة المتنامية ، حيث رفضتا كل منهما إقامة النظام الاوليغاركي في أثينا ، وساعدتا على إسقاطه ، كما أنهما رفضتا الوقوف إلى جانب اسبرطة في حربها ضد إقليم أليس⁵ .

اتجهت أنظار اسبرطة بقيادة لوساندر نحو مخالفة الفرس ونجحت في الحصول على المساعدة من قورش الأصغر مقابل تقديم مساعدتها له في الوصول إلى العرش ، حيث أمدته بفرقة عسكرية -المرتزقة- قوامها 13 ألف

¹ س. دياكوف ، كوفاليف ، المرجع السابق ، ص ص 365-366.

² حسين الشيخ ، المرجع السابق ، ص 51.

³ Ephraim David ,op-cit , pp 5-6.

⁴ Hammond , op-cit , pp 293, 502.

*كانت أليس حليفة اسبرطة ، ولكنها فضت الحلف في عام 420 ق.م ، ونتيجة لذلك فقد فقدت أليس احد أقسامها وهو تريفيليت بعد أن أعلنت الحرب عليها من قبل الملك آجيس عام 401 ق.م، أنظر: سيد احمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 364.

⁵ سيد احمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 364.

مرتزق ، منهم 10600 جندي مشاة ، وهم الذين أطلق اسمهم على المغامرة¹ ، واشتركت معه في معركة كواناكسا سنة 401 ق.م ، لكن أدت الهزيمة التي لحقت بهم إلى انتكاس العلاقات الاسبرطية الفارسية ، حيث أدركت أنها سوف تتعرض لعقاب من قبل الفرس لذلك فضلت الأخذ بزمام المبادرة بفرض نفسها على الفرس قبل مهاجمتها تحت قيادة ملكها الجديد اجيسلاؤس "Agesilaus" وقائده لوساندر الطموح، خاصة وأنها محاطة بمجموعة من المدن المعادية لها ، والتي كانت خاضعة لها بالقوة² ، لذلك أعلنت الحرب عليها سنة 398 ق.م إلا أنهم انهزموا فيها، ثم أعادوا الكرة مرة أخرى سنة 396 ق.م وحققوا فيها بعض الانتصارات على قائد حملة الفرس -تسافرنيس- والحقوا بقواته خسائر فادحة بالإضافة إلى فرجينيا ، أفسوس³ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن معاملة الاسبرطيين للمدن الخاضعة لها خاصة في آسيا الصغرى كان أسوء بكثير من معاملة أثينا لهم ، كما كان على اسبرطة أن تدفع للإمبراطورية الفارسية ثمن مساعدتها لها في صراعها ضد أثينا ، والتي طلبت ثمنا لذلك بان تعود هذه المدن اليونانية الأسيوية إلى السيادة الفارسية ، وعندما تباطأت اسبرطة في تنفيذ ذلك أخذت الإمبراطورية الفارسية في تأليب المدن اليونانية الأسيوية عليها ، فثارَت مدن أيونيا والعديد من مدن البولويونيز ضد اسبرطة ، وبالفعل انهزم الأسطول الاسبرطي في موقعة كيندوس البحرية ، بعد أن تمكن كونون من إيقاع لوساندر في الشرك ودمر أسطوله واستولى على ما تبقى من سفنه⁴ .

ونتيجة لهذا الوضع اضطرت اسبرطة إلى عقد صلح مع الفرس سنة 387 / 386 ق.م* أعادت بموجبه معظم المدن اليونانية الأسيوية إلى السيادة الفارسية في سبيل إحكام سيطرتها على المدن اليونانية الأوروبية بفضل جيشها المرابط بصفة مستمرة خارج العاصمة الاسبرطية لإخماد أي تمرد مناهض لوجودها ، هذا الأمر أدى إلى نقم معظم

¹ زينوفون ، حملة العشرة آلاف (الحملة على فارس) ، المصدر السابق ، ص 5.

² ابتهال عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 142.

³ حسين الشيخ ، المرجع السابق ، ص 52 ، سيد أحمد علي الناصري ، الإغريق ، المرجع السابق ، ص 372.

⁴ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 164.

* عرف هذا الصلح المبرم مع الفرس سنة 386 ق.م باسم "سلام الملك" ، حيث أصبحت اسبرطة بقيادة أنتالكيداس وموجب هذا الاتفاق مسؤولة عن تطبيق نصوصه التي تنص على أن تؤول كل مدن آسيا الصغرى وجزيرة قبرص للملك الفارسي ، وان تدفع لها جزية مالية فيما عدا ثلاث جزر هي ليمنوس (Lemnos) وإمبروس (Imbros) وسكيروس (Skyros) مقابل تعهد هذا الأخير بحماية حرية المدن الإغريقية في بلاد اليونان ، واتفق الطرفان على محاربة كل من يرفضون هذه الاتفاق ، مما اضطرت أثينا -قطع طريق القمح الأثيني القادم من البحر الأسود إضافة إلى التهديدات الموجهة إليها في ميناء بيرابوس - ، وباقي الأطراف المتنازعة في بلاد اليونان إلى قبول نصوص هذا الاتفاق مرغمين وإرسال ممثلهم إلى سرديس للتوقيع على هذه الشروط ، وقد أدى هذا تنازل اسبرطة على المدن الإغريقية الأسيوية إلى غضب وكره باقي المدن الأخرى لخياتتها ...، أنظر: ابتهال عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 142 ، جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 423 .

المدن اليونانية منها والى ازدياد صراع الزعامة بينهم إلى أن تمكنت مدينة طيبة¹ من تزعم حركة مناوئة لاسبرطة ، حيث عقدت معاهدة مع أثينا لتهيأ لمقاتلة اسبرطة ، فضلا عن التحالف مع كورنثة وارجوس ، وبالمقابل لجأت اسبرطة إلى محاولة الإطباق عليها بجيش من الشمال بقيادة ليساندر وبجيش من الجنوب بقيادة بوزانياس ، لكن الخطة فشلت لخلل في التنفيذ² ، ودخلت أثينا لمساعدة طيبة بقيادة تراسبوليس ، فاضطر بوزانياس لقبول الصلح الذي انسحب بمقتضاه من بيوتيا ، ولم يذهب إلى اسبرطة بل قصد مباشرة منفاه في تيجيا من تلقاء نفسه³ .

ونتيجة بروز طيبة على الساحة السياسية العسكرية ظهرت عدة أحلاف الموجهة بالأساس ضد سيطرة اسبرطة ، ولعل أبرزها الحلف الطيبي الذي أسهم في القضاء على النظام الموالي لاسبرطة ، واستعويض منه بحكومات ديمقراطية سعت إلى إقامة تحالف بويوتي بزعامتها ، وبذلك تمكنت من طرد كل الحاميات العسكرية الاسبرطية في بيوتيا .

ومن جهة أخرى ثارت مدينة أثينا سنة 378 ق.م عندما هوجم مينائها الرئيسي بيرايوس ليلا من قبل الحامية الاسبرطية بقيادة سفودرياس ، ردًا على مساندتها لطيبة وتأييدها للشوار ، وكرست هذه المحاولة التحالف مع طيبة ضد اسبرطة عام 377 ق.م بالرغم من محاولات تبرير اسبرطة موقفها من حركة هذا القائد الغير المدروسة، ولكن في سنة 376 ق.م حاول مرة أخرى الأسطول الاسبرطي الذي كان قوامه 80 سفينة قطع الطريق أمام الأسطول الأثيني المحمل بالقمح القادم من البحر الأسود ، وعند منتصف الطريق بين جزيرتي ناكسوس وباروس انقض الأسطول الأثيني على الأسطول الاسبرطي ودمره نهائيا ، وانتقم قائده خابرياس للهزيمة البحرية القديمة أرجينوساي إبان حروب البولويونيز⁴ .

ومما زاد الوضع أكثر تأزما هو تعرض اسبرطة لزلازل طبيعية أحدثت خسائر فادحة مما دعاها إلى طلب السلام رسميا وعقد صلح كالياس* سنة 371 ق.م ، ودعيت إليه المدن الإغريقية، وقد حاولت مدينتا أثينا واسبرطة أن

1 Hammond , op-cit , pp 293, 502.

2 Ephraim David ,op-cit , pp 25-26.

3 سيد احمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 372.

4 سيد احمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص ص 381-382.

* صلح كالياس سنة 371 ق.م : استجابت أثينا لهذا الصلح بسبب ضغط الأزمة الاقتصادية التي كانت تعاني منها ولتنحرفها من مطامع طيبة من ناحية

تفرضنا على طيبة ضرورة التخلي عن إقامة العصبة البويوتية لكنها رفضت ، وحسم الموقف بمزيمة اسبرطة في موقعة ليوكترا (Leuctra) * سنة 371 ق.م.¹

والسؤال المطروح هنا : ما هي الأسباب التي أدت إلى تراجع قوة اسبرطة أمام تنامي قوة المدن اليونانية الأخرى؟.

يعتقد الباحثون أن سبب تراجع وانحزام اسبرطة أمام المدن اليونانية عامة وطيبة خاصة للظروف التالية:

-تأكد الاسبرطيين عقب الحرب البولوبونيزية أن السيطرة الكاملة على بلاد اليونان أمر شاق فوق طاقتهم ، إذ أعوزتهم السواحل الملائمة ، ولم يكن لديهم سوى أسطول رمزي ، حيث كانوا يعتمدون على وحدات حلفائهم للاحتفاظ بسيادتهم البحرية المرعزة في ظل العقبات الجغرافية التي تتعرض لها في كل إقليم تقريبا ، والعزلة التي كانت تعيشها ، مما أدى إلى تضائل شأنها وتدهورها على مر الزمن.

-القتال الطويل من اجل فرض السيطرة على المدن المناهضة لوجودها مما كلف أعباء تحملوها على ثقلها ، غير أنهم أدركوا في الوقت نفسه أن أي توسع في دائرة السيطرة على بلاد الإغريق قد يقصدهم عن مركز قوتهم ويشتت جهودهم ويعرضهم للانهيار² ، أما من الناحية المادية فان اعتماد اسبرطة على القوة العسكرية غي السيطرة على المدن اليونانية يؤدي بالضرورة إلى إبقاء أعداد كبيرة من الاسبرطيين بصفة مستمرة خارج اسبرطة موزعين على أغلب

أخرى خاصة بعد أن بدأت في مهاجمة فوكيس ، بلاتيا بسبب إعلانهما الانضمام إلى التحالف الكونفدرالي الأثيني ، فأرسلت أثينا ثلاثة مندوبين إلى اسبرطة يتأمله سياسي محنك اسمه كالياس ، ودعت اسبرطة كافة المدن الإغريقية لحضوره من اجل التوصل إلى صيغة سلام عادل والقيام بالتعاون والاتحاد بين المدن من تلقاء نفسها وليس بالإرغام بهدف إحراج طيبة ، ولكن عند التوقيع على هذه الاتفاقية أصر أبامينونداس على أن يوقع باسم بيوتيا وليس باسم طيبة وجادل في ذلك بقوله أن بيوتيا وحدة جغرافية إقليمية متحدة ، ولقد كان صلح كالياس اعترافا من جانب اسبرطة بفشل سياستها في تحقيق مطامع سياسية على حساب صلح الملك عام 386 ق.م وتخليها عن أحلام تحقيق إمبراطورية شاسعة...، أنظر: سيد احمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص ص 382-383.

¹ ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص ص 316-317.

* معركة ليوكترا سنة 371 ق.م : تزعم هذه المعركة القائد الطبيي كليومبروتوس ضد اسبرطة الذي كان جيشها يتراوح حوالي 11000 رجل بينما جيش طيبة لا يتعدى 6000 رجل ، إلا أن سرعة التحرك واستخدام الفرسان لتفريق مؤخرة العدو أمكنها من الإيقاع باسبرطة في كمين قاتل ، حيث سقط فيه ما يقارب 1000 اسبرطي مما استدعى بقائدها إلى طلب الهدنة بحجة دفن موتاه ولكنه في الحقيقة كان ينتظر وصول الإمدادات العسكرية من العاصمة ، وانسحب الاسبرطيون إلى خنادقهم ، وظلّ الوضع متأزما إلى أن وصل طاغية فيراي باسون وعقد الصلح بين الطرفين بعد أن اقنع اسبرطة بترك بيوتيا والعودة من ديارهم...، أنظر: سيد احمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص ص 382-384.

² عبد اللطيف احمد علي ، المرجع السابق ، ص ص 176-177.

المناطق اليونانية ، وقد كان هذا عامل سلبى على اسبرطة ولقواتها العسكرية التي ظلت بعيدة عن العاصمة من جهة ، ومن جهة أخرى تناقصها المستمر بفعل كثرة الثورات¹ .

- لعبت الطبيعة دورا هاما في تلك الحروب المتداخلة والمصالح المتشابكة ، حيث تعرضت اسبرطة لعدة زلازل دمرت جزءا منها لا يستهان به ، ولذلك وجدت أن الحل الوحيد للمدينة هو انتهاج سياسة جديدة بدأها بالصلح مع أثينا ، التقرب من جديد إلى الفرس² .

- التذبذب والتخبط في السياسة الاسبرطية من أهم العوامل التي ساعدت على سقوطها ، فتارة نبجدها تعقد الصفقات مع بلاد فارس من وراء ظهور الإغريق وعلى حساب أشقائهم في آسيا الصغرى ، وتارة أخرى تظهر كمظهر المدافع عن حرية الإغريق واستقلالهم مما افقدها نوع من الثقة بنفسها ، بل إن قضية التآمر مع الفرس حط من قدرها بين الدويلات الإغريقية خاصة وأنها أحكمت قبضتها عليها وتمكنت من إقامة الحكومات الاوليغاركية العميلة لها ، وبإقامة الحاميات وتعيين القواد عليها وإذلال المدن الإغريقية خاصة الآسيوية منها بسياسة الاستعلاء وإلحاق الاهانات أو الإعدام .. الخ، هذه القسوة ولّد الرهبة والخوف من الاسبرطيين وسرعان ما انفجر هذا الخوف إلى الثورة والتمرد عليها³ .

- السياسة العسكرية المتبعة من قبل القادة الاسبرطيين خلال القرن الرابع قبل الميلاد لا تمثل إلا اتجاهها مؤقتا نشأ عن ازدياد أطماع قادتها الطموحين الشخصية مثل: ليساندر، بوزانياس، أحيسيلاوس لا عن سياسة قومية مرسومة.

- تركيز الدولة على الجانب العسكري دون الجوانب الأخرى مثل : الجوانب الاجتماعية والثقافية ، وتحكمها في رقاب المواطنين بحيث لم تدع لهم فرصة الانطلاق والابتكار في مجالات الأدب والفن والثقافة عكس أثينا التي أطلقت العنان أمام الديموس للانفتاح الفكري خاصة في عهد بركليس ، بحيث أصبحت أثينا مدرسة لكل الإغريق.

- سياستها المتسمة بالتحفظ الشديد بل بالجمود وبالقسوة البالغة المجردة من الإنسانية في معاملتها للغير عندما تكون في مركز القوة ، وإغلاق الدائرة على المواطنين مما أدى إلى انكماش عددهم بالتدرج وتناقصهم بصورة ملتفتة للنظر خاصة وأنهم نشأوا على قوانين ليكورغوس ، هذا النظام جامدا لا يتطور وغير مرن ولذا لم يعد يناسب ظروف

¹ لطفى عبد الوهاب يحي ، اليونان ... ، المرجع السابق ، ص 176.

² حسين الشيخ ، المرجع السابق ، ص 52.

³ سيد احمد علي الناصري ، الإغريق ، المرجع السابق ، ص ص 384-385.

الإمبراطورية الجديدة حتى أن هذه القوانين بدأت تنتقد من قبل الملوك والشخصيات القوية مثل : باوسانياس ، لوساندر .

-ازداد التغاضي عن مبدأ المساواة التقليدي بين الأحرار في الملكية الزراعية ، والإصرار على تحريم التعامل بالنقود المسكوكة ، وإباحة التصرف في الحصص الزراعية بعد أن كان محضورا¹ .

-تدفق الثراء على اسبرطة بشكل لم تعرفه من قبل جراء انتصارها في حروب البولويونيز² ، حيث كانت تدر عليها 400 تالنت سنويا فضلا عن الأسلاب والغنائم التي كانت تعود بها الحملات العسكرية التي شنها كل من لوساندر والملك أجيستلاؤس من حملته على آسيا الصغرى فضلا عن الضرائب والإتاوات ، هذا الثراء تسبب في فساد أخلاق الاسبرطيين وانتشار الرشوة بينهم ، إن سر قوة اسبرطة كان يكمن في تربية ونشأة المواطن عسكريا والانضباط الكامل والالتزام بقوانين ليكورغوس ، والبساطة والتقشف ونبذ الثراء والعيش في مجتمع المساواة ، كل هذا تحطم بفعل بتدفق الثروة فلم يعودوا يلتزمون بالقواعد القديمة القاسية ، وفي هذا الصدد يقول أرسطو: "لقد كان للاسبرطيين دائما الفوز في ميدان الحروب ، ولكن الإمبراطورية دمرتهم وذلك لسبب بسيط هو أنهم لم يكونوا يعرفون كيف يستفيدون من المزايا الجديدة التي اكتسبوها ، كما أنهم لم يعودوا على أي مهارة ذهنية أخرى تفوق مهارتهم في فن الحرب" .

-حدوث ثورات اجتماعية وتمردات داخل اسبرطة بسبب سخط سكانها سواء من الدرجة الثانية أو الثالثة على الأوضاع التي كانوا يعيشونها داخل اسبرطة فضلا عن سلب الحكومة منهم بعض الحقوق والامتيازات بسبب عجزهم عن الالتزام الكامل بواجباتهم وبقوانين ليكورغوس ، بالإضافة إلى مطالبة طبقة الهيلوت الذين خدموا في جيوش الاسبرطية في حروب البولويونيز بالحصول على الجنسية وعتقهم من العبودية ، وأبرز مثال عن ذلك حركة التمرد التي قام بها الاسبرطيون من الدرجة الثانية (البريكوي أو الاحرار) ضد الطبقة الاسبرطية ذات النفوذ ، كما ظهر تمرد آخر في عام 398 ق.م من قبل الاسبرطيين المبعدين (المنبوذين) ضد القوة الحاكمة الارستقراطية ، قاده كندانون (Kindanon)، ولكن سرعان ما قضت السلطة عليه وأعدمت زعيمها³ .

¹ عبد اللطيف احمد علي ، المرجع السابق ، ص ص 176-177 .

² Matthew Dillon and Lynda Garland , op-cit , p116 .

³ سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص ص 385-386 .

- ضعف شخصية الملوك الاسبرطيين بعد وفاة الملك آجيس ، وظهور شخصيات من الموظفين والقادة العسكريين الذين أصبحوا يتحكمون في المجتمع ، وفاقت مكانتهم مكانة الملوك ، فضلا على غرور واستعلاء قادة الحاميات الاسبرطية ومغالاتهم في التبذير وتقليد ملوك الشرق مثل : براسيداس، لوساندر.

-التوسع في منح السلطة أو الانفتاح في منح الجنسية لدائرة أكبر من المواطنين أفقد التوازن القديم ، فلم تعد المناصب تنحصر فقط على الاسبرطيين الخالص وإنما شملت أطراف المجتمع الاسبرطي الجديد الذي يفتقد للجوهر القديم الذي كان عليهم أسلافهم مثل: تجر هيئة الايفوزات وازدياد سلطتهم سواء داخل اسبرطة او على القادة العسكريين في ميادين القتال¹.

ب) زعامة طيبة (371ق.م -362ق.م) : بعد انهزام اسبرطة أمام طيبة في موقعة ليوكترا (Leuctra) سنة 371ق.م واستتب الحكم الديمقراطي فيها ، حاولت هذه الأخيرة أن تحل محل اسبرطة في زعامة اليونان من خلال اتخاذ عدة إجراءات هامة ، والتي تتمثل في :

-إعادة بناء قواتها العسكرية على يد قائدها بيلوبيداس (Pilopudasse) هو المخطط العسكري ، و أبامينونانداس " Epaminondas" المخطط السياسي ، وتحديد وحداتها العسكرية التي كانت تقوم أساسا على فرقة قوامها 150 زوجا من الرجال الأصدقاء كل يحارب جنبا إلى جنب مع اعز صديق له، وبالفعل أثبتت هذه الفرق العسكرية كفاءة وفعالية من الجنود المشاة بحسن التدريب والتكتيك الجيد .

- شرعت طيبة في سلسلة من التحركات العسكرية والسياسية لكسر العزلة السياسية التي فرضت عليها بعد صلح كالياس سنة 371ق.م ، ولتفرض أيضا نفوذها على إقليم بيوتيا و على المدن اليونانية الأخرى ، حيث عقدت التحالفات مع الموالين لها مثل : تحالفها مع طاغية مدينة فيراي (Pherae) في تساليا الذي يسمى ياسون بهدف توحيد اقليم تساليا تحت زعامته مستخدما الدبلوماسية والقوة العسكرية في آن واحد وإضعاف في نفس الوقت مدينة اسبرطة².

¹ سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، 387.

² نفسه، ص ص 380، 383.

- الاستفادة من أخطاء المدن السابقة للدفع بمركز بلادها قدما ، فأيدت المناطق الخاضعة لاسيطرة والثائرة عليها كأركاديا ومسينيا¹ .

وبالمقابل وجد الفرس في مدينة طيبة حليفا جديدا لهم في المنطقة ، قد يحقق أطماعهم وأهدافهم ، فأيدوا السياسة الطيبية الجديدة واستمرت طيبة هي صاحبة السلطة في اليونان لفترة قصيرة امتدت من 371 ق.م إلى غاية 362 ق.م حيث كانت موقعة مانتينا بداية النهاية للأطماع الطيبية في بلاد اليونان ، وانتهت بعقد الصلح اعترفت بموجبه باستقلال أركاديا ومسينيا ، كما اعترف أطراف الصلح بحلف بيوتيا وبأعضاء الاتحاد الأثيني² ، ولعل من أبرز الأسباب التي أدت إلى انهزامها وتراجعها في توحيد بلاد اليونان ما يلي:

- شكل الحلف البويوتي البداية الحقيقية لتراجع توسعات طيبة ، حيث بث خلافات ونزاعات بين المدن الإغريقية وحلفائها مثل الميسنيين ، الأمر الذي أدى بها إلى الاستنجد بأطراف خارجية كمحالفه الفرس مثلا الذين تم دعوتهم لحضور مؤتمر دلفي لمحاولة وقف القتال بين المدن الإغريقية وضم مدينة سيراكوزا لاعتقادهم أنها تشكل ضرا لهم جراء تمرد أتباعها إغريق آسيا الصغرى المدن الأيونية نتيجة للصراعات بين الإغريق ، ولكن المؤتمر أنهى أعماله دون اتفاق بيت الإغريق .

- افتقارها إلى مقومات الماضي التاريخي والثروة والتقدم الحضاري التي اعتمدت عليه من قبل أثينا في تكوين إمبراطوريتها، و بالرغم من إصلاحاتها في مجال القوات العسكرية إلى أنها تفتقد إلى الجيش النظامي الدائم الذي كان يمثل عصب القوة الاسبرطية³ .

- بالرغم من نجاحها في فرض سيطرتها ببلاد الإغريق طوال الفترة الممتدة من [371 ق.م - 362 ق.م] لكنها فشلت في كسب أصدقاء حقيقيين لجانبها ، فعندما ضعف الحلف الاركادي أخذت مدن شمال اركاديا وأليس وأثينا في التحالف مع اسبرطة ضد طيبة في معركة مانتينا سنة 362 ق.م⁴ .

¹ ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص 317 ، إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 166.

² حسين الشيخ ، المرجع السابق ، ص 35.

³ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص ص 166-167.

⁴ ابتهاج عادل إبراهيم الطائي ، المرجع السابق ، ص 137.

ج) الاتحاد الأثيني (378 ق.م - 338 ق.م) : قبل الحديث عن كيفية تأسيس الاتحاد الأثيني لابد من الإشارة أولاً إلى أوضاع أثينا قبيل ظهور هذا الحلف الجديد، وأهم الأحداث التاريخية التي ميزت هذه المرحلة ، وهل عايشت أثينا نفس الظروف السابقة التي سبقت تأسيسها الحلف القديم - ديلوس - أم لا ؟.

1/ - أوضاع أثينا قبيل ظهور الاتحاد الأثيني : أشارت الدراسات التاريخية إلى عودة أثينا من جديد سنة 378 ق.م بزعامة كونون (Conon) * إلى إقامة مؤسساتها الديمقراطية اثر حروب البولوبونيز للخروج من دائرة النفوذ الاسبرطي ، وقد ساعدها على ذلك معاملة اسبرطة الصارمة للمدن الإغريقية واهانة شعوبها ، فضلاً إلى الدور الكبير الذي قام به قائدها تراسيبوليس (Thrasybulus)** في ضم الكثير من المدن الإغريقية لحلفها ، كما اتخذ طريقة التعامل المالي القديم أسلوباً لفرض ضريبة لأثينا 10% من حمولات السفن المارة بالبوسفور والدرديبل ، كما كان لأثينا الحق في فرض نسبة 5% من قيمة الصادرات والواردات كضرائب على المدن الأخرى، كما استطاعوا استعادة نفوذهم على جزيرة ديلوس - المركز الروحي للإغريق جميعاً¹.

والجدير بالذكر أن خطة كونون لإعادة بناء الإمبراطورية تقوم أساساً على استغلال أخطاء الإمبراطورية الاسبرطية لصالح أثينا بعد تأليب المدن الإغريقية عليها هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى الاستفادة من قوة الأسطول الفارسي لتدمير قوة اسبرطة البحرية والتتقرب إلى ملكهم على حساب الاسبرطيين من أجل طرد حامياتهم العسكرية من الجزر والمدن الإغريقية الآسيوية ، وحثهم على المطالبة بالحرية والاستقلال بل ساعدهم في تحرير بعضها دون هدف أو مقابل ، مما أدى إلى زيادة مكانة أثينا في نفوس الإغريقيين الآخرين، كما شجع كونون الخلاف القائم بين اسبرطة وكورنثة وبث الفرقة داخل حلف البولوبونيز .

* كونون (404-392 ق.م) : هو احد ابرز رجال أثينا بعد حروب البولوبونيز ، وهو قائد القوات الأثينية في موقعة " ايجوسوتامي " التي أخزم فيها الجيش الأثيني ، لكن كونون نجح في الفرار من أثينا مع قسم من الأسطول ليضع نفسه رهن تصرف الملك الفارسي ، هذا الأخير الذي كان متخوفاً من طموحات اسبرطة ، فسَهّل عودة كونون إلى وطنه أثينا على رأس 50 قطعة بحرية وكميات من المؤونة تمكن الأثينيين بفضلها من إعادة بناء أسوارهم ، ولكن بعد مساعدة كونون لحاكم قبرص تغيير موقف الفرس من حليف إلى معارض ، فقامت من إلقاء القبض عليه أثناء زيارته الدبلوماسية إلى سرديس ، وبالرغم من الفرار إلا انه لم يعيش طويلاً ...، أنظر: عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 116.

** تراسيبوليس : برز هذا القائد منذ سنة 411 ق.م في جزيرة ساموس إبان حروب البولوبونيز ، والذي سبق واستطاع إرجاع أثينا للحكم الديمقراطي بعدما لجأ إلى طيبة لتساعده في ذلك ، وهو أحد المعارضين للحكومة الأربعمائة ، كانت نهاية هذا القائد على يد سكان مدينة أسبندوس (Aspendos) الذين قتلوه انتقاماً منه لنهب قواته لحقولهم عندما كان يعسكر بها ...، أنظر: نفسه ، ص 105.

¹ ليلي عبد القادر علي الغناني ، المرجع السابق ، ص 319.

وقد نجح كونون بالفعل في تدمير أسطول اسبرطة في معركة كنيديوس سنة 393 ق.م منتقما بذلك لخسارته في الموقعة القديمة ايجوسبوتامي ، وتحرير العديد من المدن والجزر الإغريقية من الاستعمار الاسبرطي وتوطيد علاقاتها معهم ، وكافأه الفرس بإعطائه ما تبقى من أسطولهم ليعود به إلى أثينا من اجل إعادة بناء الأسوار القديمة¹ .

ولكن السؤال المطروح : هل استطاعت أثينا أن تكمل خطة كونون دون مضايقات أو صعوبات سواء داخلية منها أو خارجية ، وكيف أثر في تأسيس الكونفدرالية الأثينية الثانية (الاتحاد الأثيني)؟ .

لعل من أهم العراقيل التي واجهت طموحات كونون في استرجاع أمجاد أثينا مرة أخرى ومواجهة خطر اسبرطة والفرس من جهة أخرى مايلي:

-معارضة بعض الساسة والخطباء الأثينيين على استعادة أمجاد أثينا القديمة عن طريق منح الاستقلال لكل المدن الإغريقية ، وهذا دليل على وجود النية الاستعمارية ، كما تأرجحت نية بعض المدن بين التحالف مع أثينا أو الرفض مثل : جزيرة رودس .

-ارتفاع النفقات الباهظة التي أنفقتها أثينا في تحرير المدن وتحديد أسطولها ، وبالتالي احدث أزمة اقتصادية .

-قيام الخلاف والشك بين كونون والفرس الذين اهتموه بسعيه المستمر لتحقيق مصالح ذاتية لبلده خاصة بعد مساعدة كونون لحاكم قبرص الذي ثار ضد الفرس .

-تمكن اسبرطة من إعادة بناء قوتها البحرية من جديد ، واستعادة بعض المدن التي فقدتها مثل: كنيديوس، ساموس، أيفيسوس عام 391 ق.م² .

ولكن في خضم هذه الأحداث المتدهورة نوعا ما ، بقي القبض على كونون من قبل الفرس التي ازداد شكها فيه، وتوفي بعد هذه الحادثة بفترة قصيرة ، لتؤول مسؤولية أثينا إلى قائد ديمقراطي برز أثناء حروب البولوبونيز ووقف في وجه حكومة الأربعمئة الاوليغاركية سنة 411 ق.م ألا وهو تراسيبوليس الذي شرع هو الآخر بتنفيذ تحقيق الإمبراطورية ، فهو يؤمن بفكرة الاستعمار والسيادة الأثينية المطلقة حتى ولو كان تحقيق ذلك يفوق إمكانية أثينا المادية ، فتمكن من استعادة السيطرة الأثينية على البحر الأسود وتراقيا وخليقيدونيا ، وكذلك بعض الجزر كجزيرة

¹ سيد احمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص ص 396 - 397.

² نفسه ، ص 389.

ليسبوس ورودس ، كيوس ، بيزانس ، وبعض المدن الايونية مثل : ثاسوس ، هليكارناسوس ، ساموثراكي ، كلاجوميثاين، وأقام في بعض المدن منها حميات عسكرية أثينية¹ .

و كما سبق ذكره بعد إعلان السلام الملكي سنة 386 ق.م بدعوة من اسبرطة ، جردت أثينا من عدة حقوق كحق التوسع وحق عقد التحالفات مع مدن ومناطق أخرى باستثناء ضم جزر هي جزيرة لمنوس، أمبروس ، سكروس ، لكنها تداركت هذا الوضع الجديد بإتباع سياسة جديدة قائمة على التخلي عن الأفكار الاستعمارية القديمة التي أودت بالإمبراطورية الأولى سنة 404 ق.م والتفكير بفلسفة جديدة ألا وهي إقامة علاقات ومصالح بين مدن بلاد اليونان خاصة البحرية منها ، وأن تقوم هذه العلاقات على أساس المساواة والاحترام المتبادل*، وبرز مثال عن ذلك مساعدة الحزب الديمقراطي في طيبة 379 ق.م على العودة للحكم بعد ثلاث سنوات من حكم الاوليجاركيين ، فضلا عن ربط علاقات طيبة مع خيوس وبيزنطة وموتيليني² .

2/ - تكوين التحالف الكونفدرالي (الاتحاد الأثيني) : دعى الأثينيون حلفاءهم إلى إرسال ممثلين عنهم إلى أثينا للتشاور في أمر قيام اتحاد أثيني لوقف العدوان الاسبرطي، يقوم على أسس تعاھديه وضمن حقوق متساوية لأعضائه ، ووافقت عدد من المدن الإغريقية على المشروع الجديد ، ومن أوائل المدن والجزر التي وافقت على عريضة الاتحاد مدينة خيوس ، رودس ، بيزنطة(بوابة طريق القمح في إقليم الدردنيل) ، موتيليني -عاصمة جزيرة لسبوس- ، طيبة ، ثم قطعت علاقاتها مع اسبرطة والانضمام إلى هذا الحلف الجديد بأداء القسم الخاص به، كما اتفق المتحالفون على أن تكون عضوية الاتحاد مفتوحة لأي عضو يريد الانضمام³ .

في ربيع 378 ق.م قدم رجل اسمه أرسطوطاليس الماراثوني مشروع الوحدة ، وقدمه إلى وفود المدن المتحالفة لعرضه على حكوماتها لمناقشته ، وقد عثر المنقبون على شذرات من مشروع أرسطو طاليس بين آثار أثينا عام

¹ ليلي عبد القادر علي الغنای ، المرجع السابق ، ص 319.

*من ابرز الشخصيات الأثينية التي تولت أمور البلاد بعد وفاة تراسيبوليس ، وتولت المشروع الوحدوي الكبير هما : تيموتيوس ابن كونون و كاليستراتوس المشهور بخطبه السياسية ، عين في عدة مرات قاضيا احترايا ، وحسب اكسونوفون في مصدره "الإيرادات" أن كاليستراتوس اهتم بإصلاح الأوضاع المالية المتدهورة التي وصلت إليه أثينا بعد نهاية حروب البولوبونيز من خلال وضع إصلاحيين مهمين للدولة : الإصلاح الأول : إصلاح الضرائب التي كانت مفروضة على الحلفاء ، عن طريق تحويل ضريبة الحرب إلى ضريبة تتناسب و ثراء كل فرد ، أما الإصلاح الثاني يتعلق بتسليم الدولة للخوادم حق استغلال مناجم الفضة والذهب في جبال اللوريون لمدة تتراوح من ثلاث سنوات إلى عشر سنوات حسب طبيعة المنجم المستغل ، مقابل عائدات زهيدة جدا تتراوح ما بين 20 و150 دراهما باستثناء بعض التسليمات التي كانت عائداتها تتراوح ما بين 2000 و9000 دراهما...، أنظر: Xénophon , les revenus , III, IV, V.

² سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص ص 401-402.

Xénophon , Hellénica , V , IV.

1851 م ، حيث يبدأ النقش بتاريخ الموافقة على هذا المشروع (فيفري 378 ق.م)¹ ، ثم بيان الغرض من تكوين الاتحاد و المتمثلة في مايلي :

-إرغام اسبرطة على عدم التدخل في سيادة المدن الإغريقية ، وتركها تمارس حريتها على كامل ترابهم .

-ضرورة المساواة بين الأعضاء في الحقوق دون النظر إلى المكانة السياسية والاقتصادية والعسكرية للمدينة العضو .

-إعلان كل مدينة ترغب في الدخول إلى الاتحاد انه ليس لها أطماع في أملاك دون الاتحاد ، وكان الهدف من هذا الشرط إزالة أي خوف من نفوس المدن الأعضاء من نوايا المدن الكبيرة .

-ضرورة مساعدة أي عضو يتعرض لاعتداء خارجي .

-ليس من حق الأثينيين امتلاك أراضي فوق تراب الحلفاء ، وفي حالة ما إذا حصل نزاع ترفع القضية إلى الهيئة المؤلفة من ممثلي المدن الحليفة ، وفي حالة ما إذا خالف احدهم هذه الاتفاقيات فسيمثل أمام محكمة الحلفاء .

-تحديد نوع العقوبات المفروضة على أي مواطن يحاول الخروج عن مبادئ الاتحاد كإسقاط جنسيته ومصادرة أمواله وتقديمه للمحاكمة للإعدام أو النفي ، كما دعت وثيقة الاتحاد كل الإغريق وغيرهم في مقدونيا وتراقيا وبيروس للانضمام للحلف بشرط ألا تكون إحداها من رعايا الملك الفارسي لتجنب الدخول في صراع معها² .

وتجسيدا لأهداف الإتحاد المنوطة له حرص الأثينيون على تعزيزه بمجلس اتحادي خاص³ يعرف باسم "المجلس العام للمتحالفين" أو مجلس الحلفاء "أو "Synédriion" ، يجتمع بشكل منظم ومستمر ، يتكون من ممثلي المدن المتحالفة ، وكان لكل مدينة مندوب أو أكثر ، ولكن تمثل بصوت واحد فقط مهما اختلفت حجم هذه المدن أو أهميتها ، مهمته تتمثل في إدارة شؤون الاتحاد الذي تقرر أن يكون مقره الدائم العاصمة أثينا .

والجدير بالذكر أن العبارات التي سجلت على المراسيم الصادرة من المجلس مثل: "الأثينيون و الحلفاء" ، "الأثينيون وأغلبية الحلفاء" تدل على عدم إمكانية تنفيذ أي قرار إلا بعد المصادقة عليه من طرف مجلس الحلفاء (Synédriion) ، بالتالي احترمت في السنوات الأولى من تأسيس الإتحاد الأثيني بنود الميثاق من قبل الأثينيين

¹ سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص ص 403-404 .

² عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 119 .

³ جوستاف جلوتز ، المرجع السابق ، ص 436 .

الذين التزموا كذلك بعدم رفع قيمة الضريبة باستثناء في فترات الحرب ، أين يستوجب على الحلفاء بشكل استثنائي تقديم مساهمة نقدية خاصة ¹.

3/ - المراحل التاريخية للحلف الجديد : استمر هذا الحلف طوال الفترة الممتدة من 378 ق.م - 338 ق.م رغم تغير الظروف التالية:

أ / الفترة الأولى الممتدة من [378-371 ق.م]: تميزت هذه المرحلة باستمرار محاولات اسبرطة في فرض السيطرة والضغط على المدن الإغريقية ، وازدياد عدد أعضاء المنضمين إلى الاتحاد من 6 أعضاء مؤسسين إلى 100 عضو ، فشكل ذلك أزمة مالية وبخاصة في ضعف ميزانية الاتحاد الذي تعرض لآزمات مالية زادت من أعباء أثينا الاقتصادية ، فلجأت إلى فرض ضريبة إضافية لسد وتغطية نفقات الاتحاد ، كما أن قادتها لجأوا إلى بيع ممتلكاتهم الخاصة وإلى تشغيل الجند كعمال حقول، أو إلى طرق غير شرعية كأعمال النهب والسلب لتغطية نفقات العمليات العسكرية ².

ب/ الفترة الثانية [371 ق.م - 358 ق.م]: تأثر الحلف كثيرا بعد انهزام اسبرطة سنة 371 ق.م بانسحاب بعض أعضائه المهمين مثل : طيبة ، مما أدى بآثينا إلى السماح لبعض مدن البولونيوز بالانضمام أو الاتحاد أيضا ، فأثارت هذه السياسة ردود فعل عنيفة من قبل أعضاء الاتحاد الذين لاحظوا أن سياسة أثينا لم تصبح إغريقية خالصة بل أصبحت سياسة أثينية ، الهدف منها تحقيق مصالحها الشخصية على حساب مصالح الاتحاد ، وكأنهم أصبحوا مدنا خاضعة لها في إمبراطورية جديدة ، واتضح هذا الأمر جليا في عدم تقديم أسطولها لمساعدة جزر الكيكلاديس عندما تعرضت للتهديد من قبل الاسكندر .

وخالصة القول أن بوادر التدهور بدأت في الظهور على الاتحاد عندما بدأت المدن الكبرى المؤسسة في الانسحاب أو الاستعداد للانسحاب من التحالف، بينما استمرت أثينا في توسيع رقعة نفوذها وسيطرتها البرية والبحرية ، كما بدأ الأعضاء الباقون يحسون بالبرود وعدم الاكتراث إزاء التحالف ولكنهم ظلوا كابتنين لإحساسهم حتى تحول هذا الكبت إلى صراع دموي ، والذي سوف تترجمه أحداث المرحلة الأخيرة .

ج/ الفترة الثالثة [358 ق.م - 338 ق.م]: تميزت هذه المرحلة بضعف الاتحاد وبداية انهياره بسبب استرداد طيبة سنة 366 ق.م مدينة أوريوس ، وازداد الوضع أكثر سوءا عندما أعلن الوالي الفارسي ماوسولوس - حاكم مدينة

¹ Edouard Will , Claude Mossé , le monde grec et l'orient , le IVème siècle , paris , pp 35-36.

² لطفي عبد الوهاب يحي ، اليونان ،...، المرجع السابق ، ص ص 178، 181.

كاريا-التوسع على آسيا الصغرى على حساب انتمائه محرضا المدن الأيونية عليها ، وقد لقي استحابة من مدن خيوس، رودس، كوس وبيزنطة.

بدأ تحرك المدن الإغريقية ضد أثينا بمدينة خيوس عام 357 ق.م التي حاولت أثينا إرجاعها إلى عضوية الاتحاد ، وروودس وكوس وبيزنطة ، كل هذه المدن رفضت الاستمرار كأعضاء داخل الحلف الأثيني، لكن في سنة 356 ق.م اجتمع أعضاء الاتحاد وخرج أسطولهم ضد الأسطول الأثيني الذي كان تحت قيادة إيفيكراط وتيموتوس وكاريس ، فنهبوا مدن لمنوس وأمبروس وحاصروا ساموس ، وهزمت أثينا أمام أسطولهم¹.

شهدت كذلك هذه المرحلة ظهور عدو جديد يهدد كيان أثينا والمتمثل في طموح الملك فيليب الثاني* في ضرب نفوذ أثينا والحد من توسعاتها، فضلا عن القائد خاريس**الذي عمل هو الآخر كمرتزق لدى الملك الفارسي ، فأدى ذلك إلى توجيه الفرس تهديداً لهم لأثينا ، ثم انسحب خاريس وجنده فاضطرت أثينا أمام الضغوط التي اعترضها على المستويين الداخلي والخارجي ، فداخليا عانت من أزمة مالية بالإضافة إلى الحرب التي دارت بينها وبين اسبرطة، أما من الناحية الخارجية فقد واجهت الضغط الفارسي واضطرت لقبول الصلح -معاهدة سلام- مع المدن المناهضة لها عام 355 ق.م ، فاعترفت باستقلال أهم المدن التابعة للحلف ، ثم انسحبت من الاتحاد كل من كوركيرا ومونثيليني وميتونيا ، وفقدت أثينا سيطرتها مرة أخرى على بحر إيجه ، ولم يتبق في الاتحاد الأثيني إلا مدن الجزر الأيونية مثل جزيرة سلاميس وديلوس وساموس ومنتوس وامبروس².

تطورت الأحداث في السنوات الأخيرة من عمر الاتحاد الأثيني إلى حدوث صدامات بين مقدونيا وأثينا بعد هزيمتها في معركة خيرونيا " Chaironia " سنة 338 ق.م التي أعلنت نهاية الاتحاد الأثيني وبداية السيطرة المقدونية على

¹ لطفني عبد الوهاب يحي، اليونان، المرجع السابق، ص ص 178، 181.

* فيليب الثاني: ولد فيليبس سنة 382 ق.م ، أبوه أمينتاس الثالث ، اعتقد أبوه أنه لن يكون محاربا ، شجاعا ولا ملكا ناجحا ، فأرسله رهينة إلى طيبة بين سنتي 368 و365 ق.م ، فاطلع هناك على حضارة اليونانيين وتنظيمهم العسكري ، وفي سنة 359 ق.م مات أخوه فأصبح وليا للعهد ثم ملكا سنة 356 ق.م ، وأصبح له وزن كبير بالنسبة للعالم المقدوني ...، انظر: وهيب أبي فاضل ، المرجع السابق ، ص 225

** خاريس : قائد أثيني قاد فرقة عسكرية من المرتزقة عملت لصالح أثينا أحيانا ، وأحيانا أخرى لصالح الملك الفارسي ارتاكسركيس كجنود مرتزقة ، كما واجه الملك فيليب المقدوني في تراقيا 346 ق.م ، بيزنطة 340 ق.م ، وشارك في معركة خيرونيا سنة 338 ق.م، كما عمل في خدمة داريوس ضد الاسكندر الأكبر.

² لطفني عبد الوهاب يحي، اليونان، المرجع السابق، ص ص 178، 181، إبراهيم السايح ، المرجع السابق، ص ص 166-167.

أثينا وحلفائها، وفي هذا الصدد يقول باوسانياس: "إن فيليب قد عقد اتفاقاً مع الأثينيين من الناحية الاسمية، أما من الناحية الفعلية فقد الحق بهم خسارة بالغة، لأنه انتزع منهم الجزر، وعزلهم عن إمبراطورية البحر"¹.

4/ - الأسباب المؤدية لانهيار الاتحاد الأثيني: من أهم الأسباب التي أدت إلى إرهاب واستنزاف ميزانية أثينا، والتي أثرت بشكل كبير في انحلال وضعف التحالف الكونفدرالي، بعد أن دام ما يقارب ستة وأربعون سنة إلى مايلي:

- كما سبق وأن أسلفت الذكر من شروط التحالف الأثيني الجديد هو دفع الحلفاء الضريبة باستمرار على أن تكون قابلة للزيادة في ظروف استثنائية والمتمثلة أساساً في أوقات الحرب، وبما أن الحرب ظلت قائمة بشكل دائم خلال القرن الرابع قبل الميلاد، فإن تلك الضرائب الاستثنائية تضاعفت قيمتها، وبسرعة عادت أثينا إلى تصرفاتها السابقة من خلال استنزاف الحلفاء و السيطرة على مواردهم مما أدى إلى تدميرهم وانزعاجهم من هذه السياسة.

- تذبذب النشاط التجاري الأثيني خلال القرن الرابع قبل الميلاد بسبب كثرة الحروب وتراجع أسطولها التجاري، مما أدى هذا الوضع إلى رفع قيمة الجمارك على كل السلع الواردة أو الصادرة من ميناء بيرايوس²، كما تباطأ استغلال مناجم اللوريون في ظل تواجد الجيوش الاسبرطية فوق أراضي سهل ديسيلي، حيث إلى حدود 356 ق.م اشتكى اكسونوفون في كتابه الإيرادات بان عائدات مناجم اللوريون لم تصل إلى مستوى ما كان منتظراً منه بعد الإصلاحات التي وضعها كاليستراتوس³.

- أدى توقف ضرائب الحلفاء خلال الحروب البولوبونيزية إلى إفراغ خزانة أثينا وحرمانها من أهم مورد مالي، وبالقابل ارتفاع نفقاتها الداخلية والخارجية خاصة بعد لجوئها المستمر إلى جنود المرتزقة للقيام بعمليات عسكرية سريعة حتى وان كان القضاة الاحترائيون يتحملون رواتب جنودهم مثل القائد تيموتيس الذي كان يؤدي لكل مرتزق ثلاثة عشرة طالون، كما كان ملزماً عليه أن يؤدي بعد سنتين في الخدمة أن يرهن قسماً من أملاكه⁴.

- إعادة أثينا سياسة إنشاء المستوطنات منذ سنة 362 ق.م ووضعت حاميات عسكرية أثينية فوق تراب مدن الدويلات الحليفة، لذلك فان الحرب التي دارت بين أثينا وبين الحلفاء سنة 357 ق.م ستؤدي إلى إضعاف الإمبراطورية الأثينية الجديدة.

Pausanias , I , 25 , 3.

Edouard Will , Claude Mossé , le monde grec et l'orient , op-cit , p38.

Xénophon , les revenus, III,IV,V.

⁴ عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 120.

وصفوة القول أن الظروف الداخلية التي عاشتها أثينا ، والسياسة المتبعة من قبلها لتفادي الوقوع في أزمات اقتصادية واجتماعية على حساب مصالح مدن الحلفاء ، هذه الأخيرة التي أجبرت على الانسحاب بالتدرج من الاتحاد معلنة بذلك التمرد أو الحرب ، ومستغلة في نفس الوقت تراجع قوة اسبرطة التي أصبحت منهكة من الحرب ، وما زاد الطين بلّة ظهور شخصية عسكرية فذة سنة 359 ق.م تطمح للسيطرة على بلاد الإغريق ككل، وجعل مقدونيا أعظم قوة في المنطقة الإيجية ، ألا وهي شخصية فيليب الثاني وابنه الاسكندر المقدوني .

ومن هنا سوف نحاول تسليط الضوء على هذه الشخصية وكيف أثرت في انهيار نظام الدولة المدينة بعد أن دام حوالي خمسة قرون تقريبا؟

5/ - ظهور مقدونيا وإخضاع الدويلات الإغريقية .

بعد الانهيار الداخلي الذي أصاب المدن اليونانية ، وبعد أن آثر الفرس عدم التدخل العسكري في شؤون اليونان أو مواجهتها عسكريا ، كانت مقدونيا* هي الخطر الجديد الذي يهدد بلاد الإغريق ، حيث كانت تملك كل المقومات التي تؤهلها لأن تكون خطرا حقيقيا على بلاد الإغريق ، فمن الناحية الاقتصادية نجدها تملك الموارد الوفيرة من مناجم وغابات وأراضي واسعة وغيرها ، أما من الناحية السياسية نجدها قد توحدت وصار لها جيش قوي بفضل جهود فيليب الثاني، بالإضافة إلى كل هذا فقد كان موقع مقدونيا على الحدود الشمالية لبلاد اليونان من العوامل الأساسية التي أوحت للملك فيليب بسهولة غزو البلاد من الناحية الجغرافية¹ .

بدأت سياسة مقدونيا تتضح منذ القرن السابع قبل الميلاد عندما وصلت إلى العرش أسرة أرجيادس (Argéades) حيث ظلت مفككة لا تكاد تعرف الوحدة السياسية الصحيحة إذ سيطر الفرس عليها سنة 513 ق.م وقبلت بسيادتهم ، لكن بعد هزيمة الفرس في معركة بلاتيا سنة 479 ق.م استقلت مقدونيا ، وحاولت إعادة بناء دولتها بناء قويا متماسكا وإقامة علاقات سياسية مع المدن اليونانية وتتأثر بحضارتهم.

*مقدونيا : تقع جنوب شرق أوروبا وهي جزء من شبه جزيرة البلقان في منطقة جبلية تنمو عليها غابات من الأشجار بدرجة جعلها تصدر الأخشاب بدرجة كبيرة ، فضلا عن سهولها وبحيراتها ، وبالرغم من وقوعها خارج حدود الإغريق إلا أنها ارتبطت ارتباطا وثيقا بتاريخ الإغريق ، حيث كانت الأسرة الحاكمة للشعب المقدوني تظهر بمظهر الأسرة ذات الأصول الإغريقية ، سكانها من أصل مختلط فبعضهم من قبائل إغريقية وبعضهم الآخر من قبائل أخرى ، وقد انتشرت بينهم عبادة زيوس وهرقل ويعتقدون أنهم من سلالة ، لغتهم يونانية ، وهكذا ربط الملوك المقدونيون (الحكم الملكي) باكرا علاقاتهم مع دويلات المدن الإغريقية خاصة مع أثينا ...، أنظر: إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص ص 171-172.

¹ ممدوح درويش وإبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص ص 38-39.

والجدير بالذكر أن مقدونيا توالى على عرشها تسعة ملوك ينتهي عهد الواحد منهم إما بالانقلاب أو الاغتيال ، حتى وصل إلى الحكم فيليب الثاني (359 ق.م - 336 ق.م) ، وبدأت معه عظمة مقدونيا ، وأهم ما قام به هو مضاعفة قوة السلطة الملكية بالبلاد، وإعداد الجيش العسكري بعد أن تأثر كثيرا بالتنظيم العسكري عند اليونان وأمن بذلك حدود مقدونيا خاصة من الجهة الشرقية¹ ، لكن السؤال المطروح ما هي الأسباب والظروف التي أدت إلى حدوث هذا الصراع خاصة بعد ظهور فيليب وتولييه للعرش ؟.

- كانت المدن اليونانية قد أنشأت عددا من المستعمرات اليونانية على السواحل الجنوبية لمقدونيا ، واعتاد المقدونيين على اعتبار الإغريق أكبر مصدر للخطر عليهم وخاصة المدن الاستعمارية الكبرى مثل: اسبرطة ، أثينا ، طيبة التي حاولت دائما أن تستغل مقدونيا لصالحها في صراعها من أجل السيطرة.

- بعد معركة ليوكترا سنة 371 ق.م مارست أثينا وطيبة نفوذا متزايدا في السياسة المقدونية حتى ظهر بها حزبا مواليا لطيبة ، وأفراد من هذا الحزب هم الذين أرسلوا فيليب وهو أمير صبي ليكون رهينة في أيدي طيبة سنة 367 ق.م ، ولكنه عاد عام 364 ق.م زمن أخيه الملك برديكاس ، ولكن بعد هزيمة برديكاس وموته عام 359 ق.م آلت السلطة لفيليب بصفته وصيا على ابن برديكاس الصغير، ولكن بعد أن تجلّت قدراته العسكرية أعلنوه ملكا على مقدونيا.

- أدرك فيليب خلال إقامته في طيبة حقيقة الموقف في المدن اليونانية وعلاقة بعضها ببعض ، وبمدى الانقسام الحزبي والطبقي بينهم جميعا، ولذلك ما إن وصل إلى مركز السلطة في الدولة حتى اخذ يعمل على القضاء على أسباب الفرقة والخلاف في الداخل ثم أعد جيشا قويا على أسس عسكرية جديدة مستفيدا مما شاهده وعرفه في طيبة وليواجه به القوى المجاورة (الفرس) والمدن الإغريقية المتنازعة².

وبعد هذه الأسباب والذرائع بدأ بالتدخل التدريجي في شؤون المدن اليونانية الداخلية ليفرض هيمنته فيما بعد على الواحدة تلو الأخرى مستغلا في ذلك الانقسامات التي كانت تعيشها جراء حروب البولوبونيز وازداد الوضع أكثر سوءا بعد تأسيس الاتحاد الأثيني سنة 378 ق.م، والتطاحن الذي شهدته أثينا مع حلفائها من [356 ق.م - 355 ق.م]، فاستغل فيليب هذا الوضع في توطيد مجده ونفوذه السياسي والعسكري في كل المناطق

¹ وهيب أبي فاضل ، المرجع السابق ، ص ص 224-225.

² إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص ص 173-174.

المجاورة في شمال شبه جزيرة اليونان، وما ساعده على الاستمرار سياسة التوسع في الشمال هو انشغال طيبة بالحرب المقدسة فوكيس التي كانت تلقي تأييدا من اسبرطة.

ونتيجة لهذه الأوضاع تمكن من السيطرة على كافة البلاد بدءا من أمفيبوليس 356 ق.م ، بوتيدي 356 ق.م ، ميثوني 355 ق.م ، ثم السيطرة على مدن الساحل التراقي وفوكيس ، كما حاول التسرب في بلاد الإغريق الوسطى تحت غطاء الحرب المقدسة -ديلفي- ، وأن يضع يده على إقليم تساليا ، وفي الأخير تمكن من أن يضع يده في مجلس المفوضين لتدبير شؤون معبد ديلفي عن طريق حصوله على مقعدين كانا للفوسيديين سنة 339 ق.م، وقيادة حملات عسكرية ضد سكان مدينة لوكريس ، وبذلك تمكن من التغلغل في عمق المؤسسات الدينية العريقة الإغريقية، حيث استطاع هزيمة الجيوش الأثينية* في معركة خيرونيا "Chaironia" ** شمال بيوتيا عام 338 ق.م¹ بالرغم من التحالف المنعقد بينها وبين طيبة وحلفائها ، والإستراتيجية الحربية المتبعة من قبل ديموستين بين سنتي [338-340 ق.م] لوقف توسعات فيليب، ولعل أبرزها يكمن في:

-تشكيل قوة عسكرية منظمة قادرة على الوقوف في وجه فيليب أو بالأحرى جيش نظامي ووطني ، والبحث عن موارد جديدة لأداء رواتب الجنود .

*أمام تهديدات فيليب المقدوني انقسم الرأي العام الأثيني إلى قسمين : القسم الأول يضم الملاكين الكبار والأثرياء الذين كانوا ف غالبيتهم أوفياء للسياسة السلمية التي تنتهجها أثينا ، يرغبون في أن تبقى دولتهم محايدة وان تتجنب اتخاذ أي مبادرة متهوره ، أما القسم الثاني فيفضل مقاومة فيليب تحت زعامة ديموستين "Demosthenes" ، ويدعو للتمسك بنظام الدولة المدينة والأخذ بالاتجاه الديمقراطي ، وأن لا ينخدعوا أمام غايات فيليب الاستعمارية ، كما لا يجب الثقة في جمالية تعبيراته ولا الانبهار برقتها ، وأخذ يدعو الأثينيين إلى التضحية وتحمل العناء من اجل الوطن ، فأخذ يهاجم الصلح المنعقد مع فيليب سنة 346 ق.م عن طريق تكثيف الجهود وخلق جبهة معادية للاحتلال المقدوني ، وانهز الفرصة سنة 341 ق.م وأعلن ضرورة تأييد القائد البحري الأثيني في منطقة الدردنيل لاصطدامه مع بعض المواقع الثابتة لفيليب ، وهكذا تجددت الصراعات مع فيليب ، واستطاعت أن تثبت البحرية الأثينية قوتها في الميدان الشمالي ، وسرعان ما تطور الموقف إلى المجال العسكري البري والسياسي...، أنظر: نفسه، ص ص 177-178.

**موقعة خيرونيا : هي منطقة جبلية تقع في شمال إقليم بيوتيا ، دار في أراضيها أهم المعارك الحربية بين فيليب والجيوش الإغريقية المتحالفة (أثينا+طيبة) ، حيث تولى فيليب قيادة الجناح الأيمن من الجيش ، بينما ابنه الاسكندر تولى الجهة اليسرى منه وتمكن من سحق القوة الطيبية الأثينية ، ليصبح بعد سنوات قليلة سيّدا على الضفاف الشمالية للبحر الإيجي ، ومن أهم النتائج المترتبة عن هذه الموقعة مايلي : إقامة فرقة عسكرية مقدونية في حصن كادمي (Cadmée) التابع لمدينة طيبة ، بينما الأثينيون فقد قرروا جمع كل السكان داخل أسوار المدينة وتنظيم عملية الدفاع ، كما كان أعضاء مجلس البولي يجتمعون باستمرار وهم مسلحون ، واتخذوا سلسلة من التدابير الهادفة إلى تحقيق السلم العام مثل : تعبئة كل المواطنين فوق سن الخمسين لضمان حراسة الأسوار ، ومنع مغادرة الأثينيين للمدينة والسماح للمنفين بالعودة والتمتع من جديد بالحقوق الوطنية ، كما اقترح أيضا من طرف الخطيب هيبيريد منح حقوق المواطنة للأجانب المقيمين في أثينا بالإضافة إلى العبيد القادرين على حمل السلاح للدفاع على أثينا...، أنظر: إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 178.

¹ حسين الشيخ ، المرجع السابق ، ص 53، عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص ص 136-137.

- يجب على المسؤولين على خزائن الدولة وعلى الخدمة العمومية التشديد في مجال مراقبة التدبير المالي ، وان يقدموا حصيلة استعمالات الأموال العامة .

- في سنة 349 ق.م انشأ ديموستين صندوقا خاصا بالشؤون الحربية ، ومطالبة الأغنياء بتقديم مساهمات مالية استثنائية لتمويل الحروب ¹ .

قام فيليب الثاني بعد احتلاله اليونان بتنظيم أوضاعها الداخلية وتعزيز تواجدته بوثيقة سياسية رسمية تقرها جميع المدن اليونانية إلا اسبرطة ، فأنشأ الحلف الهيليني* وجعل مركزه كورنثة ² ، وفي سنة 337 ق.م أعلن الحرب على الفرس بعد أن اقنع مندوبي المدن بإعلان الحرب عليهم انتقاما من اعتداءاتهم المتكررة على العالم اليوناني، لكن لم يحالفه الحظ في تكملة مشروعه التوسعي ، حيث بعد رجوعه إلى مقدونيا دبرت له المؤامرة وتم اغتياله سنة 336 ق.م من طرف احد القادة المقدونيين لأسباب شخصية ، فحلفه ابنه الاسكندر المقدوني (336 ق.م- 323 ق.م) ، واستكمل توسعات والده ³ ، هذا الأخير يعتبر من المع شخصيات العهود القديمة بالرغم من قصر مدة حكمه ، حيث امتدت إمبراطوريته من بحر ايجة حتى حوض الهندوس ، ومن صحراء ليبيا إلى بحر كسبيان بين أوروبا وأسيا.

تسلم الاسكندر العرش وهو في العشرين من عمره ، اشتهر بقوته وذكائه وسرعته ، إذ تمكن في غضون 15 شهرا من قمع فتنة تساليا وزحف وسط بلاد الإغريق على مدن كانت تدلي بأصواتها لتشكر قتلة فيليب ، كما قاد حملة سريعة حتى نهر الدانوب ليؤمن مؤخرته ، ثم استولى فيما بعد على طيبة ودمرها ⁴ ، هذا الأمر جعل أثينا تعجل في عقد هدنة مع المقدونيين شريطة أن يحكم على خاريس وخارديموس بالنفي ، وعلى اثر ذلك تم تشكيل تحالف ضم كل من أثينا وطيبة ضد مقدونيا وانضم إليه فيما بعد كل من جزيرة كوركيرا ، آخيا، كورنثة، ميجارا، ميسينا، أليس، بيزنطة، بينما أعلنت اسبرطة الحياد .

¹ Démosthène , sur les affaires de Chéronnèse , trad par : R.Clavaud , édition B.L , Paris , 1947, 47.

* الحلف الهيليني الجديد : انعقد هذا الحلف في كورنثة سنة 338 ق.م ، حضره كافة المدن الإغريقية ، واستجابت جميعها لهذه الدعوة باستثناء اسبرطة التي آثرت الانطواء على نفسها ثم عرض فيليب على المجتمعين مشروع عقد معاهدات دفاعية مشتركة بينهم وبين مقدونيا بهدف إنهاء النزاعات الداخلية ونشر السلام أو الصلح ، وأصبح فيليب زعيما للاتحاد ومقره كورنثة ، وتم عقد الاتفاق على أن يمثل المدن الإغريقية في هذا المجلس حسب قوتها العسكرية ، مع تشكيل لجنة مكونة من خمسة أعضاء مهمته فصل المنازعات بين المدن الإغريقية بتحريم الحرب بينها... أنظر: ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص 326.

² علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص ص 92-93.

³ ف.دياكوف ، س. كوفاليف ، المرجع السابق ، ص 393.

⁴ ه. د. كيتو ، المرجع السابق ، ص 204.

وكما سبق ذكره في العنصر السابق أن قوات الاسكندر تمكنت من الدخول لطيبة والقضاء على نظامها الديمقراطي، وإقامة مكانه حكومة اوليجاركية ، كما اشترط على أثينا بجل إمبراطوريتها وان تنازل عن كل ممتلكاتها ماعدا لمنوس ، أمبروس ، سكروس ، ديلوس ، ساموس، وأن تترك لمقدونيا الحرية في البولوبونيز ، وفي خضم هذه الأحداث التاريخية انعكس الوضع على انهيار نظام الدولة المدينة خاصة بعد السياسة التي اتبعها الاسكندر المقدوني والمتمثلة في توحيد بلاد الإغريق والقضاء على الانقسامات السياسية بين المدن اليونانية، وبعد وفاة الاسكندر المقدوني تمكن احد قاداته انتيباطروس " Antipatros " من احتلال أثينا سنة 322 ق.م وفرض على الأثينيين دستورا اوليغارشيا جديدا ، دفع بالفقراء إلى مغادرة المدينة نحو المنفى .

أ/ - تأثير السيطرة المقدونية على انهيار نظام الدولة المدينة: تأثرت المدن الإغريقية كثيرا بعد تعرضها للسيطرة المقدونية سنة 338 ق.م، حيث كانت تعاني من الضعف والتفكك الداخلي، وتراجع ثقة المدن الصغيرة بالمدن الكبرى إلا أن كرسست روح الانفصالية من جديد، وهو ما انعكس بطبيعة الحال على نظامها السياسي من خلال:

1) إسقاط نظام الحكم الديمقراطي و التنكيل بالسياسيين: بعد الانهزام الكبير للإغريقين أمام مقدونيا ، تبرع فيليب على رأس العالم اليوناني ودان له الجميع بالرئاسة باستثناء اسبرطة التي رفضت أن تعترف به وبالتطورات التي أحدثتها ، بالرغم من انه استولى على جميع المدن البولوبونيز ودمر أجزاء منها إلا انه لم يستطع تدميرها وقهرها ، ونتيجة لهذه الظروف تغيرت أنظمة الحكم في تلك المدن من حكومات ديمقراطية إلى حكومات اوليجاركية موالية لمقدونيا كما حدث مع طيبة التي عوقبت اشد عقاب ، حيث عمل على قتل والتنكيل بالزعماء السياسيين من خصومه ، كما ألغى نظامها وقيادتها الديمقراطية وأقام بدلا منها حكومة اوليجاركية مكونة من ثلاثمائة عضو، كما أقام حامية عسكرية مقدونية في المدينة¹.

2) انقسام بعض المدن وتفككها لدرجة الانفصال التام بينها: بظهور مقدونيا على الساحة السياسية انتهت محاولات الدويلات المدن الكبرى للسيطرة على بقية المدن اليونانية الأخرى ، ولم يأت عام 350 ق.م حتى كانت كل مدينة يونانية قد عادت إلى استقلالها وتشبثت به بعد تجاربها التي عانت منها مع المدن المسيطرة ، وإنما تدل هذه السياسة على أن نظام الدولة المدينة قد ترك أثره بصفة قاطعة لصالح النزعة الانفصالية على حساب أي اعتبار امني قد تحتاج إليه بلاد اليونان (تهديد خارجي)²، حيث قام فيليب بتفتيت المدن الإغريقية كتقسيم تساليا لأربع

¹ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 179 .

² لظفي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص 178 .

مناطق ، وفرض على كل مدينة تقديم المساهمة بالرجال والأموال لمساعدة الجيش المقدوني ، كما تم عزل ملك مدينة ايبروس المتعاطفة مع الأثينيين¹ .

3) حل الأحلاف السياسية وإقامة الحاميات العسكرية: حل بعض الأحلاف السياسية بغية إضعاف المدن الإغريقية مثل: الحلف الذي أقامته طيبة وهو حلف بيوتيا وواصل فيليب عمله في تطبيق سياسته التوسعية ، حيث ترك حاميات في المناطق والمدن التي فتحها كما في قلعة كادمي (Cadmée) ، وأخرى في خاكليس بجزيرة بيوتيا ، ولكي يضمن القضاء النهائي على أي انتفاضة قد تقوم بها طيبة في المستقبل أعاد إحياء مدن اورخومينوس وتسيباتي وبلاتيا واهم أعداء طيبة التقليديين² .

كما قامت بجل الاتحاد الأثيني (الإمبراطورية الأثينية الثانية) وان تتنازل عن كل ممتلكاتها ما عدا لمنوس وامبروس وسكوروس وديلوس وساموس ، وبالتالي أصبح لمقدونيا حرية التحرك في البيولوبونيز ، واعترفت بها جميع المدن البولوبونيزية إلا اسبرطة التي ظلت محايدة .

-أما أثينا فقد استطاعت عن طريق الخطيب ديماد (Démade) التفاوض مع فيليب حول عقد اتفاقية سلام ، وبالتالي لقيت معاملة خاصة من القائد المقدوني فيليب من خلال إطلاق سراح الأسرى الأثينيين دون شرط أو فدية ، كما ترك للمدينة دستورها وممتلكاتها والشرط الوحيد الذي فرضه عليهم هو أن تلزم بمحالفته ، والتخلي على كيرسونيز، وأن تحل ما كانت تنزعه من حلف قديم (الكونفدرالية الأثينية الثانية) ، والسبب وراء هذه المعاملة الخاصة راجع إلى رغبة هذا الأخير في أن يحتفظ بشأن أثينا ليستعين بها وبأسطولها القوي في حربه المقبلة ضد الفرس ، ومنهم من يعتقد أن السبب يكمن في الاحترام والتقدير الذي يكنه فيليب لمجد أثينا ودورها الحضاري ، هذه الأخيرة التي استغلت هذا السلام في إصدار مرسوم أجاز تنفيذ عقوبات قاسية على كل من يحاول الإطاحة بالنظام القائم وإقامة نظام استبدادي في أثينا³ .

وبالمقابل قام فيليب بتأسيس الحلف الجديد بكونثة سنة 338 ق.م وتقديم التعهدات بعدم التعرض لاستقلال المدن الإغريقية وتركها على الحال الذي كانت عليه عند توقيع الاتحاد باستثناء كل من كونثة وقلعة كادمي الطيبية وخاكليس في يوبويا وخليج أمبراكيا ، وتحصل على موافقة الإغريق على معاينة كل من يحاول

¹ ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص 327.

² سيد احمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 499.

³ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 179.

التجاوز أو التعدي على دستور المدينة ، وبفضله تمكن فيليب من القضاء على الصراعات الداخلية بين دويلات المدن الإغريقية ، والحدّ من دخول الإغريق كجند مرتزقة في الجيش الفارسي ، فأصبحوا مرتزقة في الجيش المقدوني ، كما كان على مجلس الاتحاد تزويد مقدونيا بقوات إغريقية مقاتلة عند الحاجة¹ .

4) تدهور الأوضاع العامة لبلاد الإغريق : التدهور العام في حياة المدن اليونانية في القرن الرابع قبل الميلاد، فضلا عن تعرض الموارد الاقتصادية إلى تناقص وتدهور كبير بعد أن شهدت عهدا من الازدهار والتطور منذ أواسط القرن السادس قبل الميلاد إلى نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، حيث كانت تصدر العديد من منتوجاتها خارج بلاد الإغريق مثل: صقلية ، مصر، سواحل البحر الأسود مقابل استيراد المنتوجات التي تفتقر إليها مثل: المعادن، الحبوب ، الماشية .. الخ، لكن مع بداية القرن الرابع قبل الميلاد بدأت هذه الموارد الاقتصادية في التراجع والسبب راجع إلى أن بعض المدن الخارجية التي كانت بمثابة أسواقا خارجية لليونانيين بدأت تنتج منتوجاتها بنفسها لدرجة تكفي احتياجاتها من السلع التي كانت تستوردها من قبل ، بل أصبحت في نفس الوقت تنافس السلع اليونانية في بعض الأسواق الخارجية، مثل: تطور وتوسع أسواق إيطاليا في زراعة الزيتون والكروم ، الفخار الإيطالي ، ولم تعد تستورد هذه المنتوجات من عند اليونانيين بل أصبحت تنافسهم في الأسواق الخارجية الأخرى (أسواق غالة)² .

-لحق حياة الدولة المدينة ظاهريا تغييرا طفيفا منذ العصر العتيق ، فالمدينة نفسها كانت تأخذ شكل تجمعي سكني بسيط يحيط بالاكربول، ومع مرور الوقت توسعت بشكل ملفت للأنظار، حيث تتمركز الوحدات الحرفية والدكاكين باستثناء الاكربول والساحة العمومية (الاجورا) هما اللتان ظلتا تمثلان معالم تاريخية ، ولم تنضاف أية مؤسسة أو بناية لتغير وجه الاكربول منذ عهد بركليس ، لكن مع بداية العصر الهيلينستي تغيرت نوعا ما الهندسة المعمارية حيث قاموا بتشييد مدخل رئيسي آخر بالقرب من ساحة الاغورا ، والمعلم الوحيد الذي أنضاف لي أثينا في القرن الرابع قبل الميلاد هو مسرح ديونيزوس عند قدم الاكربول في موقع المسرح الخشبي القديم ، وقد اشتكى احد خطباء القرن الرابع قبل الميلاد من دور الأغنياء قد اختفت في وسط المؤسسات العمومية³ .

5) تدهور روح نظام الدولة المدينة الإغريقية : وضعت معركة خيرونيا سنة 338 ق.م الحد الفاصل لنظام الدولة المدينة ، حيث لم تعد سوى ذلك الانبعاث الباهت لما كانت تمثله في القرون الماضية ، فعمليا وحتى وفاة الاسكندر

¹علي عكاشة وآخرون ، المرجع السابق ، ص ص 92-93 ، سيد أحمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 505.

²إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص 169.

³عبد السلام التايب ، المرجع السابق ، ص 161.

لم تعد لها أية سياسة خارجية مستقلة ، كما أنها لم تعد تلعب أي دور وازن في العلاقات الدولية ، كما حصرت أئينا همها في أن توفي ما عليها من التزامات اتجاه الملك المقدوني وتحسين أوضاعها الداخلية، ولكن مجالسها التشريعية لم تعد قادرة على مناقشة كل شيء تريد مناقشته ، فكانت النتيجة المترتبة عن سقوط نظام الدولة كمضمون وإن بقي بشكله الخارجي ، ولكن كيف حدث هذا؟¹

مع نهاية القرن الرابع قبل الميلاد وبداية القرن الثالث قبل الميلاد استقلت مدن كثيرة عن الوطن الأم ببلاد الإغريق ، فتحصلت على استقلالها واستعادت حريتها ، وكان لها حرية الدخول في أحلاف متعادلة مع جيرانها أو للاتحاد في اتحادات أخرى ، كما أصبحت المدن الإغريقية في أماكن أخرى وحدات منفصلة لها حقوق سياسية كما كان يجب أن تمارس السمة الملكية ، خاصة عندما تعرضت للتدخل من قبل الحكام الأجانب في شؤونها الداخلية ، فمثلا عين بعض الملوك مندوبين في المدن لتركيز وتقوية سلطتهم احكموا السيطرة بتعيين رؤساء الإدارات ، وفي الجانب الآخر كان حق المصادرة لم يكن يمارس إلا نادرا ، وقد حفظ ذلك سيادة المقدونيين² .

-انتشار العمل بين اليونانيين كجنود مرتزقة بغض النظر عن الدولة التي يقاتلون تحت لوائها على نطاق لم يكن معروفا من قبل ، والاعتماد عليهم سواء من طرف المدن اليونانية أو لصالح الإمبراطوريات الأخرى(الفرس ، قرطاج) ، إذ أصبح الأثينيون يرفضون الخدمة العسكرية ويفضلون اللجوء إلى المرتزقة ، كما أصبحوا يرفضون استعمال موارد الدولة لمواجهة حاجيات الحرب ، ويبحثون بكل الوسائل للتملص من الضرائب الحربية ، وبالتالي اختاروا الطريق المؤدية إلى الاستعباد³ ، في هذا الصدد يوبخ الخطيب ديموستين الأثينيين بقوله : " الذي يقعون في عقر دارهم ينتظرون أن تصلهم الأخبار بان الجنود المرتزقة التي تحارب تحت قيادة فلان أو غيره قد كسبوا نصرا لأئينا"⁴ ، وأشهر مثال عن ذلك كما أسلفت الذكر من قبل الحملة التي كانت تضم عشرة آلاف جندي يوناني مرتزق على بلاد فارس ، وتحت لواء الأمير الفارسي قورش الثاني في صراعه على العرش ، فضلا عن الحملة التي ضمت عشرة آلاف جندي يوناني مرتزق ضد مصر في سنة 343 ق.م .

وقد كان هذا الوضع من العوامل الأساسية في تدهور نظام الدولة المدينة ، حيث بدأت ملامح المواطنة تتقلص لتصبح حقوقا يتمتع بها المواطن دون أي يؤدي ما عليه من واجبات نحو الدولة ، بعبارة أخرى كان انفصاما

¹ عبد السلام النايب ، المرجع السابق ، ص 147.

² ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص 329-330.

³ لطفي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص 179.

⁴

بين المواطن اليوناني ودولته ، بل تعداه ليظهر كذلك في الجانب السياسي من حياة دولة المدينة في القرن الرابع قبل الميلاد ، وفي هذا الصدد فان العلاقة بين الطبقات الغنية والطبقات المعوزة في داخل كل مدينة لم تعد تشكل حوارا أو كفاحا أو حتى صراعا يستهدف تطوير الوضع العام في مجتمعات هذه المدن الذين توصلوا إلى نظام سياسي شامل، كما كان الحال في حدود القرن الخامس قبل الميلاد ، ولكن تحول إلى صراع عضوي في سبيل الحصول على مكاسب وامتيازات مؤقتة وقصيرة المدى دون ارتباط بأي مبدأ سياسي محدد ، بحيث صار الأمر اقرب ما يكون إلى التخبط الفوضوي منه إلى الحوار أو التطور السياسي¹.

- ظهر في القرن الرابع قبل الميلاد عدد من الخطباء الغوغائيين الذين كانوا يؤثرون على المواطنين في اجتماعات مجلس الشعب خدمة للمصالح الخاصة لبعض الفئات دون نظر للمصلحة العامة ، وهذا ما أدى إلى تراجع دور الدولة المدينة ، حيث أصبحت مصلحة الفرد أولى من مصلحة العامة ، وما زاد الطين بلّة هو امتناع الطبقة الغنية وقرعها من دفع الضرائب الحربية حتى ولو كان الخطر الخارجي قريب من المدينة ، ووصل بالتسيب السياسي الذي وصل بالمواطنين الأثنيين إلى أن يقدموا متعهم الخاصة على صالح الدولة ، حيث ظهر حرص الأثنيين على الحصول على ما سمي بإعانة المسرح التي كانت تصرف للمواطنين المحتاجين من الأموال العامة حتى يتمكنوا من حضور الاحتفالات السنوية والمباريات المسرحية².

مما تقدم يتضح مدى التشتت السياسي الذي وصل بمواطني أثينا لدرجة تقديم مصالحهم الخاصة على مصالح الدولة حتى عندما كانت تتعرض لخطر خارجي غير بعيد عنها ، فكانت النتيجة الحتمية نهاية نظام الدولة المدينة في القرن الثالث قبل الميلاد بعد فتوحات الاسكندر المقدوني لتسير على غرار مدن الشرق القديم كالمدين السومرية والفينيقية التي توسعت على حساب أراضيها إمبراطوريات أكبر منها.

*مقارنة بين الطرفين : من خلال تسليطنا الضوء على العلاقات الداخلية بين أهم المدن السومرية أو الإغريقية ، سوف نحاول استبيان نقاط التشابه والاختلاف بين الجانبين ، ومدى تأثير هذا التوتر في انهيار نظام الدولة المدينة من خلال :

¹ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص ص 169-170.

² لطفي عبد الوهاب يحي ، المرجع السابق ، ص 181.

1/ أوجه التشابه :

- تبقى من أهم الأسباب والدواعي المؤدية لظهور الصراع في العالم القديم هو الرغبة في السيطرة وفرض النفوذ أو نتيجة ازدياد التنافس التجاري والسياسي ، و كذلك السيطرة على الأسواق الخارجية من اجل احتكار التجارة ، وهذا ما نلمحه في النزاع الذي ظهر عند السومريين أو الإغريقين¹ ، فبحلول سنة 2800 ق.م برزت في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين عدة مدن سومرية قوية تتناوب الزعامة السياسية بين الفينة والأخرى مثل : أور ، كيش ، أوما ، الوركاء ، ولكن نظرا لتداخل المصالح السياسية والاقتصادية بينها أدت إلى نشوب حروب وصراعات داخلية ، راح ضحيتها الآلاف من الخسائر البشرية ، وأحسن دليل نصب العقبان أو مسلة النصور² ، لكن السبب الجوهري يعود إلى الحدود المتقاربة بين دولتي أوما ولجش أو ما يعرف بخط الحدود المشترك بينهما ، ورغبة كل طرف بالاستحواذ على أراضي الجوار³ ، ونفس الأمر يتعلق بالصراع الأثيني الاسبرطي الذي كان سببه الرئيسي قضية الحدود من خلال إصدار أثينا القرار التأديبي ضد ميجارا والذي عرف باسم مرسوم ميجارا بسبب اختلافهما حول الحدود المشتركة بينهما⁴.

- كلا الصراعين السومري أو الإغريقي نتج عنه بروز شخصيات عسكرية وسياسية محنكة ، استطاعت أن تسير أمور الحرب ، وأن تضع الخطط العسكرية واللوجيستية تتماشى والظروف السائدة آنذاك ، مثل الصراع السومري بين مدينتي لجش و أوما ، برزت أهم الشخصيات التاريخية مثل : أياناتوم و أنتيمينا ، لوكال زاكيري ، اوروكاجينا⁵ ، ونفس الأمر يتعلق بالصراع الأثيني الاسبرطي الذي برزت في خضمه العديد من الشخصيات مثل : الكيديدس ، لساندر ، تراسيبول ... الخ⁶.

- ظهرت شخصيات عديدة حاولت عقد الصلح والسلم بين أطراف الصراع ، حيث حاولت جاهدة بأن تفرض السكينة والسلام بين المدن السومرية منها أو الإغريقية ، من خلال المبادرات السلمية والاتفاقيات المبرمة بين هذه الأطراف ، مثلما نلاحظه في الصراع القائم بين أوما ولجش ظهرت شخصية عرفت بسياسة التحكيم ألا وهو ملك

¹ دياكوف ، المرجع السابق ، ص 289.

² عبد المنعم أبو بكر وآخرون ، المرجع السابق ، ص 271 ، أحمد سوسة ، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء المشاريع ... ، المرجع السابق ، ص 389-390 .

³ علي شحيلات ، عبد العزيز الياس الحمداني ، المرجع السابق ، ص 70.

Mike Paine ,op-cit , pp96 -97

George Roux , la mésopotamie , op-cit , p91 .

⁶ إبراهيم السايح ، المرجع السابق ، ص ص 35-36 ، 1-2 ، II ، I ، II ، pp1-2 ، Thucydide

كيش ميسيليم (Mesilim) بصفته إما حاكما بين دولتين أو أن هاتين الدولتين تابعتين له¹ مع أن اسمه لم يرد في معظم القوائم الملكية، فإن شخصيته كانت مهمة ولها دور التاريخي في حياة المدن السومرية، إذ كتبت هذه الاتفاقية من قبل الملك أنتيميما (2430 ق.م-2400 ق.م)²، ونفس الامر يتعلق بالصراع بين مدينتي اسبرطة وأثينا ظهرت أهم شخصية دعت للصلح والسلام ألا وهي شخصية نيكياس " Nikias"، الذي استطاع إبرام الصلح مع الاسبرطيين سنة 421 ق.م بعد فشل كيلون في استرجاع مدينة امفيبوليس ووفاته على إثرها، يعرف باسم "صلح نيكياس"، والذي اعتبر نصرا لأثينا التي ظلت محتفظة بإمبراطوريتها البحرية، في حين انقسم حلفاء اسبرطة البولوبونيزي على أنفسهم، حيث رفضت كل من كورنثة و بويوتيا التوقيع على الصلح³.

- كان من أهم أخطاء القادة العسكريين عدم استغلال انتصارهم المحقق على العدو، حيث يقومون مباشرة بعمليات عسكرية أخرى دون ترسيخ نفوذهم الفعلي في المناطق التابعة لهم، وهذا ما نلمحه عند السومريين أو الإغريق، من خلال الملك لوكال زاجيري طوال مدة حكمه الطويلة والتي قدرت بحوالي 25 سنة اتبع سياسة الفتوحات العسكرية⁴، مما أدى إلى توتر العلاقات السياسية والعسكرية بين أوما، وبقية المدن السومرية بسبب السياسة التي انتهجها في توحيد البلاد تحت سلطانه، حيث قام بتجهيز جيشه وقيادته بنفسه باتجاه مدينة كيش للسيطرة على شبكة القنوات الشمالية من بلاد سومر⁵، كما قام باحتلال مدينة أور و أوروك (الوركاء)، ومدينة نيبور (نفر) وآداب وأريبدو ولارسا و جميع المدن الواقعة في أسفل الفرات، وأجبر سكانها باعتراف بسلطانه⁶، هذا الوضع استغلته قوة نامية للتدخل وفرض سيطرتها في ظل الكره الذي كانت تكنه المدن السومري للملك لوكال زاجيري، ألا وهي القوة الاكادية، كما كان خطأ اسبرطة الذي وقعت فيه بعد حروب البولوبونيز هو سياسة المتاجرة باستقلال وحرية مدن آسيا الصغرى الإغريقية وبيعها للفرس مقابل رضاء الفرس عن تصرف اسبرطة في بلاد اليونان الأم وإطلاق يدها تفعل بهم ما تشاء، لكن مع وصول أجيسلاؤس فكر في استرجاع حرية الإغريقين لكن لما تأكد بفشل حملته في آسيا الصغرى لجأ إلى التصالح معهم، وكان ردة فعل السلام هو تكاثف الولايات الإغريقية ضد الفرس واسبرطة معا، ونتج عنه قيام الإمبراطورية الأثينية الكونفدرالية، وتكونت جبهة متحدة من طيبة وأثينا وكورنثة وارجوس لتقف في وجه اسبرطة التي لم تحترم إحساس المدن الإغريقية ومشاعرها الوطنية وغيرها على

¹علي شحيلات، عبد العزيز الياس الحمداني، المرجع السابق، ص 72.

² Fougères Gustave, les premiers civilisations, libirairie Félix Alcon, Paris, 1938, pp 82, 83 .

³ Thucydide, II, XLV, XLVI, pp33-34.

⁴ Benjamin w. porter and Alexis T.Boutin, op-cit, p68.

⁵ ديكانوف ي.م وآخرون، المرجع السابق، ص 224.

⁶ ل.ديلابورت، المرجع السابق، ص 19، ديكانوف ي.م وآخرون، المرجع السابق، ص 225.

استقلالها ونظامها السياسي ، ولأول مرة وصل الحزب الديمقراطي إلى كورنثة التي انضمت إلى أثينا ، ولكن هذا لم يدم طويلا بعد هزيمتها على يد الاسبرطيين ، وأعادتها إلى حظيرة الحكومة الاوليغاركية والى عضوية حلف البولوبونيز بالقوة ، على نقيض أثينا نجحت في نشر سياسة السلام والمصالحة والوئام مع كافة الجزر والمدن الإغريقية ، وأصبحت أكثر قداسة بقدر ما أصبحت اسبرطة أكثر كرها ومقتا¹ .

*أوجه الاختلاف :

- تعززت الحروب البولوبونيزية بتكتلات سياسية وعسكرية (أحلاف) يدعم تواجدها العسكري مثل بلاد الإغريق ، هذه الأخيرة فبمجرد أن جاء عام 431 ق.م أصبحت كل من أثينا واسبرطة قوتين كبيرتين في العالم الإغريقي بأسره ، وأصبح لكل منهما حلفها الخاص ، ولكل منهما نظامها السياسي المختلف تمام الاختلاف عن الآخر ، ولكل منهما مصالحه السياسية والاقتصادية ، ففي النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد تجددت الحروب بين حلف ديلوس الذي تتزعمه أثينا² ، وحلف لاكونيا الذي تتزعمه اسبرطة في حدود 431 ق.م - 404 ق.م ضمن ما يعرف بحروب البولوبونيز³ ، الحلف الطيبي (بيوتيا) خلال [371-362 ق.م] ضد اسبرطة⁴ ، بينما المدن السومرية فقد ظلت منفصلة عن بعضها البعض ، كل مدينة تحارب الأخرى بدون أن تلجأ لأي حلف سياسي وعسكري، أو القيام بأي تكتلات سياسية نظرا لأساس قيام نظام الملكية في بلاد الرافدين على أساس ديني، وأن العلاقة بين الملك والإله الحامي تتمثل في انتصار الحاكم في الحرب يعزز دور الآلهة ومنزلتهم ورضائهم عن مدينته ، و استمرت هذه العقيدة بصورة متصاعدة في مراحل لاحقة من حضارة وادي الرافدين سواء أكان هذا الصراع بهدف توسيع أرض الإله الحامي من خلال التوسعات العسكرية ، ولاشك أن كل عمل عسكري يحتاج إلى فكر ومعتقد قوي يستطيع أن يعطي للمقاتل طاقة معنوية وزخم قتالي عالي⁵ .

- استعانت بعض المدن الإغريقية بأطراف خارجية كالفرس أعداء الإغريق لخدمة مصالحها المدينة دون النظر إلى مصلحة المدن كافة ، والشواهد كثيرة مثل : اتفاق اسبرطة مع الفرس بموجب "سلام الملك" ، فأدى ذلك إلى تجدد المنازعات بين المدن الإغريقية والى هزيمتها النهائية (حروب البولوبونيز ، حروب الدول المنفكة من الاتحاد الأثيني

¹ سيد احمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص ص 388-398.

² Hal Marcovitz , op-cit , p55.

³ تشارلز ألكسندر روبنسن ، المرجع السابق ، ص 184 ، لطفي عبد الوهاب ، اليونان ، المرجع السابق ، ص 148.

⁴ حسين الشيخ ، المرجع السابق ، ص 35.

⁵ عبد الوهاب حميد رشيد ، المرجع السابق ، ص 105.

سنة 358 ق.م) عكس المدن السومرية لم تستعن بأطراف خارجية في صراعها الداخلي بالرغم من أنها كانت محاطة بقوى خارجية (بلاد علام ، الاكاديين) الذين كانوا يطمحون إلى التوسع على حساب أراضيها¹.

- شهد نظام الدولة المدينة سواء عند السومريين أو الإغريق انتقال الزعامة أو السيادة السياسية من مدينة على أخرى بحكم القوة السياسية والاقتصادية والعسكرية ، على أن تكون المدينة العاصمة مسؤولة على حماية المدن الضعيفة ومستعمراتها أمام الجبهات الخارجية ، وبالتالي استمرار نفس الفكر السياسي من الشرق إلى الغرب ، وإن اختلفت الفترة الزمنية فقط .

- لم تحتم المدن السومرية بتوسيع نفوذها خارج بلاد سومر بنشر مستعمرات في مناطق بعيدة عنها تؤمن لها ما ينقصها من الثروات الطبيعية ، بل اهتمت بتطوير اقتصادها وعمارتها وثقافتها ، على نقيض من ذلك نجد الأمر يختلف عند الإغريقين الذين اهتموا كثيرا بنشر مستعمراتهم خارج بلاد اليونان نتيجة ظروف طبيعية ، دينية ، اقتصادية ، سياسية مثل : آسيا الصغرى ، جنوب ايطاليا، مصر ، ليبيا ، وبفعل هذا الانتشار والتوسع استطاعت أن تغرس فيهم روح المواطنة و حب البلد الأم ، ولهذا تشبثوا كثيرا بنظام الدولة المدينة وساعدوا على نشره بين الأقاليم التي احتكت بهم وانصهرت معهم².

- احتفظت المدن السومرية بنظامها الملكي وبتقاليدها الدينية في تعيين ولي العهد، على أن يساعده برلمان سياسي منظم مشكل من مجلس الشيوخ ومجلس الأحرار (الضباط) ، مع العلم أنها شهدت إصلاحات وقوانين داخلية مهمتها إصلاح الوضع الداخلي ، ولعل أبرزها إصلاحات اروكاجينا في مدينة لجش³ ، بينما بعض المدن الإغريقية فقد اختلفت أنظمة الحكم فيها وقوانينها السياسية سواء بالاختيار أو بالإكراه (الفرض) مثل أثينا التي تراوح على تسييرها عدة أنظمة كنظام الملكي ، الارستقراطي ، الاوليغاركي ، الديمقراطي وفقا لظروف داخلية وخارجية ، وأفضت على ظهور عدة تشريعات سياسية واقتصادية... الخ وضعها عدد من الحكام والاراخنة ، بهدف تحسين الأوضاع الداخلية مثل: صولون ، بركليس... الخ⁴.

¹ أرنولد توينبي ، تاريخ الحضارة الميينية ، المرجع السابق ، ص 119.

² خليل سارة ، المرجع السابق ، ص 321.

³ عامر سليمان وأحمد مالك الفتیان ، المرجع السابق ، ص 79.

⁴ محمد كامل عباد ، المرجع السابق ، ص 224-225 ، أرسطو ، السياسات ، المصدر السابق ، ص 198-264.

- حرصت أثينا في تأسيسها للاتحاد الأثيني سنة 378 ق.م على تمسكها بسلام الملك بهدف ابتعادها عن المسائل التي قد تورطها في حرب مع بلاد الفرس حتى لا تثير العقبات في طريق الوحدة ، فضلا على حرصهم عن عدم تكرارها للأخطاء التي ارتكبت أثناء قيام الإمبراطورية الأولى ، وهي سياسة الأنانية والاستعمار المكشوف ، والتي حولت بها حلف ديلوس الدفاعي إلى إمبراطورية لها ، وتجنبنا لأخطاء الماضي سمحت مبادئ الاتحاد الجديد للمدن الأعضاء أن يقيموا العلاقات الثقافية والتجارية والسياسية فيما بينهم دون الرجوع إلى أثينا بعكس ما كان في الإمبراطورية الأولى التي كانت تشترط ارتباط المدينة بأثينا ، كما حرصت أيضا في هذا الاتحاد التنازل عن أي حق للتدخل في الشؤون الداخلية للأعضاء وإعلان رفضها لإرسال حاميات عسكرية أو فرض إتاوات إجبارية¹ .

- تمثل مسألة لجوء أثينا إلى الجنود المرتزقة أحد أهم الصعوبات في تاريخ نظام الدولة المدينة الأثينية خلال القرن الرابع قبل الميلاد ، حيث أن قيادة جيش محترف مكون من الأجانب المستعبدين للتضحية يتيح للقاضي الحربي الإفلات تدريجيا من مراقبة دولة المدينة ، وقد أثر هذا الوضع على المواطنة لتصبح حقوقا يتمتع بها المواطن دون أن يؤدي ما عليه من واجبات اتجاه انفصال المواطن عن الدولة² ، عكس القضاة الحربيين في القرن الخامس قبل الميلاد كانوا هم الحكام الحقيقيون للدولة المدينة ، فباستثناء أن بركليس عين قاضيا احترايا كل سنة لمدة خمسة عشر سنة ، فقد اختير ارخونا على رأس جهاز الدولة الأثينية ، فكان هو الساهر على التسيير الهادئ والتدبير المحكم لشؤون مواطنيه ، كما انه بإمكان القضاة الاحترايين في إطار حملاتهم العسكرية تقديم عرض لتبرير نتائج عملياتهم العسكرية أمام أنظار المجلس العسكري ، وفي بعض الظروف الاستثنائية يقوم أعضاء المجلس العسكري بإعفاء احد القضاة الاحترايين من مهامه، مثل ما وقع في جزيرة ساموس سنة 411 ق.م ، لكن القاضي الذي يقود عساكر أجنبية يتقاضون أجورا عالية وبإمكانه الإفلات من رقابة الدولة ، وبممكنه نهج سياسة خاصة به ميسرة في الوقت الذي لا يحصل فيه على المؤن والذخيرة من حكومة الدولة ، على نقيض من ذلك أن الدويلات المدن السومرية لم تفرز حروبها سواء الداخلية منها أو الخارجية على ظهور الجنود المرتزقة الذين كانوا احد الأسباب في تدهور نظام الدولة المدينة .

- كان انهيار نظام الدولة المدينة سواء عند السومريين أو بلاد الإغريق ، وانتقال هذه الدويلات من وضعية التفكك والاستقلالية إلى وضعية الاتحاد على يد ملك خارجي ، ففي بلاد سومر سقط آخر مدينة سومرية -أوما- على يد

¹ سيد احمد علي الناصري ، المرجع السابق ، ص 406.

² لطفي عبد الوهاب يحي ، اليونان ، المرجع السابق ، ص 181.

سرجون الأكادي سنة 2370 ق.م ، بينما في بلاد الإغريق كانت نهايتها بجزمة أثينا في معركة خيرونيا سنة 338 ق.م على يد فيليب المقدوني الذي احكم السيطرة على البلاد بدءا من أمفيبوليس ، بوتيدايا ومثوني¹ .

¹ ليلي عبد القادر علي الغناي ، المرجع السابق ، ص 325.

خاتمة

خلال إنجازي لهذه الدراسة المتمحورة حول نظام الدولة المدينة وتطوره من سومر إلى بلاد الإغريق ، نستخلص أهم النقاط الآتية :

- إن أولى أنظمة الحكم ، وأولى الحضارات الناضجة لم تزدهر في الشمال بل في القسم الجنوبي من العراق الذي شهد أقدم المستوطنات مثل: أريدو- العبيد... الخ بحكم طبيعة البلاد الجغرافية وأثرها الواضح في نشوء أولى أنظمة الحكم التي تطورت من الإدارات المركزية البسيطة إلى نظام دويلات المدن ثم نظام دولة القطر الواحد ، فالنظام الإمبراطوري حيث لعبت البيئة دورا رئيسيا في التأثير على ذهنية الإنسان التي يعيش بين أحضانها ، كما أنها طبعت حضارته بطابع خاص يتفق ومقتضيات الحياة فيها ، وعلاوة على هذا فقد تباينت العوامل الجغرافية فيها ، من امتداد السهول وتنوع الأقاليم التضاريسية الممتدة من الشمال إلى الجنوب حول وديان هذه البلاد ، ولأن البلاد كانت تعيش على ظاهرتين طبيعيتين أولهما تتمثل في نهرين عظيمين ، وثانيتها الأمطار التي تتساقط في معظم أرجاء المنطقة في أكثر من موسم واحد من السنة ، فقد جعلت كل هذه العوامل بلاد الرافدين لا تعرف الإتحاد والتماسك السياسي طوال فترات متعاقبة من تاريخها الأول ، وجعلها تمتاز بنظام يقوم على إنشاء دويلات صغيرة ، يتكون كل منها من مدينة واحدة وتتركز فيها كل عناصر الحكم والدين ، ومظاهر الحضارة ، و ينطبق الأمر ذاته في بلاد الإغريق التي تأثرت كثيرا بالمدينة السومرية ولكن هذا لم يمنع من القول بان الظروف الطبيعية والجغرافية التي شهدتهم المنطقة سمحت بظهور نظام سياسي يتماشى والبيئة الطبيعية ، وأن تعرف نظام البولس (Polis) ، وأن كانت الطبيعة وجغرافية المنطقة وحدها سببا وجيها في نشأة هذا النظام ، فإن هذا الأمر لا يقلل من أهمية العوامل الأخرى كالاقتصادية والاجتماعية والدينية التي كان لها دورها في تشكيل نظام الدولة المدينة .

-تعتبر سومر من المواقع الهامة التي شهدت أقدم حضارة معروفة في العالم القديم ، وكانت مهد إرساء دعائم بدايات الحضارة البشرية نظرا لما أنتجته من قيم حضارية وإبداعية التي كانت بمثابة الأساس الذي ارتكزت عليه مقومات التمدن البشري فيما بعد ، فضلا عن الحنكة السياسية التي ميزت ملوكها وزعمائها في تسيير العلاقات الداخلية والخارجية ، وفي نفس الوقت احتلت بلاد الإغريق موقعا جغرافيا ممتازا ، وهذا ما جعلها نقطة تلاقي الحضارات القديمة ، وذلك لطبيعتها الجبلية والبحرية و الجزرية ومناخها المعتدل ، وأطلقت عليها العديد من التسميات منها اللفظ الهيليني ، الإغريقي ، اليوناني ، أما من ناحية أصل سكانها فهو خليط بين سلالتين: سلالة البحر الأبيض المتوسط والسلالة الهندوأوروبية الوافدة.

- إن تواجد القرية البدائية ثم المدينة ثم الدولة ، قد غير من بنية المجتمع السومري ، وفي طبيعة العلاقات بين الأفراد ، إذ أصبحت تقوم على الانتماء للدولة المدينة بدلا من الانتماء للعائلة والعشيرة والقبيلة ، بمعنى آخر تحولت طبيعة العلاقات النسبية والقرابة إلى العلاقات القائمة على الانتماء للمكان أي المدينة ومعناها وإلهها الخاص ، والاعتقاد بأن الإله الخاص الذي أوجد المدينة ونظامها البرلماني خصيصا لتكون مع بشرها في خدمته ، ويعمل على تحقيق الأمن والاستقرار عن طريق الملوك الذي يكفلهم بالسلطة في المدينة وفق غايات إلهية محددة ، بينما شكلت المدينة في نظر الإغريق مؤسسة اجتماعية على درجة عالية من التنظيم الذي لم يوجد بين القبائل المتناثرة ومركزا للتجمع الأمثل للكائنات البشرية ، فهي الإطار ذا الطابع المقدس للحياة المشتركة والأكثر غنى بالمعاني .

- شكل تاريخ السومريين وموطنهم الأصلي نقطة اختلاف وجدلا كبيرا بين المؤرخين ، من أين جاءوا إلى هذه المنطقة ؟ هل أتوا على شكل جماعات منظمة؟ أم على شكل أفراد أجبرتهم ظروف الحياة على التنقل؟ ، ونفس الأمر بالنسبة لتاريخ دخولهم إلى بلاد الرافدين ، وإن ذهب البعض إلى اعتبار الألف الرابعة أو الثالثة قبل الميلاد أي ابتداء من عصر حضارة العبيد، وعلى هذا الأساس تبقى قضية السومريين قضية مبهمة وغير واضحة ، ومحل نقاش دائم بين المؤرخين المهتمين بدراسة تاريخهم ، ونفس الأمر ينطبق على أهم القبائل اليونانية التي استوطنت بلاد الإغريق والتي شكلت خليطا سكانيا ، واضطروا للتجمع في مستوطنات سكنية متحصنة لدرء خطر عدوان سكان البلاد التي احتلوها عنوة ، ومن هذه المستوطنات تكونت دولة المدينة .

- إن مرحلة حكم السلالات السومرية المبكرة والتي صاغت حكومات الدويلات المدن ، وعلى الرغم من الثوابت العامة التي اتسمت بها هذه المرحلة من وحدة الأرض والجنس والعقيدة ، إلا أن اللامركزية التي اقتضت إليها طبيعة حكم الدولة المدينة لحوالي خمسة قرون ، قد حالت دون تحقيق وحدة أكثر قوة وشمولية ، وانحصرت إنجازات الحكام في مصالحهم الذاتية على المستوى السياسي والعسكري ، حتى أن مصالح السلطة الحاكمة التي لم يجد طموحها أي حدود حتى ، و لو كانت معارضة الشيوخ في مجالس الحكم ، وهو الأمر الذي عمق المشاحنات والصراعات بين حكام تلك المدن .

- تطورت الدولة المدينة السومرية من دولة المعبد إلى دولة القصر حيث لعب المعبد فوق ما كان له من مركز ديني تقام فيه شعائر العبادة المختلفة ، ويشرف على تنظيم مختلف الأعياد الدورية واليومية للآلهة ... ، كان له دور سياسي بإقامة مراسيم تتويج الملك والموافقة على قراراته ، لأن الملكية -السلطة- بعد أن هبطت إلى الأرض كانت قد وجدت مستقرها في معبد اله المدينة ، باعتبار المعبد هو مقر إقامة الإله ، حيث كان الملك يتحصل على موافقة الآلهة

لتنفيذ القرارات السياسية كالحروب أو عقد اتفاقية منه، وبطبيعة الحال كانت الوسائل التي يتم بموجبها وصول قرار الآلهة إلى الملك هو الأحلام والندور، فيذهب الملك إلى الهيكل ليلا، ويقدم التضحية ويصلي، ثم ينام عندئذ قد يظهر الإله في أحلامه يوحيه بما يريد .

- أن السلطة السياسية لم تكن في جميع مراحل تاريخ حضارة وادي الرافدين بيد رجال الدين حيث جمع الكهنة بين الوظائف الدينية والديوية، لكن في الفترات اللاحقة تذبذبت سلطة المعبد تبعا لسياسة الدولة المدينة، بعدما كان الراعي الرسمي لها ولجميع ممتلكاتها وباعتبار الكهنة هو الجهاز الذي كان يتولى الإشراف على تسيير شؤون هذه المؤسسة، فقد باتت هذه الفئة تتمتع بامتيازات كبيرة و ذات سلطة مستبدة، وهو ما يشير إليه صراحة النقش المكتوب الذي احتوى على اسم الكاهن إلى جانب اسم الملك، زيادة على مصاريف الدفن المبالغ فيها، وهو ما دفع بالملك أوروكاجينا للقيام بثورة اجتماعية سياسية ليضع حدا لتجاوزاتهم .

- تطور الديمقراطية البدائية القائمة على المساواة الكاملة بين الأفراد، في ظل كبر المجتمع وتعقد أموره وتزايد الوعي يبرز الدور الكبير للشيوخ أو لرؤساء العائلات أو للكبار في السن، ورافق تطور المدن ظهور المعابد كمؤسسات اقتصادية واجتماعية ودينية معتقدين بأن اله المعبد يملك المدينة ويوجهها عن طريق كهنتها، وينفذ أوامر الآلهة.

- إن أولى المدن في التاريخ أو لما نشأت كانت حول المعابد، وأن النظام السياسي الأول كان كهنوتيا، ومن المؤسسة الدينية انبثق النظام الملكي، وإن انفصال السلطة الزمنية عن السلطة الدينية سببه قصور السلطة الكهنوتية وعجزها عن التصدي للتحديات المتعاضمة مع تطور الدولة، مما حدا بالكاهن إلى الاستعانة بالزعيم (اللوكال) الذي توكل إليه الشؤون السياسية والعسكرية، وشيئا فشيئا سادت سلطة الزعيم، وأصبح الحكم وراثيا (ملكيا) وتعاضمت سيادة القصر أمام تراجع سيادة المعبد إلا أنه رغم هذا الانفصال بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، فقد ظل حكام بلاد سومر يحرصون على التمسك بالطابع الديني للسلطة .

- يتبين من خلال دراسة مجتمعات بلاد الرافدين مدى تطور هذه المجتمعات لا سيما في نمو وتطور البنية السياسية والفكر السياسي الذي تجسد في مفاهيم معينة للكون والمجتمع والإنسان والسلطة ، فالإنسان العراقي القديم استطاع ومنذ بدايات الألف الثالث قبل الميلاد بل وحتى قبل ذلك أن يعالج الأمور السياسية بفكر سياسي أسطوري مبدع، فالانتقال من المجتمع القروي البسيط إلى المجتمع المدينة المعقد، كان قد فرض إيجاد الفكر المنبعث من هذا التغيير، وفق ظروف سياسية وطبيعية واقتصادية ودينية.... الخ، ساهمت في خلق أولى الإدارات المركزية على ضفاف نهري الدجلة والفرات .

-اشتهرت مدينة لجش دون غيرها من المدن السومرية بدور سياسي وعسكري بارز طوال قرن من الزمن ،حيث كانت عاصمة لسلالة قوية نشيطة من حكام وأمراء ،وأسسها الملك " أور-نانشه " ثم حفيده "أياناتوم " الفاتح الذي نجح في زمن قصير من حكمه بفرض سلطانه على جميع بلاد سومر تقريبا ،ثم سار على دربه خامس حاكم من سلالة لجش "أنتمينا " ،ولم يقل نجمها إلى غاية عهد الملك "أوروكاجينا" الذي انهزم على يد حاكم مدينة أوما "لوجال زاجيري " الذي يعتبر أول ملك في سومر يضع البذور الأولى لإقامة إمبراطورية موحدة و مترامية الأطراف حتى لقب ب "ملك سومر" ،غير أنه قضي عليه من طرف سرجون الأكادي .

- كانت مهمة الملك الصلة تمثل بين الآلهة والشعب ،ولا يحمل صفة الإلهية في شيء كما الفراعنة ،وعادة ما كان الملك هو كاهن منطقته ،ولا تنفذ الأعمال الخطيرة (كالحرب أو الكارثة) بغير مشورة الإله وإفصاحه بالجواب سلبا أو إيجابا ،وكثيرا ما تصدر الأجوبة في حلم ليلي من المقدره العليا ،وقد حمل الملوك عدة ألقاب سياسية عبر فترات تاريخية من لقب "اين" ،إلى غاية لقب "لوكال البلاد "أو "ملك البلاد " ، وقد أدلت هذه الألقاب بداية الانفصال التدريجي عن المعبد بعدما كان قصره تابعا له .

-تعاقبت في بلاد الرافدين من 3000-2470ق.م عدة سلالات سومرية دونت أسماؤها على القائمة الملكية أهمها :سلالة كيش الأولى ،سلالة أور،الوركاء،وقد ساهمت هذه السلالات في انتقال السلطة والسيادة من دويلة إلى أخرى بحكم عوامل القوة والضعف التي تتمتع بها ،ولأن الملكية نزلت من السماء فقد أخذت طابعا قدسيا ،ولذلك عمل السومري على أن تكون حياته السياسية تسير وفق نمط مماثل ،حيث الحالة على الأرض ما هي إلا صورة مماثلة عن تلك الحالة التي يحياها الأرباب في السماء ،ولا يمكن أي أمر دون أخذ موافقة مجلس الآلهة .

- كانت كل مدينة تسعى جاهدة لأن تحمي سكانها أولا ،وأن تقيم بينهم وبين سكان المدن الأخرى حدا منيعا هدفه الإبقاء على عوامل الاستقرار بين جنبات الأسوار التي تحيط بالمدينة ،وقد نتج عن ذلك أن جهود ساكنيها قد تتجمع وتتركز حول المعبد وقصر الحاكم ولكن كثيرا ما يطمع حاكم مدينة بعينها في أراضي مدينة أخرى مجاورة ،وينتهز ظروف معينة تساعده لكي يهاجم ويقتحم أسوار المدن الأخرى ويضمها إلى ممتلكاته بما في ذلك الحقول والماشية .

-شهدت أول قرار للتحكيم بين المدن السومرية بفضل حنكة ملوكها الذين استطاعوا فض النزاع وتحقيق السلم ،فضلا عن الديمقراطية التي ميزت مجالس الشيوخ ورجال الأحرار في بداية الألفية الثالثة قبل الميلاد ،حيث انعقد أول برلمان في التاريخ كان في بلاد سومر ، وأن الحكم الفردي أو الملكي كان استثناء وخروجا عن الحياة السياسية الطبيعية

في دولة المدينة السومرية، وأنه لم يستمر إلا بعد اشتداد وطأة الحرب بعد مضي خمسة قرون على نشأة الدولة المدينة.

- اتسمت العلاقات السياسية والعسكرية بين المدن السومرية بالتوتر والصراع تارة وبالسلم والأمن تارة أخرى، إلا أنه غلب عليها النزاع بصفة كبيرة بسبب أطماع كل دويلة في الأخرى إما لدواعي اقتصادية وسياسية أو دينية، وقد ترتب عن توتر هذه العلاقات ظهور شخصيات فذة ساهمت في رسم الأحداث في بلاد سومر، وانتقال الريادة والزعامة من دويلة إلى أخرى .

- تخصص كل دويلة سومرية بوظائف معينة ميزتها عن باقي المدن الأخرى، حيث تميزت مدينة أور بوظيفتها الاقتصادية والسياسية بدليل المخلفات الأثرية التي عثر عليها في المقابر الملكية، زيادة عن الميناء البحري والتجاري الذي تتوفر عليه، بينما مدينة أريدو ونفر فتميزت كل منهما بقداستها الدينية خاصة وأن مدينة أريدو تعتبر المركز الأول لنزول الملكية من السماء قبل الطوفان، فضلاً عن تواجد دور العبادة و الزقورات الدينية التي شكلت صلة الوصل بين الآلهة والناس .

في حين بعض المدن الأخرى تميزت بتخصصاتها الاقتصادية والعسكرية، حيث نلمس ذلك في بعض القوائم الملكية التي تظهر النزعة العسكرية لبعض الملوك الذين استغلوا مواقع مدتهم الجغرافية في حملاتهم العسكرية وفرض سيطرتهم على المدن المجاورة مثل: لجش التي كانت تقع بين مدينتي أوما وكيش، وهو ما جعلها محط أنظار الجميع .

- إن قرار إعلان الحرب هو قرار إلهي، وهذا القرار يتخذ عادة صيغة الأمر الإلهي المعبر عن الإرادة الإلهية، ففي كل مرة تعلن فيها الحروب لا بد أن يكون هناك أمر إلهي بهذا الخصوص، وباعتبار المعبد هو مقر إقامة الإله فقد كان الملك يحصل على موافقة الآلهة لتنفيذ هذا القرار السياسي منه عن طريق النذر والأحلام، فالملك السومري لم يكن باستطاعته أن يلجأ إلى التنفيذ الفعلي قبل أن يستجلي الفأل، وذلك بقصد التعرف على اليوم المناسب لذلك، وهذا الاستجلاء يتم بعد ذهاب الملك إلى المعبد.

- تعتبر الحضارة المينوية (الإيجية) من أهم الحضارات التي ظهرت في جزيرة كريت، واستطاعت أن تخلف لنا موروثاً حضارياً هاماً خاصة في المجال الهندسة المعمارية، وتطور أكثر بعد مجيء الموكينيين (الميسنيين) الذين برهنوا على مدى تقدمهم فيه من خلال لوحات الفريسكو التي ميزت أهم جدران القصور مثل: كنوسوس، فايستوس،

ماليا، لكن مع مجيء الدوريين أدخلوا بلاد الإغريق في مرحلة مظلمة دامت تقريبا قرنين ، أين تراجع التطور الحضاري الذي ميّز المنطق من قبل ، و طمس هويتها التاريخية .

-شهدت بلاد الإغريق ظهور العديد من القبائل بحكم الهجرات التي توافدت عليها من المناطق المجاورة ، واختلفت في لهجاتها وعاداتها وتقاليدها ، ولكنها كانت قريبة بعضها من بعض ، وهي ترجع كلها إلى أصل واحد ، وأدركت جميعها هذه الروابط بعد احتكاكها بالشعوب الأخرى الغربية عنها في اللغة والعرق والعادات والعقائد ، فعرفت أنها امة واحدة واتخذت لنفسها اسم الهيلينيين خاصة بعد إيمانهم بأسطورة ديوكاليون ونسبهم إلى جد معين (هيلين) وإلى أولاده وأحفاده ايون واخيوس وسكريس .

- كانت أهم مراكز دول المدن التي سيطرت عليها القبائل الأيونية والأحية تقع في مقاطعة أتيكا التي تمتد على السهل الغني اقتصاديا تساليا ، وأشهر مدنها أثينا التي تحولت من مدينة ثقافية تجارية إلى مدينة اقتصادية (بحرية) عسكرية خاصة بعد تزعمها حلف ديلوس بينما استوطنت القبائل الدورية في شبه جزيرة البولوبونيز التي تعرف اليوم باسم شبه جزيرة المورة ، وأهم مدنها اسبرطة ، كورنثة ، سيكيون ، ايليس ، ارجوليس ، ميسينيا ، وكانت لاكونيا من أشهر اقاليمها وأكثرها ثروة اقتصادية بسبب امتدادها على السهل الخصيب يوروتاس، ومن ناحية أخرى يعد إقليم لاكونيا الدوري وعاصمته اسبرطة أكثر الأقاليم انعزالا ، حيث أشاع الدوريون روحا خاصة في كثير من بلاد اليونان ، وعلى الأخص في اسبرطة ، فقد ظلوا متمسكين بنظامهم العسكري الصارم ونسبهم المتميز (هيراكليس).

-وسط الجمود الحضاري الذي خيم على بلاد الإغريق وجزر بحر ايجه عقب الغزو الدوري ، انبثق فجر نهضة عمرانية جديدة ساهم فيها الدوريون بشكل متميز ، وان كانت طريقة حياتهم صورة باهتة عن صور الحضارة الموكينية ، فالحفائر الأثرية أثبتت عن اكتشاف معدن الحديد الذي احضره الدوريون معهم ، وساعد هذا المعدن على تسهيل عملية قطع الحجر من محاجرهِ ونحته وتزيينه ، وهذا ما جعل المدن اليونانية فيما بعد تأخذ هندسة معمارية متميزة بالطابع الأوروبي الشرقي ، وعزز أكثر من مفهوم الدولة المدينة مع بداية القرن 8 ق.م.

- شكلت الديانة القاعدة والركيزة الأساسية لأي تنظيم اجتماعي وسياسي في بلاد الإغريق أو حتى السومريين ، فالديانة هي التي كونت الأسرة ، وأقامت الزواج وأباحت السلطة الأبوية ، وحددت درجات القرابة وقدست حق الملكية وحق الإرث، كما استطاعت توسيع الأسرة وتكوين جماعة أكبر منها وهي المدينة التي تكونت مبادئها وقواعدها وعاداتها ومناصب الدولة فيها وفقا لأحكام الديانة ، وبهذا تدخلت الديانة في كل فروع الحياة الاجتماعية والسياسية والخاصة والعامة ، ومن أعلى سلطة سياسية كالملك ، الجمعية العامة ومجلس الشيوخ والجيش، لكن هذه

القدسية الدينية لم تبق على حالها بل تغيرت وزالت بحكم تغير القوانين والأنظمة السياسية بفعل سلسلة الانقلابات والتحويلات الاجتماعية.

- عرفت أشهر المدن الإغريقية تغير في طبيعة أنظمتها بداية من الحكم الملكي إلى الحكم الديمقراطي بينما في اسبرطة فحافظت على نفس نظامها الملكي ، حيث عرفت إصلاحات المشرع ليكورغوس ، بينما أثينا تغيرت بشكل عميق خلال القرن السادس قبل الميلاد بسبب الأحداث العنيفة التي عرفتھا ، والتي تمثلت في مؤامرة كيلون ، قوانين دراكون، إصلاحات صولون ، استبداد بيستراتوس... الخ ، وانتهت مرحلة الغليان هذه عن طريق إقرار كليستينس لأسس النظام الديمقراطي ، حيث انفتحت منذ هذه الحادثة أمام أثينا الطريق نحو الزعامة ببلاد الإغريق ، فبعد انتصارها على الفرس في معركتي مارشون سنة 490 ق.م ، ثرموبيلاي سنة 480 ق.ن ، معركة سيلاميس سنة 480 ق.م ظهرت بمثابة المدافعة الوحيدة عن السلم والحرية بمنطقة البحر الإيجي ، وتمكنت من توحيد تحت لوائها كل الدويلات المدن الإغريقية التي اعترفت لها بالزعامة والهيمنة السياسية ضمن إطار حلف ديلوس سنة 476 ق.م، بينما اسبرطة لم تستفد كثيرا من هذا الصراع خاصة وأنها رفضت تقديم المساعدة للمدن الأيونية التي كانت تعاني من الخطر الفارسي ، وفضلت سياسة العزلة والتحجج بذريعة امتناع خروج الجيش الاسبرطي للحملات العسكرية إلا بعد اكتمال الشهر القمري .

-اشتهرت مدينة أثينا طوال الفترة الكلاسيكية (الهلينية) بالإصلاحات السياسية والاقتصادية... الخ ، وأبرزها إصلاحات صولون (594 ق.م 571 ق.م) ، ويبدو أن غايته الأساسية كانت في تحديد المساهمات والمسؤوليات العسكرية لكل مواطن على حدة ، فأصبح المعيار الأساسي للتمييز هو الثروة المادية للمواطن وليس المولد ، مما أدى لأول وهلة إلى انقسام الفئة النبيلة إلى قسمين كاشفا في نفس الوقت على التحول العميق في العقليات ، وأيضا عن نية صولون في تعويض التقاليد الأروستقراطية القديمة بمعايير جديدة ، ولكن أجمع الباحثين فيما بعد على أن السنوات الموالية لإصلاحات صولون طرأت فيها تحولات وتطورات ملموسة على الحياة السياسية والاقتصادية ، والتي ستلقي بظلالها على مستقبل الدولة المدينة ، حيث تم توجيه الفلاحين إلى الاهتمام بزراعة الأشجار المثمرة ، كما كانت الدولة في بحث مستمر لتموينها من أنواع الحبوب من الخارج مع اهتمامها بتطوير قطاع الصناعة الخزفية ، ستنعكس هذه التحويلات على بنية المجتمع الاتيكي ، وإن كانت بطيئة لن تظهر معالمها إلا مع نهاية القرن السادس قبل الميلاد ، حيث ظلت القضية الفلاحية مطروحة بشكل مباشر ، لأن صولون تجنب حلها كلياً ، لهذا فبعد انسحابه من الحياة السياسية تجددت الاضطرابات الداخلية جزاء استمرار احتياجات الفئة الفلاحية المتضررة، ومن

جهة أخرى ظهور الصراع بين العائلات الاروستقراطية أعقبتها سنتان من الفوضى ، فشل الأثينيون خلالها في تعيين أرخونا جديدا ، ونتج عن هذه الوضعية اندلاع أزمة خانقة كادت ان تعصف باركان الدولة المدينة .

-إن بركليس من منطلق وضعه وذكائه واستقامته المشهودة ، كان يحترم حرية الشعب ويستطيع السيطرة عليه في آن واحد ، حيث كان يقود الشعب وليس العكس ،ونظرا إلى أنه لم يكن يسعى مطلقا إلى السلطة من اجل إي دافع منحرف فإنه لم يكن في حاجة إلى تملق الناس ، بل إنه كان يحظى باحترام البالغ حتى أنه كان في وسعه إن يحدثهم مغاضبا وأن يعارضهم الرأي ، وعندما كان يشعر أنهم أفرطوا في الثقة بالنفس كان يعيدهم إلى دائرة الإحساس بالمخاطر المحدقة بهم ، وحين يرى أنهم محبطون ومتخاذلون من دون سبب مقبول كان يث في أنفسهم الثقة ، وبالتالي فإن بركليس احتزل الديمقراطية الأثينية في شخصه وفي سحر زعامته التي أسرت قلوب وعقول الأثينيين ، ولم يستطع أي زعيم أثيني آخر أن ينافس أو يدانيه في هذه الزعامة التي دامت حوالي 30 سنة لا من قبله ولا من بعده

-إن منطقة أيونيا شكلت مركز الحضارة الإغريقية في آسيا الصغرى ، فمن خلال هذا المركز تم تبادل الأفكار والثقافات بين الحضارات ، وتم اللقاء والتعارف بين الأجناس والشعوب ، وتبادل البضائع والنقود على مستوى الاقتصاد العالمي القديم ، ومن هذا المركز ظهر علماء الإنسانية الأوائل ورواد الفكر العالمي ، فضلا على أهم المشرعين في العالم القديم الذين درسوا للبشرية البدايات الأولى للديمقراطية وفكر المواطنة والانتماء للوطن والإخلاص إليه مثل: صولون ، كليستينس ، بيركليس ... الخ ، كما أنها أصبحت مركزا لتوافد المع الفنانين الموهوبين والمفكرين المرموقين من ربوع بلاد اليونان وخارجه .

-اعتبرت الثورة الأيونية أول صدام بين الفرس و مدن الإغريق ، حيث حاولت أثينا تقديم المساعدة للمدن الأيونية التي أصبحت معرضة للخطر الفارسي ، إلا أن تمكن دخول الثوار إلى سرديس محاولين دفع الفرس إلى فك الحصار الذي ضرب على مدينة ملبتوس ، ومما زاد الطين بله هو إحراق سرديس ومعابدها مما أثار نقمة الفرس ، وبالتالي لم يحقق الإغريق غايتهم في تحرير المدن الأيونية من جهة ، ومن جهة أخرى جلبوا البلاء لبلاد الإغريق ككل ، والذي استمرت نتائجه فيما بعد على المدى البعيد ليتحول الصراع من صراع خارجي إلى صراع داخلي تتزعمه أقوى المدن الإغريقية والمتمثلة في أثينا واسبرطة ضمن ما يعرف بحروب البولونيز (431ق.م -403/404ق.م) .

-أدى إلى انهيار وتزعزع ركائز الدولة المدينة الإغريقية بعدما دامت تقريبا خمسة قرون تعرضها للعديد من التحديات سواء منها الخارجية أو الداخلية ، والتي كان لها الدور الكبير في تهدم أسس نظام البولس مثل الصراع الفارسي الإغريقي (478/490ق.م) حول من يسيطر على أهم المضائق التجارية في آسيا الصغرى فضلا على الاستيلاء

على المدن الأيونية ، هذا الوضع المتدهور فتح الباب لظهور الصراع في الداخل بين العواصم السياسية الإغريقية التي اشتهرت بعداوتها لبعضها البعض والمتمثلة في حروب البولوبونيز التي دامت أزيد من ربع قرن بين أهم قطبي بلاد اليونان : اسبرطة وأثينا ، هذه الأخيرة التي كانت هيمنتها وعظمتها تتزايد في كل مرة خاصة في عهد بركليس ، إذ تحولت إلى مركز اقتصادي وتجاري مهم في العالم الإيجي ، لكن هذه العظمة ستكون لها عواقب وخيمة بسبب رغبة بعض المدن الإغريقية التخلص والتحرر من ضغط الهيمنة الأثينية ، وعدم تحملها فضلا عن ذلك شعور اسبرطة بخطر أثينا على مصالحها في البحر وفي مناطق النفوذ .

قائمة

البييليوخراڤيا

المصادر :

-التوراة .

-القرآن .

-المصادر الكلاسيكية (الأدبية) :

1) أرسطو ، السياسيات ، تر: الأب اوغسطينس بربارة البوليسي ، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية ، بيروت ، 1957.

2) أرسطو ، دستور الأثينيين ، تع : الأب أوغسطينس بربارة ، ط2، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق.

3) أفلاطون ، القوانين ، تر: د، تيلور ، تع: محمد حسن ظاظا ، مطابع الهيئة المصرية العامة ، الإسكندرية ، 1986.

4) بلوتارخوس ، تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق ، تر: جرجيس فتح الله ، مج 1 ، الدار العربية للموسوعات ، 2010.

5) زينفون ، حملة العشرة آلاف " الحملة على فارس " ، تر: يعقوب افرام منصور، بغداد ، 1965.

6) كريم صمويل نوح ، من ألواح سومر ، ترجمة طه باقر ، تقديم ومراجعة أحمد فخري ، مكتبة المثني ، بغداد.

7) هوميروس ، الأوديسة ، تر: دريني خشبة ، دار التنوير ، بيروت ، 2013.

8) -هوميروس ، الإلياذة ، تر: دريني خشبة ، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2014.

-المصادر الأجنبية :

1)- Aristophane , l'assemblée des femmes , trad par : Marc –Jean Alfonsi , Garnier –Flammarion , Paris , 1966 .

2)- Aristophane , Théâtre complet I (les Acharniens , les cavaliers , les nuées , les guêpes , la paix) , trad par :M.J.Alfonsi , Garnier Flammarion , 1966 .

3)- Démosthène , sur les affaires de Chéronnèse ,trad par : R.Clavaud , édition B.L , Paris , 1947

4)-Herodote , Histoires , Trad-par: Legerand les belles lettres , paris ,1936.

5)- Hérodote , histoire , VIII .

6)- Hesiod , les travaux et les jours , trad par : E.Belgougnan , librairie garnier frères, paris

7)- Hesiod , theogony , translated by Hygh G.Erelyn –white , 1914 .

8)- Hippocrate , des aires de deaux et des lieux , trad par : le D'CH .V. Daremberg éditeur charpentier et Fortin , Paris , 1844.

9)- Œuvre de Platon , Phédon , trad par : victor cousin , V1 , T 1 , maison d'édition Reyt Gravier , Paris , 1846.

10)- Pausanias , Description de la Grèce,(Elide) , trad par : M.Clavier , T V , Paris , 1928.

11)- Pausanias , T I (l'Attique)

- 12)- Pausanias , T VII(Achaie)
 13)- Pausanias , TIII (Laconie).
 14)- Strabon, Géographie, livre XVI, trad-par : Amédee Tardien, Paris, 1867.
 Strabon , Géographie , V .- 15)
 16)- Thucydide, histoire de la guerre du Péloponnèse , trad par : Jean Voilquin, Jean Capelle , TI ,
 Librairie Garnier frères, paris , 1886.
 17)- Thycydide , II.
 -18)- Xenophon , Gouvernement des Athéniens , trad par : Eugène Talbot , librairie de la Hachette et
 G , Paris , 1859.
 19)- Xenophon , gouvernement des Lacédémoniens , trad par : Eugène Talbot , T 1, librairie de le
 Hachette , 1859.
 20)- Xenophon, Anabasis , trad par : William Rainey Harper , James Wallace , T 7 , American book
 company , NewYork , 1893.
 21)- Xenophone , les revenus , texte établi et trad par : Eugène Talbot , librairie de la Hachette , Paris ,
 1985.
 22)-Xenophone , Hellenica " On Greek poetry , philosophy , history and religion " , trad par : Evelyn
 Abbott ,M.A.L.L.D , second édition , Longmans , Green and Co , London , 1898.

المراجع :

- 1- إبراهيم محمد شوقي ، المدخل في تخطيط المدن، دار المريخ للنشر، الرياض، 1986.
 2- إبراهيم نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الأدنى القديم " حضارة العراق القديم " ، ج6، ط1، دار المعارف ، مصر
 ، 1961.
 3- أبو الصوف بهنام ، دور النقيبات الأثرية في الكشف عن حضارة العراق القديم ، حضارة العراق ، ج1، بغداد
 ، 1985.
 4- أبو بكر عبد المنعم ، حضارة مصر والشرق القديم، دار مصر للطباعة، القاهرة.
 5- أبو بكر فادية محمد ، دراسات في العصر الهيليني ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1998.
 6- أبو حجر آمنة ، موسوعة المدن العربية، ط1، دار الأسامة، عمان، 2003.
 7- أبو عيانة فتحي محمد ، الجغرافية الإقليمية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2005.
 8- أبو طالب صوفي حسن ، تاريخ النظم القانونية و الاجتماعية ، دار النهضة ، القاهرة ، 1972.
 9- أتو أذارد وآخرون ، قاموس الآلهة والأساطير ، تر: محمد وحيد خياط ، دار الشرق العربي ، بيروت.
 10- إسماعيل فضل الله محمد ، أصول الفكر السياسي ، مكتبة المعرفة ، القاهرة.
 11- الأحمد سامي سعيد ، ملحمة كلكامش ، دار التربية ، بغداد ، 1984.
 12- الأحمد سعيد سامي وآخرون ، المدن الملكية و العسكرية " المدينة والحياة المدنية ، ج1، بغداد ، 1988.
 13- الأحمد سامي سعيد ، السومريون وتراثهم الحضاري ، مطبعة الجامعة ، بغداد ، 1975.

- 14- الباشا حسن، الفنون القديمة في بلاد الرافدين، ط1، مكتبة الدار العربية للكتاب، مصر، 2000.
- 15- البدري جمال، النبي إبراهيم و الشرعية السياسية، المكتبة المصرية القاهرة، 1999.
- 16- التايب عبد السلام، تاريخ دولة مدينة: أثينا بين القرنين 8 و4 ق.م، ط1، طباعة ونشر سوس، المغرب، 2016.
- 17- الجادر وليد، الأزياء والأثاث، حضارة العراق، ج4، دار الحرية، بغداد، 1985.
- 18- الجنابي قيس حاتم هاني، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط1، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2012.
- 19- الحوراني يوسف، البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسط الآسيوي القديم، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974.
- 20- الخطيب محمد، الحضارة الإغريقية، دار علاء، دمشق، 1998م.
- 21- الدباغ تقي، البيئة الطبيعية والإنسان، حضارة العراق، ج1، دار الحرية، بغداد، 1985.
- 22- الدباغ تقي، الفكر الديني القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1992.
- 23- الدباغ تقي وآخرون، العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة بالاشتراك مع دار الجليل، بغداد/بيروت، 1983.
- 24- الدرزا أحمد عبد الحليم، تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، 2010.
- 25- الذنون عبد الحكيم، الذاكرة الأولى، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري القديم لبلاد الرافدين، ط2، دار المعرفة، دمشق، 1993م.
- 26- السايح إبراهيم، تاريخ اليونان، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2008.
- 27- السعدي محمود إبراهيم، تاريخ وحضارة اليونان، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، مصر، 2008م.
- 28- السليماني مولاي أحمد حسين، محاضرات في تاريخ الشرق القديم "مصر الفرعونية والعراق القديم"، يول للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.
- 29- السواح فراس، مدخل إلى نصوص الشرق القديم، ط1، منشورات دار علاء الدين، دمشق، 2006.
- 30- السواح فراس، مغامرة العقل الأول "دراسة في الأسطورة -سورية وبلاد الرافدين -، ط11، دار علاء الدين، دمشق، 1996.
- 31- السيد محمود، التاريخ اليوناني والروماني، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2007.
- 32- الشريف إبراهيم، الموقع الجغرافي للعراق أثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي، ج1، بغداد.

- 33- الشيخ حسين ، اليونان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1993م .
- 34- الشيخلي عبد القادر ، الموجز في تاريخ العراق ، بغداد ، 1990 .
- 35- الطائي ابتهال عادل إبراهيم ، تاريخ الإغريق منذ فجر بزوغه وحتى نهاية عصر الاسكندر المقدوني ، ط1 ، دار الفكر ، عمان ، 2014 .
- 36- الطائي سمير ، العنف السياسي في بلاد الرافدين "دراسة في جذوره التاريخية" ، دار الدجلة ، عمان ، 2009 .
- 37- الطعان عبد الرضا ، الفكر السياسي في العراق القديم ، دار الخلود للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1981 .
- 38- العابد مفيد رائف ، تاريخ الإغريق دراسة في التاريخ السياسي والحضاري الباكر والكلاسيكي حتى ظهور الإسكندر ، ط 3 ، منشورات جامعة دمشق ، سوريا ، 1999 .
- 39- العلي صالح أحمد ، العراق في التاريخ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1983 .
- 40- الغنائي ليلي عبد القادر علي ، تطور نظام دولة المدينة الإغريقية "أثينا و اسبرطة" 800-300ق.م دراسة تاريخية مقارنة ، منشورات مركز جهاد اللبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 2008 .
- 41- القيسي محمد فهد ، السومريون بين النفي والإثبات "دراسات أخرى في حضارة العراق القديم" ، ط1 ، دار تموز للطباعة والنشر ، دمشق ، 2013 .
- 42- الكاتب سيف الدين ، أطلس تاريخ الحضارات " أطلس التاريخ القديم" ، ط3 ، دار المشرق العربي ، الجزائر ، 2009 .
- 43- الماجدي خزعل ، المعتقدات الإغريقية ، ط 1 ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2004 .
- 44- الماجدي خزعل ، متون سومر (التاريخ ، الميثولوجيا ، لاهوت ، الطقوس) ، ط1 ، دار الأهلية ، الأردن ، 1998 .
- 45- المالكي قبيلة فارس ، تاريخ العمارة عبر العصور ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2011 .
- 46- المحجوب عبد المنعم ، ما قبل اللغة ، الجذور السومرية نشأة اللغة العربية واللغات الافروآسيوية ، ط 1 ، تانيت ، 2008 .
- 47- الناصري سيد أحمد ، الإغريق ، تاريخهم وحضارتهم من حضارة كريت حتى قيام إمبراطورية الاسكندر الأكبر ، ط2 ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1994م .

- 48- الناضوري رشيد ، دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة الشرق الأدنى القديم وخاصة في مصر وبلاد الرافدين والإقليم السوري والهضبة الإيرانية ابتداءً من مرحلة الثورة الصناعية الأولى حتى نهاية الدولة البابلية الكلدانية، الإسكندرية، 1958م.
- 49- الناضوري رشيد، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا -مرحلة التكوين والتشكيل الحضاري والسياسي من العصر الحجري الحديث حتى نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد، دار النهضة العربية بيروت، 1988.
- 50- النعيمي فيان موفق وآخرون ، تاريخ اليونان والرومان في الشرق الأدنى القديم ، ط1 ، دار الفكر ، عمان ، 2013م.
- 51- النيهوم الصادق وآخرون ، اليونان الكلاسيكية ، موسوعة بحجة المعرفة ، مج 1 ، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، 1982.
- 52- أم هاني رمضان ، جزيرة العرب والقوى القديمة " الإغريق والرومان " من القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادي ، دار هومة ، الجزائر ، 2014م.
- 53- أمهر محمود ، في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، دار النهضة العربية ، 2010.
- 54- باقر طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، تاريخ العراق القديم ، ج1، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1973
- 55- بيرينا حسن ، تاريخ إيران القديم ، تر: محمد نور الدين عبد المنعم، ط2 ، دار الثقافة ، القاهرة ، 1962.
- 56- تادرس خليل ، أحلى الأساطير الإغريقية ، لبنان ، 2008.
- 57- جي فرج بصمه ، المتحف العراقي ، مديرية الآثار العامة ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، 1976.
- 58- حارث محمد الهادي ، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1992م.
- 59- حاروش نور الدين ، تاريخ الفكر السياسي ، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2004.
- 60- حسن أحمد إبراهيم ، فلسفة وتاريخ النظم الاجتماعية والقانونية ، دار أبو العزم للطباعة، مصر، 2003.
- 61- حسين طه ، نظام الأثينيين ، ط1، دار المعارف ، مصر ، 1921.
- 62- حسين عاصم أحمد ، المدخل إلى تاريخ وحضارة الإغريق ، مكتبة نهضة الشرق ، 1991.
- 63- حسين عاصم أحمد ، ملامح من الآثار اليونانية والرومانية ، مطبعة العمرانية ، الجيزة.
- 64- حسين عبد الرزاق عباس ، نشأة مدن العراق وتطورها ، المطبعة الفنية الحديثة بغداد، 1973.

- 65- حلاق حسن ،ملاح من تاريخ الحضارات السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري والديني ،الدار الجامعية ،بيروت،1991.
- 66- حلمي سعيد إسماعيل ، الشرق العربي القديم وحضارته -بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة- مؤسسة شباب الجامعة ،الإسكندرية ،1997.
- 67- حنون نائل ، المدافن والمعابد في حضارة بلاد الرافدين القديمة (دراسة عن الشعائر والعمارة في النصوص المسمارية والآثار) ،ج2، ط1، دار الخريف ، دمشق ، 2006.
- 68- حنون نائل ، حقيقة السومريين ، ط1، دار الزمان ، دمشق ، سوريا ، 2007.
- 69- خريسات عبد القادر وآخرون ، تاريخ الحضارة الإنسانية ، ط1، دار اليازوري،الأردن،2011.
- 70- خلف جاسم محمد ، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية ، ط1، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، 1965.
- 71- خليفة عادل ، الفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى ، ط1، دار المنهل اللبناني للنشر والتوزيع ، بيروت ، 2001.
- 72- د روئي مكاي ، مدن العراق القديم ، تر: يوسف يعقوب سكوتي ، ط3، بغداد ، 1961.
- 73- داوود أحمد ، تاريخ سوريا الحضاري القديم 2 ، ط1 ، دار الشرق للطباعة والنشر ، دمشق ، 2004.
- 74- دلو برهان الدين ، حضارة مصر والعراق "التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي " ط1، دار الفارسي ،بيروت، 1989
- 75- رشيد عبد الوهاب حميد ، حضارة وادي الرافدين "ميزوبوتاميا"، ط1، دار المدى بغداد، 2004.
- 76- رشيد فوزي ، الملك حمورابي مجدد وحدة البلاد ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، 1991.
- 77- رشيد فوزي ، السياسة والدين في العراق القديم ، بغداد ، 1983.
- 78- رشيد فوزي ، المعتقدات الدينية ، حضارة العراق، ج1 ، بغداد ، 1985.
- 79- رشيد فوزي ، أوروكاجينا "أول مصلح في التاريخ " ، دار الحرية ، بغداد.
- 80- رشيد فوزي ، ترجمات لنصوص سومرية ملكية ، بغداد ، 1988.
- 81- رشيد فوزي ، سرجون الاكدي (أول إمبراطور في العالم) ، دار ثقافة الأطفال ، بغداد ، 1990
- 82- رشيد مصطفى مولاي ، فن الطغيان في بلاد اليونان (مقتطفات من تأليف أرسطو) ، ط1، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2012.

- 83- ريجانا سامي ، تاريخ الحضارات شعوب الشرق الأدنى القديم، نوبليس.
- 84- زايد عبد الحميد ، الشرق الخالد (مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام 323ق.م، دار النهضة العربية ، بيروت، 1969.
- 85- سارة خليل ، تاريخ الإغريق ، منشورات جامعة دمشق ، دمشق ، 2016.
- 86- سحري محمد الطاهر ، رحلة في عالم الأساطير السومرية ، ط1، مطبعة سيبوس ، الجزائر ، 2007.
- 87- سحنوني محمد ، ما قبل التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1999.
- 88- سعد الله محمد علي ، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم (العراق ، سوريا، آسيا الصغرى) ، دار المعرفة الجامعية ، 2003.
- 89- سعد جورج ، تطور الفكر السياسي في العصور القديمة والوسطى ، منشورات الحلبي ، لبنان ، 2000.
- 90- سكر عزمي ، السومريون في التاريخ ، ط1، عالم الكتب ، بيروت ، 1999.
- 91- سلطح فضل الله محمد ، الفكر السياسي الغربي النشأة والتطور ، ط 1 ، دار الوفاء للطباعة و النشر والتوزيع ، الإسكندرية ، 2008.
- 92- سليم أحمد أمين ، دراسات في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى القديم (تاريخ العراق إيران ، آسيا الصغرى) ، ج5، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2000.
- 93- سليم أحمد أمين ، دراسات في تاريخ وحضارة مصر و الشرق الأدنى القديم ، حضارة العراق القديم ، ج6 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2002.
- 94- سليم أحمد أمين ، دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم (حضارة العراق القديم) ج2، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2001م.
- 95- سليمان توفيق ، دراسات في حضارة غرب آسيا القديمة من أقدم العصور إلى عام 1190ق.م [الشرق الأدنى القديم بلاد ما بين النهرين بلاد الشام] ، ط1، دار دمشق ، 1985.
- 96- سليمان عامر ، القانون في العراق القديم ، دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ، 1987.
- 97- سليمان عامر و الفتیان احمد مالك ، محاضرات في التاريخ القديم (موجز تاريخ العراق ومصر وسوريا ، وبلاد اليونان القديم) ، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر بغداد ، 1978.
- 98- سوسة أحمد ، تاريخ حضارة وادي الرافدين في ضوء مشاريع الري الزراعية والمكتشفات الأثرية والمصادر التاريخية، ج1، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983.

- 99- سوسة أحمد ، حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1980.
- 100- شحيلات علي ، عبد العزيز الياس الحمداني ، مختصر تاريخ العراق "تاريخ العراق القديم" "العصر السومري 2800-2004 ق.م" ، ج2 ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2012.
- 101- شلوف عبد السلام ، نصوص ونقوش من ليبيا ، مركز جهاد الليبيين ، طرابلس ، 1994.
- 102- صابر علاء ، تاريخ الأدب اليوناني ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2003 م.
- 103- صالح عبد العزيز ، الشرق الأدنى القديم (مصر والعراق) ، ج1 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 2004.
- 104- صبحي أحمد ، في فلسفة الحضارة "الحضارة الإغريقية" ، ج1 ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية.
- 105- الصفدي هشام ، مصورات الشرق القديم (سورية وفلسطين ، وادي النيل ، بلاد الإغريق ، بلاد الرافدين) ، دار الفكر ، دمشق.
- 106- عبد الحليم نبيلة محمد ، معالم العصر التاريخي في العراق القديم ، دار المعارف ، 1983.
- 107- عبد الحي صلاح السيد ، العرب واليونان ، اتصال وتواصل حضاري ، ط1 ، المكتب العربي للمعارف ، مصر ، 2009.
- 108- عبد الحي عمر ، الفكر السياسي في العصور القديمة الإغريقي والهليستيني والروماني ، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، لبنان ، 2001 م.
- 109- عبد الحي عمر محمد صبحي ، الفكر السياسي وأساطير الشرق الأدنى القديم ، بلاد ما بين النهرين ومصر القديمة ، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1998 م.
- 110- عبد الله يوسف ، الجيش والسلاح في العهد الأشوري ، مطبعة جامعة بغداد ، بغداد ، 1977.
- 111- عبد الواحد فاضل ، السومريون وأكاديون "العراق في القديم" ، بغداد ، 1983.
- 112- عبد الواحد فاضل ، عشتار ومأساة تموز ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1973.
- 113- عبد الواحد فاضل ، من ألواح سومر إلى التوراة ، دار الشؤون الثقافية العامة للطباعة والنشر ، بغداد ، 1989.
- 114- عثمان أحمد ، الأدب الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا ، ط3 ، منتدى سور الازبكية ، القاهرة ، 2001.
- 115- عثمان عبد العزيز ، معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، ج1 ، دار الفكر الحديث ، لبنان ، 1967.
- 116- عصفور محمد أبو محاسن ، الشرق الأدنى قبل العصور التاريخية ، مطبعة المصري ، القاهرة ، 1962.

- 117- عكاشة ثروت ، تاريخ الفن "الفن العراقي القديم" سومر وبابل وأشور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان.
- 118- عكاشة ثروت ، الفن الإغريقي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1982.
- 119- عكاشة علي وآخرون ، اليونان والرومان ، ط 1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع ، الأردن ، 1991.
- 120- علام نعمت إسماعيل ، فنون الشرق الأوسط والعالم القديم، ط6، دار المعارف، القاهرة، 1980.
- 121- علي سعيد إسماعيل ، التربية في حضارات الشرق القديم، عالم الكتب، القاهرة، 1999م.
- 122- علي عبد اللطيف أحمد ، التاريخ اليوناني ،العصر الهيللادي ،ج1، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1976م.
- 123- علي عبد اللطيف أحمد ، محاضرات في تاريخ الشرق الأدنى القديم،مطبوعات كريدية إخوان، بيروت، 1971.
- 124- علي فاضل عبد الواحد ، و عامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة، (الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، 1979.
- 125- علي فاضل عبد الواحد و آخرون ،تاريخ العراق القديم ،ج2،مطبعة بغداد الجامعة ،بغداد ،1980.
- 126- علي محمد عبد اللطيف محمد ، تاريخ العراق القديم حتى نهاية الألف الثالث ق. م ، دار الإسكندرية، القاهرة، 1977.
- 127- علي محمد عبد اللطيف محمد ، سجلات ماري وما تلقيه من أضواء على التاريخ السياسي لمملكة ماري من حوالي 1850-1760ق.م ، الإسكندرية ، 1985.
- 128- عمران رجب سلامة ، موضوعات من التاريخ اليوناني والروماني ، كلية الآداب ، القاهرة.
- 130- عياد محمد كامل ، تاريخ اليونان ، ج1، ط3، دمشق ، 1980.
- 131- غريب خالد ، دراسات في تاريخ وحضارة و حضارة اليونان القديمة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، 2006/2005.
- 132- فرح أبو اليسر ، الشرق الأدنى في العصرين الهيلليستيبي والروماني ، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، 2005.
- 133- فرح نعيم ، تاريخ الشرق الأدنى القديم "السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي"، دار الفكر، دمشق.
- 134- فهمي محمود ، تاريخ اليونان ، تق: محمد زينهم عزب ، مكتبة الغد ، الجيزة ، 1999.

- 135- كريم صموئيل نوح ، السومريون وتراثهم الحضاري ، تر: فيصل الوائلي ، دار غريب ، الكويت، 1973.
- 136- كوسى جورج ، أعرق الحضارات ، ط1، دار الفرق، دمشق، 2006.
- 137- محروس حلمي إسماعيل ، الشرق العربي القديم وحضارته -بلاد ما بين النهرين والشام والجزيرة العربية القديمة-مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997.
- 138- محمد إسماعيل فضل الله ، تطور الفكر السياسي الغربي، مكتبة بستان المعرفة ، الإسكندرية ، 2005.
- 139- محمد عبد القادر ، الساميون في العصور القديمة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1968.
- 140- محي الدين سعدي حسن ، في تاريخ الشرق الأدنى القديم (العراق، إيران، آسيا الصغرى)، ج1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998
- 141- مرعي عيد ، فرزات محمد حرب ، دول وحضارات الشرق القديم ، ط2 ، دار طلاس ، دمشق ، 1994.
- 142- مصطفى ممدوح درويش ، السايح إبراهيم ، مقدمة في تاريخ الحضارة اليونانية والرومانية "تاريخ اليونان" ، ج1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999.
- 143- مكاوي فوزي ، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته من أقدم عصوره حتى عام 322ق.م ، ط1، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 1980.
- 144- مهران محمد بيومي ، مصر والشرق الأدنى القديم "تاريخ العراق القديم" ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1990.
- 145- مهران محمد بيومي ، مصر والشرق الأدنى القديم "حضارات الشرق الأدنى القديم" ، ج1، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 2005.
- 146- نخبه من أساتذة التاريخ ، العراق في التاريخ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1983.
- 147- نصار عصمت ، الفكر الديني عند اليونان ، ط2 ، دار الهداية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2005 م.
- 148- يحي إبراهيم عبد العزيز جندي، معالم التاريخ اليوناني القديم ، ج1، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ، 1998م.
- 149- يحي لطفى عبد الوهاب ، تاريخ اليونان والرومان ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة.

-المراجع المعربة :

- 1- اذارد اوتو ، عصر فجر السلالات في الشرق الأدنى القديم "الحضارات المبكرة" ، تر: عامر سليمان ، موصل ، 1985 .
- 2- إيمار أندري ، جانبيه ابوايه ، تاريخ الحضارات العام "الشرق واليونان القديمة" ، ترجمة فريد .م. داغر ، فؤاد أبو ربحان ، إشراف موريس كروزيه ، مج 1 ، عويدات للنشر و التوزيع ، بيروت ، 2003.
- 3- باركر أرنست ، النظرية السياسية عند اليونان ، تر: لويس اسكندر ، محمد سليم سالم ، ج 1 ، مؤسسة سجل المغرب، القاهرة ، 1966.
- 4- برستد جيمس هنري ، انتصار الحضارة، تاريخ الشرق القديم ، تر: أحمد فخري ، مكتبة الأجلو المصرية ، القاهرة ، 1969.
- 5- برنال مارتن ، أثينة السوداء " الجذور الأفروآسيوية للحضارة الكلاسيكية " ، تر: لطفي عبد الوهاب وآخرون ، الهيئة العامة لشؤون مطابع الأميرية ، القاهرة ، 2002م.
- 6- بوترو جين وآخرون، الشرق الأدنى الحضارات المبكرة، تر: عامر سليمان ، مديرية الكتب للطباعة والنشر، بغداد ، 1986.
- 7- بوج ، و.ج.دي. ، تراث العالم القديم ، تر: زكي سوس ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1999م.
- 8- تويني أرنولد ، تاريخ البشرية ، تر: نقولا زيادة ، ج 1 ، ط 1 ، دار الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1988.
- 9- تويني أرنولد ، تاريخ الحضارة الهيلينية ، تر: رمزي جرجس ، مراجعة صقر خفاجة ، مكتبة الأسرة للتعليم ، الأردن ، 2003.
- 10- جاكوبسين ثوركليد ، ما قبل الفلسفة "الإنسان في مغامراته الفكرية الأولى" ترجمة إبراهيم جبرا،مراجعة محمد الأمين مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ،بغداد ،1960.
- 11- جلوتز جوستاف ، المدينة الإغريقية ، تر: محمد مدور ، تقديم طارق مندور ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2011 ،
- 12- جيمس أور ، الجمهورية "تحليل كتاب الجمهورية لأفلاطون" ، تر: هنادي مزبودي ، ط 1 ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، 2017.

- 13- جيمس أور ، الجمهورية "تحليل كتاب الجمهورية لأفلاطون" ، تر: هنادي مزبودي ، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، 2017.
- 14- جين بوتيرو وآخرون ، الشرق الأدنى والحضارات المبكرة، تر: عمار سليمان ،الموصل ، 1985 .
- 15- دانيال غلين ، الحضارات الأولى الأصول و الأساطير ، تر: سعيد الغانمي، ط1 ،مجلة دبي الثقافية، دار الصدى، 2009.
- 16- دياكوف ، بيوع الأراضي في العصر السابق لحكم سرجون (شاروكين) ، العراق القديم ، تر : سليم طه التكريتي ، ط2، بغداد ، 1986.
- 17- دياكوف ، ظهور الدولة الاستبدادية في العراق القديم "دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية ، تر: سليم طه التكريتي ، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1986.
- 18- ديكانوف ي.م وآخرون ،تاريخ الشرق القديم "نشوء المجتمعات الطبقيّة القديمة والمواطن الأولى للحضارات العبودية" ، تر: محمد العلامي ، مراجعة : خلقي حنفر ، ط1، دار الفكر ، عمان ، 2012.
- 19- ديلابورت ، ل . ، بلاد ما بين النهرين (الحضارتان البابلية والأشورية)،ترجمة محرم كمال ،مراجعة د.عبد المنعم أبو بكر ، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1977.
- 20- ديمتري جورج ، تاريخ اليونان ، ط1، بيروت ، 1876.
- 21- ديورانت ، ول ، قصة الحضارة "نشأة حضارة الشرق الأدنى" ، تقديم محي الدين صابر، تر: زكي نجيب محمود، ج1، دار الجليل، بيروت، 1998م.
- 22- روبنصن الكسندر تشالز ، أثينا في عهد بركليس ، تر: أنيس فريجة ، مؤسسة فرنكلين للنشر والتوزيع ، نيويورك ، 1966.
- 23- زودن ، ف. فون ، مدخل إلى حضارات الشرق القديم، ترجمة فاروق إسماعيل، ط1، دار الهدى، دمشق، 2003م.
- 24- زيمرن ألفرد ، الحياة العامة اليونانية " السياسة والاقتصاد في أثينا في القرن الخامس " ، تر : عبد المحسن خشاب ، مر: أمين مرسي قنديل ، تق: أحمد عثمان ، ط2 ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2009 م.
- 25- سارتون جورج ، تاريخ العلم (العلم القديم في العصر الذهبي لليونان ، الأصول الشرقية و اليونانية) ، ج 1، تر: محمد خلف الله وآخرون ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2010.
- 26- ساركز هاري ، عظمة بابل ، تر: عامر سليمان ، الموصل ، 1979.

- 27- ساكر هاري ، قوة آشور ، تر: عامر سليمان ، بغداد ، 1999.
- 28- ستروف .ف. ف ، اقتصاد الدولة في سومر القديمة ، العراق القديم ، تر: سليم طه التكريتي ، ط2، بغداد ، 1986.
- 29- عبود .هنري. س . ، معجم الحضارات السامية ، ط2، جروس برس، طرابلس ، لبنان ، 1991.
- 30- ف دياكوف ،س.كوفاليف ، الحضارات القديمة ، تر: نسيم واكيم اليازجي ، ج1 ، ط1 ، دار علاء الدين ، دمشق، 2000.
- 31- فرانكفورت هنري ، فجر الحضارة في الشرق الأدنى ، تر: ميخائيل خوري ، منشورات دار مكتبة الحياة بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ، بيروت -نيويورك، 1959.
- 32- فرنان جان بيار ، الأسطورة والفكر عند اليونان "دراسات في علم النفس التاريخي " ، تر: جورج رزق ، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،¹ ، 2012.
- 33- فيردمان استبلة ، التنقيب عن الماضي ، تر: أحمد فخري عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1958.
- 34- فينلي ، م.أي . ، عالم أوديسيوس ، تر: محمد عبودي إبراهيم ، ط1 ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2014.
- 35- كونتنينو جورج ، الحياة اليومية في بلاد بابل و آشور ، تر: سليم طه التكريتي ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1986.
- 36- كيتو ه . د. ، الإغريق ، تر: عبد الرزاق يسرى / محمد صقر خفاجة ، دار الفكر العربي ، 1962م.
- 37- لتون رالف ، شجرة الحضارة ، ج1 ، تر: أحمد فخري ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة.
- 38- لتون رالف ، شجرة الحضارة ،تقديم محمد سويدى ،ج2، موفم للنشر، الجزائر، 1990.
- 39- لويد سيتيون ، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري حتى الغزو الفارسي ، تر:محمد طلب ، ط1 مطبعة الشام ، دمشق ، 1993.
- 40- ليتمان ، روبرت . ج . ، التجربة الإغريقية (حركة الاستعمار والصراع الاجتماعي) 800ق.م / 400ق.م
- 41- مارغون جان كلود ، السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين و سوريا الشمالية ، تر: سالم سليمان العيسى ، ط1 ، دار علاء الدين ، دمشق ، 1999
- 42- مالوان ماكس ، مذكرات مالوان ، تر: سمير عبد الرحيم الجليبي ،منشورات الجمل بغداد،2004.
- 43- ملرش ايج -اي -ايل ، قصة الحضارة في سومر وبابل ،ترجمة عطا بكري ،مطبعة الإرشاد ،بغداد،1971.

- 44- مورتكات أنطون، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تعريف توفيق سليمان وعلي أبو عساف وقاسم طوبر، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1967.
- 45- نرسيان، ف.س.، الفكر السياسي في اليونان القديمة، تر: حنا عبود، ط1، مطبعة الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، 1999.
- 46- نيكولاس بوستغيت، حضارة العراق وآثاره، تر: سمير عبد الرحيم الجلي، دار المأمون، بغداد، 1991.
- 47- وبيرن فوكس، الاسكندر الأكبر، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت.
- 48- ولز، ج. ه.، معالم تاريخ الإنسانية، تر: عبد العزيز توفيق جاويد، مج1، القاهرة، 1967.
- 49- ولز، هربرت. ج.، معالم تاريخ العالم، تر: عبد العزيز توفيق، مراجعة محمد مأمون نجما، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1963م.

ب-المراجع الأجنبية (باللغة الفرنسية) :

- 1- Alexandre Moret , histoire ancienne « histore l'orient ,Egypt , Elam , Sumer , et Akkad Babylone » , V2 , P.U.F. , paris.
- 2- Amiet Pièrè ,les civilisations antiques du proche-orient ,1^{er} edition press universitaires, paris,1970.
- 3- Arnaud Daniel, le Proche orient Ancient de l'invention de l'écriture l'hellénisation, collection Etudes Supérieures Bordas, France, 1970.
- 4- Christian Papeians , Arts et civilisation , edit arts hisoria , Bruxelles , 1988.
- 5- Contenau George, civilisation du anciennes du Proche Orient, Bress Universitaires de France, Paris, 1960.
- 6- Dué André , Renzo Rossi ,premiers peuples européens , Hatier , paris , 1995.
- 7- Fustel de Coulangè , la cité antique , Vol 2 , éd : d'Aujourd'hui , paris , 1978.
- 8- Garelli Paul ,le proche –Orient Asiatique des origines ,aux invasions des peuples de la mer ,
- 9- Grégoire Jean Pièrè , Archives admistratives summériennes ,Librairie Orientaliste Paul Geuthner , Paris ,1970.
- 10- Gustave Fougères ,les premiers civilisations ,libirairie Félix Alcon ,Paris ,1938.
- 11-Haywood John , les civilisations antiques du proche orient et la méditerranée,traduction de didier pemele larousse,paris, 2000.
- 12- kramer Samuel Noah, l'histoire commence à sumer ,libraire Arthaud ,paris ,1975.

- 13- Michel Sekellariou , L'age du bronze moyen et récent (2100- 1100av J.C) dans l' histoire l' Humanité , Vol II.
- 14- Mike Paine , ancient greece , pocket essentials , Britain ,2007 .
- 15- Montbel Dugas (Jean Baptiste) , observation sur l'Iliade d'Homère ,A ,F, Didot ,Paris , 1830.
- 16- Parrot André , archéologie mésopotamienne , T 2 , édition Albain Michel , paris , 1953
- 17- Parrot André, Sumer, Editons Gallimard, France, 1958.
- 18- Pierre Marchand , G.L.J (l'Egypte, la Greece ,et la Rome) , larousse Gallimard , London.
- 19 - Eric D Nelson. , Susan K .Allard-Nelson , la Grèce antique, trad par :Pascal Racitot-loubet, Marabout (Hachette livre) , France,2008 .
- 20- Pirenne Jaques, civilisations Antiques , Albin Michel, paris, 1951
- 21- planas Jean Claud ,la mésopotamie antique,sumer,babylone et assyrie,par Jean Battéro « la mésopotamie , l'écriture, la raison et dieux, Edition Atlas .
- 22- Roux George ,La Mésopotamie ,éditions du Seuil ,Paris ,1995.
- 23- Schmokel Hartmut ,le monde d Ur Assur et Babylonne ,trad Lily Jumel ,edition Gorrêa Buchet,chastel, ,1957.
- 24- Vanoyeke Violine , les grandes heures de la Grèce antique , librairie académique Perim , paris , 1992.
- 25- Wiesner Joseph, l'orient Ancien, V2, Petite Bibliothèque layot, Paris. 1èr éditions ,presses Universitaires ,Paris ,1969.
- 26-Bérard Jean , l'expansion et la colonisation grecques jusqu' aux guerres médiques ,Aubier , paris , 1960
- 27- Christooher Fagg , François Carlier , la Grèce ancienne , éditions Gamma , London , 1979 .
- 28-Labat- Renet ,la caractère religieux de la royant Assyro Babylonienne, libraire d'Amérique et d'orient , Adrien Maisonneuve , Paris 1939.
- 29-O.Habert , la religion de la grèce antique , l' Ethiellens librairie édition , Paris , 1910.

ج-المراجع الأجنبية (باللغة الإنجليزية):

- 1- Antone Powell , Athens and Sparta « constructing greek Political and Social history from 478B.C , third édition , Routledge , London .
- 2- Alexis Pierre, histoire de la littérature grecque , l'hacho, paris.
- 3-A.Moortagat , Fruhe bildknt in sumer , Suria , 1936, V17, N :3.
- 4- Barbara A.Somervill , Great empires of the past : empires of ancient mesopotamia , chelsea house

- 5- Benjamin w.porter and Alexis T.Bouin , remembering the dead in the ancient near east « recent contributions from bioarchaeology and mortuary archaeology , university press of Colorado , Boulder , U.S.A, 2014.
- 6- Braidwood R.J. , the near East and the foundations for civilisation , Oregon State System of Higher education.
- 7- B , Kiensat , A battle for susa, The Gulf in the Ancient Near East” , SMSB_ . 1987.
- 8- C.Kerényi , the gods of greeks, thames and Hudson , London , 1951.
- 9- C . Robinson ,hellasashort history of ancient greece , pantheon books , company Cambridge ,m.assachaiassetts , 1948.
- 10- C.E.Robinson , a short history of ancient greece , pantheon book ,NewYork , 1948.
- 11- Crawford, V. E , Inscriptions From lagash , Vol. XXIX, 1977.
- 12- David Saks , Encyclopedia of ancient greek word , faits on fils , New York , 1995.
- 13- Donald Kagan, Problems in Ancient History the Ancient near East and Greece, V1 , London, 1975.
- 14- Dormansteale (j), brif history Greece, with readings from prominent Greek historians, barnes , & company , new York and Chicago , 1853.
- 15- Ephraim David , And revolution (404-243 B.C) , Internal problems and their Impact on Contemporary Greek conxiousness , Arno Press , NewYork , 1981.
- 16- Ephraim David , Sparta between empire and revolution (404-423 B.C) internal problems and their impact on contemporary greek conscioumes , arno press , New York , 1981.
- 17- (E) Vermeule , greece in the bronze age , chicago and london , 1972
- 18- Felton (c) , Grèce ancient and modern , V1 , 4éd , library university of California , Bostan , 1987.
- 19- Fletcher , Banister , A history of Architecture on comparative méthode , London 1963 .
- 20- Felton (c) , Greece Ancient and modern , Vol 1 , éd : 4 , library university of Califonia , U.S.A , 1987.
- 21- Frankfort Henri , The birth of civilisation in near east , Ernest Benn Limited , London , 1951 .
- 22- Godd , state of Babylonien under the dynasty of Agade , V 1 , II , Cambridge , 1971.
- 23- Gadd , C , J, the cities of babylonia, Cambridge , V1, 1962.

- 24- Gates Chares , ancient cities « the archaeology of urban life in the ancient Near And Egypte , Greece and Rome» , second édition , illustration by Nesliham Yilmaz , Routledge , London
- 25- George Grote , A history of greece , V3 , London , 1856.
- 26- Gibson, M , The city and area of Kish, Florida, 1972.
- 27- Gorden , E, T, Mesilim and Mesannepedda are they idemtical , Basor , 1953.
- 28- H.Frankfort , Kingshie and gods , Chicago , 1948.
- 29- Hallo William W , Early Mesopotamia Royal Titles, emprt , New Haven , 1957.
- 30- Hallo William W , orignes in studies in the history and culture of the ancient near east , Vol 6 , London , 1996.
- 31- Hammond , A history of greece , 2 édit , oxford , 1967 .
- 32- Hand Beck , Acompanion to ancient greek governement , Wiley Black Well publication , U.S.A , 2013
- Heidel , A , the babylonian genesis , chicago , 1967-33
- 34- Homasj –Scenkemicz , ancien greece , Achaeen league , dorian , invasion of greece , V1 , press incsaelena , California , 2007.
- 35- Jean Kinney Williams , Great Empires of the past :empire of ancient Greece , révisé édition, chelsea House publishers , U.S.A , 2009 .
- 36- J.B.Protchard , the ancient near east in pictures , New Jersey , 1996.
- 37- Jane Ellem Harrison , the religion of ancient greece , constable and company LTD , London , 1913.
- Jastrow Morris, The civilization of Babylonia and Assyria, London, 1975.-38
- 39- Jeremy Mcinerney , ancient Greek civilization ,T 1 , the teaching company , pensylvania , 1998.
- 40- John Gillies .LL.D, the history of ancient greece , (Its colonies and conquests) , V 4 , the sixth édition , printed for T.Cadelle and W.Davies in the Strand ,London , 1820
- 41- Jon .D.Mikalson , Herodotus and Religion in the Persian wars , published on February 2012.
- 42 - Paolo Matthiae , Nicolo Marchetti , Ebla and its landscape « early State formation in the ancient Near East , left Coast press , California , 2013.
- 43- Philip de Sousa Waldemar Heckel , Lioyd Liewellyn Zones , the greeks at war from Athens to Alexander , oprey publissing oxford , U .S.A , 2004 .
- 44- Kramer Samuel Noah , sumerians mythology , library of Congress Cataloging in biblication , New York , 1961.

- 45- Kramer Samuel Noah , the sumériens , university of Chicago , América , 1963.
- 46- Leick , G, Mesopotamia , England , 2001.
- 47- Leick, G, Who's who in The Ancient Near East, London and New York, 1999.
- 48- Leonard W.King , Litt .D.F.S.A , a history of Sumer and Akkad , Chato et Windus , London , 1923
- 49- Lesley Adikins and Roy .A.Adkings , Handbook to life in the ancient greece , Updated edition , library of congress Cataloging in publication Data , New York , 2005.
- 50- Lèveque Pierre, l' aventure grecque , librairie Arnaud colin , Paris , 1964.
- 51- Maisels Charles Keith , early civilisation of the old world « the formative histories of Egypte , the levant , Mesopotamia , India and China , routledge , London, and NewYork , 2005.
- 52- Marcovitz Hal , ancient greece , reference point press , the United State , 2013 .
- 53- Martin Thomas .R. , ancient greece from prehistoric to hellenistic times , Yale Nota Bene university Press , U.S.A , 2000.
- 53- Matthew Dillon , Lynda Garland , ancient greece « social and historical documents from Archaic times to the death of Socrates 800-339 B. C , second édition , Routledge , London , 2000 .
- 54-Matthew Dillon and Lynda Garland , ancient Greece social and historical documents from archaic times to the death of Alexendre the great , 3 édit, Routledge taylor et Francis group , London , 2010.
- 55- Macel Detienne , the gods of politics in early greek cities , paris , 2003.
- 56-Magens Herman Hansen , the ancient greek city-state , regla Accademia scienttarum danica , commissioner Munksgaard , Copenhagen , 1993.
- 57- Mieroop –Marc Van De , the ancient mesopotamian city , Oxford , 1997 - publishers, NewYork , 2010.
- 58- Nardo Don , Life in Ancient Mesopotamia , Reference Point , Inc Printed in T he United States , 2014.
- 59- Nicola Lanri and others , Preforming Death, 2 ed, USA(Chicago), press , 2008.
- 60-- Nilson (m.p) , a history of greek religion , trand par : F.J.Fielden oxford , 1920.
- 61- Paul Bernabeo , ancient Greece – anillustrated history , marchallcavendish corporation , malasia , 2011.

- 62- Paul Bernabeo , ancient greece « illustated history » , Marshalle Cavendish refrence , NewYork , 2011.
- 63- Percy Gardner , history of ancient coinage 700 – 300 J.c , oxford at the clarendol press , oxford , united states of America , 1918.
- 64- Pierre Roussel , la Grèce et l'orient des guerres Médiques à la conquête romaine , Paris , 1928.
- 65- Raymond Westkook ,A History of Ancient Near Eastern law , V1,Brill, Leiden Boston, 2003.
- 66- Rostovtzeff , M , Greece , trad par : Russian by J.D Duff and édited by Bickerman , Oxford , press , 1963.
- 67- Roux Géorge, Ancient Iraq , third éditions ,Penguim Books, Iran ,2000.
- 68- R.F.Willeft , the civilisation of ancient Crete , university of California Press , Berkeley and Los Angeles , Great Britain , 1977.
- 69- S) Hood, the home of the Heroes ,the Aegean of before the Greek , London ,1974.
- 70- Sarah .B.Pomeroy , et al , a brief history of ancient greece , politic , society , and culture , oxford university press , New York , 2004.
- 71- Edmonde Solberger , Jean Robert Kupper , inscription royales sumériennes et akkadiens , édition du cerf , Paris , 1971.
- 72- Sir William Ridgeway , the early age of the greece, Londres , V2, Cambridge university press , 1931, N :8 .
- 73- Vorstesalij, P.P., and Kolbus, S., Review of Proto – Dynastic développement in Babylonia, Mesopotamia, Vol XX, 1985.

الموسوعات والدوريات :

- 1- إبراهيم محمد فؤاد ، المعرفة ، مج 5 ، مؤسسة خليفة للطباعة ، لبنان ، 1983 .
- 2- أديب سمير ، موسوعة الحضارة المصرية القديمة ، ط1 ، دار العربي ، العراق ، 2000 .
- 3- الأحمد سامي سعيد ، المعتقدات الدينية في العراق القديم "سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة" ، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1988 .
- 4- الحسن عيسى ، موسوعة الحضارات "تاريخ، لغات، أعلام وقيم حضارية، مدن عادات وتقاليد، ط1، دار الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، 2007م.
- 5- السلیمان عبد الله ، رؤية في منهجية الكتابة التاريخية في العصور الكلاسيكية ، آفاق المعرفة ، ع611، 2014 .

- 6- الطعان الرضا حسين وآخرون ، موسوعة الفكر السياسي عبر العصور ، ط1، دار الروافد للنشر والتوزيع ، بيروت ، 2015.
- 7- بيار غريمال وآخرون ، موسوعة تاريخ أوروبا من العصور القديمة وحتى القرن 14م، ج1، تر: أنطوان هاشم ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1955.
- 8- رشيد فوزي ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة ، "القوانين في العراق القديم" ، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد 1988.
- 9- سنيوبوس شارل ، تاريخ حضارات العالم (الحضارة الفرعونية ، الأشوريون ، البابليون ، الفرس ، اليونان ، الرومان) ، تر: محمد كرد علي ، ط1، دار العالمية للكتب والنشر ، الجيزة ، 2012.
- 10- شاكرا محمود ، موسوعة الحضارات وتاريخ الأمم القديمة و الحديثة ، ج1 ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن 2002.
- 11- شاهين علاء الدين عبد المحسن ، موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية "ملامح من حضارات بلاد الشام والجزيرة العربية" "التاريخ القديم" ، مج4 ، ج1، دار الفكر العربي.
- 12- عزبال محمد شفيق ، الموسوعة العربية الميسرة، الدار القومية للطباعة، مصر، 1965م.
- 13- فاضل وهيب أبي ، موسوعة عالم التاريخ والحضارة "حضارات العالم القديم" ، ج8، ط1، دار نوبليس، لبنان، 2003م.
- 14- فاضل وهيب أبي ، الموسوعة الكبرى لتاريخ الشعوب وحضارتها (اليونان) ، ج 5+ج6 ، مركز الشرق الأوسط الثقافي ، ط 1، بيروت ، 2012.
- 15- نارندر جعفري ، عالم المعرفة "المعتقدات الدينية لدى الشعوب" ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، مراجعة عبد الغفار مكاوي، الكويت، 1993.
- 16- نعمة حسين ، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، 1994.
- 17- وساط عبد القادر ، موسوعة المعارف الحديثة - الحضارات 2- ترجمة محمد شكري، منشورات عكاظ، المغرب ، 2001.

-المقالات العربية :

- 1- إبراهيم محمد حمدي ، الحياة الفكرية والثقافية في أثينا ، مجلة عالم الفكر ، ع2 ، مج 38 ، الكويت ، 2009.
- 2- إبراهيم محمد حمدي ، الخصائص المميزة لحضارة الإغريق ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، القاهرة.
- 3- أبو غنيمة خالد ، بواكير القرى الأولى وبداية الاستقرار في بلاد الشام، مجلة الدراسات التاريخية تعني بتاريخ العرب، ع71+72، لجنة كتاب تاريخ العرب، دمشق، 2000.
- 4- أمحدة خالد آدم ، المدن الأيونية من الحكم الليدي إلى الحكم الفارسي ، المجلة الليبية العالمية ، ع22، جامعة بنغازي ، ليبيا ، 2017.
- 5- أكرم شكري ، أسد اريدو ، مجلة سومر ، ع4، ج1، 1948.
- 6- البصري ايلاف سعد علي ، وظيفة الإبلاغ في الرسوم الجدارية العراقية والمصرية القديمة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 2008.
- 7- الجادر وليد ، نتائج تنقيبات الموسم السادس، 1983-1984م، في مدينة سبار (أبو حبة)، من بحوث آثار حوض سد صدام وبحوث أخرى، بغداد، 1987.
- 8- الخالدي فارس عجيل جاسم ، السومريون وحقيقة الفراتيين الأوائل، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية ، مج5، ع 2 ، جامعة ذي قار ، العراق، 2015 .
- 9- الدوري رياض عبد الرحمن ، التقرير النهائي من نتائج أعمال التنقيبات في موقع بسماية، الموسم الأول والثاني ، 1999.
- 10- الشريف أحمد الريفى ، الاسكندر المقدوني (356-323ق.م) ، مجلة سبها (العلوم الإنسانية) ، مج6، ع3، 2007.
- 11- الشعراوي عبد المعطي ، أثينا... المدينة والأسطورة ، مجلة عالم الفكر ، ع2 ، مج 38، الكويت ، 2009.
- 12- الصواني شاه ، صيانة آثار أور في لواء الناصرية ، مجلة سومر ، ج1+2، بغداد، 1961.
- 13- الصواني شاه ، أور ، وزارة الإعلام مديرية الآثار العامة ، بغداد.
- 14- العبادي مصطفى ، اقتصاديات أثينا ، مجلة عالم الفكر ، ع2، مج38 ، الكويت ، 2009.

- 15- العبدان رحيم حميد عبد ثامر ، سحر عبد الله إبراهيم المحارب ، الموقع الجغرافي لمدينتي أور واريديو في ضوء تحديد مجرى نهر الفرات القديم باستخدام نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد ، مجلة كلية التربية ، مج2، ع2 ، بغداد ، 2012.
- 16- المتولي نواله أحمد ، جوخة (أوما) نتائج تنقيبات الموسمين الأولى والثاني 1999-2000، مجلة سومر ، مج 54، بغداد ، 2009.
- 17- المؤيد سعيد ، العمارة من عصر فجر السلالات حتى نهاية العصر البابلي الحديث ، حضارة العراق ، ج3 ، بغداد ، 1985.
- 18- الناصري سيد احمد علي ، الألعاب الاولمبية القديمة ، أشغال الدورة التدريبية لإعداد فريق مصر في الدورة الاولمبية المنعقدة في القاهرة الرياضي ، تحت إشراف وزارة الشباب ، 1972.
- 19- النعيمي راجحة خضر ، أعياد رأس السنة ، مجلة سومر، مج46، ج1+ج2، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1989.
- 20- الهاشمي رضا جو ، دور نهر الفرات في الامتدادات الحضارية لبلاد وادي الرافدين، مجلة مابين النهرين، ع 44، بغداد، 1983.
- 21- الهاشمي رضا جواد ، النظام الكهنوتي في العراق القديم ، مجلة كلية الآداب ، ع14، العراق ، 1972.
- 22- باقر طه ، معابد العراق القديم ، مجلة سومر، مج 3 ، ج 1+2 ، مديرية الآثار العامة ، بغداد، 1947.
- 23- جحا فريد ، مكانة اوغاريت بين المدن في تاريخ الإنسانية ، مجلة الموقف الأدبي ، ع103، سوريا ، 1979.
- 24- حنين قاسم راضي ، التنقيب و التحري الأثري في مدينة أور عام 2001 ، مجلة سومر ، مج58 ، مديرية الآثار، بغداد، 2004/2003.
- 25- خياطة محمد وحيد ، من أور الكلدانية إلى أرض كنعان ، مجلة سومر ، مج 33، ج1، بغداد، 1977.
- 26- دولت خنافر ، المدينة الإغريقية بين الواقع والمثال ، مجلة الفكر العربي ، ، مج4، ع29، معهد الإنماء العربي للعلوم الإنسانية ، لبنان ، 1982.
- 27- سالم سالم يونس عبد الكريم ، الملكية المقدسة في اليونان ، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية ، ع10، جامعة بنغازي ، طرابلس ، 2016.

- 28- سفر فؤاد ، البيئة الطبيعية في العراق ، مجلة سومر ، مج 30 ، ج 1 + 2 ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1974.
- 29- سفر فؤاد ، حفريات مديرية الآثار القديمة العامة في اريدو ، الموسم الثاني "1947-1948م" ، مجلة سومر ، مج 4، ج 2، 1948.
- 30- سفر فؤاد ، حفريات مدينة الآثار العامة في مدينة إريدو ، مجلة سومر ، ع 3، ج 1، 1947.
- 31- سمار سعد عبود ، باسم محمد حبيب طالب ، الأحوال السياسية لأوما من العصر الاكدي حتى نهاية سلالة أور الثالثة ، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ، ع 36، العراق ، 2011.
- 32- سمار سعد عبود ، خلود حبيب كريم ، دويلة المدينة اليونانية (نشأتها وتطورها) اسبرطة أنموذجا ، مجلة كلية التربية ، ع 28، العراق ، 1994.
- 33- سمار سعد عبود ، عامر ناجي حسين ، مجالس المدن في العراق القديم (3000-1000 ق.م) "التأسيس والمهام" ، مجلة كلية التربية ، ع 14، بغداد ، 2013.
- 39- طارق توفيق عماد ، بداية الاستيطان السكاني في جنوب بلاد الرافدين ، دراسة تحليلية ، مجلة دراسات تاريخية ، ع 22، بيت الحكمة ، بغداد ، 2009.
- 40- عبد الحق حسان ، العمارة الملكية في بلاد الرافدين و سورية في المدة الممتدة من نهاية الألف الثالث ق م حتى أواخر الألف الثاني ق م ، مجلة دمشق ، مج 30 ، ع 3 + 4 ، سوريا ، 2014.
- 41- عبد الرحيم محمد صبري ، التنقيبات في موقع شميت موسمي 2001-2002، مجلة سومر ، مج 52، 2004.
- 42- عبد الغني محمد السيد محمد ، السياسة الأثينية في القرن الخامس قبل الميلاد بين الازدهار والانكسار ، مجلة عالم الفكر ، ع 2، مج 38 ، الكويت 2009.
- 43- عبد الله عبد الكريم ، ألقاب حكام السلالات ، مجلة كلية الآداب ، بغداد ، 1978.
- 44- عبد الله عبد الكريم ، ملامح الوجود السامي في جنوب العراق، مجلة سومر، مج 30، ج 1+2، بغداد ، 1974.
- 45- عجليل رجاء كاظم ، الديانة في بلاد اليونان ، مجلة آداب ذي قار ، مج 2 ، ع 5، كلية التربية ، 2012.
- 46- علي فاضل عبد الواحد ، المعبد و الزقورة اثنتان من ابرز السمات المعمارية في المدينة العراقية ، جامعة بغداد
- 47- علي فاضل عبد الواحد ، ثم جاء الطوفان - مجلة سومر- مج 31 ، ج 1+ج 2، بغداد، 1975.

- 48- عواد كوركيس ، "أثار العراق في نظر الكتاب العرب الأقدمين"، مجلة سومر ، ج1، م 15، دائرة الآثار والتراث، بغداد، 1949.
- 49- لامبرت موريس ، التاريخ السومري، مجلة سومر، مج9، ج1، دائرة الآثار والتراث، بغداد، 1953.
- 50- لامبرت موريس ، عصر ما قبل سرجون، تر: فرج بصره جي، مجلة سومر، مج8 ، ج1، مديرية الآثار العامة، بغداد، 1952.
- 51- مرعي عيد ، ملاحظات عن الكتابة المسمارية في إبلا ، مجلة الدراسات التاريخية تعنى بتاريخ العرب، ع 55+56، تصدر عن لجنة كتابة تاريخ العرب، دمشق ، 1996.
- 52- ميرز ، ح ، ل ، المنيويون والميسينيون ، تر: إبراهيم خورشيد ، إشراف جون هامرتن ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.
- 53- نادر البير نصري ، المدينة الكلاسيكية مدن اليونان والرومان ، مجلة الفكر العربي ، ع 29 ، معهد الإنماء العربي للعلوم الإنسانية ، 1982.
- 54- ياسين غسان طه ، الإنسان والبيئة النهريّة وأثرهما في نشوء الحضارة العراقية القديمة "ندوة الإنسان والبيئة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الأثرية " ، مؤسسة عبد الرحمان السديري الخيرية ، السعودية ، 2013..
- 55- يحي لطفى عبد الوهاب ، الحياة الاجتماعية في أثينا القديمة ، مجلة عالم الفكر ، ع2 ، مج 38 ، الكويت ، 2009.

-المقالات باللغة الأجنبية :

- 1- Bank, E.G., Bismaya, Or the lost city of Adba, New York, 1912.
- 2- Bérard Jean , l'expansion et la colonisation grecques jusqu' aux guerres médiques ,Aubier , paris , 1960 .
- 3- Claude Mossé , la tyrannie dans la Grèce antique , paris , 1970.
- 4- Droysen (Johan Gustav) ,Pierre Salmon , Geschichte des hellenismus , revue belge de philologie et d'histoire , creative commons , T 78 , 2000
- 5- Frankfort H, the Art and architecture of the ancient orient , London , 1977
- 6- Frayne .D.R, Presargonic period « 2700-2350 B.C » ,from the 21st Century BC to 21st Centry : the present and future of Neo-Sumeriens studies , Madrid , July , 2010
- 7- Genuoillacv, H., Fouilles de Telloh, T 1, Paris, 1934.
- 8- Hallo William , William Kelly Simpson, The Ancient Near East A History, America, 1971.

- 9 Halloran, J. A., Sumerian Lexicon , Los angeles, U.S.A, 2006 .
- 10- Harris, R., Gender and Aging in Mesopotamia, University of Oklahoma press, 2003.
- 11- Kramer Samuel Noah, from the tables of sumer, V 34, Syria, 1957, N3.
- 12- Lambert ;W.G. Lambert , the names of Umma author (s) : V 49 , N1 , 1990.
- 13- Leonard Woolley , Excavation of Ur ,The Ziggurat and its Surroundigs ,V 5, New york , , 1939.
- 14- Leonard Woolley , Ur Excavation the Royal cenetry , V 2, New York , 1934.
- 15- Mossé Claude , armée et cité grecque (a propos Thucydide , VII, 77-4-5), in revue des études anciennes, créativecommons , T 65 , 1963, N : 3-4.
- 16- Mossé Claude , Comment s'élabore un mythe politique :Solon," père fondateur "de la démocratie athénienne , Cambridge University Press, 2018.
- 17- Mossé Claude , Pierre Salmon , la fin de la démocratie athénienne « l'antiquité classique) , T 32, créative commons , 1963.
- 18- Ortimerlinforth Ivanm , Solon the Athenian , university of California press , Berkeley , 1919.
- 19- P.Léveque ,P.Vidale-Naquet , Clithène l'athène in l'antiquité classique ,T33,Paris.
- 20- Pioter Stenkeller , city and countrysibe in third muillenniuw southern bablonia,Haruard University .
- 21- Sollberge, E. Le, System Verbal Dans les Inscription, “Royals” Presargoniques de Lagaš, Geneve, 1952.
- 22- Urebi Haider A . , Um al –Aqarib 1999-2000 : excavation an Early sumerian city , kukuthikan , Jaban , 2008 .
- 23- Will Edouard, Mossé Claude , le monde grec et l'orient , le IVème siècle , paris

-الرسائل الجامعية :

- 1- الحاسي عطية ابريك مؤمن ، كريت ودورها في تاريخ البحر المتوسط من بداية الألف الثالثة قبل الميلاد إلى نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم ، تحت إشراف عبد السلام محمد شلوف ، كلية الآداب ، بنغازي ، 2012/2011.
- 2- الراوي هالة عبد الكريم سليمان كرموش ، ألواح تذكارية في العراق القديم من الألف الثالثة قبل الميلاد ، دراسة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم ، تحت اشراف أحلام سعد الله الطالبي ، جامعة الموصل ، العراق ، 2012 ، ص 138.

- 3- العكيلى رجاء كاظم عجيل ، سلالة لجش الأولى (2550-2370ق.م) والثانية (2250ق.م-2114ق.م) ، دراسة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم ، تحت إشراف الأستاذ أحمد مالك الفتیان ، بغداد ، 2006.
- 4- المتولي نواله أحمد محمود ، مدخل في دراسة الحياة الاقتصادية في أور الثالثة في ضوء الوثائق المسمارية المنشورة والغير المنشورة ، أطروحة دكتوراه ، غير منشورة جامعة بغداد ، 1994.
- 5- أمين سعد عمر محمد ، القرابين والندور في العراق القديم ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة الموصل ، 2005.
- 6- حازم حسين يوسف ، اقتصاد القرى الزراعية خلال العصرين الحجريين الحديث والمعدني في العراق القديم ، مذكرة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، 2006.
- 7- حبيب باسم محمد ، أوما من عصر فجر السلالات السومرية حتى نهاية العصر البابلي القديم "3000-1595ق.م" ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم ، تحت إشراف الأستاذ الدكتور: سعد عبود سمار ، جامعة واسط / بغداد ، 2011.
- 8- سالم خولة معارج خليل ، مدن على نهر الايتورونكال في عهود السيطرة الأجنبية للبلاد من 539ق.م-638م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم ، كلية الآداب ، بغداد ، 2007.
- 9- سعدون عبد الهادي الأمير ، الأزمات السياسية الداخلية في العراق القديم (3000-539ق.م) ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم ، تحت إشراف الأستاذ طالب منعم حبيب الشمري ، جامعة واسط ، 2005.
- 10- محمد هيفاء أحمد عبد الحاج ، ألقاب حكام وملوك العراق ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار القديمة ، تحت إشراف الأستاذ عامر سليمان ، جامعة الموصل ، 2007.
- 11- مسعي عبد الحق ، الاستيطان الإغريقي في جنوب ايطاليا وصقلية بين القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة الجزائر 2 ، 2007/2006 م .
- 12- مناصر كريم ، دور المسرح في بلاد الإغريق ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم ، تحت إشراف شارن شافية ، الجزائر ، 2008/2007 .
- 13- موسى مريم عمران ، الفكر الديني عند السومريين في ضوء المصادر السومرية ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، إشراف فاضل عبد الواحد علي ، جامعة بغداد ، 1996.

-القواميس و المعاجم :

- 1- ابن منظور، لسان العرب المحيط، قدمه العلامة الشيخ عبد الله العلايلي، أعاد بناءه يوسف خياط، مج 4، دار الجيل، بيروت، 1988م.
- 2- بيير ديفانييه وآخرون ، معجم الحضارة اليونانية القديمة ، تر: أحمد عبد الباسط حسن ، مرا: فايز يوسف محمد ، ج1، ط1، المركز القومي للترجمة ،القاهرة ، 2014.
- 3- بيير ديفانييه وآخرون ، معجم الحضارة اليونانية القديمة ، تر: أحمد عبد الباسط حسن ، مرا: فايز يوسف محمد ، ج2، ط1، المركز القومي للترجمة ،القاهرة ، 2014.
- 4- حرب طلال ، معجم أعلام الأساطير والخرافات، دار الكتب العلمية ،بيروت ، 1999.
- 5- رينيه لابات ، قاموس العلامات المسمارية ، تر: ألبيير أبونا ، وليد الجادر ، خالد سالم إسماعيل ، مراجعة وإشراف عامر سليمان ، بغداد ، 2004.
- 6- عامر سليمان وآخرون ، المعجم الاكدي ، ج1، بغداد ، 1999.
- 7- قاموس مرشد الطلاب الجديد "المصور" ،عربي-عربي، منشورات المرشد الجزائرية ،الجزائر ،2009.
- 8- Pierre Marchand , grand larousse junior (l'Egypte, la Greece ,et la Rome) , larousse Gallimard , London .
- 9- Black, J, and Others, A Concise Dictionary of Akkadian, CDA, Wiesbaden, 1999 / 2000.
- 10- Pièrre Lavedan , dictionnaire , illustre de la mythologie et des antiquités grecques et libraire Hachette, paris , 1931.

قائمة الفهارس

الصفحة	الملحق
33	-الملحق رقم 1: الأواني الفخارية في منطقة حسونة
35	-الملحق رقم 2 : الرسوم الزخرفية التي ظهرت على الأواني الفخارية في موقع حلف
41	-الملحق رقم 3 : أدوات حجرية تعود لمواقع تل حسونة ، حلف ، تل العبيد
43	-الملحق رقم 4: نموذج تصميمي للمعبد الأبيض
50	-الملحق رقم 5: خريطة توضح الموقع الجغرافي لبلاد الرافدين
63	-الملحق رقم 6: خريطة توضح الأقاليم التضاريسية في بلاد الرافدين
68	-الملحق رقم 7 : المظهر الخارجي للسومريين القدامى
79	-الملحق رقم 8: يمثل المخطط الذي يوضح أصل السومريين الوافدين إلى بلاد الرافدين
91	-الملحق رقم 9: خريطة توضح التضاريس الطبيعية في بلاد الإغريق
122	-الملحق رقم 10 : خريطة توضح مسار القبائل السكانية التي استوطنت بلاد الإغريق منذ الألف الثانية قبل الميلاد
124	-الملحق رقم 11 : توضح شجرة النسب الأسطورية للشعوب الإغريقية حسب أسطورة الطوفان حسب المعتقدات الإغريقية
128	-الملحق رقم 12: خريطة توضح أهم مراكز الحضارة المينوية في جزيرة كريت
129	-الملحق رقم 13 : يمثل المخطط القديم قصر ماليا
129	-الملحق رقم 14 : يمثل المخطط القديم قصر فايتوس.
130	-الملحق رقم 15 : يمثل مخطط قصر كنوسوس في حوالي 1400 ق.م
131	-الملحق رقم 16 : الهندسة المعمارية لقصر كنوسوس حسب تصور الفنانين.
132	-الملحق رقم 17 : الهندسة المعمارية لقصر ماليا في الجهة الشمالية الغربية في جزيرة كريت.
134	-الملحق رقم 18 : إحدى مشاهد الإفرسك (Fresco) يصور حملة بحرية للمينويين .
134	-الملحق رقم 19: مشهد لإحدى الزخارف التي وجدت في قصر كنوسوس (Fresco)
136	-الملحق رقم 20: خريطة الامتداد الجغرافي للحضارة الميكانية في بلاد الإغريق.
137	-الملحق رقم 21 : الخط من نوع " Linéaire B " السائد في الحضارة الميكانية.
138	-الملحق رقم 22: بعض الأدوات التي تعود إلى الحضارة الميكانية (الميسينية)
139	-الملحق رقم 23 : تمثل أهم القلاع الميكانية في العصر البرونزي.
165	-الملحق رقم 24: خريطة توضح أهم المدن السومرية المشيدة في بلاد الرافدين.
166	-الملحق رقم 25 : نموذج لمدينة سومرية قديمة ، تحيط بها جدران دفاعية عالية وبداخلها (القصر ،

	الزاقورة ، المراكز التجارية... الخ
174	-الملحق رقم 26 : يوضح مخطط الاكروبوليس الأثيني في القرن الخامس قبل الميلاد-.
175	-الملحق رقم 27 :يمثل أكروبوليس مدينة أثينا (مركز المدينة)
176	-الملحق رقم 28: المخطط الاحورا في مدينة أثينا في حوالي القرن 5ق.م
206	-الملحق رقم 29: القوائم الملكية السومرية.
212	-الملحق رقم 30: يمثل ساري (راية) أور بالواجهتين الأولى والثانية.
215	-الملحق رقم 31 : الملك أورنانشة وأولاده.
291	-الملحق رقم 32 : المخطط القدم لمدينة أور.
293	-الملحق رقم 33 : يمثل منازل مدينة أور.
294	-الملحق رقم 34 : يمثل زاقورة مدينة أور.
296	-الملحق رقم 35 : يمثل المخطط العام لمدينة أور .
297	-الملحق رقم 36 : بقايا المقبرة الملكية في أور.
302	-الملحق رقم 37: يوضح معبد إيريدو.
308	-الملحق رقم 38: يمثل قصر مدينة كيش.
351	-الملحق رقم 39 :معبد الباثيون المتواجد في مدينة أثينا -الأكثر شهرة بين جميع المعابد اليونانية
390	-الملحق رقم 40 : صورة تمثل شخصية صولون -أحد أهم رجال المدينة الأثينية في القرن 6ق.م.
420	-الملحق رقم 41 : يمثل صورة شخصية بركليس.
436	-الملحق رقم 42 :مخلفات مدينة ميسينا اليونانية التي غزتها اسبرطة في حدود القرن 8ق.م.
442	-الملحق رقم 43: الطبقات الاجتماعية في اسبرطة في النصف الثاني من القرن 5ق.م.
465	-الملحق رقم 44 : يمثل مخطط يوضح مدينة لجش القديمة.
474	-الملحق رقم 45 : شعار مدينة لجش في الحروب -رمز القوة والجبروت.
475	-الملحق رقم 46: يمثل راية النسور (مسلة العقبان).
509	-الملحق رقم 47 : خريطة توضح الأحلاف السياسية و العسكرية في بلاد الإغريق منذ أواخر القرن 5ق.م.
522	-الملحق رقم 48:لوحة مزهرية تصور سفينة حربية أثناء حروب البولوبونيز.
528	-الملحق رقم 49:خريطة تمثل مراحل الحروب البولوبونيزية (431ق.م/ 404ق.م).

1- الأماكن :

- ❖ إتيكا : 95، 96، 98، 100، 103، 105، 106، 120، 124، 125، 127، 155، 179، 186، 281، 271، 260، 250، 249، 363، 364، 365، 366، 367، 370، 371، 369، 368، 374، 375، 416، 424، 417، 430، 427، 447، 435، 537، 545.
- ❖ أثينا: 87، 103، 105، 111، 124، 127، 146، 148، 149، 156، 167، 168، 170، 181، 185، 186، 158، 251، 249، 244، 241، 233، 267، 265، 264، 261، 274، 273، 268، 275، 361، 364، 362، 365، 366، 367، 372، 371، 370، 368، 375، 374، 377، 376، 379، 383، 385، 387، 388، 394، 393، 390، 403، 402، 400، 397، 405، 407، 424، 418، 416، 408، 430، 428، 427، 433، 431، 434، 439، 440، 441، 447، 453، 454، 455، 456، 457، 458، 460، 461، 466، 467، 472، 479، 465، 480، 533، 531، 530، 536، 535، 534، 541، 540، 539، 538، 537، 547، 546، 542، 560، 555، 553، 552، 549، 574، 581، 591، 590، 585، 582.
- ❖ آداب: 171، 199، 335، 322، 491، 502، 513.
- ❖ أرييل: 27، 28، 63.
- ❖ أرجوس : 142، 156، 250، 280، 257، 367، 478، 539، 549، 576.
- ❖ أرجوليس: 99، 98، 113، 125، 455.
- ❖ أركاديا : 95، 98، 99، 101، 250، 581.
- ❖ أرمينيا : 57، 58، 80.
- ❖ الأريحية: 35، 38.
- ❖ أريدو: 42، 54، 59، 75، 76، 164، 171، 174، 177، 191، 194، 204، 206، 205، 284، 290، 299، 312، 311، 310، 316، 315، 314، 313، 479، 474.
- ❖ أزمير : 124، 128.
- ❖ اسبانيا : 146.
- ❖ اسبرطة : 98، 125، 148، 149، 156، 168، 167، 211، 241، 280، 268، 264، 249، 247، 244، 284، 366، 385، 461، 460، 458، 457، 456، 455، 454، 453، 441، 440، 439، 465، 464، 466، 467، 471، 470، 469، 468، 472، 473، 533، 523، 536، 535، 534، 541، 539، 538، 537، 547، 546، 545، 542، 553، 551، 560، 554، 574، 577، 578، 590، 585، 591.
- ❖ الاسكندرية: 151.
- ❖ آسيا: 52، 57، 77، 88، 91، 94، 95، 105، 106، 107، 110، 118، 117، 120، 119، 130، 128، 127، 125، 124، 131، 153، 185، 236، 243، 260، 259، 257، 251، 246، 245، 261، 293، 287، 286، 262، 366، 368، 458، 442، 474، 531، 535.
- ❖ أشور: 52، 53، 56، 57.
- ❖ إفريقية: 52، 108، 94، 153، 287، 245.
- ❖ أفسوس : 124، 273.

- ❖ أفغانستان: 78.
- ❖ أكد: 54، 53، 56، 67، 68.
- ❖ أكشاك : 171، 322، 503.
- ❖ ألبانيا: 99.
- ❖ إلبديا: 98.
- ❖ إلبريا : 97، 126، 125.
- ❖ إلبس: 88، 125.
- ❖ ألبوسيس: 273، 365، 366، 431.
- ❖ أمربكا: 60.
- ❖ الأناضول : 35، 41، 58، 75، 92، 87، 131، 146.
- ❖ أندروس: 444.
- ❖ أندروس، 110.
- ❖ أور: 40، 48، 50، 54، 59، 68، 76، 77، 79، 161، 164، 165، 171، 174، 177، 199، 201، 209، 220، 221، 222، 225، 226، 235، 299، 308، 305، 304، 302، 301، 300، 309، 310، 316، 326، 337، 335، 330، 338، 479، 502، 513.
- ❖ أوروبا : 52، 60، 77، 87، 94، 106، 107، 116، 117، 119، 153، 245.
- ❖ أولمبيا : 97، 98، 99، 144، 185، 233.
- ❖ أوما : 165، 159، 171، 193، 214، 213، 222، 224، 225، 227، 226، 228، 318، 320، 335، 337، 340، 345، 494، 493، 492، 491، 490، 488، 484، 498، 496، 495، 500، 499، 503، 502، 506، 505، 507، 510، 508، 512.
- ❖ إلبروس: 87، 97، 100، 98، 113، 280، 538، 585.
- ❖ إلبريا : 108، 95.
- ❖ إلبينا: 366، 417، 542.
- ❖ إلبان: 41، 56، 52، 60، 62، 74، 75، 78، 79، 80، 81، 82، 117، 216، 219، 305.
- ❖ إلبسن : 59، 171، 213، 324، 329، 487.
- ❖ إلباليا : 108، 94، 115، 109، 118، 146، 293، 287، 286، 265، 257، 242، 444، 474.
- ❖ 543، 542، 541.
- ❖ بابل: 52، 53، 54، 56، 68، 150، 235، 317.
- ❖ بادتبيرا: 205، 206.
- ❖ باروس: 92.
- ❖ بانتاناسا : 87.
- ❖ البحرين: 79، 80، 224.
- ❖ البصرة : 44، 58، 59، 300.

- ❖ بغداد: 44، 56، 58، 67، 301
- ❖ بلاد الرافدين : 24، 39، 40، 55، 61، 66، 68، 69، 70، 71، 73، 74، 77، 78، 79، 80، 82، 83، 84، 88، 89، 163، 160، 175، 178، 189، 199، 229، 293، 301، 304، 318، 330، 331، 495، 487، 490، 494، 499.
- ❖ بلاد النهرين : 24، 29، 40، 52، 53، 54، 55، 67، 75، 76، 198، 216، 235، 318، 325.
- ❖ بلغاريا: 99.
- ❖ البلقان: 95، 117، 118، 119.
- ❖ بلوخرستان : 79.
- ❖ بلوخرستان: 78.
- ❖ البولوبونيز: 87، 88، 95، 96، 97، 98، 99، 105، 112، 113، 120، 121، 124، 125، 127، 130، 147، 149، 154، 167، 179، 243، 250، 252، 260، 244، 366، 367، 424، 453، 458، 455، 454، 471، 532، 531، 530، 533، 536، 535، 542، 541، 538، 549، 573، 582.
- ❖ بيلوس: 235.
- ❖ بيلوس : 120، 146، 368، 547.
- ❖ بيوتيا: 95، 87، 97، 98، 241، 243، 250، 247، 366، 534، 580، 576، 581.
- ❖ تراقيا : 90، 99، 444، 523، 585، 584.
- ❖ تركيا: 57، 58، 62.
- ❖ تكريت: 65.
- ❖ تيرنز: 120، 122، 121، 146.
- ❖ ثاسوس: 104، 584.
- ❖ ثيرا: 92، 127، 478.
- ❖ جمجمال: 26، 31، 33، 50.
- ❖ حلب: 37، 53.
- ❖ خيوس : 104، 430، 552، 587، 584.
- ❖ دييلوس: 93، 100، 106، 110، 149، 248، 243، 431، 443، 442، 533، 536، 539، 538، 547، 541، 560، 588، 582.
- ❖ الرمادي: 65.
- ❖ رودس: 110، 127، 186، 250، 587، 584.
- ❖ زاكيشوس : 88.
- ❖ سارونيك: 96، 94، 255، 250، 366.
- ❖ سامراء : 58، 61، 75.
- ❖ ساموس : 273، 261، 554، 555، 588.
- ❖ سكيروس: 88.

- ❖ سليسيا:52.
- ❖ السليمانية:50.
- ❖ السماوة: 44،491.
- ❖ سوريا : 36، 52،57،58، 110،62، 366،251.
- ❖ سوسة :79.
- ❖ سوفلي:90.
- ❖ سومر:51، 52، 53، 54، 56، 66،61، 67، 68،69، 78، 153،155،154، 163،160، 188،195،
201،196،209،219،285،288،287،301،299،311،320،318،325،340،350، 357،473،475،
494،486،484،479،499،501،512.
- ❖ سيار: 175،205، 322،206.
- ❖ سيراكوزا: 535،551،550، 581،552.
- ❖ سيكيون: 435،542.
- ❖ سيلاميس: 251،541،588.
- ❖ شروباك: 205،206، 335.
- ❖ صقلية: 94،108،109،286،265،257،242،293،287،474،543،542،541،549، 560.
- ❖ طرابلس:58.
- ❖ طيبة: 96،146، 148،149،150،168،181،562،577،574،563،581،580،590، 591.
- ❖ عدن :41.
- ❖ العراق : 24، 30،32، 33، 37، 38، 39، 40، 41، 52، 54،55، 56،57، 59،60، 61، 62، 63، 64،
66،65، 67، 68،78،80، 81، 83،153، 155،154،162، 163، 307،302، 310، 312.
- ❖ العقير: 42، 47، 48،301.
- ❖ عمان :79، 80.
- ❖ عيلام :67، 79، 81،215،225، 226،305،322،488، 503.
- ❖ فارس:52.
- ❖ فرنسا: 26، 27،401.
- ❖ فلسطين :52.
- ❖ فوكايا: 261.
- ❖ فوكيس :98.
- ❖ فينيقيا :52،146،160.
- ❖ قبرص : 245،366،430.
- ❖ كردستان : 80.
- ❖ كركوك:29، 33،31،48، 50، 63.
- ❖ كريت: 90، 92، 93، 110، 130،127، 130، 148،154، 186،274،251،250،245، 280،366.

- ❖ كوركيرا: 588,541,542, 538,540,245,118.
- ❖ كورنثة: 260,255, 247,249,250,181,168,155, 146,126,118, 106, 94,97,99,100, 563,574,576, 562,538,540,542,536,537,531,428,430,264, الكوفة:300.
- ❖ كومي: 128, 115.
- ❖ كيش:48, 171,164,50, 179, 191,194,193,198,206, 213, 215,214,216,219, 334,322,327,321,316,317,318,319,310,299,308,284,285,290,227,224,223,220, 512,502,499,495,496,474,484,354,355,352,353,340.
- ❖ كيفاللينيا: 88.
- ❖ لارسا: 59, 213,171, 513,323,225.
- ❖ لبنان: 57.
- ❖ لجش: 223, 222, 220,213,214,210,211,199,201,192,193,177,171,165,164,59, 344, 340,342,339,321,322,325,335,336,320,318,310,312,228,226,227,225,224, 499,500,495,496,498,494,493,479,484,485,486,487,488,489,490,491,492,345, 507,508,510,512,505,506,502,503.
- ❖ ليبيا: 257,265,108.
- ❖ ليسبوس: 584,552,547,104.
- ❖ مصر:52, 56, 88,106, 108, 110, 146,150,251,246,366,401.
- ❖ مقدونيا: 90, 91, 97, 98, 99,125, 149, 150,151,585, 590.
- ❖ الموصل: 31, 34, 38,50, 57.
- ❖ ميتيلوس: 261,185,148.
- ❖ ميجارا: 98, 125,263,395, 542,543,545,396.
- ❖ ميسينا(موكيناى): 93, 99,95,121,143,140,130,125, 144, 146, 154,257,367, 368, 581,547,463,464,469,455,456,458,459, ميلوس: 88,92, 127,184,549,560.
- ❖ مينوس:261.
- ❖ ناخوس: 584,110.
- ❖ الناصرية: 44,301,487.
- ❖ ناكسوس: 538,251.
- ❖ نفر(نيبور): 68,164,171,178,191, 194, 216, 220,221,225,308,299,311,312, 513,502,473,339,321,324, نينوى:36,48,57,52.
- ❖ الهند: 78,79,80.

- ❖ موقع أسكي :26.
- ❖ موقع بردة بلكة : 26،50.
- ❖ موقع كريم شاهر:29، 30، 50.
- ❖ موقع ملعقات :31.
- ❖ موهنجدارا :79.
- ❖ هزار مرد: 27،50.
- 3/ الأنهار والأودية
- ❖ الباليخ : 55.
- ❖ بحيرة أورمية :53.
- ❖ نهر أخيلوس :101،155.
- ❖ نهر إفيوس: 101،155.
- ❖ نهر الخابور: 33، 36، 55.
- ❖ نهر الخازر:31.
- ❖ نهر الدانوب ، 146.
- ❖ نهر الدجلة :54، 55، 56،57، 58، 59، 60، 61، 62،63، 65، 69، 74، 75 ، 78،82،154، 155،222، 288،304،311،323،340،344، 348،489،506،513.
- ❖ نهر الدورون : 27.
- ❖ نهر الزاب الصغير : 57، 63.
- ❖ نهر الزاب الكبير : 26،28، 50،57، 63.
- ❖ نهر الفرات :52، 54، 55،56، 57،58 ، 59، 60، 61، 62،64، 65 ، 69،74،78،82،154، 222، 288،301،304،306،307،311،317،340،348،489،513.
- ❖ نهر ألفيوس: 101،155،252.
- ❖ نهر الكارون:60.
- ❖ نهر أورتاس: 98،454،455.
- ❖ نهر بنيوس : 101،155،252.
- ❖ نهر خيلميند: 309.
- ❖ نهر ديابلي : 58، 63.
- ❖ نهر كيفيسوس: 367.
- ❖ النيل:56.
- ❖ وادي سنكه سر: 61.
- ❖ وان /فان :39، 57، 58.
- 4/ المحيطات والخلجان :
- ❖ الخليج العربي:39، 52، 53، 60،65، 67، 69، 73 ، 79،301،307.

❖ المحيط الهندي:39.

5/البحار والبحيرات :

❖ بحر الإدرياتيكي : 94 ، 108،252،541.

❖ البحر الأسود: 91، 108،105، 117،154، 266،257،242،401،430،513.

❖ البحر الإيحي:88، 93، 94، 96، 98، 99، 106، 107، 108، 109، 110،118،117، 120، 131،130،128،146،147،153،155، 262،260،259،252،251،245،236،442،

❖ البحر الأيوني: 105،94، 108، 109،153،155.

❖ البحر المتوسط:93، 94، 105، 106، 108،111، 118،128،146، 147،153، 155، 219، 234،242، 243،245، 255، 266،361،401،424، 430.

❖ بحر قزوين : 82، 150،119.

❖ بحيرة الجنانية :59.

❖ بحيرة كوبايس:88.

❖ بحيرة هازارغول : 57.

❖ بحيرة همون: 309.

6/الجبال :

❖ أرمينيا:52.

❖ الألب:245.

❖ أونريس: 96.

❖ بارناس: 96،97، 99، 365.

❖ البرانس : 245.

❖ برناند: 27.

❖ بنتليكوس: 363،365.

❖ بندوس: 100،99،155.

❖ تاجيتوس : 455.

❖ جرانيه :100، 155.

❖ رالوب : 99.

❖ زاجروس :28، 57،52، 63، 80،219 .

❖ كثيرون: 96،365،368.

❖ كراته : 100، 155.

❖ كردستان:52، 80.

❖ لوريون:96،155،365،393.

❖ ميكالي : 261.

❖ هيلكون: 100، 155.

❖ هيميتوس: 363.

❖ هيناليت: 96.

7/ السهول :

❖ تساليا: 87، 88، 90، 95، 97، 98، 100، 101، 118، 112، 121، 120، 125، 126، 147، 154،
580، 539، 385، 368، 252.

❖ سنجار : 27.

❖ السند : 79، 80، 150.

❖ شهرزور : 63.

❖ لاكونيا : 95، 98، 99، 125، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152، 153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163، 164، 165، 166، 167، 168، 169، 170، 171، 172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 181، 182، 183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 191، 192، 193، 194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 204، 205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215، 216، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 223، 224، 225، 226، 227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 235، 236، 237، 238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248، 249، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258، 259، 260، 261، 262، 263، 264، 265، 266، 267، 268، 269، 270، 271، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280، 281، 282، 283، 284، 285، 286، 287، 288، 289، 290، 291، 292، 293، 294، 295، 296، 297، 298، 299، 300، 301، 302، 303، 304، 305، 306، 307، 308، 309، 310، 311، 312، 313، 314، 315، 316، 317، 318، 319، 320، 321، 322، 323، 324، 325، 326، 327، 328، 329، 330، 331، 332، 333، 334، 335، 336، 337، 338، 339، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347، 348، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357، 358، 359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 366، 367، 368، 369، 370، 371، 372، 373، 374، 375، 376، 377، 378، 379، 380، 381، 382، 383، 384، 385، 386، 387، 388، 389، 390، 391، 392، 393، 394، 395، 396، 397، 398، 399، 400، 401، 402، 403، 404، 405، 406، 407، 408، 409، 410، 411، 412، 413، 414، 415، 416، 417، 418، 419، 420، 421، 422، 423، 424، 425، 426، 427، 428، 429، 430، 431، 432، 433، 434، 435، 436، 437، 438، 439، 440، 441، 442، 443، 444، 445، 446، 447، 448، 449، 450، 451، 452، 453، 454، 455، 456، 457، 458، 459، 460، 461، 462، 463، 464، 465، 466، 467، 468، 469، 470، 471، 472، 473، 474، 475، 476، 477، 478، 479، 480، 481، 482، 483، 484، 485، 486، 487، 488، 489، 490، 491، 492، 493، 494، 495، 496، 497، 498، 499، 500، 501، 502، 503، 504، 505، 506، 507، 508، 509، 510، 511، 512، 513، 514، 515، 516، 517، 518، 519، 520، 521، 522، 523، 524، 525، 526، 527، 528، 529، 530، 531، 532، 533، 534، 535، 536، 537، 538، 539، 540، 541، 542، 543، 544، 545، 546، 547، 548، 549، 550، 551، 552، 553، 554، 555، 556، 557، 558، 559، 560، 561، 562، 563، 564، 565، 566، 567، 568، 569، 570، 571، 572، 573، 574، 575، 576، 577، 578، 579، 580، 581، 582، 583، 584، 585، 586، 587، 588، 589، 590، 591، 592، 593، 594، 595، 596، 597، 598، 599، 600، 601، 602، 603، 604، 605، 606، 607، 608، 609، 610، 611، 612، 613، 614، 615، 616، 617، 618، 619، 620، 621، 622، 623، 624، 625، 626، 627، 628، 629، 630، 631، 632، 633، 634، 635، 636، 637، 638، 639، 640، 641، 642، 643، 644، 645، 646، 647، 648، 649، 650، 651، 652، 653، 654، 655، 656، 657، 658، 659، 660، 661، 662، 663، 664، 665، 666، 667، 668، 669، 670، 671، 672، 673، 674، 675، 676، 677، 678، 679، 680، 681، 682، 683، 684، 685، 686، 687، 688، 689، 690، 691، 692، 693، 694، 695، 696، 697، 698، 699، 700، 701، 702، 703، 704، 705، 706، 707، 708، 709، 710، 711، 712، 713، 714، 715، 716، 717، 718، 719، 720، 721، 722، 723، 724، 725، 726، 727، 728، 729، 730، 731، 732، 733، 734، 735، 736، 737، 738، 739، 740، 741، 742، 743، 744، 745، 746، 747، 748، 749، 750، 751، 752، 753، 754، 755، 756، 757، 758، 759، 760، 761، 762، 763، 764، 765، 766، 767، 768، 769، 770، 771، 772، 773، 774، 775، 776، 777، 778، 779، 780، 781، 782، 783، 784، 785، 786، 787، 788، 789، 790، 791، 792، 793، 794، 795، 796، 797، 798، 799، 800، 801، 802، 803، 804، 805، 806، 807، 808، 809، 810، 811، 812، 813، 814، 815، 816، 817، 818، 819، 820، 821، 822، 823، 824، 825، 826، 827، 828، 829، 830، 831، 832، 833، 834، 835، 836، 837، 838، 839، 840، 841، 842، 843، 844، 845، 846، 847، 848، 849، 850، 851، 852، 853، 854، 855، 856، 857، 858، 859، 860، 861، 862، 863، 864، 865، 866، 867، 868، 869، 870، 871، 872، 873، 874، 875، 876، 877، 878، 879، 880، 881، 882، 883، 884، 885، 886، 887، 888، 889، 890، 891، 892، 893، 894، 895، 896، 897، 898، 899، 900، 901، 902، 903، 904، 905، 906، 907، 908، 909، 910، 911، 912، 913، 914، 915، 916، 917، 918، 919، 920، 921، 922، 923، 924، 925، 926، 927، 928، 929، 930، 931، 932، 933، 934، 935، 936، 937، 938، 939، 940، 941، 942، 943، 944، 945، 946، 947، 948، 949، 950، 951، 952، 953، 954، 955، 956، 957، 958، 959، 960، 961، 962، 963، 964، 965، 966، 967، 968، 969، 970، 971، 972، 973، 974، 975، 976، 977، 978، 979، 980، 981، 982، 983، 984، 985، 986، 987، 988، 989، 990، 991، 992، 993، 994، 995، 996، 997، 998، 999، 1000.

❖ ماريثون: 90.

❖ مخمور: 63.

8/ الشخصيات والملوك :

❖ أتو جيكال: 487، 68.

❖ آجا: 215، 220، 227، 318، 334، 352، 353، 355، 354.

❖ آجامنون: 119، 145، 166، 280، 240، 373، 377.

❖ أخيل (آخيوس): 119، 113، 120، 124، 129، 166، 240.

❖ الاسكندر المقدوني: 97، 150، 151، 449، 573.

❖ إفيالتيس : 441، 440.

❖ اكسركيس: 276، 236.

❖ اكور كال (أكورجال) : 223، 224، 225، 226، 227.

❖ إلولو: 220، 221، 222، 226.

❖ أوليم : 205.

❖ أمازيس: 409.

❖ ان سيبازي-أنا: 205.

❖ أنتيمينا: 192، 223، 226، 228، 312، 340، 344، 498، 496، 495، 504، 506، 505.

❖ انخيكال / اين جين كال : 222، 496.

❖ إنكيديو: 208.

❖ إنمركار: 81، 219، 301.

❖ انمي باراجسي: 215.

❖ افينجال-أنا : 205.

❖ افينيلو-أنا : 205.

❖ آنسيديا (أني -بادا) : 177، 220، 308.

❖ آنيارزي: 193، 223، 507، 506.

- ❖ أوديسيوس : 382،281،123.
- ❖ اورلوما : 505،503،504،228،227.
- ❖ أورنينا (أورنانشة): 341،338،312 ،224 ،223 ،222،215،190.
- ❖ اوروكاجينا: 156،192،193 ،510،511 ،508،506،488،343،344،229،226،223،211،512.
- ❖ أوش : 499،498 ،496،491،228 ،227.
- ❖ أوكتافيوس : 150.
- ❖ أي أبزو : 227.
- ❖ أياناتوم الأول : 506،503،504،496،488،226،223.
- ❖ أياناتوم الثاني: 506،226 ،223.
- ❖ أياناتوم: 164، ،211،213،222،224،225،226 ،227 475،344،322،327،339،312
- ❖ 509،500،501،502،503،504،499،498،484،488،
- ❖ إيتانا: 327،318 ،217 ،216،215 ،212.
- ❖ ايزاكوراس: 436،439،433.
- ❖ ايلي : 505،506.
- ❖ أينادامو : 227.
- ❖ ايناكلي : 500،503،228 ،227.
- ❖ اينسا كوسانا : 484،68.
- ❖ أيولوس: 129 ،125.
- ❖ أيون : 129،124.
- ❖ بالولو : 225،221،222.
- ❖ بركليس : 534،523، 473،440،441،442،443،444،445 ،439،371،249،265،167، 149
- ❖ 578،560،546،547 ،544،545 ،541،543،535،536،537،
- ❖ بوبو: 227.
- ❖ بيرها ، 129،113.
- ❖ بيزستراتوس: 445 ،435،439،431،432،433،428،430 ،426،427،277 ،104،185،265.
- ❖ تحوتمس الثالث : 137.
- ❖ ثياجنيس: 395.
- ❖ ثيسيوس: 374،375،370،367.
- ❖ جلجامش : 478،354،355 ،353 ،351،352،321،220،208.
- ❖ جلجامش: 334،318 ،219،217،164.
- ❖ حمورابي : 193.
- ❖ داريوس الأول: 433.
- ❖ دراكون: 445،415 ،414،397،398،405.

- ❖ دوروس: 126،129.
- ❖ ديوكاليون: 129،113.
- ❖ سرجون : 514،491،341،161،74.
- ❖ سكريس: 129،124.
- ❖ شولجي: 316،174.
- ❖ صولون : 399،400،402،372،265 ،403 ،406،405 ،407،408 ،409 ،410،411،412 ،413،414 ،415 ،416،417،418 ،419،420،421 ،423 ،424 ،425 ،431،433،426 ،437،445،446،449 ،435،436،434،
- ❖ فيليب المقدوني: 590،591،149،150.
- ❖ قورش: 105.
- ❖ الكبياديس: 560 ،548،549،550،551،552،554،555،556.
- ❖ كش-شاكيدو: 228،227 ،226.
- ❖ كليستينس: 434،436،437،438،439،445،448،433،434.
- ❖ كليومين: 439.
- ❖ كورسار: 222.
- ❖ كيكرويس (سيكرويس): 475،374،372 ،370 ،369 ،368.
- ❖ كيلون: 543،445،396،399،390،395.
- ❖ كيمون : 534،440،441،443.
- ❖ لبت عشتار: 208.
- ❖ لوجال زاجيري: 512،514، 511 ،510،506،484،485،491،340،336 ،330،335،228 ،227،211.
- ❖ لوكال بندا: 506،507 ،343،223 ،219 ،164.
- ❖ لوكال شاكنكر: 223.
- ❖ ليكورجوس: 579،469،472،462،425،426.
- ❖ مس كي أجا ستر: 217.
- ❖ مس كياج: 220.
- ❖ ملتياديس : 441.
- ❖ ميحاكليس: 426،428،396.
- ❖ ميزانيبادا(مس أني -بادا) : 308،221 ،220 ،164.
- ❖ ميسليم : 500،498 ،495،496،497،493،328 ،327،318،320،227 ،223،216،213،164.
- ❖ مينوس : 280.
- ❖ نخاو : 409.
- ❖ نيكياس: 549،550،535.
- ❖ هرقل: 127.

- ❖ مكتور: 373،124.
- ❖ هلن : 113، 114، 120، 129،124.
- ❖ هوميروس : 112،120، 121،166،238، 280،282،277،271،240،373،377،382.
- ❖ هيبارخوس : 432.
- ❖ هيبياس: 433،432،438.
- 9/ الآلهة :
- ❖ أبوللو(ابوللون) : 114، 275،272،271، 280،279،278،466.
- ❖ أثينا : 103، 106، 124،144،273،233،362،368،430.
- ❖ ارتميس : 114،273.
- ❖ آريس : 274.
- ❖ ان كالي: 228.
- ❖ إنانا : 44، 45، 48، 177،207، 219،227،308،342،354،498.
- ❖ إنكي : 79، 177.
- ❖ إنكي: 42، 205، 207، 209،313،312، 315،314،498.
- ❖ انليل :44، 165،164، 178،205،206، 208،207، 209، 210، 213،214، 217،216، 220،226،308،332،330،321،341،340،339،345،488،486،496،498،499،504،502، 513،511.
- ❖ آنو :44، 45،177،204، 205،207،206، 209،208،212،210،320،351،474.
- ❖ أوتو: 343.
- ❖ اورانوس : 280،232.
- ❖ إي -أنا : 44،311،320،342.
- ❖ آيا : 208.
- ❖ اينانات: 211.
- ❖ اينورتا (نجرسو) : 164.
- ❖ باخوس : 104.
- ❖ بوسيدون: 103،144، 280،273،261،233،362.
- ❖ تموز : 177،205،321.
- ❖ دوموزي : 342،219،498.
- ❖ ديميتير: 102،277،273،431،550.
- ❖ ديونيسوس : 104، 114، 187،271،377.
- ❖ رهيا :233.
- ❖ زيوس : 113،103،144،129،127، 232، 277،271،233، 281،280،279،373، 381،377،466.
- ❖ ستران: 213،322،496.

- ❖ سندرنا (نين هرساج): 310.
- ❖ شارا: 498،491.
- ❖ شمش: 208، 343.
- ❖ عشتار: 209، 217، 320، 327.
- ❖ كرونوس: 232، 233.
- ❖ مردوخ: 348،210، 349،350.
- ❖ نابو: 349.
- ❖ نانشة: 500،498،321،226،223.
- ❖ نسكو: 310.
- ❖ نكار: 228.
- ❖ نارسين (سين): 301، 310، 327.
- ❖ نجرسو : 498،496 ، 488،345 ، 344،342 ، 340،226،225،209،210،211،213،220،223 ، 500،502،503،504، 507.
- ❖ نخرساج (نخرسك): 340،308،226،220،213،210،211،209 ، 207 ، 205،177،79.
- ❖ نيسابا: 340.
- ❖ نينجور سانج: 498، 499.
- ❖ هاديس : 233 .
- ❖ هرميس : 373،281.
- ❖ هيرا : 273،146،144.
- ❖ هيفايستوس: 373،271،281.

الصفحة	المحتويات
	شكر
	إهداء
19-3	مقدمة
الباب الأول : البيئة والسكان في كل من سومر وبلاد الإغريق	
80-22	الفصل الأول : بداية التكوين الحضاري السومري
80-22	1:عصور ما قبل لتاريخ السومري
27-22	أ-العصر الحجري القديم.
29-27	ب- العصر الحجري الوسيط.
30	ج -العصر الحجري الحديث.
32-30	ج-1/ حضارة جرمو
34-32	ج-2/ حضارة تل حسونة.
37-34	ج-3/ حضارة تل حلف.
38-37	د-العصر الحجري المعدني
41-38	د-1/ حضارة العميد.
44-41	د-2/ حضارة الوركاء.
46-44	د-3/ حضارة جمدة نصر.
48	2:جغرافية العراق وتأثيرها على التنظيم السياسي السومري
52-48	أ-الموقع وأصل التسمية.
52	ب-الأخار.
54-53	1نهر الدجلة.
55-54	2-نهر الفرات.
56-55	3-شط العرب.
58-56	ج-المناخ.
61-58	د-الاقاليم التضاريسية:
59-58	1-المنطقة الجبلية.
60-59	2-الهضبة الصحراوية:
60	أ-هضبة الجزيرة.
60	ب-هضبة البادية الغربية.
61	3-السهل الرسوبي.
80-62	3: المسألة السومرية:
65-63	أ-موقع بلاد سومر وأصل التسمية.

80-65	ب-جدلية السومريين:
67-65	1-تعريفهم.
73-67	2-إشكالية أصل السومريين.
80-73	3-الموطن الأصلي لهم.
150-81	الفصل الثاني : بداية التكوين الحضاري الإغريقي.
83	1:عصور ما قبل التاريخ الإغريقي
84-83	أ/ العصر الحجري القديم.
84	ب/ العصر الحجري الوسيط.
86-84	ج/ العصر الحجري الحديث:
86-84	1-حضارة تساليا:
85	أ)مدينة سيسكلو
86	ب)مدينة دوميني.
89-87	د)العصر الحجري المعدني (البرونزي)
107-90	2:الخصائص الطبيعية وأثرها على التكوين الحضاري والسياسي عند الإغريق.
90	أ/ الموقع الطبيعي.
97-92	ب/ الجبال والأخار.
96-92	1)الجبال.
97-96	2-الانخار.
100-97	ج/ التربة.
106-101	د/ البحر والجزر.
107-106	هـ-المناخ.
107-106	3/الخصائص البشرية للإغريق:
112-107	أ/ أصل التسمية.
124-112	ب/ أصل السكان:
114-113	1/القبائل البلاسجية.
119-114	2/القبائل الاخية.
120	3/القبائل الايونية.
120	4-القبائل الايولية.
124-120	5/القبائل الدورية.
125	ج) : التطور التاريخي لشعوب الإغريق:
126-125	1/العصر المبكر (ما قبل الكلاسيكي).
135-126	أ)الحضارة الايجية (الكريتية أو المينوية).

142-135	ب) الحضارة الميكانيكية (الميسينية)
144-142	2/ العصر الهيليني (الكلاسيكي).
146-144	3/ العصر الهيلستيني.
150-147	*مقارنة بين البيئة الجغرافية والبشرية لكلا الطرفين (السومري والإغريقي)
الباب الثاني : نظام الدولة المدينة بين الظهور والتأسيس.	
153-152	الفصل الأول: البوادر الأولى لنظام الدولة المدينة عند السومريين
164-154	1/ مفهوم الدولة المدينة:
159-154	أ/ الدولة المدينة حسب النصوص السومرية.
164-159	ب/ الدولة المدينة حسب النصوص الإغريقية.
180-164	2/ مكونات الدولة المدينة:
171-164	أ) حسب المدينة السومرية.
180-171	ب) حسب المدينة الإغريقية.
187-180	3/ النشأة التاريخية للدولة المدينة السومرية.
184-180	أ/ الإدارة الدينية للدولة المدينة (دولة المعبد).
187-184	ب/ الإدارة السياسية للدولة المدينة السومرية (دولة القصر).
196-187	4: عوامل قيام الدولة المدينة عند السومريين.
190-188	أ/ العوامل الطبيعية.
191-190	ب/ العوامل السياسية.
192-191	ج/ العوامل الدينية.
196-192	د/ العوامل الاقتصادية.
197-196	(4) التفويض الإلهي عند السومريين وانتقال السلطة من السماء إلى الأرض:
196	1) نزول الملكية:
198-196	أ) السلطة في السماء:
200-199	أ-1) مجلس الآلهة.
201-200	أ-2) قرارات مجلس الآلهة.
205-201	ب) السلطة على الأرض.
206-205	4/ السلالات الملكية السومرية من 2800 ق.م إلى 2370 ق.م.
209-206	أ/ سلالة كيش الأولى.
211-209	ب/ سلالة الوركاء الأولى.
213-211	ج/ سلالة أور الأولى.
218-213	د/ سلالة لجش الأولى.
221-218	و/ سلالة أوما.

223_222	الفصل الثاني : نظام الدولة المدينة بين مرحلتي الظهور والتطور عند الإغريق.
225-224	I.دولة المدن الاغريقية بين الميثولوجيا والواقعية
236-226	II . تطور دولات المدن وارتقاؤها الى البولس:
228-226	-1- الدولة المدينة في مرحلة الظهور
232-228	-2-الدولة المدينة في مرحلة التكوين.
236-232	-3-الدولة المدينة في مرحلة التطور.
-236	III: العوامل المؤدية لهذا التطور السياسي عند الإغريق
347-236	1/العوامل الطبيعية:
238-237	أ) أهمية الموقع الجغرافي وتأثيراته على الجانب السياسي
242-238	ب/ البيئة الجبلية وتأثيراتها على التطور السياسي.
244-242	ج)الطبيعة البحرية و الجزرية لبلاد اليونان.
244	د)الطبيعة النهرية وتأثيرها على الجانب السياسي.
247-245	و) طبيعة الاقليم اليوناني.
244-247	2) العوامل الاجتماعية:
251-247	أ) التكوين البشري والعرقى (البناء السكاني).
255-251	ب) الاستيطان الاغريقي على الساحل الاسيوي والايطالي.
259-255	3 /العوامل الاقتصادية:
258-255	أ)ظهور الأنظمة الاقتصادية .
259-258	ب)نظام النقد (العملة).
270-259	4) العوامل الدينية:
263-260	أ)دور عبادة الاسرار و الاسلاف.
265-263	ب) دور الالهة الاغريقية.
268-265	ج) دور المعبد الاغريقي.
271-268	د)دور الكهنة.
274-271	و)دور الملك الكاهن.
284-275	*مقارنة بين الدولة المدينة عند كل من السومريين والإغريق.
الباب الثالث : أشهر المدن السومرية والإغريقية وطبيعة الأنظمة السياسية السائدة فيها .	
.287-286	الفصل الأول : البرلمان السياسي السائد في المدن السومرية قبل 2370ق.م.
.289-288	1-نماذج عن أشهر المدن السومرية الرافدية قبل 2370ق.م
-289-290	أ) مدينة أور (UR):
.290-289	1 -أصل التسمية .
.291-290	2-الموقع الجغرافي .

293-291	3- تاريخ التنقيبات الأثرية في مدينة أور .
-293	4 -مخطط المدينة العام :
.293	أ- الشكل العام .
294	ب- السور .
295	ج- الخندق .
295	د- القبور .
295 .299-	و- موانئ المدينة .
299-300-	ب) مدينة إريدو (Urudo):
300-299	1- الموقع الجغرافي .
301-300	2- تاريخ التنقيبات الأثرية في مدينة إريدو وأهم الاكتشافات :
304-301	أ- المعابد .
304	ب- القصور .
304	ج- السور .
304	د- التمثال .
305	و- المقابر .
-305	ج) مدينة كيش (KISH):
306-305	1- الموقع الجغرافي .
.306	2 -أهميتها التاريخية .
.312-306	3- تاريخ التنقيبات الأثرية في مدينة كيش .
.313-312	2- النظام السياسي السومري (ديمقراطية بلاد سومر) .
.314-313	أ) الملك :
318-315	1-الشارات الملكية :
315	أ-التاج .
.316-315	ب-الصولجان .
316	ج-العصا .
316	د)-الخيط وأدوات القياس
318-316	2-الملك البديل .
329-318	3-الألقاب الملكية:
320-318	أ-اين " EN " .
324-320	ب-إنسي " ENSI " / باتيزي " PATESI " .
328-324	ج-لوكال / لوجال " LUGAL " .
329-328	د-لوكال كالاما (ملك البلاد) " LUGAL KALAMA " .

334-329	4- المهام الملكية (واجبات الملك) .
.331-329	أ) المهام الدينية .
334-331	ب) المهام الدنيوية .
335	ب) ولي العهد .
338-336	ج) تنويج ولي العهد :
338-336	1- الاحتفال الديني في المعبد .
338	2- الاحتفال المدني .
339-338	3- برلمان بلاد سومر قبل 2370 ق.م .
341-339	أ) مجلس الشيوخ (مجلس المسنين) " Sibut alim " .
343-341	ب) مجلس الأحرار (مجلس العموم النواب) " Gurus Uru " .
434	ج) الوزراء (المعاوناون) :
343	أ- السوكال ماهو (Sukal -Mah) .
344	ب- كبير الوزراء (ايشاكو) .
344	ج) وزير المالية.
.345-344	د- النظار (نوباندا) .
347-346	الفصل الثاني : مدينة أثينا وتطور أنظمة الحكم فيها .
357-348	1- مدينة أثينا :
350-348	أ -/ أصل التسمية .
351-350	ب /- الموقع الجغرافي .
353-351	ج /- الخصائص الطبيعية لمدينة أثينا .
357-353	د/- تاريخ المنطقة (نشأة أثينا وتوحيد إقليم اتيكيا)
370-357	2) طبيعة النظام الأثيني (تطور أنظمة الحكم من حوالي القرن 8 ق.م إلى القرن 4 ق.م)
361-358	أ) النظام الملكي
.364-361	أ-1/ المهام الملكية .
368-364	أ-2/ المؤسسات السياسية في النظام الملكي.
366-364	1- مجلس الشيوخ (الاروباجوس) .
368-366	2- الجمعية العامة (مجلس العامة) (الاكليزيا) .
370-368	أ-3) نهاية الحكم الملكي .
385-370	ب / - النظام الأرستقراطي:
373-372	1- نظام الاراخنة :
372	أ /- الملك (باسيولس) (Basilaus) .
372	ب /- الحاكم (أوبينموس) (Archon éponymos) .

372	ج /-القائد (بوليمارخوس) (Archon polemarchos) .
374-373	2-مجلس الشيوخ .
375-374	3 / -النتائج المترتبة على النظام الارستقراطي في أثينا :
377-375	أ)على الوضع الاجتماعي .
379-377	ب)على الوضع الاقتصادي .
333-379	ج)على الوضع السياسي :
381-379	1-ثورة كيلون (632ق.م / 631ق.م) .
385-381	2-قوانين دراكون سنة 621ق.م
388-386	ج / -النظام الأوليغارشي (الأوليغاركي) :
388-387	1-أسباب قيام النظام الاوليغارشي .
392-389	2-ظروف وصول صولون إلى السلطة .
408-392	3-التشريعات الأثينية في عهد صولون :
398-392	أ /-القوانين السياسية والقضائية .
401-398	ب /- القوانين الاقتصادية .
408-401	ج /-القوانين الاجتماعية .
410-408	د / - حكم الطغاة (561ق.م -510ق.م) وظروف وصول بيزستراتوس إلى الحكم :
412-410	1 - سياسته .
414-412	2-خلفاءه في الحكم .
412-414	و /-النظام الديمقراطي وأثره في تطوير الدولة المدينة الاغريقية :
419-415	1-القوانين الأثينية في عهد كليستينس:
416-415	أ/-القضاء على عصابة القرابة وإعادة تشكيل الروابط القبلية.
417-416	ب/- زيادة أعضاء مجلس الشورى إلى خمسمائة عضو.
417	ج /-الحفاظ على عضوية الجمعية الشعبية (الاكليزيا) .
418	د /-حصر المناصب العليا على أساس الثروة .
419-418	و /- قانون النفي السياسي .
424-419	2-عصر بركليس وظروف وصوله إلى الحكم (461-429ق.م) .
430	الفصل الثالث : مدينة اسبرطة وتطور أنظمة الحكم فيها .
434-431	1-مدينة إسبرطة (Sparta) :
433-431	أ / -أصل التسمية .
434-433	ب /- الموقع الجغرافي .
438-435	2-النشأة التاريخية لمدينة اسبرطة :
435	أ-سياسة الانعزال .

437-436	ب- سياسة التفريغ الطبيعي لزيادة السكان .
438-437	ج- السياسة العسكرية المتبعة .
442-438	3-التقسيم الاجتماعي لاسبرطة :
440-439	أ- طبقة السادة الدوريين أو الاسبرطيون الخالص (Spartiates).
441-440	ب- طبقة البرى أويكي (الجيران المحيطين) (Preoiki) أو البريكوي (Periokoi) أو الأحرار.
442-441	ج- طبقة الأرقاء أو المستعبدين أو الهيلوتيون (Helots) أو الاقنان .
449-442	4) طبيعة النظام الاسبرطي :
444-442	1- الملكية المزدوجة .
445-444	2 مجلس الجيروسية أو مجلس الشيوخ (Gerousia) .
446-445	3- مجلس العامة أو مجلس الشعب (مجلس الأبالا) (Appela) .
449-446	4 هيئة المشرفين أو مجلس الخمسة أو مجلس الرقباء (Ephores) .
457-450	*مقارنة بين المدن السومرية والإغريقية وطبيعة أنظمة الحكم بين الطرفين .
الباب الرابع : انهيار نظام الدولة المدينة في كل من سومر وبلاد الإغريق (الأسباب والنتائج المترتبة عنها) .	
459	<u>الفصل الأول : طبيعة العلاقات بين المدن السومرية وتأثيرها على انهيار الدولة المدينة " الصراع بين مدينتي أوما ولجش أنموذجا " (2450ق.م -2357ق.م).</u>
465-460	1- الصراع بين مدينتي أوما ولجش (2450ق.م - 2357ق.م).
461	أ) أطراف الصراع :
461	أ-1) مدينة لجش :
463-461	1- أصل التسمية .
465-463	2- الموقع الجغرافي والفلكي
469-465	أ-2) مدينة أوما :
466-465	1- أصل التسمية .
469-466	2- الموقع الجغرافي.
471-469	2- الخلفيات التاريخية المؤدية لظهور الصراع :
470-469	أ) الأسباب الغير المباشرة .
471-470	ب) الأسباب المباشرة (الحقيقية) .
482-471	3 -مراحل الصراع :
480-472	أ) المرحلة الأولى (2450ق.م -2395ق.م).
482-481	ب) المرحلة الثانية (2395ق.م -2357ق.م) .
483-482	1- إصلاحات اوروكاجينا .
484-483	2- بنود الإصلاحات .
488-484	3- ظهور لوكال زاجيري ونهاية الصراع بين لجش واوما .

489-488	4- نتائج الصراع وتأثيره في انهيار الدولة المدينة السومرية .
493-489	5- ظهور العاصمة أكاد وإخضاع الدويلات السومرية .
494-493	1- أسباب الصراع بين الطرفين .
496-494	2- مجريات الصراع (الحرب) .
499-497	3- نتائج الصراع .
503-500	الفصل الثاني : طبيعة العلاقات الداخلية بين المدن الإغريقية وتأثيرها في انهيار الدولة المدينة " حروب البولوبونيز أنموذجا 431ق.م / 404ق.م " .
506-503	- حروب البولوبونيز (431ق.م - 404ق.م). I
514-506	1) أسباب قيام الصراع (اصطدام المصالح التوسعية الأثينية بالمصالح الاسبرطية):
513-506	أ) الأسباب الغير مباشرة .
514-513	ب) الأسباب المباشرة (الحقيقية) .
528-514	2- مراحل الحرب :
519-515	أ/ الحرب البولوبونيزية الأولى (431ق.م-421ق.م.
521-519	ب/ الحرب البولوبونيزية الثانية (415ق.م -413ق.م) .
528-521	ج/ الحرب البولوبونيزية الثالثة (412ق.م -404ق.م) .
529	3- النتائج المترتبة عن حروب البولوبونيز وتأثيرها في انهيار الدولة المدينة الإغريقية(431-404ق.م) :
535-529	أ) نتائج الصراع على بلاد الإغريق .
541-536	ب) أثر الصراع على نظام الدولة المدينة الإغريقية .
542-541	4- تدهور وانهيار نظام الدولة المدينة في القرن الرابع قبل الميلاد:
548-542	أ/ زعامة اسبرطة(401ق.م -371ق.م). (ص528)
549-548	ب/ زعامة طيبة(371ق.م -362ق.م).
554-550	ج/ الاتحاد الأثيني (378ق.م -338ق.م):
552-550	1/ أوضاع أثينا قبيل ظهور الاتحاد الأثيني .
554-552	2/ تكوين التحالف الكونفدرالي (الاتحاد الأثيني) .
556-554	3/ المراحل التاريخية للحلف الجديد :
554	أ) الفترة الأولى الممتدة (378-371ق.م).
554	ب) الفترة الثانية الممتدة (371-358ق.م).
556-554	ج) الفترة الثالثة الممتدة (358-338ق.م) .
557-556	4/ الأسباب المؤدية لانهيار الاتحاد الأثيني .
565-557	5- ظهور مقدونيا وإخضاع الدويلات الإغريقية .
571-565	*مقارنة حول كيفية انهيار الدولة المدينة في سومر وبلاد الإغريق .
581-572	الخاتمة

609-582	قائمة البيبليوغرافيا
610	قائمة الفهارس
621-611	فهرس الملاحق
	فهرس الأماكن والاعلام
	فهرس المواضيع